عبادات القلوب

في ضوء القرآن والسنة

للفقير الى مولاه
محمد بن ابراهيم بن عبد الله التويجري

الطبعة الاولى
١٤٤٣ ه - ٢٠٢٢م

دار اللؤلؤة
للتوزيع والنشر
المنصورة-مصر

عبادات القلوب

في ضوء القرآن والسنة

للفقير إلى ربه الغني

محمد بن إبراهيم بن عبد الله التويجري

الطبعة الأولى

١٤٤٣هـ - ٢٠٢٢م

دار اللؤلؤة للنشر والتوزيع

مصر - الإسكندرية

الطبعة الأولى

١٤٤٣هـ - ٢٠٢٢م

دار اللؤلؤة

للنشر والتوزيع

هاتف :

فاكس :

جوال :

عبادات القلوب

في ضوء القرآن والسنة

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمـة

إنَّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيِّئات أعمالنا، مَن يهده الله فلا مضلَّ له، ومَن يُضلِل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمداً عبده ورسوله.

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [آل عمران: ١٠٢] .

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ ﴾[النساء: ١] .

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾[الأحزاب: ٧٠ – ٧١] .

أمَّا بعْدُ:

فإنَّ خيرَ الحديث كتاب الله، وخير الهدي هديُ محمَّدٍ ﷺ ، وشرَّ الأمور محدثاتُها، وكلُّ محدثةٍ بدعةٌ، وكلُّ بدعةٍ ضلالةٌ، وكلُّ ضلالةٍ في النَّار.

الحمد لله ربِّ العالمين الَّذي تفرَّد وحده بالأسماء الحسنى، والصِّفات العلا، والأفعال الحميدة، والأحكام المجيدة، والمثل الأعلى: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾ ﴾[طه: ٨] .

وأحمده وأشكره على عظيم نعمه السَّابغة، الظَّاهرة والباطنة، الَّتي عمَّ بها كلَّ مخلوقٍ في السَّماوات والأرض، وفي الدُّنيا و الآخرة.

والحمد لله كثيراً على جلاله وجماله، وعلى كمال ربوبيَّته و ألوهيَّته، وعلى عظمة مُلكه وسلطانه، وعلى عظيم إنعامه وإحسانه، وعلى كمال دِينه و شرعه، وعلى بعثة أنبيائه ورسله، وعلى حُسْن دِينه و شرعه، وعلى صدق وعده ووعيده.

سبحانه لا إله غيره، ولا ربَّ سواه، كلُّ مخلوقٍ شاهدٌ بوحدانيَّته، وكلُّ موجودٍ داعٍ إلى محبَّته وتعظيمه وحمده، وكلُّ محسوسٍ هادٍ إلى ربوبيَّته، وكلُّ شيءٍ يسبِّح بحمده، وكلُّ مخلوقٍ متصاغرٌ لكبريائه، ومستجيبٌ لمشيئته، ومسرعٌ إلى إرادته، وخاضعٌ لعظمته: ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ٤٤ ﴾[الإسراء: ٤٤] .

هو سبحانه الواحد الأحد، الخالق لكلِّ أحدٍ، القادر على كلِّ أحدٍ، المحيط بكلِّ أحدٍ، العليم بكلِّ أحدٍ، الحافظ لكلِّ أحدٍ، المالك لكلِّ أحدٍ، الملك الَّذي لا يحتاج إلى أحدٌ، الغنيُّ الَّذي يحتاج إليه كلُّ أحدٍ، الرَّبُّ الَّذي يربيِّ كلَّ أحدٍ: ﴿ قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ٢ لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ ٣ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ ٤ ﴾[الإخلاص: ١ – ٤] .

وهو سبحانه الملك الحقُّ الَّذي يستحقُّ المحامد كلَّها، له الحمد في الأولى والآخرة على جلاله وجماله، وله الحمد على نعمة الخلق والإيجاد، وعلى نعمة العطاء والإمداد، وعلى نعمة الهداية والإسعاد: ﴿ فَلِلَّهِ ٱلۡحَمۡدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلۡأَرۡضِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٣٦ وَلَهُ ٱلۡكِبۡرِيَآءُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٣٧ ﴾ [الجاثية: ٣٦ – ٣٧] .

وهو سبحانه الخالق القادر القاهر، الَّذي وسم جميع المخلوقات بآثار الحدَث بعد العدم، وبما أظهر على الكلِّ من العجز، والحاجة، والنَّقص، والزِّيادة، لتكون له الحجَّة البالغة، والرُّبوبيَّة النَّاطقة، والألوهيَّة الواحدة: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ١٠٢ ﴾ [الأنعام: ١٠٢] .

وهذا كتابٌ جليلُ القدْرِ، في أمرٍ عظيمِ القَدْر، عنوانه «**عبادات القلوب في ضوء القرآن والسُّنَّة**»

وهو كتابٌ عظيم النَّفع، غزير العلم، يسعد به العبدُ، ويملأ القلب بالتَّوحيد والإيمان، ويحرِّك الجوارح بالأعمال الصَّالحة، بكمال الحُبِّ والتَّعظيم والذُّلِّ لله عزَّ وجلَّ .

وضعتهُ تذكرةً لنفسي وإخواني بأعظم الصِّفات الَّتي يجب أن يتحلَّى بها المسلم في حياته، ويتعبَّد بها لله عزَّ وجلَّ، ليسعد بذلك في حياته، وينال ثوابها بعد مماته، ويكون قدوةً لغيره في أقواله وأعماله وأخلاقه، وسائر معاملاته، ويصير أقرب النَّاس إلى حياة الأنبياء في توحيدهم وإيمانهم، وفي أقوالهم وأفعالهم، وفي أخلاقهم وآدابهم، وفي عباداتهم ومعاملاتهم: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾[الأنبياء: ٩٠] .

نسأل الله عز وجل أن ينفع به المسلمين على مر الدهور، وأن يجعله من العمل الصالح المقبول، وأن يغفر لمن كتبه، وقرأه، وعلّمه، ونشره .

والأنبياء أحسن النَّاس حياةً، وأطهرهم حياةً، وأفضلهم حياةً، ولمن آمن بهم حظٌّ مِن حياتهم بحسب إيمانه وعلمه وعمله وتقواه: ﴿فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾﴾ [الأعراف: ١٥٨] .

وقد خلق الله عزَّ وجلَّ هذا الإنسان بين مخلوقين عظيمين .

أحدهما: أعلى منه، وهم عالم الملائكة الَّذين لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يُؤمرون، ويسبِّحون اللَّيل والنَّهار لا يفتُرون: ﴿وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾﴾[الأنبياء: ١٩-٢٠].

والثَّاني: أقلُّ منه، وهم عالم البهائم الَّتي تتمتَّع بالشَّهوات بلا حدٍّ ولا قيدٍ، ولا أمرٍ ولا نهيٍ: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾﴾[الفرقان: ٤٤].

وسعادة النَّاس بالإيمان والطَّاعات كسعادة الحيوانات بالمأكولات والمشروبات، والإنسان إذا امتثل أوامر الله التحق بالملائكة، وإذا اتَّبع هواه وشهواته كان أضلَّ مِن البهائم: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا ۚ أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١٧٩﴾﴾[الأعراف: ١٧٩] .

والإنسان إذا آمن بالله أشبه الملائكةَ والرُّسل، وإذا كفر بالله أشبه أخسَّ البهائم من الحمير والكلاب: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا ۚ بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ ۚ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥﴾﴾ [الجمعة: ٥].

وقد خلق الله الإنسان، وابتلاه بالهدى والهوى، وخلق الحيوان وفطره على اتِّباع الهوى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿٢﴾ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾﴾[الإنسان: ٢ – ٣].

والإيمان نورٌ وطيبٌ، وطهارةٌ وفلاح، والكفر ظلامٌ ونجاسةٌ، وقذارةٌ وخسارة.

والإيمان تاج العزَّة والأمن، والكفر مطيَّة الذلَّة والخوف، وحبُّ المؤمن للإيمان والطَّاعات أشدُّ من حبِّه للمأكولات والمشروبات، وكراهة المؤمن للمعاصي والسيئات أشدُّ مِن كراهيته للأقذار والنَّجاسات، ونفور المؤمن من المعاصي مثل نفوره من السِّباع، وحلاوة الإيمان في قلب العبد أعظم من حلاوة العسل في اللِّسان.

وقد خلق الله عزَّ وجلَّ هذا الإنسان مركَّبًا من قلبٍ وبدنٍ، والقلب محلُّ الإيمان والكفر، ومكان الحُبِّ والبغض، وموطن التَّوحيد والشِّرك، والبدن محلُّ الأعمال من أقوالٍ وأفعال.

والأصل أعمال القلوب، وأعمال الجوارح فرعٌ عليها، ولا تصحُّ أعمال الجوارح إلَّا إذا صحَّت أعمال القلوب، ولا تُقبَل أعمال الجوارح إلَّا إذا سبقتها أعمال القلوب من التَّوحيد والإيمان بالله عزَّ وجلَّ: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾[النحل: ٩٧].

والقلوب هي محلُّ نظر الله عز وجل، وعبادات القلوب هي أعظم العبادات.

قال النبيﷺ: «إِنَّ اللهَ لاَ يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ» أخرجه مسلم(١).

فلا تُزيِّن يا عبد الله ما يراه النَّاس من ظاهر بدنك، وتُهمل ما يراه الله من باطنك وهو قلبك: ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾ ﴾ [الحج: ٣٢] .

والقلوب محلُّ أعظم العبادات، فهي محلُّ الإيمان والتَّوحيد، ومحلُّ الحُبِّ والتَّعظيم والذُّلِّ لله، ومحلُّ الخوف والرَّجاء، ومحلُّ الفقه والعلم والتَّقوى، ومحلُّ أصل العبادات كلِّها، وهي النِّيَّة التي محلها القلب .

قال النبيﷺ: «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى» متفق عليه(٢).

والقلب هو محلُّ التَّكليف، فالقلب إذا آمن بالله أطاع ربَّه، ثمَّ أمر سائرَ الجوارح بالطَّاعة، والأصل طاعة القلب، أمَّا الجوارح فتُؤدِّي الطَّاعات على قدر

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٥٦٤).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (١)، واللفظ له، ومسلم برقم (١٩٠٧).

استطاعتها: ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ وَٱسْمَعُواْ وَأَطِيعُواْ وَأَنفِقُواْ خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ ﴾ [التغابن: ١٦] .

والعين محلُّ إبصار الأشياء، والقلب محلُّ البصيرة والتَّدبُّر، وإذا عمى القلب زلت الجوارح: ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾ ﴾ [الحج: ٤٦] .

والقلب قائدٌ، والبدن تابعٌ له في الخير والشَّرِّ، فإذا صلح القلب صلحت كلُّ الأعمال الظَّاهرة والباطنة، والبدنيَّة والماليَّة والأخلاقيَّة، وإذا فسد القلب فسدت كلُّ الأعمال القوليَّة والبدنيَّة، والأخلاقيَّة والماليَّة.

قال النبي ﷺ: «أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ» متفق عليه[1].

فهذه القلوب محلُّ الإيمان والكفر، ومحلُّ الطَّاعات والمعاصي، ومحلُّ الكبر والتَّواضع، ومحلُّ الحبِّ والبغض، ومحلُّ الصِّدق والكذب، ومحلُّ الإيمان والنِّفاق، ومحلُّ التَّقوى والفجور، ومحل الوجل والخوف: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ﴾ [الأنفال: ٢] .

والقلوب هي المخاطَبة بالوحي الإلهيِّ، كما قال سبحانه: ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ ﴾ [الشعراء: ١٩٣ – ١٩٥] .

ومعاصي القلب من الكفر والشِّرك، والنفاق والرياء، والعُجب والكبر، أعظم من معاصي الجوارح، وأشد عقوبة: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١١٦﴾ ﴾ [النساء: ١١٦] .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٥٢)، ومسلم برقم (١٥٩٩).

وقال النبي ﷺ: ((لا يَدْخُلُ الجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ)). أخرجه مسلم[1].

والقلب هو الَّذي تنزل عليه السَّكينة الَّتي تزيد الإيمان: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ﴾[الفتح: ٤] .

والقلوب لا تطمئنُّ أبداً إلَّا بذكر الله عزَّ وجلَّ: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ﴾[الرعد: ٢٨] .

والقلب كثير التَّقلُّب بين التَّوحيد والشِّرك، وبين الطَّاعات و المعاصي .

وقلوب العباد كأجسادهم بيد الله وحده، يقلِّبها من حالٍ إلى حالٍ كيف يشاء، حسب علمه السَّابق: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الأنفال: ٢٤] .

وقال النبي ﷺ: ((إِنَّ القُلُوبَ بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ اللهِ يُقَلِّبُهَا كَيْفَ يَشَاءُ)). أخرجه الترمذي وابن ماجة[2].

وعبادات القلوب أصل العبادات، وهي سبيل سعادة العبد في الدُّنيا والآخرة، وبها يدخل العبدُ جنَّةَ المعرفة في الدُّنيا، الموصلة إلى جنَّة الآخرة يوم القيامة، وبها يصل المسلم إلى القلب السَّليم الَّذي سَلِم من أمراض الشَّهوات، وأمراض الشُّبهات، وسلَّم الأمر لله فصلح للقاء الله، وصلح لدخول الجنَّة: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾ [محمد: ١٩].

والعبادات القلبيَّة هي الأصل، وعبادات اللِّسان والجوارح ثمرةٌ لها، والإيمان لا يصحُّ ولا يُقبل إلَّا بهذا وهذا، كما قال سبحانه: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٩١).

(٢)صحيح/ أخرجه الترمذي برقم (٢١٤٠)، وأخرجه ابن ماجه برقم (٣١٠٧) .

﴿يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ٣ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَمَغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ٤﴾[الأنفال: ٢ – ٤] .

وأعمال القلوب أفضل الأعمال، فهي أصل التَّوحيد والإيمان، وهي أساس الفوز بالجنَّة، والنَّجاة من النَّار، وهي أساس قبول عبادات الجوارح .

وطاعات القلوب أعظم من طاعات الجوارح، وكلاهما مأمور به، ومعاصي القلوب أكبرُ من معاصي الجوارح، وكلاهما منهي عنه: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ٧﴾[الحشر: ٧].

ومعاصي القلوب أعظم من معاصي الجوارح، فالكِبر والاستكبار، والكفر والشِّرك، والشَّكُّ والرَّيب، والتَّكذيب والإنكار، والنفاق والإعراض، وعدم الانقياد، والإباء والجحود، والسُّخرية والاستهزاء، والبغض لله ولرسوله، ودينه وأوليائه، كلُّ ذلك من معاصي القلوب، وكلُّها مخرِجةٌ مِن ملَّة الإسلام، وصاحبها مخلَّدٌ في النَّار: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ ٧٢﴾[المائدة: ٧٢] .

وقال الله عز وجل :﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ٦٠﴾[غافر: ٦٠] .

أمَّا معاصي الجوارح كالزِّنا والسَّرقة وشرب الخمر وأمثالها، فلا تخرج العبد من الملَّة، وإن مات صاحبها وهو مصرٌّ عليها فهو إلى مشيئة الله، إن شاء عذَّبه بقدْرِ ذنوبه، وإن شاء عفا عنه، ثمَّ مصيره إلى الجنَّة: ﴿قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ٥٣﴾ [الزمر: ٥٣] .

ومعصية آدم ﷺ معصية جوارح؛ لأنَّه أكل من الشَّجرة الَّتي نهاه الله عنها، ثمَّ تاب بعدها فتاب الله عليه، واجتباه واصطفاه: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٖ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ٣٧﴾[البقرة: ٣٧].

ومعصية إبليس معصية قلبٍ، لأنَّه أبى واستكبر عن طاعة الله، وأصرَّ على ذلك، ولم يتُبْ من ذلك، فلعنه الله، وطرده من الجنَّة: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾[البقرة: ٣٤] .

والإحسان أعلى درجات الدِّين، والإحسان مبنيٌّ على حسن مراقبة الله في كلِّ نيَّةٍ وقولٍ وعملٍ، والإحسان: أن تعبد الله كأنَّك تراه: ﴿ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٢٢﴾ ﴾[لقمان: ٢٢] .

وقال النبي ﷺ: ((الْإِحْسَانُ أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ)) متفق عليه [(١)].

وأعمال القلوب من أسباب زيادة الإيمان، وكثرة الأعمال الصالحة، ومضاعفة الأجور، ونيل الدَّرجات العلا من الجنَّة: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾ ﴾[الملك: ١٢].

وعبادات القلوب مطلَقةٌ في كلِّ وقتٍ، أمَّا عبادات الجوارح فهي مقيَّدةٌ بالوقت، والعدد، والمكان، والزَّمان، والحال كالصلوات الخمس، وصوم رمضان، والحج ونحوها .

وعبادات الجوارح أقوالٌ، وأفعالٌ، وتروكٌ، جاءت عن الله ورسوله، والقصد منها التَّقرُّب إلى الله تعالى بكمال الحبِّ والتَّعظيم والذُّلِّ له، يؤدِّيها العبد بالقلب واللِّسان والجوارح، إمتثالاً لأمر الله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾ ﴾[الحج: ٧٧] .

وعبادات القلوب من الحبِّ والتَّعظيم لله، والذُّلِّ له، والصَّبر والصِّدق، والتَّوكُّل والتَّوبة، والخوف والخشية لله وأمثالها، من أعظم العبادات الموصلة إلى رضوان الله، والدَّرجات العُلا في الجنَّة .

---

(١)**متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٥٠) ومسلم برقم (٩).

وأعلى الخلق في هذه العبوديَّات الأنبياء والرُّسل عليهم الصَّلاة والسَّلام، فقد كان آدم ﷺ عظيم التَّوبة، وإبراهيم ﷺ عظيم التَّوكُّل على ربِّه، وأيُّوب ﷺ عظيم الصَّبر، وعيسى ﷺ عظيم الزُّهد، وموسى ﷺ عظيم المجاهدة، ومحمَّدٌ ﷺ جمعَ اللهُ له ذلك كلَّه: ﴿ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [الزمر: ٣٣] .

وقال عزَّ وجلَّ عن نبيِّه ﷺ: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾[القلم: ٤] .

وباقي الخلْقِ متفاوتون في هذه الصِّفات، بحسب إيمانهم وتقواهم .

وعبادات القلوب درجات.

منها ما هو ركنٌ في الإيمان مثل حبِّ الله، وتعظيم الله، وتكبير الله، والذُّلِّ لله، والإخلاص لله، وتوحيد الله، والتَّوكُّل على الله، وخوف الله، ورجاؤه، والتَّوبة إلى الله، وحمد الله، وشكره، وتقواه، والافتقار إليه وأمثالها.

ومنها عبادات القلوب الواجبة مثل الصَّبر،والخشوع،والخشيةوأمثالها .

ومنها عبادات القلوب المستحبَّة مثل الزُّهد، والورع وأمثالهما.

وأسعد الناس من جمع بين الأركان والواجباتوالمستحبات: ﴿ أُو۟لَـٰٓئِكَ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَـٰبِقُونَ ﴿٦١﴾ ﴾[المؤمنون: ٦١] .

وأنواع القلوب ثلاثةٌ:

القلب السَّليم .. والقلب المريض .. والقلب الميِّت.

الأوَّل: القلب السَّليم، وهو القلب الَّذي امتلأ بكمال الإيمان واليقين والتَّقوى، وخلا من أمراض الهوى والشَّهوات والشُّبهات، وامتلأ بحبِّ الله، وتعظيم الله، وإخلاص العمل لله، واتِّباع رسوله ﷺ.

وصفات القلب السَّليم ثمانيةٌ:

الأوَّل: خلو القلب من الشُّبهات، حتى صار يعبد الله باليقين كأنَّه يراه .

الثَّاني: خلوُّ القلب من الشَّهوات، حتَّى صار مراده تبعاً لما يحبُّه الله عز وجل .

الثَّالث: إحسان عبادة الله، وإخلاص العمل لله، واتِّباع رسول الله ﷺ في كلِّ قولٍ وعملٍ وخلق .

الرَّابع: عبادة الله بأنواع العبادات القلبيَّة من الحبِّ لله، والخوف من الله، والخشية لله، والتَّوكُّل على الله، والتَّوبة إلى الله، وإخلاص العمل لله، والصَّبر على طاعة الله، والصَّبر عن معاصي الله، والصَّبر على أقدار الله المؤلمة، والاستعانة بالله، والافتقار إليه، والخشوع لله، والاستغاثة به، والتَّعظيم لله، والشُّكر له، وحسن رجائه، والانكسار بين يديه، والافتقار إليه، ونحو ذلك من العبادات القلبيَّة.

الخامس: أن يكون قلباً أوَّاهاً منيباً، رجَّاعاً إلى الحقِّ، مسارعاً إلى التَّوبة إلى الله من كلِّ عارضٍ من شبهةٍ أو شهوةٍ أو هوًى.

السَّادس: أن يكون خالياً من نواقض الإيمان من الكِبْر و الاستكبار، والإباء والجحود، والتَّكذيب والإعراض، والسُّخرية والاستهزاءونحوها.

السَّابع: أن يكون خالياً من سوء الظَّنِّ بالمسلمين، وخالياً من موالاة أعداء الله، وخالياً من الحقد والحسد وأمثالهما من الصِّفات المذمومة.

الثَّامن: أن يكون خالياً من سوء الظَّنِّ بالله، خالياً من الإلحاد في أسماء الله وصفاته، خالياً من القنوط واليأس من رحمة الله، خالياً من التَّشاؤم والتَّطيُّر .

ولن يفلح يوم القيامة إلَّا مَن أتى الله بقلبٍ سليمٍ: ﴿يَوۡمَ لَا يَنفَعُ مَالٞ وَلَا بَنُونَ ٨٨ إِلَّا مَنۡ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلۡبٖ سَلِيمٖ ٨٩﴾ [الشعراء: ٨٨ – ٨٩] .

الثاني: القلب المريض، وهو القلب الذي فقد صحته وسلامته، لأنه غلبت عليه أمراض الشهوات والشبهات،وأمراض القلوب نوعان:

أحدها:أمراض الشهوات: وهي خللٌ في الإرادات والأفعال.

الثاني: أمراض الشبهات: وهي خللٌ في التصّور والاعتقاد.

ومن أصيب بمرض الشهوات أو الشبهات اتّبع هواه، وترك هُدى ربه ، كما قال سبحانه: ﴿ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٠﴾ ﴾[القصص: ٥٠] .

والقلب المريض بالشبهات يشكُّ في ربِّه، وفي رسوله، وفي دينه، ويستكبر عن عبادة ربه، ويستكبر على خلقه، ويُكذِّب شرعَ الله .

والقلب المريض بالشهوات ليس له همٌّ إلا المُتع الدنيوية، والشهوات البهيمية، مثل شهوة البطن، والفرج، وشهوة السمع والبصر، وشهوة جمع الأموال والأشياء.

ومن ابتُلي بمرض الشبهات والشهوات جرَّه الشيطان إلى الصفات البهيمية من الحرص والطمع في كل حلال وحرام، وجرّه كذلك إلى الصفات السبعيّة من الكِبر والعلو، والفساد والإفساد، وحب الرئاسة، والاستعلاء على الناس بعلمه،ودينه، وماله، وحب الظهور كما قال الله عن المنافقين: ﴿ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾ ﴾[البقرة: ١٠] .

وعلاج مرض الشبهات بالعلم الإلهي الذي يُثمر اليقين على ذات الله، وأسمائه وصفاته، وأفعاله، ودينه، ويُثمر حب الله، وتعظيمه،وتوحيده، وخوفه، ورجائه: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾[محمد: ١٩] .

ويثمر النظر والتفكر في آيات الله الكونية، وآياته الشرعية ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾ ﴾[الطلاق: ١٢] .

وعلاج مرض الشهوات بالصبر، والمسارعة إلى أداء العبادات، والصبر من أعظم أعمال القلوب: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾[السجدة: ٢٤] .

وقال عز وجل: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾ ﴾[آل عمران: ٢٠٠] .

وأعظم الشهوات ثلاث:

التعلق بالرئاسة ..والأموال.. والنساء .

وعلاج مرض التعلق بالشهوات، هو تزكية القلوب بالعبادات القلبية، من حب الله، وتعظيمه، والخوف منه، ومراقبته في السر والعلن، وحسن الرجاء له، ومحاسبة النفس، والصبر عن المحرمات، والاستعانة بالله: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ ﴾[الجمعة: ٢] .

فإذا دخل حب الله في القلب، طرد منه كل حب لسواه، وأثمر الحب لله خوفًا، وأثمر الخوف إخلاصًا لله، فأصبح مراد هذا القلب تبعًا لمراد الله .

ومن وفقه الله لصدق اليقين، والخلاص من مرض الشبهات والشهوات، صار من أئمة الدين، والدعاة إلى الله: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾[السجدة: ٢٤] .

وأسباب فساد القلب ومرضه كثرة الذنوب، وقلّة ذكر الله، وانشغال القلب بغير الله، وكثرة مخالطة الناس في غير الخير، وكثرة الأكل والشرب، وكثرة النوم، وكثرة الكلام في أمور الدنيا والشهوات :﴿ كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ [المطففين: ١٤] .

وعلامات القلب المريض قلّة ذكر الله، وقلّة ذكر الموت، وقلّة ذكر اليوم الآخر، وكثرة المعاصي، وأنه لا يُحبّ الأعمال الصالحة،ولا يُحبّ الطاعات، ولا يُحبّ مجالس الذكر، ولا يحب المتقين،ورؤية عمله تامًا، والغفلة عن الله، والإسراف في الشهوات، وقلة الطاعات، والميل إلى المعاصي .

وعلاج هذا القلب المريض الإكثار من ذكر الله، فمن ذكر الله أطاعه ولم يعصه، والإكثار من ذكر الموت، فمن ذكر الموت قَصُر أمله، وقلَّ ذنبه، وكثُر عمله الصالح، والاستكثار من نوافل العبادات،من صلاة وصدقات، وصوم، ونحو ذلك، والإكثار من تلاوة القرآن وتدبره : ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ٢٤﴾[محمد: ٢٤] .

والنظر والتفكر فيما خلق الله في هذا الكون العظيم من المخلوقات العظيمة والآيات الكبيرة: ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ٦ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ٧ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ٨﴾[ق: ٦ –٨] .

وزيارة المقابر، والاعتبار بحال الموتى، وزيارة المرضى، وزيارة الصالحين، وحضور مجالس الذكر والوعظ :﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ٢٨﴾[الكهف: ٢٨].

الثالث: القلب الميت، والقلب الميت هو الذي لا يعرف معروفًا، ولا يُنكر منكرًا، إلّا ما أُشرِب من هواه، فهو كالميت بين الأحياء، وكالأعمى بين المبصرين: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ١٢٢﴾[الأنعام: ١٢٢] .

وموت القلب أعظم من موت البدن، ومن مات قلبه خسر دنياه وآخرته: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ١٧٩﴾ [الأعراف: ١٧٩] .

وقال النبيﷺ: «مَثَلُ الَّذِي يَذْكُرُ رَبَّهُ وَالَّذِي لا يَذْكُرُ رَبَّهُ كَمَثَلُ الحَيِّ وَالميِّتِ. »

أخرجه البخاري[1].

والله عز وجل أعلم بما في صدور العالمين، وهو أعلم بالشاكرين، والكافرين، وهو أعلم حيث يجعل رسالته وهُداه وفضله :﴿وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٥٣﴾﴾ [الأنعام: ٥٣] .

ومن علامات القلب الميت:

الأولى: الطبع على القلب والسمع والبصر،فلا يَقبل الخير، ولا يصل الخير إلى قلبه: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٠٨﴾ لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٠٩﴾﴾ [النحل: ١٠٨ –١٠٩] .

الثانية:الختم على قلوبهم، وعلى سمعهم، كما قال سبحانه عن الكفار:﴿ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٧﴾﴾[البقرة: ٧] .

الثالثة: جعل الله على قلوبهم أكنّة، وفي آذانهم وقرا كما قال الله عن الكفار: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۖ وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوٓاْ إِذًا أَبَدًا ﴿٥٧﴾﴾[الكهف: ٥٧] .

الرابعة: جعل الأقفال على قلوبهم:﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾﴾[محمد: ٢٤] .

الخامسة: جعل الله على قلوبهم الران:﴿ كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾﴾ [المطففين: ١٤] .

السادسة: جعل الله على قلوبهم الحُجُب:﴿ وَقَالُواْ قُلُوبُنَا فِىٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ وَفِىٓ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنۢ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ ﴾[فصلت: ٥] .

---

[1] أخرجه البخاري برقم (٦٤٠٧).

السابعة: منعهم من سمع الهداية كما قال سبحانه:﴿وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ١٠٠﴾[الأعراف: ١٠٠] .

الثامنة: منعهم من الفهم: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ٣﴾[المنافقون: ٣] .

التاسعة: أن الله أعمى أبصارهم عقوبةً لهم، كما قال سبحانه: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ ۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ٤٤﴾[فصلت: ٤٤] .

العاشرة: أن الله جعل على أبصارهم غشاوة، كما قال سبحانه: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَـٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ٢٣﴾[الجاثية: ٢٣] .

اللهم أحيي قلوبنا بالتوحيد والإيمان، وزينها باليقين والتقوى، واملأها بالهدى والنور، وجملها بالرحمة والإحسان، ياحي يا قيوم:﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ٨﴾[آل عمران: ٨] .

والعبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال، الظاهرة والباطنة، وتكون بالقلب واللسان والجوارح، وهي أعظم حقوق الله على عباده .

والعبادات تنقسم إلى قسمين :

الأول: عبادات القلوب: كحُبّ الله، وتعظيمه، والإيمان به، وتوحيده، والخوف منه، والخشية له، والتوكل عليه، وإخلاص العمل له، وغيرها من عبادات القلوب .

الثاني: عبادات الجوارح: كالذكر، والدعاء، والدعوة، والتعليم، والصلاة والصيام، والزكاة، والحج والعمرة، وغيرها من عبادات الجوارح .

وعبادة القلب أصلٌ لجميع عبادات الجوارح :﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ٥﴾[البينة: ٥] .

وأعظم أنواع العبادات القلبية:

توحيد الله، والإيمان بالله، وحب الله، وتعظيم الله، والخوف من الله، وحُسن الرجاء لله، وإخلاص العمل لله، وخشية الله، ومراقبة الله، والتوبة إلى الله، والإنابة إليه، والافتقار إليه، وحُسن الظن به، والتمجيد له، والتقديس له، والحياء من الله، والتسليم لأمره، والرضا بقضائه، والاستعانة بالله، والتوكل على الله، والحمد والشكر لله، وتقوى الله، والاستغاثة بالله، والذلّ لله، والتواضع لله، واليقين على الله، والإخبات له، والخشوع بين يديه، وحب دينه وأوليائه، والصبر، والصدق، واليقين والتقوى، وغيرها من العبادات القلبية.

واجتناب الشرك والكفر، والنفاق والرياء، والعجب والكبر، والمنكرات والآثام وغيرها من عبادات التروك.

فهذه أكثر من سبعين عبادة من عبادات القلوب الفعلية، والتركية: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾[الأنفال:٢ – ٤] .

وأعظم العبادات القلبية بعد التوحيد والإيمان، هي حُبّ الله عز وجلّ، لأن حب الله هو الدافع لكل عبادة وطاعة، وهو الذي يَصرُف المؤمن عن معصية الله، ومخالفة أمره، إلى طاعته، وحسن عبادته، وهو الذي يجعل العبد يرضى بقضائه، ويسلم لأقداره، وهو الذي يجعل المسلم يتلذذ بتحمل المشاق من أجله: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾[البقرة: ١٦٥] .

وعبادات القلب هي الأصل، وعبادات الجوارح فرعٌ عليها، وثمرة لها، وعلامة عليها.

والعبادة النافعة هي عبادة القلب، المقرونة بعبادة الجوارح: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾ ﴾[الحج: ٧٧].

وقال النبي ﷺ: « .. أَلا وَإِنَّ فِي الجَسَدِ مُضْغَةً، إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ، أَلا وَهِيَ القَلْبُ». متفق عليه(١).

والعبادات تنقسم إلى أربعة أقسام :

الأول: عبادات قلبية تُؤدّى بالقلب مثل: توحيد الله، والإيمان بالله، وتعظيم الله، وحب الله، والخوف من الله، وإخلاص العمل لله، ونحو ذلك من العبادات القلبية.

الثاني: عبادات قولية تؤدى باللسان مثل: الأذكار، والأدعية، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والدعوة إلى الله، وتعليم شرع الله، والنصح لكل مسلم .

الثالث: عبادات بدنية تؤدى بالجوارح، كسائر العبادات، والمعاملات، كالصلاة والحج، والجهاد، والإحسان إلى الخلق وأمثالها .

الرابع: عبادات ماليّة، كالإنفاق في سبيل الله، والزكاة، والصدقات، وسائر المعاملات المالية كالبيع والشراء، والوصايا والمواريث وأمثالها.

وعبادات القلوب هي الأصل، وعبادات اللسان والجوارح فرعٌ عليها، وثمرةٌ لها، ودليلٌ عليها :﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ﴿٥﴾ ﴾[البينة: ٥] .

فالقلب الذي امتلأ بالإيمان بالله، وتعظيم الله، وحب الله، والخوف من الله، ورجاء الله، وخشية الله، هو أطهر القلوب وأزكاها، وأحبها الى الله، وأعظمها عند الله :﴿ إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾ ﴾[فاطر: ٢٨] .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٥٢)، ومسلم برقم (١٥٩٩) واللفظ له.

والعبادات كلها مبنيةٌ على ما في القلب من النيات ، وإخلاص العمل لله وحده لا شريك له: ﴿ قُلۡ إِنِّيٓ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝١١ وَأُمِرۡتُ لِأَنۡ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ۝١٢ ﴾[الزمر: ١١ –١٢] .

وقال النبي ﷺ: « إنَّما الأعمالُ بالنِّيَّاتِ وإنَّما لِكلِّ امرئٍ ما نوى » متفق عليه(١).

والفرق بين عبادات القلوب، وعبادات الجوارح:

أن عبادات الجوارح ظاهرة، وعبادات القلوب باطنة .

فعبادات الجوارح من صلاةٍ، وصيامٍ، وزكاةٍ، وحجٍ، وتجارةٍ، يراها الناس غالبًا،أما عبادات القلوب من إيمانٍ بالله، وحبٍ لله، وخوفٍ من الله، فلا يعلم بها إلّا الله وحده .

وعبادات الجوارح لها بداية ونهاية، فالوضوء له بداية ونهاية، والصلاة لها بداية ونهاية، والصوم له بداية ونهاية، والحج له بداية ونهاية، والمعاملات لها بداية ونهاية، أما عبادات القلوب فلها بداية، وليس لها نهاية .

فكلما ازداد علم العبد بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله، زاد إيمانه بالله، وزاد تعظيمه لله، وزاد حبه لله، وزاد خوفه من الله، وزاد شكره لربه: ﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ۝٣ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَمَغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ۝٤ ﴾[الأنفال: ٢ – ٤] .

وعبادات الجوارح قد يؤخرها العبد، وينساها أحيانًا،أما عبادات القلوب فهي باقية في القلب، تزيد بالعلم، وتنقص بالجهل: ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ۝١٩ ﴾[محمد: ١٩] .

وعبادات الجوارح من صلاةٍ، وصومٍ، وزكاةٍ، وحجٍ وغيرها مؤقتة، ثوابُها لمن قام بها، وعقوبتُها على من تركها، أما عبادات القلوب فهي دائمةٌ ما دام المسلم

---

(١)**متفق عليه** / أخرجه البخاري برقم (١) ومسلم برقم (١٩٠٧) .

حيًا، يجري ثوابها للعبد في كل حال: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ [الأنعام: ١٦٢ – ١٦٣].

وعبادات الجوارح يأتي بها المؤمن والمنافق، أما عبادات القلوب فيأتي بها المؤمن دون المنافق، لأن المنافق يظهر الإسلام ويبطن الكفر: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَىٰ يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾﴾ [النساء: ١٤٢].

والحساب يوم القيامة على ما في القلوب من الإيمان والكفر، والتوحيد والشرك: ﴿أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ ﴿٩﴾ وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ ﴿١٠﴾ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ ﴿١١﴾﴾ [العاديات: ٩ – ١١].

وعبادات الجوارح يتعبّد بها أكثر المسلمين، أما عبادات القلوب فلا يَتعبّد بها لله إلا القليل، وأكثر الناس غافلون عنها، وبذلك يؤدون عبادة الجوارح لله بلا تعظيم ولا ذلّ، ولا حب ولا خوف: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ ﴿٦﴾ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ ﴿٧﴾﴾ [الماعون: ٤ – ٧].

وتنقسم عبادات القلوب إلى قسمين:

الأول: عبادات القلوب الفعلية: كالتوحيد والإيمان، وتعظيم الله، وحب الله، وشكر الله، والخوف من الله، والتوكل على الله، وأمثالها من العبادات الفعلية.

الثاني: عبادات القلوب التَّرْكِيَّة: كترك الكفر والشرك، وترك النفاق والرياء، وترك البدع والمحرمات، وأمثالها من العبادات التركية.

وعبادات الأفعال، وعبادات التَّرْوك، كلها عبادات قلبية، يؤجر عليها العبد: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف: ١١٠].

وقال النبي ﷺ: « إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى. » متفق عليه (١).

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٥٤)، ومسلم برقم (١٩٠٧).

والعبادات القلبية هي مقتضى الإيمان بأسماء الله الحسنى، وصفاته العلا، وأفعاله الحميدة، كالرحمة والحلم، والعفو والصبر، والعدل والإحسان .
والعبادات القلبية كثيرة جدًا، ولا حدٌّ لها ولا مُنتهى، ولا يمكن إحصاؤها كلها، لأنه لا يمكن إحصاء الثناء على الله، وإحصاء تمجيده وتكبيره، وحبه وحمده وشكره ، ولا يمكن إحصاء ذكره بأوصاف جلاله وعظمته، وأوصاف جماله، وحسنه وإحسانه، وبالتالي لا يمكن إحصاء التعبد لله بتلك العبادات القلبية .
فلا إله إلا أنت لا نحصي ثناءً عليك، أنت كما اثنيت على نفسك،
فالحمد لله رب العالمين على كمال ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، والحمد لله على كمال دينه وشرعه، وحسن ثوابه وعقابه: ﴿ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ ۖ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًۢا ﴿١١١﴾ ﴾[الإسراء: ١١١] .
الحمد لله مِلء السماء، وملء الأرض، وملء ما بينهما، وملء ما شئت من شيء بعد، أهل الثناء والمجد، أحق ما قال العبد، وكلنا لك عبد، لا مانع لما أعطيت، ولا معطي لما منعت: ﴿ فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾ ﴾[الجاثية: ٣٦ – ٣٧] .
لذلك يجب على المسلمين تدارس العبادات القلبية بين فترة وأخرى، لأنها أصل عبادات الجوارح، وكلما قويت عبادات القلوب، قويت عبادات الجوارح، وكلنا محتاجٌ، بل مأمورٌ أن يعبد ربه كل يوم، بل كل لحظة، ليزداد إيمانه، وتزيد تقواه، ويصل إلى رضوان ربه: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾ ﴾[فاطر: ٢٨] .
ودرجة كل مجتهد في الجنة بقدر ما في قلبه من عبادات القلوب، وما أتى به منها، والتي هي ثمرة معرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾ ﴾[الطلاق: ١٢] .

والسابقون إنما سبقوا بأعمال القلوب، المقرونة بأعمال الجوارح، سبقوا إلى رضوان الله بصدقِ إيمانهم ويقينهم، وتوحيدهم وإخلاصهم، سبقوا إلى الدرجات العُلا في الجنة بكمال تعظيمهم لله، وحبهم له، وخوفهم منه، وشكرهم له، وحسن عبادتهم له: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١٠٠﴾[التوبة: ١٠٠] .

وعبادات الجوارح تنقطع بعد الموت، أما عبادات القلوب فهي دائمة في الدنيا والآخرة، فأهل الجنة يُلهمونَ الحمدَ والتسبيح، كما يُلهم الناس في الدنيا النَفَس، فأهل الجنة: ﴿دَعۡوَىٰهُمۡ فِيهَا سُبۡحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمۡ فِيهَا سَلَٰمٞۚ وَءَاخِرُ دَعۡوَىٰهُمۡ أَنِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٠﴾[يونس: ١٠] .

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

كتبه الفقير إلى عفو ربه

محمد بن إبراهيم بن عبدالله التويجري

المملكة العربية السعودية – بريدة – جوال:(٠٥٠٨٠١٣٢٢٢)

(٠٥٠٤٩٥٣٣٣٢)

موقعنا على الأنترنت : (هذا الإسلام)hatha-alislam.com/index

البريد الإلكتروني :Mb_twj@hotmail.com

عبادات القلوب

في ضوء القرآن والسنة

القسم الأوَّل : عبادات الأفعال

العبادة الأولى

عبادة توحيد الله عزَّ وجل

وتشتمل هذه العبادة العظيمة على المباحث الآتية :

الأوَّل: تعريف التَّوحيد.

الثَّاني: منزلة التَّوحيد.

الثَّالث: فضائل التَّوحيد.

الرَّابع: أقسام التَّوحيد.

الخامس: أركان التَّوحيد.

السَّادس: ثمرات التَّوحيد.

السَّابع: الأسباب المعِينة على تحقيق التَّوحيد.

الثَّامن: جزاء أهلِ التَّوحيد.

العبادة الأولى

عبادة توحيد الله عزَّ وجل

١ - تعريف التَّوحيد

توحيد الله ﷻ بذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، وتوحيده بالعبادة، هو أصل الدِّين، وأوَّل أبواب الإسلام، وأوَّل واجبٍ على العبيد، وأعظم حقوق الله على عباده: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾﴾ [الذاريات: ٥٦ - ٥٨].

والتَّوحيد هو إفراد الله بما يختصُّ به من الأسماء الحسنى، والصِّفات العُلا والأفعال الحميدة، والنُّعوت الجميلة، والمثل الأعلى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾ [الحشر: ٢٢ - ٢٤].

وقال عز وجل: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾﴾ [البقرة: ١٦٣].

وإفراد الله كذلك بما يجب له، وهو عبادته وحده لا شريك له، واجتناب عبادة ما سواه، كما قال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [البقرة: ٢١ - ٢٢].

وقد بعث الله جميع الأنبياء والرسل بعبادة الله وحده لا شريك له: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ ۚ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾﴾ [النحل: ٣٦].

فالله واحدٌ لا شريك له في ربوبيَّته، وألوهيَّته، وأسمائه وصفاته، وأفعاله: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾ [الإخلاص: ١ - ٤].

٢ - منزلة التَّوحيد

توحيد الله ﷻ هو أعظم عبادات القلوب الذي تُبنَى عليه عبادات القلوب، وعبادات الجوارح، وكلُّ عملٍ خلا منه فهو باطلٌ لا قيمة له: ﴿ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾ [الزمر: ٦٥ – ٦٦].

وتوحيد الله ﷻ من مقتضيات الإيمان بأسماء الله الحسنى، ومن لوازم الإيمان بأسماء الله الواحد الأحد، الصمد، الوتر، الحق، الحي، الملك، العزيز الجبَّار، القويِّ القهَّار: ﴿ فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا ۗ وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾ [الحج: ٣٤].

هو جل جلاله الواحد الأحد، الخالق لكلِّ أحدٍ، القادر على كلِّ أحدٍ، المالك لكلِّ أحدٍ، القاهر لكلِّ أحدٍ، الغنيُّ عن كلِّ أحدٍ، الواحد الأحد الَّذي يحتاج إليه كلُّ أحدٍ، المحيط بكل أحد، الواحد الأحد الذي ليس كمثله أحدٌ: ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾ ﴾ [الإخلاص: ١ – ٤].

لا بدَّ أن يستقرَّ في قلب العبد أنَّ الله واحدٌ لا شريك له، أحدٌ لا مثيل له في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١١﴾ ﴾ [الشورى: ١١].

هو سبحانه الملك وحده، وكلُّ ما سواه مملوكٌ له، وعبدٌ له: ﴿ لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٢٠﴾ ﴾ [المائدة: ١٢٠] .

هو وحده الملك العظيم الَّذي لا أعظم منه، هو الملك الَّذي له ملك كلِّ شيءٍ .

فله ملك السَّماوات والأرض، وله ملك ما في السَّماوات والأرض، وله ملك ما بين السَّماوات والأرض، وله ملك خزائن السَّماوات والأرض، وله ملك غيب السَّماوات والأرض، وله ملك جنود السَّماوات والأرض، وله ملك مقاليد السَّماوات والأرض، وله ملك ميراث السَّماوات والأرض، وله ملك العالَم العلوي، والعالم السَّفلي، وله ملك عالم الغيب، وعالم الشَّهادة، وله ملك الدُّنيا

والآخرة: ﴿ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىۡءٖ قَدِيرٌ ۝١ ﴾[الملك: ١].
وهو وحده الرَّبُّ وكلُّ ما سواه مربوبٌ له، وعبدٌ له، وقانتٌ له، وخاضعٌ له: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ۝٣ ﴾[يونس: ٣].
وهو وحده الخالق، وكلُّ ما سواه مخلوقٌ له، وعبدٌ له، وملكٌ له:
خلق العرش والكرسيَّ، وخلق السَّماوات والأرض، وخلق الجماد والنَّبات، وخلق الإنسان والحيوان، وخلق الملائكة والجانَّ، وخلق الشَّمس والقمر، وخلق اللَّيل والنَّهار، وخلق الذرات والمجرات: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡخَٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ ٱلۡمُصَوِّرُۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ۝٢٤ ﴾[الحشر: ٢٤].
وإذا عرف القلبُ ذلك كلَّه آمن بربِّه، ووحَّده، وكبَّره، وعظَّمه، وأحبَّه، ومجَّده، وحمده، وشكره، ودعاه، وسأله: ﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٞ وَلَمۡ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٞۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَىۡءٖۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىۡءٍ عَلِيمٞ ۝١٠١ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىۡءٖ وَكِيلٞ ۝١٠٢ لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ۝١٠٣ ﴾[الأنعام: ١٠١ – ١٠٣].
والله وحده هو الواحد الأحد الصَّمد، الَّذي صمد لكلِّ شيءٍ، الصَّمد الَّذي تصمد إليه جميع الخلائق فيجميعحوائجهافيقضيها: ﴿ قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ ۝٣ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ ۝٤ ﴾
[الإخلاص: ١ – ٤].
وهو وحده الإله الحقُّ الَّذي يستحقُّ العبادة وحده، ويستحقُّ الحبَّ وحده، ويستحقُّ الحمد والشُّكر وحده، ويستحقُّ التَّعظيم والتَّكبير وحده، وكلُّ ما سواه فألوهيَّته باطلةٌ، وعبادته باطلةٌ: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلۡبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ ۝٦٢ ﴾[الحج: ٦٢].
هو الواحد الأحد العليم بكلِّ شيءٍ، الخبير بكلِّ ما في ملكه العظيم، العليم العلَّام بما كان، وما يكون، وما سيكون: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّۖ يَتَنَزَّلُ ٱلۡأَمۡرُ بَيۡنَهُنَّ لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىۡءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىۡءٍ عِلۡمَۢا ۝١٢ ﴾[الطلاق: ١٢].

وإذا عرفتم ذلك آمنتُم به وحده وعبدتموه وحده وأطعتموه وحده .

هو وحده الحيُّ القيُّوم، الحيُّ الَّذي لا يموت، القيُّوم الَّذي لا ينام، السَّميع البصير بكلِّ شيءٍ، العليم بكل شيء، المحيط بكل شيء، المالك لكل شيء: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾ ﴾[البقرة: ٢٥٥].

هو وحده الملك العزيز الجبَّار، المهيمن على كلِّ شيءٍ، العزيز الَّذي لا يُغلَب، السَّلام الَّذي كلُّ سلامٍ منه، الجبَّار الَّذي لا يقف له شيءٌ: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلۡمُؤۡمِنُ ٱلۡمُهَيۡمِنُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡجَبَّارُ ٱلۡمُتَكَبِّرُۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾[الحشر: ٢٣] .

هو وحده الواحد الأحد الَّذي ليس كمثله أحدٌ، هو القويُّ الَّذي لا أحد أقوى منه، هو القادر الَّذي لا أحد أقدر منه، هو القهَّار الذي لا يقف له شيءٌ ولا يُعجِزه شيءٌ، ولا يمتنع عليه شيءٌ، ولا يخفى عليه شيءٌ: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡعَزِيزُ ﴿٦٦﴾ ﴾ [هود: ٦٦].

هو وحده القاهر لكلِّ قاهرٍ، المحيط بكلِّ محيطٍ: ﴿ سُبۡحَٰنَهُۥۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ﴿٤﴾ ﴾[الزمر: ٤] .

فتوحيد الله أوَّل عبادات القلوب، وأعظم عبادات القلوب، وأصل كلِّ عملٍ: ﴿ هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾[غافر: ٦٥].

وإذا عرف القلبُ أنَّ الله هو الواحد الأحد، الَّذي هذه أسماؤه وصفاته وأفعاله، وحَّدَ ربَّه بذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، وصرف العبادة له وحده لا شريك له: ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ﴿١٩﴾ ﴾[محمد: ١٩].

٣- فضائل التَّوحيد

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾[الأنفال: ٢ – ٤].

وقال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأٓخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِيٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾ ﴾[فصلت: ٣٠ – ٣٢] .

وقال الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِهَا خَرُّواْ سُجَّدًا وَسَبَّحُواْ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾[السجدة: ١٥ – ١٧].

وقال النبي ﷺ: ((أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ خَالِصًا مِنْ قِبَلِ نَفْسِهِ)).أخرجه البخاري (١).

وجاء أعرابيٌّ إلى النبي ﷺ قال: يَا رَسُولَ اللهَّ، مَا الْمُوجِبَتَانِ؟ فَقَالَ: ((مَنْ مَاتَ لاَ يُشْرِكُ بِاللهَّ شَيئًا دَخَلَ الجَنَّةَ، وَمَنْ مَاتَ يُشْرِكُ بِاللهَّ شَيْئًا دَخَلَ النَّارَ)).أخرجه مسلم (٢).

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٩٩).

(٢) أخرجه مسلم برقم (٩٣).

وحقيقة التَّوحيد ولبابه، أن يرى العبد أنَّ الأمور كلَّها بيد الله وحده رؤيةً تقطع القلب عن الالتفات إلى غيره من الأسباب والوسائط: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأعراف: ٥٤].

فلا يرى العبدُ الخلْقَ والأمر إلَّا بيد الله وحده، ولا يرى العطاءَ والمنعَ إلَّا بيد الله وحده، ولا يرى النَّفع والضُّرَّ إلَّا بيد الله وحده، ويعبد ربَّه بموجب هذه المعرفة.

﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنعام: ١٠٢].

٤ - أقسام التَّوحيد

التَّوحيد الَّذي دعت إليه الأنبياء والرُّسل نوعان:

الأوَّل: توحيد المعرفة والإثبات، وهو توحيد الرَّبِّ بذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، ويُسمَّى هذا توحيد الرُّبوبيَّة، وتوحيد الأسماء والصِّفات، وتوحيد الرب بأفعاله .

وإذا عرف العبد ربَّه بذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله وحَّدَه، وصرَفَ العبادة له وحده لا شريك له: ﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾[محمد: ١٩].

ومَن عرف الكبير كبَّره، ومَن عرف المجيد مجَّده، ومَن عرف العظيم عظَّمه، ومَن عرف الغنيَّ استغنى به، ومَن عرف الكريم سأله، ومَن عرف القادر استعان به، ومَن عرف الرَّزَّاق شكره، ومَن عرف الرَّحمن استرحمه، ومَن عرف الغفور استغفره: ﴿ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾[غافر: ٦٥].

ومَن عرف الملك لم يقف بباب العبيد، ومَن عرف الكبير لم يقف بباب الصَّغير، ومن عرف الخالق لم يقف بباب المخلوق، ومَن عرف الغنيَّ لم يسأل الفقير، ومَن عرف القويَّ لم يتوجَّه إلى الضَّعيف، ومَن عرف القادر لم يقف بباب العاجز، ومَن عرف الكريم لم يقف بباب البخيل: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ ﴾[الحشر: ٢٢ – ٢٤].

وهذا أعظم أنواع التَّوحيد؛ لأنَّه يتعلَّق بمعرفة الرَّبِّ، ويُثمِر للعبد أعظم الثَّمرات من حبِّ الله، وتعظيمه، وتكبيره، وتمجيده والذُّلِّ له، والافتقار إليه، والأنس به،والحياء منه، والرَّغبة إليه، والاستعانة به وحده لا شريك له، والتَّوكُّل

عليه، وحُسْن عبادته، ونيل أعظم ثوابه: ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ١٩ ﴾[محمد: ١٩].

الثَّاني: توحيد القصد والطَّلب، وهو توحيد الرب بأفعال العباد، ويُسمَّى توحيد الألوهيَّة والعبادة، وهو توحيد الله وإفراده بجميع أنواع العبادات القلبيَّة من حبِّ لله، وتعظيمه، وتكبيره، والخوف منه، والرَّجاء لما عنده، وحمده وشكره، والافتقار إليه، ونحو ذلك من عبادات القلوب، وإفراد الله بجميع أعمال الجوارح من الأذكار والأدعية، والصَّلاة والزَّكاة، والصَّوم والحجِّ، والذَّبح والنَّذر ونحو ذلك من عبادات الجوارح.

والتَّوحيد لا يتمُّ ولا يُقبَل إلَّا بهذا وهذا، فنوحِّد الرَّبَّ بأفعاله، ونوحِّده بأفعالنا، وقد جمَع الله بين عبادات القلوب والجوارح في قوله سبحانه: ﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ٣ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَمَغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ٤ ﴾[الأنفال: ٢ – ٤].

وتوحيد الرُّبوبيَّة يُقِرُّ به الإنسان بموجب فطرته الَّتي فطره الله عليها .

فمَن نظر في الكون بتدبُّرٍ علم أنَّ الخالق الرَّازق هو الله وحده، والإقرار بهذا التَّوحيد وحده لا يكفي للإيمان بالله، والنَّجاة من العذاب يوم القيامة، فقد أقرَّ به إبليس، وأقرَّ به المشركون فلم ينفعهم، لأنَّهم لم يقرُّوا بتوحيد العبادة لله وحده: ﴿ وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۚ قُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ٢٥ ﴾[لقمان: ٢٥].

فمَن أقرَّ بتوحيد الرُّبوبيَّة فقط لم يكن موحِّداً ولا مسلماً، حتَّى يقرَّ بتوحيد الألوهيَّة، فيشهد أن لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له، ويعبد الله وحده لا شريك له، كما قال سبحانه: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ٥ ﴾[البينة: ٥].

وتوحيد الرُّبوبيَّة وتوحيد الألوهيَّة متلازمان لا يفترقان أبداً، فتوحيد الرُّبوبيَّة مستلزمٌ لتوحيد الألوهيَّة والعبادة .

فمَن أقرَّ بأنَّ الله وحده هو الرَّبُّ الخالق الرَّازق الملك الَّذي يدبِّر هذا الكون، لزمه أن يقرَّ بأنَّه لا يستحقُّ العبادة إلَّا الله وحده، فلا يدعو إلَّا الله، ولا يتوكَّل إلَّا على الله، ولا يصرف شيئاً مِن أنواع العبادة إلَّا لله وحده لا شريك له: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٖ فَٱعْبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ وَكِيلٞ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنعام: ١٠٢ – ١٠٣].

وتوحيد الألوهيَّة مستلزمٌ لتوحيد الرُّبوبيَّة، فكلُّ مَن عبد الله وحده ولم يُشرِك به شيئاً، لا بدَّ أن يكون قد اعتقد أنَّ الله ربُّه وخالقه ورازقه ومالكه كما قال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقٗا لَّكُمْۖ فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾[البقرة: ٢١ – ٢٢].

والتَّوحيد لا يتمُّ إلَّا بعبادة الله وحده لا شريك له، واجتناب عبادة ما سواه: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُۚ فَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾﴾[النحل: ٣٦].

فلا بدَّ لأهل التَّوحيد من الإيمان بالله وحده، والكفر بكلِّ معبودٍ سواه: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّۚ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾﴾[البقرة: ٢٥٦].

٥ - أركان التَّوحيد

أركان التَّوحيد سبعةٌ وهي:

الأوَّل: توحيد الله بذاته، فهو الواحد الأحد لا شريك له:﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ [الإخلاص: ١ – ٤] .

الثَّاني: توحيد الله بأسمائه الحسنى كالملك والعزيز، والعليم والقدير، والرَّحمن والرَّزَّاق، والسَّميع والبصير، وغيرها من الأسماء الحسنى:﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝١٨٠﴾ [الأعراف: ١٨٠] .

الثَّالث: توحيد الله بصفاته العُلا، كالحياة والقدرة والسَّمع والبصر وغيرها من الصِّفات العُلا: ﴿ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٦٥﴾[غافر: ٦٥].

الرَّابع: توحيد الله بأفعاله الحميدة، كالخلق والرِّزق والإحياء والإماتة والتَّدبير والتَّصريف وغيرها:﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ۝٣١ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ۝٣٢﴾ [يونس: ٣١ – ٣٢] .

الخامس: توحيد الله بأفعال العباد من الحبِّ لله، والتَّعظيم له، والخوف منه، والتَّوكُّل عليه، والشُّكر له، وكالدُّعاء والصَّلاة والصَّوم والحجِّ وغيرها من العبادات:﴿فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَلَهُۥٓ أَسْلِمُوا۟ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ۝٣٤ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ وَٱلْمُقِيمِى ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣٥﴾ [الحج: ٣٤ – ٣٥] .

السَّادس: توحيد رسوله ﷺ بالاتِّباع كما قال سبحانه:﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ۝٧﴾[الحشر: ٧] .

السَّابع: توحيد كتابه بالاتِّباع كما قال سبحانه: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾﴾ [الأنعام: ١٥٥].

وكلُّ ذلك يحصل للعبد بكمال معرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾﴾ [محمد: ١٩].

وبقدر تلك المعارف الإلهيَّة العظيمة يمتلئ القلبُ بالتَّوحيد والإيمان، وينشرح الصَّدرُ لأنواع الطَّاعات، وتنقاد الجوارح للأعمال الصَّالحة الَّتي يحبُّها الله ويرضاها مِن الأقوال والأعمال والأخلاق الظَّاهرة والباطنة: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾ [فاطر: ٢٨].

وثمرة خشية الله المغفرة والأجر العظيم: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾﴾ [الملك: ١٢].

وبهذا يحصل للعبد توحيد الله بذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، وتوحيده بالعبادة، وتوحيد رسوله وكتابه بالاتِّباع، وعبادة الله بكمال الحبِّ والتَّعظيم والذُّلِّ لله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال: ٢ – ٤].

٦ - ثمرات حقيقة التَّوحيد

أعظم ثمرات التَّوحيد رضا الله عن العبد، ورضا العبد عن ربِّه، وحبُّ الرَّبِّ لعبده وحبُّ العبد لربِّه، وقبول الله لعمله، وكفايته له، وإسعاده في الدُّنيا والآخرة: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ۝٧ جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ ۝٨﴾ [البينة: ٧ – ٨].

وحقيقة التَّوحيد تُثمِر للعبد قوَّةَ التَّوكُّل على الله وحده، والشَّكوى إلى الله وحده، وترك الشَّكوى إلى الخلق، وترك لومهم: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١٣﴾ [التغابن: ١٣].

والتَّوحيد يُثمِر للعبد حسْنَ الظَّنِّ بالله، والتَّسليم لحُكمه، والرِّضا بقضائه، ودوام ذِكْره وشكره وحسن عبادته، والطُّمأنينة بذِكْره، والفرار إليه، والأمن في الدُّنيا والآخرة، والفوز بالجنَّة، والنَّجاة من النَّار: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ۝٨٢﴾ [الأنعام: ٨٢].

وقال عزَّ وجلَّ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ۝٢٨ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ ۝٢٩﴾ [الرعد: ٢٨ – ٢٩].

فأبشِروا ياأهل التوحيد بالسَّعادة في الدُّنيا والآخرة: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ۝٣٠ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ۝٣١ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ۝٣٢﴾ [فصلت: ٣٠ – ٣٢].

وتوحيد الله جل جلاله أساس العبادات كلِّها، وهو أعدل العدل؛ لأنَّه صرفٌ للعبادة لمن يستحقُّها وهو الله عزَّ وجلَّ: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ۝١٠٢﴾ [الأنعام: ١٠٢].

والشِّرك بالله أظلم الظُّلم، وهو ظلمٌ عظيمٌ؛ لأنَّه اعتداءٌ على حقِّ الله الخاصِّ به وهو التَّوحيد، وصرف خالص حقِّه لغيره وهو العبادة، وعدْلُ غيره به، كما قال سبحانه: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾﴾[لقمان: ١٣] .

ولعظيم خطر الشرك فإنَّ مَن مات مشركاً بالله فإنَّ الله لا يغفر له، كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾﴾[النساء: ٤٨].

والشِّرك الأكبر محبطٌ لجميع الأعمال، موجِبٌ للهلاك والخسران، كما قال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾﴾[الزمر: ٦٥ – ٦٦].

وقال عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾﴾[المائدة: ٧٢].

والتَّوحيد موجِبٌ للفوز بالجنَّة، والنَّجاة من النَّار: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾[الكهف: ١١٠].

٧- الأسباب المعِينة على تحقيق التَّوحيد

الأوَّل: العلم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله، والعلم بعظمة ملكه وسلطانه، والعلم بعظمة نِعَمه وإحسانه، والعلم بدينه وشرعه، والعلم بوعده ووعيده: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾ ﴾[الطلاق: ١٢].

ومَن عرف ذلك آمن بالله وحده، وكفر بما سواه: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾ [محمد: ١٩].

الثَّاني: التَّفكُّر في الآيات والمخلوقات الَّتي خلقها الله في هذا الكون العظيم، فمَن نظر إلى عظمة الإحكام والإبداع، وعظمة الخلق والتَّصوير، وعظمة التَّدبير والتَّصريف، أيقن أنَّ الله واحدٌ في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، لا شريك له، فآمَن بالله ووحَّدَه وعبدَه وحده لا شريك له: ﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾ ﴾[البقرة: ١٦٤].

ومَن عرف ذلك آمن بالله ووحَّده، وكبَّره ومجَّده، وحمده وشكره، وعبده وحده لا شريك له: ﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾ ﴾ [آل عمران: ١٩٠ – ١٩١].

الثَّالث: التَّفكُّر والتَّدبُّر لآيات الله الشَّرعيَّة وما فيها من الأخبار الصَّادقة، والأحكام العادلة، والأمر بكلِّ خيرٍ، والنَّهي عن كلِّ شرٍّ، وتدبر أحوال اليوم

الآخر، وما فيه مِن البعث والحساب، والجنَّة والنَّار، ومَن تدبَّر ذلك أيقن أنَّها تنزيلٌ مِن حكيمٍ حميدٍ، خبيرٍ بمصالح الخلق، فآمَن بالله وحده، ولم يلتفِتْ لأحدٍ سواه: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ ﴾[النساء: ٨٢].

الرَّابع: التَّفكُّر في بقاء هذا الكون العظيم على سننٍ ثابتةٍ لا تتبدَّل أبداً، من ليلٍ و نهارٍ، وحرٍّ وبردٍ، وحياةٍ وموتٍ، وأمنٍ وخوفٍ، وذكورٍ وإناثٍ، ممَّا يدلُّ قطعاً على أنَّ الَّذي يدبِّر هذا الكون العظيم وما فيه ربٌّ واحدٌ لا شريك له: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّۖ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾[يونس: ٣١ – ٣٢].

ومَن هذه أفعاله فهو الرَّبُّ الَّذي يستحقُّ العبادة وحده لا شريك له، ويستحقُّ أن يُطَاع فلا يُعصَى، ويُذكَر فلا يُنسَى، ويُشكَر فلا يُكفَر: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾[الأنعام: ١٠٢].

٨- جزاء أهل التَّوحيد

أهل التَّوحيد هم أهل السَّعادة في الدُّنيا والآخرة .

ففي الدُّنيا لهم الأمن والهداية: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾[الأنعام: ٨٢].

ولهم النَّصر والتَّمكين في الأرض:﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾﴾[الحج: ٤٠ – ٤١] .

ولهم الحياة الطَّيِّبة مَن كانوا، وحيثما كانوا:﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾[النحل: ٩٧] .

وغير ذلك من الكرامات العظيمة الَّتي يُكرِم اللهُ بها عبادَه المؤمنين في الدُّنيا.

وأمَّا في الآخرة فإنَّ الله يُكرِم أهل التَّوحيد بأنواع الكرامات الأبديَّة .

ومِن تلك الكرامات دخول الجنَّة، والخلود فيها، والتَّنعُّم بأنواع النَّعيم:﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُوا۟ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُوا۟ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥﴾﴾[البقرة: ٢٥].

ورؤية المؤمنين لربِّهم كما قال سبحانه:﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة: ٢٢ – ٢٣] .

ورضوان الرَّبِّ عزَّ وجلَّ على المؤمنين كما قال سبحانه:﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾ جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ ﴿٨﴾﴾[البينة: ٧ – ٨].

والقرب من الرَّبِّ عزَّ وجلَّ كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٥٥﴾﴾[القمر: ٥٤ – ٥٥] .

وسماع سلام وكلام الرَّبِّ سبحانه، كما قال عز وجل: ﴿سَلَٰمٞ قَوۡلٗا مِّن رَّبّٖ رَّحِيمٖ ٥٨﴾ [يس: ٥٨].

والفوز بالجنَّة، والنَّجاة من النَّار كما قال سبحانه: ﴿كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوۡنَ أُجُورَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۖ فَمَن زُحۡزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدۡخِلَ ٱلۡجَنَّةَ فَقَدۡ فَازَۗ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ ١٨٥﴾ [آل عمران: ١٨٥] .

وقال عزَّ وجلَّ: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ٧٢﴾ [التوبة: ٧٢] .

اللَّهمَّ إنَّا نسألك الجنَّةَ، وما قرَّب إليها من قولٍ أو عملٍ، ونعوذ بك من النَّار، وما قرَّب إليها من قولٍ أو عملٍ.

اللَّهمَّ آتِ نفوسنا تقواها، وزكِّها أنت خيرُ مَن زكَّها، أنت وليُّها ومولاها .

﴿رَبَّنَا لَا تُزِغۡ قُلُوبَنَا بَعۡدَ إِذۡ هَدَيۡتَنَا وَهَبۡ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةًۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ ٨﴾ [آل عمران: ٨] .

عبادات القلوب
في ضوء القرآن والسنة

العبادة الثانية

عبادة الإيمان بالله ﷻ

وتشتمل هذه العبادة العظيمة على المباحث الآتية :

الأول : تعريف الإيمان.

الثاني : ما يتضمنه الإيمان بالله عز وجل.

الثالث : الأسباب المعينة على الإيمان بالله عز وجل

الرابع : درجات الإيمان.

الخامس : فضائل الإيمان بالله عز وجل.

السادس : ثمرات الإيمان بالله عز وجل.

السابع : جزاء أهل الإيمان.

العبادة الثانية

عبادة الإيمان بالله عز وجل

١ - تعريف الإيمان

الإيمان بالله ﷻ أعظم العبادات القلبية، وهو أول أركان الإيمان، وأعظم واجبات الدين، وأصل العبادات كلها: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾ [النحل: ٩٧].

والإيمان هو التصديق الجازم بوجود الله ﷻ، وأنه الرب الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الحميدة، وأنه الرب المستحق للعبادة وحده لا شريك له: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾[الأنفال: ٢ – ٤].

والإيمان هو أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره، وتعمل بمقتضى ذلك.

قال النبي ﷺ: لما سأله جبريل عن الإيمان: (الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره) متفق عليه [(١)].

والإيمان قولٌ باللسان، واعتقادٌ بالقلب، وعملٌ بالجوارح، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية.

قال النبي ﷺ : (الإيمان بضعٌ وسبعون أو بضعٌ وستون شعبة، أفضلها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبةٌ من الإيمان) متفق عليه [(٢)].

ويَكملُ إيمان العبدِ بمعرفة أركان الإيمان الستة، والنظر في الآيات الكونية نَظَرَ

---

(١)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٤٧٧٧)، ومسلم برقم (١٠).

(٢)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٩)، ومسلم برقم (٣٥) .

تدبّر وتفكّر: ﴿ قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِى ٱلْـَٔايَـٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾[يونس: ١٠١] .

وكذا النظر والتدبر للآيات القرآنية: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَـٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ ﴾[النساء: ٨٢] .

وكلما ازدادت تلك المعارف الإلهية قويَ إيمان العبد، وزاد تعظيمه لربه، وزاد حبه لله، وزاد شكره له، ووجد حلاوة العبادة، وخفّت عليه الطاعات، وثقُلت عليه المعاصي، وسارع إلى فعل كلِّ ما يحبه الله ويرضاه:﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَـٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾ ﴾[فاطر: ٢٨].

ومن زاد إيمانه زادت أعماله الصالحة، وزادت حسناته، وزاد ثوابه:﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَـٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَـٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾[الأنفال: ٢ – ٤].

والإيمان بالله عز وجل من مقتضيات الإيمان بأسماء الله الحسنى، ومن لوازم الإيمان بأسماء الله المؤمن، والصادق،والملك،والقادر،والرحمن،والرحيم: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾ ﴾[طه: ٨] .

فمن عرف أن ربه هو المؤمن الذي بيده الأمن كله، الصادق الذي كل كلامه صدق، آمن بالله واتقاه، وصدّق كلامه، وامتثل أوامره: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾[محمد: ١٩] .

ومن عرف أن ربه هو الملك الحق، القادر على كل شيء، المحيط بكل شيء، الغني عن كل شيء، العليم بكل بشيء، الرحمن الرحيم بكل خلقه: آمن بالله وصدّقه، وعظّمه وكبّره، وأحبّه ومجّده، وحمده وشكره:﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَـٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَـٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَـٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ ﴾[الحشر: ٢٢ – ٢٤] .

٢ - ما يتضمنه الإيمان بالله عز وجل

الإيمان بالله سبحانه يتضمن أربعة أمور.

الأول: الإيمان بوجود الله تعالى:

فقد فطر الله كل مخلوق على الإيمان بخالقه: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾[الروم: ٣٠].

وقد دلَّ العقل على أن لهذه المخلوقات خالقاً، ولهذه المُصَوَّرات مصورًا، فإنه لا بد لكل مخلوق من خالقٍ خلقه: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾[الأنعام: ١٠٢] .

ودلَّ الحسُّ على وجوده سبحانه، فإننا نرى تقليب الليل والنهار، وسَوْقِ أرزاق الإنسان والحيوان، وتدبير أمور الخلائق في كل آن، وذلك يدل دلالة قاطعة على وجود الله عز وجل: ﴿ يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُوْلِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٤﴾ ﴾ [النور: ٤٤] .

ودلَّ الشَّرعُ الحكيم على وجود الله سبحانه فالأحكام العظيمة العادلة المتضمنة لمصالح الخلق، دليلٌ على أنها من ربٍّ حكيمٍ قادرٍ، عليمٍ بمصالح عباده: ﴿ كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١﴾ ﴾[هود: ١] .

الثاني: الإيمان بأن الله هو الرب وحده لا شريك له، والرب الذي يستحق أن يعبد، هو الملك الحق الذي بيده الملك كله، وله الخلق كله، وبيده الأمر كله: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ ﴾[يونس: ٣] .

الرب الذي يستحق العبادة، هو الذي يخلق ويرزق، ويحكم ويدبّر، هو الرب الذي يجب أن نعبده وحده لا شريك له، ويُستحق أن يُطاع وحده، ويُكفر بكلّ معبودٍ سواه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ

ﭐلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾[البقرة: ٢١ – ٢٢].

الثالث: الإيمان بألوهيته سبحانه:

فنعلم ونتيقّن أن الله وحده هو الإله الحق وحده لا شريك له، وأن الله وحده هو المستحق للعبادة دون سواه: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ ﴾[الأنعام: ١٠٢ – ١٠٣].

فكما خضعنا لربوبيته خَلقًا وتدبيرًا، وحياةً وموتًا، فيجب أن نخضع لألوهيته أمراً وشرعًا، وكما تيقّنا أن الله واحدٌ في ربوبيته لا شريك له، فكذلك يجب أن نتيقّن أن الله واحدٌ في ألوهيته لا شريك له، فيجب أن نعبده وحده لا شريك له: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ ﴾[يونس: ٣].

فالله هو الإله الحق لكمال ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، وكل أحدٍ سواه فألوهيته باطلة، وعبوديته باطلة: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلۡبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ ﴿٦٢﴾ ﴾[الحج: ٦٢].

الرابع: الإيمان بأسماء الله وصفاته:

وذلك بحفظها، وفهمها، والاعتراف لله بها، والتعبد لله بها، والعمل بموجبها: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ سَيُجۡزَوۡنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٨٠﴾ ﴾[الأعراف: ١٨٠].

فمعرفة أسماءِ وأوصافِ العظمةُ، والكبرياءُ، والمجدُ، والجلالُ لله، تملأ قلب العبد إيمانًا بالله، وهيبةً له، وتعظيمًا له: ﴿ هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾[غافر: ٦٥].

ومعرفةُ أوصاف العزة والقهر، والقوة والقدرة، والجبروت والكبرياء، تملأ القلب ذلةً وانكسارًا وخضوعاً لله الواحد القهار: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلۡمُؤۡمِنُ ٱلۡمُهَيۡمِنُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡجَبَّارُ ٱلۡمُتَكَبِّرُۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ

عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ [الحشر: ٢٣] .

ومعرفة أوصاف الرحمة والبر، والإكرام والإحسان، تملأ القلب حباً لله، وحمدًا له، ورغبةً وطمعًا في برِّه وإحسانه: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾ [البقرة: ١٦٣] .

ومعرفة أوصاف العلم والإحاطة توجب للعبد مراقبة ربه في جميع حركاته وسكناته: ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿١٢﴾ [الطلاق: ١٢] .

ومعرفة مجموع أسماء الله وصفاته وأفعاله تثمر للعبد الإيمان بالله وتوحيده، وتعظيمه وتكبيره، وتوجب محبة الله، والشوق إليه، والرغبة إليه، وحمده وشكره، والتوكل عليه، والافتقار إليه، والخوف منه، والرضى عنه، والتقرب إليه بعبادته وحده لا شريك له: ﴿ هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ [الحشر: ٢٤].

وقال الله عز وجل: ﴿ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ۖ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾ [البقرة: ٢٥٥] .

٣- الأسباب المعينة على زيادة الإيمان بالله عز وجل

الأول: العلم بالله، وأسمائه الحسنى، وصفاته العُلا، وأفعاله الجميلة.

فمن عرف الله حقًا آمن به حقًا، وعبده حقًا: ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ١٩ ﴾ [محمد: ١٩] .

الثاني: النظر والتفكر في آيات الله ومخلوقاته كالسموات والأرض، والشمس والقمر، والبحار والجبال، والهواء والرياح، والجماد والنبات، والإنسان والحيوان، والسحب والمياه: ﴿ إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلۡفُلۡكِ ٱلَّتِي تَجۡرِي فِي ٱلۡبَحۡرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٖ فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٖ وَتَصۡرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلۡمُسَخَّرِ بَيۡنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ١٦٤ ﴾ [البقرة: ١٦٤].

فهذه الآيات العظيمة، والمخلوقات العجيبة، تدفع الإنسان إلى الإيمان بالله، فإن كل مخلوق لا بد له من خالق، وبقدر عظمة الخلق تكون عظمة الخالق: ﴿ أَوَلَمۡ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ كَانَتَا رَتۡقٗا فَفَتَقۡنَٰهُمَاۖ وَجَعَلۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ كُلَّ شَيۡءٍ حَيٍّۚ أَفَلَا يُؤۡمِنُونَ ٣٠ ﴾ [الأنبياء: ٣٠] .

وقال عز وجل: ﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَا تُغۡنِي ٱلۡأٓيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ ١٠١ ﴾ [يونس: ١٠١] .

الثالث : تدبر آيات القرآن الكريم، وما فيها من الأخبار الصادقة، والأحكام العادلة من الأمر والنهي، والثواب والعقاب، والوعد والوعيد: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَۚ وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا ٨٢ ﴾ [النساء: ٨٢] .

وقال عز وجل: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٢٩ ﴾ [ص: ٢٩] .

الرابع: النظر في قَصص الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام، وكيف مكَّن الله لهم في الأرض، وأعزهم وأعزّ من آمن بهم، وخذل ودمّر كل من كذبهم وعاداهم: ﴿ لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٞ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِۗ مَا كَانَ حَدِيثٗا يُفۡتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصۡدِيقَ ٱلَّذِي بَيۡنَ

يَدَيۡهِ وَتَفۡصِيلَ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴿١١١﴾ ﴾ [يوسف: ١١١].

الخامس: الحرص على فعل الطاعات، واجتناب المعاصي، فالإيمان يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية: ﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَمَغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ﴿٤﴾ ﴾ [الأنفال: ٢ – ٤] .

ولكي يأتي الإيمان في حياتنا ويزيد، لا بد من أربعة جهود:

الأول: جهدٌ على تحصيل الإيمان بالنظر في الآيات الكونية، والتدبر للآيات القرآنية، والاستكثار من الطاعات فرضها ونفلها: ﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَا تُغۡنِي ٱلۡأٓيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾ [يونس: ١٠١] .

وقال عز وجل: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ أَمۡ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقۡفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ ﴾ [محمد: ٢٤] .

الثاني: جهدٌ على حفظ الإيمان في البيئات الإيمانية الذاكرة، والانقطاع عن البيئات الغافلة: ﴿ وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا ﴿٢٨﴾ ﴾ [الكهف: ٢٨] .

الثالث: جهدٌ على الاستفادة من الإيمان:

فمتى جاء الإيمان واليقين، أجاب الله دعاءه، وفرّج كُربه: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لِي وَلۡيُؤۡمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمۡ يَرۡشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ ﴾ [البقرة: ١٨٦] .

وقال ﷻ: ﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبٗا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٨٨﴾ ﴾ [الأنبياء: ٨٧ – ٨٨] .

الرابع: جهدٌ على نشر الإيمان في العالم: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾ [العنكبوت: ٦٩] .

٤ - درجات الإيمان

الإيمان هو أصل عبادات القلوب، وعبادات الجوارح، فلا يُقبل أي عمل بدونه، والإيمان هو ما وقر في القلب، وصدقه العمل .

وإذا دخل الإيمان في قلب العبد ازداد نورًا وحبًا لله عز وجل، وحرّك اللسان بذكر الله، وتكبيره، وحرك الجوارح بأنواع العبادات، فقام المؤمن بتلك العبادات بين يدي ربه، بكمال الحب والتعظيم والذلّ لله عز وجلّ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾ [فاطر: ٢٨].

وإيمان الخَلْق على ثلاث درجات:

الأولى: إيمان الملائكة: وهؤلاء إيمانهم ثابتٌ لا يزيدُ ولا ينقص، فهم يسبِّحون الليل والنهار لا يفترون، لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون: ﴿وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [الأنبياء: ١٩ - ٢٠].

الثانية: إيمان الأنبياء والرسل: وهؤلاء إيمانهم يزيدُ ولا ينقص، لكمال معرفتهم بالله، وأسمائه، وصفاته، وأفعاله: ﴿إِنَّهُمْ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [الأنبياء: ٩٠].

الثالثة: إيمان الجن والإنس: وهؤلاء إيمانهم يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية، والنظر في الآيات الكونية، والتدبر للآيات القرآنية: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال: ٢ - ٤].

وقال عز وجل: ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٨﴾﴾ [ق: ٦ - ٨].

والإيمان له ثلاث درجات:

الأولى : طعم الإيمان: فمن آمن بالله وجد طعم الأنس بالله، ولذّة القرب منه، والقيام بين يديه .

قال النبي ﷺ: (ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربًّا، وبالإسلام دينًا، وبمحمدٍ رسولًا)أخرجه مسلم (١).

الثانية: حلاوة الإيمان:وهذهتثمر للعبد حلاوة الطاعات، وكراهية المعاصي، وحب امتثال أوامر الله، واجتناب معاصيه .

قال النبي ﷺ: (ثلاثٌ من كنَّ فيه، وجد بهنَّ حلاوة الإيمان، أن يكون الله ورسوله أحبَّ إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحُبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يُقذف في النار)متفق عليه (٢).

وهذه الدرجة أعلى من الدرجة الاولى، لأن الحلاوة درجة فوق الطعم .

الدرجة الثالثة: حقيقة الإيمان:وهذه أعلى درجات الإيمان، وهي درجة اليقين ، وتحصل هذه الدرجة لمن كان عنده كمال اليقين، وحقيقة الدين، وقام بجهد الدين، عبادةً ودعوةً، وهجرةً ونصرةً، وجهاداً وإنفاقًا:﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَـٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَـٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾[الأنفال: ٢ – ٤].

وقال سبحانه:﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَـٰهَدُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٧٤﴾ ﴾[الأنفال: ٧٤] .

وقال عزّ وجل: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُواْ وَجَـٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّـٰدِقُونَ ﴿١٥﴾ ﴾[الحجرات: ١٥].

---

(١)أخرجه مسلم برقم (٣٤).

(٢)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (١٦)، ومسلم برقم (٤٣) .

فاليقين أعلى درجات الإيمان، لأنه إيمانٌ لا شك معه ولا تردُّد، بأن تتيقن ما غاب عنك كما تشاهد ما حضر بين يديك على حدٍ سواء.

وبالصبر واليقين تُنال الإمامة في الدين كما قال سبحانه: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾[السجدة: ٢٤].

ورابطة الإيمان أقوى الروابط على الإطلاق، ولقوة رابطتها ربطت بين الخلق وبين ربهم، وربطت بين السماء والأرض، وربطت بين الأنبياء والرسل، وربطت بين الرسل والأمم، وربطت بين بني آدم في الأرض، وربطت بين بني آدم والملائكة، وربطت بين بني آدم والجن، وربطت بين الدنيا والآخرة: ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾ ﴾[التوبة: ٧١ – ٧٢].

ومن أجل لا إله إلا الله خلق الله السموات والأرض وما فيهن، وأنزل الدين والشرع، وخلق الجنة والنار، وجعل الثواب والعقاب: ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿١٢﴾ ﴾[الطلاق: ١٢].

ومن أجلها كان الله وليُّ المؤمنين، ومن أجلها أرسل الله الرسل، وأنزل الكتب، وشرع الشرائع: ﴿ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٥٧﴾ ﴾[البقرة: ٢٥٧].

٥- فضائل الإيمان بالله عزّ وجل

قال الله تعالى: ﴿ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنۡهَا مِن ثَمَرَةٖ رِّزۡقٗا قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِي رُزِقۡنَا مِن قَبۡلُۖ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهٗاۖ وَلَهُمۡ فِيهَآ أَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞۖ وَهُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾[البقرة: ٢٥].

وقال الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَمَغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ﴿٤﴾ ﴾[الأنفال: ٢ – ٤].

وقال الله تعالى: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٧٢﴾ ﴾[التوبة: ٧٢].

وقال الله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمۡ وَحُسۡنُ مَـَٔابٖ ﴿٢٩﴾ ﴾
[الرعد: ٢٨ – ٢٩].

وقال الله تعالى: ﴿ مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗۖ وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾[النحل: ٩٧].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ سُئل أي العمل أفضل؟ قال: إيمانٌ بالله ورسوله، قيل: ثم ماذا ؟ قال: الجهاد في سبيل الله، قيل: ثم ماذا؟ قال: حجٌ مبرور) متفق عليه [١].

وعن عثمان رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: (من مات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله دخل الجنة) أخرجه مسلم [٢].

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٢٦)، ومسلم برقم (٨٣).

(٢) أخرجه مسلم برقم (٢٦).

٦ - ثمرات الإيمان بالله عز وجل

الإيمان بالله عزّ وجل يُثمر للعبد ثمراتٍ عظيمةٍ كثيرةٍ في الدنيا والآخرة،ومن أعظم ثمرات الإيمان في الدنيا :

رضا الله عن المؤمن، ورضا العبد عن ربه، وحب الله للمؤمن، وحب المؤمن لربه، وتعظيم الله وتكبيره، وحمدُ الله وشكرُه، ورحمة الله للعبد، وكفايته له، وحسن الظن بالله، والتوكل على الله، والأنس بالله، والطمأنينة بذكره، والإكثار من ذكر الله، والتوبة إليه، وحسن عبادته، ونيل ثوابه، والفوز بنصره، واللذةبمناجاته: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ٢٨ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمۡ وَحُسۡنُ مَـَٔابٖ ٢٩ ﴾[الرعد: ٢٨ -٢٩] .

وقال عز وجل: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ٨٢ ﴾[الأنعام: ٨٢] .

أما أعظم ثمرات الإيمان في الآخرة فهي:

رضوان الرب، ورؤية الرب، والقرب منه، وسماع كلامه، ودخول الجنة، والخلود في الجنة في حياةٍ أبدية، ونعيم دائم، وجناتٍ تجري من تحتها الأنهار، والنجاةُ من النار: ﴿ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنۡهَا مِن ثَمَرَةٖ رِّزۡقٗا قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِي رُزِقۡنَا مِن قَبۡلُۖ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهٗاۖ وَلَهُمۡ فِيهَآ أَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞۖ وَهُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٢٥ ﴾[البقرة: ٢٥] .

وقال عز وجل: ﴿ إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَنَهَرٖ ٥٤ فِي مَقۡعَدِ صِدۡقٍ عِندَ مَلِيكٖ مُّقۡتَدِرِۭ ٥٥ ﴾[القمر: ٥٤ – ٥٥] .

وقال عز وجل: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ خَيۡرُ ٱلۡبَرِيَّةِ ٧ جَزَآؤُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَشِيَ رَبَّهُۥ ٨ ﴾[البينة: ٧ – ٨] .

وقال عز وجل: ﴿ كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوۡنَ أُجُورَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۖ فَمَن زُحۡزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدۡخِلَ ٱلۡجَنَّةَ فَقَدۡ فَازَۗ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ ١٨٥ ﴾[آل عمران: ١٨٥].

٧-جزاءُ أهل الإيمان

وعد الله أهل التوحيد والإيمان بموعوداتٍ كثيرةٍ في الدنيا والآخرة .

فأعظم موعودات أهل الإيمان في الدنيا:

الأمن، والهداية، والفلاح، والنصر، والتمكين في الارض، والعزة، وحصول البركات، وعدم تسليط الكفار عليهم، والدفاع عنهم، ومحبة الله لهم، ورضوان الله عليهم، وغير ذلك من الكرامات: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَـٰدُ ﴿٥١﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّـٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ ۖ وَلَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٥٢﴾﴾[غافر: ٥١ – ٥٢].

وقال عز وجل: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾[الأنعام: ٨٢] .

أما موعودات الله لأهل الإيمان في الآخرة فهي أعظم وأعظم:

الأولى: الحياة الطيبة في الدنيا والآخرة: ﴿مَنْ عَمِلَ صَـٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾ [النحل: ٩٧] .

الثانية: دخول الجنة: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿١٤﴾﴾[الحج: ١٤] .

الثالثة: الخلود في نعيم الجنة: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾ جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّـٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ ﴿٨﴾﴾[البينة: ٧ – ٨] .

الرابعة: رضوان الرب عليهم: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَـٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّـٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾﴾[التوبة: ٧٢] .

الخامسة: رؤية المؤمنين ربهم في الجنة:﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ [القيامة: ٢٢ – ٢٣] .

السادسة: القرب من ربهم جل جلاله:﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ ﴿٥٥﴾ ﴾[القمر: ٥٤ – ٥٥] .

السابعة: سماع كلام وسلام الرب عزّ وجل:﴿ إِنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِى شُغُلٍ فَٰكِهُونَ ﴿٥٥﴾ هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ فِى ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ ﴿٥٦﴾ لَهُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ ﴿٥٧﴾ سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴿٥٨﴾ ﴾[يس: ٥٥ – ٥٨] .

الثامنة: النجاة من النار: ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾ ﴾[مريم: ٧١ – ٧٢].

والصفات الموعودة لأهل الإيمان في الدنيا غير موجودة في حياة كثيرٍ من المسلمين اليوم، وذلك لضعف إيمانهم، وتقصيرهم في أعمالهم ، ولا سبيل للحصول عليها إلا بتقوية الإيمان الموجود بالإيمان المفقود، ليأتي الإيمان المطلوب، وإخلاص العمل لله وحده، ومتابعة الرسول صلى الله عليه وسلم في كل ما جاء به من عبادة الله وحده، والدعوة إلى الله، وتعليم شرع الله، والإحسان إلى خلق الله، وغير ذلك مما أمر الله ورسوله به: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾ ﴾[الحشر: ٧] .

فالموعودات لم تظهر في حياة كثيرٍ من المسلمين، بل ظهر ضدها، لضعف الإيمان بالله، ونقص التوحيد، وضعف اليقين، والخلل في العبادة، والتقصير في الدعوة وطاعة الله ورسوله:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾ ﴾[النساء: ١٣٦].

وللحصول على موعودات الله لأهل الإيمان في الدنيا والآخرة، لا بد أن يكون إيماننا وأعمالنا كإيمان الأنبياء والصحابة، وأعمالنا كأعمالهم على وجه

الحقيقة: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾[الأنفال: ٢ – ٤].

وقال عزّ وجل: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٠٨﴾ ﴾[البقرة: ٢٠٨] .

وقال عزّ وجل: ﴿ فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾ صِبْغَةَ ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً ۖ وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ ﴿١٣٨﴾ ﴾[البقرة: ١٣٧ – ١٣٨] .

﴿ رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٣﴾ ﴾
[آل عمران: ٥٣] .

اللهم إنا نسألك إيماناً كاملا، ويقيناً صادقا، وقلباً خاشعًا، ولساناً ذاكرًا، وحلالاً طيبًا، ونسألك الفوز بالجنة، والنجاةَ من النار.

عبادات القلوب
في ضوء القرآن والسنة

العبادة الثالثة

عبادة تعظيم الله جل جلاله

وتشتمل هذه العبادة العظيمة على المباحث الآتية :

الأول : منزلة تعظيم الرب جل جلاله .

الثاني : فضائل تعظيم الله جل جلاله.

الثالث : مظاهر عظمة الله جل جلاله .

الرابع : الأسباب المعينة على تعظيم الرب جل جلاله .

الخامس: جزاء تعظيم الرب جل جلاله.

العبادة الثالثة

عبادة تعظيم الله جل جلاله

١ - منزلة تعظيم الرب جل جلاله

تعظيم الله وتكبيره وتمجيده، هو أعظم عبادات القلوب بعد التوحيد والإيمان.

وروح العبادات كلهاهو عبادة الله بكمال الحب، وكمال التعظيم، وكمال الذل لله عز وجل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ ١٢﴾[الملك:١٢].

ومن عرف الله جل جلاله بأسمائه الحسنى، وصفاته العلا، وأفعاله الحميدة، نشأت في قلبه قوتان :

الأولى: قوة الهيبة لله الملك العزيز الجبار، القوي القادر القهار.

الثانية: قوة الحب لله، لعظمة إكرامه وإنعامه وإحسانه .

وقوة المهابة لله عز وجل أعظم من المحبة، لأن المهابة لله جل جلاله ناشئة عن معرفة جلال الله، وجبروته، وعظمته، وكبريائه، وكمال قوته وقدرته، وسعة علمه ورحمته، وكمال إحاطته .

ثم يليها محبة الله الناشئة عن معرفة إنعام الله وإحسانه، وكمال رحمته ولطفه بعباده.

ثم يليها التوكل على الله في كل حال، لأن منشؤه رؤية توحد الله بالأفعال والتدبير والتصريف .

ثم يلي ذلك الخوف من الله، والرجاء لما عنده، لأنهما ناشئان عن ملاحظة الخير والشر، فلا يُرجى من يعجز عن فعل الخير، ولا يُخاف من لا يقدر على دفع الشر: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ١٩﴾[محمد: ١٩] .

وتعظيم الرب جل جلاله من مقتضيات الإيمان بأسماء الله الحسنى، ومن لوازم الإيمان بأسماء الله الملك، العزيز، الجبار، المتكبر، القهار، العظيم، الكبير،

القوي، القادر، ... وغيرها من أسماء الجلال :﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ ﴾[الحشر: ٢٣ – ٢٤] .

ومقصود الرب من خلقه أن يعرفوه بأسمائه وصفاته وأفعاله، ثم يعبدوه وحده بموجب هذه المعرفة، لأن معرفة الآمر واجبة قبل معرفة أوامره، ومعرفة الحاكم واجبة قبل معرفة أحكامه :﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾ ﴾ [الطلاق: ١٢].

فالتعبد لله جل جلاله بأنواع العبادات مبني على معرفة الرب بأسمائه وصفاته وأفعاله، فمن عرف العظيم عظمه، ومن عرف الكبير كبره، ومن عرف الواحد وحده، ومن عرف القادر استعان به، ومن عرف القوي لاذ بجنابه، ومن عرف الغني توجه إليه في حاجته، ومن عرف الكريم سأله، ومن عرف المعطي مد إليه يده :﴿ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾[غافر: ٦٥] .

ومن عرف الرحمن استرحمه، ومن عرف الغفور استغفره، ومن عرف الهادي استهداه، ومن عرف الوهاب استوهبه، ومن عرف الرزاق طلب منه رزقه، ومن عرف القريب دعاه، ومن عرف المجيب وقف ببابه:﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ ﴾[البقرة: ١٨٦] .

ومن عرف العظيم عظمه، وعظم كتابه، وعظم دينه، وعظم رسله، وعظم ثوابه، ففاز برضوانهوجنته:﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾[الأنبياء: ٩٠] .

وتعظيم القلب للرب ناشئ عن معرفة الله بصفات جلاله وجماله: ﴿ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٩٨﴾ [المائدة: ٩٨] .

وأمر الله رسوله ﷺ أن يخبر العباد بقوله: ﴿نَبِّئۡ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ٤٩ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلۡعَذَابُ ٱلۡأَلِيمُ ٥٠﴾ [الحجر: ٤٩ – ٥٠] .

ومن عرف الله بأسمائه وصفاته وأفعاله عظمه وكبره،وأحبه ومجده، وحمده وشكره، وأطاع أمره، واجتنب نهيه، وخافه وهابه، وخشيه واتقاه: ﴿إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ٢٨﴾ [فاطر: ٢٨] .

ومن عرف ربه الواحد الأحد أغناه عن كل أحد، ومن عرف الملك خضع له، ومن عرف القادر استغاث به، ومن عرف الوكيل توكل عليه، ومن عرف الجبار هابه، ومن عرف القهار خافه، ومن عرف العزيز ذل له، ومن عرف النصير استنصره: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ٣﴾ [يونس: ٣].

ومن عرف العفو اعتذر إليه، ومن عرف الحليم استقاله عثرته، ومن عرف التواب تاب إليه، ومن عرف الحكيم امتثل أمره، ومن عرف الكافي استغنى به، ومن عرف المستعان استعان به: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ١٠٢ لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ١٠٣﴾ [الأنعام: ١٠٢ –١٠٣] .

ومن عرف السميع دعاه، ومن عرف البصير استحى منه أن يعصيه في ملكه، ومن عرف العليم استحى منه أن يعصيه في خلوته، ومن عرف الخبير استحى منه أن يعصيه في سره: ﴿وَأَسِرُّواْ قَوۡلَكُمۡ أَوِ ٱجۡهَرُواْ بِهِۦٓۖ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ١٣ أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ١٤﴾ [الملك: ١٣ – ١٤].

ومن هذه أسماؤه وصفاته وأفعاله هو الرب العظيم الذي يستحق التوحيد وحده، ويستحق التعظيم وحده: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ٣﴾ [يونس: ٣] .

وتعظيم الله عز وجل أعظم عبادات القلوب التي تثمر العبادات القلبية والبدنية وتحقق التوحيد الخالص، والإيمان الكامل، واليقين الصادق: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴿١٢﴾ ﴾[الطلاق: ١٢] .

فمن عرف ربه الكبير توجه إليه وحده، ولم يلتفت إلى المخلوق الصغير، ومن عرف الملك لم يسأل العبيد، ومن عرف الغني لم يقف بباب الفقير، ومن عرف القوي لم يلتفت إلى الضعيف، ومن عرف القادر لم يستعن بالعاجز، ومن عرف الكريم لم يقف بباب البخيل، ومن عرف الخالق أخلص له العبادة،ولم يعبأ بجميع المخاليق: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾[الأنعام: ١٠٢].

ومن عرف ربه العظيم فر إليه من كل ما سواه: ﴿ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجْعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥١﴾ ﴾[الذاريات: ٥٠ – ٥١].

والعلم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله، هو أصل عبادات القلوب، والجوارح، فمن عرف الله وحده وكبره، وعظمه ومجده، وأحبه وحمده وشكره، ودعاه وسأله: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾[محمد: ١٩].

فاعرف نفسك، واعرف ربك، لتعبده بكمال الحب والتعظيم والذل له .

فمن عرف نفسه بالضعف عرف ربه بالقوة، ومن عرف نفسه بالعجز عرف ربه بالقدرة، ومن عرف نفسه بالجهل عرف ربه بالعلم، ومن عرف نفسه بالفقر عرف ربه بالغنى، ومن عرف نفسه بالذلة عرف ربه بالعزة، ومن عرف نفسه بالموت عرف ربه بالحياة: ﴿ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾[غافر: ٦٥].

ومن رحمة الله عز وجل بالإنسان أن خلقه ضعيفا، ليعبد ربه القوي، وخلقه فقيرا

ليقف بباب ربه الغني، وخلقه عاجزا، ليستعين بربه القادر، وخلقه جاهلا، ليطلب العلم من ربه العليم، وخلقه محتاجا ليقف بباب ربه الذي لا يحتاج، وخلقه مذنبا ليقف بباب ربه الغفار: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ ﴾[فاطر: ١٥] .

إن مقصود الرب من خلقه تحصيل صفاته، وعبادته بموجب ذلك كما قال سبحانه: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾ ﴾[الأعراف: ١٨٠] .

وتعظيم الرب، وتكبيره، وتمجيده، هو أعظم عبادات القلوب بعد التوحيد والإيمان، ولهذا أمرنا الله عز وجل بذكره كثيرا، ومن ذكر الله أطاعه ولم يعصه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾ ﴾[الأحزاب: ٤١ – ٤٣] .

وقد أمر الله رسوله بذكر الله وتسبيحه، وحمده وتكبيره، في كل يوم وليلة أكثر من ستماءة مرة في جميع الأوقات والأحوال: ﴿ وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ﴿٨﴾ ﴾ [المزمل: ٨] .

وتعظيم الرب وتكبيره هو شعار العبادات الكبار، كالصلاة، والصيام، والحج، والأذان، والإقامة: ﴿ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ ۖ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًۢا ﴿١١١﴾ ﴾[الإسراء: ١١١] .

وشرعت الأدعية والأذكار من أجل التذكير بالتوحيد، وعظمة الرب، وتفويض الأمور إليه، والتوكل عليه وحده: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾[الأنفال: ٢ – ٤] .

ومن عظم ربه عظم أمره وشعائره :﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾ ﴾[الحج: ٣٢] .

وتعظيم الرب هو روح العبودية، فمن عرف ربه حقا عبده حقا، وعظمه حقا، وكبره حقا، ومجده حقا، وأحبه حقا، وخشيه حقا :﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾ ﴾[فاطر: ٢٨] .

وكل من عصى الله جل جلاله، أو كفر بالله، أو أشرك بالله، فهو جاهل بالله وبأسمائه وصفاته وأفعاله:﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [الزمر: ٦٧].

ولن يعظم الله حقا، ولن يعبده حقا، ولن يكبره حقا، إلا من عرفه بأسمائه وصفاته وأفعاله: ﴿ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾ أَلَمْ تَرَوْاْ كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾ لِّتَسْلُكُواْ مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴿٢٠﴾ ﴾[نوح: ١٣ – ٢٠] .

فمن عرف ربه العظيم عظمه، وعظم أوامره، وعظم شعائره، وعظم حدوده، ومن عرف الكبير كبره، ومن عرف القوي لاذ بحماه، ومن عرف القادر استعان به، ومن عرف القهار خضع له، ومن عرف العزيز ذل له، ومن عرف الوكيل توكل عليه، ومن عرف الرزاق سأله، ومن عرف المعطي مد إليه يده، ومن عرف الرحمن رجاه، ومن عرف السميع البصير أطاعه ولم يعصه، ومن عرف العليم الخبير خاف منه :﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾[محمد: ١٩] .

٢ -فضائل تعظيم الله جل جلاله

الأولى : خشية الله في السر والعلن، ونيل المغفرة، وأعظم الثواب: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾﴾ [الملك: ١٢] .

الثانية : المسارعة إلى الخيرات : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴿٦١﴾﴾ [المؤمنون: ٥٧ – ٦١] .

الثالثة: تعظيم الرب، والإكثار من ذكره، والخوف منه، والانكسار بين يديه، والافتقار إليه: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾ [فاطر: ٢٨] .

الرابعة : تعظيم أوامر الله وشعائره: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾﴾ [الحج: ٣٢] .

الخامسة : امتثال أوامر الله، واجتناب نواهيه، طمعا في ثوابه، وخوفا من عقابه، وإجلالا لشأنه، وشكرا على نعمائه: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾﴾ [التوبة: ٧١].

السادسة : أن من عرف الله عظمه وكبره وزاد إيمانه وزادت أعماله الصالحة، وغفرت ذنوبه، وزاد ثوابه: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّاۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال: ٢ – ٤].

السابعة : أن من عرف الله خافه، واتقاه، وتوكل عليه، ويسر أمره: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾﴾ [الطلاق: ٢ – ٣] .

وقال عز وجل: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا ﴿٤﴾﴾ [الطلاق: ٤] .

٣- مظاهر عظمة الله جل جلاله

خلق الله عز وجل في هذا الكون المخلوقات العظيمة، والآيات العظيمة، لتدل على كمال عظمة الله وعظمة أسمائه وصفاته وأفعاله: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلۡأَمۡرُ بَيۡنَهُنَّ لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىۡءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىۡءٍ عِلۡمَۢا ١٢﴾ [الطلاق: ١٢].

ولا بد للقلب أن يعرف مظاهر عظمة الله، حتى يعظم ربه، ويكبره، ويمجده.

وعظمة الله لاأول لها ولا آخر، ولابداية لها ولا نهاية، فهي صفة ذاتية لله عز وجل: ﴿هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىۡءٍ عَلِيمٌ ٣﴾ [الحديد: ٣].

فالله عظيم قبل أن يعظمه أحد، والله كبير قبل أن يكبره أحد، والله قادر قبل أن يستعين به أحد، والله خالق قبل أن يخلق أحدا، والله كريم قبل أن يسأله أحد، والله رحمن قبل أن يرحم أحدا، والله غفور قبل أن يغفر لأحد: ﴿فَمَن تَابَ مِنۢ بَعۡدِ ظُلۡمِهِۦ وَأَصۡلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيۡهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ٣٩﴾ [المائدة: ٣٩].

والله محمود قبل أن يحمده أحد، والله شكور قبل أن يشكره أحد، والله تواب قبل أن يتوب على أحد، والله رزاق قبل أن يرزق أحدا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلۡقُوَّةِ ٱلۡمَتِينُ ٥٨﴾ [الذاريات: ٥٨].

والله جل جلاله هو السبوح قبل أن يسبحه أحد، وهو القدوس قبل أن يقدسه أحد: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۖ هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ٢٢ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلۡمُؤۡمِنُ ٱلۡمُهَيۡمِنُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡجَبَّارُ ٱلۡمُتَكَبِّرُۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٢٣ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡخَٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ

ٱلۡمُصَوِّرُۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾ [الحشر: ٢٢ – ٢٤].

كان الله جل جلاله ولم يكن شيء قبله ولا معه، ثم أراد أن يعرف، ليكبر ويعظم، ويحمد ويشكر، ويحب ويمجد، ويوحد ويعبد، فخلق السموات والأرض، وما فيهما وما عليهما، وما بينهما وما فوقهما: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلۡأَمۡرُ بَيۡنَهُنَّ لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا ﴿١٢﴾﴾ [الطلاق: ١٢] .

وإذا عرف الخلق ذلك آمنوا بالله، وكبروه، وأحبوه، وعبدوه: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾ [يونس: ٣] .

كان الله عز وجل ولم تكن سماء ولا أرض ، ولا شمس ولا قمر، ولا نجوم ولا كواكب، ولا جبال ولا سهول، ولا بحار ولا أنهار.

كان الله جل جلاله ولم يكن ليل ولا نهار، ولا سحاب ولا ماء، ولا جماد ولا نبات، ولا إنسان ولا حيوان، ولا جان ولا ملك: ﴿هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾﴾ [الحديد: ٣] .

كان الله جل جلاله ولم يكن شيء قبله، ثم خلق جميع المخلوقات بقدرته، لتدل على كمال عظمته، وكمال قدرته، وكمال جلاله وجماله: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلۡأَمۡرُ بَيۡنَهُنَّ لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا ﴿١٢﴾﴾ [الطلاق: ١٢] .

خلق السموات السبع، ثم أمرها فاستقلت، وخلق الأراضين السبع، ثم أمرها فاستقرت، وخلق الجبال العظيمة، ثم أمرها فرست، وخلق الرياح القوية، ثم أمرها فهبت، وخلق السحب، ثم أمرها فأمطرت، وخلق الأرض، ثم أمرها

بالإنبات فأنبتت: ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ﴿٦٢﴾ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾ [الزمر: ٦٢ – ٦٣] .

كان الله ولم يكن شيء قبله، ثم خلق البحار فسالت، وخلق الأنهار فجرت، وخلق الأشجار ثم أمرها فأثمرت، وخلق العيون ثم أمرها فانفجرت، وخلق الزروع ثم أمرها فتكاثرت: ﴿ وَتَرَى ٱلۡأَرۡضَ هَامِدَةٗ فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡ وَأَنۢبَتَتۡ مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿٦﴾ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٞ لَّا رَيۡبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبۡعَثُ مَن فِي ٱلۡقُبُورِ ﴿٧﴾ ﴾ [الحج: ٥ – ٧] .

كان الله ولم يكن شيء قبله، خلق جميع المخلوقات في العالم العلوي والعالم السفلي، وقهرها على ما أراد فأذعنت، وأمسكها بقدرته فبقيت: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُمۡسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ أَن تَزُولَاۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنۡ أَمۡسَكَهُمَا مِنۡ أَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ﴿٤١﴾ ﴾ [فاطر: ٤١] .

كان الله ولم يكن شيء قبله، ثم خلق جميع المخلوقات، لتشهد بوحدانيته، وتسبح بحمده، وتدل على عظمته، وتتصاغر لكبريائه: ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ﴿٤٤﴾ ﴾ [الإسراء: ٤٤] .

وبعد خلق جميع المخلوقات خلق الله الإنسان، وجعله خليفة في الارض، وكرمه بكل ما في السموات والارض، ليعرف ربه العظيم، الخلاق، العليم، ويشكر ربه الكريم، ويحب ربه الرحمن، الرحيم، ويعبده وحده لا شريك له:

﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلۡفُلۡكَ لِتَجۡرِيَ فِي ٱلۡبَحۡرِ بِأَمۡرِهِۦۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلۡأَنۡهَٰرَ ﴿٣٢﴾

وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾ ﴾[إبراهيم: ٣٢ – ٣٤] .

وقد سخر الله جميع ما في هذا الكون لخلقه تسخيرين :

تسخير تعريف لنؤمن به، وتسخير تكريم لنشكره : ﴿أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾ ﴾[لقمان: ٢٠] .

والرب الذي هذه أفعاله، هو الذي يستحق العبادة وحده لا شريك له، ويستحق الحب وحده، ويستحق التكبير وحده: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾[الأنعام: ١٠٢].

كان الله ولم يكن شيءٌ قبله، فخلق جميع المخلوقات، ثم خلق الإنسان في أحسن تقويم، خلق فيه اللسان ثم أمره فتكلم، وخلق فيه الأذن ثم أمرها فسمعت، وخلق العين ثم أمرها فأبصرت، وخلق فيه العقل ثم أمره فعقل، وخلق فيه القلب ثم أمره فعرف، وخلق له الأرجل ثم أمرها فمشت، وخلق فيه الأيدي ثم أمرها فتحركت،وخلق فيه المعدة ثم أمرها فهضمت: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾ ﴾[المؤمنون: ١٢ – ١٤].

ثم كرم الله هذا الإنسان بأنواع الكرامات، ليذكر ربه، ويشكر من خلقه ورزقه : ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ ﴾[الإسراء: ٧٠] .

خلقه ربه العظيم في أحسن تقويم، ونفخ فيه من روحه، وأسجد له ملائكته، وعلمه أسماء كل شيء، لأن ربه يريده خليفة في الأرض في الدنيا، يستقبل أوامر ربه، وينفذها على نفسه، ويبلغها إلى غيره.

ويريد منه في الآخرة ان يكون جليسه يوم القيامة: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [البقرة: ٣٠].

وقال عز وجل: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ ﴿٥٥﴾﴾ [القمر: ٥٤ – ٥٥].

وأعظم عبادات القلوب هي تعظيم الرب، ومحبته، والخوف منه، ورجاؤه، وحمده، وشكره، والافتقار إليه.

ومن عرف ربه العظيم عظّم أوامره وشعائره، وعبده وحده لا شريك له: ﴿هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [غافر: ٦٥].

والله جل جلاله هو الرب العظيم، والملك القدير، والإله الرحيم.

هو الرب العظيم الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلا، والأفعال الحميدة، والنعوت الجميلة، والخلق العظيم، والملك الكبير، والتدبير الحكيم، والعلم المحيط، والرحمة الواسعة، والفضل العظيم، والقدرة التامة، والقوة القاهرة: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾﴾ [طه: ٨].

هو العظيم في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾﴾ [البقرة: ٢٥٥].

هو جل جلاله العظيم في علمه، يعلم ما كان وما يكون وما سيكون، أحاط بكل شيء علما، وأحصى كل شيء عددا، ولا يخفى عليه شيءٌ في الأرض ولا في السماء: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾﴾[الحج: ٧٠] .

هو وحده العليم الذي يعلم مثاقيل الجبال، ومكاييل البحار، وعدد قطر الأمطار، وعدد ورق الأشجار، وعدد ذرات الرمال، ويعلم ما في البر والبحر والجو من المخلوقات، ويعلم الذرات، والمجرات، والحركات، والسكنات، والأصوات، والخطرات: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦٢﴾﴾[العنكبوت: ٦٢].

وهو السميع البصير العليم الخبير الذي يعلم السر وأخفى، ويعلم الظاهر والباطن، لا تواري منه سماءٌ سماء، ولا أرضٌ أرضا، ولا جبلٌ ما في وعره، ولا بحرٌ ما في قعره: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾﴾[الأنعام: ٥٩].

وإذا عرف القلب هذا عظم ربه، وكبره، ومجده، وآمن به، ووحده، وعبده، وأطاعه: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾[يونس: ٣] .

هو العظيم في قوته، هو القوي الذي يمسك السماء أن تقع على الارض إلا بإذنه، القوي الذي يمسك السموات والأرض أن تزولا، القوي الذي يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد، القوي الذي ينصر أولياءه، ويخذل أعداءه، القوي الذي بيده الملك كله، وله الخلق كله، وبيده الأمر كله، القوي وحده، وكل ما سواه ضعيفٌ من العرش إلى أصغر ذرة: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ ﴿٦٦﴾﴾[هود: ٦٦] .

هو جل جلاله القادر وحده لا شريك له، وكل ما سواه عاجز، هو العظيم في قدرته، قادرٌ على كل شيء، محيطٌ بكل شيء، قاهرٌ لكل شيء، لا يعجزه شيء، ولا يقف له شيء، ولا يمتنع عليه شيء، ولا يغيب عنه شيء، ولا يخرج عن ملكه شيء: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾﴾ [الملك: ١].

هو جل جلاله العظيم في ملكه العظيم: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۚ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾﴾ [فاطر: ١٣].

فالله له ملك السموات والأرض، وله ملك ما في السموات والأرض، وله ملك ما بين السموات والأرض، وله ملك ما فوق السموات والأرض، وله ملك خزائن السموات والأرض، وله ملك غيب السموات والأرض، وله ملك جنود السموات والأرض، وله ملك مقاليد السموات والارض، وله ملك ميراث السموات والأرض، وله ملك العالم العلوي والعالم والسفلي، وله ملك عالم الغيب والشهادة، وله ملك الدنيا والآخرة: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾﴾ [الملك: ١].

ومن هذا ملكه، وهذه قدرته، وتلك قوته، وذاك علمه، هو الرب الذي يستحق التعظيم، والتكبير، والعبادة، وحده لا شريك له: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنعام: ١٠٢-١٠٣].

هو جل جلاله العظيم في وحدانيته، هو الواحد الأحد، القادر على كل أحد، الخالق لكل أحد، السميع لكل أحد، البصير بكل أحد، المحيط بكل أحد، العليم بكل أحد، الغني عن كل أحد، الواحد الأحد، الذي يحتاج إليه كل أحد: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾﴾ [البقرة: ١٦٣].

هو الواحد الأحد في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، الواحد الأحد الذي ليس كمثله أحد: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾ [الإخلاص: ١ – ٤].

وإذا عرف القلب ربه الواحد الأحد عظمه، وكبره، ووحده، واستغنى به عن كل أحد: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾ [يونس: ٣].

هو الرب العظيم في خلقه، وإبداعه، وتصويره.

خلق العرش والكرسي، وخلق السموات والأرض، وخلق الشمس والقمر، وخلق الليل والنهار، وخلق الذرات والمجرات، وخلق الجماد والنبات، وخلق الطير والحيوان، وخلق الإنس والجن، وخلق الملائكة والروح.

وهو الخلاق العليم، خلق البر والبحر، وخلق الذكور والإناث، وخلق العالي والسافل، وخلق الكبير والصغير، وخلق الكثير والقليل، وخلق الألوان والطعوم، وخلق النور والظلمات، وخلق الدنيا والآخرة: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [الزمر: ٦٢ – ٦٣].

والرب الذي هذا خلقه وإبداعه وتصويره، هو وحده الرب الذي يستحق التعظيم، والتكبير، والإجلال، وحده لا شريك له: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾ [الحشر: ٢٤].

وإذا عرف القلب ذلك امتلأ بالتوحيد والإيمان، وعظم ربه وكبره، وأحبه ومجده، وعبده وحده لا شريك له: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن

لَهُۥ صَٰحِبَةٞۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴿١٠١﴾ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ﴿١٠٢﴾ ﴾[الأنعام: ١٠١ – ١٠٢] .

هو جل جلاله العظيم في غناه وكرمه، وإحسانه وعطائه، فكل النعم والخيرات من فيض جوده، دائم العطاء والإحسان، ويده سحاء الليل والنهار بالعطاء: ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيۡهِ تَجۡـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾[النحل: ٥٣] .

هو الغني الكريم، خزائن كل شيء بيده، وله ملك كل شيء، يطعم جميع المخلوقات من رزقه، ولا ينقص مافي خزائنه مثقال ذرة :﴿ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٖ مَّعۡلُومٖ ﴿٢١﴾ ﴾[الحجر: ٢١].

يطعم جميع خلقه، المؤمن والكافر، والمطيع والعاصي، والانسان والحيوان، لكمال رحمته بعباده، وجميع مخلوقاته قعودٌ على موائد نعمه:﴿ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ﴿٢٦﴾ ﴾[لقمان: ٢٦] .

هوالرب العظيم في رحمته، فرحمته وسعت كل شيء، وعم بفضله جميع من في ملكه:﴿ رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا فَٱغۡفِرۡ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ ﴿٧﴾ ﴾[غافر: ٧] .

هو الرحمن الرحيم، الذي عم برحمته المؤمن والكافر، والبر والفاجر، وخص برحمته وإحسانه المؤمنين يوم القيامة: ﴿ قَالَ عَذَابِيٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنۡ أَشَآءُۖ وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ فَسَأَكۡتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤۡمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ ﴾[الأعراف: ١٥٦] .

هو العظيم في رحمته وعطائه وإحسانه، يرزق كل حي، ويعطي على العمل القليل الأجر الكثير، ويعطي على الحسنة عشر أمثالها، إلى سبعمائة ضعف، إلى أضعاف مضاعفة، إلى أضعاف كثيرة، ويؤتي من لدنه أجرا عظيما: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا

﴿ يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةٗ يُضَٰعِفۡهَا وَيُؤۡتِ مِن لَّدُنۡهُ أَجۡرًا عَظِيمٗا ٤٠ ﴾ [النساء: ٤٠] .

هو الرب العظيم في ملكه، العزيز في سلطانه، الجبار في قهره، الحكيم في تدبيره: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلۡمُؤۡمِنُ ٱلۡمُهَيۡمِنُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡجَبَّارُ ٱلۡمُتَكَبِّرُۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٢٣ ﴾[الحشر: ٢٣] .

هو الرب العظيم في أفعاله، يفعل ما يشاء، ويخلق ما يشاء، ويرحم من يشاء، ويعذب من يشاء، وهو الحكيم العليم ﴿ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٞ لِّمَا يُرِيدُ ١٠٧ ﴾ [هود: ١٠٧].

هو الرب العظيم الذي يعز من يشاء، ويذل من يشاء، ويحيي ويميت، ويعطي ويمنع، ويخلق ويرزق، لا راد لقضائه، ولا معقب لحكمه: ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُۖ بِيَدِكَ ٱلۡخَيۡرُۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٢٦ تُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِۖ وَتُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَتُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّۖ وَتَرۡزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ٢٧ ﴾ [آل عمران: ٢٦ – ٢٧] .

هو العظيم في علوه، هو العلي الأعلى المتعال، هو العلي الأعلى على جميع مخلوقاته، العلي بذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، المتعالي عن جميع النقائص والعيوب والآفات، وعن جميع صفات البشر: ﴿ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ٢٥٥ ﴾[البقرة: ٢٥٥] .

هو جل جلاله العظيم في عفوه، العظيم في مغفرته، العظيم في حلمه، العظيم في حكمه، العظيم في قهره، العظيم في لطفه، العظيم في إحسانه، العظيم في بره،

العظيم في شكره، العظيم في جلاله، العظيم في جماله: ﴿ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾[غافر: ٦٥] .

والرب العظيم الذي هذه أسماؤه وصفاته وأفعاله، وهذا ملكه وسلطانه، وهذا خلقه وأمره، وهذا إنعامه وإحسانه،هو الرب العظيم الذي يستحق أن يعظم وحده، ويكبر وحده، ويشكر وحده، ويعبد وحده، ويستحق وحده أن يطاع فلا يعصى، ويذكر فلا ينسى، ويشكر فلا يكفر : ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾[الأنعام: ١٠٢] .

وإذا عرف العبد هذه المعارف الإلهية العظيمة، امتلأ قلبه بنور التوحيد والإيمان، وعظم ربه وكبره، وأثنى عليه ومجده، وأحبه وحمده وشكره، وأخلص العبادة لله وحده لا شريك له: ﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾[السجدة: ١٥ – ١٧] .

٤ -الأسباب المعينة على تعظيم الله جل جلاله

الأول : العلم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله .

فمن عرف الله آمن به، ووحده، وعظمه، وكبره، وأحبه، ومجده، وحمده، وشكره، وخافه، ورجاه: ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْـَٔاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾ ﴾ [الزمر: ٩] .

الثاني : العلم بعظمة ملك الله وسلطانه، وعظمة نعمه وآلائه، وعظمة خلقه وأمره، وعظمة دينه وشرعه، وعظمة ثوابه وعقابه: ﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَـَٔايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾ ﴾ [البقرة: ١٦٤] .

الثالث : النظر والتفكر في عظمة آيات الله الكونية في السموات والأرض: ﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٨﴾ ﴾ [ق: ٦ –٨] .

وقال عز وجل : ﴿ قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِى ٱلْـَٔايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾ [يونس: ١٠١] .

فمن تفكر في ذلك امتلأ قلبه بتعظيم الله وتكبيره وتمجيده، وتحركت جوارحه بكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال، والأعمال، والأخلاق: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾ [الأنفال: ٢ –٤] .

الرابع : التدبر والتفكر في عظمة آيات الله الشرعية وما فيها من الأخبار الصادقة،

والأحكام الحسنة، والوعد والوعيد، وحسن الثواب والعقاب: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ ﴾[محمد: ٢٤] .

الخامس : معرفة ما يجري في هذا الكون العظيم من الخلق والامر، والتدبير والتصريف، من ليل ونهار، وحر وبرد، وحياة وموت، وغنى وفقر، وصحة ومرض، وأمن وخوف: ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾[الأعراف: ٥٤].

وإذا عرف القلب ذلك ذل لربه العظيم، وتصاغر لكبريائه، وسجد لعزته، وكبر ربه وعظمه، وخافه ورجاه: ﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾[السجدة: ١٥ – ١٧] .

السادس : دعاء الله عز وجل أن يُعلم العبد ما ينفعه، وينفعه بما علمه، ويزيده من فضله :﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴿١١٤﴾ ﴾[طه: ١١٤] .

فكل خير من عند الله، وكل علم من عند الله، وكل فضل من لدنه :﴿ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾ ﴾[النساء: ١١٣].

٥ -جزاء تعظيم الرب جل جلاله

الأول: رضا الله عمن آمن به، وكبره، وعبده وحده لا شريك له: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ۝٧ جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ ۝٨﴾ [البينة:٧-٨].

الثاني : أن من عظَّم الله في قلبه، عَظُمَ في عين الله .

عنْ أَبي هُريرةَ، أنَّ رسُولَ اللهَّ ﷺ قالَ: يقُولُ اللهَّ تعالى:" أَنا عِندَ ظَنِّ عَبْدِي بي، وَأَنا مَعهُ إِذَا ذَكَرَني، فَإن ذَكَرَني في نَفْسهِ، ذَكَرْتُهُ في نَفسي، وإنْ ذَكَرَني في ملإٍ، ذكَرتُهُ في ملأ خَيرٍ منْهُمْ" متفق عليه [١]

الثالث : غفران الذنوب كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ۝١٢﴾ [الملك: ١٢] .

الرابع : دخول الجنة كما قال سبحانه: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ۝٧٢﴾ [التوبة: ٧٢] .

الخامس: الفوز بأعلى الدرجات كما قال سبحانه : ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ۝٤﴾ [الأنفال: ٢ -٤] .

السادس : الفوز بأعظم الثواب والنعيم كما قال سبحانه : ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُوا۟ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُوا۟ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝٢٥﴾ [البقرة: ٢٥] .

اللهم ارزقنا كمال معرفتك، حتى نعبدك كأنا نراك، ولا نقف بباب أحد سواك.

---

(١)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم(٧٤٠٥)، ومسلم برقم(٢٦٧٥)

عبادات القلوب

في ضوء القرآن والسنة

العبادة الرابعة

عبادة حب الله عز وجل

وتشتمل هذه العبادة العظيمة على المباحث الآتية :

الأول : منزلة حب الله عز وجل

الثاني : أنواع المحبة

الثالث : الأسباب الجالبة لحب الله عز وجل

الرابع : علامات حب العبد لربه

الخامس :

السادس : الذين يحبهم الله عز وجل

السابع : ثمرات حب العبد لربه.

العبادة الرابعة

عبادة حب الله عز وجل

١ – منزلة حب الله عز وجل

حب الله عز وجل ركن الإيمان الأعظم الذي لا يتم الإيمان إلا به، ومن لم يحب الله عز وجل فليس بمؤمن، وإذا زال حب الله من القلب زال منه الإيمان بالكلية .

وحب الله عز وجل أول الفرائض، وأعظم العبادات، وأصل كل العبادات : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾ ﴾[البقرة: ١٦٥] .

وحب الله عز وجل روح الإيمان وروح الطاعات، وهو الدافع لكل عبادة وطاعة، بل كل أعمال القلوب،والجوارحثمرة من ثمرات حب الله عز وجل ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾[البقرة: ٢١ – ٢٢] .

وحب الله جل جلاله هو أساس حياة القلوب، ومن لم يحب ربه فقلبه ميت، وحب الله يثمر للقلب الطمأنينة والسكينة، وحب الله عز وجل أعظم نعيم في الدنيا والآخرة، فمن أحب الله آمن به، وسعد بقربه، وحلاوة مناجاته، وأحسن عبادته.

قال النبي ﷺ:«ثَلَاثٌ مَن كُنَّ فيه وجَدَ حَلَاوَةَ الإيمَانِ: أنْ يَكونَ اللَّهُ ورَسولُهُ أحَبَّ إلَيْهِ ممَّا سِوَاهُمَا، وأَنْ يُحِبَّ المَرْءَ لا يُحِبُّهُ إلَّا للهِّ، وأَنْ يَكْرَهَ أنْ يَعُودَ في

الكُفْرِ كما يَكْرَهُ أنْ يُقْذَفَ في النَّارِ» متفق عليه[(١)].

والناس في حب الله تعالى متفاوتون بحسب علمهم بأسماء الله وصفاته وأفعاله .

ومتفاوتون في أعمالهم بحسب تفاوتهم في حب الله تعالى، وهم متفاوتون في أجورهم ودرجاتهم بحسب تفاوتهم في إيمانهم وتقواهم :﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾[الأنفال: ٢ – ٤] .

وهذه الأمة ثلاثة أصناف، تفاوتت أعمالهم ودرجاتهم بحسب حبهم لله عز وجل، كما قال سبحانه:﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣٣﴾ ﴾[فاطر: ٣٢ – ٣٣] .

وهؤلاء كلهم في الجنة: فظالمهم يغفر له، ومقتصدهم يحاسب حساباً يسيرا، وسابقهم يدخل الجنة بغير حساب .

فالسابق بالخيرات هم المقربون السابقون إلى امتثال أوامر الله ورسوله ﷺ،والمقتصدون هم الذين يفعلون الواجبات ويتركون المحرمات وهم أصحاب اليمين الأبرار، والظالمون لأنفسهم بالمعاصي، وهم الذين خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئا وهم المقصرون، وكل هؤلاء الأصناف الثلاثة في الجنة، ودرجاتهم بحسب أعمالهم .

ومحبة الله عز وجل فرض لازم على كل مؤمن، وهي أن يحب العبد ربه محبة توجب له محبة ما فرضه الله عليه، وبغض ما حرمه الله عليه .

ويحب رسوله ﷺ المبلغ عنه أمره ونهيه، وأن يقدم محبة الله على كل محبة، وأن

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (١٦)، وأخرجه مسلم برقم (43) .

يقدم محبة رسوله صلى الله عليه وسلم على محبة نفسه وأهله وماله .
وعن أنس رضي الله عنه قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم: « لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ » متفق عليه[1].

وتوجب له هذه المحبة محبة الأنبياء وأتباعهم، وبغض الكفار والفجار، والرضا والتسليم لجميع أوامر الله ورسوله صلى الله عليه وسلم: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ ﴾[النساء: ٦٥] .
وهذه المحبة تستلزم ثلاثة أمور:
فعل الواجبات، وترك المحرمات، والاستسلام لأمر الله عز وجل .
فهذه درجة لازمة في الإيمان الواجب .
وأعلى من هذه الدرجة درجة السابقين المقربين، وهي محبة ما يحبه الله من نوافل الطاعات والعبادات والتقرب الى الله بها.
وكراهة ما يكرهه الله من أنواع المكروهات، والرضى بما يقدره الله من المصائب التي تؤلم النفس.
قال الله عز وجل: ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿١٢﴾ ﴾[الواقعة: ١٠-١٢] .
وقال الله عز وجل في الحديث القدسي:«من عادى لي ولياً ... ما تقرَّبَ إليَّ عبدي بشيءٍ أفضل من أداء ما افترضتُ عليْهِ، وما يزالُ يتقرَّبُ عبدي إليَّ بالنَّوافلِ حتَّى أحبَّه»ُ. أخرجه البخاري [2]

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (١٥) واللفظ له ، ومسلم برقم (٤٤).
(٢)أخرجه البخاري برقم (٦٥٠٢).

٢ - أنواع المحبة

المحبة خمسة أنواع هي:

حب الله عز وجل.. والحب في الله.. والحب الفطري الطبيعي.. والحب لأجل الدنيا.. والمحبة الشركية .

فمحبة الله عز وجل هي أصل الإيمان والتوحيد ؛ فإذا امتلأ القلب بحب الله لم يبقَ فيه متسع لسواه .

وحب الله من لوازم كلمة التوحيد لا إله إلا الله، وصرف العبادة لله وحده لا شريك له، لأنه الذي خلقنا، ورزقنا، وهدانا للإيمان، ويسر لنا الأعمال الصالحة، وأثابنا على ذلك الجنة: ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾[النحل: ٥٣] .

وقال عز وجل في الحديث القدسي :«أنا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَن الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلاً أَشْرَكَ مَعِي فِيهِ غَيْرِي تَرَكتُهُ وشِرْكَهُ» . أخرجه مسلم (١)

وأما المحبة الطبيعية، فالمؤمن يحب الطيبات، ويكره الخبائث، وهذه المحبة فطرية، كمحبة الطعام والشراب الطيب، ومحبة الوالدين والأزواج والأولاد، والإخوان، والأصدقاء ونحو ذلك، وهذه محبة مباحة ومشروعة.

فهذه محبة فطر الله عليها القلوب ابتلاءً، ويجب على المؤمن ان يروضها حتى توافق الشرع، لأنها يمكن أن تتحول بالنية الصالحة من عادة الى عبادة يؤجر عليها العبد .

قال ﷺ: «إِنَّما الأعمالُ بالنِّيَّةِ، وإِنَّما لِكُلِّ امرِئٍ ما نوَى» .متفق عليه (٢)

وهذه المحبة الطبيعية إن أعانت على طاعة الله كانت طاعة مثلها، وإن ارتكب العبد المعاصي من أجلها صارت معصية مثلها .

وإذا زادت المحبة الطبيعية عن حدها انقلبت إلى معصية، كما قال سبحانه:

---

(١)أخرجه مسلم برقم (٢٩٨٥).

(٢)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٥٤)، ومسلم برقم (١٩٠٧).

﴿ قُلۡ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ وَإِخۡوَٰنُكُمۡ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ وَعَشِيرَتُكُمۡ وَأَمۡوَٰلٌ ٱقۡتَرَفۡتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٞ تَخۡشَوۡنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرۡضَوۡنَهَآ أَحَبَّ إِلَيۡكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٖ فِي سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ٢٤ ﴾[التوبة: ٢٤] .

وأما المحبة لأجل الدنيا فبعض الناس صارت موالاتهم ومودتهم لغيرهم لأجل ما عندهم من متاع الدنيا، وإن كانوا من أعداء الله ورسوله ودينه، وإن لم يكن عنده شيء من الدنيا احتقروه وعادوه وإن كان ولياً لله ولرسوله ﷺ .

وكل سبب ووسيلة وصلة كانت في الدنيا لغير الله ستنقطع يوم القيامة، كما قال سبحانه:﴿إِذۡ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَ وَتَقَطَّعَتۡ بِهِمُ ٱلۡأَسۡبَابُ ١٦٦ ﴾[البقرة: ١٦٦] .

وأما المحبة الشركية فهي محبة المخلوق كمحبة الخالق، سواءً كان هذا المخلوق صالحاً أو طالحاً، كمحبة أصحاب القبور كحب الله، وسؤالهم قضاء الحاجات، وشفاء المرضى، والنذر لهم، والاستغاثة بهم ...وهذا كله من الشرك الأكبر :﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادٗا يُحِبُّونَهُمۡ كَحُبِّ ٱللَّهِۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبّٗا لِّلَّهِۗ وَلَوۡ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِذۡ يَرَوۡنَ ٱلۡعَذَابَ أَنَّ ٱلۡقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعٗا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعَذَابِ ١٦٥ ﴾[البقرة: ١٦٥] .

ومنها محبة الكبراء والرؤساء والكهان كحب الله، وطاعتهم في معصية الله، فيحلون لهم ما حرم الله، ويحرمون عليهم ما أحل الله، وهذا أصل الكفر .

ومنها موالاة الكافرين ومحبتهم لأجل كفرهم، أو على رغم كفرهم: ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَلَيۡسَ مِنَ ٱللَّهِ فِي شَيۡءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنۡهُمۡ تُقَىٰةٗۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلۡمَصِيرُ ٢٨ ﴾[آل عمران: ٢٨] .

فسبحان الرب الرحمن الرحيم الذي يتحبب إلى عباده بأنواع النعم، وهو الغني عنهم، وهم يتبغضون اليه بالمعاصي، و هم الفقراء إليه :﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ١٥ ﴾[فاطر: ١٥] .

ألا نحب من يكشف الكربات، ويقضي الحاجات، ويرزق الخلق، ويشفي المرضى، ويغيث المستغيث، ويجيب من دعاه، ويعطي من سأله :﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٖ فَٱعْبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ وَكِيلٞ ١٠٢ ﴾ [الأنعام: ١٠٢] .

هو الحيي الستير الرحيم،يستحي من العبد حيث لا يستحي العبد منه، ويستره حيث لا يستر العبد نفسه، ويرحمه حيث لا يرحم العبد نفسه :﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ١٤٣ ﴾[البقرة: ١٤٣] .

وأما الحب في الله فهو من لوازم الإيمان، فالمؤمن يحب الأنبياء والرسل، ويحب دين الله، ويحب كتابه، ويحب الملائكة، ويحب المؤمنين، لأن الله يحبهم، وأمر سبحانه بحبهم .

والحب في الله، والبغض في الله، من لوازم الإيمان بالله، لأن من أحب الله أحب ما يحبه الله، وأبغض ما يبغضه الله، ووالى من والى محبوبه، وعادى من عادى محبوبه، ويرضى لرضاه، ويغضب لغضبه .

ويجب على المؤمن محبة ما يحبه الله من أنواع الطاعات والعبادات والقربات، ومحبة من يحبهم الله من أهل طاعته من الأنبياء والرسل، وحب أصحاب النبي ﷺ الذين مات وهو راض عنهم، وحب الملائكة الذين يقدسون ربهم، ويستغفرون للمؤمنين، وحب المؤمنين الذين آمنوا بالله وعبدوه وحده لا شريك له، وحب الأزمنة الفاضلة مثل شهر رمضان، وليلة القدر، ويوم عرفة، والعشر الأوائل من شهر ذي الحجة وأمثالها، ويحب الأمكنة الفاضلة كمكة والمدينة والمسجد الحرام والمسجد النبوي والمسجد الأقصى وسائر المساجد، و جبل أُحد ونحو ذلك .

قال النبي ﷺ:(هذه طابة، وهذا أُحُدٌ، وَهو جَبَلٌ يحِبُّنَا وَنُحِبُّهُ.) . متفق عليه [1]

---

(١)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (١٤٨١)، ومسلم برقم (١٣٩٢) .

٣- الأسباب الجالبة لحب الله تعالى

الأسباب الجالبة لحب الله تعالى كثيرة، ومنها دوام ذكر الله عز وجل على كل حال، بالقلب واللسان والجوارح: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ۚ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾ ﴾[الأحزاب: ٤١ – ٤٣] .

ومن الأسباب الجالبة لمحبة الله مشاهدة القلب لأسماء الله الحسنى، ومشاهدة عظمة الله وجلاله وجبروته، ومشاهدة بر الله تعالى وإحسانه إلى خلقه، ورؤية نعمه الظاهرة والباطنة: ﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ۖ هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الحشر: ٢٢ – ٢٣] .

وقراءة القرآن بالتدبر، والتوبة، والتقرب إلى الله بالنوافل بعد الفرائض: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ ﴾[النساء:٨٢].

ومنها إيثار ما يحبه الرب على ما تحبه النفس، والانكسار بين يدي الرب، والتلذذ بمناجاته وقت نزول الله الى السماء الدنيا في ثلث الليل الآخر، واجتناب كل ما يحول بين القلب وربه، ولزوم الاستقامة: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ ﴿٣٢﴾ ﴾ [فصلت: ٣٠ – ٣٢] .

إلى غير ذلك من الأسباب الجالبة لمحبة الله عز وجل .

٤ – علامات حب العبد لربه عز وجل

لمحبة العبد لربه علامات منها:

الأولى: أن يحب العبد ما يحبه الله عز وجل، ويكره ما يكرهه الله عز وجل .

وأن يبادر إلى امتثال أوامر الله، واجتناب نواهيه .

وأن يسارع إلى اتباع الرسول ﷺ في أقواله وأعماله وأخلاقه .

وأن يحب الصحابة والمؤمنين، ويبغض الكافرين والمشركين .

وأن يكثر من ذكر الله، وحمده، واستغفاره، وتسبيحه، وتقديسه، وتكبيرة .

وأن يحب للمؤمنين ما يحب لنفسه، وأن يجد اللذة والأنس عند مناجاة الله تعالى، وأن يرضى بقضاء الله وقدره خيره وشره، وأن يفرح بالطاعات، لأن الله يحبها، وأن يكره المعاصي، لأن الله يكرهها .

وأن يبذل ما يستطيع من أجل رضوان الله، وأن يبذل كل شيء من أجل إعلاء كلمة الله، وإبلاغ دينه: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾﴾ [الحجرات: ١٥] .

الثانية: أن يرغب في الآخرة، ويزهد في الدنيا، ويكثر من التوبة، ويكثر من ذكر الموت والآخرة، وأن يشتاق الى لقاء ربه، ويسارع إلى كل عمل صالح يقربه إلى ربه: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف: ١١٠] .

وإذا غُرست شجرة المحبة في قلب المؤمن، وسقاها بماء الإخلاص، ومتابعة الرسول ﷺ،أثمرت له أنواع العبادات والطاعات والقربات، وآتت أُكُلَهَا كُلَّ حِينِ بِإِذنِرَبهَا،بالإقبالعليامتثالأوامراللهفيكلحال،والمسارعةإليطاعتهفي كل أمر: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا

فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤۡتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينِۢ بِإِذۡنِ رَبِّهَاۗ وَيَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [إبراهيم: ٢٤ – ٢٥] .

الثالثة: من علامات حب العبد لربه أن يضحي بكل ما يستطيع من أجل رضوان الله عز وجل، وإبلاغ دينه، وتعليم شرعه، في مشارق الأرض ومغاربها :﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمۡ يَرۡتَابُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾﴾ [الحجرات: ١٥] .

فهذا المحب لربه حقا، فهو يضحي بماله في سبيل الله يبتغي غنىً يدوم، ويضحي برئاسته من أجل الله يبتغي ملكا يدوم، ويضحي بوقته يبتغي عمرًا يدوم، ويضحي براحته يبتغي راحة تدوم، ويضحي بنفسه يبتغي حياة تدوم، ويضحي بترك أهله وأولاده يبتغي جوار رب العالمين في جنات النعيم: ﴿ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرۡحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴿٧١﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٧٢﴾﴾ [التوبة: ٧١ – ٧٢] .

الرابعة: من علامات حب العبد لربه خشية الله في كل حال.

فالمؤمن يخاف ألا تقبل حسناته، ويخاف من عاقبة ذنوبه، ويخاف من عظمة ربه، ويخاف من الحساب يوم القيامة: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنۡ خَشۡيَةِ رَبِّهِم مُّشۡفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ يُؤۡمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمۡ لَا يُشۡرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤۡتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمۡ وَجِلَةٌ أَنَّهُمۡ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَهُمۡ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴿٦١﴾﴾ [المؤمنون: ٥٧ – ٦١] .

الخامسة: أن يرضى العبد بقضاء الله وقدره مهما كان حلواً أو مراً، فاختيار الله للعبد خير من اختيار العبد: ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾ ﴾[التغابن: ١١] .

وقال النبي ﷺ:(عَجَبًا لأَمْرِ المُؤْمِنِ، إنَّ أمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وليسَ ذاكَ لأَحَدٍ إلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إنْ أصابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ، فَكانَ خَيْرًا له، وإنْ أصابَتْهُ ضَرَّاءُ، صَبَرَ فَكانَ خَيْرًا له). أخرجه مسلم (١)

والعبد مأمور أن يسأل ربه العافية، فإذا نزل به البلاء رضي به .

اللهم إنا نسألك العفو والعافية والمعافاة الدائمة في الدين والدنيا والآخرة .

وحب الله عز وجل أعظم ثمرات معرفة الله عز وجل بأسمائه وصفاته وأفعاله، لأنه يثمر أنواع العبوديات: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾[محمد: ١٩] .

وأعلى درجات العبادة دوامها، فالعبادات القلبية ليس لها وقت محدود لأدائها كعبادات الجوارح، بل هي دائمة في جميع الأوقات، فليست كالصلاة تبدأ بالتكبير وتنتهي بالتسليم، وليست كالصيام يبدأ من الفجر إلى الغروب، وليست كالحج له أشهر معدودة: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾ ﴾[الأحزاب: ٤١ – ٤٣] .

فعبادات القلوب تستغرق كل عمر الإنسان، وكل أوقات المسلم .

فالمؤمن يحب الله في كل أوقاته، ويتوكل على الله في كل أوقاته، ويعظم الله في كل أوقاته، ويخاف الله ويرجوه في كل أوقاته .

وليس الشأن أن تحب الله فقط، لأنه غمرك بنعمه التي لاتعد ولا تحصى، بل الشأن كل الشأن أن يحبك الله، ولن يحبك الله إلا إذا آمنت به، وعبدته وحده لا

---

(١)أخرجه مسلم برقم (٢٩٩٩).

شريك له: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ ﴾[المائدة: ٥٤] .

ومن أحبه الله رضي عنه، وأسعده في الدنيا، وأدخله الجنة في الآخرة .

وأعظم ما يوصل العبد إلى محبة الله أمران :

الأول: الولاية، وهي القرب من الله، ومحبته، وعبادته، والرضا عنه، والثناء عليه،وحمده،وشكره:﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ لَا تَبۡدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٦٤﴾ ﴾[يونس: ٦٢ – ٦٤] .

والولاية أولها الإيمان، وسبيلها الطاعات، وآيتها التقوى، وثمراتها الرضوان ودخول الجنة :﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَٰتِ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمۡ خَيۡرُ ٱلۡبَرِيَّةِ ﴿٧﴾ جَزَآؤُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّـٰتُ عَدۡنٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَشِيَ رَبَّهُۥ ﴿٨﴾ ﴾[البينة: ٧ – ٨].

الثاني: اتباع الرسول ﷺ في كل ما جاء به من ربه: ﴿ قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٣١﴾ ﴾[آل عمران: ٣١] .

٥ - علامات حب الله للعبد

من علامات حب الله للعبد:

الأولى: أن يحبب الله لعبده الإيمان، ويزينه في قلبه، ويُكره إليه الكفر والفسوق والعصيان: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ ۚ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ (٧) فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً ۚ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٨)﴾ [الحجرات: ٧-٨].

الثانية: أن يستعمله الله عز وجل في الاستكثار من أنواع الأعمال الصالحة، وأعمال البر والتقوى والإحسان: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٧١)﴾ [التوبة: ٧١].

الثالثة: أن يجُنب اللهُ عبدَه الدنيا، والتوسع فيها، حتى لا ينشغل بغير ذكر الله، والاستعداد للآخرة: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا (٢٨)﴾ [الكهف: ٢٨].

الرابعة: أن يوفقه الله للفقه في الدين، وييسر له الطاعة كلما هم بها، ويعسر عليه المعصية كلما هم بها: ﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ (٨٨)﴾ [هود: ٨٨].

الخامسة: أن يوفق الله عز وجل المؤمن لكثرة ذكره، وحمده، وشكره، وحسن عبادته، ويعينه على ذلك: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ (١٥٢)﴾ [البقرة: ١٥٢].

السادسة: أن يوفق الله عز وجل عبده لكثرة التوبة والاستغفار، من جميع الذنوب الظاهرة والخفية، والمعاصي القلبية والبدنية: ﴿فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٣٩)﴾ [المائدة: ٣٩].

السابعة: أن يرزقه الله حسن الخاتمة، فيلقى ربه على عمل صالح يرضى به عنه ربه، والله سبحانه حكيم عليم يعطي الدنيا من يحب، ومن لا يحب، ولكنه لا

يعطي الدين إلا من يحب: ﴿ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٧﴾ ﴾[الحجرات: ١٧] .

فإذا رأيت ربك يعطي الدنيا للعبد رغم معاصيه فاعلم أنه استدراج، ثم يأخذه أخذ عزيز مقتدر، وإذا أخذه لم يفلته: ﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾[الأنعام: ٤٤ – ٤٥] .

وقال عز وجل: ﴿ فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾[التوبة: ٥٥] .

والله سبحانه أعطى الدنيا والدين لبعض خواص خلقه، لأنه علم من قلوبهم القوة على اتباع أمره، والإنفاق في سبيله، فجعلوا ما أعطاهم الله من الدنيا سلمًا لنيل الدرجات العلا في الجنة :﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾[الأنفال: ٢ – ٤] .

وإذا أحب الله عبدًا أحبه أهل السماء والارض: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَٰنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾ ﴾[مريم: ٩٦] .

وقال النبي ﷺ: (إنَّ اللهَّ إذا أحبَّ عَبْدًا دعا جِبْرِيلَ فقالَ: إنِّي أُحِبُّ فُلانًا فأحِبَّهُ، قالَ: فيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ، ثُمَّ يُنادِي في السَّماءِ فيَقولُ: إنَّ اللهَّ يحِبُّ فُلانًا فأحِبُّوهُ، فيُحِبُّهُ أهْلُ السَّماءِ، قالَ ثُمَّ يُوضَعُ له القَبُولُ في الأرْضِ) . متفق عليه (١)

الثامنة: من علامات حب الله للعبد الشعور بحلاوة الإيمان .

وحلاوة الإيمان هي التلذذ والأنس بفعل الطاعات، وتحمل المشاق في سبيل الله، وحلاوة الايمان هي الفرح والسرور الذي يجده المؤمن في قلبه بعد كل طاعة من عبادة، أو دعوة، أو تعليم، أو إحسان إلى الخلق: ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ

---

(١)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٣٢٠٩)، ومسلم برقم (٢٦٣٧) .

قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ٢٨ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمۡ وَحُسۡنُ مَـَٔابٖ ٢٩ ﴾[الرعد: ٢٨ – ٢٩] .

ومن مظاهر حلاوة الإيمان الفرح بعد كل طاعة :﴿ قُلۡ بِفَضۡلِ ٱللَّهِ وَبِرَحۡمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلۡيَفۡرَحُواْ هُوَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ ٥٨ ﴾[يونس: ٥٨] .

وقال النبي ﷺ:(للصائم فرحتان فرحه عند فطره، وفرحه عند لقاء ربه)متفق عليه [١]

فرح عند فطره بإتمام الطاعة إلى نهايتها، وفرحة عند لقاء ربه برضوانه ودخول جنته، وهذه الفرحة العظيمة لا تدانيها فرحة التجار بأرباحهم، ولا فرحة أهل الشهوات بشهواتهم، ولا فرحة أهل المناصب بمناصبهم .

ولا تحصل حلاوة الايمان إلا بثلاثة شروط :

قال النبي ﷺ:(ثلاثٌ مَنْ كُنَّ فيه وجَدَ حلاوَةَ الإيمانِ : أنْ يكونَ اللهُ ورسولُهُ أحبُّ إليه مِمَّا سِواهُما ، وأنْ يحِبَّ المرْءَ لا يحُبُّهُ إلَّا لله ، وأنْ يَكْرَهَ أنْ يَعودَ في الكُفرِ بعدَ إذْ أنقذَهُ اللهُ مِنْهُ ؛ كَما يَكرَهُ أنْ يُلْقى في النارِ) متفق عليه [٢]

والمرء مع من أحب، فمن أحب المؤمنين حشر معهم، ومن أحب الكافرين حشر معهم .

وسئل النبي ﷺ عن المرء يحب القوم ولما يلحق بهم،فَقَالَ رَسُولُ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (المَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ) .متفق عليه [٣].

وأعظم ما يحب المؤمن هو ربه الذي خلقه وصوره، ورزقه وهداه: ﴿ هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦٥ ﴾[غافر:٦٥] .

ومن أحب الله كان الله معه، يحفظه، ويرعاه، ويكرمه في الدنيا، ويدخله الجنة في الآخرة، ويجعله بالقرب منه: ﴿ إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَنَهَرٖ ٥٤ فِي مَقۡعَدِ صِدۡقٍ عِندَ مَلِيكٖ مُّقۡتَدِرِۭ ٥٥ ﴾[القمر: ٥٤ – ٥٥] .

---

(١)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (١٩٠٤)، ومسلم برقم (١١٥١).

(٢)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (١٦)، ومسلم برقم (٤٣).

(٣)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦١٦٨)، ومسلم برقم (٢٦٤٠).

فالمؤمِنُ في الجنة أقرب ما يكون إلى الله، لأنه كان في الدنيا يحب الله، ويعبد الله وحده لا شريك له، وهو كذلك جار لرسول الله ﷺ في الجنة، لأنه كان يحب رسول الله ﷺ، ويعمل بشرعه، وهو كذلك مع المؤمنين في الجنة، لأنه كان معهم في الدنيا بالإيمان والأعمال الصالحة .

ومن صدق في حبه لله ولرسوله وللمؤمنين، كان في الجنة مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين: ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَـٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّـٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُوْلَـٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا ﴿٧٠﴾ ﴾[النساء: ٦٩ – ٧٠] .

وكل أولئك في مقعد صدق عند مليك مقتدر .

اللهم إنا نشهدك، ونشهد ملائكتك، ونشهد جميع خلقك، أننا نحبك، ونحب أنبياءك ورسلك، ونحب كل من آمن بك من الجن والإنس، فاهدنا لكل ما تحبه و ترضاه، وأحسن ختامنا، وتوفنا وأنت راض عنا، يا ارحم الراحمين .

﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الأعراف: ٢٣] .

وحب الرسول ﷺ من اتباعه، وطاعته من اتباعه، وتوقيره من اتباعه، ونصرة دينه من اتباعه، والعمل بشرعه من اتباعه، وتصديقه من اتباعه: ﴿ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَـٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ ﴾[الأعراف: ١٥٨] .

ولا يكمل إيمان العبد حتى يكون حب رسول الله ﷺ في قلبه أحب إليه من نفسه وماله وولده ووالده والناس أجمعين .

قال النبي ﷺ: (لا يُؤْمِنُ أحدُكم حتى أكونَ أحبَّ إليه من ولدِهِ، ووالدِهِ، والناسِ أجمعينَ)متفق عليه (١)

وحب الله عز وجل يقتضي الإيمان به، وتوحيده، وعبادته وحده لا شريك له،

---

(١)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (١٥)، ومسلم برقم (٤٤).

والتذلل لله وحده: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٖ فَٱعْبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ وَكِيلٞ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ ﴾[الأنعام: ١٠٢ – ١٠٣] .

وحب الرسول ﷺ حب في الله، لأن الله هو الذي أمرنا بحبه، وتوقيره، واتباعه، وكمال حبه لله عز وجل، وكمال حب الله جل جلاله له: ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴿٨﴾ لِّتُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةٗ وَأَصِيلًا ﴿٩﴾ ﴾[الفتح: ٨ – ٩] .

ونحن نحب رسول الله ﷺ، لأن حبه واتباعه وسيلة لحب الله لنا: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٣١﴾ ﴾[آل عمران: ٣١] .

ونحبه ﷺ لأنه أحسن الناس خَلقًا وخُلقًا، وأحسنهم عبادة لله، وأكملهم تعظيماً لربه، وأعظمهم رحمة بالناس، وللإحسان إلينا بإبلاغنا هذا الدين الذي ننال به رضوان الله والجنة، فهو كما قال عنه ربه: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ ﴿٤﴾ ﴾[القلم: ٤] .

وقال الله عز وجل: ﴿ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولٗا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾ ﴾[آل عمران: ١٦٤] .

ونحب جميع أنبياء الله ورسله، لأنهم رسل الله، ولأنهم عرفوا الناس بربهم وبالطريق الموصل إليه، وما للناس بعد القدوم عليه، ولأنهم أرحم الخلق بالخلق، وأحرص الناس على هداية الخلق، ولأنهم الذين تعبوا من أجل أن يسعد الناس في الدنيا والآخرة: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةٗ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾ [الأنبياء: ١٠٧] .

٦ - الذين يحبهم الله عز وجل

والذين يحبهم الله عز وجل هم أهل الصفات الإيمانية، وهم الذين اشتراهم الله عز وجل، والذين ذكر الله صفاتهم بقوله:﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلۡعَٰبِدُونَ ٱلۡحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلۡأٓمِرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١١٢﴾[التوبة: ١١٢].

فالله عز وجل يحب المؤمنين، ويحب الصادقين، ويحب التوابين، ويحب المتطهرين، ويحب المتقين، ويحب الشاكرين، ويحب الصابرين، ويحب المحسنين، ويحب المقسطين، ويحب المجاهدين في سبيل الله، ويحب المتوكلين على الله،ومن أحبه الله أسعده في الدنيا والآخرة، وغفر ذنوبه، وأجزل له المثوبة :﴿إِنَّ ٱلۡمُسۡلِمِينَ وَٱلۡمُسۡلِمَٰتِ وَٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ وَٱلۡقَٰنِتِينَ وَٱلۡقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلۡخَٰشِعِينَ وَٱلۡخَٰشِعَٰتِ وَٱلۡمُتَصَدِّقِينَ وَٱلۡمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلۡحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمۡ وَٱلۡحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمٗا ٣٥﴾ [الأحزاب: ٣٥].

وأعظم صفات من يحبهم الله عز وجل:

الأولى: إن الله يحبهم ويحبونه،فهم يحبون ربهم لكمال ذاته، وكمال أسمائه وصفاته وأفعاله،وكمال إنعامه وإحسانه، و هو يحبهم لكمال توحيدهم، وايمانهم، وتقواهم: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ٥٤ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمۡ رَٰكِعُونَ ٥٥﴾[المائدة: ٥٤ – ٥٥].

الثانية: أنهم أذلة على المؤمنين، فهم يحبون من يحب الله، ويرحمونهم، ويعطفون عليهم، ويواسونهم، ويرفقون بهم، ويلينون لهم :﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ ﴾ [آل عمران: ١٥٩] .

الثالثة: أنهم أعزة على الكافرين، فأثمر حبهم لله عز وجل حب المؤمنين، وبغض الكافرين، فهم يبغضون من يبغض الله من الكافرين، لكفرهم بالله العظيم، ومبارزته بالمعاصي، وصدهم عن سبيل الله، وإصرارهم على الكفر .

فالكفار هؤلاء هم أعداء الله، ورسوله، والمؤمنين، ووجب بغضهم وجهادهم: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٣﴾ ﴾[التوبة: ٧٣] .

الرابعة: أنهم يجاهدون في سبيل الله، حتى يكون الدين كله لله، فدفعهم حبهم لله عز وجل إلى دعوة الناس للإيمان بالله، وحبه، والدخول في دينه، وجاهدوا في سبيل الله بالقرآن واللسان والسلاح، ليرفعوا راية التوحيد والإيمان في أنحاء الأرض، ويزيلوا راية الكفر والشرك من على الأرض، ثم الناس بعد ذلك بالخيار: ﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّۚ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾ ﴾[البقرة: ٢٥٦].

فكم يحب الله عز وجل من آمن به، وجاهد في سبيله، وكم يحب من يكون سببا لتوبة الناس إليه، وحبهم له :﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾ ﴾ [البقرة: ٢٢٢] .

الخامسة: أنهم لا يخافون في الله لومة لائم، لأن حبهم لله أنساهم ما سوى الله، فلم يلتفتوا إليه، ولم يبالوا بمن يلومهم في حب الله والجهاد في سبيله، فكلهم دائم الذكر لربه، شديد المراقبة لله، لا تأخذه في الله لومة لائم.

فهؤلاء لم تمنعهم رهبة الناس، والخوف منهم، من الصدع بالحق، والثبات عليه، لأنهم يعرفون أن ذلك لا يقرب من أجل، ولا يمنع من رزق: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٦٩﴾ [العنكبوت: ٦٩].

وقال عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ٥٤ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمۡ رَٰكِعُونَ ٥٥﴾ [المائدة: ٥٤ – ٥٥].

٧- ثمرات حب العبد لربه

إذا عرف العبد ربه أحبه، وشمر إلى طاعته، وبذل كل شيء من أجل رضاه، ومن أحب الله سارع إلى أنواع عبادته، واجتهد في امتثال أوامره، وإن فتر الناس عن عبادته: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾ [الأنفال: ٢ – ٤] .

ومن أحب الله استيقظ قبل الناس، وسار الى الله قبلهم: ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾ كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾ ﴾[الذاريات: ١٥ – ١٨] .

ومحبة الله تدفع العبد إلى طاعة الله، وتمنعه من أن يعصيه، حياءً منه، وإجلا لا له كما هي حال الأنبياء: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾[الأنبياء: ٩٠] .

ومحبة الله عز وجل ثمرة معرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله .

فمن عرف الله أحبه، ومجده، وحمده، وشكره، وآمن به، ووحده: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾[محمد: ١٩] .

ومحبة الله سبب لدخول جنة الدنيا، فيدعوه حبه لربه إلى التقرب إليه بالنوافل بعد الفرائض، والأنس بمناجاته، وهذه جنة الدنيا، فمن دخلها أدخله الله جنة الآخرة :﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ

وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [السجدة: ١٥ – ١٧] .

ومحبة الله تثمر الإكثار من ذكره، وحسن عبادته، والفوز بجنته، ورضوانه: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾﴾ [التوبة: ٧٢] .

وقال عز وجل: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُوا۟ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُوا۟ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [البقرة: ٢٥] .

اللهم ارزقنا حبك، وحب من يحبك، وحب كل عمل يقربنا إلى حبك .

﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٣﴾﴾.

عبادات القلوب

في ضوء القرآن والسنة

العبادة الخامسة

عبادة الخوف من الله جل جلاله

وتشتمل هذه العبادة العظيمة على المباحث الآتية :

الأول: منزلة الخوف من الله عز وجل.

الثاني: أقسام الخوف .

الثالث: الأسباب الجالبة لخوف الله عز وجل.

الرابع: أنواع الخوف من الله عز وجل.

الخامس: ثمرات الخوف من الله عز وجل.

السادس: جزاء الخوف من الله عز وجل.

العبادة الخامسة

عبادة الخوف من الله عز وجل

١ - منزلة الخوف من الله عز وجل

الخوف من الله عز وجل من العبادات القلبية العظيمة .

والخوف هو وَجَلُ القلب وخوفه بسبب توقّع عقاب الله في المستقبل، على ما اقترف العبد من المعاصي :﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ ﴾[الرحمن: ٤٦] .

والخوف من الله عز وجل هو مقتضى الإيمان بأسماء الله وصفاته وأفعاله، فالخوف أثرٌ من آثار الإيمان بأسماء الله القوي، القادر، القاهر، القهّار، الملك، العزيز، الجبّار، المتكبّر، العليم ، الخبير، السميع، البصير، وغيرها من الأسماء الحسنى:﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾ ﴾[الأعراف: ١٨٠] .

فالله هو القوي الذي لا يقف له شيء، ولا يمتنع عليه شيء، وهو القادر الذي لا يعجزه شيء، وهو القاهر لكل ما سواه، وهو القهّار الذي قهر كل شيء على ما أراد:﴿ سُبْحَٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٤﴾ ﴾[الزمر: ٤] .

وهو العزيز في مُلكهِ وسُلطانهِ، وهو الجبّار الذي أذلّ الجبابرة ودمرهم، الجبّار الذي يَجبُرُ قلوب المنكسرين من عباده، وهو الملك الذي بيده الملك كله، وبيده الأمر كله، وإليه يرجع الأمر كله، وهو الكبير الذي لا أكبر منه، المتكبّر عن جميع صفات النقص والعيب والعجز، وعن جميع صفات الخلق: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ ﴾[الشورى: ١١] .

وهو العليم الخبير الذي لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، وهو السميع البصير الذي يسمع كلّ صوت، ويُبصر كلّ ذرةٍ ومجرة: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ ﴾[الحشر: ٢٢ – ٢٤] .

والرب الذي هذه أسماؤه وصفاته وأفعاله، وهذه عظمته وجلاله، وهذه قوته وقدرته؛ هو الذي يستحق العبادة وحده لا شريك له، وأن يُخافَ وحده، وأن يُخشى وحده: ﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾[الزمر: ٦٧] .

والخوف من الله جل جلاله، والخشية لله، من أعظم عبادات القلوب التى لا يصحُّ الإيمان إلا بهما، ولا تُقبل العبادة إلا بهما: ﴿ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾ ﴾[آل عمران: ١٧٥] .

فالخوف من الله شرطٌ لصحة الإيمان، وصحة الأعمال الصالحة: ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۩ ﴿٥٠﴾ ﴾[النحل: ٤٩ – ٥٠] .

ومتى زاد العلم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله زاد الإيمان بالله، وزاد الخوف من الله، وزادت الخشية لله، وزادت طاعة الله، وقلّت معاصيه، وزاد ثوابه من ربه: ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ ﴾[الرحمن: ٤٦].

ومتى قلّ خوف العبد من الله، نَقص إيمانه، وقلّت طاعاته، وكثُرت معاصيه وزادت عقوباته: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ١٩﴾[محمد: ١٩].

فالخوف من عبادات القلب العظيمة، ولا يقبل الله عبادةً خَلَتْ من الخوف من الله، ومن عبد الله بغير خوف رُدَّت عليه عبادته، لأنه ليس بمؤمن: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمۡ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ١٧٥﴾[آل عمران: ١٧٥].

والخوف من الله جل جلاله عبادة الملائكة، والأنبياء، والمرسلين، والمؤمنين.

قال الله عز وجل عن خوف الملائكة: ﴿وَلِلَّهِ يَسۡجُدُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ مِن دَآبَّةٖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ ٤٩ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ۩ ٥٠﴾[النحل: ٤٩-٥٠].

وقال سبحانه: ﴿وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعۡدُ بِحَمۡدِهِۦ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ مِنۡ خِيفَتِهِۦ﴾[الرعد: ١٣].

وقال عز وجل عن خوف الملائكة: ﴿يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡ وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ وَهُم مِّنۡ خَشۡيَتِهِۦ مُشۡفِقُونَ ٢٨﴾[الأنبياء: ٢٨].

وقال عز وجل عن خوف الأنبياء والمرسلين: ﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ٩٠﴾[الأنبياء: ٩٠].

وقال عز وجل ﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخۡشَوۡنَهُۥ وَلَا يَخۡشَوۡنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ﴾ [الأحزاب: ٣٩].

وقال عن خوف نبيه محمد ﷺ: ﴿قُلۡ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنۡ عَصَيۡتُ رَبِّي عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ١٣﴾ [الزمر: ١٣].

وقال عز وجل عن خوف المؤمنين: ﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَـٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [السجدة: ١٥ – ١٧].

وزوال الخوف من قلب العبد يتضمن الأمن من مكر الله، ومن كان كذلك فليس بمؤمن: ﴿ أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ ﴿٩٩﴾ ﴾ [الأعراف: ٩٩] .

وقد أمر الله عز وجل بالخوف منه وحده، ونهى عن الخوف من غيره، بقوله: ﴿ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾ ﴾ [آل عمران: ١٧٥] .

والله وحده بيده مقاليد كلّ شيء، وغيره ليس بيده شيء، فيجب أن يُخافَ الله وحده، وأن يُعبد الله وحده، لما له من الأسماء الحسنى، والصفات العُلا، والأفعال الكبرى: ﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٧﴾ ﴾ [الإسراء: ٥٦ – ٥٧] .

ومن كان الله وليُّه حفظه وكفاه من كل ما سواه: ﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ۖ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٦﴾ ﴾ [الزمر: ٣٦].

والناس متفاوتون في الخوف من الله تعالى بحسب علمهم بالله وأسمائه و صفاته وأفعاله .

فمن الناس من يخاف الله، ويخاف من عقوبته، ويرجو رحمته، وهؤلاء في أعلى الدرجات: ﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَـٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾[السجدة: ١٥ – ١٧].

ومنهم من يمنعه خوفه من الله من فعل المحرّمات، ومنهم من يدفعه خوفه من الله إلى فعل الواجبات، كما قال سبحانه: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَـٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ ﴾[فاطر: ٣٢] .

وهؤلاء كلّهم في الجنّة: ﴿ جَنَّـٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣٣﴾ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ ۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ ﴾[فاطر: ٣٣ – ٣٤] .

ومن الناس من يخاف الناس أكثر من خوفه من الله، فيُرضي أعداء الله بسخط الله، حتى يأمن مكرهم وأذاهم، فيكون جزاؤه الخوف الشديد، والفزع في الدنيا والآخرة: ﴿ فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾ ﴾[الشعراء: ٢١٣] .

وقال عز وجل: ﴿ لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴿٢٢﴾ ﴾[الإسراء: ٢٢] .

٢ - أقسام الخوف

أقسام الخوف أربعة:

الأول: الخوف من الله عز وجل:

وهذا أعظم أنواع الخوف وهو شرطٌ لصحة الإيمان، وقبول الأعمال الصالحة: ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ ﴾[الرحمن: ٤٦] .

وهذا الخوف يستلزم الإسراع إلى طاعة الله بكمال الحبّ والتعظيم والذلّ لله عز وجل، والفرار من معصية الله، ويستلزم عدم الأمن من مكر الله، وعدم القنوط أواليأس من رحمة الله، لأن اليأس من رحمة الله سوءُ ظنٍّ بالله، وقطعُ الرجاء في الله جهلٌ بسعة رحمةِ الله .

فالمؤمن يجمع في عبادة الله بين الخوف والرجاء، ويُستحبّ أن يُغلّب الخوف على الرجاء حال الصحة والقوة، وأن يُغلّب الرجاء على الخوف حال مرض العبد، واقتراب أجله، كالأنبياء عليهم الصلاة والسلام:﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [الأنبياء: ٩٠] .

الثاني: الخوف المحرّم:

وهو أن يخاف العبد من أذى بعض النّاس، فيترك ما يجب عليه من الواجبات، أو يفعل ما يحَرُمُ عليه من المحرّمات، خوفا من الناس، والواجب على العبد أن يُرضي الله عز وجل، ولو سَخِطَ الناس عليه، ويحَرمُ عليه إرضاء الناس بسَخط الله:﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا۟ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾ ﴾[النساء: ١٤٢].

والمنافق يُرضي الناس ويوافقهم في الظاهر، ويُسخطُ ربه في الباطن: ﴿ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ ﴾[التوبة: ٦٢] .

وقال النبيﷺ: "مِنِ التمسَ رضا اللهِّ بسَخطِ النَّاسِ رضيَ الله تعالَى عنْه وأرضَى

عَنْه النَّاسِ، ومَنِ التمسَ رضا النَّاسِ بسخطِ اللهِّ سَخِطَ اللهُّ عَليهِ وأسخطَ عليه النَّاسِ". أخرجه الترمذي[1] .

الثالث: الخوف الشِّركي:

وهو أن تجعل لله ندًّا تخافه كما تخاف الله، كأن يخافَ العبد صاحب القبر أن يغضب عليه إذا ترك تعظيمه، أو يخاف من صنم أن يصيبه بما يكره إذا ترك ما يرضيه، أو يخاف من طاغوت أن يؤذيه، فيداهنه على حساب دينه، فيطيعه فيما أحلّ وحرّم على عكس مُراد الله، وهذا كله من الشرك الأكبر: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾﴾ [المائدة: ٧٢].

الرابع :الخوف الطبيعي:

وهو أن يخاف الإنسان من أسدٍ أو عدوٍ أو مرضٍ، أو يخاف من الغرق أو النار، و أمثال ذلك، وهذا خوف فطري مباح، كما قال الله مخُبرًا عن موسى وهارون عند لقاء فرعون: ﴿ قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ ﴿٤٥﴾ قَالَ لَا تَخَافَآ ۖ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾﴾[طه: ٤٥ – ٤٦].

وهذا الخوف إذا استقر في القلب، ثم أدّى لفعل محُرّم كان محُرّمًا؛ كأن يفرّ من الزحف ومعه ما يكفي من السلاح .

وهذا الخوف يُذهب اليقين، وحُسن التوكل على الله: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾﴾ [آل عمران: ١٧٣] .

فأذهبَ هذا التوكل على الله من المؤمنين كل خوفٍ فيقلوبهم:﴿فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾﴾[آل عمران: ١٧٤ – ١٧٥] .

---

(١)صحيح/ أخرجه الترمذي برقم (٢٤١٤)، وابن حبان برقم (٢٧٧) .

٣- الأسباب الجالبة لخوف الله عز وجل

الأول: أن يعلم العبد أن الله هو الملك العزيز الجبار، العليم بكل بشيء، القادر الذي لا يُعجزه شيء، ولا يخفى عليه شيء، ولا يمتنع عليه شيء، ولا يقف له شيء، ومَنْ هذه أسماؤه وصفاته وأفعاله فيجب على العباد أن يخافوه ويخشوه ويعبدوه بموجب ذلك: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾[فاطر: ٢٨].

الثاني: أن يخاف العبد من وقوفه بين يدي ربه العظيم للحساب، ويتذكر ذلك الموقف، ويستعدّ له بفعل الطاعات، واجتناب المعاصي، والتوبة إلى الله عز وجل: ﴿ إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾﴾[الغاشية: ٢٥ – ٢٦] .

وقال عز وجل:﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾﴾[الأنبياء: ٤٧].

الثالث: أن يخاف مقام ربه العظيم فلا يُعصيه في ملكه، ولا يعصيه وهو يتقلّب في نعمه العظيمة: ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾﴾[الرحمن: ٤٦] .

الرابع: أن يخاف العبد من عقاب الله وعذابه يوم القيامة، كما قال سبحانه عن المؤمنين:﴿ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴿١٠﴾ فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴿١١﴾ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُواْ جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿١٢﴾﴾[الإنسان: ١٠ – ١٢] .

وقال عز وجل لرسوله ﷺ :﴿ قُلْ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣﴾﴾ [الزمر: ١٣] .

وقال الله عن الكفار:﴿ لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ۚ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥ ۚ يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ ﴿١٦﴾﴾[الزمر: ١٦] .

الخامس: أن يخاف المؤمن من الخزي يوم القيامة، والطرد من رحمة الله، ودخول النار، كما قال إبراهيم ﷺ:﴿ وَلَا تُخْزِنِى يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴿٨٧﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾[الشعراء: ٨٧ – ٨٩] .

وعبادة الله عز وجل لا بد أن تكون مقرونةً بالحب لله، والتعظيم له، والذل له، والخوف منه، والرجاء له، والافتقار إليه، وتلك عبادة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾[الأنبياء:٩٠].

السادس: أن يسأل المؤمن ربه أن يرزقه الخوف منه، فالله لا يرد سائلاً، ولا يخيب مؤملاً: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾[غافر: ٦٠].

السابع: أن يتفكر العبد في عظمة خلق الآيات الكونية: ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٨﴾﴾[ق: ٦ – ٨].

الثامن: أن يتفكر العبد في عظمة الآيات القرآنية، وما فيها من الأخبار الصادقة، والأحكام العادلة، والقصص النافعة: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾﴾[ص: ٢٩].

٤ - أنواع الخوف من الله عز وجل

أنواع الخوف من الله ثلاثة وهي:
الخشيةُلله .. والوجلُ منه .. والرهبةُ منه.

وخوف الله عز وجل من أجلّ العبادات، وهو المُحرِّك للعبد لطاعة مولاه، واجتناب معاصيه، فمن خاف الله أطاعه ولم يعصه، خوفًا من عظمته وبطشه، وخوفًا من وعيده لمن أقام على مخالفته، وخوفًا من الخِزي والفضيحة يوم الحساب.

والخشية لله عز وجل هي خوف العلماء، فهم أعلم الناس برب الناس، وأشدهم خشيةً له: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾ [فاطر: ٢٨].

والوجلُ من الله هو خوف الطائعين، فهم أعلم بعيوب أعمالهم، كم كان فيها من العُجْبِ، والرياء، والمنّ، ورؤية النفس، وخلاف السنّة، والتقصير، والغفلة: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال: ٢ – ٤] .

فقلوبهم على وجل، هل يقبل الله أعمالهم على نقصِها، فإن قبلها الله فبكرمه، وإن ردّها فلعدله: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴿٦١﴾﴾[المؤمنون: ٦٠ – ٦١] .

والرهبة من الله هي خوف المسرفين، فمن أفاق من جنايته وجرمه، فرّ إلى ربه تائبًا نادمًا على ما بارز به ربّه، فلم يجد أرحم من الله يرحمه، ولم يجد أقوى من الله يحتمى به، ويلجأ إليه، فإذا هو ربه الذي فرّ منه، وإذا به كلما فرَّ منه فرَّ إليه، فلا ملجأ ولامنجى من الله إلا إليه، وإذا هو كلما هرب من عذابه اقترب من

رحمته وثوابه، وكلما ابتعد من سخطه دنا من رضاه، فآب إليه، ورجع يطلب رضاه، ويمتثل أوامره، فأكرمه الله بقبول توبته، ومضاعفة ثوابه، ودخول جنته: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [الأنبياء: ٩٠].

وقال عز وجل: ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ أَخَذَ ٱلْأَلْوَاحَ ۖ وَفِى نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴿١٥٤﴾﴾ [الأعراف: ١٥٤].

والخشية هي: خوفٌ مقترنٌ بعلم ومعرفة، وخوفٌ مقترن بتعظيم الله ومحبته: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾ [فاطر: ٢٨].

فالعلم بجلال الله وقدرته يُثمر خشوع القلب، وتعظيم الرب، والانكسار بين يديه: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾﴾ [محمد: ١٩].

والعلماء هم ورثة الأنبياء، وهم أعرف الناس بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله، وكمال عظمته وقدرته وكبريائه، فهم يعلمون أن الله جل جلاله إذا غضب لا يقوم لغضبه شيء، وإذا أخذ أخذ أخذ عزيزٍ مقتدر: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [هود: ١٠٢].

وكلما زاد علم العبد بربه وأسمائه وصفاته وأفعاله ازداد تعظيمًا له، وخشيةً له وخوفًا منه، وانكسارًا بين يديه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾﴾ [الملك: ١٢].

فالعالم بعظمة ربه يُشفق على نفسه وأهله من عذاب الله، ومن موقفه يوم القيامة بين يدي الله، فيسارع إلى كل ما يحبه الله ويرضاه، ويحذر من كل ما يُسخِط ربه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴿٦١﴾﴾ [المؤمنون: ٥٧ - ٦١].

وكل علمٍ لم يُورِث خشية الله في قلب العبد، فهو وبالٌ على صاحبه يوم القيامة، فليس العلم بكثرة الرواية، ولكن العلم ما أثمر خشيةَ الله: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ٢٨﴾[فاطر: ٢٨] .

فالعلم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله هو الذي يُورِث حُبّ الله، وتعظيم الله، وخشية الله، والخوف من الله، وامتثال اوامر الله، واجتناب نواهيه :﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ٣ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّاۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ٤﴾[الأنفال:٢ – ٤].

وقد حذّر الله عباده المؤمنين أن يخشوا الكفار والظلمة، وأن لا يتركوا الجهاد في سبيل الله خوفًا منهم: ﴿أَتَخْشَوْنَهُمْۚ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ١٣﴾ [التوبة: ١٣] .

وثمرات خشية الله عز وجل تدفع العبد إلى الاجتهاد في الطاعات، والمسارعة إلى أنواع العبادات والقُرُبات، فأكثر الناس خشيةً لله أكثرهم له طاعة، وأعظمهم له حبًا، وأدومهم له ذكرًا، وأكثرهم له استغفارًا، لأن خشية الله قد أحرقت مواطن الشهوات في قلوبهم، وأغلقت أبواب الهوى عن نفوسهم، ودفعتهم إلى تحقيق مراد ربهم:﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ١٩﴾[محمد: ١٩] .

والعلماء هم أخشى الناس لله، وأتقاهم له، وخشيةُ الله سبيل الفوز والفلاح يوم القيامة:﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ٥٢﴾ [النور: ٥٢] .

وخشية الله سببٌ لمغفرة الله، وحصول الأجر العظيم، والفوز بالجنة، والنجاة من النار:﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ١٢﴾[الملك: ١٢].

وخشية الله سببٌ لرضوان الربّ جل جلاله:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ خَيۡرُ ٱلۡبَرِيَّةِ ٧ جَزَآؤُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَشِيَ رَبَّهُۥ ٨ ﴾[البينة: ٧ – ٨] .

وخشيةُ الله سببٌ لإتمام نِعَمِ الله على العبد:﴿فَلَا تَخۡشَوۡهُمۡ وَٱخۡشَوۡنِي وَلِأُتِمَّ نِعۡمَتِي عَلَيۡكُمۡ وَلَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ١٥٠ ﴾[البقرة: ١٥٠] .

ومحاسبة النفس، ومراقبة الله، من أعظم ثمرات الخوف من الله : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١٨ ﴾ [الحشر: ١٨] .

وقوة الخوف من الله جل جلاله ناتجةٌ عن قوة العلم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله، والعلم بعيوب النفس وتقصيرها، والعلم بعقاب الله للمعرضين عنه، والعلم بشدة عذاب النار يوم القيامة: ﴿إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ٢٨ ﴾[فاطر: ٢٨] .

وقالﷺ: "لو تعلَمُون ما أعلمْ، لَضَحِكتُم قليلًا ولبَكيْتُم كثيرًا ". متفق عليه [١].

ومن بكى من خشية الله لم تمسُه النار:

قال النبيﷺ: " عينان لا تمسهما النار : عينٌ بكتْ من خشيةِ الله، وعينٌ باتتْ تحرِسُ في سبيل الله ". أخرجهالترمذي[٢] .

وهذا البكاء من خشية الله ليس لِعظَمِ الذنب، وإنما كان من أجل المعرفة بعظمة الرب، وليس من كثرة الذنوب، وإنما كان من صفاء القلوب:﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ ١٢ ﴾[الملك: ١٢] .

---

(١)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٤٨٥)، ومسلم برقم (٤٢٦).

(٢)صحيح/ أخرجه الترمذي برقم (١٦٣٩) .

وحقيقة الوجل: هو ارتجاف قلب المؤمن خوفًا ألّا تُقبل حسناته، وألّا تُغفر سيئاته، مع المسارعة إلى الخيرات: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤۡتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمۡ وَجِلَةٌ أَنَّهُمۡ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَهُمۡ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴿٦١﴾ ﴾[المؤمنون: ٦٠ – ٦١].

فهؤلاء المؤمنون يعملون الصالحات، لكنهم خائفون ألّا تُقبل أعمالهم، لأنهم راجعون إلى الله، وسوف يسألهم عن أعمالهم، وهم يرونها لا تَصلُح للعرض على الله، لما فيها من العيوب الظاهرة والباطنة .

فالوجل عبادةٌ قلبيةٌ عظيمةٌ، روحُها الانشغال بِقَبول العمل، والخوف من حبوط العمل، والنظر في نقص العمل، وأنه غير لائق بجلال الله: ﴿ وَإِذۡ يَرۡفَعُ إِبۡرَٰهِـۧمُ ٱلۡقَوَاعِدَ مِنَ ٱلۡبَيۡتِ وَإِسۡمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلۡ مِنَّآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ ﴾[البقرة: ١٢٧].

وحقيقة الرهبة: خوفٌ مع هرب، فالإنسان يفرّ ممن يخاف منه، من إنسان أو حيوان، لكن المؤمن يفرُّ من الله إليه، فلا ملجأ ولا منجى منه إلا إليه، فالمؤمن يفرّ من غضب الله إلى مرضاته، ومن معصية الله إلى طاعته، ومن عقوبة الله إلى مثوبته: ﴿ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجۡعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ﴿٥١﴾ ﴾[الذاريات: ٥٠ – ٥١].

الرهبة هي تعظيمٌ لله، وخوفٌ منه، وفِرارٌ منه إليه: ﴿ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ وَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ﴿٤٠﴾ ﴾[البقرة: ٤٠].

٥ - ثمرات الخوف من الله عز وجل

الخوف من الله عز وجل يثمر للعبد أعظم الثمرات:

الأولى: أن خوف اللهجل جلاله يدفع العبد إلى طاعة الله، فالخوف يقود العبد إلى الاستعداد ليوم القيامة، فيلزَمُ الطاعات، ويكفّ عن المعاصي ، ويحسن أعماله، لأنه يعرف أن ربه مطلعٌ عليه، فيجتنب الرياء و العُجُب والكِبر، ويعبد الله كأنه يراه:﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَـٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ (١٥) تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ (١٦) فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ (١٧) ﴾[السجدة: ١٥ – ١٧] .

الثانية: خوف الله يثمر للعبد إخلاص العمل لله، واتباع السنّة، والحذر من البِدعة: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ (١٩) ﴾[محمد: ١٩] .

الثالثة: خوف الله يزيد الإيمان في قلب المؤمن، فإذا زاد الإيمان زادت أنواع العبادة، كما قال الله عن المؤمنين:﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَـٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ (١٧٣) ﴾[آل عمران: ١٧٣] .

فزيادة الخوف في قلب المؤمن يثمر له زيادة العبادة، وزيادة العبادة تزيد الإيمان، فالإيمان يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية.

الرابعة: أن الخوف من الله سبب للتمكين في الأرض، وإهلاك الأعداء كما قال سبحانه:﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۖ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ (١٣) وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِى وَخَافَ وَعِيدِ (١٤) ﴾[إبراهيم: ١٣ – ١٤] .

الخامسة: الخوف من الله سبب للنجاة في الدنيا والآخرة، فمن اتقى الله وقاه، و من خاف الله أمّنه في الدنيا والآخرة، ومن توكل على الله كفاه: ﴿ ٱلَّذِينَ

ٱسۡتَجَابُواْ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعۡدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلۡقَرۡحُۚ لِلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ مِنۡهُمۡ وَٱتَّقَوۡاْ أَجۡرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُواْ بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ لَّمۡ يَمۡسَسۡهُمۡ سُوٓءٞ وَٱتَّبَعُواْ رِضۡوَٰنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضۡلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾﴾ [آل عمران: ١٧٢ – ١٧٤] .

السادسة: أن الله جل جلاله جعل الأمن لمن آمن بالله وخافه: ﴿فَأَيُّ ٱلۡفَرِيقَيۡنِ أَحَقُّ بِٱلۡأَمۡنِۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٨١﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الأنعام: ٨١ – ٨٢] .

فالمؤمنون هم أصحاب الأمن في الدنيا والآخرة، والكفار هم أهل الخوف في الدنيا والآخرة: ﴿قُلۡنَا ٱهۡبِطُواْ مِنۡهَا جَمِيعٗاۖ فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٣٩﴾﴾ [البقرة: ٣٨ – ٣٩] .

السابعة: إذا كمُل خوف الله في قلب العبد زال منه خوف ما سواه من الخلق، وإذا عرف العبد عظمة ربه وجلاله هابه وخاف منه، وصَغُر في عينه كل ماسواه: ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ ﴿٣﴾ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ ﴿٤﴾﴾ [الإخلاص: ١ – ٤] .

الثامنة: أن من خاف الله جل جلاله أشُبه الملائكة الذين يخافون ربهم من فوقهم، كما قال الله عنهم: ﴿وَلِلَّهِ يَسۡجُدُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ مِن دَآبَّةٖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ ﴿٤٩﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ۩ ﴿٥٠﴾﴾ [النحل: ٤٩ – ٥٠] .

التاسعة: أن من خاف الله أشبه الأنبياء والرسل في خوفهم من ربهم، فهم أعلم الناس بربهم: ﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخۡشَوۡنَهُۥ وَلَا يَخۡشَوۡنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبٗا ﴿٣٩﴾﴾ [الأحزاب: ٣٩] .

فعلمهم بأسمائه و صفاته و أفعاله هو الذي دفعهم إلى الخوف من الله جل جلاله

فهم أعلم الخلق بربهم، وأشدهم له خشية:﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمۡ تَكُن تَعۡلَمُۚ وَكَانَ فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكَ عَظِيمٗا ١١٣﴾[النساء: ١١٣].

فالأنبياء يعلمون من صفات الله مايوجب تعظيمه وخوفه وحبه، ما لا يعلمه الناس.

العاشرة: أن خوف الله جل جلاله يثمر سعادة العبد في الدنيا والآخرة: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٦٢ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ٦٣ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ لَا تَبۡدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ٦٤﴾[يونس: ٦٢ – ٦٤].

الحادية عشرة: أن من خاف الله رجاه، فنال رحمته:﴿ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةًۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ٥٥ وَلَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بَعۡدَ إِصۡلَٰحِهَا وَٱدۡعُوهُ خَوۡفٗا وَطَمَعًاۚ إِنَّ رَحۡمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ مِّنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٥٦﴾[الأعراف: ٥٥ – ٥٦].

فمن خاف من الله أحبه،واتقاه، وأطاعه، لينال وعده الكريم، وينجو من وعيده الأليم.

الثانية عشرة: أن من خاف من الله فرّ إليه، واطمأن بذكره:﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ٢٨ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمۡ وَحُسۡنُ مَـَٔابٖ ٢٩﴾[الرعد: ٢٨ – ٢٩].

والمؤمن يحب الله، لأنه أهلٌ أن يحَبّ، والمؤمن يخاف الله، لأنه أهلٌ أن يُخاف، والمؤمن يشكر الله، لأنه أهلٌ أن يُشكر، والمؤمن يُكبّر الله، لأنه أهلٌ أن يُكبَّر، والمؤمن يعبد الله، لأنه أهلٌ أن يُعبد، لما له من الأسماء الحسنى، والصفات العُلان والافعال الحميدة: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ١٠٢ لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ١٠٣﴾[الأنعام: ١٠٢ – ١٠٣].

٦- جزاء الخوف من الله عز وجل

الأول: دخول الجنة:

فمن خاف الله رزقه الله منازل السابقين، ورفعه إلى مقام المقربين: ﴿ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ مَا سَعَىٰ ﴿٣٥﴾ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ ﴿٣٦﴾ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾ ﴾ [النازعات: ٣٤ – ٤١].

وقال عز وجل: ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ ﴾ [الرحمن: ٤٦].

الثاني: النجاة من النار:

فمن خاف الله في الدنيا فله الأمن في الدنيا، والأمن يوم القيامة، والنجاة من النار: ﴿ ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾ يَٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٦٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ﴿٦٩﴾ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾ [الزخرف: ٦٧ – ٧٠].

وقال الرسول ﷺ: "لا يَلِجُ النَّار رجلٌ بَكَى من خَشيَةِ الله" . أخرجه أحمد والنسائي[(١)] .

الثالث: أن من خاف الله مكّن له في الارض، ونصره على من عاداه: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۖ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٣﴾ وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِى وَخَافَ وَعِيدِ ﴿١٤﴾ ﴾ [إبراهيم: ١٣ – ١٤].

فمن خاف الله أخاف الله منه كلّ شيء، ومكّن له في الأرض، ونصره على عدوه، ورزقه الأمن بعد الخوف في الدنيا، وأمّنه الأمن التام يوم القيامة: ﴿ فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾ [البقرة: ٣٨].

---

(١) صحيح/ أخرجه احمد برقم (١٠٥٦٠)، والنسائي برقم (٣١٠٧).

الرابع: أن من خاف من الله استجاب الله دعاءه، وخذل أعداءه: ﴿ إِنَّمَا يُؤۡمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِهَا خَرُّواْ سُجَّدٗا وَسَبَّحُواْ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمۡ عَنِ ٱلۡمَضَاجِعِ يَدۡعُونَ رَبَّهُمۡ خَوۡفٗا وَطَمَعٗا وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [السجدة: ١٥ –١٧] .

الخامس: أن من خاف الله خشيه واتقاه في كل حال، وفاز بمغفرته وجنته: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ ﴿١٢﴾ ﴾ [الملك: ١٢] .

اللهم إنا نسألك إيمانًا كاملًا، ويقينًا صادقًا، وقلبًا خاشعًا، ولسانًا ذاكرًا .

اللهم يا حيّ يا قيّوم برحمتك نستغيث، فلا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين .

﴿ رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الأعراف: ٢٣] .

﴿ سُبۡحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلۡعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾ ﴾ [الصافات: ١٨٠ – ١٨٢] .

عبادات القلوب

في ضوء القرآن والسنة

العبادة السادسة

عبادة الرجاء

وتشتمل هذه العبادة العظيمة على المباحث الآتية :

الأول: منزلة الرجاء
الثاني: شروط الرجاء
الثالث: أنواع الرجاء
الرابع: وقت الرجاء
الخامس: أقسام الناس في الرجاء
السادس: الأسباب المعينة على قوة الرجاء
السابع: علامات صدق الرجاء
الثامن: جزاء أهل الرجاء.

العبادة السادسة

عبادة الرجاء

١ - منزلة الرجاء

رجاء الله عز وجل هو الطمع في إحسانه وعطائه، وفضله وثوابه .

فالمحسن يرجو ثواب ربه على إحسانه، والمسيء يرجو قبول توبته من ربه، كما قال سبحانه عن المؤمنين: ﴿ وَلَا تَهِنُوا۟ فِى ٱبْتِغَآءِ ٱلْقَوْمِ ۖ إِن تَكُونُوا۟ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ ۖ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٠٤﴾ ﴾ [النساء: ١٠٤] .

ورجاء الله عز وجل هو مقتضى الإيمان بأسماء الله الحسنى،مثل الكريم، البر، الرحمن، الرحيم، المحسن، المعطي، وأمثالها: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾ ﴾[الأعراف: ١٨٠].

والرجاء من لوازم الإيمان باسم الله الغني فهو الذي أنعم على عباده بكل نعمة بلا عوض، وأمر عباده أن يسألوه من فضله، ووعدهم على ذلك بالإجابة: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ ﴾[البقرة: ١٨٦] .

والله هو الكريم الوهاب، الذي وهب في هذه الدنيا الأموال والأولاد، والضِياع والمتاع، لمن آمن به، ولمن كفر به، لمن أطاعه، ولمن عصاه، فليعبدوه ويشكروه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾[البقرة: ٢١ – ٢٢] .

ووهب في الآخرة الجنات والقصور، والأنهار والنعيم، لمن آمن به وعبده، ممن وفقهم الله لطاعته، واستعملهم في عبادته، وثبتهم على دينه: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال: ٢ – ٤].

ورجاء الله عبادة قلبية عظيمة، وقد مدح الله المؤمنين بحسن رجائهم في ربهم، وشدة خوفهم من ربهم بقوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٧﴾﴾ [الإسراء: ٥٧].

وقال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾﴾ [فاطر: ٢٩ – ٣٠].

والقنوط من رحمة الله، واليأس من روح الله، هو فعل الكافرين والمشركين كما قال سبحانه: ﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾﴾ [يوسف: ٨٧].

وقال تعالى: ﴿وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴿٥٦﴾﴾ [الحجر: ٥٦].

والإيمان، ورجاء ثواب الله على العمل الصالح، شرطان في حصول الثواب يوم القيامة، فمن لا يرجو رحمة الله، فلا ثواب له في الآخرة: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾﴾ [فاطر: ٢٩ – ٣٠].

فمن عمل أعمال البر والخير وهو على عقيدة فاسدة، فلا ثواب له، لأن العقيدة الفاسدة تحبط العمل وإن كان حسنا، كفعل النصارى وأهل البدع: ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَاْ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾ ﴾[الكهف: ١١٠] .

وقال الله تعالى: ﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴿١٢٤﴾ ﴾[النساء: ١٢٤] .

ومن كان لا يرجو لقاء الرحمن يوم القيامة فلا حظ له في الإيمان، وهو في الآخرة من الخاسرين: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُواْ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّواْ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾ أُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿٨﴾ ﴾[يونس: ٧ – ٨] .

٢ - شروط الرجاء

شروط رجاء الله عز وجل أربعة:

الأول : يجب أن يقترن الرجاء بحسن الظن بالله عز وجل، فالله عز وجل عند ظن عبده به، فليظن العبد بربه خيراً، يلقى خيراً أكثر وأحسن: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾ ﴾[فاطر: ٢٩ – ٣٠] .

عنْ أَبي هُريرةَ، أنَّ رسُولَ اللهَّ ﷺ قالَ: يقُولُ اللهَّ تَعالى:" أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعهُ إِذَا ذَكَرَني، فَإِن ذَكَرَني في نَفْسهِ، ذَكَرْتُهُ في نَفسي، وإنْ ذَكَرَني في ملإٍ، ذكَرتُهُ في ملأ خَيْرٍ منْهُمْ"متفق عليه (١)

الثاني : يجب أن يقترن الرجاء ببذل الجهد في الطاعة، لأن حسن الظن، والرجاء في الله موجب للطاعة، لا الاتكال والركون إلى الأمل بدون العمل:﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾ ﴾[الكهف: ١١٠] .

الثالث : يجب أن يقترن الرجاء بالتوكل على الله في أن ييسر لك الطاعة، ويثيبك عليها ، كما قال سبحانه: {وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهَّ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ} [هود:٨٨]

الرابع : يجب أن ترجو الله عز وجل وأنت تحسن الظن بالله في قبوله لعملك، وإثابتك عليه، وإعانتك عليه، مع رؤية عملك ناقصا لا يستحق القبول، وترى عملك ليس من كسبك، بل تراه من توفيق الله لك، فهو الذي زينه لك، وبينه لك، وأعانك عليه، وأثابك عليه: ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾[النحل: ٥٣] .

ويجب أن يعلم العبد أنه لا أحد يدخل الجنة بعمله، لأن عبادة عمره كله لا تصلح أن تكون ثمناً لنعمة واحدة من نعم الله عليه، لهذا لو أن الله عذب أهل

---

(١)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم(٧٤٠٥)، ومسلم برقم(٢٦٧٥)

سماواته وأرضه لعذبهم وهو غير ظالم لهم، ولو رحمهم كانت رحمته لهم خيرا لهم من أعمالهم، فالأعمال الصالحة لا تصلح أن تكون جزاءً للنعم، ولا ثمنا للجنة، لكنها من أسباب دخول الجنة، كما قال سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتۡ لَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلۡفِرۡدَوۡسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبۡغُونَ عَنۡهَا حِوَلٗا ﴿١٠٨﴾ ﴾ [الكهف: ١٠٧ – ١٠٨] .

وقال النبي ﷺ: «لا يُدخلُ أحدًا منكم الجنّة عَملَهُ» قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: «ولا أنا إلا أن يَتغمَّدنيَ الله بفضلٍ منه ورحمة» متفق عليه (١).

فإذا أيقنت بذلك أديت العمل الصالح لأن الله أمرك به، وقطعت الرجاء في عملك، ووجهت الرجاء إلى كرم الله وفضله، ومَنه وتوفيقه، لأن أعمالنا الصالحة كلها من فضل الله وتوفيقه لنا، لا بحول منا ولا بقوة مناكما قال سبحانه: ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيۡهِ تَجۡـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾[النحل: ٥٣] .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٥٦٧٣)، ومسلم برقم (٢٨١٦)

٣- أنواع الرجاء

أكمل الناس رجاء من حقق كل أنواع الرجاء في الله عز وجل، وهي:

الأول: رجاء رحمة الله عز وجل.

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرۡجُونَ رَحۡمَتَ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٢١٨ ﴾[البقرة: ٢١٨].

الثاني: رجاء ثواب الله عز وجل.

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتۡلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ يَرۡجُونَ تِجَٰرَةٗ لَّن تَبُورَ ٢٩ لِيُوَفِّيَهُمۡ أُجُورَهُمۡ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضۡلِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ غَفُورٞ شَكُورٞ ٣٠ ﴾[فاطر: ٢٩-٣٠].

الثالث: رجاء لقاء الله عز وجل

قال الله تعالى: ﴿ قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ١١٠ ﴾[الكهف: ١١٠].

الرابع: رجاء القرب من الله عز وجل في الدنيا والآخرة.

فالقرب في الدنيا يكون بالإيمان والأعمال الصالحة: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لِي وَلۡيُؤۡمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمۡ يَرۡشُدُونَ ١٨٦ ﴾[البقرة: ١٨٦].

وعن أبي هريرةَ رضي الله عنه أنَّ رسُولَ اللهَّ ﷺ قالَ: "أقربُ ما يكونُ العبْدُ مِن ربِّهِ وَهو ساجدٌ، فأَكثِرُوا الدُّعاءَ" أخرجه مسلم (١).

والقرب في الآخرة يكون على قدر إيمان العبد، وحبه لله، واستقامته على أوامر الله، وحسب المسارعة والمسابقة إلى كل خير يكون قربه من الله عز وجل، وفوزه بأعلى درجات الجنة: ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ١٠ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡمُقَرَّبُونَ ١١ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ١٢ ﴾[الواقعة: ١٠-١٢].

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٤٨٢).

وقال عز وجل: ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ ﴿٥٥﴾ ﴾[القمر: ٥٤ – ٥٥] .

الخامس : رجاء النظر إلى وجه الله عز وجل.

قال الله تعالى: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾[القيامة: ٢٢ – ٢٣] .

السادس : رجاء رضوان الله عز وجل .

وهذا أعلاها، وهو الذي يعطيه الله عز وجل لأهل كرامته في الجنة يوم القيامة.

قال النبي ﷺ: «إنَّ اللهَّ تَبارَكَ وتَعالَى يقولُ لأهْلِ الجَنَّةِ: يا أهْلَ الجَنَّةِ؟ فيَقولونَ: لَبَّيْكَ رَبَّنا وسَعْدَيْكَ، فيَقولُ: هلْ رَضِيتُمْ؟ فيَقولونَ: وما لنا لا نَرْضَى وقدْ أعْطَيْتَنا ما لَمْ تُعْطِ أحَدًا مِن خَلْقِكَ، فيَقولُ: أنا أُعْطِيكُمْ أفْضَلَ مِن ذلكَ، قالوا: يا رَبِّ، وأَيُّ شيءٍ أفْضَلُ مِن ذلكَ؟ فيَقولُ: أُحِلُّ علَيْكُم رِضْواني، فلا أسْخَطُ علَيْكُم بَعْدَهُ أبَدًا». متفق عليه (١).

السابع : رجاء سماع كلام الله عز وجل في الجنة

قال الله تعالى: ﴿ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ ۚ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴿٤٤﴾ ﴾[الأحزاب: ٤٤].

والله سبحانه كريم لا يرد سائلا، ولا يخيب مؤملا .

قال الله تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ ﴾[البقرة: ١٨٦] .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٥٤٩)، ومسلم برقم (٢٨٢٩)

٤ - وقت الرجاء

يشرع للمسلم أن يتعبد لله بالخوف والرجاء في حياته.

قال الله تعالى عن الأنبياء والرسل: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [الأنبياء: ٩٠].

وقال عز وجل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾﴾ [فاطر: ٢٩ – ٣٠].

لكن يغلب العبد الخوف على الرجاء حال حياته، ليكون الخوف دافعا له لأنواع العمل الصالح.

قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴿٦١﴾﴾ [المؤمنون: ٦٠ – ٦١].

ويكون الرجاء هو الغالب عليه عند شدة المرض، وعند الموت، فيدفعه الرجاء إلى إحسان الظن بالله عند الموت، فيظن أن ربه سيفعل به الخير، فيقبل حسناته، ويعفو عن سيئاته، فيكون الله عند حسن ظن عبده به، ويرحمه، ويؤمنه.

عن جابر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ قبل موته بثلاثة أيام يقول: " لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله " . أخرجه مسلم [١]

فالرجاء عند الموت أفضل من الخوف، لأن الخوف كالسوط الباعث على العمل، والمشرف على الموت لا يقدر على العمل، فلا يستفيد من الخوف، بل الرجاء هو الذي يقوي قلبه على ما سيقدم عليه من الأهوال، ويحببه إلى ربه الرحمن.

قال ﷺ: " مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللهِ أَحَبَّ اللهُ لِقَاءَهُ وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللهِ كَرِهَ اللهُ لقاءه" متفق عليه [٢]

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٨٧٧).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٥٠٧)، ومسلم برقم (٢٦٨٤)

٥ – أقسام الناس في الرجاء

الناس في الرجاء أقسام مختلفة

الأول : أهل الرجاء الصحيح

وهو رجاء الخير من الله عز وجل، والطمع في فضله ورحمته، مع استفراغ الوسع في طاعته وعبادته: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢١٨﴾ ﴾[البقرة: ٢١٨] .

وهذا هو الرجاء المطلوب شرعا، وفي ذروته الأنبياء، وأهل اليقين من المؤمنين .

الثاني : رجاء أهل التمني، وهو طلب الدرجات العالية في الجنة، مع الكسل عن الطاعات، فالرجاء لا بد أن يتبعه اجتهاد في العبادة، لأن الرجاء بدون عمل تمني، والتمني مذموم، وهو من صفات المنافقين.

فالمتمني يقول في الدنيا: ﴿ وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴿٣٦﴾ ﴾ [الكهف: ٣٦] .

ثم يقول في الآخرة نادما: ﴿ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠ ﴿٦٦﴾ ﴾[الأحزاب: ٦٦] .

فليس الإيمان بالتمني، ولكن ما وقر في القلب، وصدقه العمل، فمن أحسن الظن بالله، وخافه ورجاه، أحسن العمل له: ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًا ﴿١١٠﴾ ﴾[الكهف: ١١٠].

الثالث : رجاء أهل الغرور، وهو فعل المعاصي، وترك الطاعات، مع رجاء رحمة الله، فالمغرور كمثل زارع جاء إلى أرض خبيثة لا تقبل الماء، ولا تنبت الزرع، ولم يبذر ولم يسق، وإنما وضع فيها أنواع السموم، ثم جلس ينتظر الحصاد، فهذا هو الحمق والغرور، والرجاء الكاذب .

قال تعالى عن أهل الكتاب: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾[آل عمران: ٢٤] .

الرابع : أهل اليأس، وهو انقطاع الرجاء، والقنوط من رحمة الله .

وسبب اليأس الإسراف في الذنوب، والقنوط من رحمة الله، وسبب ذلك الشيطان الذي يزين المعاصي للعبد، ويرغبه فيها حتى إذا سقط فيها، العبد قال له الشيطان هلكت، ولن يقبل الله منك التوبة، فيقنط من رحمة الله، وييأس من روح الله، فيلقى الله مسرفاً على نفسه، غير تائب من ذنبه: ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ ﴾[الزمر: ٥٣] .

وقال تعالى: ﴿ وَمَن يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا ﴿٣٨﴾ ﴾[النساء: ٣٨] .

ثم يزين له الشيطان معصية أخرى فيقع فيها، حتى يتكون على قلبه الران الذي يمنعه أن يسمع النصيحة، وكلام الرحمن، فلا ينفذ إلى قلبه غير غواية الشيطان كما قال سبحانه: ﴿ كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ ﴾[المطففين: ١٤] .

ثم يُختم على قلبه فيزداد من الله بعدا، ويزداد لربه بغضا، لأنه يظن أن الله سيعاقبه إذا قدم عليه، ووقف بين يديه، ويعذبه عذابا أليما، كما قال سبحانه عن الكفار والمنافقين: ﴿ خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٧﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾ ﴾[البقرة: ٧ – ١٠] .

فيكره بسبب ذلك لقاء الله، ويستبعد الموت ويمضي في غيه إلى أن يجره الشيطان إلى النار كما قال سبحانه :﴿ إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ

﴿ٱلدُّنۡيَا وَٱطۡمَأَنُّواْ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنۡ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ٧ أُوْلَٰٓئِكَ مَأۡوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ٨﴾[يونس: ٧ – ٨] .

وعلاج هذا اليأس والقنوط من رحمة الله يكون بمعرفة رحمة الله الواسعة، وأنها أوسع من ذنوب العباد، والله غفور رحيم يغفر الذنوب جميعا، حتى الشرك والكبائر كما قال سبحانه :﴿قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ٥٣﴾[الزمر: ٥٣] .

والله تواب رحيم يفرح بتوبة عبده، ويحب من تاب إليه، فأَسرِع يا عبد الله بالتوبة إليه قبل الموت: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلۡمُتَطَهِّرِينَ ٢٢٢﴾[البقرة: ٢٢٢] .

وقال عز وجل: ﴿ فَمَن تَابَ مِنۢ بَعۡدِ ظُلۡمِهِۦ وَأَصۡلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيۡهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ٣٩﴾[المائدة: ٣٩] .

اللهم آت نفوسنا تقواها، وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها .

يا واسع الرحمة ارحمنا، ويا واسع المغفرة اغفر لنا، إنك أنت الغفور الرحيم.

٦ - الأسباب المعينة على قوة الرجاء

لقوة الرجاء أسباب:

الأول : العلم بأسماء الله الحسنى، وصفاته العلا، والعلم بصفات الجلال والجمال لله عز وجل، كالملك والعزيز والقادر والرحمن والرحيم والعفو والغفور والرؤوف والحليم والودود والكريم والشكور والشاكر والوهاب والمعطي.. وأمثالها من أسماء الله الحسنى :﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ١٩ ﴾[محمد: ١٩] .

ومن عرف ذلك أحسن الظن بربه، ورجاه، وخافه، وأحبه، وسأله .

الثاني: العلم بسعة رحمة الله، وسعة مغفرته، وسعة حلمه، فالله غفور رحيم حليم يريد أن يرحم عباده، ويغفر لهم ذنوبهم، ويتوب عليهم، ويخفف عنهم الأوامر، وييسر لهم ما يقربهم إليه، ولا يعجل عليهم بالعقوبة إذا عصوه، ليتوبوا إليه، فإذا تابوا تاب عليهم، وبدل سيئاتهم حسنات،وضاعف أجورهم: ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقۡتُلُونَ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَلَا يَزۡنُونَۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ يَلۡقَ أَثَامٗا ٦٨ يُضَٰعَفۡ لَهُ ٱلۡعَذَابُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَيَخۡلُدۡ فِيهِۦ مُهَانًا ٦٩ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلٗا صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٖۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ٧٠ ﴾[الفرقان: ٦٨ – ٧٠] .

وقال عز وجل: ﴿ قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ٥٣ ﴾[الزمر: ٥٣] .

الثالث: العلم بأن الله يريد بعباده اليسر ولا يريد بهم العسر، فما أمرهم إلا بما يستطيعون، ولم يكلفهم بما لا يطيقون، ولا أمرهم إلا بما ينفعهم، ولا نهاهم إلا عن ما يضرهم: ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ ﴾[البقرة: ١٨٥] .

وما أمر الله بشيء إلا أعان عليه، وما نهى عن شيء إلا أغنى عنه: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ﴾[البقرة: ٢٨٦].

ومن علم ذلك طمع في رحمة ربه وأحسن رجاءه، ووقف ببابه.

الرابع: العلم بأن الله يريد أن يخفف عن عباده في كل أمر، ولا يشق عليهم بكثرة العمل: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾﴾[النساء: ٢٨].

ومن علم ذلك أحب ربه ورجاه، وسارع إلى مرضاته.

الخامس: العلم بأن الله يريد أن يتوب على عباده، ليفوزوا برضوانه وجنته: ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُوا۟ مَيْلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾﴾[النساء: ٢٧-٢٨].

ومن علم ذلك أحب ربه، وتعلق قلبه به، وأسرع إلى التوبة إليه.

السادس: العلم بأن الله يريد أن يرفع عباده إلى أعلى درجات الجنة، ويطهرهم من المعايب والسيئات: ﴿مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٦﴾﴾[المائدة: ٦].

ومن عرف ذلك أحسن ظنه بربه، ورجا رحمته، وحمده وشكره على عظيم نعمه وإحسانه.

السابع: العلم بعناية الله بخلقه، وحبه لإيمانهم، وإجابة دعائهم، وقضاء حوائجهم: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾[البقرة: ١٨٦].

فالله ينزل كل ليلة إلى السماء الدنيا، حين يبقى ثلث الليل الآخر، فيغفر للمستغفرين، ويتوب على التائبين، ويجيب الداعين، ويعطي السائلين، حتى ينفجر الفجر.

عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «ينزلُ ربُّنا تبارك وتعالى كلَّ ليلةٍ إلى السماء الدنيا، حين يبقى ثُلُثُ الليل الآخرُ يقول: «مَن يَدْعُوني، فأستجيبَ له؟ مَن يسألني فأعطيَه؟ مَن يستغفرني فأغفرَ له؟». متفق عليه [1].

ومن علم ذلك قام في ليله يناجي ربه، راجيا رحمته وثوابه، خائفا من ذنوبه وعقابه،كما قال الله عن أوليائه: ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾[السجدة: ١٦ – ١٧].

الثامن : العلم بسعة حلم الله على العصاة، وأنه لا يعاجلهم بالعقوبة، بل يمهلهم ليتوبوا إليه كما قال سبحانه:﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ ﴾[الزمر: ٥٣] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً: «يقول اللهُ: إذا أراد عبدي أنْ يعملَ سيئةً، فلا تكتبوها عليه حتى يعملَها، فإنْ عَمِلها فاكتبوها بمثلِها، وإنْ تركها مِن أجلي فاكتبوها له حسنةً، وإذا أراد أنْ يعملَ حسنةً فلم يعملها فاكتبوها له حسنةً، فإنْ عملها فاكتبوها له بعشر أمثالها إلى سبعِ مائة ضِعْفٍ». متفق عليه [2].

ومن علم بذلك عرف كرم ربه، وجميل إحسانه، ورحمته بعباده، فأحسن الظن به، ورجا رحمته، وخاف من عقابه، وسارع إلى طاعته.

التاسع : العلم بأن الله عز وجل يضاعف ثواب الأعمال الصالحة، ويعطي ثوابا عظيما على العمل القليل، فمن جاء بالحسنة فله عشر أمثالها، إلى سبعمائة ضعف، إلى أضعاف كثيرة إلى أضعاف مضاعفة، إلى عطاء بغير حساب، ويعطي

---

(١)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (١١٤٥)، ومسلم برقم (٧٥٨)

(٢)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٧٥٠١)، ومسلم برقم (١٢٨)

من لدنه أجرا عظيما بلا عمل من العبد : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾ ﴾[النساء: ٤٠] .

وقال عز وجل: ﴿ إِن تُقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٧﴾ ﴾[التغابن: ١٧] .

والله كريم يحب لعباده كل خير، ويعطي على العمل القليل الأجر الكثير.

عن أبي قتادة الأنصاري رضي الله تعالى عنه: «أنَّ رسول الله ﷺ سُئل عن صوم يوم عرفة، فقال: يُكفِّر السنة الماضية والباقية، وسُئل عن صوم يوم عاشوراء، فقال: يُكفِّر السنة الماضية، وسُئل عن صوم يوم الاثنين، فقال: ذلك يوم وُلِدْتُ فيه، وبُعثتُ فيه، وأُنزل عليَّ فيه». أخرجه مسلم [1]

وعنْ أَنَسَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسُولُ اللهَّ ﷺ: «إنَّ اللهَّ ليرضى عنِ العبْدِ يَأْكُلَ الأكْلَةَ فَيَحْمَدُهُ عليْهَا، وَيَشْرب الشَّرْبَةَ فَيَحْمَدُهُ عَلَيْهَا» أخرجه مسلم [2].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:" العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما، والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة". متفق عليه [3]

وما هذه الخيرات ومكفرات الذنوب من الله إلا لأنه يريد أن يدخل عباده الجنة، فهل يدخل بعد ذلك النار إلا هالك!

ومن عرف ذلك أحب ربه وشكره على إحسانه ورحمته بعباده، ورجا عفوه ومغفرته ورحمته، وسارع إلى التوبة إليه.

---

(١)أخرجه مسلم برقم (١١٦٢) .

(٢)أخرجه مسلم برقم (٢٧٣٤) .

(٣)متفق عليه.أخرجه البخاري برقم (١٧٧٣)، ومسلم برقم (١٣٤٩)

العاشر: أن يعلم العبد أن الله أظهر لنا غناه، وعظمة ملكه وخزائنه، ليطمعنا فيه، لنسأله من فضله، فقال سبحانه: ﴿ لِّلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٦﴾ ﴾[لقمان: ٢٦].

وقال عز وجل: ﴿ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾ ﴾[الحجر: ٢١].

فأهل الأموال في الدنيا يخفون غناهم، لئلا يطمع الناس فيما عندهم، أما الله عز وجل فأظهر غناه، لكي يُطمّع عباده في سؤاله: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾[غافر: ٦٠].

فالله هو الغني وحده وكل من سواه فقير إليه كما قال سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ ﴾[فاطر: ١٥].

ومن علم بكمال غنى ربه، وسعة خزائنه، وإكرامه لعباده، أحب ربه، وأحسن ظنه به، ورجا ما عنده من ثواب وخير في الدنيا والآخرة.

الحادي عشر: العلم بأن البلاء من الله كله رحمة بالعبد، وإحسان منه إليه، ليكفر عنه سيئاته، ويرفع درجاته في الجنة، أو ليكسر نفسه وعلوها، لتستكين للطاعة وثوابها، أو ليستخرج منه عبودية الصبر على البلاء حتى يدخل الجنة بغير حساب كما قال سبحانه: ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾ ﴾[الزمر: ١٠].

وقد يبتلي الله العبد ليفيق من معصيته، ويتوب إلى الله منها، وقد يبتلي الله عبده بالبلاء، لينزع من قلبه حب الدنيا، ويصرفه إلى التعلق بالله وحده، وفعل ما يرضيه، ويشاهد حكمة الله في أفعاله، ويرضى بقضائه، ويحب ما اختاره الله له على ما اختاره هو كما قال سبحانه: ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾ ﴾[التغابن: ١١].

وقد يبتليه ربه لأن الله يعلم أن له درجة في الجنة لم يبلغها بعمله، فيبتليه ليرقيه إليها :﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾﴾[البقرة: ٢٤٣] .

ومن علم هذا أيقن بحكمة رب العالمين، وأحسن ظنه بالذي خلقه، ورضي بتدبيره، وبادر إلى فعل كل ما يرضيه.

الثاني عشر : العلم بأن الرجاء سبب لقبول العمل الصالح، فالأعمال الصالحة تصعد إلى الله بجناحي الخوف والرجاء، رجاء الله أن يقبل العمل على قلته ونقصه، والخوف من الله أن يرده لكثرة عيوبه، ومن كانت هذه حاله، كان أرجى لقبول عمله، ومغفرة ذنبه، ومضاعفة أجره، وهذا فعل الأنبياء: ﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [الأنبياء: ٩٠] .

ومن علم ذلك رجا ربه، وخاف عذابه، فحياته كلها بين الخوف والرجاء: ﴿ أَمَّنۡ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ سَاجِدٗا وَقَآئِمٗا يَحۡذَرُ ٱلۡأٓخِرَةَ وَيَرۡجُواْ رَحۡمَةَ رَبِّهِۦۗ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿٩﴾﴾[الزمر: ٩] .

٧- علامات صدق الرجاء

لصدق الرجاء علامات:

الأولى : حسن العمل الصالح، فمن صدق رجاؤه في الله حسن عمله، وقوي إخلاصه، واتبع أمره، واجتنب نهيه: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف: ١١٠] .

الثانية : الهجرة، والجهاد في سبيل الله كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢١٨﴾﴾[البقرة: ٢١٨] .

الثالثة : تلاوة القرآن، وإقامة الصلاة، والإنفاق في سبيل الله، ابتغاء مرضاة الله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾﴾[فاطر: ٢٩] .

الرابعة : المسارعة إلى الخيرات، فلما صدقت رغبتهم إلى الله، سارعوا إلى ما يحبه الله ويرضاه كالأنبياء: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾[الأنبياء: ٩٠] .

وقال عز وجل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴿٦١﴾﴾[المؤمنون: ٥٧ – ٦١].

الخامسة: الإكثار من ذكر الله عز وجل، والتفكر في آياته ومخلوقاته : ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾﴾[آل عمران: ١٩٠ – ١٩١] .

٨- جزاء أهل الرجاء

رجاء الله عز وجل عبادة عظيمة، ينال بها العبد أعظم الثواب، ومن ذلك:

الأول : قبول العمل، فمن اجتهد في طاعة ربه، ورأى ربه متفضلا عليه، فلم يتكل على عمله، بل رجا رحمة ربه، فهذا أقرب لقبول عمله، ومضاعفة أجره، لأن رؤية العمل، والغرور به، من محبطات الأعمال: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَـٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾[الكهف: ١١٠].

الثاني : رضى الله عز وجل، فالله عز وجل يرضى عمن يدعوه، ويطلب منه، ويفتقر إليه ويذل له، ويغضب سبحانه وتعالى على من لا يرجوه ولا يدعوه كما قال سبحانه: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾[غافر: ٦٠].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "مَنْ لَمْ يَسْأَلْ اللهَ يَغْضَبْ عَلَيْهِ". أخرجه الترمذي[١]

الثالث : الفوز بالجنة كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَـٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَـٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾﴾[فاطر: ٢٩].

الرابع : الفوز برحمة الله كما قال عز وجل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَجَـٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أُو۟لَـٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢١٨﴾﴾[البقرة: ٢١٨].

الخامس : الفوز برضى الله عز وجل كما قال عز وجل: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَـٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّـٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾﴾[التوبة: ٧٢].

وقال تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَـٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف: ١١٠].

اللهم أعطنا ولا تحرمنا، وزدنا ولا تنقصنا، وأكرمنا ولا تُهِنّا، وارفعنا ولا تضعنا.

اللهم آت نفوسنا تقواها، وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها.

﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾﴾.

---

(١) صحيح/ أخرجه الترمذي برقم (٣٣٧٣).

عبادات القلوب

في ضوء القرآن والسنة

العبادة السابعة

عبادة الصدق

وتشتمل هذه العبادة العظيمة على المباحث الآتية :

الاول: منزلة الصدق

الثاني: فضائل الصدق

الثالث: صفات الصادقين

الرابع: أنواع الصدق

الخامس: مراتب الصدق

السادس: ثمرات الصدق.

العبادة السابعة

عبادة الصدق

١ - منزلة الصدق

الصدق من أعظم العبادات القلبية، وليس شيءٌ أنفع للعبد من صدق ربه في جميع أموره، مع صدق العزيمة بامتثال أوامره، واجتناب نواهيه: ﴿فَإِذَا عَزَمَ ٱلْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا۟ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ﴿٢١﴾﴾ [محمد: ٢١].

والصدق ضد الكذب، والصدق رأس الفضائل، وعنوان الإيمان والصلاح والفضل: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ ۖ وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٩﴾﴾ [الحديد: ١٩].

وبالصدق يتميز أهل الإيمان من أهل النفاق، وأهل الجنة من أهل النار: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾﴾ [الحجرات: ١٥].

والصدق سيفُ الله في أرضه، ما وضِع على شيء إلا قطعه، ولا واجَه باطلاً الا أزهقه، والصدق من أعظم صفات المسلم، من اعتمده سما قدرُه، وعلَت مكانتُه، وارتفعت منزلته، ولهذا أمرنا الله عز وجل بالاتصاف به وملازمة أهله، فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾﴾ [التوبة: ١١٩].

ورغَّب فيه النبي ﷺ بقوله: "عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ، فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الجَنَّةِ، ومَا يَزالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ ويَتَحَرَّى الصِّدْقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ صِدِّيقًا، وإِيَّاكُمْ والْكَذِبَ، فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي

إِلَى النَّارِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّى الْكَذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ كَذَّابًا."

متفق عليه (١).

الصدق من أعظم عبادات القلوب، والصدق أعظم تاجٍ يلبسه العبد، وأحسن حليةٍ يتحلى بها المؤمن، وأفضل لباسٍ يلبسه العبد، وأفضل جوهرةٍ يملكها العبد، ومن صدق الله في طلب الصدق آتاه الله إياه، فتزيَّن به بينه وبين ربه، وتزين به بينه وبين خلقه: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ لِّيَجْزِىَ ٱللَّهُ ٱلصَّـٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٤﴾﴾ [الأحزاب: ٢٣ – ٢٤].

ولما كان حملُ النفس على الصدق في جميع الأمور شاقًا على النفس، ولا يمكن للعبد أن يأتي به على وجهه إلا بعون الله وتوفيقه، أمر الله عز وجل نبيه محمداً ﷺ أن يسأله الصدق في جميع أموره فقال: ﴿وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِى مُخْرَجَ صِدْقٍ وَٱجْعَل لِّى مِن لَّدُنكَ سُلْطَـٰنًا نَّصِيرًا ﴿٨٠﴾﴾ [الإسراء: ٨٠].

والصدق من مقتضيات أسماء الله الحسنى، ومن لوازم اسم الله الصادق، فالصادق لا يقول إلا صِدقًا: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَـٰتِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١١٥﴾﴾ [الأنعام: ١١٥].

فالصادق اسمه، والصدق صفته، والحق قوله: ﴿ذَٰلِكَ جَزَيْنَـٰهُم بِبَغْيِهِمْ ۖ وَإِنَّا لَصَـٰدِقُونَ ﴿١٤٦﴾﴾ [الأنعام: ١٤٦].

والصدق صفته سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ۚ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا ﴿١٢٢﴾﴾ [النساء: ١٢٢].

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٠٩٤)، ومسلم برقم (٢٦٠٧).

والصدق أعظم صفات الأنبياء كما قال سبحانه عن إبراهيم ﷺ: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِبۡرَٰهِيمَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيًّا ٤١﴾ [مريم: ٤١].

وقال عز وجل: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِسۡمَٰعِيلَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلۡوَعۡدِ وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا ٥٤﴾ [مريم: ٥٤].

وقال عز وجل: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِدۡرِيسَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيّٗا ٥٦﴾ [مريم: ٥٦].

ورسول الله ﷺ أصدقَ الناس، وكان معروفًا بالصدق بين قومه: ﴿وَٱلَّذِي جَآءَ بِٱلصِّدۡقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ ٣٣﴾ [الزمر: ٣٣].

وأصحاب النبي ﷺ هم أصدق الناس: ﴿لِلۡفُقَرَآءِ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَأَمۡوَٰلِهِمۡ يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ٨﴾ [الحشر: ٨].

وقال عز وجل: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمۡ يَرۡتَابُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ١٥﴾ [الحجرات: ١٥].

ونحن قد أُمرنا أن نكون مع الصادقين، لنكسب صفة الصدق، ونكون مع الصادقين كما قال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ١١٩﴾ [التوبة: ١١٩].

٢ - فضائل الصدق

للصدق فضائل عظيمة:

الأولى: أن الصادق يكون في معيّة خيار الناس: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّـٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُو۟لَـٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا ﴿٧٠﴾﴾ [النساء: ٦٩ – ٧٠].

الثانية: رضوان الله عز وجل على الصادقين: ﴿قَالَ ٱللَّهُ هَـٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّـٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ ۚ لَهُمْ جَنَّـٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١٩﴾﴾ [المائدة: ١١٩] .

الثالثة: أن الصدق يهدي إلى البر، والبر يهدي إلى الجنة:

قال النبي ﷺ: "عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ، فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الجْنَّةِ، ومَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ ويَتَحَرَّى الصِّدْقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهَّ صِدِّيقًا، وإِيَّاكُمْ والْكَذِبَ، فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، ومَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ ويَتَحَرَّى الْكَذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهَّ كَذَّابًا." متفق عليه (١).

الرابعة: البركة في البيع والشراء:

قال النبي ﷺ: " البَيِّعانِ بالخِيارِ ما لَمْ يَتَفَرَّقا، فإنْ صَدَقا وبَيَّنا بُورِكَ لهما في بَيْعِهِما، وإنْ كَذَبا وَ كَتَما مُحِقَتْ بَرَكَةُ بَيْعِهِما." متفق عليه (٢).

الخامسة: طُمأنينة القلب والنفس:

---

(١)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٠٩٤)، ومسلم برقم (٢٦٠٧).

(٢)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٢٠٧٩)، ومسلم برقم (١٥٣٢).

قال النبي ﷺ:" دَعْ ما يَريبُكَ إلى ما لا يَريبُكَ؛ فإنَّ الصِّدقَ طُمَأنينةٌ، وإنَّ الكَذِبَ ريبةٌ."أخرجه الترمذي وأحمد (١).

السادسة: أن الصدق من أعظم أبواب الأجر والثواب، كما قال سبحانه:﴿إِنَّ ٱلۡمُسۡلِمِينَ وَٱلۡمُسۡلِمَٰتِ وَٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ وَٱلۡقَٰنِتِينَ وَٱلۡقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلۡخَٰشِعِينَ وَٱلۡخَٰشِعَٰتِ وَٱلۡمُتَصَدِّقِينَ وَٱلۡمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلۡحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمۡ وَٱلۡحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمٗا ٣٥﴾ [الأحزاب: ٣٥].

السابعة: أنّ جزاء الصدق الخلودُ في نعيم الجنة:﴿ قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوۡمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدۡقُهُمۡۚ لَهُمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١١٩﴾[المائدة: ١١٩].

---

(١)صحيح/ أخرجه الترمذي برقم (٢٥١٨)، وأحمد برقم (١٧٢٣).

٣- صفات الصادقين

الأولى: الصادقون هم أهل الإيمان، واليقين، والأعمال الصالحة:﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّاۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾[الأنفال: ٢ – ٤].

الثانية: الصادقون هم أهل اليقين والمجاهدة بالنفس والمال:﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾﴾[الحجرات: ١٥] .

الثالثة: الصادقون هم أهل البرّ والإحسان، وأهل الصبر والتقوى: ﴿ ۞ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۧنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُواْۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِي ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾﴾[البقرة: ١٧٧] .

الرابعة: الصادقون هم أهل العزائم الصادقة في تنفيذ كل ما يحبه الله ويرضاه في حال الشدة والرخاء:﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ لِّيَجْزِيَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٤﴾﴾[الأحزاب:٢٣–٢٤].

الخامسة: الصادقون هم أهل الصبر والبذل والتضحية لاعلاء كلمة الله، ونصر دين الله: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿٨﴾﴾[الحشر: ٨] .

٤ - أنواع الصدق

الصدق أصلُ أعمال القلوبِ والجوارح، فجميع الأعمال الصالحة أصلها الصدق، والبُعد عن الكذب والرياء والنفاق، وكل الأعمال الفاسدة أصلها الكذب والنفاق والرياء: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾﴾ [الحجرات: ١٥].

وقال عز وجل: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا۟ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾﴾ [النساء: ١٤٢].

والصدق في الإسلام ثلاثة أنواع:

الصدق مع الله .. والصدق مع الناس .. والصدق مع النفس.

فمن اتصف بهذه الثلاث فهو الصادق حقًا.

فالصدق مع الله: يكون بإخلاص الأعمال كلها لله وحده لا شريك له، فلا يكون فيها شِركٌ، ولا نِفاقٌ، ولا رِياءٌ، ولا سمعةٌ: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾﴾ [البينة: ٥].

والإخلاص في جميعالعباداتو الطاعات بإعطائها حقها، وأدائها على الوجه الذي وردت فيه شرعًا، بكمال الحُبّ والتعظيم والذُّل لله عز وجل: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف: ١١٠].

والصدق مع الناس: يكون بقول الصدق، و تجنّب الكذب، وموافقة الظاهر للباطن في الأقوال والأفعال، وحسن الظن بالناس، والمحبة لهم، والمودة لهم،

والإحسان إليهم، وعدم الغشّ لهم:﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤ ﴾

[آل عمران: ١٣٣ – ١٣٤] .

والصدق مع النفس: بحملها على طاعة الله ورسوله، فالمسلم الصادق لا يخدع نفسه، بل يحملها على طاعة الله، وامتثال أوامره، ويعترف بعيوبه وأخطائه، ويصحح ما أخطأ فيه، لأنه يعلم أن الصدق طريق النجاةوالفوز في الدنيا والآخرة:﴿ وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا ٧ فَأَلۡهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقۡوَىٰهَا ٨ قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ٩ وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ١٠ ﴾[الشمس: ٧ – ١٠] .

وقال ﷺ:" دَعْ ما يَريبُكَ إلى ما لا يَريبُكَ؛ فإنَّ الكَذِبَ ريبةٌ، والصِّدقَ طُمَأنينةٌ ." أخرجه أحمد والترمذي[١].

فالمسلم صادقٌ في دينه، صادقٌ في حديثه، صادقٌ في معاملته، والمنافق كاذب في إيمانه، كاذب في عباداته ومعاملاته كما قال الله عن المنافقين: ﴿ طَاعَةٞ وَقَوۡلٞ مَّعۡرُوفٞۚ فَإِذَا عَزَمَ ٱلۡأَمۡرُ فَلَوۡ صَدَقُواْ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۡ ٢١ ﴾[محمد: ٢١] .

وقد ذكر الله عز وجل في القرآن الكريم ستة أنواع من الصدق وهي:

مَدخل الصدق، ومخرج الصدق، ولسان الصدق، وقَدم الصدق، ومَقعد الصدق، ومُبوّأ الصدق.

فمدخل الصدق ومخرجه كما قال سبحانه:﴿ وَقُل رَّبِّ أَدۡخِلۡنِي مُدۡخَلَ صِدۡقٖ وَأَخۡرِجۡنِي مُخۡرَجَ صِدۡقٖ وَٱجۡعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلۡطَٰنٗا نَّصِيرٗا ٨٠ ﴾[الإسراء: ٨٠] .

---

(١)صحيح/ أخرجه احمد برقم (١٧٢٣)، والترمذي برقم (٢٥١٨).

ولسان الصدق كما قال إبراهيم ﷺ لربه: ﴿وَٱجۡعَل لِّي لِسَانَ صِدۡقٖ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ٨٤﴾ [الشعراء: ٨٤].

وقدم الصدق كما قال سبحانه عن المؤمنين: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنَّ لَهُمۡ قَدَمَ صِدۡقٍ عِندَ رَبِّهِمۡ﴾ [يونس: ٢].

ومقعد الصدق كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَنَهَرٖ ٥٤ فِي مَقۡعَدِ صِدۡقٍ عِندَ مَلِيكٖ مُّقۡتَدِرِۭ ٥٥﴾ [القمر: ٥٤ – ٥٥].

ومبوّأ الصدق كما قال سبحانه: ﴿وَلَقَدۡ بَوَّأۡنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ مُبَوَّأَ صِدۡقٖ وَرَزَقۡنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ [يونس: ٩٣].

ومدخل الصدق ومخرجهأن يكون دخول العبد وخروجه، ونيات العبد وأقواله وأعماله كلها لله، وفي الله، وابتغاء مرضاة الله: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ٥﴾ [البينة: ٥].

ولسان الصدق هو الثناء الحسن من سائر الأمم على العبد بالصدق، أي اجعل لي ذكرًا جميلًا بعدي أُذكر به، ويُقتدى بي في الخير.

وقَدمُ الصدقأن المؤمنين قدّموا أعمالاً صالحةً ينالون بها الثواب من الله عز وجل.

ومقعد الصدق هو الجنة، مع القُرب من الرب.

ومبوّأ الصدق هو المنزلة العالية، والمكانة الرفيعة بين الأمم.

والصدق والإخلاص من أعظم أعمال القلوب.

فمن الصدق يتشعّب الصبر، والقناعة ،والزُهد، والرضا، والأُنس بالله، والتسليم لأمره.

ومن الإخلاص يتشعّب الإيمان، واليقين، والحب لله، والخوف والرجاء، والإجلال والتعظيم، والذل والحياء.

والصدق يكون في ثلاثة اشياء، لا يتم إلا بها وهي:
صدق القلب بالإيمان واليقين تحقيقًا.
وصدق النية في الأعمال تطبيقًا.
وصدقُ اللفظ باللسان تحديثًا.
والصدق استواء السر والعلانية، وأن لا تُكذِّب أحوال العبد أعماله، وأن لا تكذب أعماله أقواله، فالصدق ألا يكون في أحوال العبد شَوْب، ولا في اعتقاده رَيْب، ولا في أعماله عَيْب: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾[الأنفال: ٢ – ٤] .
والصدق أنواع كثيرة:
فيكون الصدق في النيّات، وفي الأقوال، وفي الأعمال، وفي الأحوال.
فالصدق في النيّات: أن تكون جميع أعمال العبد القلبية والبدنية خالصة لله عز وجل: ﴿ قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾ ﴾ [الزمر: ١١ – ١٢] .
وقال النبي ﷺ: "إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى." متفق عليه (١).
والصدق في الأقوال: أن يحفظ العبد لسانه، ولا يتكلم إلا بالحق والصدق: ﴿ وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١٧﴾ ﴾ [النحل: ١١٦ – ١١٧] .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٥٤)، ومسلم برقم (١٩٠٧).

والصدق باللسان هو أشهر أنواع الصدق و أظهرها .

والصدق في الأعمال أن تستوي سريرة العبد وعلانيته، وأقواله، وأفعاله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ٢ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ٣ ﴾[الصف: ٢ – ٣] .

والصدق في مقامات الدين هو أعلى درجات الصدق، كالصدق في الإيمان والتوحيد، والصدق في الخوف والرجاء، والصدق في الحب والرضا، والصدق في التوكل والاستعانة، والصدق في الحمد والشكر: ﴿ لَّيۡسَ ٱلۡبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ قِبَلَ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلۡكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلۡمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينَ وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلۡمُوفُونَ بِعَهۡدِهِمۡ إِذَا عَٰهَدُواْۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِي ٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلۡبَأۡسِۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ ١٧٧ ﴾[البقرة: ١٧٧] .

وأعلى مراتب الصدق مرتبة الصِديقية، وهي كمال الانقياد للرسولﷺ، مع كمال الإخلاص للمُرسِلِ سبحانه: ﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلۡأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ١٥٨ ﴾[الأعراف: ١٥٨].

وحقيقة الصدق شاملة لصدق النية، والعزيمة، وصدق اللسان، وصدق الأعمال، وصدق الأحوال: ﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمۡ يَرۡتَابُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ١٥ ﴾[الحجرات: ١٥].

والإيمان أساسه الصدق، والنفاق أساسه الكذب،فلا يجتمع إيمان وكذب إلا وأحدهما محارب للآخر.

والصدق أعظم عبادات القلوب، والصدق يكون في الأقوال والأعمال والأحوال:

فالصدق في الأقوال: استواء اللسان على الأقوال الصادقة كاستواء السنبلة على ساقها.

والصدق في الأعمال: استواء الأفعال على الأمر والمتابعة، كاستواء الرأس على الجسد.

والصدق في الأحوال: استواء أعمال القلب والجوارح على الأخلاق، واستفراغ الوُسْع والطاقة في تحصيل ذلك: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرْكَعُواْ وَٱسْجُدُواْ وَٱعْبُدُواْ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُواْ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾ وَجَٰهِدُواْ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ۚ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعْتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٧٨﴾﴾ [الحج: ٧٧ – ٧٨].

والصدق والإخلاص عملانِ قلبيانِ من أعظم أعمال القلوب، وأهم أصول الإيمان:

فأما الصدق فهو الفرقان بين الإيمان والنفاق، وأما الإخلاص فهو الفرقان بين التوحيد والشرك، كما قال سبحانه: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ لِّيَجْزِىَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٤﴾﴾ [الأحزاب: ٢٣ – ٢٤].

ومحَلُّ الصدق القلب، واللسان، والأفعال:

فهو في اللسان الإخبار عن الشيء على ماهوعليه،وهو في القلب العزم الأكيد، وهو في الأفعال إيقاعُها على ما وردت به شرعًا: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف: ١١٠] .

والصدق أصل كل فضيلة، وقد مدح الله أهله في مواطن كثيرة، كما قال سبحانه: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾ [الأحزاب: ٢٣] .

والصدق أعظم درجة بعد النبوَّة،كما قال سبحانه: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّۦنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُو۟لَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا ﴿٧٠﴾﴾ [النساء: ٦٩ – ٧٠] .

٥- مراتب الصدق

الصدق له مراتب:

الأولى: صدق اللسان في الإخبار، و هذا أشهر أنواع الصدق وأظهرها: ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدۡقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ ٣٣﴾[الزمر: ٣٣].

الثانية: الصدق في النية والإرادة:

وهو ألا يكون له باعثٌ في الحركات والسكنات إلا الله وحده لا شريك له: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ٥﴾[البينة: ٥].

الثالثة: الصدق في العزيمة:

وهو عزم القلب على فعل الخيرات، والوفاء بالعهد مهما كانت الشواغل: ﴿مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ رِجَالٞ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِۖ فَمِنۡهُم مَّن قَضَىٰ نَحۡبَهُۥ وَمِنۡهُم مَّن يَنتَظِرُۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبۡدِيلٗا ٢٣﴾[الأحزاب: ٢٣].

الرابعة: الصدق في الأعمال:

وهو أن يجتهد العبد حتى لا تدُلّ أعماله الظاهرة على أمرٍ في باطنه لايتصف هو به، بأن يستجرَّ الباطن إلى تصديق الظاهر، حتى يكون باطنه مثل ظاهره أو خيراً من ظاهره: ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدۡقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ ٣٣﴾ [الزمر: ٣٣].

الخامسة: الصدق في مقامات الدين:

وهو أعلى الدرجات وأعزُّها كالصدق في الخوف والرجاء، والصدق في الحبّ والتعظيم لله، والصدق في الزُهدِ والرضا والتوكل، والصدق في التوحيد والإيمان: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمۡ يَرۡتَابُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ١٥﴾[الحجرات: ١٥].

٦ - ثمرات الصدق

إذا صدَق العبد في أقواله وأفعاله وأحواله حصلت له ثمرات عظيمة في الدنيا والآخرة، ومن تلك الثمرات والفوائد:

الأولى: طمأنينة القلب، وسكون النفس

فالصادق ينشرح صَدرُه، وتَقرُّ عينه، وتسكُن نفسه، لأنه مطمئنٌ بما يعتقد: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ ﴿٢٩﴾﴾ [الرعد: ٢٨ – ٢٩].

وقال النبي ﷺ: "الصدقُ طُمأنينةٌ، والكذبُ رِيبةٌ." أخرجه أحمد والترمذي(١)

الثانية: الصدق سِرُّ السعادة ومفتاحها، لأنه اتباعٌ لهُدى الله الذي يثمر كل خيرٍ وأمنٍ في الدنيا والآخرة: ﴿قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَآ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿٣٩﴾﴾ [البقرة: ٣٨ – ٣٩].

وقال عز وجل: ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾﴾ [طه: ١٢٣].

وقال عز وجل: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الأنعام: ٨٢].

الثالثة: تيسيرُ الرزق، وحصول البركة: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَـٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَـٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَـٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [الأعراف: ٩٦].

فالصدق في المعاملات سببٌ عظيم من أسباب الحصول على الرزق، وحصول البركة فيه .

قال النبي ﷺ: " البَيِّعانِ بالخِيارِ ما لَمْ يَتَفَرَّقا، فإنْ صَدَقا وبَيَّنا بُورِكَ لهما في بَيْعِهِما، وإنْ كَتَما وكَذَبا مُحِقَتْ بَرَكَةُ بَيْعِهِما." متفق عليه (٢).

---

(١) صحيح/ أخرجه احمد برقم (١٧٢١)، والترمذي برقم (٢٥١٨).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٢٠٧٩)، ومسلم برقم (١٥٣٢).

الرابعة: محبة الصادق، ورفع ذكره في العالمين:

فمن صدق في سريرته وعلانيته ومعاملته اطمأن إليه الناس،وأحبوه،وأثنَوْا عليه، وأكرموه، ووثقوا به .

فالصادق إن كان معلمًا أخذوا عنه، وإن كان محدثًا صدقوه، وإن كان مسؤولًا وثقوا به، وإن كان طبيبًا استأمنوه على أنفسهم وأرواحهم، وإن كان تاجرًا أو صانعًا أقبلوا عليه، واستداموا معاملته، وإن كان إنسانًا عاديًّا أكرموه واحترموه .

فالصدق من أعظم أسباب الإلفة والمودّة بين الناس، وحصول الثقة بينهم.

الخامسة: أن الصدق من أسباب المغفرة ونيلِ الأجرِ العظيم من الله يوم القيامة كما قال سبحانه:﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾﴾[الأحزاب: ٣٥] .

السادسة: الفوز بالجنة، والنجاة من النار كما قال عز وجل:﴿ قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١٩﴾﴾[المائدة: ١١٩] .

السابعة: نيل مرتبة الصِّديقية:

وهي أعلى مراتب الصدق، وهي كمال الانقياد للرسول ﷺ مع كمال الإخلاص للمرسِلِ سبحانه: ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾[الكهف: ١١٠].

والصِّديقون لهم منزلةٌ عاليةٌ في الجنة، ودرجتهم تالية لدرجة الأنبياء التي هي أرفع درجات العالمين:﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّۦنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُو۟لَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا ﴿٧٠﴾﴾[النساء: ٦٩ – ٧٠] .

والتاجر الصدوق الأمين مع النبيين والصديقين والشهداء، وأبو بكر الصديقرضي الله عنه أصدق الأمة بعد الأنبياء، لأنه صدق في إيمانه، وتوحيده، وصدق في نيته، وفي لسانه، وفي أقواله، وفي أعماله وفي معاملاته، وسائر تصرفاته:

﴿ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾[الزمر: ٣٣].

الثامنة: تحقيق العبودية لله عز وجل بإخلاص العمل له، والصدق في متابعة الرسولﷺ، وعبادة الله بكمال الحب والتعظيم والذُّل لله عز وجل: ﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَـٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾

[السجدة: ١٥ – ١٧].

التاسعة: أن الصدق يُنجي العبد من أهوال يوم القيامة: ﴿ قَالَ ٱللَّهُ هَـٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّـٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ ۚ لَهُمْ جَنَّـٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١٩﴾ ﴾[المائدة: ١١٩].

اللهم إنا نسألك إيمانًا كاملًا، ويقينًا صادقًا، ولسانًا ذاكرًا، وحلالاً طيبًا، ونسألك الفوز بالجنة، والنجاة من النار.

﴿ رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّـٰهِدِينَ ﴿٥٣﴾ ﴾.

عبادات القلوب

في ضوء القرآن والسنة

العبادة الثامنة

عبادة الإخلاص

وتشتمل هذه العبادة العظيمة على المباحث الآتية :

الأول : منزلة الإخلاص لله عز وجل .

الثاني : تفاوت الناس في الإخلاص .

الثالث : مفسدات الإخلاص .

الرابع : الأسباب المعينة على تحقيق الإخلاص .

الخامس : علامات المخلصين .

السادس : ثمرات الإخلاص .

السابع : جزاء أهل الإخلاص.

العبادة الثامنة

عبادة الإخلاص

١ - منزلة الإخلاص لله عز وجل

الإخلاص أعظم العبادات القلبية، وأصلها، وروحها .

والإخلاص هو إفراد الله بالقصد في كل قول أو فعل، أو حركة أو سكون، أو سر أو علانية، ابتغاء مرضات الله عز وجل: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ٥﴾[البينة: ٥] .

والإخلاص هو إرادة الله وحده في كل عمل، وتصفية الأحوال والأعمال من كل ماسوى الله: ﴿فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ٢ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُۚ﴾[الزمر: ٢ – ٣].

والذي يضاد الإخلاص ويفسده ثلاثة أمور هي:

إرادة العجب .. وإرادة الدنيا .. ومراءاة الناس .

قال الرسول ﷺ: (إنَّما الأعمالُ بالنِّيَّاتِ، وإنَّما لكلِّ امرئٍ ما نوَى، فمَن كانَتْ هِجرَتُه إلى الله ورسولِه، فهِجرَتُه إلى الله ورسولِه، ومَن كانَتْ هِجرَتُه لدُنْيا يُصيبُها، أو امرأةٍ ينكحها فهِجرَتُه إلى ما هاجَرَ إليه) متفق عليه [(١)].

والله عز وجل أغنى الشركاء عن الشرك، لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصًا له وحده لا شريك له، وابتغي به وجهه وحده: ﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ١١٠﴾ [الكهف: ١١٠] .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٥٤)، ومسلم برقم (١٩٠٧).

وكل عمل ابتغي به العبد مدح الناس فهو عمل حابط، ليس له ثواب، بل عليه عقاب ﴿ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾[الزمر: ٦٥ – ٦٦] .

وقال عزوجل في الحديث القدسي:(أنا أغْنَى الشُّرَكاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَن عَمِلَ عَمَلًا أشْرَكَ فيه مَعِي غيرِي، تَرَكْتُهُ وشِرْكَهُ)أخرجه مسلم (١).

والاحتساب هو فعل الأوامر، واجتناب النواهي، رجاء الثواب من الله تعالى .

قال النبيﷺ:(مَن صامَ رَمضانَ إيمانًا واحْتِسابًا غُفِرَ له ما تقدَّمَ مِن ذَنْبِه) متفق عليه (٢).

والإخلاص هو مقتضى الإيمان بأسماء الله الحسنى كالواحد الأحد، الوتر الصمد، الخالق الرازق :﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾ ﴾[الأعراف: ١٨٠] .

والإخلاص من لوازم الإيمان بأسماء الله الرب والملك، فهو الرب الخالق الذي خلق كل المخلوقات . والملك الذي له ملك جميع المخلوقات، الذي يتصرف فيهم كيف يشاء، وهو وحده ربهم الذي يربيهم، وينعم عليهم في الدنيا والآخرة . فاستحق بذلك أن يعبد وحده لا شريك له، لأنه الواحد الأحد في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾ ﴾ [البقرة: ١٦٣] .

فكما لم يشاركه أحد في الخلق والرزق، كذلك لا يجوز أن يُشرك معه أحد في الطاعة والعبادة :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ

---

(١)أخرجه مسلم برقم (٢٩٨٥) .

(٢)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٢٠١٤)، ومسلم برقم (٧٦٠).

بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [البقرة: ٢١ – ٢٢].

والإخلاص هو أصل العبادات القلبية كلها، وأصل عبادات الجوارح، فكل عمل بدون إخلاص باطل: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ﴿٥﴾﴾ [البينة: ٥].

وقال عز وجل: ﴿قُلۡ أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَأۡمُرُوٓنِّيٓ أَعۡبُدُ أَيُّهَا ٱلۡجَٰهِلُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعۡبُدۡ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [الزمر: ٦٤ – ٦٦].

فالإخلاص شرط لصحة الإيمان، و شرط لصحة جميع الأعمال: ﴿إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ فِي ٱلدَّرۡكِ ٱلۡأَسۡفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمۡ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصۡلَحُواْ وَٱعۡتَصَمُواْ بِٱللَّهِ وَأَخۡلَصُواْ دِينَهُمۡ لِلَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ وَسَوۡفَ يُؤۡتِ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَجۡرًا عَظِيمٗا ﴿١٤٦﴾﴾ [النساء: ١٤٥ – ١٤٦].

٢ - تفاوت الناس في الإخلاص

الناس متفاوتون في تحقيق الإخلاص بحسب ايمانهم ويقينهم .

والإخلاص عبادة قلبية عظيمة يكون في كل شيء، فيدخل في العبادات، والمعاملات، والأقدار، والأقوال، والأفعال :﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ﴾ [الأنعام: ١٦٢ – ١٦٣] .

فمن صح إخلاصه أخلص العبادات كلها لله عز وجل، ولم يرَ المخلوقين أثناء العبادة، فهو لا يرى إلا الخالق العظيم، وثوابه العظيم، وعذابه العظيم، فيشغله ذلك عن كل ما هو دونه :﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾[السجدة: ١٥ – ١٧] .

ومن صدق إخلاصه حول عاداته إلى عبادات، فتجده يأكل ليتقوّى على العبادات، وتجده ينام مبكرًا ليستيقظ لصلاة التهجد، وتجده يتزوج يريد أن يكثر سواد المسلمين، ويتزوج لينجب داعيًا إلى الله لينشر الإسلام في العالم، أو عالما لينشر العلم الإلهي في الأمة، ونحو ذلك من النيات التي تتحول بها العادات إلى عبادات يؤجر عليها العبد .

قال النبي ﷺ:(إنَّما الأعمالُ بالنِّيَّاتِ، وإنَّما لكلِّ امرئٍ ما نوَى) متفق عليه [١]

والنية في الأقدار كأن يلح العبد على ربه أن يرزقه الشهادة في سبيل الله، أو يرزقه الحج كل عام، فمن نوى ذلك صادقًا عازمًا، أدرك الثواب،وإن لم يحصل العمل، ويدخل الإخلاص في كل قول تقوله، وفي كل عمل تعمله وفي كل خُلقٍ تتخلق به :﴿ ۞ لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ

(١)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٥٤)، ومسلم برقم (١٩٠٧).

بَيْنَ ٱلنَّاسِۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾ ﴾[النساء: ١١٤] .

ولا تصح النية الحسنة في المعصية، لأن النية الحسنة لا تغير المعصية عن كونها حراما وظلما، فلا يجوز أن تبني مسجدا بمال حرام، أو تتصدق على فقير بمال حرام، لأن الله طيب لايقبل الا طيبًا :﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾ ﴾[الحشر: ٧] .

وقال عز وجل: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِۖ وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُواْ فِيهِۚ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٢٦٧﴾ ﴾[البقرة: ٢٦٧] .

وقال النبي ﷺ: (إنَّ اللهَ طَيِّبٌ لا يقبلُ إلا طَيِّبًا)أخرجه مسلم (١).

والنية الواسعة تجارة العلماء، فتنوي أُمورا كثيرة في العمل الواحد، فيكتب الله لك أجر ما نويت، فانوِ امتثال جميع أوامر الله في كل حال، واجتناب جميع ما نهى الله ورسوله عنه في كل حال، يكتب لك أجر ذلك بالنية الجازمة .

وانوِ التعاون على البر والتقوى، وعدم التعاون على الإثم و العدوان .

وانوِ الإحسان إلى الناس بالقول والفعل والمال، وافعل ما تستطيع يكتب لك أجر ذلك كله .

قال النبي ﷺ:(إنَّما الأعمالُ بالنِّيَّاتِ، وإنَّما لكلِّ امرئٍ ما نوَى)متفق عليه (٢).

---

(١)أخرجه مسلم برقم (١٠١٥) .

(٢)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٥٤)، ومسلم برقم (١٩٠٧)

٣- مفسدات الإخلاص

الإخلاص واجب في كل عمل، وهو إفراد الله بالقصد في جميع العبادات الظاهرة والباطنة: ﴿قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾﴾ [الزمر: ١١ – ١٢].

والذي يفسد الإخلاص ثلاثة:

الشرك .. والنفاق .. والرياء.

فالإخلاص واجب في الاعتقاد، وعكسه النفاق، والإخلاص واجب في أعمال القلوب، وعكسه الشرك، والإخلاص واجب في أعمال الجوارح وعكسه الرياء: ﴿قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّيٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [الزمر: ٦٤ – ٦٦].

والرياء أن يبتغي العبد بعمله الظاهر غير الله، أو يبتغي الخالق للأجر، والمخلوق للذكر، والرياء لا يكون إلا في أعمال الجوارح، فلا يكون إلا في الأقوال والأعمال التي تظهر للناس: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا۟ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾﴾ [النساء: ١٤٢].

والرياء يفسد العمل الذي هو فيه كبيرًا كان أو صغيرًا، ويبطل ثوابه، ويوجب العقاب لتسويته المخلوق مع الخالق في القصد، ولكنه لا يخرج من الملة.

والإخلاص في عمل القلب هو إفراد الله بالحب، والتعظيم، والخوف، والرجاء، والتوكل، وغيرها من عبادات القلوب.

ومن صرف شيئا من هذه العبادات لغير الله فهو مشرك شركاً أكبر، كأن يحب المخلوق كحب الخالق، أو يخافه كخوف الخالق :﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾ ﴾[البقرة: ١٦٥] .

وقال عز وجل:﴿ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾ ﴾[آل عمران: ١٧٥] .

و الشرك الأكبر يخرج العبد من الملة، ويبطل التوحيد،وينقض الإيمان .

والإخلاص أصلٌ في كل عمل، فكل عمل صالح لا إخلاص فيه فهو باطل .

والإخلاص في الاعتقاد هو الصدق في قول لا إله إلا الله، وذلك أصل التوحيد :﴿ قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿١١﴾ ﴾[الزمر: ١١] .

وقال عز وجل:﴿ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٣﴾ ﴾[الزمر: ٣] .

والإخلاص يضاده الشرك،والنفاق،والرياء .

فالإخلاص يضاد الشرك، وهو أن يعمل العمل الصالح لغير الله، أو يعمله لله ولغيره، وهو يقع في أعمال القلوب الباطنة :﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾ ﴾ [الكهف: ١١٠] .

والنفاق إظهار الإسلام، وإبطان الكفر، فالمنافق يؤدي بعض العبادات الظاهرة إن كان في جمع من المسلمين، ويترك العبادة إن كان وحده، والمنافق يظهر العبادة أمام الناس لجلب نفع، أو دفع ضر .

والمنافق كافر، وعمله مردود غير مقبول، لأنه لا يقر لله بالتوحيد، ولا يعظم ربه، بل يريد بعمله ثناء الناس عليه، وهذا هو النفاق المذكور في القرآن كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾﴾[النساء: ١٤٢].

وجميع النفاق المذكور في القرآن هو النفاق الاكبر المخرج من الملة.

والرياء ضد الإخلاص، وهو أن يعمل العمل الصالح في الظاهر، ويقصد به غير الله في الباطن، والرياء يقع في الأعمال الظاهرة، والمرائي يقر لله بالتوحيد ويعظمه، لكنه يريد ثناء الناس، مع ثواب الله على العبادة: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ﴿٦﴾ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ﴿٧﴾﴾[الماعون: ٤ – ٧].

والرياء هو تزيين ظاهر العبادة للناس، تقربا اليهم، ورجاء الثناء منهم، وطلب المنزلة عندهم، أو طلب الدنيا التي بأيديهم.

وكل عمل صالح لايقبله الله الا بثلاثة شروط:

الأول: الإيمان بالله عز وجل: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾ [النحل: ٩٧].

الثاني: الإخلاص بأن يبتغي بعمله وجه الله وحده: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾﴾[البينة: ٥].

الثالث: الاتباع بإن لا يتبع في عمله إلا رسول الله ﷺ: ﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلْأُمِّيِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾﴾ [الأعراف: ١٥٨].

وقال عز وجل: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ [الأحزاب: ٢١].

والذي يضاد الإخلاص و يفسده ثلاثة أمور هي:

إرادة العجب .. وإرادة الدنيا .. ومراءاةالناس .

قال الله عز وجل: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف: ١١٠].

وقال الله عز وجل في الحديث القدسي: (أنا أغْنَى الشُّرَكاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَن عَمِلَ عَمَلًا أشْرَكَ فيه مَعِي غيرِي، تَرَكْتُهُ وشِرْكَهُ). أخرجه مسلم [١].

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٩٨٥).

٤ - الأسباب المعينة على تحقيق الإخلاص

يعين على تحقيق الاخلاص أمور .

الأول: معرفة الله بأسمائه الحسنى، وصفاته العلا، وأفعاله الحميدة، ومعرفة عظمة ملكه وسلطانه، ومعرفة عظمة نعمه وآلائه ومعرفة عظمة دينه وشرعه، ومعرفة عظمة وعده ووعيده، ومعرفة عظمة ثوابه وعقابه .

فمن عرف ذلك أخلص العبادة لله وحده .: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾[محمد: ١٩] .

الثاني: التفكر في عظمة آيات الله الكونية، من خلق السماوات والأرض، وخلق الشمس والقمر، وخلق الليل والنهار ونحو ذلك، فمن تفكر في تلك الأيات العظيمة عرف أن لها خالقا خلقها، وهو الذي يدبر أمرها، فآمن به، وأخلص له العبادة، لأنه وحده الذي بيده الخلق والأمر :﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾ [الأعراف: ٥٤] .

ومن هذه أسماؤه وصفاته وأفعاله هو الذي يستحق العبادة وحده لا شريك له: ﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ ۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ ﴾[الأنعام: ١٠١ – ١٠٣].

الثالث: التدبر لآيات الله القرآنية، وما فيها من الأخبار الصادقة، والأحكام العادلة، والقصص المؤثرة، والأوامر الحكيمة، والوعد والوعيد: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾ ﴾[ص: ٢٩] .

فمن تدبر ذلك علم أنه كلام رب العالمين، وأنه تنزيل من حكيم خبير، فآمن بالله وحده، وأخلص له العبادة وحده لا شريك له ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ ﴾[النساء: ٨٢] .

٥ - علامات المخلصين

لأهل الإخلاص علامات يمتازون بها منها .

الأولى : أن المخلص يتهم نفسه بالتقصير دائما، مع مسارعته في فعل الخيرات : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَـٰبِقُونَ ﴿٦١﴾ ﴾[المؤمنون: ٥٧ - ٦١] .

الثانية: أن المخلص يخاف دائما من الرياء، فهو دائمًا يجمع نيته وإخلاصه قبل العمل، ويظل وجلاً أثناء العمل، خائفًا من خطورة الرياء، ومن عدم قبول العمل بعد العمل : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَـٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَـٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾ [الأنفال: ٢ - ٤] .

الثالثة: أن المخلص يحرص على إخفاء أعماله الصالحة قدر الاستطاعة، لأنه يعلم أنه لا يجزي عليها إلا الله وحده لا شريك له : ﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَـٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾[السجدة: ١٥ - ١٧] .

الرابعة: أن المخلص تكون عبادته في الخفاء أقوى منها في العلانية، لأنه خلا بربه واستأنس به، فنشط للاستكثار مما يحب ربه : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾ ﴾[الملك: ١٢] .

الخامسة: أن المخلص لا يتأثر قلبه برؤية الناس له، لأن انشغاله بمراقبه ربه، واستحضار عظمته، قد حجب عينيه عن رؤية من هو دونه من المخلوقين :

﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾ ﴾[الزمر: ٩].

السادسة: أن المخلص لا يتأثر بمدح الناس له، بل يستوي عنده مدح الناس وذمهم له، وثناء المخلوقين عليه لا يؤثر على قلبه، ولا يدفعه لتحسين عمله، لأنه لا يطلب مدحهم أصلًا ولا يتطلع إليه أبدًا: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾ ﴾[فاطر: ٢٨].

السابعة: أن المخلص لا يتأثر بفساد الناس، فلا تقل طاعاته إذا فسد الناس، لأنه يقتدى برسول الله صلى الله عليه و سلم، ولا يؤثر فيه إن كان الناس من حوله على طاعةٍ أو معصية: ﴿ فَٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ [غافر: ١٤].

الثامنة: كثرة ذكر الله عز وجل في جميع الأوقات والأحوال: ﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾ ﴾[آل عمران: ١٩٠ – ١٩١].

التاسعة: خشية الله في السر والعلن: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾ ﴾[الملك: ١٢].

العاشرة: كثرة البكاء من خشية الله كما قال الله عن الأنبياء وأتباعهم: ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّۦنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَٱجْتَبَيْنَآ ۚ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَبُكِيًّا ۩ ﴿٥٨﴾ ﴾[مريم: ٥٨].

٦ - ثمرات الإخلاص

الإخلاص هو روح العبادات كلها، وهو أعظم عبادة من عبادات القلوب، وهوسر بين العبد وربه، لا يعلمه ملك فيكتبه، ولا يعلمه شيطان فيفسده، ولا يعلمه عدو فيحسد صاحبه .

والشيطان يدخل في كل عمل ليفسده، ولا ينجو من ذلك إلا المخلصين الصادقين كما قال سبحانه: ﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾[ص: ٨٢ – ٨٣] .

والإخلاص هو أساس إحسان العبادة، لأن احسانالعبادة يكون بالاخلاصوالإتباع: ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾ ﴾[الكهف: ١١٠] .

وإخلاص الأعمال لله سبب لحب الله للعبد، و سبب للفوز بالجنة، وسبب للنجاة من النار يوم القيامة: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾ ﴾[فصلت: ٣٠ – ٣٢] .

والإخلاص سبب للأمن في الدنيا والآخرة: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾[الأنعام: ٨٢] .

والإخلاص سبب لنيل شفاعة النبي ﷺ يوم القيامة .

قال الرسول ﷺ: (أَسْعَدُ النَّاسِ بشَفَاعَتي يَومَ القِيَامَةِ، مَن قالَ لا إلَهَ إلَّا اللَّهُ، خالِصًا مِن قَلْبِهِ، أوْ نَفْسِهِ) أخرجه البخاري [١].

والنية تضاعف أجر العامل المخلص، والنية تحل محل العمل عند العذر .

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٩٩).

قال ﷺ:(إذا مرض العبد أو سافر كتب له مثل ما كان يعمله صحيحًا مقيمًا) متفق عليه [١]

فأصحاب الأعذار يدركون ثواب الطاعة كاملة، كأصحاب العزائم، إذا صدقت نيتهم، فيكتب الله للضعيف العاجز أجر المجاهد في سبيل الله، ويكتب للمريض العاجز أجر صلاة الجماعة، ويكتب للفقير أجر الصدقة .

قال النبيﷺ:(إنَّ بالمَدِينَةِ أقْوامًا، ما سِرْتُمْ مَسِيرًا، ولا قَطَعْتُمْ وادِيًا إلَّا كانُوا معكُمْ، قالوا: يا رَسولَ اللَّهِ، وهُمْ بالمَدِينَةِ؟ قالَ: وهُمْ بالمَدِينَةِ، حَبَسَهُمُ العُذْرُ .) متفق عليه [٢].

والإخلاص من أعظم أسباب إجابة الدعاء :﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ ﴾[البقرة: ١٨٦] .

والإخلاص في الدعاء من أعظم أسباب النجاة من الهلاك والموت :﴿ فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [العنكبوت: ٦٥] .

والإخلاص سبب نجاة أصحاب الغار الثلاثة الذين آوَاهُمُ المَبِيتُ إِلَى غَارٍ فانطبقت عليهم صخرة فدعوا الله بصالح أعمالهم، ففرجت عنهم الصخرة، وخرجوا يمشون – متفق عليه [٣].

---

(١)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٠٢١)، ومسلم برقم (٥ ١٠٠)

(٢)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٢٦٨٤)، ومسلم برقم (١٩١١)

(٣)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٢٢٧٢)، ومسلم برقم (٢٧٤٣)

٧- جزاء أهل الإخلاص

جزاء أهل الإخلاص هو الفوز بالجنة، والنجاة من النار، وقبول الأعمال، ونيل الأجر العظيم، والفوز بالدرجات العلا في الجنة، ورضوان الرب، والقرب منه ورؤيته، وسماع كلامه: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾﴾ [التوبة: ٧٢].

وقال عز وجل: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال: ٢-٤].

وقال عز وجل: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ ﴿٥٥﴾﴾ [القمر: ٥٤ – ٥٥].

وقال عز وجل: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة: ٢٢ – ٢٣].

وقال النبي ﷺ: (ما من أحدٍ يشهد أن لا إله إلا الله، وأنَّ محمدًا رسول الله صدقًا من قلبه إلا حرَّمه الله على النار) متفق عليه (١).

اللهم إنا نسألك الجنة، وما قرب إليها من قول أو عمل، ونعوذ بك من النار، وما قرب إليها من قول أو عمل.

﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٣﴾﴾.

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (١٢٨)، ومسلم برقم (٣٢)

عبادات القلوب

في ضوء القرآن والسنة

العبادة التاسعة

عبادة الرضا

وتشتمل هذه العبادة العظيمة على المباحث الآتية :

الأول: منزلة الرضا.

الثاني: بم يكون الرضا عن الله عز وجل .

الثالث: أركان الرضا.

الرابع: أقسام الرضا.

الخامس: الأسباب التي تعين على الرضا.

السادس: ثمرات الرضا.

السابع: جزاء أهل الرضا.

العبادة التاسعة

عبادة الرضا

١ - منزلة الرضا

الرضا عن الله عزّ وجل من أعظم العبادات القلبية، وهو ركن من أركان الإيمان بالله عزّ وجل: ﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾﴾[التوبة: ٦٢] .

ومن رضي بالله ربًا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد رسولًا، فقد ذاق طعم الإيمان، وحلاوته، ووصل إلى أعلى درجات الرضا.

قال النبي ﷺ: «ذَاقَ طَعْمَ الإِيمَانِ، مَنْ رَضِيَ بِالله رَبًّا، وَبِالإِسْلامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولاً». أخرجه مسلم [1].

ومن وصل إلى هذه الدرجة العظيمة، رضي الله عنه وأرضاه، وأسكنه أعلى درجات الجنة كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾ جَزَاؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۖ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ ﴿٨﴾﴾البينة:[٧ - ٨].

والرضا عن الله عزّ وجل عبادة قلبية عظيمة الشأن، ودرجة إيمانية عظيمة القدر، وقليل من الناس من يصل إلى هذه الدرجة العالية، بسبب الجهل بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله، والجهل بدينه وشرعه، والجهل بوعده ووعيده: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴿١٩﴾﴾[محمد: ١٩] .

---

(١)أخرجه مسلم برقم (٣٤) .

ولو عرف العبد ربه كما يجب، حصل منه التعظيم لله عزّ وجل، والحب لله، والحياء من الله، والخوف من الله، والشكر لله، والرضا عن الله، والافتقار إلى الله: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾[الأنفال: ٢-٤].

وما كان منه إلا كمال الأدب مع ربه، اذعاناً لجلاله، وتسليماً لأمره، وتصاغراً لكبريائه، وخضوعاً لعظمته، وانقياداً لأوامره، وتطلعاً إلى رضوانه: ﴿وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾﴾[التوبة: ٦٢].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾﴾[الملك: ١٢].

والرضا عن الله عزّ وجل باب الله الأعظم، ومن عرف الله رضي عنه، وسلم لأمره، وانقاد لرسوله ﷺ: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [النساء: ٦٥].

ومن رضي بالله ربًا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد نبيًا، وجبت له الجنة.

قال النبي ﷺ: (مَنْ رَضِيَ بِاللهِ رَبًّا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ نَبِيًّا، وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ) أخرجه مسلم (١).

وهذه الأمور الثلاثة هي أصول الدين ولهذا يسأل عنها العبد في قبره ويقال له: من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟.

فمن عرف ربه حقاً، وعرف دينه حقاً، وعرف رسوله حقاً، وعبد الله بموجب ذلك أجاب على ذلك، وفاز بالجنة، وإلا لم يجب، فخسر دنياه وأخراه.

---

(١) أخرجه مسلم برقم (١٨٨٤).

٢ - بم يكون الرضا عن الله عزّ وجل؟

الرضا عن الله عزّ وجل يكون بأمرين :

أحدهما: الرضا عن أقدار الله المحبوبة والمكروهة.

والرضا بأقدار الله المؤلمة مهما عظمت، ومهما كثرت، ومهما اختلفت.

قال النبيﷺ: (إن عِظَمَ الجزاءِ مع عِظَمِ البلاءِ، وإن اللهَ عزّ وجل إذا أَحَبَّ قومًا ابتلاهم؛ فمن رَضِيَ فله الرِّضَا، ومن سَخِطَ فله السُّخْطُ) أخرجهالترمذي وابن ماجة (١).

وقضاء الله كله خير حلواً كان أو مراً؛ لأنه مقرون بالحكمة المطلقة، المقرونة بالخير المطلق، المقرونة بالرحمة المطلقة؛ فلا راد لقضائه، ولا معقب لحكمه، وهو العليم الحكيم.

والمؤمن يرضى بكل ما قضاه الله وقدره عليه، وذلك من أعظم عبادات القلوب.

قال النبيﷺ: «عَجَبًا لِأَمْرِ المُؤمنِ إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ لَهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَلِكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ: إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ، صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن» أخرجه مسلم (٢).

ورضا العبد عن ربه في جميع الحالات يثمر له رضا ربه عنه، فإذا رضي العبد بقليل من الرزق، رضي الله عنه بقليل من العمل، وأعطاه عليه الكثير من الأجر، وإذا صبر على بلاء ربه ورضي به، فتح الله له أبواب الأجور بلا حساب: ﴿يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٞۗ وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌۗ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٖ ١٠﴾ [الزمر: ١٠].

الثاني: الرضا عن شرع الله وحكمه؛ فلا يكره شيئا مما أنزل الله، أو مما جاءت به الشريعة، بل ينقاد ويسلم ويخضع لكل ما أمر الله ورسوله به، ويأخذ ويرضى بكل الشريعة دون انتقاء واختيار، سواءً أحبته نفسه أو كرهته: ﴿يَٰٓأَيُّهَا

(١)صحيح/ أخرجه الترمذي برقم (٢٣٩٦) وابن ماجة برقم (٤٠٣١).

(٢)أخرجه مسلم برقم (٢٩٩٩).

ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ﴿٢٠٨﴾ ﴾[البقرة: ٢٠٨] .

فالمؤمن حقًا من رضي بالله، ربًا وبالإسلام دينًا، وبمحمد رسولا .

والرضا عن الله جلّ جلاله، وعن أقداره وأحكامه هو جنة الدنيا العاجلة، الموصلة إلى جنة الآخرة: ﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَمَغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ﴿٤﴾ ﴾[الأنفال: ٢ – ٤] .

والرضا هو الدين كله، فإن ما يجري على العبد في الدنيا خمسة أمور:

مأمورات، ومنهيات، ومباحات، ونعم مُسعِدة، وبلايا مؤلمة .

فإذا استعمل العبد الرضا في ذلك كله فقد أخذ بالحظ الوافر من الإسلام، وفاز برضوان ربه، ودخول جنته: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ خَيۡرُ ٱلۡبَرِيَّةِ ﴿٧﴾ جَزَآؤُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَشِيَ رَبَّهُۥ ﴿٨﴾ ﴾البينة:[٧ – ٨].

ومن رضي بما اختاره الله له لم يتمنَ غير ما اختار الله له، ولم يحب غير ما سيره الله إليه، فإن الله ارحم بالعبد من نفسه: ﴿ وَرَبُّكَ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخۡتَارُۗ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾[القصص: ٦٨] .

فالرضا عن الله عزّ وجل فيما قدره على عبده من أعظم عبوديات القلب .

والرضا قناعة بتدبير الله واختياره لما يصلح عبده.

ومن رضي بما قسم الله له لم يزاحم الناس على دنياهم، ومن رضي بما قدره الله له أو عليه لم يتمنَّ غير ما قدره الله له أو عليه؛ لأنه واثق بربه، متيقن أن ربه أرحم به من نفسه: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۖ هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ ﴾[الحشر: ٢٢].

وقال الله تعالى: ﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوۡلَىٰنَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝٥١ ﴾[التوبة: ٥١].

فالراضي أشرح الناس صدرًا، وأطيبهم نفسًا، وأصدقهم إيمانًا، وأسرعهم إلى كل فضيلة، وأبعدهم عن كل رذيلة، وأسبقهم إلى كل طاعة، وأبعدهم عن كل معصية، وأعظمهم درجة، وأكثرهم ثوابًا: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ۝٢٨ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمۡ وَحُسۡنُ مَـَٔابٖ ۝٢٩ ﴾[الرعد: ٢٨ –٢٩].

ومن رضي بقضاء الله لم يطلب ما عند أحد، ومن قنع بعطاء الله لم يدخل قلبه حسد، فالأرزاق مقسومة في قدرها، ونوعها، وأصحابها: ﴿ أَهُمۡ يَقۡسِمُونَ رَحۡمَتَ رَبِّكَۚ نَحۡنُ قَسَمۡنَا بَيۡنَهُم مَّعِيشَتَهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ وَرَفَعۡنَا بَعۡضَهُمۡ فَوۡقَ بَعۡضٖ دَرَجَٰتٖ لِّيَتَّخِذَ بَعۡضُهُم بَعۡضٗا سُخۡرِيّٗاۗ وَرَحۡمَتُ رَبِّكَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ ۝٣٢ ﴾[الزخرف: ٣٢].

ومن رضي بالله ربًا يدبر أموره، وأمور غيره، ورضي به إلهًا يعبد وحده، لكمال ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته، وأنه لا يستحق العبادة إلا هو وحده لا شريك له، وعبد ربه كأنه يراه بكمال الحب، والتعظيم، والذل له، فقد وصل إلى أعلى درجات الرضا، وأعلى درجات العبودية، وفاز برضوان الله عليه، ونال أعظم الثواب من ربه: ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ۝١٠٠ ﴾[التوبة: ١٠٠].

ومن أراد أن يرضى الله عنه ويرضيه فليحافظ على كل ما يحبه الله ويرضاه، من الفرائض والنوافل والأدعية والأذكار في جميع الأوقات، وليصبر على كل ما يصيبه من أعداء الله: ﴿ فَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ قَبۡلَ طُلُوعِ ٱلشَّمۡسِ وَقَبۡلَ غُرُوبِهَاۖ وَمِنۡ ءَانَآيِٕ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡ وَأَطۡرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرۡضَىٰ ۝١٣٠ ﴾[طه: ١٣٠].

فإذا فعلت ذلك فسوف يعطيك الله من فضله حتى ترضى كما قال سبحانه: ﴿ وَلَسَوۡفَ يُعۡطِيكَ رَبُّكَ فَتَرۡضَىٰٓ ۝٥ ﴾[الضحى: ٥].

٣- أركان الرضا

أركان الرضا ثلاثة :

الرضا بالله ربًا.. وبالإسلام دينًا.. وبمحمد رسولا، والعمل بموجب ذلك.

فإذا رضي العبد بهذه الثلاثة ذاق طعم الايمان، وحلاوته، ووصل إلى حقيقة: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال: ٢ – ٤].

وقال النبي ﷺ: «ذَاقَ طَعْمَ الإِيمَانِ، مَنْ رَضِيَ بِالله رَبًّا، وَبِالإِسْلامَ دِيناً، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولاً». أخرجه مسلم [(١)].

ومن رضي بالله ربًا آمن به، وأطاعه ولم يعصه، وتوكل عليه، ولم يلتفت إلى غيره، وعبده وحده لا شريك له: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾[الأنعام: ١٠٢].

ومن أرضى الله في الدنيا بالتوحيد، والإيمان، والأعمال الصالحة، أرضاه الله يوم القيامة بالرضوان عنه، وأرضاه بالخلود في نعيم الجنة: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾﴾[التوبة: ٧٢].

والرضا بالإسلام دينًا، أن يرضى العبد بهذا الدين العظيم الذي رضيه الله لعباده وأكمله لهم، كما قال سبحانه: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى

(١) أخرجه مسلم برقم (٣٤).

وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًاۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِى مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍۙ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣﴾ ﴾[المائدة: ٣].

فهذا الدين العظيم تصلح به أمور الناس الخاصة والعامة، وأمور الناس في الدنيا والآخرة، فمن رضي به، وآمن به، وعمل بأحكامه، فقد خرج من ظلمات الكفر إلى نور الإسلام، وحصلت له السعادة في الدنيا والآخرة كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾ ﴾[فصلت: ٣٠-٣٢].

فأسعد الناس في الدنيا والآخرة هم المؤمنون: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾[الأنعام: ٨٢].

أما الإيمان بمحمد رسول الله ﷺفهو الإيمان به رسولاً، واتباعه، و تصديقه فيما أخبر، وامتثال أوامره، واجتناب نواهيه، وأن لا يعبد الله الا بما شرع، ومحبته، ونشر سنته: ﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ ﴾[الأعراف: ١٥٨].

فالرضا بالله ربًا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد رسولًا، من أعظم عبوديات القلب الموصلة إلى رضوان الله والجنة.

قال النبيﷺ: (مَنْ رَضِيَ بِاللهِ رَبًّا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ نَبِيًّا، وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ). أخرجه مسلم [1].

---

(١) أخرجه مسلم برقم (١٨٨٤).

وحلاوة الإيمان من الله وحده، يعطيها الله من يشاء من عباده، وزينة الإيمان تكمل بالرضا بالله ربًا وبمحمدٍ رسولًا، وهذا الرضا هو الذي يدفع العبد إلى أعمال الخير، والمسارعة إلى أنواع العبادات والقربات، ويحول بينه وبين المعاصي والسيئات: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ ۚ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ ﴿٧﴾ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً ۚ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٨﴾﴾ [الحجرات: ٧ – ٨] .

فليبشر كل من رضي بالله ربًا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد رسولًا، برضوان الله عليه في الدنيا والآخرة .

قال النبي ﷺ: (مَنْ قَالَ حِينَ يُصْبِحُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ: رَضِيتُ بِاللهِ رَبًّا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ نَبِيًّا، وَحِينَ يُمْسِي مِثْلَ ذَلِكَ، كَانَ حَقًّا عَلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يُرْضِيَهُ). أخرجه أحمد وأبو داود [١].

---

(١)حسن/ أخرجه احمد برقم (٣٤٩٩) وأبو داودبرقم (٥٠٧٢) .

٤ - أقسام الرضا

ينقسم الرضا إلى ثلاثة أقسام :

أحدها: الرضا بالله ربًا وإلهًا، وهذا فرض على كل أحد: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ١٠٢ لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ١٠٣ ﴾[الأنعام: ١٠٢ – ١٠٣] .

الثاني: الرضا عن الله في كل ما قضاه وقدره لأن الله حكيم عليم، لا يضع الشيء إلا في موضعه، ولا يختار لعبده إلا ما ينفعه ويصلحه في الدنيا والآخرة: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ ٢٤٣ ﴾[البقرة: ٢٤٣].

الثالث: الرضا بكل ما قضاه الله وقدره، وهذا أقسام :

الأول: ما يجب الرضا به، و هو المقضي الديني الشرعي كما قال سبحانه: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا ٦٥ ﴾[النساء: ٦٥] .

الثاني: المقضي الكوني القدري .

فهذا إن كان فقراً أو مرضًا ونحو ذلك، فهذا يستحب الرضا به، بل يجب، لأن اختيار الله خير من اختيار العبد.

قال الله تعالى: ﴿ وَلَنَبۡلُوَنَّكُم بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلۡخَوۡفِ وَٱلۡجُوعِ وَنَقۡصٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٥٥ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ١٥٦ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ ١٥٧ ﴾ [البقرة: ١٥٥ – ١٥٧] .

وإذا كان المقضي كفراً، أو شركاً، أو معصيةً، حُرِّم الرضا به، لأن الله لا يرضى بذلك، ولا يحبه، ولا يأمر به، ولا يرضى لعباده الكفر: ﴿ وَإِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةٗ قَالُواْ وَجَدۡنَا عَلَيۡهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَاۗ قُلۡ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٢٨ ﴾[الأعراف: ٢٨] .

فالله يأمر بالتوحيد والإيمان، والعدل والإحسان، وأنواع الطاعات كما قال سبحانه: ﴿ قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿٢٩﴾ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [الأعراف: ٢٩ – ٣٠].

والناس في الرضا ثلاثة أقسام :

أحدها: رضا عوام الناس بما قسمه الله وأعطاه للعبد من الرزق.

الثاني: رضا الخواص، وهو الرضا بما قدره الله وقضاه.

الثالث: رضا خواص الخواص وهو الرضا بالله عن كل ما سواه.

فالأول: أدنى الدرجات.

والثاني: أعلى منه.

والثالث: أعلى منهما.

فارضَ يا عبد الله بما قسم الله لك، وارضَ بما قضاه الله وقدره لك أوعليك، وأرضَ بالله عن كل ما سواه: ﴿ فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَىٰ مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾[الحج: ٣٤ – ٣٥].

ومن أرضى الله أرضاه ورضي عنه، وأرضى عنه الناس، وأرضى عنه الملائكة.

وأصل الرضا وروحه هو الرضا بالله ربًا، وعدم الرضا بأي إله آخر سواه، وهذا قطب الدين وأصل الملة: ﴿ قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿١٦٤﴾ ﴾[الأنعام: ١٦٤].

وقال عزّ وجل: ﴿ قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّىٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾[الزمر: ٦٤ –٦٦] .

واعلم يا عبد الله أن الرضا بالطاعة طاعة أخرى، والرضا بالمعصية معصية أخرى، والرضا بالمصائب أعظم من الصبر، والحمد والشكر عليها أعظم من الرضا بها: ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾ ﴾[التغابن: ١١] .

والرضا من أعظم عبادات القلوب، وهو أن تفرد الله وحده بالتعظيم، وتفرده وحده بالمحبة، وتفرده وحده بالخوف، وتفرده وحده بالرجاء، وتفرده وحده بالشكر، وتفرده وحده بالتسليم والإذعان: ﴿ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ ﴾[التوبة: ٦٢] .

وتنيب إلى الله، وتقدم أمر الله على ما سواه مما تحب النفس، وترضى بدين الله العظيم، وترضى بكل ما جاء به رسوله ﷺ من أحكام وآداب، وأقوال وأفعال، وتعمل بموجب ذلك بكمال الحب والتعظيم والذل لله عزّ وجل.

فهذه أعلى درجات الرضا، وبها يرضى الله عزّ وجل عن العبد، ويحبه، ويحبب إليه الملائكة، ويحبب إليه الناس، ويخلده في نعيم الجنة: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾ جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ ﴿٨﴾ ﴾

[البينة: ٧ – ٨].

٥ - الأسباب التي تعين على الرضا

الأول: العلم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله، وأقداره الحكيمة، ونعمه العظيمة، وكمال رحمته وبره وإحسانه: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾﴾ [محمد: ١٩].

الثاني: التفكر في عظمة نعم الله على عباده في الدنيا والآخرة، والتي هي مبسوطة للمؤمن والكافر، والمطيع والعاصي، والبر والفاجر كما قال سبحانه: ﴿أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾﴾ [لقمان: ٢٠].

الثالث: التفكر في عظمة آيات الله الشرعية، وما فيها من المحاسن والفضائل، والسهولة واليسر، وحسن الثواب والعقاب...وغير ذلك مما ورد في القرآن والسنة: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾﴾ [ص: ٢٩].

الرابع: العلم بعظيم رحمة الله بعباده، وحلمه عليهم، ومغفرة ذنوبهم، وحبه لإيمانهم وطاعتهم، وإكرامهم بأنواع التكريم: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾﴾ [الإسراء: ٧٠].

وقال الله تعالى: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾﴾ [البقرة: ١٦٣].

الخامس: دعاء الله عز وجل أن يرزقه الرضا عنه، وعن دينه، وأقداره، وأحكامه: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾ [البقرة: ١٨٦].

٦ - ثمرات الرضا

الرضا له ثمرات إيمانية كثيرة ترفع العبد الى أعلى منازل العبودية، وتوصله إلى أعلى درجات الجنة: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ خَيۡرُ ٱلۡبَرِيَّةِ ٧ جَزَآؤُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَشِيَ رَبَّهُۥ ٨ ﴾[البينة: ٧ - ٨].

ومن ثمرات الرضا العظيمة:

الأولى: رضا الله عن العبد، فمن رضي عن الله رضي الله عنه: ﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ ٢٧ ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةٗ مَّرۡضِيَّةٗ ٢٨ فَٱدۡخُلِي فِي عِبَٰدِي ٢٩ وَٱدۡخُلِي جَنَّتِي ٣٠ ﴾ [الفجر: ٢٧ - ٣٠].

وقال النبي ﷺ: (إنَّ عِظمَ الجزاءِ مع عِظمِ البلاءِ ، وإنَّ اللهَ إذا أحبَّ قومًا ابتلاهم، فمَن رَضي فله الرِّضَى ، ومَن سخِط فله السَّخطُ) أخرجه الترمذي وابن ماجة(١).

ورضا الله يدركه العبد بأقل عمل، وأيسر جهد .

قال النبي ﷺ:(إنَّ اللهَ لَيَرضَى عَنِ العَبْدِ أَنْ يَأْكُلَ الأكْلَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا، أَوْ يَشْرَبَ الشَّرْبَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا). أخرجه مسلم (٢).

وقال النبي ﷺ: «مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَبْتَغِي فِيهِ عِلْمًا سَلَكَ اللهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الجَنَّةِ، وَإِنَّ المَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا لِطَالِبِ العِلْمِ، رضا بما يصنع)أخرجه الترمذي وابن ماجة(٣)

الثانية: أن من آمن بالله ورضي عنه فاز بالرضوان الأكبر من ربه يوم القيامة كما قال سبحانه: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ٧٢ ﴾[التوبة: ٧٢].

---

(١)صحيح/ أخرجه الترمذي برقم (٢٣٩٦) وابن ماجة برقم (٤٠٣١) .

(٢)أخرجه مسلم برقم (٢٧٣٤) .

(٣)صحيح/ أخرجه احمد برقم (٢١٧١٥) والترمذي برقم (٢٦٨٢) .

الثالثة: أن من زين قلبه وجوارحه بالإيمان والأعمال الصالحة، فاز برؤية ربه يوم القيامة كما قال سبحانه: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ (٢٣)﴾[القيامة:٢٢-٢٣].

الرابعة: البشارة بالجنة كما قال سبحانه: ﴿قَالَ اللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ ۚ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۚ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١١٩)﴾[المائدة: ١١٩].

وقال الله تعالى عن المؤمنين ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ (٢١)﴾[التوبة: ٢١].

وقال النبي ﷺ:(مَنْ رَضِيَ بِاللهِ رَبًّا،وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ نَبِيًّا، وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ). أخرجه مسلم [1].

الخامسة: غفران الذنوب.

قال النبي ﷺ: (من قالَ حينَ يسمعُ المؤذِّنَ وأنا أشهدُ أن لا إلَهَ إلَّا اللهُّ وحدَهُ لا شريكَ لَهُ وأشهدُ أنَّ محمَّدًا عبدُهُ ورسولُهُ رضيتُ باللهَّ ربًّا وبالإسلامِ دينًا وبمحمَّدٍ نبيًّا غفرَ لَهُ ذنبُهُ) أخرجه مسلم [2].

السادسة: إرضاء الله عزّ وجل للراضي يوم القيامة.

قال النبي ﷺ: (مَا مِنْ عَبْدٍ مُسْلِمٍ يَقُولُ حِينَ يُصْبِحُ ثَلَاثًا ، وَحِينَ يُمْسِي : رَضِيتُ باللهَّ رَبًّا ، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا ، وَبِمُحَمَّدٍ ﷺ نَبِيًّا ، إِلَّا كَانَ حَقًّا عَلَى اللهَّ أَنْ يُرْضِيَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) أخرجه أحمد وأبو داود [3].

السابعة: أن الرضا يثمر السلامة من الغل والحسد، والرضا بما قسمه الله، ومن رضي بقسمة الله رضي الله عنه، وأرضاه، وأرضى عنه الناس.

والرضا بالله يثمر الفرح والسرور والطمأنينة في قلب العبد كما قال سبحانه: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ (٢٨)﴾[الرعد: ٢٨].

---

(١)أخرجه مسلم برقم (١٨٨٤).

(٢)أخرجه مسلم برقم (٣٨٦).

(٣)صحيح/ أخرجه احمد برقم (٣٤٩٩) وأبو داود برقم (٥٠٧٢).

الثامنة: طمأنينة القلب ورضاه كما قال سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ ٢٧ ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرۡضِيَّةً ٢٨ فَٱدۡخُلِي فِي عِبَٰدِي ٢٩ وَٱدۡخُلِي جَنَّتِي ٣٠ ﴾[الفجر: ٢٧ – ٣٠] .

التاسعة: أن الرضا عن الله يثمر الرضا من الله، ودخول الجنة ونعيمها من أعظم الثمرات برضوان الله كما قال سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ خَيۡرُ ٱلۡبَرِيَّةِ ٧ جَزَآؤُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَشِيَ رَبَّهُۥ ٨ ﴾[البينة: ٧ – ٨].

العاشرة: أن الرضا من أعظم ثمرات الإيمان بالقضاء والقدر، الذي يثمر الطمأنينة والرضا بما قدره الله له أو عليه كما قال سبحانه: ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ يَهۡدِ قَلۡبَهُۥۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ١١ ﴾[التغابن: ١١].

الحادية عشرة: أن المؤمن يذوق بالرضا طعم الإيمان و حلاوته.

قال النبي ﷺ: «ذَاقَ طَعْمَ الإِيمَانِ، مَنْ رَضِيَ بِالله رَبًّا،وَبِالإِسْلامَ دِيناً، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولاً». أخرجه مسلم (١).

الثانية عشرة: أن الرضا يدفع المسلم إلى التعبد لله بعبادتين عظيمتين هما: الشكر على النعم، والصبر على البلاء، والله يحب الشاكرين، ويحب الصابرين.

قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ١٧٢ ﴾[البقرة: ١٧٢] .

وقال الله عزّ وجل: ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٖ ١٠ ﴾[الزمر: ١٠] .

الثالثة عشرة: غنى النفس، فارضَ بما قسم الله لك تكن أغنى الناس، وهذا هو الغنى بالله دون سواه: ﴿ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ٢٦ ﴾ [لقمان: ٢٦] .

الرابعة عشرة: أن الرضا بالله يخلص العبد من الهم والغم والحزن، وشتات القلب، ويملأ قلبه بالراحة و الطمأنينة والسكينة، فتستقيم أموره، وتصلح

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٣٤) .

أحواله: ﴿لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾﴾[الفتح: ١٨].

وقال عز وجل: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ ﴿٢٩﴾﴾ [الرعد: ٢٨-٢٩].

الخامسة عشرة: الرضا بالله عزّ وجل يفرغ قلب العبد لأداء العبادات بحضور قلب وخشوع، لأن قلبه فارغ من الشواغل والوساوس، فيؤدي العبادة لله بإخلاص، وكمال الحب والتعظيم والذل لله عزّ وجل: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴿٢﴾﴾[المؤمنون: ١-٢].

السادسة عشرة: أن الرضا أجره لا ينقطع، وليس له حد، أما أعمال الجوارح فمحدودة، وأجرها محدود. بخلاف أعمال القلوب فهي غير محدودة، وأجرها غير محدود كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾﴾[الملك: ١٢].

٧- جزاء أهل الرضا

من أرضى الله عزّ وجل بالإيمان به، وامتثال أوامره، واجتناب نواهيه، أدخله الله في رحمته، وأسكنه جنته، ورضي الله عنه، وأرضاه: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾﴾ [التوبة: ٧١ – ٧٢].

وقال عزّ وجل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾ جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۖ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ ﴿٨﴾﴾ [البينة: ٧ – ٨].

ومن رضي عن الله عزّ وجل أسعده الله برؤيته، والقرب منه يوم القيامة: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة: ٢٢ – ٢٣].

وقال عزّ وجل: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٥٥﴾﴾ [القمر: ٥٤ – ٥٥].

ومن أرضى الله عزّ وجل بالإيمان والأعمال الصالحة، أكرمه الله يوم القيامة بنعيم لم يخطر على باله: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِهَا خَرُّواْ سُجَّدًا وَسَبَّحُواْ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [السجدة: ١٥ – ١٧].

اللهم يا رؤوفا بالعباد أرضِنا وارضَ عنا، وتقبل أعمالنا، وأحسن ختامنا، وأختم بالصالحات أعمالنا.

﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةًۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٨﴾﴾ [آل عمران: ٨].

عبادات القلوب

في ضوء القرآن والسنة

العبادة العاشرة

عبادة التوكل على الله عز وجل

وتشتمل هذه العبادة العظيمة على المباحث الآتية :

الأول : فقه التوكل على الله عز وجل
الثاني :منزلة عبادة التوكل
الثالث :أنواع التوكل
الرابع : كيف تنشأ عبادة التوكل في القلب ؟
الخامس : تفاوت الناس في التوكل
السادس : التوكل سلاح الأنبياء والمؤمنين
السابع : الأسباب المعينة على التوكل
الثامن : جزاء أهل التوكل.

العبادة العاشرة

عبادة التوكل على الله عز وجل

١ - فقه التوكل على الله جل جلاله

التوكل على الله ركن من أركان الإيمان بالله، وله معان كثيرة منها :

الأول : أن التوكل هو كمال اليقين على ذات الله وأسمائه وصفاته وأفعاله، وأن الأمر كله لله وحده، وأنه المتصرف وحده في مُلْكِه، فما شاء الله كان، وما لم يشأ لا يكون أبدا، وأن مشيئة الله وحده هي النافذة في كل ذرات كونه، وأن العطاء والمنع بيد الله وحده، وأن العزة والذلة بيد الله وحده: ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ٦٢ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ٦٣ ﴾[الزمر: ٦٢ – ٦٣] .

فالتوكل هو شُهود أن نَواصي الخلق كلهم بيد الله وحده، فكما خلقهم وحده، فأَمْرُهم جميعا بيده وحده. فليتوكلوا عليه وحده كما قال هود ﷺ: ﴿ إِنِّي تَوَكَّلۡتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٥٦ ﴾ [هود: ٥٦] .

فكل الأمور بيد الله وحده، فلنتوكل عليه وحده: ﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوۡلَىٰنَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٥١ ﴾[التوبة: ٥١] .

الثاني : التوكل هو الاكتفاء بالله وحده: ﴿ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ٣ ﴾[الأحزاب:٣].

الثالث : التوكل هو التعلق بالله وحده، وعدم الالتفات لأحد سواه: ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦۚ قَدۡ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيۡءٖ قَدۡرٗا ٣ ﴾[الطلاق: ٢ – ٣] .

الرابع: التوكل على الله هو اعتماد القلب على الله وحده، ونفي ما سواه، لأن الله وحده بيده مقاليد الأمور كلها: ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۖ إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ ﴿٧٩﴾﴾ [النمل: ٧٩].

الخامس: التوكل هو الثقة التامة في نصر الله لأوليائه: ﴿إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ۖ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٦٠﴾﴾ [آل عمران: ١٦٠].

السادس: التوكل هو حسن الظن بالله عز وجل، وحسن الظن بالله أن تتيقن أن الله لم يُقَدر شيئا إلا لمنفعة العبد في الدنيا والآخرة.

ولا يتحقق التوكل إلا بحسن الظن بالله، فمن أحسن الظن بالله، توكل عليه وحده، وفوض أموره إليه، ورجا الخير منه وحده: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق: ٢ – ٣].

وحُسْنُ الظن بالله عز وجل، والثقة بتدبيره، يورث الرضا بقضائه وقدره، ويورث الثقة برحمة الله لا بعمل العبد.

قال النبي ﷺ: « لَا يُدْخِلَ أَحَدًا مِنْكُمْ عَمَلُهُ الجَنَّةَ قَالُوا: وَلَا أَنْتَ؟ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: وَلَا أَنَا، إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِيَ اللهُ مِنْهُ بِفَضْلٍ وَرَحْمَةٍ » متفق عليه (١).

السابع: التوكل هو حسن الرجاء في الله، والطمع في إحسانه وعطائه وثوابه، مع القيام بالعمل: ﴿قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا ۖ فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٩﴾﴾ [الملك: ٢٩].

الثامن: التوكل هو الأمل في الله تعالى، والثقة بوعده كما قال سبحانه: ﴿وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَا ۚ وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿١٢﴾﴾ [إبراهيم: ١٢].

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٤٠٤)، ومسلم برقم (٢٨١٨).

التاسع :التوكلهو كمال تفويض الأمور إلى الله، والوثوق بحكمته البالغة، وتدبيره الحكيم: ﴿ وَأُفَوِّضُ أَمْرِيٓ إِلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرُۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٤٤﴾ ﴾[غافر: ٤٤].

ومن كَمُلَ تفويضه لله، اطمأن إلى ما اختاره الله له، فاستوى عنده التراب والذهب، والغنى والفقر، والصحة والمرض؛ لأن كل ذلك من تدبير الله واختياره: ﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ ﴾[التوبة: ٥١].

فعلى العبد أن يرضى بما اختاره الله له، ويحمد الله على ذلك، لكن عليه أن يدفع قدر الفقر بطلب الرزق، وقدر المرض بالتداوي المأمور به شرعا وهكذا.

ومن وثق بتدبير ربه، توكل عليه، وحمد الله على نعمائه، وصبر على بلائه .

العاشر : التوكل على الله هو الرضا عن اختيار الله، وعدم التسخط على قدره، والصبر والرضا والتسليم لما قدره الله، فمن فعل ذلك هدى الله قلبه، وعوضه عما فاته بأحسن منه: ﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ ﴾[التوبة: ٥١] .

٢ - منزلة عبادة التوكل على الله جل جلاله

التوكل على الله عز وجل في جلب ما ينفع، ودفع ما يضر، من أعظم عبادات القلوب. وهو صدق اعتماد القلب على الله، وقطع الأمل فيما سواه: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ١٣ ﴾[التغابن: ١٣].

فالتوكل هو حُسْن الظن بالله عز وجل أنه سيُقَدِّر للعبد ما ينفعه، ويدفع عنه ما يضره: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ١٠٢ ﴾[الأنعام: ١٠٢]

ومن وَثِقَ بتدبير ربه توكل عليه وحده، وحمد الله على نعمائه، وصبر على بلائه، فقال عند حصول النعمة: ﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ٣ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ٤ ﴾[الفاتحة: ٢ – ٤].

وقال عند حصول ما يكره: ﴿ فَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَيَجۡعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيۡرٗا كَثِيرٗا ١٩ ﴾[النساء: ١٩].

فالحمدُ لله الذي لا يُحْمَد على مكروهٍ سِواه، لأن قضاء الرب كله خير ومصلحة. والتوكل على الله وحده شرط في إيمان العبد، فمن توكل على الله كفاه، ومن توكل على غيره خذله من جهته، ومن توكل على غير الله فقد عبد من توكل عليه، وأشرك بالله، لأن التوكل عبادة قلبية خاصة بالله وحده: ﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ٢ ﴾[الأنفال: ٢].

فمن كان مؤمنا فلا بد أن يتوكل على الله وحده، ومن لم يتوكل على الله فليس بمؤمن كما قال سبحانه :﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾﴾[المائدة: ١١] .

لهذا يحْرم على المسلم أن يقول لغيره : " توكلت على الله وعليك " بل يتوكل على الله وحده، لأن التوكل عبادة خاصة بالله وحده، وحتى لا يقول : " توكلت على الله ثم عليك "، لأن التوكل عبادة قلبية لا تكون إلا لله وحده: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾﴾[التغابن: ١٣] .

فالتوكل عبادة خاصة بالله عز وجل، لأن المخلوق ليس له نصيب من التوكل، لأن التوكل تفويض الأمر، والالتجاء بالقلب إلى الرب، والمخلوق ليس له نصيب من ذلك، لأنه فقير ضعيف عاجز: ﴿ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۖ إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ ﴿٧٩﴾﴾[النمل: ٧٩] .

٣- أنواع التوكل

التوكل أربعة أنواع :

الأول : التوكل الواجب، وهو التوكل على الله وحده في طلب ما ينفع، ودفع ما يضر، وهذا التوكل الواجب من أعظم العبادات القلبية : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾ ﴾[التغابن: ١٣] .

الثاني : التوكل الشركي. وهو التوكل على أصحاب القبور، أو الطواغيت، في طلب النصر أو الرزق أوالشفاء ونحو ذلك مما لا يقدر عليه إلا الله وحده لا شريك له:﴿ وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾ ﴾[المؤمنون: ١١٧] .

الثالث : التوكل المحرم، و هو التوكل على ذي سلطان في تحصيل ما يقدر عليه من متاع الدنيا، أو دفع الأذى عنهوهذا لا يجوز، لأنه اعتمد بقلبه عليه فيما يقدر عليه، وهذا شرك أصغر: ﴿ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجْعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۖ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥١﴾ ﴾الذاريات: [٥٠ – ٥١] .

الرابع : التوكل المباح، وهو أن يُوَكِّل الإنسان من يستطيع أن يعمل له عملا من مصالح الدنيا والأخرة، ولكن يعتمد بقلبه على الله في تحصيله، وهذا مباح شرعا.

وقد وَكل النبيَّ ﷺ مَن يَشْتَرِي له شَاةً »أخرجه البخاري [(١)].

---

(١)أخرجه البخاري برقم (٣٦٤٢) .

٤ - كيف تنشأ عبادة التوكل في القلب ؟

التوكل على الله عز وجل هو مقتضى الإيمان بأسماء الله الحسنى.

فهو مقتضى الإيمان باسم الله الوكيل والكفيل والحسيب، وهو كذلك من لوازم الإيمان باسم الله العليم والخبير، والحكيم والرحيم، واللطيف والقدير وغيرها من الأسماء الحسنى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [الأعراف: ١٨٠].

فلِكمال ذات الله وأسمائه وصفاته وأفعاله، يكفي كل من توكل عليه، ويُحسن إليه، ويحفظه من كل شر، فهو حسبه الذي يكفيه من كل أحد، العليم بأحوال الخلق، الخبير بحاجاتهم، الحكيم الذي يقسم لهم ما ينفعهم، ويُوَصِّلْه إليهم بقدرته ولطفه: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾﴾ [الطلاق: ٢ - ٣].

والتوكل هو عبادة الله عز وجل بكل أسمائه الحسنى: ﴿هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [غافر: ٦٥].

وأعظم ما يُعين المسلم على التوكل على الله، هو العِلْمُ بعظيم أسماء وصفات الوكيل الذي تتوكل عليه، وتفوض أمورك إليه: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾﴾ [محمد: ١٩].

فالله عز وجل هو الواحد الأحد، الخالق لكل أحد، ومن عَلِمَ أن لهذا الكون إلهاً واحدًا لم يعبد إلا إياه، ولم يتوكل إلا عليه: ﴿إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَٰحِدٌ ﴿٤﴾ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ ٱلْمَشَٰرِقِ ﴿٥﴾﴾ [الصافات: ٤ - ٥].

وقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ﴿٨﴾ رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا ﴿٩﴾﴾ [المزمل: ٨ - ٩].

هو الملك الذي له ملك كل شيء، ومن عَلِمَ أن مُلْكَ هذا الكون بيد واحد، وضع حاجته بين يديه: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ ﴾[الحشر: ٢٣ – ٢٤].

وهو سبحانه الصادق في أخباره، الذي لا يُخْلِف وعده، ومن عَلِمَ ذلك وثق به، وتوكل عليه وحده: ﴿ فَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِۦ رُسُلَهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٤٧﴾ ﴾[إبراهيم: ٤٧] .

هو سبحانه الحق الذي لا تنبغي الولاية إلا له، ومن عَلِمَ ذلك توكل عليه، وفوض أموره إليه: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٦٢﴾ ﴾[الحج: ٦٢] .

والوكيل الذي هذه أسماؤه وصفاته وأفعاله، هو الذي يستحق العبادة وحده لا شريك له: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ ﴾[الأنعام: ١٠٢ – ١٠٣] .

وهو سبحانه الحميد المستحق للحمد من عباده، لما غمرهم به من أنواع النعم الظاهرة والباطنة، ومن علم ذلك آمن بالله، وتوكل عليه وحده، وفوض أموره إليه: ﴿ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ ۖ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًۢا ﴿١١١﴾ ﴾[الإسراء: ١١١] .

وهو سبحانه الحي القيوم، الذي لا تأخذه سنة ولا نوم، ومن عَلِمَ أن الله حي قيوم لا ينام، تعلق به وحده، وتوكل عليه وحده :﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٨﴾ ﴾[الفرقان: ٥٨] .

وهو سبحانه الغني الذي له كل شيء، وكل ما سواه فقير إليه، ومن علم ذلك آمن

بالله، وتوكل عليه وحده، ولم يقف بباب غيره: ﴿ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٦﴾ ﴾[لقمان: ٢٦] .

وهو سبحانه القادر على كل شيء، فلا يعجزه شيء، ولا يمتنع عليه شيء.

القادر على كل شيء. القادر على إبادة البشرية كلها بأمره: ﴿ وَرَبُّكَ ٱلْغَنِيُّ ذُو ٱلرَّحْمَةِۚ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنۢ بَعْدِكُم مَّا يَشَآءُ كَمَآ أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ ءَاخَرِينَ ﴿١٣٣﴾ ﴾[الأنعام: ١٣٣] .

ومن عَلِمَ بذلك، آمن بالله، وتوكل عليه وحده: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾ ﴾[التغابن: ١٣] .

وهو سبحانه القَاهِرُ القَهَّار، الذي قهر جميع مخلوقاته على ما أراد، يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد، ومن علم ذلك آمن بالله وحده، وكفر بما سواه، وتوكل عليه وحده لا شريك له :﴿ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ ﴾ [يوسف: ٣٩] .

وهو سبحانه الواسع، واسع المُلْك، واسع الرحمة، واسع المغفرة، واسع الفضل، واسع العطاء، ومن علم ذلك آمن بالله وحده، وتوكل عليه وحده، ولم يلتفت إلى أحد سواه:﴿وَٱللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٧﴾ ﴾ [البقرة: ٢٤٧] .

وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ :﴿إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ﴾[النجم: ٣٢] .

وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ :﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا ﴾[غافر: ٧] .

وهو سبحانه الحكيم، الذي يحكم ملكه وحده، الحكيم في خلقه وأمره، الحكيم الذي يضع الشيء في موضعه، الحكيم الحاكم الذي جنود السموات والأرض في قبضته، والمقادير كلها بيده وحده: ﴿ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَاۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾ ﴾[فاطر: ٢] .

ومن علم بذلك آمن بالله، وتوكل عليه وحده، وفوض أموره إليه: ﴿ وَإِن

يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٨﴾ ﴾[الأنعام: ١٧ – ١٨] .

وهو سبحانه الخبير بكل ظاهر وباطن، الخبير بكل صغير وكبير، الخبير بالنيات والأقوال والأعمال، الخبير الذي لا يخفى عليه شيء: ﴿وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾ ﴾[المنافقون: ١١] .

ومن علم ذلك آمن بربه الخبير بما كان وما يكون وما سيكون، وتعلق به وحده، وتوكل عليه وحده: ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٢٣﴾ ﴾[هود: ١٢٣] .

وهو سبحانه السميع البصير، العليم الخبير بكل شيء، عِلْمُه محيط بكل شيء، وبصره محيط بكل شيء، وسمعه وَسِعَ كل شيء: ﴿ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦٢﴾ ﴾[العنكبوت: ٦٢] .

ومن عَلِمَ ذلك آمن بالله، وكبر الله، واستحى من الله أن يعصيه بنعمه في ملكه، وتوكل على ربه وحده: ﴿وَأَسِرُّوا۟ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُوا۟ بِهِۦٓ ۖ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٣﴾ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾ ﴾[الملك: ١٣ – ١٤] .

وهو سبحانه الرب الذي يربي خلقه بالنعم الظاهرة والباطنة فلا إله غيره، و لا رب سواه: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾[الأنعام: ١٠٢] .

ومن عَلِمَ ذلك آمن بربه العظيم، وتعلق بربه الكريم، وتوكل عليه وحده لا شريك له: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ ﴾[يونس: ٣] .

وهو سبحانه العزيز، الذي يُعِزُّ من آمن به، وتوكل عليه، ويرحمه: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾ ﴾[الشعراء: ٢١٧ – ٢٢٠] .

وهو العزيز الذي لا يُغْلَب، العزيز الذي ينصر من توكل عليه: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ

﴿ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾ ﴾ [الحج: ٤٠ – ٤١] .

ومن عَلِمَ ذلك آمن بربه العزيز، وتوكل عليه، وفوض كل أموره إليه: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾[الحشر: ٢٣] .

والوكيل الذي هذه أسماؤه وصفاته وأفعاله، هو الرب الذي يجب أن نتوكل عليه وحده، ونعبده وحده: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ ﴾ [يونس: ٣] .

وهو سبحانه القوي الذي لا يقف له شيء، ولا يعجزه شيء، ولا يفوته شيء، ولا يمتنع عليه شيء: ﴿ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٢١﴾ ﴾ [المجادلة: ٢١] .

ومن عرف أن ربه قوي عزيز توكل عليه وحده، وتعلق به وحده، و أنزل حاجته به وحده، واستنصره وحده: ﴿ مَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٧٤﴾ ﴾ [الحج: ٧٤] .

وهو سبحانه الجبار الذي قهر جميع مخلوقاته بجبروته، الجبار الذي يجبر قلوب المنكسرين بين يديه: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾[الحشر: ٢٣] .

ومن عَرَفَ ربه باسمه الجبار استكان لعظمته، وخضع لكبريائه، وفوض أموره إليه: ﴿ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾[غافر: ٦٥] .

وهو سبحانه العلي الأعلى المتعال، الرب الذي له جميع الأسماء الحسنى،

والصفات العلا، والأفعال الحميدة: ﴿فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾﴾ [الجاثية: ٣٦ – ٣٧] .

وقال الله عز وجل: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٦٢﴾﴾ [الحج: ٦٢] .

ومن عرف ربه باسمه العلي الأعلى المتعال توكل عليه وحده، واعتمد عليه وحده، ولم يبال بما سواه: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴿١﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴿٣﴾﴾ [الأعلى: ١ – ٣] .

وهو سبحانه الكبير المتكبر عن صفات النقص والعيب، الكبير الذي لا أكبر منه: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [الزمر: ٦٧] .

ومن عَرَفَ ربه باسمه الكبير المتكبر كبره وعظمه ومجّده، وتوكل عليه وحده لا شريك له: ﴿فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾﴾ [الجاثية: ٣٦ – ٣٧] .

وهو سبحانه الرحمن الرحيم، الذي وسعت رحمته كل شيء.

وإذا علمت أن ربك هو الرحمن الرحيم، فأحسن الظن به، وتُبْ إليه، وتوكل عليه، وأحسن عبادته: ﴿قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا ۖ فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٩﴾﴾ [الملك: ٢٩] .

وهو سبحان الرؤوف بخلقه، يُطعمهم ويَسقيهم ولو عَصوه أو كفروا به.

وإذا علمت ذلك، فتوكل عليه وحده، لأنه لا أحد أرأف بالخلق منه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾﴾ [البقرة: ١٤٣] .

وهو سبحانه الودود الذي تَودد إلى عباده بأنواع النعم، ليعبدوه، ويحُبوه، ويَشكروه، ويوحدوه، وإذا علمت ذلك، فسارع إلى الودود لك بحسن

عبادته،وحسن التوكل عليه: ﴿ إِنَّهُۥ هُوَ يُبۡدِئُ وَيُعِيدُ ١٣ وَهُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلۡوَدُودُ ١٤ ﴾
[البروج: ١٣ – ١٤] .
ومن تودد إلى الله بطاعته، جعل مودته في قلوب الخلق: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا ٩٦ ﴾[مريم: ٩٦] .
وهو سبحانه الشكور، الذي يعطي على الحسنة عشرة أمثالها، إلى سبعمئة ضعف، إلى أضعاف كثيرة، إلى أضعاف مضاعفة: ﴿ إِن تُقۡرِضُواْ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا يُضَٰعِفۡهُ لَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ١٧ ﴾[التغابن: ١٧] .
هو سبحانه الشكور الذي يؤتي عباده من لدنه أجراً عظيما بلا عمل منهم: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةٗ يُضَٰعِفۡهَا وَيُؤۡتِ مِن لَّدُنۡهُ أَجۡرًا عَظِيمٗا ٤٠ ﴾
[النساء: ٤٠] .
ومن عرف أن ربه هو الشكور الشاكر أحبه، واقترب منه، وسأله من فضله، وتوكل عليه وحده لا شريك له: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ١٣ ﴾[التغابن: ١٣] .
فأعظم ما يحقق للعبد عبادة التوكل على الله عز وجل، هو العلم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله: ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ١٩ ﴾[محمد: ١٩] .
وهو سبحانه التواب، كثير التوبة على العصاة، مع تكرار معاصيهم، وإذا علمت ذلك، فَتُبْ إليه، ليتوب عليك،ويغفر لك ذنوبك: ﴿ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا ٣ ﴾[النصر: ٣]
وهو سبحانه الغفور الرحيم، وإذا علمت ذلك فاستغفر من جميع ذنوبك، لأن ربك هو الغفور الرحيم: ﴿ وَمَن يَعۡمَلۡ سُوٓءًا أَوۡ يَظۡلِمۡ نَفۡسَهُۥ ثُمَّ يَسۡتَغۡفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ١١٠ ﴾[النساء: ١١٠] .
والوكيل الذي هذا جلاله وجماله وإحسانه، وهذا ملكه وسلطانه، وهذه قوته

وقدرته هو الذي يستحق أن يطاع فلا يعصى، ويذكر فلا ينسى، ويشكر فلا يكفر، ويتوكل عليه وحده لا شريك له: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴿١٣﴾ ﴾[التغابن: ١٣] .

فهو سبحانه الولي، المولى، النصير، الناصر. فتوكل عليه، ينصرك على عدوك وعدوه: ﴿ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرًا ﴿٤٥﴾ ﴾[النساء: ٤٥] .

وهو سبحانه الفاتح، الفتاح، الذي بيده وحده مقاليد الأمور، ومفاتيح النصر والرزق والأمن، فتوكل عليه وحده ينصرك ويرزقك: ﴿ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلۡنَاۚ رَبَّنَا ٱفۡتَحۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَ قَوۡمِنَا بِٱلۡحَقِّ وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡفَٰتِحِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾[الأعراف: ٨٩] .

وهو سبحانه الهادي إلى كل خير، فتوكل على الهادي لتحصل على هداه: ﴿ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴿٣١﴾ ﴾[الفرقان: ٣١] .

وهو سبحانه القريب، المجيب، فإذا علمت أنه القريب المجيب، فتوكل عليه، واسأله من فضله: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لِي وَلۡيُؤۡمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمۡ يَرۡشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ ﴾[البقرة: ١٨٦] .

هو المجيب الذي يجيبك إذا لجأت إليه، وتوكلت عليه :﴿ فَٱسۡتَغۡفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِۚ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴿٦١﴾ ﴾[هود: ٦١] .

هو الحفيظ، الحافظ، فتوكل عليه، ولا تخشَ أحدا سواه: ﴿ فَٱللَّهُ خَيۡرٌ حَٰفِظًاۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾[يوسف: ٦٤] .

هو سبحانه الحسيب الكافي، فبلغ رسالة ربك، وتوكل عليه وحده، ولا تلتفت إلى أحد سواه: ﴿ ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخۡشَوۡنَهُۥ وَلَا يَخۡشَوۡنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴿٣٩﴾ ﴾[الأحزاب: ٣٩] .

فتوكل على ربك وحده، واطلب منه حوائجك، ولا تقف بباب أحد سواه: ﴿ أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبۡدَهُۥ ﴾[الزمر: ٣٦] .

وهو سبحانه المستعان في كل أمر، فتوكل عليه وحده يعينك، ويدفع عنك ما

يضرك: ﴿ وَرَبُّنَا ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾[الأنبياء: ١١٢] .

هو سبحانه اللطيف الذي لا يخفى عليه شيء، اللطيف بعباده كلهم.

وإذا علمت أن ربك لطيف بعباده، فتوكل عليه وحده، وفوض أمورك إليه وحده: ﴿ ٱللَّهُ لَطِيفٌۢ بِعِبَادِهِۦ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ ﴿١٩﴾ ﴾[الشورى: ١٩] .

فسبحان من يرى كل ذرة: ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ ﴾[الأنعام: ١٠٣] .

وهو سبحانه الكريم، الأكرم، فاشكره على إحسانه، واسأله من فضله: ﴿ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾ ﴾[النمل: ٤٠] .

وهو سبحانه البَرُّ، الرحيم، المُقِيت، فتعلق به وحده، وتوكل عليه وحده: ﴿ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٨﴾ ﴾[الطور: ٢٨] .

وسارع إلى مرضاته تنال عظيم ثوابه: ﴿ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ ﴾ [آل عمران: ١٣٣ – ١٣٤] .

وهو سبحانه الوهاب، فتعلق به كي يَهِبَك الثبات على دينه، و يهبك من فضله في الدنيا والآخرة: ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٨﴾ ﴾[آل عمران: ٨] .

وهو سبحانه الرازق، الرزاق وحده لا شريك له، فجميع النعم والخير والإحسان منه، فَقِفْ ببابه، واسأله من فضله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ ﴾ [الذاريات: ٥٨] .

وتوكل عليه وحده في جميع حوائجك: ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾ ﴾[الطلاق: ٢ – ٣] .

هو الكريم الذي كل النعم منه وحده: ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾[النحل: ٥٣] .

هو سبحانه المحيط بكل شيء،المحيط بكل مخلوق، محيط بالعالم العلوي والعالم السفلي، فثق بنصره، وتوكل عليه وحده، ينصرك على من عَادَاكَ: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾ ﴾[الطلاق: ١٢] .

هو سبحانه المؤمن، المهيمن، الذي بيده الأمن، المُهَيْمِن على كل أحد، القاهر لكل أحد، فتوكل عليه وحده، يكفيك ما سواه: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾[الحشر:٢٣] .

وَتعلق بالله وحده، لأنه بيده ناصية كل شيء، وبيده مفتاح كل شيء: ﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٨﴾ ﴾[الأنعام: ١٧ – ١٨] .

ومَنْ هذه أسماؤه وصفاته وأفعاله، هو الرب الذي يستحق أن يعبد وحده، ويُتوَكَّل عليه وحده، لأن بيده مقاليد كل شيء: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾ ﴾[التغابن: ١٣] .

هو سبحانه الحي، القيوم، القائم على كل نفس، فتوكل عليه وحده، يكفيك ما أهمك، وتعلق به وحده فإنك راجع إليه: ﴿ وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَىِّ ٱلْقَيُّومِ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴿١١١﴾ ﴾[طه: ١١١] .

وهو سبحانه الشهيد الذي لا يخفى عليه شيء، ولا يغيب عنه شيء، العليم بكل شيء، البصير بكل شيء، وإذا علمت ذلك فتوكل عليه وحده، واستحِ منه أن تعصيه بنعمه في ملكه: ﴿ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٧٩﴾ ﴾[النساء: ٧٩] .

وهو سبحانه الشافي وحده لا شريك له، فلا تتعلق بما دونه من طبيب أو دواء،

وتوكل عليه وحده، لأن خزائن الشفاء عند الله الشافي وحده، لكن يجب عليك أن تتوكل على الله وحده،وأن تفعل الأسباب المأمور بها شرعاً: ﴿ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ ﴾[الشعراء: ٨٠] .

وهو سبحانه الوتر فتوكل عليه وحده، فإنه كافيك وحده لا شريك له: ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾ ﴾[البقرة: ١٦٣] .

وهو سبحانه القدوس، السبوح، فقدسه بأنواع العبادات، وسبحه في ليلك و نهارك، وتوكل عليه وحده لا شريك له: ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴿٣﴾ ﴾[النصر: ٣] .

وهو سبحانه الرفيق، الذي يحب الرفق في الأمر كله. ففوض أمورك إليه، ولا تَتَّكِلْ إلا عليه وحده: ﴿ وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿٤٤﴾ ﴾ [غافر: ٤٤] .

وهو سبحانه الوارث، الذي يرث الأرض ومن عليها، فتوكل عليه، وأحسن الظن به، يورثك ما يسعدك في الدنيا والآخرة: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾[مريم: ٤٠] .

فسبحان ربنا العظيم، الذي أعلمنا بعظمة أسمائه وصفاته وأفعاله، لنؤمن به، ونوحده، ونتوكل عليه، ونُفوض أمورنا إليه.

ومن عَبَدَ الله بأسمائه الحسنى كلها، فقد أتم إحصاءها، وحقق التوكل على ربه الوكيل: ﴿ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾ ﴾[التغابن:١٣] .

وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ:﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾ ﴾[الأعراف: ١٨٠] .

٥- تفاوت الناس في التوكل

الناس متفاوتون في التوكل على الله بحسب إيمانهم ويقينهم وعلمهم.

فمنهم من يتوكل على الله لتحصيل لقمة، ومنهم من يتوكل على الله لتحصيل إمارة، ومنهم من همته كسرة يابسة، ومنهم من همته نيل قصر عظيم.

وأتمهم توكلا من كان توكله على الله للوصول إلى رِضوان الله، والحصول على أعلى درجات الجنة في الفردوس الأعلى: ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۖ إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ ﴿٧٩﴾﴾ [النمل: ٧٩].

والتوكل يزيد وينقص بحسب الإيمان واليقين.

قَالَ رَسُولَ اللهَّ ﷺ: « لَوْ أَنَّكُمْ تَتَوَكَّلُونَ عَلَى اللهَّ حَقَّ تَوَكُّلِهِ لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ تَغْدُو خِمَاصًا وَتَرُوحُ بِطَانًا » أخرجه أحمد والترمذي(١).

وقد قسم الله الأرزاق على خلقه كِمِّيَّة ونوعية، ومكانا وزمانا: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [الزخرف: ٣٢].

لكن، لا بد للعبد من فعل الأسباب، لأننا في دار الأسباب، ولن يحُصِّلَ العبد إلا ما قَسَّمَ الله له، ولن تموت نفس حتى تستكمل رزقها وأجلها، فاتقوا الله وأجملوا في الطلب: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦﴾﴾ [هود: ٦].

والتوكل هو اليقين، بأن رزق الله سيصل إليك، ورزق الله لا يجْلِبُه حِرْصُ حَرِيص، ولا يَرُدُّه نوم كسلان، ولا كراهية كاره، ولا حَسَدُ حاسد: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ

---

(١)صحيح/ أخرجه احمد برقم (٢٠٥) والترمذي برقم (٢٣٤٤).

يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦۚ قَدۡ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيۡءٖ قَدۡرٗا ٣﴾[الطلاق: ٢ – ٣] .

فتوجه إلى الله وحده في طلب الرزق، فهو الرزاق وحده، وكل ما سواه مرزوق: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلۡقُوَّةِ ٱلۡمَتِينُ ٥٨﴾[الذاريات: ٥٨] .

فلا تتملق غنيًا، ولا تستجدِ أحدًا، ولا تخف رئيسًا أن يَحْجِبَ رِزْقُ الله عنك. فرزقك يعرف عنوانك، وأنت لا تعرف عنوانه، فَاتَّقِ الله وأجمل في طلب الرزق، ولا تجعله يأخذ كل اهتمامك، أو يستغرقك كل أوقاتك، فإن ما قدره الله لك آتيك لا محالة: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا وَيَعۡلَمُ مُسۡتَقَرَّهَا وَمُسۡتَوۡدَعَهَاۚ كُلّٞ فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ٦﴾[هود: ٦].

وقَالَ رَسُولَ اللهِّ ﷺ: « إِنَّ الرُّوحَ الأَمِينَ نَفَثَ فِي رُوعِي أَنَّهُ لَنْ تمُوتَ نَفْسٌ حَتَّى تَسْتَوْفِيَ رِزْقَهَا فأَجمِلُوا فِي الطَّلَبِ » أخرجه البيهقي[١].

وأفضل التوكل على الله ما كان في صلاح دين العبد، ونصرة دين الله، وإعلاء كلمته، والدعوة إلى الله، وهداية الناس إلى الصراط المستقيم، ونيل الدرجات العلا في الجنة، والثبات على الدين حتى الممات.

والمؤمن الصادق يعمل لتحقيق ذلك ما استطاع، ثم يتوكل على الله، ويستعين به في كل أمر: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ١٣﴾ [التغابن: ١٣] .

والله سبحانه يَغَارُ على قلوب عباده أن يزاحمه فيها أحد، لأنه يحُبُّ أن يتعلق قلب عبده به وحده، فإذا انشغل قلب من يحب بأمور الدنيا والشهوات

---

(١)صحيح/ أخرجه البيهقي برقم (١١٨٥) .

والمباحات، أخذ ذلك منه حتى لا ينشغل بها عنه: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ يَهۡدِ قَلۡبَهُۥۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴿١١﴾﴾[التغابن: ١١].

فنبي الله إبراهيم ﷺ حين تعلق قلبه بابنه إسماعيل أمره الله بذبحه، فامتثل إبراهيم ﷺ أمر ربه، وصدق في نيته، وتم توكله، فحفظ الله ولده من الذبح.

ونبي الله يعقوب ﷺ تعلق قلبه بحب ولده يوسف، فأخذه الله منه، فرضي بقضاء الله، وتم توكله على ربه، فرد الله عليه يوسف على أكمل ما يكون الرجال: ﴿رَبِّ قَدۡ ءَاتَيۡتَنِي مِنَ ٱلۡمُلۡكِ وَعَلَّمۡتَنِي مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ تَوَفَّنِي مُسۡلِمٗا وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠١﴾﴾[يوسف:١٠١].

فتوكل على الله في جميع أمورك: ﴿رَّبَّنَا عَلَيۡكَ تَوَكَّلۡنَا وَإِلَيۡكَ أَنَبۡنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿٤﴾﴾ [الممتحنة: ٤].

٦- التوكل سلاح الأنبياء والمؤمنين

التوكل على الله أقوى العبادات القلبية، وأقوى سلاح يتسلح به العبد.

والتوكل سلاح الأنبياء عليهم الصلاة والسلام: ﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَٰنٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾﴾ [إبراهيم: ١١].

فالتوكل كان سلاح نبي الله نوح ﷺ حين كفر به قومه، وحين بَنَى السفينة على اليابسة، وحين ركب السفينة: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِى وَتَذْكِيرِى بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوٓا۟ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ ٱقْضُوٓا۟ إِلَىَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴿٧١﴾﴾ [يونس: ٧١].

وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَقَالَ ٱرْكَبُوا۟ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْر۪ىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٤١﴾﴾ [هود: ٤١].

والتوكل كان سلاح نبي الله هود ﷺ حين عاداه قومه وكذبوه: ﴿قَالُوا۟ يَٰهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِىٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٥٣﴾ إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍ ۗ قَالَ إِنِّىٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ وَٱشْهَدُوٓا۟ أَنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِن دُونِهِۦ ۖ فَكِيدُونِى جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴿٥٥﴾ إِنِّى تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّى وَرَبِّكُم ۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾﴾ [هود: ٥٣-٥٦].

والتوكل على الله كان سلاح نبي الله صالح ﷺ حين كذبه قومه: ﴿وَفِى ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا۟ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٤٣﴾ فَعَتَوْا۟ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَهُمْ يَنظُرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [الذاريات: ٤٣-٤٤].

والتوكل على الله كان سلاح نبي الله إبراهيم ﷺ حين ترك زوجه وولده إسماعيل في مكة بواد غير ذي زرع: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [إبراهيم: ٣٧].

وحين أُلْقِيَ في النار فَصَدَقَ في توكله، فحفظه الله، وأنجاه الله من النار: ﴿قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾﴾[الأنبياء: ٦٩] .

وحين البراءةِ من الشرك كما قال سبحانه: ﴿رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤﴾﴾[الممتحنة: ٤] .

والتوكل على الله كان سلاح إسماعيل ﷺحين أسلم رقبته للسكين، فصدق في توكله، وَسَلِمَ من الذبح، وفداه ربه بذبح عظيم: ﴿فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١٠٨﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿١٠٩﴾ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١١٠﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١١﴾﴾[الصافات:١٠٣-١١١].

والتوكل على الله كان سلاح نبي الله يونس ﷺحينالتقمه الحوت وهو مليم، فصدق في توكله على ربه، فأنجاه الله، وأرسله إلى مئة ألف أو يزيدون: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾﴾[الأنبياء: ٨٧ – ٨٨] .

والتوكل على الله كان سلاح نبي الله أيوب ﷺحين أصابه المرض، وفقد ماله وذريته كما قال سبحانه: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾﴾[الأنبياء: ٨٣ – ٨٤] .

والتوكل على الله كان سلاح نبي الله زكريا ﷺحين طلب الولد ليقوم بالدعوة إلى الله من بعده: ﴿وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِى فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [الأنبياء: ٨٩ – ٩٠] .

والتوكل على الله كان سلاح نبي الله يعقوب ﷺ حين فقد وَلَدَيْه كما قال سبحانه: ﴿ وَقَالَ يَٰبَنِيَّ لَا تَدۡخُلُواْ مِنۢ بَابٖ وَٰحِدٖ وَٱدۡخُلُواْ مِنۡ أَبۡوَٰبٖ مُّتَفَرِّقَةٖۖ وَمَآ أُغۡنِي عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٍۖ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۖ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُۖ وَعَلَيۡهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾[يوسف:٦٧].

والتوكل كان سلاح نبي الله يوسف ﷺ حين أُلْقِي في البئر، وحين أُدْخِلَ في السجن، وحين راودته المرأة عن نفسها: ﴿ قَالَ رَبِّ ٱلسِّجۡنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِۖ وَإِلَّا تَصۡرِفۡ عَنِّي كَيۡدَهُنَّ أَصۡبُ إِلَيۡهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴿٣٣﴾ فَٱسۡتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنۡهُ كَيۡدَهُنَّۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٣٤﴾ ﴾[يوسف: ٣٣ – ٣٤].

والتوكل كان سلاح نبي الله شعيب ﷺ في إبلاغ الرسالة، والنجاة من الكفار كما قال لقومه: ﴿إِنۡ أُرِيدُ إِلَّا ٱلۡإِصۡلَٰحَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُۚ وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾ ﴾[هود: ٨٨].

فلما صدق في توكله جاءته نصره الله: ﴿ وَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا نَجَّيۡنَا شُعَيۡبٗا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحۡمَةٖ مِّنَّا وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيۡحَةُ فَأَصۡبَحُواْ فِي دِيَٰرِهِمۡ جَٰثِمِينَ ﴿٩٤﴾ ﴾ [هود: ٩٤].

والتوكل على الله كان سلاح نبي الله موسى ﷺ في دعوته: ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوۡمِ إِن كُنتُمۡ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيۡهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسۡلِمِينَ ﴿٨٤﴾ فَقَالُواْ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلۡنَا رَبَّنَا لَا تَجۡعَلۡنَا فِتۡنَةٗ لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾[يونس: ٨٤ – ٨٥].

والتوكل كان سلاح نبي الله هارون ﷺ حين عَبَدَ قومه العجل، حين ذهاب موسى لمناجاة ربه.

والتوكل كان سلاح نبي الله عيسى ﷺ، حين أحاط أعداؤه بالدار، فأنجاه الله، ورفعه إلى السماء: ﴿ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينَۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمٗا ﴿١٥٨﴾ ﴾ [النساء: ١٥٧ – ١٥٨].

والتوكل على الله عز وجل كان سلاح سيد الأنبياء والرسل نَبِيْنَا محُمد ﷺ، حين أراد قومه قتله في مكة: ﴿ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُلۡ حَسۡبِيَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَلَيۡهِ

تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾ ﴾[التوبة: ١٢٩] .

وكان سلاحه ﷺ حين كان في الغار مع أبي بكر: ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾ ﴾[التوبة: ٤٠] .

وَالنَّبِيِّ ﷺ أعظم من توكل على الله في إبلاغ دعوته إلى الناس: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ ﴾ [آل عمران: ١٥٩] .

وَ قَالَ لَهُ رَبُّهُ : ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٨﴾ ﴾[الفرقان: ٥٨] .

وَقَالَ لَهُ رَبُّهُ : ﴿ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢١٦﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾ ﴾ [الشعراء: ٢١٦ – ٢٢٠] .

وَقَالَ لَهُ رَبُّهُ: ﴿ وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٢﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٣﴾ ﴾[الأحزاب: ٢ – ٣] .

فَالنَّبِيِّ ﷺ أَعْظَمُ من توكل على الله في عبادته، ودعوته، ونشر دينه: ﴿ وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ﴿٨﴾ رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا ﴿٩﴾ ﴾ [المزمل: ٨ – ٩] .

وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ ﴾[التوبة: ٥١] .

٧- الأسباب المعينة على التوكل على الله جل جلاله

يُعِين على التوكل على الله جل جلاله أمورٌ منها :

الأول : العلم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله، والعلم بعظمة ملكه وسلطانه، والعلم بعظمة نعمه وإحسانه، والعلم بعظمة دينه وشرعه، والعلم بعظمة وعده ووعيده: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾[محمد: ١٩] .

الثاني : قوة الإيمان بالله، والصدق في عبادته: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾[الأنفال: ٢ – ٤] .

الثالث : العلم بعظمة من توكلت عليه، فالله حي لا يموت، قيوم لا ينام، عليم بكل شيء، بصير بكل شيء، قادر على كل شيء. فمن عرف الله حقًا، عبده حقًا، وتوكل عليه حقًا، ومن توكل على الله كفاه، ولِلْبِرِّ هداه، وعما سواه أغناه: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾ ﴾[الطلاق: ١٢] .

الرابع : اليقين بأن الأمر كله بيد الله وحده لا شريك له.

فمن تيقن أن الله له الخلق كله، وله الملك كله، وله التدبير والتصريف كله، وبيده الخير كله، صدق في توكله على ربه، وفوض أموره إلى من بيده مقاليد الأمور كلها، فما شاء الله كان، وما لم يشأ لا يكون أبدا: ﴿ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ﴾[الملك: ١] .

فتوكل على الله وحده، لأنه القوي العزيز الحكيم :﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٩﴾ ﴾[الأنفال: ٤٩] .

الخامس : اليقين على وعد الله ووعيده

فمن أيقن أن العاقبة للمؤمنين وللمتقين وللمحسنين، دفعه ذلك اليقين إلى التوكل على الله، وإحسان عبادته في الدنيا، ورجا وعده الصدق في الأخرة: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾ ﴾[التوبة: ٧٢] .

ومن أيقن على وعيد الله، وشدة عذابه لمن عصاه آمن به، واتقاه، وخاف من معصيته، وسارع إلى طاعته: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ هِيَ حَسْبُهُمْ ۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٦٨﴾ ﴾[التوبة: ٦٨].

والأخذ بالأسباب المشروعة لا ينافي التوكل على الله، فالمؤمن يبذل جهده في فعل الأسباب النافعة، ويعتقد أنها لا تنفع إلا بمشيئة الله.

لأن حقيقة التوكل اعتماد القلب على الله وحده، ولا يضره مباشرة الأسباب المأمور بها شرعا، وترك الأخذ بالأسباب طعن في الشرع، والاعتقاد في الأسباب طعن في التوحيد: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾ ﴾[التغابن: ١٣].

فنتوكل على الله بقلوبنا، ونفعل الأسباب بجوارحنا. لأننا في دار الأسباب، والدنيا لها أسباب، والآخرة لها أسباب.

فلا بد للعبد من التوكل على الله وحده، ومباشرة الأسباب بجوارحه: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾[الأنفال: ٢-٤].

والتوكل ذاته من أعظم الأسباب النافعة .

فالمتوكل يضع البَذْر في الأرض ويسقيها، ويتوكل على الله في خلق الزرع .

والمتوكل يتزوج، ويتوكل على الله في إنجاب الأولاد... وهكذا.

ومن ادعى التوكل على الله في طلب الذرية ولم يتزوج، فهذا لا عقل له .
ومن لم يبذر الأرض، وتوكل على الله في إنبات النبات، فهذا مجنون .
فالواجب على العبد الأخذ بالأسباب النافعة، ليحصل على ثواب السعي فقط، والأسباب مخلوقة ليس بيدها شيء، بل الأمر كله بيد الله وحده، والسعي سبب مأمور به شرعا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ۝٩ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۝١٠﴾[الجمعة: ٩ – ١٠].
والأنبياء جميعا توكلوا على الله بقلوبهم، وباشروا الأسباب بجوارحهم.
فالأنبياء منهم التاجر، والحداد، وراعي الغنم، والنجار، وباعوا واشتروا، وكسبوا المعاش ليكونوا قدوة لأممهم في الأخذ بالأسباب، مع التوكل على الله.
ومن ادعى التوكل على الله، وترك الأخذ بالأسباب، فهذا إنما توكل على شخص آخر يأتيه بالرزق أو الصدقة، وهذا في الحقيقة توكل على غير الله من الخلق، بل هذا تواكل لا توكل: ﴿فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۖ إِنَّكَ عَلَى ٱلۡحَقِّ ٱلۡمُبِينِ ۝٧٩﴾[النمل: ٧٩] .
فنأخذ بالأسباب المأمور بها شرعا، ولا نتوكل إلا على الله وحده في حصول السبب، وبذلك نُقِيمُ عبادتين لله عز وجل، ونأخذ بالأسباب المأمور بها شرعا، وإن كانت خلاف العقل، فموسى ﷺأمره الله بضرب البحر بعصاه كما قال سبحانه :﴿ٱضۡرِب بِّعَصَاكَ ٱلۡبَحۡرَۖ﴾[الشعراء: ٦٣] .
فكانت النتيجة :﴿فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرۡقٖ كَٱلطَّوۡدِ ٱلۡعَظِيمِ ۝٦٣﴾[الشعراء: ٦٣] .
فمراد الله من عبده أن يسمع ويطيع أمره ليحصل له مراده، وإلا ماذا تفعل العصا ببحر عظيم متلاطم؟!، لكنها قدرة الله التي ظهرت بعد فعل السبب .
وقال الله لمريم بعد ولادتها :﴿وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ ۝٢٥﴾[مريم: ٢٥] .
فسمعت وأطاعت، فكانت النتيجة :﴿تُسَٰقِطۡ عَلَيۡكِ رُطَبٗا جَنِيّٗا ۝٢٥﴾[مريم:٢٥].
وماذا تفعل يد امرأة ضعيفة قد وهنتها الولادة في هز شجرة عظيمة شامخة ؟!
ولكنه السمع والطاعة لمن توكلت عليه، فأطعمها بعد فعل السبب .

والله سبحانه هو الوكيل الذي بيده كل شيء: ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ٦٢ ﴾[الزمر: ٦٢] .

فتوكل عليه وحده: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ١٣ ﴾ [التغابن: ١٣] .

ومن توكل على الله كفاه ما سواه من أعدائه، وحفظه من اتباع خطوات الشيطان، كما قال الله عن الشيطان :﴿ فَإِذَا قَرَأۡتَ ٱلۡقُرۡءَانَ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ٩٨ إِنَّهُۥ لَيۡسَ لَهُۥ سُلۡطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ٩٩ ﴾[النحل: ٩٨ – ٩٩] .

والله سبحانه يحب المتوكلين، وقد أمر نبيه محمداً ﷺ بالتوكل عليه فقال : ﴿ وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلۡ إِلَيۡهِ تَبۡتِيلٗا ٨ رَّبُّ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذۡهُ وَكِيلٗا ٩ ﴾[المزمل: ٨ – ٩] .

وأمر المؤمنين بالتوكل عليه، فقال:﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ١٣ ﴾ [التغابن: ١٣] .

فالتوكل هو أعظم عبادات القلوب، لأنه يدخل في كل عبادة. وقدمه الله على عبادة الجوارح لفضله في قوله: ﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ٣ ﴾[الأنفال: ٢ – ٣] .

والله سبحانه قوي، يكفي من توكل عليه، وفوض أموره إليه: ﴿ وَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَدَعۡ أَذَىٰهُمۡ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ٤٨ ﴾[الأحزاب: ٤٨] .

ومن حقق التوكل دخل الجنة بغير حساب:

قال النَّبِيِّ ﷺ يَدْخُلُ الجَنَّةَ مِنْ أُمَّتي سَبْعُونَ أَلْفًا بِغَيْرِ حساب ولا عَذابٍ فقالَ: «هُمُ الَّذينَ لا يَسْتَرْقُونَ وَلا يَكْتَوُونَ وَلا يَتَطَيَّرُونَ وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ» متفق عليه[1] .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٥٧٠٥)، ومسلم برقم (٢٢٠) .

٨- جزاء أهل التوكل

يكرم الله أهل التوكل بكرامات كثيرة منها:

الأولى: كفاية الله لمن توكل عليه: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾﴾ [الطلاق: ٢-٣].

الثانية: الحِفَاظَةُ من الشيطان، كما قال سبحانه: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾﴾ [النحل: ٩٨-٩٩].

الثالثة: النصر والحفاظة: ﴿إِنِّى تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّى وَرَبِّكُم ۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾﴾ [هود: ٥٦].

الرابعة: الفوز برضوان الله، وأعلى درجات الجنة: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال: ٢-٤].

وَقَالَ عزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾ جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ ﴿٨﴾﴾ [البينة: ٧-٨].

اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِمَّنْ اسْتَهْدَاكَ فَهَدَيْتَهُ، وَاسْتَغْفَرَكَ فَغَفَرْتَ لَهُ، واسْترحمك فَرحمته، وَ توَكَّلَ عَلَيْكَ فكَفَيْتَهُ.

﴿رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ [الممتحنة: ٤].

عبادات القلوب

في ضوء القرآن والسنة

العبادة الحادية عشرة

عبادة التوبة إلى الله عز وجل

وتشتمل هذه العبادة العظيمة على المباحث الآتية :

الأول: منزلة التوبة إلى الله عز وجل .الثامن: خطر التسويف بالتوبة.

الثاني: حكم التوبة. التاسع: علاج الإصرار على المعاصي.

الثالث: فضائل التوبة إلى الله عز وجل.العاشر: أسباب سوء الخاتمة.

الرابع: الأسباب المعينة على التوبة. الحادي عشر: جزاء التائبين.

الخامس: أنواع التوبة.

السادس: أقسام التائبين إلى الله عز وجل.

السابع: خطر المعاصي على العبد.

الثامن: خطر التسويف بالتوبة

التاسع: علاج الإصرار على المعاصي

العاشر: أسباب سوء الخاتمة

الحادي عشر: جزاء التائبين

العبادة الحادية عشرة

عبادة التوبة إلى الله عز وجل

١ - منزلة التوبة إلى الله عز وجل

التوبة: هي العودة إلى الله، والرجوع إليه، وترك المعصية، والندم على فعلها، والعزم على عدم العودة إليها.

والتوبة والإنابة والندم على فعل الذنب، والعزم على ترك الذنب، كل ذلك من العبادات القلبية العظيمة.

أما الإقلاع عن الذنب فهو من أعمال الجوارح، والندم يكون على ما مضى من الذنوب، والعزم يكون على ترك الذنب في المستقبل، والإقلاع يكون في الحاضر بترك الذنب فورًا: ﴿فَمَن تَابَ مِنۢ بَعۡدِ ظُلۡمِهِۦ وَأَصۡلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيۡهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ٣٩﴾[المائدة:٣٩].

وتوبة الله تعالى على العبد هي إذنه لعبده بالتوبة، وتوفيقه لها، ثم قبولها منه، وإثابته عليها، كما قال سبحانه: ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡ لِيَتُوبُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ١١٨﴾[التوبة:١١٨].

فتوبة الله على العبد تسبق توبة العبد، فمن تاب الله عليه تاب، ومن لم يتب الله عليه لم يتب، لأن الله أعلم بما في صدور العالمين: ﴿وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لِّيَقُولُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنۢ بَيۡنِنَآۗ أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِأَعۡلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ٥٣﴾ [الأنعام:٥٣].

وتوبة الله على العبد هي مقتضى اسمه التواب، ومغفرة الله هي ستر الله لذنب العبد في الدنيا والآخرة، وإسقاط العقوبة عنه، والوقاية من إقامة الحد عليه في الدنيا، وعذاب النار يوم القيامة: ﴿وَمَن يَعۡمَلۡ سُوٓءًا أَوۡ يَظۡلِمۡ نَفۡسَهُۥ ثُمَّ يَسۡتَغۡفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ١١٠﴾[النساء:١١٠].

والعفو هو إسقاط اللوم على الذنب، فهو محو أثر الذنب بالكلية، فالمغفرة

تسقط العقوبة، ولكن يبقى أثر الذنب في النفس، وهو ذل المعصية الذي يكسر قلب العبد العاصي، ويشعره بالمهانة والوحشة.

أما العفو فيزيل ذلك كله، ولهذا قال الله لرسوله: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَتَعْلَمَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٤٣﴾﴾[التوبة:٤٣].

أما التوبة فتشمل ذلك كله، فالتائب من الذنب كمن لا ذنب له.

قال النبي ﷺ: «الإسلامُ يهدمُ ما كان قبلَه، والتوبةُ تهدمُ ما كان قبلَها»أخرجه مسلم[1].

وقال النبي ﷺ: «التائبُ من الذنبِ كمن لا ذنبَ لهُ»أخرجه ابن ماجة والطبراني[2].

والله سبحانه تواب رحيم، يحب التوابين، ويفرح بتوبتهم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾﴾[البقرة:٢٢٢].

وتوبة العبد تقع بين توبتين من الرب عز وجل.

التوبة الأولى: توبة إذن وهداية وتوفيق.

والثانية: توبة قبول بعد توبة العبد.

قال تعالى: ﴿ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓا۟ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾﴾[التوبة:١١٧-١١٨].

والله سبحانه تواب رحيم، ومن رحمته يريد أن يتوب على جميع عباده: ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُوا۟ مَيْلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾﴾[النساء:٢٧-٢٨].

والله عزوجل هو الخالق الذي خلق الناس، وخلق أفعالهم، وهو أعلم بقلوب عباده، ومن تصلح له الطاعة والهداية، ومن تصلح له المعصية: ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ

---

(١)أخرجه مسلم برقم (١٢١).

(٢)أخرجه ابن ماجة برقم (٤٢٥٠) والطبراني برقم (١٠٢٨١).

يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾[الأنعام:١٢٤].

وقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لِّيَقُولُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنۢ بَيۡنِنَآۗ أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِأَعۡلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ٥٣﴾[الأنعام:٥٣].

فالله أعلم بالشاكرين، والكافرين، يهدي من يشاء بفضله، ويضل من يشاء بعدله: ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنٗاۖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۖ فَلَا تَذۡهَبۡ نَفۡسُكَ عَلَيۡهِمۡ حَسَرَٰتٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ ٨﴾[فاطر:٨].

والله سبحانه خلق الجن والإنس مخيرين بين الإيمان والكفر، وبين الطاعات و المعاصي، ليبتليهم بحسن العمل كما قال سبحانه: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ١ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡمَوۡتَ وَٱلۡحَيَوٰةَ لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفُورُ ٢﴾[الملك:١-٢].

وقال عز وجل: ﴿إِنَّا جَعَلۡنَا مَا عَلَى ٱلۡأَرۡضِ زِينَةٗ لَّهَا لِنَبۡلُوَهُمۡ أَيُّهُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗا ٧﴾[الكهف:٧].

والتوبة هي مقتضى الإيمان بأسماء الله الحسنى، فالتوبة هي مقتضى الإيمان باسم الله التواب: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ سَيُجۡزَوۡنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٨٠﴾[الأعراف:١٨٠].

والتوبة من آثار ولوازم الإيمان بأسماء الله، العفو، الغفور، الغفار: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ ٨﴾[طه:٨].

فمن تاب تاب الله عليه، ومن عفا عفا الله عنه، ومن استغفر غفر له ربه الغفور، ومن استرحم رحمه ربه الرحيم: ﴿۞قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ٥٣﴾[الزمر:٥٣].

والتوبة إلى الله شرط الإيمان، فمن لم يتب من الكفر فهو كافر، ومن لم يتب من الشرك فهو مشرك،ومن لم يتب من الظلم فهو ظالم: ﴿وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ١١﴾[الحجرات:١١].

٢ - حكم التوبة

التوبة إلى الله عز وجل واجبة على كل أحد من البشر في كل زمان ومكان من الكفر والشرك، وجميع الذنوب والمعاصي: ﴿وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿١١﴾﴾ [الحجرات:١١].

وقد أمر الله عباده المؤمنين بالتوبة من جميع الذنوب والمعاصي كما قال سبحانه: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾﴾ [النور:٣١].

وقال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ [التحريم:٨].

وتودد الله إلى من أشرك بالله بقوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ ۚ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٤﴾﴾ [المائدة:٧٤].

فالتوبة إلى الله أعظم عبادات القلوب، وأول عبادات القلوب، فإن الله تعالى ما أنزل الكتب، وأرسل الرسل، إلا لدعوة الناس للتوبة إلى الله من الكفر والشرك، والذنوب والمعاصي، والغفلات والجهالات، فالتوبة واجبة على الفور على كل أحد: ﴿فَمَن تَابَ مِن بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٩﴾﴾ [المائدة:٣٩].

وقال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُولَٰئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ۗ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧﴾﴾ [النساء:١٧].

والله سبحانه تواب رحيم، عفو غفور، يتوب على من تاب: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ ۖ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِن بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٤﴾﴾ [الأنعام:٥٤].

وقال سبحانه: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٩﴾﴾ [النحل:١١٩].

والتوبة واجبة على الدوام من جميع الذنوب، فإن العبد لا يخلو من معصية بقلبه أو لسانه أو جوارحه، فكل بني آدم خطاء، وخير الخطاءينالتوابون .

فإن خلا العبد من ذلك، فلا يخلو من وسوسة النفس والشيطان له بالمعصية .

فإن خلا من ذلك فلا يخلو من الغفلة أحيانا .

فإن خلا من ذلك فلا يخلو من التقصير في العلم بالله، وما يجب له من العبودية، والتقصير في الأعمال الصالحة، والتقصير في الدعوة إلى الله، والتقصير في تعليم الناس شرع الله، ولهذا أمر الله المؤمنين جميعاً بالتوبة دائما بقوله تعالى: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٣١﴾[النور:٣١].

وقال النبي ﷺ :«إِنَّه لَيُغانُ على قَلْبِي، وإنِّي لأَسْتَغْفِرُ اللهَ، في اليَومِ مِئَةَ مَرَّةٍ» أخرجه مسلم (١).

وقال النبي ﷺ :«واللهِ إنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللهَ وأَتُوبُ إلَيْهِ في اليَومِ أكْثَرَ مِن سَبْعِينَ مَرَّةً»أخرجهالبخاري (٢).

وحقوق الله عز وجل على العباد عظيمة، وهي أعظم من أن يقوم بها الخلق، ونعم الله أكثر من أن تحصى، وهي أكثر من أن يشكرها الخلق، فتوبوا إلى الله دائما، وأصبحوا تائبين، وأمسوا تائبين، فربكم تواب رحيم :﴿فَمَن تَابَ مِنۢ بَعۡدِ ظُلۡمِهِۦ وَأَصۡلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيۡهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ٣٩﴾[المائدة:٣٩].

والتوبة واجبة حتى من الذنوب التي أقلعت عنها، فالذنوب لاتغفر إلا إذا تبت إلى الله منها، ومن مات من المسلمين مصرًا على الكبائر فإن الله يغفرها لمن يشاء، أو يعذبه بها، ثم يدخله الجنة: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا ٤٨﴾[النساء:٤٨].

---

(١)أخرجه مسلم برقم (٢٧٠٢) .

(٢)أخرجه البخاري برقم (٦٣٠٧).

أما من تاب إلى الله من ذنوبه، فإن الله يتوب عليه، ويمحو ذنوبه، ويبدلها حسنات: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا (٦٨) يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا (٦٩) إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا (٧٠)﴾[الفرقان:٦٨-٧٠].

فالكبائر موبقات للعبد، ولا يكفرها إلا التوبة التي تمحوها، أما الصغائر فتكفرها الأعمال الصالحة، كالصلاة والصيام والحج وأمثالها.

قال الرسول ﷺ :«الصَّلَواتُ الخَمْسُ، والجُمْعَةُ إلى الجُمْعَةِ، وَرَمَضانُ إلى رَمَضانَ، مُكَفِّراتٌ ما بيْنَهُنَّ إذا اجْتَنَبَ الكَبائِرَ»أخرجه مسلم (١).

وقال النبي ﷺ:«منْ حجَّ لله فَلَم يرْفُثْ، وَلَمَ يفْسُقْ، رجَع كَيَومِ ولَدتْهُ أُمُّهُ» متفق عليه(٢).

فالأعمال الصالحة تكفر الصغائر والذنوب التي لا يشعر بها الإنسان، أما الكبائر التي نسيتها فإن الله لم ينسها، ولن تمحى عنك إلا بالتوبة: ﴿وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (١١)﴾[الحجرات:١١].

والتوبة إلى الله واجبة من كل الذنوب على جميع البشر، التوبة من الكفر والشرك، والتوبة من الكبائر والصغائر، والتوبة من البدع والغفلات: ﴿فَمَن تَابَ مِن بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٣٩)﴾[المائدة:٣٩].

فالتوبة واجبة على جميع الناس، والله دعا اليهود إلى التوبة بقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ (٦٥)﴾[المائدة:٦٥].

---

(١)أخرجه مسلم برقم (٢٣٣) .

(٢)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (١٥٢١) ومسلم برقم (١٣٥٠).

ودعا الله النصارى إلى التوبة بقوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٤﴾﴾[المائدة:٧٤].

ودعا الله الكفار إلى التوبة بقوله تعالى: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِن يَعُودُواْ فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾﴾[الأنفال:٣٨].

ودعا الله المشركين إلى التوبة بقوله تعالى: ﴿وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِىٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۙ وَرَسُولُهُۥ ۚ فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣﴾﴾[التوبة:٣].

ودعا الله المنافقين إلى التوبة بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَٱعْتَصَمُواْ بِٱللَّهِ وَأَخْلَصُواْ دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَسَوْفَ يُؤْتِ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٤٦﴾﴾[النساء:١٤٥-١٤٦].

ودعا الله عز وجل أصحاب الكبائر إلى التوبة إليه بقوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾[الزمر:٥٣].

ودعا الله كل من كتم شيئا مما أنزل الله إلى التوبة بقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُوْلَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَبَيَّنُواْ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾﴾[البقرة:١٥٩-١٦٠].

ودعا الله المؤمنين إلى التوبة، لما في أعمالهم من نقص، وما في أوقاتهم من غفلة عن ذكر الله، وما في دعوتهم من تقصير، فقال سبحانه: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾﴾[النور:٣١].

والتوبة أعظم عبادات الأنبياء، فهم لكمال معرفتهم بالله وما يجب له من حقوق أكثر الناس توبة، وأكثرهم استغفارًا.

فآدم ﷺ وزوجه تابا إلى الله بعد أكلهما من الشجرة كما قال سبحانه: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأعراف:٢٣].

وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَـٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾﴾ [البقرة:٣٧].

وهكذا سائر الأنبياء والمرسلين عليهم صلوات الله أجمعين.

والناس متفاوتون في التوبة، فالتوبة من جميع الذنوب والمعاصي فرض على كل مسلم ومسلمة، والتوبة تجُب ما قبلها كما أن الإسلام يهدم ما قبله.

والتوبة تجِب من جميع المخالفات، الكبائر، والصغائر، والغفلات، والمنكرات.

فالكبائر كل ذنب توعد الله عليه بالنار، أو العذاب، أو باللعنة، أو غضب الرب، أو نفي الإيمان عن صاحبه، أو تبرأ منه رسول الله ﷺ.

هذا حد الكبائر وأعظمها الشرك بالله في أسمائه وصفاته وأفعاله، وفي عبادته: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾﴾ [المائدة: ٧٢].

وقال النبي ﷺ: «أَلا أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الكَبائِرِ؟ ثَلاثًا، قالوا: بَلى يا رَسُولَ اللَّهِ، قالَ: الإشْراكُ باللَّهِ، وَعُقُوقُ الوالِدَيْنِ وَجَلَسَ وَكانَ مُتَّكِئًا فَقالَ أَلا وَقَوْلُ الزُّورِ، قالَ: فَما زالَ يُكَرِّرُها حتّى قُلْنا: لَيْتَهُ سَكَتَ» متفق عليه (١).

وقال النبي ﷺ: «اجْتَنِبُوا السَّبْعَ المُوبِقاتِ قالوا: يا رَسُولَ اللَّهِ، وَما هُنَّ؟ قالَ: الشِّرْكُ باللَّهِ، والسِّحْرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتي حَرَّمَ اللَّهُ إِلّا بالحَقِّ، وَأَكْلُ الرِّبا، وَأَكْلُ

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٥٩٧٦) ومسلم برقم (٥٧).

مالِ اليَتِيمِ، والتَّوَلِّي يَومَ الزَّحْفِ، وَقَذْفُ المُحْصَناتِ المُؤْمِناتِ الغافِلاتِ» متفق عليه [1].

فتجب التوبة من جميع أنواع الكبائر: ﴿وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿١١﴾﴾ [الحجرات:١١].

والصغائر كقطرات ماء متوالية على حجر لابد أن تؤثر فيه، والكبائر كسيل وادٍ منحدر يهلك من مر به، فاحذر هذه وتلك.

وكما أنه لا كبيرة مع الاستغفار، فكذلك لا صغيرة مع الإصرار.

ومن الأسباب التي تعظم بها صغائر الذنوب ما يلي:

الأول: أن يستصغر العاصي الذنب.

وإنما يستعظم العبد الذنب بعلمه بجلال الله وعظمته، فإذا نظر إلى عظمة من يعصيه رأى الصغيرة كبيرة، وقليل المعاصي كثير، ومن الناس من يرى بعض المعاصي هينة، لجهله بعظمة الله، وهي عند الله عظيمة كما قال سبحانه: ﴿وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾﴾ [النور:١٥].

الثاني: أن يفرح العاصي بالذنب إذا فعله، فقلة حياء العبد من الملائكة أعظم من الذنب، وفرح العبد بالذنب إذا فعله أعظم من الذنب، وحزنه على الذنب إذا فاته أعظم من الذنب، وخوفه من الناس وعدم خوفه من الله أعظم من الذنب: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ۚ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [الزمر:٦٧].

الثالث: أن يجاهر العبد بالذنب، أو يفضح نفسه بعد ما ستره الله.

قال النبي ﷺ: «كُلُّ أُمَّتي مُعافىً إلّا المُجاهِرِينَ» متفق عليه [2].

---

(١) متفق عليه أخرجه البخاري برقم (٢٧٦٦) ومسلم برقم (٨٩).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٠٦٩) ومسلم برقم (٢٩٩٠).

الرابع: أن يكون المذنب من العلماء الذين يقتدى بهم، فالعالم كما تتضاعف حسناته إذا تبعه الناس على الخير، فكذلك تتضاعف سيئاته إذا اتبعوه على الذنوب.

قال النبي ﷺ: «مَن دَلَّ على خَيْرٍ فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِ فاعِلِهِ» أخرجه مسلم (١).

وقال النبي ﷺ: «مَن دَعا إلى هُدًى، كانَ له مِنَ الأجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَن تَبِعَهُ، لا يَنْقُصُ ذلكَ مِن أُجُورِهِمْ شيئًا، ومَن دَعا إلى ضَلالَةٍ، كانَ عليه مِنَ الإثْمِ مِثْلُ آثامِ مَن تَبِعَهُ، لا يَنْقُصُ ذلكَ مِن آثامِهِمْ شيئًا» أخرجه مسلم (٢).

فيجب على العبد التوبة من جميع أنواع الصغائر.

وأما التوبة من الغفلات، فإن أنفاس العبد هي عمره، وإذا خرج النفس ضاع إلى الأبد، فمن استعمل أنفاسه في طاعة الله ورسوله، أوصلته إلى سعادة الأبد في الجنة، ومن أضاع أنفاسه في الغفلة، واتباع الشهوات والمعاصي، أوصله ذلك إلى شقاوة الأبد.

قال تعالى: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٢٠٥﴾﴾ [الأعراف: ٢٠٥].

وقال الله تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾﴾ [الكهف: ٢٨].

وعلامة صدق التوبة هو الندم على ما سلف من الذنوب، والإكثار من الأعمال الصالحة بعد التوبة.

وشروط التوبة المقبولة عند الله عز وجل أربعة:

الأول: الندم على فعل الذنب.

---

(١) أخرجه مسلم برقم (١٨٩٣).

(٢) أخرجه مسلم برقم (٢٦٧٤).

الثاني: الإقلاع عن الذنب فورًا.

الثالث: العزم على عدم العودة إلى الذنب في المستقبل.

الرابع: رد المظالم للعباد إن كان الذنب في حق المخلوقين.

الخامس: أن تكون التوبة خالصة لله لا رياء ولا سمعة.

فهذه شروط التوبة النصوح المقبولة والتي أمر الله بها في كتابه بقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةٗ نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيُدۡخِلَكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ يَوۡمَ لَا يُخۡزِي ٱللَّهُ ٱلنَّبِيَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥۖ نُورُهُمۡ يَسۡعَىٰ بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَبِأَيۡمَٰنِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتۡمِمۡ لَنَا نُورَنَا وَٱغۡفِرۡ لَنَآۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٨﴾[التحريم:٨].

وقال عز وجل: ﴿فَمَن تَابَ مِنۢ بَعۡدِ ظُلۡمِهِۦ وَأَصۡلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيۡهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ٣٩﴾[المائدة:٣٩].

٣- فضائل التوبة إلى الله عز وجل

التوبة إلى الله عزوجل من أعظم العبادات القلبية التي يحبها الله، ويفرح بها، ويثيب عليها، ويغفر لصاحبها، ويمحو ذنوبه.

فقد أمر الله رسوله محمداً ﷺ بعد إبلاغ رسالة الله إلى الناس بها، فقال: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝١ وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ۝٢ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا ۝٣﴾ [النصر:٣].

وأمر سبحانه عباده المؤمنين بالتوبة بقوله: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۝٣١﴾ [النور:٣١].

وهي أول صفات المؤمنين الذين اشترى الله منهم أنفسهم وأموالهم، كما قال سبحانه: ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلۡعَٰبِدُونَ ٱلۡحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلۡأٓمِرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ۝١١٢﴾ [التوبة:١١٢].

فالتوبة من العبد سبب لتوبة الله على العبد: ﴿فَمَن تَابَ مِنۢ بَعۡدِ ظُلۡمِهِۦ وَأَصۡلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيۡهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ۝٣٩﴾ [المائدة:٣٩].

والتوبة سبب لمغفرة الذنوب كما قال سبحانه: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٞ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا ثُمَّ ٱهۡتَدَىٰ ۝٨٢﴾ [طه:٨٢].

والتوبة سبب للاتصاف بالإيمان كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ فِي ٱلدَّرۡكِ ٱلۡأَسۡفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمۡ نَصِيرًا ۝١٤٥ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصۡلَحُواْ وَٱعۡتَصَمُواْ بِٱللَّهِ وَأَخۡلَصُواْ دِينَهُمۡ لِلَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ وَسَوۡفَ يُؤۡتِ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَجۡرًا عَظِيمٗا ۝١٤٦﴾ [النساء:١٤٥-١٤٦].

والتوبة سبب لنزول البركات من السماء، كما قال نوح ﷺ لقومه: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا ﴿١٢﴾﴾[نوح:١١-١٢].

وكما قال هود ﷺ لقومه: ﴿وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ ﴿٥٢﴾﴾[هود:٥٢].

وكما قال محمد ﷺ لقومه وأمته: ﴿وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ﴾[هود:٣].

والتوبة سبب لإجابة الدعاء كما قال صالح لقومه: ﴿فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ ﴿٦١﴾﴾[هود:٦١].

والتوبة إلى الله سبب لنزول الرحمة. كما قال شعيب ﷺ لقومه: ﴿وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴿٩٠﴾﴾[هود:٩٠].

والتوبة إلى الله سبب للفلاح في الدنيا والآخرة كما قال سبحانه: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾﴾[النور:٣١].

والتوبة إلى الله سبب لمحبة الله لعبده كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾﴾[البقرة:٢٢٢].

والتوبة إلى الله سبب لمنع العقاب الذي انعقدت أسبابه كما قال سبحانه: ﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٥﴾﴾[التوبة:٥].

وقال عز وجل: ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ ﴿٩٨﴾﴾[يونس:٩٨].

٤ - الأسباب المعينة على التوبة إلى الله

الذي يدفع المسلم إلى التوبة من الذنوب أمور:

الأول: العلم بعظمة الله وجلاله، والعلم بأسمائه وصفاته وأفعاله، والعلم بعظمة ملكه وسلطانه، والعلم بعظمة نعمه وإحسانه.

فمن عرف الله حقًا خافه حقًا، وتاب إليه حقاً: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ١٩﴾[محمد:١٩].

الثاني: خوف مقام العبد بين يدي ربه يوم القيامة كما قال سبحانه عن الأنبياء: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ٩٠﴾[الأنبياء: ٩٠].

وقال الله تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ٤٦﴾[الرحمن:٤٦].

الثالث: خوف العقاب على الذنب كما قال الله عن المؤمنين: ﴿إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ١٠ فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ١١ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا ١٢﴾[الإنسان: ١٠-١٢].

وكل ظالم سيحاسب على ظلمه: ﴿فَقَدْ كَذَّبُوكُم بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا ۚ وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا ١٩﴾[الفرقان:١٩].

الرابع: العلم بعظمة من تعصيه يدفعك إلى طاعته، ويصرفك عن معصيته؛ لأن الذنب جرأة على معصية من خلقك ورزقك وهداك، وسبب لاستحقاق غضبه، والبعد عن واسع رحمته، فاستح من ربك أن تعصه في ملكه بنعمه: ﴿يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْ ۖ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْا۟ فِيهِ وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا۟ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ٢٠ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ٢١ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ٢٢﴾[البقرة: ٢٠ - ٢٢].

الخامس: العلم بسعة رحمة لكل من عصاه: ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ٧٤﴾[المائدة:٧٤].

٥ - أنواع التوبة

أنواع التوبة أربعة:

الأول: التوبة النصوح، وهي التي تنصح صاحبها، فتمنعه كلما أراد أن يعود إلى الذنب، والتوبة النصوح هي التوبة الشاملة لكل الذنوب صغيرها وكبيرها، سرها وعلانيتها، سواء كانت ذنوبًا في حق النفس، أو ذنوبًا في حق الخلق: ﴿فَمَن تَابَ مِنۢ بَعۡدِ ظُلۡمِهِۦ وَأَصۡلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيۡهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ٣٩﴾ [المائدة:٣٩].

وهذه هي التوبة الصادقة المأمور بها شرعًا كما قال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةٗ نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيُدۡخِلَكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ يَوۡمَ لَا يُخۡزِي ٱللَّهُ ٱلنَّبِيَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥۖ نُورُهُمۡ يَسۡعَىٰ بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَبِأَيۡمَٰنِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتۡمِمۡ لَنَا نُورَنَا وَٱغۡفِرۡ لَنَآۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٨﴾ [التحريم:٨].

الثانية: توبة اللسان، والمطلوب شرعًا توبة القلب، لا توبة اللسان فقط، فمن تاب بلسانه، أو استغفر بلسانه، ولم يستحضر ذلك بقلبه، فتوبته ناقصة لأن التوبة من أعمال القلوب.

الثالثة: توبة العاجز، والتوبة المقبولة أن تترك الذنب ابتغاء وجه الله وحده، فمن ترك الذنب لكبر سنه، أو لضعف بدنه، أو لأنه لا يستطيع فعله، أو لأنه يضر بصحته، أو لأن الذنب يفسد وجاهته عند الناس، أو يترك الذنب حتى لا يفقد مصالحه عند الناس .

فكل هذه الأسباب تمنع صحة التوبة، وتبطل ثوابها: ﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ١١٠﴾ [الكهف:١١٠].

الرابعة: التوبة المردودة، وهي التي تكون إذا حضر أجل الموت، أو بعد طلوع الشمس من مغربها.

فحين ذاك لا يقبل الله إيمان الكافر، ولا يقبل توبة العاصي: ﴿إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧﴾ وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٨﴾﴾[النساء:١٨].

وقال النبي ﷺ :«مَن تاب قَبلَ أَنْ تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِن مَغْرِبِها، تابَ اللهُ عليه» أخرجه مسلم (١).

وقال النبي ﷺ :«إنَّ اللهَ يقبَلُ توبةَ العبدِ ما لم يُغرغِرْ» أخرجه الترمذي(٢).

---

(١)أخرجه مسلم برقم (٢٧٠٣) .

(٢)حسن: أخرجه الترمذي برقم (٣٥٣٧) .

٦ – أقسام التائبين إلى الله عز وجل

التائبون إلى الله ثلاثة أقسام:

الأول: توبة الكافر والمشرك، وهي أن يشهد الشهادتين، ويتبع ذلك بأداء شعائر الدين، من إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة ونحوهما كما قال سبحانه عن الكفار: ﴿فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ ۗ وَنُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَـٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١١﴾﴾[التوبة:١١].

الثاني: توبة الكافر الحربي، فالإسلام يجب ماقبله، والتوبة تجب ماقبلها.

قال ﷺ: «مَن أحْسَنَ في الإسْلامِ لَمْ يُؤاخَذْ بما عَمِلَ في الجاهِلِيَّةِ، ومَن أساءَ في الإسْلامِ أُخِذَ بالأوَّلِ والآخِرِ» متفق عليه (١).

فالكافر الحربي إذا أسلم لم يؤاخذ بشيء مما عمله في الجاهلية، سواء كان من حقوق الله أو من حقوق الناس كما قال سبحانه: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِن يَنتَهُوا۟ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِن يَعُودُوا۟ فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾﴾[الأنفال:٣٨].

وقال النبي ﷺ: «أما عَلِمْتَ أنَّ الإسْلامَ يَهْدِمُ ما كانَ قَبْلَهُ» أخرجه مسلم (٢).

الثالث: توبة المسلم المسرف على نفسه، المفرط في دينه .

فهذا المسرف المفرط عليه أن ينظر فيما فاته من الفرائض، من صلاة وصوم وزكاة وحج وغيرها، فيجتهد في تعويض ذلك في الاستكثار من الحسنات والتطوعات: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَىِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ ۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَـٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴿١١٤﴾﴾[هود:١١٤].

ثم يفتش عن كل معصية صدرت منه منذ بلوغه فيقابلها بحسنة تناسبها من نوعها، فيكفر عن سماع الأغاني بسماع القرآن، ويكفر عن رؤية الصور المحرمة

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٩٢١) ومسلم برقم (١٢٠).

(٢) أخرجه مسلم برقم (١٢١).

بالنظر في كتاب الله وتدبره، ويكفر عن شرب الخمر بعمل سبيل ماء بارد للناس.. وهكذا.

قال النبي ﷺ :«اتَّقِ اللهَّ حيثُما كنتَ وأتبعِ السَّيِّئةَ الحسنةَ تمحُها وخالِقِ النّاسَ بخلقٍ حسنٍ»أخرجه أحمد [(١)].

هذا في الذنوب التي بين العبد وبين ربه :﴿ فَمَن تَابَ مِنۢ بَعۡدِ ظُلۡمِهِۦ وَأَصۡلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيۡهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴿٣٩﴾ ﴾[المائدة:٣٩].

أما الذنوب التي فعلها مع العباد فتوبته أن يرد مظالم الأموال من السرقة والغش والخيانة إلى أهلها أو ورثتهم، فإن لم يقدر على ردها جميعا فليكثر من الحسنات التي تذهب السيئات، فإن لم يذكر ممن غصب المال، أو سرقه منه، فليتصدق به عن صاحبه الذي لا يعلمه فإن الله يعلمه.

فإن كانت الجناية في الأعراض، والغيبة والنميمة، فليذكرهم في مجالسه بخير كما ذكرهم بشر، ويحسن إليهم، ويستحلهم مما قال فيهم من غير أن يوغر قلوبهم بذكر ما اغتابهم به.

وإن كان هذا المسرف المفرط لا يتذكر المظالم، ولا يعرف أصحاب الحقوق، فإنه يكفر عن إيذاء الناس بالإحسان إلى الضعفاء، ويكفر عن غصب الأموال بالإكثار من الصدقة من الحلال، حتى يخرج قدر الحرام من ماله الحلال.

أما إن كانت الجناية في القتل فليدفع الدية إلى ولي المقتول، ولا يفضح نفسه بذكر الذنوب التي عليها الحدود، بل عليه أن يستر نفسه، كما ستر الله عليه، ويسارع للتوبة فيتوب إلى ربه توبةً نصوحا: ﴿ قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ ﴾[الزمر:٥٣].

---

(١)حسن: أخرجه احمد برقم (٢١٣٩٢) والترمذي برقم (١٩٨٧) .

٧- خطر المعاصي على العبد

للمعاصي أخطار عظيمة منها:

الأول: أن مرض القلب بالمعاصي أشد من مرض البدن بالحمى، فإن مريض القلب بالشهوات لا يدري أنه مريض، بل يسعد ويفرح بالمعصية، أما مريض البدن فيشعر بالألم، ويسارع إلى العلاج، ومريض القلب بالمعاصي نهايته جهنم، ومريض البدن نهايته الموت: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ ۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْـًٔا ﴿٦٠﴾﴾ [مريم:٥٩-٦٠].

وقال عزوجل: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾﴾ [النساء:١٤].

الثاني: أن الذنوب والمعاصي حجاب عن المحبوب وهو الله عز وجل.

فمن عقوبة المعاصي أنها تضعف سير القلب إلى الله والدار الآخرة، أو تقطع العاصي عن السفر تماما، فلا تدعه يخطو إلى الله خطوة، ولا يتقرب إلى ربه بعمل صالح: ﴿كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾﴾ [المطففين:١٤].

والقلب إنما يسير إلى الله بسرعة إذا كان حيًا سليمًا، فإذا مرض بالذنوب ضعفت قوته، فإذا تكاثرت عليه الذنوب أرهقته فزالت قوته، وانقطع عن الله، فجره الشيطان ليكون من جنوده: ﴿وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيْطَٰنُ لَهُۥ قَرِينًا فَسَآءَ قَرِينًا ﴿٣٨﴾﴾ [النساء:٣٨].

الثالث: أن العاصي يزول عنه الإيمان أثناء فعله للذنوب والمعاصي.

قال النبي ﷺ: «لا يَزْنِي الزّاني حِينَ يَزْني وهو مُؤْمِنٌ، ولا يَشْرَبُ الخَمْرَ حِين يَشْربُها وهو مُؤْمِنٌ، ولا يَسْرِقُ السّارِقُ حِينَ يَسْرِقُ وهو مُؤْمِنٌ، ولا يَنْتَهِبُ نُهْبَةً، يَرْفَعُ النّاسُ إلَيْهِ فيها أبْصارَهُمْ حِينَ يَنْتَهِبُها وهو مُؤْمِنٌ» متفق عليه (١).

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٢٤٧٥) ومسلم برقم ( ).

الرابع: أن كل من عصى الله فهو جاهل بعظمة ربه، وجاهل بعظمة الموقف بين يدي الله للحساب، وجاهل بشدة عذاب جهنم، وجاهل بعظمة نعيم الجنة الذي تبعده عنه المعصية، وجاهل بما يصلح شأنه في الدنيا الذي تصرفه عنه المعصية: ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ٣٥﴾[الأنعام:٣٥].

وعلاج الجهل بالعلم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله، والعلم بعظمة ملكه وسلطانه، والعلم بعظمة نعمه وإحسانه، والعلم بدينه وشرعه، والعلم بوعده ووعيده: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ١٩﴾[محمد:١٩].

والمشركون والكفار هم أجهل الناس بالله عزوجل، لأنهم كفروا بالله وساووا آلهتهم الباطلة بالله العظيم.

ولهذا أمر الله رسوله ﷺ أن يقول لهم: ﴿قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّىٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ ٦٤ وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ٦٥ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ٦٦﴾[الزمر:٦٥-٦٦].

ولهذا منّ الله على رسوله ﷺ بالعلم النافع، حيث قال له: ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ١١٣﴾ [النساء:١١٣].

وحذره ربه من الجهل بالله وأقداره كما قال سبحانه: ﴿وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِىَ نَفَقًا فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِى ٱلسَّمَآءِ فَتَأْتِيَهُم بِـَٔايَةٍ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ ۚ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ٣٥﴾[الأنعام:٣٥].

الخامس: أن كل مرتكب للمعاصي إنما هو بسبب إبليس، أو نفسه الأمارة بالسوء، فإبليس أول عاصٍ لله، وأول داع إلى معصية الله: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ٨٢ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ٨٣﴾[ص:٨٢-٨٣].

السادس: أن العبد يقع في الذنب بسبب الاغترار بحلم الله على العصاة، لعلهم يتوبون إليه، ولأن عقاب المعاصي غير معجل، فيقع العبد في الذنب بسبب

جهله بنهاية أمره، أو عدم رؤيته تعجيل العقوبة في الدنيا، ولأن المذنب يمني نفسه بأنه سيتوب بعد المعصية فيقع في الذنب بسبب التسويف، وطول الأمل، ولأن المذنب يغلب عليه الرجاء بعفو الله، ويقل عنده الخوف من الله، فيقع في الذنب: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُواْ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرًۢا ﴿٤٥﴾﴾ [فاطر:٤٥].

السابع: أن من أسرف على نفسه بالمعاصي، وانغمس في الذنوب، وجد فيه الشيطان فريسة سهلة، فأغواه، وأغراه بأنواع المعاصي، فكلما فرغ من معصية أغواه الشيطان وأغراه بأخرى مثلها أو أكبر منها، وكلما اقتحم العاصي باب معصية، فتح له الشيطان باب معصية أخرى، ثم بعد فعل المعصية يقنطه الشيطان من رحمة الله، ويؤيسه من روح الله، ويبين له مدى خسرانه، وأن سيئاته طغت على حسناته، وأنه مهما فعل فلن يغفر الله له، فلا يتوب ولا يستغفر: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾ إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلْفَحْشَآءِ وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٦٩﴾﴾ [البقرة:١٦٨-١٦٩].

وقال عز وجل: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾﴾ [آل عمران:١٧٥].

والمؤمن ولو عصى الله لا يقنط من رحمة الله، ولا ييأس من روح الله كما قال سبحانه: ﴿۞ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾ [الزمر:٥٣].

وقال عزوجل: ﴿قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴿٥٦﴾﴾ [الحجر:٥٦].

٨- خطر التسويف بالتوبة

يجب على كل أحد أن يتوب من ذنوبه فورا، لئلا تأتيه منيته وهو لم يتب من ذنبه: ﴿إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧﴾﴾ [النساء:١٧].

وسبب تسويف التوبة هو طول الأمل.

قال النبي ﷺ لابن عمر: «كُنْ في الدُّنْيا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عابِرُ سَبِيلٍ وكانَ ابنُ عُمَرَ، يقولُ: إذا أَمْسَيْتَ فلا تَنْتَظِرِ الصَّباحَ، وإذا أَصْبَحْتَ فلا تَنْتَظِرِ المَساءَ، وخُذْ مِن صِحَّتِكَ لِمَرَضِكَ، ومِنْ حَياتِكَ لِمَوْتِكَ» أخرجه البخاري (١).

واحذر من الشيطان فإن سلاحه الذي يجر به الخلق إلى الجرائم هو التسويف، فيقول للإنسان افعل هذه الجريمة، وذق حلاوتها، وأنها آخر جريمة تفعلها وتتوب بعدها، وتكون من الصالحين، كما زين الشيطان لأخوة يوسف بقوله: ﴿ٱقْتُلُوا۟ يُوسُفَ أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا۟ مِنۢ بَعْدِهِۦ قَوْمًا صَٰلِحِينَ ﴿٩﴾﴾ [يوسف:٩].

ومن ترك المبادرة إلى التوبة، كان بين خطرين.

أحدهما: أن يأتيه المرض أو الموت فلا يجد متسعا من الوقت للتوبة، ويشغله ما يعانيه عن التوبة، فيقدم على الله مصرًا على معصيته، فيأخذ نصيبه من عذاب الله: ﴿وَأَنفِقُوا۟ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠﴾ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾﴾ [المنافقون:١٠-١١].

الثاني: أن يمد الله له في أجله وهو مقيم على المعصية، فتتراكم ظلمة المعاصي على قلبه، حتى تصير رانًا وطبعًا، فلا يقدر على التوبة بعد ذلك: ﴿كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾﴾ [المطففين:١٤].

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٦٤١٦).

ثم يصير الطبع ختمًا، فيختم على قلبه، فلا يقبل الهداية، ولا التوبة كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٦ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝٧﴾ [البقرة:٦-٧].

ثم يصير الختم قفلًا، فلا يدخل في القلب شيء ينفعه: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ۝٢٤﴾ [محمد:٢٤].

ثم يجعل الله في أسماعهم وقرًا يمنعهم من سماع الهدى: ﴿وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۚ وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِى ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ وَلَّوْاْ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِمْ نُفُورًا ۝٤٦﴾ [الإسراء:٤٦].

ثم يمنع الله عنهم فهم ما يسمعونه من أخبار ومواعظ القرآن، ويجعل على قلوبهم غشاوة حتى لا يروا آيات الهداية، كما قال الله عن الكافر: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ۝٢٣﴾ [الجاثية:٢٣].

ثم يعمي الله أبصارهم وبصائرهم عن رؤية الحق: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ ۝٢٣﴾ [محمد:٢٣].

ثم يزيغ الله قلوب هؤلاء، فلا تجد سبيلًا للعودة إلى الهداية كما قال سبحانه: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ۝٥﴾ [الصف:٥].

ثم يجعل الله بينهم وبين الصالحين حجابًا، فلا يخالطوهم، ولا يقبلوا مواعظهم، ولا يستفيدوا من خيرهم كما قال سبحانه: ﴿وَقَالُواْ قُلُوبُنَا فِىٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ وَفِىٓ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنۢ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَٱعْمَلْ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ ۝٥﴾ [فصلت:٥].

وجزاء هؤلاء أن يحجبوا عن ربهم يوم القيامة، لأنهم لم يؤمنوا به، ولم يطيعوه كما قال سبحانه: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ۝١٥﴾ [المطففين:١٥].

فهؤلاء لا يؤمنون ابدًا مهما أرسل الله إليهم آيات الهداية، لأن الله علم ما في

قلوبهم من الكبر والإعراض بعد أن قامت عليهم الحجة :﴿ سَأَصۡرِفُ عَنۡ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَإِن يَرَوۡاْ كُلَّ ءَايَةٖ لَّا يُؤۡمِنُواْ بِهَا وَإِن يَرَوۡاْ سَبِيلَ ٱلرُّشۡدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلٗا وَإِن يَرَوۡاْ سَبِيلَ ٱلۡغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلٗاۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ عَنۡهَا غَٰفِلِينَ ١٤٦ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآءِ ٱلۡأٓخِرَةِ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡۚ هَلۡ يُجۡزَوۡنَ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٤٧ ﴾[الأعراف:١٤٦-١٤٧].

والتسويف بالتوبة سببه كثرة الحجب على القلب .

وأعظم الحجب التي تحول بين القلب وبين الله عشرة:

الأول: حجاب الكفر والتعطيل، وهذا أغلظها.

الثاني: حجاب الشرك، وهو أن يعبد المرء مع الله غيره.

الثالث:حجاب البدع الاعتقادية كحجاب أهل الأهواء.

الرابع: حجاب البدع العملية كحجاب أهل السلوك المبتدعين في طريقتهم.

الخامس: حجاب أهل الكبائر الباطنة كحجاب أهل الكبر والعجب والرياء واتباعهم وأمثالهم.

السادس: حجاب أهل الكبائر الظاهرة.

السابع: حجاب أهل الصغائر.

الثامن: حجاب أهل الفضول والتوسع في المباحات.

التاسع: حجاب أهل الغفلة عن استحضار ما خلقوا من اجله.

العاشر: حجاب المنشغلين عن السير إلى المقصود.

نسأل الله عز وجل أن يرفع عنا هذه الحجب التي تحول بيننا وبين ربنا، وأن يرينا الحق حقًا، ويرزقنا اتباعه، ويرينا الباطل باطلا، ويرزقنا اجتنابه، وأن يرزقنا حسن التوبة إليه، حتى نلقاه آمنين مطمئنين مسرورين: ﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ ٢٧ ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةٗ مَّرۡضِيَّةٗ ٢٨ فَٱدۡخُلِي فِي عِبَٰدِي ٢٩ وَٱدۡخُلِي جَنَّتِي ٣٠ ﴾[الفجر:٢٧-٣٠].

٩ - علاج الإصرار على المعاصي

الإصرار على المعاصي سببه أمران هما الغفلة، والشهوة.

فالغفلة تزول بالعلم، والشهوة تزول بالصبر عنها.

فعلاج الغفلة الانتباه، ومن انتبه إلى حاله تاب من تفريطه، ولا تتم التوبة إلا بالعلم بخطورة الذنب، والندم على فعل الذنب، والعزم على عدم العودة إلى الذنب: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ١٩﴾[محمد:١٩].

ومن عرف ربه خافه، ومن خافه تاب إليه، واتقاه، وأطاعه ولم يعصه: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ٢٨﴾[فاطر:٢٨].

أما علاج الشهوة فيكون بالصبر عنها، ولا يدوم الصبر إلا بالخوف من الله، ولا يتحقق الخوف إلا بالعلم بعظمة من تعصيه، والعلم بشدة الموقف بين يديه، والعلم بشدة عذابه لمن كفر به وعصاه، ولا يحصل ذلك إلا بحضور مجالس العلم والذكر التي يعظم فيها الله، والدار الآخرة، ومن حضر تلك المجالس سهل عليه الصبر على الطاعات، والصبر عن الشهوات، كما قال سبحانه : ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ٢٨﴾[الكهف:٢٨].

١٠ - أسباب سوء الخاتمة

سوء الخاتمة سببه الإصرار على المعاصي، وعدم التوبة منها، ولا يكون ذلك إلا إذَا تسلط الشيطان على العبد في الحياة وعند الموت، فيحول بينه وبين التوبة، ولا يكون تسلط الشيطان إلا على من دوام على طاعته، ومعصية ربه، كما قال سبحانه: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ [النحل:٩٨-١٠٠].

وسوء الخاتمة من أسبابه الطبع على القلب، والطبع على القلب سببه الكبروالاستكبار كما قال سبحانه: ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴿٣٥﴾﴾ [غافر:٣٥].

واتباع الهوى كما قال سبحانه: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُوا۟ مِنْ عِندِكَ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مَاذَا قَالَ ءَانِفًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ﴿١٦﴾﴾ [محمد:١٦].

والظلم والعدوان كما قال سبحانه: ﴿كَذَٰلِكَ نَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٧٤﴾﴾ [يونس:٧٤].

والكفر بالله كما قال سبحانه: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ۚ بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥٥﴾﴾ [النساء:١٥٥].

وسوء الخاتمة من أسبابه الجور في الوصية، فيأتيه الشيطان، ويزين له الظلم في الوصية لضعف إيمانه، ولن يُضعف إيمان العبد إلا ظلمة المعاصي التي تطفي نور الإيمان في القلب.

وسبب المعاصي هو حب الدنيا وشهواتها، واتباع الهوى، كما قال سبحانه : ﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا ۝٥٩ ﴾ [مريم:٥٩].

وقال عز وجل :﴿ فَإِن لَّمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَكَ فَٱعۡلَمۡ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهۡوَآءَهُمۡۚ وَمَنۡ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيۡرِ هُدٗى مِّنَ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٥٠ ﴾[القصص: ٥٠].

ومن أسباب سوء الخاتمة ضعف الإيمان،لأن ضعف الإيمان يؤدي إلى ضعف حب الله عز وجل، الذي يزداد ضعفه إذا جاءت سكرات الموت .

فمن مات محبًا لله قدم عليه قدوم المسافر المحسن المشتاق، فيلقاه ربه بالفرح والسرور والإكرام: ﴿ فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ ۝٨٨ فَرَوۡحٞ وَرَيۡحَانٞ وَجَنَّتُ نَعِيمٖ ۝٨٩ ﴾ [الواقعة:٨٨-٨٩].

ومن مات ضعيف الحب لله،كافراً بالله، مصرًا على معصيته، قدم على الله قدوم العبد الآبق على سيده، فيساق إليه قهرًا: ﴿وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ۝٩٢ فَنُزُلٞ مِّنۡ حَمِيمٖ ۝٩٣ وَتَصۡلِيَةُ جَحِيمٍ ۝٩٤ ﴾[الواقعة:٩٢-٩٤].

وسوء الخاتمة من أسباب حب الدنيا، فمن أحب الدنيا شغلته عن عبادة ربه، وجمع الأموال من حلال وحرام، وكره لقاء الله، لأنه سيفارق الدنيا، ويترك أمواله لغيره، فيتسخط قلبه لذلك، ويزداد تسلط الشيطان عليه، ويؤيسه من رحمة الله، لأنه لا يرجو إحسانه إليه، وقد طالت معصيته له في الدنيا، فيموت وقد قنطه الشيطان من رحمة الله، والله يدعوه إلى التوبة :﴿ قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝٥٣ ﴾ [الزمر:٥٣].

وسوء الخاتمة من أسبابه البدع، فإذا انكشف الغطاء عند الموت، وعاين المبتدع ملائكة الموت، وظهر له بطلان بدعته، وفساد عقيدته، ورأى عمله على أساسها ضائعًا، فيقنط من رحمة الله،وييئس من روح الله، ويلقى الله ساخطًا عليه : ﴿ وَمَن

يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾ [النساء: ١١٥].

وقال الله تعالى: ﴿وَلَا تَاْيۡـَٔسُواْ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾﴾ [يوسف: ٨٧].

وسوء الخاتمة من أسبابه الاعتراض على قدر الله، فيعترض على الله في قضائه له بالموت أو المرض، فيسخط على قدر الله وفعله به، ولا يرضى بقضائه، فيحرم من التوبة، ومن رحمة الله: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ يَهۡدِ قَلۡبَهُۥۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴿١١﴾﴾ [التغابن: ١١].

وكل إنسان سيموت على ما عاش عليه، ويحشر على مات عليه، مؤمناً أو كافراً، مطيعاً أو عاصياً: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلۡقَوۡلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَۚ وَيَفۡعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾﴾ [إبراهيم: ٢٧].

١١ - جزاء التائبين

يكرم الله التائبين بكرامات كثيرة في الدنيا والآخرة:

الأولى: قبول التوبة من التائبين: ﴿فَمَن تَابَ مِنۢ بَعۡدِ ظُلۡمِهِۦ وَأَصۡلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيۡهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ٣٩﴾ [المائدة:٣٩].

الثانية: مغفرة الله عزوجلللتائبين: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٞ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا ثُمَّ ٱهۡتَدَىٰ ٨٢﴾ [طه:٨٢].

الثالثة: الفلاح في الدنيا والآخرة: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٣١﴾ [النور:٣١].

الرابعة: دخول الجنة كما قال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةٗ نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيُدۡخِلَكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ يَوۡمَ لَا يُخۡزِي ٱللَّهُ ٱلنَّبِيَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥۖ نُورُهُمۡ يَسۡعَىٰ بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَبِأَيۡمَٰنِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتۡمِمۡ لَنَا نُورَنَا وَٱغۡفِرۡ لَنَآۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٨﴾ [التحريم:٨].

اللهم يا تواب تب علينا إنك أنت التواب الرحيم، ويا غفور اغفر لنا إنك أنت الغفور الرحيم.

﴿رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٢٣﴾ [الأعراف:٢٣].

عبادات القلوب

في ضوء القرآن والسنة

العبادة الثانية عشرة

عبادة تقوى الله ﷻ

وتشتمل هذه العبادة العظيمة على المباحث الآتية :

الأول : فقه التَّقوى.

الثَّاني : منزلة التَّقوى.

الثَّالث : ما الَّذي يتَّقيه المسلم في حياته.

الرَّابع : فضائل التَّقوى.

الخامس : الأسباب المُعِينة على تحقيق التَّقوى.

السَّادس : تفاوت النَّاس في التَّقوى.

السَّابع : صفات المتَّقين.

الثَّامن : جزاء المتَّقين.

العبادة الثانية عشرة

عبادة تقوى الله عز وجل

١ - فقه التَّقوى

التَّقوى :هي أن تعمل بطاعة الله، على نورٍ مِن الله، ترجو ثواب الله، وأن تترك معصية الله، على نورٍ مِن الله، تخاف عقاب الله.

التَّقوى :هي ألَّا يفقدك الله حيث أمرك، ولا يجدك حيث نهاك : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾[آل عمران:١٠٢].

وحقُّ تقاته :أن يُطاع فلا يُعصى، ويُذكَر فلا يُنسَى، ويُشكَر فلا يُكفَر.

والتَّقوى من مقتضيات الإيمان باسم الله المؤمن، فهو المؤمن الَّذي أمِنَ عباده المؤمنين المتَّقين مِن عقابه في الدُّنيا والآخرة :﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ٨٢﴾[الأنعام:٨٢].

والتَّقوى مِن لوازم الإيمان باسم الله الهادي، فهو الَّذي هدى عباده لطاعته، وثبَّتأقدامهم على سبيله، وملأ قلوبهم بمحبَّته، وهو سبحانه أهلُ أن يتَّقيه عباده،وأهلُ أن يحُبَّ، وأهلُ أن يُعبَد، وأهلُ أن يَغفِر لمن اتَّقاه : ﴿وَمَا يَذۡكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ هُوَ أَهۡلُ ٱلتَّقۡوَىٰ وَأَهۡلُ ٱلۡمَغۡفِرَةِ ٥٦﴾[المدثر:٥٦].

والتَّقوى شرط الإيمان كما قال سبحانه :﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَكُمۡ هُزُوٗا وَلَعِبٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَٱلۡكُفَّارَ أَوۡلِيَآءَۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ٥٧﴾ [المائدة:٥٧].

والله عزَّ وجلَّ أمر عباده بالتَّقوى فقال في عبادات القلوب :﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾[آل عمران:١٠٢].

وقال في عبادات الجوارح :﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ وَٱسْمَعُواْ وَأَطِيعُواْ وَأَنفِقُواْ خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ ۗ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٦﴾﴾[التغابن:١٦].

فعبادات القلوب ليست منوطةً بالاستطاعة؛ لأنَّها لا تستلزم مشقَّةً بدنيَّةً، ولا نفقةً ماليَّةً، ولا شجاعةً قلبيَّةً، ولا يمنع العبدَ الصَّالحَ من التَّرقِّي في عبادات القلوب مانعٌ من زوجةٍ أو ولدٍ، أو فقرٍ أو غنًى، أو قوَّةٍ أو ضعفٍ :﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾﴾[الملك:١٢].

أمَّا عبادات الجوارح فهي منوطةٌ بالاستطاعة؛ لأنَّ مدارها على وجود القدرة والعافية البدنيَّة، والمال اللَّازم للنَّفقة، وزوال الموانع من الخوف أو المرض أو العجز ونحو ذلك .

فالأوامر الإلهيَّة البدنية منوطةٌ بالاستطاعة كالصَّلاة والصِّيام والزَّكاة والحجِّ وأمثالها مِن الأمر بالمعروف، والنَّهي عن المنكر، والجهاد في سبيل الله، والحكم بين النَّاس بالعدل، ونحو ذلك من العبادات، وكلُّ ذلك يستلزم وجود العافية في البدن، ووجود النَّفقة، وأمْن الطريق، وإعداد العُدَّة، وكلُّ ذلك لا يتيسَّر لكلِّ أحدٍ، فكان التَّكليف بقدر الاستطاعة :﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ وَٱسْمَعُواْ وَأَطِيعُواْ وَأَنفِقُواْ خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ ۗ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٦﴾﴾[التغابن:١٦].

وقال النبي ﷺ :«فَإِذَا نَهَيْتُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَاجْتَنِبُوهُ وَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِأَمْرٍ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ» متفق عليه (١).

وقد جمع الله بين عبادات القلوب وعبادات الجوارح بقولهسبحانه :﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾[الأنفال:٢-٤].

---

(١)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٧٢٨٨) ومسلم برقم (١٣٣٧) .

وأساس التَّقوى العلم الإلهي، فبالعلم يعرف العبدُ ربَّه بأسمائه وصفاته وأفعاله، ويعرف ما يتَّقيه: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ١٩﴾[محمد:١٩].

وبالعلم يبتعد العبد عن سخط مولاه، وبالعلم ينال العبد ثواب ربِّه وما يُرضيه: ﴿إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ٢٨﴾[فاطر:٢٨].

ومن لم يأخذ نصيبه من العلم الإلهي أكَلَ الرِّبا وهو لا يدري، وظلَمَ النَّاسَ وهو لا يدري، وقطَعَ صلةَ الرَّحم وهو لا يدري، ومنع الحقوق وهو لا يدري، وجهِلَ أحكامَ الطَّهارة والصَّلاة ففسدت عبادته وهو لا يدري: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ١٩﴾ [محمد:١٩].

فطلَبُ العلم عبادةٌ، وتعليمه عبادةٌ، والعمل بموجبه عبادةٌ: ﴿كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمۡ تُعَلِّمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمۡ تَدۡرُسُونَ ٧٩﴾[آل عمران:٧٩].

فلا يتَّقي الله مَن لا يدري ما يتَّقيه: ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ٣٥﴾[الأنعام:٣٥].

٢ - منزلة التَّقوى

أوَّل العلم الإيمان بالله عزَّ وجلَّ، ونهاية العلم تقوى الله عزَّ وجلَّ، ومَن عرف الله حقًّا آمن به حقًّا، واتَّقاه حقًّا: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴿١٩﴾﴾ [محمد:١٩].

والتَّقوى أعظم عبادات القلوب، ولا بدَّ منها في كلِّ عملٍ صالحٍ، والله عزَّ وجلَّ لا يقبل الأعمال بدون التَّقوى، فأخلِص العبادة لله، واتَّبع رسولَه فيما جاء به: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف:١١٠].

فمدار قبول الأعمال الصَّالحة منوطٌ بالتَّقوى كما قال سبحانه: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾﴾ [المائدة:٢٧].

وحصول أنواع البركات بالإيمان والتَّقوى، وحصول أنواع العقوبات بالكفر والفجور: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [الأعراف:٩٦].

وكشف الكربات منوطٌ بالتَّقوى: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ ۚ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾﴾ [الطلاق:٢-٣].

والله سبحانه أمر عباده بالتَّعاون لتحقيق البر والتَّقوى فقال: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۖ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢﴾﴾ [المائدة:٢].

فالبرُّ هو الإحسان إلى الخلْقِ، وفي هذا رضاهم، والتَّقوى هي إحسان عبادة الخالق، وفي هذا رضا الله سبحانه وتعالى.

وأوجه البِرِّ تكون على حسب الطَّاقة والنِّعمة الَّتي أكرم اللهُ العبدَ بها، فالعالم يعلِّم النَّاس أحكام الدِّين، والغنيُّ يكفيهم بماله، والشُّجاع يذودُ عن حِماهم،

والطَّبيب يعالج مرضاهم، والواعظ يعظهم، والحاكم يحكم بينهم بشرع الله، وهكذا حتَّى يصبح المسلمون كالجسد الواحد، يخدم بعضه بعضا: ﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤﴾ [آل عمران: ١٣٤].

وقال النبي ﷺ: «مَثَلُ المؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالحُمَّى» متفق عليه (١).

وكما يجب التَّعاون على البِرِّ والتَّقوى، فكذلك يحرم التَّعاون على الإثم والعدوان: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٩٠﴾ [النحل: ٩٠].

والله سبحانه أمر عباده بالتَّقوى، لأنَّها سبيل الفلاح والفوز في الدُّنيا والآخرة، فليحرص المؤمن على تحصيل التَّقوى بقلبه وبدنه، وأقواله وأعماله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا وَيُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ٢٩﴾ [الأنفال: ٢٩].

والتَّقوى هي وصيَّة الله للعالمين كما قال سبحانه: ﴿وَلَقَدۡ وَصَّيۡنَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَإِيَّاكُمۡ أَنِ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ ﴾ [النساء: ١٣١].

فالتَّقوى هي وصيَّة الله للأوَّلين والآخرين؛ لأنَّها الغاية الَّتي لا مقصود دونها، وهي الجامعة لخيري الدُّنيا والآخرة، الموصلة إلى أعلى درجات العبوديَّة وأعلى درجات الجنَّة: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٦٢ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ٦٣ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ لَا تَبۡدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ٦٤﴾ [يونس: ٦٢-٦٤].

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٠١١) ومسلم برقم (٢٥٨٦).

والتَّقوى هي وصيَّة النَّبيِّ ﷺ لأمَّته.

قال النبي ﷺ: «أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللهِ وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَإِنْ عَبْدٌ حَبَشِيٌّ» أخرجه أبو داود والترمذي(1).

وقال ﷺ حين ودَّع رجلاً يريد السَّفر: «عَلَيْكَ بِتَقْوَى اللهِ وَالتَّكْبِيرِ عَلَى كُلِّ شَرَفٍ» أخرجه أحمد والترمذي(2).

وكان مِن دعاء النَّبيِّ ﷺ: «اللَّهُمَّ آتِ نَفْسِي تَقْوَاهَا وَزَكِّهَا أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا أَنْتَ وَلِيُّهَا وَمَوْلَاهَا» أخرجه مسلم(3).

والتَّقوى هي وصيَّة الرُّسل عليهم الصَّلاة والسَّلام لأقوامهم، والرُّسل هم أطهر الخلْقِ قلوباً، وهم أنصح النَّاس للنَّاس، وأعلمهم بما يحبُّ الله، وقد أجمعوا على وصيَّة أقوامهم بالتَّقوى؛ لأنَّها أفضل الخصال، وأجمع للخير، وأكثر للثَّواب وأعظم في الدَّرجات: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ (١٠٥) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ (١٠٦)﴾ [الشعراء: ١٠٥-١٠٦].

وقال الله عز وجل: ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ (١٢٣) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ (١٢٤)﴾ [الشعراء: ١٢٣-١٢٤].

وقال الله عز وجل: ﴿كَذَّبَ أَصْحَابُ لْئَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ (١٧٦) إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ (١٧٧)﴾ [الشعراء: ١٧٦-١٧٧].

والتَّقوى هي وصيَّة الخلفاء الرَّاشدين، والأئمَّة المهديين، وأنت عليك بتقوى الله عزَّ وجلَّ الَّتي لا يقبل غيرها، ولا يرحم إلَّا أهلها، ولا يُثيب إلَّا عليها.

فمَن اتَّقى الله وقاه، ومَن أطاعه جزاه، ومَن شكره زاده، ومَن اتَّقى الله، وأحسن إلى خلْقِه أحبَّه، وكان معه: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ (١٢٨)﴾ [النحل: ١٢٨].

وقال عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ (٤)﴾ [التوبة: ٤].

---

(١) صحيح: أخرجه ابو داود برقم (٤٦٠٧) والترمذي برقم (٢٦٧٦).

(٢) حسن: أخرجه احمد برقم (٨٢٩٣) والترمذي برقم (٣٤٤٥).

(٣) أخرجه مسلم برقم (٢٧٢٢).

٣- ما الَّذي يتَّقيه المسلم في حياته؟

يتَّقي العبدُ في حياته سخطَ الله جلَّ جلاله، ويتَّقي نار جهنَّم، ويتَّقي أهوال اليوم الآخر، ويتَّقي المحارم: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ١١٩﴾ [التوبة:١١٩].

وقال عز وجل: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [آل عمران:١٠٢].

فيتَّقي العبدُ سخط الله بامتثال أوامره، واجتناب نواهيه: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١٨﴾ [الحشر:١٨].

ويتَّقي النَّارَ، وهي محلُّ عقوبة الله عزَّ وجلَّ للكفار والعصاة: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِيٓ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ ١٣١ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ١٣٢﴾ [آل عمران:١٣١-١٣٢].

ويتَّقي أهوال يوم القيامة كما قال سبحانه: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ٢٨١﴾ [البقرة:٢٨١].

ويتَّقي العبدُ محارمَ الله لينجو من عذابه: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ٧﴾ [الحشر:٧].

والمحارم: هي المحرَّمات والكبائر، والفواحش ما ظهر منها وما بطن: ﴿قُلۡ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلۡإِثۡمَ وَٱلۡبَغۡيَ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَأَن تُشۡرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ سُلۡطَٰنٗا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٣٣﴾ [الأعراف:٣٣].

ومن اتقى الله في حياته أسعده الله في حياته وبعد مماته: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٦٢ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ٦٣ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ لَا تَبۡدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ٦٤﴾ [يونس:٦٢-٦٤].

٤ – فضائل التَّقوى

للتَّقوى فضائل عظيمةٌ أعظمها :

الأولى :أهل التَّقوى هم أولياء الله عزَّ وجلَّ : ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [يونس:٦٢-٦٣].

الثانية :أهل التَّقوى أكرم النَّاس وأفضلهم، والتقوى هي ميزان التَّفاضل بين النَّاس، كما قال عزَّ وجلَّ : ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ﴾[الحجرات:١٣].

وسُئِلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ :مَنْ أَكْرَمُ النَّاسِ؟ فقَالَ :«أَتْقَاهُمْ» متفق عليه (١).

الثالثة :أنَّ الله يحبُّ أهل التَّقوى، كما قال الله عزَّ وجلَّ : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٤﴾﴾[التوبة:٤].

الرابعة :أنَّ التَّقوى مِن أعظم أسباب تفريج الكربات، والحصول على الأرزاق بيسرٍ وسهولةٍ : ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَـٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾﴾ [الطلاق:٢-٣].

الخامسة :أنَّ التَّقوى هي أفضل زاد في الدُّنيا والآخرة كما قال سبحانه : ﴿وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴿١٩٧﴾﴾[البقرة:١٩٧].

السادسة :أنَّ التَّقوى أحسن لباس، فالملابس الحسِّيَّة زينة الأبدان، والتقوى زينة القلوب : ﴿يَـٰبَنِىٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَٰرِى سَوْءَٰتِكُمْ وَرِيشًا ۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٢٦﴾﴾[الأعراف:٢٦].

---

(١)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم(٣٣٧٤) ومسلم برقم (٢٣٧٨).

السابعة :أنَّ التَّقوى تثمر تعظيم الشَّرع : ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾ ﴾[الحج:٣٢].

الثامنة :أنَّ التَّقوى تُثمر شكرَ الله عزَّ وجلَّ : ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾ ﴾[آل عمران:١٢٣].

التاسعة :أنَّ التَّقوى سببٌ لسعادة الإنسان في الدُّنيا والآخرة : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾ ﴾ [فصلت:٣٠-٣٢].

العاشرة :أنَّ التَّقوى هي وصيَّة الله للأوَّلين والآخرين : ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ وَإِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا ﴿١٣١﴾ ﴾[النساء:١٣١].

الحادية عشرة :أنَّ أهل التَّقوى أهل معيَّة الله، كما قال سبحانه : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾ ﴾[النحل:١٢٨].

الثانية عشرة : أنَّ جزاء أهل التَّقوى الجنَّة : ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَآئِقَ وَأَعْنَٰبًا ﴿٣٢﴾ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴿٣٣﴾ وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴿٣٤﴾ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّٰبًا ﴿٣٥﴾ جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا ﴿٣٦﴾ ﴾[النبأ:٣١-٣٦].

وغير ذلك من الفضائل التي ذكرها الله في كتابه الكريم، وذكرها النَّبيُّ ﷺ في سنَّته.

٥- الأسباب المُعِينة على تحقيق التَّقوى

يُعين العبد على تحصيل التَّقوى أمورٌ:

الأول :معرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله، ومعرفة عظمة ملكه وسلطانه، ومعرفة عظمة نعمه وإحسانه، ومعرفة عظمة دينه وشرعه، وعظمة وعده ووعيده: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴿١٩﴾﴾[محمد:١٩].

الثاني :محبَّة الله، ولن تحبَّ الله حتَّى تعرفه، وحبُّ الله هو الَّذي يدفع العبد لطاعة الله، واجتناب معصيته، والسَّعي لتحصيل مرضاته: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾[فاطر:٢٨].

الثالث :العلم بقرب الله مِن عبده ورؤيته له، ومعيَّته له، ومَن كان كذلك تيقَّن أنَّ الله رقيبٌ عليه، شهيدٌ على أعماله حيث كان في برٍّ أو بحرٍ، أو ليلٍ أو نهارٍ، أو سرٍّ أو علنٍ، فاستحى مِن ربِّه واجتهدَ في إحسان عبادته، والبعد عن معصيته: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾﴾[الحديد:٤].

ومَن علم ذلك خاف ربَّه واتَّقاه: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴿١٦﴾﴾[ق:١٦].

الرابع :الحياء مِن الله، فاستحِ من الله حقَّ الحياء، فأنت تسكنُ في ملكه، وتأكل مِن رزقه، وتنعم بعافيته، فلا تعصِه بنعمه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾[البقرة:٢١-٢٢].

والحياء مِن الله عز وجل أن تحفظ قلبك وجوارحك عن كلِّ ما لا يُرضِي الله، من قولٍ أو فعلٍ أو خُلُقٍ، وتشغلها بكلِّ ما يحبُّه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الصَّالحة، والأخلاق الطَّيِّبة: ﴿۞ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ

﴿وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤﴾ [آل عمران: ١٣٣-١٣٤].

فخَفِ الله على قدْرِ قُدرته عليك، واستحِ مِن الله على قدْرِ قُربك منه، واعبدْهُ على قدْرِ حاجتك له: ﴿۞يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ١٥﴾ [فاطر: ١٥].

الخامس: قفْ بين يدي الله ناظراً إلى عظمة جلاله، وعزِّ كبريائه، وعظمة قدرته وجبروته، واتَّقِ الرَّقيب عليك، ولا تجعله أهون النَّاظرين إليك: ﴿هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦٥﴾ [غافر: ٦٥].

ومَن عرف الله اتَّقاه، ولم يبالِ بأحدٍ سواه، وهذه صفة الأنبياء: ﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ٩٠﴾ [الأنبياء: ٩٠].

السادس: اليقين بأنَّ عاقبة المعاصي هي عذاب الدُّنيا والآخرة، فمَن فعل المعاصي تعرَّض لعذاب الله في الدُّنيا والآخرة: ﴿مَن يَعۡمَلۡ سُوٓءٗا يُجۡزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدۡ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا ١٢٣﴾ [النساء: ١٢٣].

فالَّذي أخرج آدم صلَّى الله عليه وسلَّم من الجنَّة هو المعصية، والَّذي أخرج إبليس من ملكوت السَّماء، وحلَّت عليه بسبب ذلك لعنة الله، وخُلِّد في النَّار، هو المعصية: ﴿وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ أَبَىٰ وَٱسۡتَكۡبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٣٤﴾ [البقرة: ٣٤].

والَّذي أغرق قومَ نوحٍ والأرض كلَّها هو المعاصي، والَّذي سلَّط الرِّيح على قوم عادٍ حتَّى دمَّرتهم هو المعاصي، والَّذي أغرق فرعون وجنوده في البحر هو المعاصي كما قال سبحانه: ﴿فَكُلًّا أَخَذۡنَا بِذَنۢبِهِۦۖ فَمِنۡهُم مَّنۡ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِ حَاصِبٗا وَمِنۡهُم مَّنۡ أَخَذَتۡهُ ٱلصَّيۡحَةُ وَمِنۡهُم مَّنۡ خَسَفۡنَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ وَمِنۡهُم مَّنۡ أَغۡرَقۡنَاۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظۡلِمَهُمۡ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ٤٠﴾ [العنكبوت: ٤٠].

فهذا جزاء الكفَّار والعصاة، والمستكبرين والطُّغاة في الدُّنيا، ولهم عذاب جهنَّم

يوم القيامة :﴿لَّهُمۡ عَذَابٞ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَشَقُّۖ وَمَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٖ ٣٤﴾[الرعد:٣٤].

فكلُّ مَن عصى الله حلَّ به ضِيقُ الصَّدر، وخبث النَّفس، وقلَّة الرِّزق، ومحْق البركة، وبغْض الخلق، وسخط الخالق، ثمَّ دخول النَّار يوم القيامة :﴿وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدۡخِلۡهُ نَارًا خَٰلِدٗا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٞ مُّهِينٞ ١٤﴾[النساء:١٤].

السابع :أن تجاهد نفسَك وتحملها على فِعْل ما يحبُّه الله ويرضاه، واجتناب ما يكرهه ويسخطه : ﴿وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا ٧ فَأَلۡهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقۡوَىٰهَا ٨ قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ٩ وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ١٠﴾[الشمس:٧-١٠].

فإذا أصرَّتْ نفسُك على اتِّباع الهوى، ولم تطاوعك على فعل الطَّاعات، وترْكِ المعاصي، فذكِّرْها بالله العظيم، ووجهه الكريم، وأنَّ المعاصي تقطعك عنه، وعن رضوانه .

فإن أبت نفسُك عليك فذكِّرْها بالجنَّة ونعيمها، فإنَّك لا تصل إليها إلَّا بالطَّاعة، والبُعْد عن المعاصي .

فإن أبت عليك خوِّفْها من النَّار والزَّقُّوم،والغسَّاق والغسلين، وعذاب السَّعير.

فإن أبت عليك فذكِّرْها بمكارم الأخلاق، فإنَّ المعاصي تخدش المروءة، ولا يأتيها إلَّا أراذل النَّاس .

فإن أبت عليك فذكِّرْها بالفضيحة بين النَّاس في الدُّنيا، ويوم العرض في الآخرة :﴿وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفۡسِهِۦۚ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلۡمَصِيرُ ١٨﴾[فاطر:١٨].

وقال عزَّ وجلَّ :﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلۡكُبۡرَىٰ ٣٤ يَوۡمَ يَتَذَكَّرُ ٱلۡإِنسَٰنُ مَا سَعَىٰ ٣٥ وَبُرِّزَتِ ٱلۡجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ ٣٦ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ٣٧ وَءَاثَرَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا ٣٨ فَإِنَّ ٱلۡجَحِيمَ هِيَ ٱلۡمَأۡوَىٰ ٣٩ وَأَمَّا مَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفۡسَ عَنِ ٱلۡهَوَىٰ ٤٠ فَإِنَّ ٱلۡجَنَّةَ هِيَ ٱلۡمَأۡوَىٰ ٤١﴾[النازعات:٣٤-٤١].

وقال عزَّ وجلَّ :﴿يَوۡمَئِذٖ يَصۡدُرُ ٱلنَّاسُ أَشۡتَاتٗا لِّيُرَوۡاْ أَعۡمَٰلَهُمۡ ٦ فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ٧ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ ٨﴾[الزلزلة:٦-٨].

٦ - تفاوت النَّاس في التَّقوى

النَّاس متفاوتون في تقواهم بحسب علمهم،وإيمانهم،وأعمالهم .

فمنهم مَن يجتنب الكفرَ والشِّرك، ويخاف من الخلود في النَّار، لكنَّه يفعل الكبائر، ويفرِّط في الفرائض، وهذا لا يُسَمَّى متقياً لاستحقاقه العذاب، إلَّا أن يتداركه عفوُ الله، ورحمةُ الله :﴿وَءَاخَرُونَ ٱعۡتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمۡ خَلَطُواْ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ١٠٢﴾[التوبة:١٠٢].

ومنهم مَن يُؤدِّي الفرائض دون النَّوافل، ويجتنب الكبائر دون الصَّغائر .

فالصَّغائر تُكفَّر باجتناب الكبائر، والمواظبة على الفرائض :﴿إِن تَجۡتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنۡهَوۡنَ عَنۡهُ نُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَنُدۡخِلۡكُم مُّدۡخَلٗا كَرِيمٗا ٣١﴾ [النساء:٣١].

وقال رسول الله ﷺ :«الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ وَالْجُمُعَةُ إِلَى الْجُمُعَةِ وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ مُكَفِّرَاتٌ مَا بَيْنَهُنَّ إِذَا اجْتَنَبَ الْكَبَائِرَ» أخرجه مسلم [١].

ومِن النَّاس مَن يُؤدِّي الواجبات والمستحبَّات، ويجتنب المحرَّمات والمكروهات، وهذه حقيقة التَّقوى؛ لأنَّ التَّقوى في فعْل الطَّاعات كلِّها، فرضها ونفلها، وترْك المعاصي كلِّها، صغيرها وكبيرها :﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا وَكُنتُمۡ عَلَىٰ شَفَا حُفۡرَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنۡهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ١٠٣﴾ [آل عمران:١٠٢-١٠٣].

ومِن النَّاس مَن يفعل الواجبات والمستحبَّات، ويجتنب المحرَّمات والمكروهات، ويتَّقي بعضَ الحلال خشيةَ أن يكون حراماً، فيتَّقي الشُّبهات الَّتي

---

(١)أخرجه مسلم برقم (٢٣٣) .

لا يدري أهي من المكروهات أم من المباحات، فيترك ما فيه شبهة حتَّى لا يجرَّه إلى محرَّم أو مكروهٍ، فهذا أشدُّ تقوىً لله ممَّا قبله :﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٥٢﴾﴾[النور:٥٢].

فيتَّقي الله من مثقال ذرَّةٍ خشيةَ أن يكون حراماً، لأنَّه يعلم أنَّ الله سوف يحاسبه عليه :﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا۟ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٦﴾ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾﴾[الزلزلة:٦-٨].

ومِن النَّاس مَن لا ينشغل قلبه بغير الله، فهو لا يذكر إلَّا الله، ويسارع إلى كلِّ ما يحبُّه الله ويرضاه، ويبادر إلى أنواع طاعته، ويفرُّ مِن معصيته، فهو دائم الذِّكر والفِكْر، والقول والعمل الصالح :﴿إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوٓا۟ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٢٦﴾﴾[الفتح:٢٦].

فهؤلاء هم أولياء الله وأحبَّاؤه، عملهم عظيمٌ، وثوابهم من ربِّهمعظيمٌ :﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾﴾[يونس:٦٢-٦٣].

والمؤمنون في اتِّقاء المعاصي درجاتٌ بحسب علمهم، وإيمانهم، وتقواهم .

فمِن النَّاس مَن يترك المعاصي حبَّاً لله، وإجلالاً له أن يُخالف أمره .

وهذه أعلى مراتب الخشية، فحبُّ الله هو أعلى دوافع التَّقوى :﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾[فاطر:٢٨].

ومنهم مَن يترك المعاصي رغبةً في دخول الجنَّة، فيصوم عن شهواته في الدُّنيا، ليفطر عليها في الجنَّة :﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُوا۟ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُوا۟ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥﴾﴾[البقرة:٢٥].

ومنهم مَن يترك المعاصي خوفاً من النَّار، واتِّقاءً لغضب الجبَّار: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٣٧﴾ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٨﴾﴾ [النور: ٣٦-٣٨].

ومنهم مَن يترك المعاصي في الدُّنيا خوفاً من سلْبِ النِّعم، ونزول المصائب والعقوبات كما قال سبحانه: ﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾﴾ [النساء: ١٢٣].

ومنهم مَن يترك المعاصي خوفاً مِن العار، وتنجيس العِرض، وفقْد مكانته بين النَّاس.

ومنهم مَن يترك المعاصي خوفاً من ذهاب الحياء والعفَّة، والوقار والمروءة والشَّهامة.

وكلُّ ذلك مما يُعين على تحقيق التَّقوى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾﴾ [الملك: ١٢].

وقال الله عز وجل: ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [المائدة: ٨٨].

وقال الله عز وجل: ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [المائدة: ٩٦].

٧- صفات المتَّقين

مِن أعظم صفات المتَّقين:

الأولى :المتَّقون هم الذين يُؤمنون بالغيب، ويمتثلون أوامرَ الله في كلِّ حالٍ، ويؤمنون بجميع الأنبياء : ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ۝٤ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ۝٥﴾[البقرة:١-٥].

الثانية :المتَّقون هم المؤمنون الَّذين يُرضُون الخالق بتوحيده، والإيمان به،وحسن عبادته، ويُرضُون المخلوقَ بكلِّ ما يحبُّه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال والأخلاق : ﴿۞لَّيۡسَ ٱلۡبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ قِبَلَ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلۡكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلۡمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينَ وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلۡمُوفُونَ بِعَهۡدِهِمۡ إِذَا عَٰهَدُواْۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِي ٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلۡبَأۡسِۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ ۝١٧٧﴾[البقرة:١٧٧].

الثالثة :المتَّقون هم أهل البرِّ والإحسان، وأهل التَّوبة والاستغفار : ﴿۞وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ۝١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ۝١٣٤ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ۝١٣٥ أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغۡفِرَةٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَجَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ ۝١٣٦﴾[آل عمران:١٣٣-١٣٦].

٨- جزاء المتَّقين

الله عزَّ وجلَّ يُكرِم أولياءه المتَّقين بكراماتٍ عظيمةٍ :

الأولى :أنَّ الله يحبُّ المتَّقين : ﴿بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ وَٱتَّقَىٰ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٧٦﴾﴾[آل عمران:٧٦].

الثانية :أنَّ الله مع المتَّقين : ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٩٤﴾﴾[البقرة:١٩٤].

الثالثة :ولاية الله للمتَّقين : ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾﴾[يونس:٦٢-٦٣].

الرابعة :قبول الله أعمال المتَّقين : ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾﴾[المائدة:٢٧].

الخامسة :قرب المتَّقين من الله عزَّ وجلَّ : ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ ﴿٥٥﴾﴾[القمر:٥٤-٥٥].

السادسة :أنَّ الله عزَّ وجلَّ يُضاعِف رحمته للمتَّقين، ويهديهم، ويغفر لهم : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٨﴾﴾[الحديد:٢٨].

السابعة :أنَّ الله يجعل للمتَّقين فُرقاناً يفرِّقون به بين الحقِّ والباطل : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾﴾[الأنفال:٢٩].

الثامنة :أنَّ الله يرزق المتَّقين العلم النَّافع كما قال سبحانه : ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٨٢﴾﴾[البقرة:٢٨٢].

التاسعة :أنَّ الله عزَّ وجلَّ ييسِّر أرزاق المتَّقين : ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾﴾[الطلاق:٢-٣].

العاشرة :أنَّ الله عزَّ وجلَّ ييسِّر أمورَ المتَّقين : ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مِنۡ أَمۡرِهِۦ يُسۡرٗا ٤﴾ [الطلاق: ٤].

الحادية عشرة :أنَّ الله يُكرِم المتَّقين يوم القيامة بحشرهم إلى ربِّهم مباشرةً كما قال سبحانه : ﴿يَوۡمَ نَحۡشُرُ ٱلۡمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحۡمَٰنِ وَفۡدٗا ٨٥ وَنَسُوقُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرۡدٗا ٨٦﴾ [مريم: ٨٥-٨٦].

الثانية عشرة :أنَّ الله يُكرِم جميع المتَّقين بدخول الجنَّة، والتَّنعُّم بما فيها من أنواع النَّعيم: ﴿ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ لَهُمۡ فِيهَا مَا يَشَآءُونَۚ كَذَٰلِكَ يَجۡزِي ٱللَّهُ ٱلۡمُتَّقِينَ ٣١﴾ [النحل: ٣١].

الثالثة عشرة :أنَّ الله عز وجل يُكرِم المتَّقين بالرِّضوان عليهم، والخلود في نعيم الجنَّة : ﴿ قُلۡ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيۡرٖ مِّن ذَٰلِكُمۡۚ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞ وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ ١٥﴾ [آل عمران: ١٥].

اللَّهمَّ ارزقْنا حسْنَ تقواك، حتَّى نعبدك كأنَّا نراك، وارزقنا حسْنَ الصَّبر على فعل ما تحبُّه وترضاه، وترك ما تكرهه وتسخطه :﴿إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٩٠﴾ [يوسف: ٩٠].

والمؤمن لا يستلذُّ بالمعصية، لأنَّه ينغِّصُ عليه التَّلذُّذ بها علمه بأنَّ الله حرَّمها، وخوفه من العقوبة عليها، وشعوره بمراقبة الله له، وسقوطه من عين الله إذا تلبَّس بالمعصية، فلا يستلذُّ بالمعصية إلَّا جاهلٌ بربِّه، دائمُ الغفلة عنه، المعرِض عن ذِكر ربِّه :﴿وَلَقَدۡ ذَرَأۡنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِۖ لَهُمۡ قُلُوبٞ لَّا يَفۡقَهُونَ بِهَا وَلَهُمۡ أَعۡيُنٞ لَّا يُبۡصِرُونَ بِهَا وَلَهُمۡ ءَاذَانٞ لَّا يَسۡمَعُونَ بِهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلۡأَنۡعَٰمِ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡغَٰفِلُونَ ١٧٩﴾ [الأعراف: ١٧٩].

فالمعاصي تُؤلم قلب المؤمن، لكمال معرفته بعظمة ربِّه، وخوفه منه، وحيائه منه.

أمَّا الجاهل والغافل والمنافق فلموت قلبه يفرح بالمعصية مع أنَّ فيها هلاكَه، ولا يشعر بألمها، لأنَّ قلبه قد مات: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾﴾[الأنعام:١٢٢].

اللَّهمَّ إنَّا نسألك الهدى والتُّقى، والعفاف والغنى، ونسألك الفوزَ بالجنَّة، والنَّجاة من النَّار.

اللَّهمَّ آتِ نفوسَنا تقواها، وزكِّها أنت خيرُ مَن زكَّاها، أنت وليُّها ومولاها

﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٨﴾﴾ [آل عمران:٨].

عبادات القلوب

في ضوء القرآن والسنة

العبادة الثالثة عشرة

عبادة الصبر

وتشتمل هذه العبادة العظيمة على المباحث الآتية :

الأول : منزلة الصبر.

الثاني : شروط الصبر.

الثالث : أنواع الصبر.

الرابع : الأسباب المعينة على الصبر.

الخامس : أنواع الابتلاء.

السادس : فوائد المصائب.

السابع : تفاوت الناس في الصبر.

الثامن : ثمرات الصبر.

العبادة الثالثة عشرة

عبادة الصبر

١ - منزلة الصبر

الصبر هو حمل النفس على ما تكره ابتغاء وجه الله عز وجل .
الصبر هو حبس النفس عن الجزع والتسخط والشكوى .
والصبر الكامل هو الصبر على فعل الطاعات، والصبر على ترك المعاصي، والصبر على أقدار الله المؤلمة، والصبر على مشاق الدعوة،ابتغاء وجه الله عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝٢٠٠﴾[آل عمران: ٢٠٠].

والصبر هو مقتضى الإيمان بأسماء الله الحسنى، فليس أحد أصبر من الله جل جلاله، فالكفار يكفرون به، ويشركون به، وينسبون إليه الولد، ويبارزونه بأنواع المعاصي، والله الحليم يعافيهم ويرزقهم، لعلهم يتوبون إليه .

قال النبي ﷺ: «لَا أَحَدَ أَصْبَرُ عَلَى أَذًى يَسْمَعُهُ مِنَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، إِنَّهُ يُشْرَكُ بِهِ، وَيُجْعَلُ لَهُ الْوَلَدُ، ثُمَّ هُوَ يُعَافِيهِمْ وَيَرْزُقُهُمْ» متفق عليه (١).

فالله عز وجل حليم لا يعاجل عباده بالعقوبة، بل يمهلهم ليتوبوا إليه .

أما صبره على أعدائه الذين يسبونه ويؤذونه فإنه يملي لهم، وينعم عليهم، حتى إذا أخذهم لم يفلتهم، وإذا أخذهم أخذهم أخذ عزيز مقتدر: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ۝١٠٢﴾[هود:١٠٢].

والله سبحانه يحب أسماءه وصفاته، ويحب من يتصف بها على شاكلة العبودية، لأنه يحب الصفة وفاعلها والمتصف بها .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٠٩٩) ومسلم برقم (٢٨٠٤) .

فالله مؤمن يحب الإيمان، وأهل الإيمان، والله محسن يحب الإحسان، وأهل الإحسان،والله حليم يحب الحلم والصبر، ويحب أهل الحلم والصبر : ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾﴾[آل عمران:١٤٦].

والصبر من أعظم العبادات القلبية، ومنزلة الصبر عظيمة، فالصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، والصبر نصف الإيمان، والنصف الآخر الشكر، كما قال سبحانه :﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٥﴾﴾[إبراهيم:٥].

وكل العبادات قائمة على الإخلاص والصبر :﴿وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾﴾ [العصر:١-٣].

وقد ذكر الله عز وجل الصبر في القرآن في أكثر من تسعين موضعاً كما قال سبحانه :﴿ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ ۗ وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓا۟ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾[النحل:٩٦].

وقال عز وجل :﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [البقرة:١٥٥-١٥٧].

وفقدان الصبر يسبب سخط الله تعالى.

قال النبي ﷺ: «إِنَّ عِظَمَ الجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ البَلَاءِ، وَإِنَّ اللهَ إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ، فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَى، وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السَّخَطُ» أخرجه الترمذي وابن ماجة(١).

---

(١)حسن: أخرجه الترمذي برقم (٢٣٩٦) وابن ماجة برقم (٤٠٣١) .

٢ - شروط الصبر

شروط الصبر التي توصل إلى أعلى درجاته هي :

أن يكون الصبر مع الله، وبالله، ولله.

فالصبر مع الله : أن يكون العبد تبعاً لأوامر الله عز وجل، فيصبر العبد على فعل الطاعات، ويصبر على ترك المعاصي، ويصبر على المصائب، وبذلك ينال أعظم الأجر : ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۗ وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ ۗ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾ ﴾ [الزمر: ١٠].

وبالله: استعانة بالله، فلن يصبر أحد على طاعة الله إلا بمعونته : ﴿ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾ ﴾ [النحل: ١٢٧-١٢٨].

ولله : إخلاصاً لله، وابتغاء وجهه، ورغبة في ثوابه : ﴿ وَٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٢﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الرعد: ٢٢-٢٤].

وعلامة صدق الصبر الإيمان، والإخلاص، والتقوى : ﴿ ۞ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ ﴾ [البقرة: ١٧٧].

فلا بد للصبر من نية، فالمؤمنون يصبرون ولهم أجر عظيم، كما قال سبحانه: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾ [البقرة: ١٥٥-١٥٧].

والكفار يصبرون ولكن لا أجر لهم، لأنهم غير مؤمنين، ولا يبتغون بصبرهم

وجه الله، بل يصبرون على عبادة أهوائهم وآلهتهم الباطلة، كما قال الله عنهم : ﴿وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُوا۟ وَٱصْبِرُوا۟ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ يُرَادُ ﴿٦﴾﴾[ص:٦].

فكل من صبر على باطل، فهو مأزور غير مأجور كما قال سبحانه :﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ ﴿٢﴾ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ﴿٣﴾ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ﴿٤﴾﴾[الغاشية:٢-٤].

ومن آداب الصبر على المصائب :

الأول: الاسترجاع: بأن يقول العبد:إنا لله وإنا إليه راجعون : ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾﴾[البقرة:١٥٥-١٥٧].

الثاني: الدعاء عند حصول المصيبة .

قال النبي ﷺ«اللَّهُمَّ أْجُرْني في مُصِيبَتِي، وأَخْلِفْ لي خَيْرًا مِنْها"، إلَّا أخْلَفَ اللَّهُ له خَيْرًا مِنْها»أخرجه مسلم (١).

الثالث: الصبر عند الصدمة الأولى.

قال النبي ﷺ: «إِنَّمَا الصَّبْرُ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الْأُولَى» متفق عليه (٢).

الرابع: رفع الشكوى عند المصيبة إلى الخالق، وعدم الشكوى إلى المخلوقكما قال يعقوب ﷺ: ﴿قَالَ إِنَّمَآ أَشْكُوا۟ بَثِّى وَحُزْنِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾﴾[يوسف:٨٦].

فإذا شكوت همك لربك جبر قلبك، وأعظم أجرك، وأخلف سلبك، وإن شكوت أمرك إلى المخلوق فلن يغنِ عنك شيئاً :﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۚ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾﴾[فاطر:١٣-١٤].

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٩١٨) .

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (١٢٨٣) ومسلم برقم (٩٢٦) .

٣- أنواع الصبر

الصبر المشروع ثلاثة أنواع :

الصبر على فعل الطاعات.. والصبر عن فعل المعاصي.. والصبر على البلاء .

فمن استكمل هذه الثلاثة نال أجر الصابرين :﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾[البقرة:١٥٥-١٥٧].

وقال عز وجل :﴿ قُلْ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۗ وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ ۗ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾ ﴾[الزمر:١٠].

فالصبر على فعل الطاعات يجب أن يكون مستمراً حتى الموت، وقد حفت الجنة بالمكاره، وحفت النار بالشهوات، فليصبر العبد على هذا، وعن هذا.

فيقاوم المسلم الكسل عن الصلاة بأدائها في وقتها، ويقاوم البخل عن الزكاة بأدائها فوراً في وقتها،ويقاوم الجبن عن الجهاد بالشجاعة،ويقاوم السكوت عن الحق بالقول به، ونشر الدعوة، والصبر على الأذى في سبيل الله :﴿وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾ ﴾[العصر:١-٣].

والذي يصرف الناس عن فعل الطاعات ثلاثة :

النفس .. والشيطان .. وأعداء الدين.

فالنفس إن لم تشغلها بالحق شغلتك بالباطل كما قال سبحانه :﴿ ۞ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِىٓ ۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٣﴾ ﴾[يوسف:٥٣].

والشيطان عدو مبين لكل إنسان، يشغل العبد بالشهوات والمعاصي، عن فعل الطاعات والقربات :﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٦﴾ ﴾[فاطر: ٦] .

وقال عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٠٨﴾﴾ [البقرة:٢٠٨].

وأعداء الدين من الكفار والمشركين والمنافقين يهددون المؤمنين في كل زمان ومكان بالسجن والنفي والقتل، لأجل إيمانهم بالله، وما يستوجبه من فعل الطاعات، وترك المعاصي.

فقوم نوح ﷺ هددوه بقولهم: ﴿لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰنُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمَرْجُومِينَ ﴿١١٦﴾﴾ [الشعراء:١١٦].

وفرعون هدد موسى ﷺ بقوله: ﴿لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [الشعراء:٢٩].

وقوم لوط هددوا لوطاً ﷺ بقولهم: ﴿لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰلُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُخْرَجِينَ ﴿١٦٧﴾﴾ [الشعراء:١٦٧].

ومازال أعداء الدين في كل زمان ومكان يهددون الدعاة والمصلحين والمؤمنين، وعلى المسلم الصبر فإن العاقبة له كما قال سبحانه: ﴿فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴿٦٠﴾﴾ [الروم:٦٠].

أما الصبر عن فعل المعاصي، فالنار حفت بالشهوات، كما قال النبي ﷺ: «حُفَّتِ الجَنَّةُ بِالمَكَارِهِ، وحُفَّتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ» متفق عليه (١).

ومن تذكر حر النار، صبر عن دواعي المعصية، وأقلع عن معصية الله فوراً.

والصبر على الطاعات هو فعل العبد ما يستطيعهمنها، والصبر عن المعاصي هو الانتهاء عن كل المحرمات والمعاصي: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾﴾ [الحشر:٧].

قال النبي ﷺ: «ما نَهَيْتُكُمْ عنه فَاجْتَنِبُوهُ، وَما أَمَرْتُكُمْ به فَافْعَلُوا منه ما اسْتَطَعْتُمْ» متفق عليه (٢).

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٤٨٧) ومسلم برقم (٢٨٢٣).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٧٢٨٨) ومسلم برقم (١٣٣٧).

والصبر ضد الهوى، فالهوى ترك النفس تتمتع بقضاء شهواتها من حلال وحرام كالبهائم :﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٠﴾﴾[القصص:٥٠].

.والناس في دفع الهوى على ثلاث مراتب :

أحدها: من قهر هواه.

الثاني:من قهره هواه.

الثالث: من قهر هواه مرة، وقهره هواه مرة.

فالذي قهر هواه هم الصديقون المحسنون، السابقون المقربون :﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾﴾[النازعات:٤٠-٤١].

والذي قهره هواه، هم من استرقتهم شهوتهم، واشتروا الحياة الدنيا بالآخرة، فخسرت تجارتهم، ودامت حسرتهم:﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾﴾[الأعراف:١٧٩].

وأما الذي قهر هواه مرة، وقهره هواه مرة، فهم من خلط عملاً صالحاً بآخر سيئاً كما قال الله عنهم :﴿وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُواْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠٢﴾﴾[التوبة:١٠٢].

أما الصبر على المصائب المؤلمة، فمن الأقدار المؤلمة موت الأحبة، والابتلاء بالأمراض، وإصابة الأموال بالجوائح وغيرها من الآفات والمصائب .

ومما يسهل الصبر على المصائب أن يعلم العبد أن قضاء الله وقدره قد تم بحكمة بالغة، وقدر الله السابق، وهو ألطف شيء بعبده وأن الله إذا أراد بعبده خيراً عجل له العقوبة في الدنيا، وأن البلاء إذا صبر عليه يمحو الخطايا، ويرفع الدرجات كما قال سبحانه :﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾﴾[الزمر:١٠].

وقال النبي ﷺ: «مَا يَزَال الْبَلاءُ بِالمُؤْمِنِ وَالمؤْمِنَةِ في نَفْسِهِ وَولَدِهِ ومَالِهِ حَتَّى يَلْقَى اللهَ تَعَالَى وَمَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ» أخرجه أحمد والترمذي(١).

والصبر على أقدار الله المؤلمة ثلاثة أنواع :

أحدها : صبر القلب، وهو منعه من الجزع، وعدم اليأس من روح الله، أو القنوط من رحمة الله، ومنعه من الاعتراض على قضاء الله وقدره : ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ ۗ فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا ۗ وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَىٰ مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾[الحج: ٣٤-٣٥].

فالصبر هو الرضى بالله مدبرا للعبد في جميع أموره الحلوة والمرة : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ ﴾[النساء: ٦٥].

الثاني : صبر اللسان، وهو منعه من التسخط على قدر الله، ومنعه من الدعاء على النفس بالويل والعذاب والموت، ومنعه من بث شكواه للناس، ومن شكى حاله للناس فهو جاهل يشكو الخالق إلى المخلوق.

والشكوى إلى الناس لا تخفف البلاء، بل تزيد البلاء، أما الشكوى إلى الله عز وجل فهي شكوى لمن بيده مقاليد الأمور، والشكوى إلى الله هي فعل الأنبياء كما قال يعقوب ﷺ : ﴿ قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ ﴾[يوسف: ٨٦].

وكما قال أيوب ﷺ: ﴿ ۞ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن ضُرٍّ ۖ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَابِدِينَ ﴿٨٤﴾ ﴾[الأنبياء: ٨٣-٨٤].

---

(١) **صحيح**: أخرجه احمد برقم (٧٨٥٩) والترمذي برقم (٢٣٩٩) .

الثالث : صبر الجوارح، وهو عدم لطم الخد، وشق الثوب، وفعل المحرم عند حصول البلاء .

أما دمع العين، وحزن القلب، فلا يملكه الإنسان، ولا يملك دفعه، ولا يدخل في النهي، فالنبي ﷺ بكى عند موت ابنه إبراهيم وقال : «تَدْمَعُ العَيْنُ وَيَحْزَنُ القَلْبُ، وَلَا نَقُولُ إِلَّا ما يَرْضَى رَبَّنَا، وَاللهِ يا إِبْرَاهِيمُ إِنَّا بِكَ لَمَحْزُونُونَ» متفق عليه (١) .

فقوي الإيمان يصبر، ويحتسب، ويسترجع عند المصيبة: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ۗ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (١٥٥) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (١٥٦) أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ (١٥٧) ﴾ [البقرة: ١٥٥ - ١٥٧].

أما ضعيف الإيمان فيجزع ويتسخط قدر الله، ويجزع عند المصيبة، فيفعل المعاصي من لطم الخد، وشق الثوب، لينسى المصيبة، وكل هذا لا يجوز: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ ۖ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ ۖ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ (١١) ﴾ [الحج: ١١].

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (١٣٠٣) ومسلم برقم (٢٣١٥) .

٤- الأسباب المعينة على الصبر

الواجب على المسلم عند نزول المصيبة به أمور :

الأول: التسليم والصبر على قدر الله واختياره له :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾ ﴾[آل عمران:٢٠٠].

الثاني: اليقين بأن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه.

قال النبي ﷺ لابن عباس: «يَا غُلامُ، إنِّي أعلِّمُكَ كَلِمَاتٍ: احْفَظِ اللهَ يحْفَظْكَ، احْفَظِ اللهَ تجِدْهُ تجُاهَكَ، إذَا سَأَلْتَ فَاسأَلِ الله، وإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بالله، وَاعْلَمْ أنَّ الأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إلاَّ بِشَيءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ لَكَ، وَإِن اجتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إلاَّ بِشَيءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الأَقْلامُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ» أخرجه أحمد والترمذي[(١)].

واليقين هو الإيمان بعلم الله السابق بهذه المصيبة، وإنها خير للعبد.

الثالث: اليقين بأن الله قدرها عليك بحكمته البالغة، فاعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك، فاصبر لتنال أجر الصابرين :﴿ وَلَنَبۡلُوَنَّكُم بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلۡخَوۡفِ وَٱلۡجُوعِ وَنَقۡصٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾[البقرة:١٥٥-١٥٧].

الرابع: ثم الرضا بالقضاء، وهو تفويض الأمر إلى الله، وعدم الاعتراض على ما قدره الله، والرضا ثمرة يقين العبد أن ما أصابه ناشئ عن اختيار الله له، وأنه تم بعلم الله وإرادته:﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ يَهۡدِ قَلۡبَهُۥۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴿١١﴾ ﴾[التغابن:١١].

---

(١) صحيح: أخرجه احمد برقم (٢٦٦٩) والترمذي برقم (٢٥١٦) .

الخامس: ثم الحمد والشكر لله أن خصه بهذه المصيبة التي تكفر سيئاته، وتمحو خطاياه، وترفع درجاته، وتقوي توحيده: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾﴾ [التوبة: ٥١].

والمؤمن مأمور بالصبر والرضا بالقدر، لأنه من أركان الإيمان الستة، وليس العبد مأموراً بالرضى بالمقدور كله، لأن المقدور مخلوق، والمقدور منه الخير، ومنه الشر، والناس بفطرتهم يحبون الخير، ويكرهون الشر، ولا حرج في ذلك.

فإن كان تقدير الشر في الأشياء الكونية كموت الأحبة، أو المرض، أو فقد المال، فيشرع للإنسان دفع قدر المرض بالتداوي، وقدر الفقر بالسعي والكسب ونحو ذلك.

ويجب على العبد الصبر على قضاء الله الكوني، وأكمل منه الرضا، وأكمل منه الحمد والشكر.

ويجوز للعبد أن يظهر عجزه أمام ذلك القدر فيقول: قدر الله، وما شاء فعل.

أما إن كان تقدير الشر في الأوامر الشرعية باقتراف المعاصي، فيجب على العبد دفع هذا القدر بالتوبة، والاستغفار، والإكثار من العمل الصالح كما قال سبحانه: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ ۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴿١١٤﴾﴾ [هود: ١١٤].

ويجب على العاصي بغض المعصية التي فعلها، أو التي يفعلها غيره من الناس، لأن الله حرمها، وحذر منها، والله يكرهها، كما قال سبحانه عن المعاصي: ﴿كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴿٣٨﴾﴾ [الإسراء: ٣٨].

وتلك المعاصي من المقدور المخلوق المكروه، أما الطاعات فهي من المقدور المخلوق المحمود، والله يحب الطاعات، ويكره المعاصي.

والغنى والفقر كلاهما نعمة تحتاج إلى شكر وصبر.

فالغني لابد له من شكر الله على ما أنعم عليه، ولابد له من صبر على إنفاق هذا المال في طاعة الله، فإن نفسه تثبطه عن الطاعة، وتخيفه من الفقر، ولابد له كذلك من الصبر على عدم إنفاق هذا المال في نيل الشهوات العاجلة المحرمة.

والفقير كذلك لابد له أن يتذكر نعم الله عليه في الصحة، والذرية، وانشراح الصدر للإيمان، والقيام بالطاعات،فيشكر الله على ذلك، ولابد له من الصبر على البلاء لينال أجر الصابرين، وثواب رب العالمين كما قال سبحانه: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ١٠﴾[الزمر: ١٠].

فمقام العبد دائما بين الصبر والشكر، فهاتان عبادتان قلبيتان عظيمتان، كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ٥﴾[إبراهيم: ٥].

والعبرة ليست بالعطاء والمنع من الله، بل المقصود تقوية عبادة الصبر، وعبادة الشكر، وزيادة الإيمان بالله عزوجل: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٥٥ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ١٥٦ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ١٥٧﴾[البقرة: ١٥٥-١٥٧].

والله عز وجل يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب، ولكنه لا يعطي الدين إلا من يحب.

فمن الناس من أعطاه الله الدنيا، فتفاخر بها وتكبر، وأسرف في الشهوات، وشغله غناه عن مولاه، فصار بعيداً عن ربه عز وجل.

ومن الناس من منعه الله الدنيا، فسخط على قضاء الله، وجزع، وترك عبادة الله، وشغله فقره عن ربه، فصار بعيدا عن ربه عز وجل.

ومن الناس من أعطاه الله الدنيا، فشكر وحمد الله عليها، وصرفها في طاعة من أعطاه، فكان العطاء قربا له من ربه عز وجل.

ومن الناس من منعه الله الدنيا، فصبر ورضي بقضاء الله ومنعه، فانكسرت نفسه، وأقبل على طاعة الله، وتفرغ لعبادة الله بما يحبه الله ويرضاه، فكان المنع قرباً له

من الله عز وجل: ﴿فَأَمَّا ٱلۡإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبۡتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكۡرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَكۡرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبۡتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيۡهِ رِزۡقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَهَٰنَنِ ﴿١٦﴾ كَلَّاۖ بَل لَّا تُكۡرِمُونَ ٱلۡيَتِيمَ ﴿١٧﴾ وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلۡمِسۡكِينِ ﴿١٨﴾ وَتَأۡكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ أَكۡلٗا لَّمّٗا ﴿١٩﴾ وَتُحِبُّونَ ٱلۡمَالَ حُبّٗا جَمّٗا ﴿٢٠﴾﴾ [الفجر: ١٥-٢٠].

فالتفاضل بين الناس ليس بالعطاء والمنع، لأنهما من قضاء الرب، والله أعلم بأحوال عباده يقضي لهم ماينفعهم بحكمته البالغة: ﴿وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لِّيَقُولُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنۢ بَيۡنِنَآۗ أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِأَعۡلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٥٣﴾﴾ [الأنعام: ٥٣].

وقال عز وجل: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرَۢا بَصِيرٗا ﴿٣٠﴾﴾ [الإسراء: ٣٠].

فليس التفاضل بالعطاء والمنع، لأن ذلك من فعل الرب عز وجل، وإنما يكون التفاضل بما يترتب عليهما من صبر العبد، وشكره، لأنه فعل العبد، وعليه يترتب الثواب والعقاب، ودخول الجنة أو النار.

والله بصير بالعباد عليم بما يصلحهم وما يفسدهم: ﴿أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ﴿١٤﴾﴾ [الملك: ١٤].

فبعض الناس يصلحه العطاء، وبعضهم يصلحه المنع، وبعضهم يصلحه الغنى، وبعضهم يصلحه الفقر، وبعضهم تصلحه الصحة، وبعضهم يصلحه المرض، والله يقسم العطايا والأرزاق بحكمته: ﴿أَوَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِأَعۡلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾﴾ [العنكبوت: ١٠].

فمن الناس من يكون في قلبه قسوة وتجبر وغلظة، ولا يصلحه إلا انكسار نفسه، وانكساره إنما يكون بالفقر، وقلة ذات اليد أو المرض، وكل ذلك يقلل من تحقيق إرادات نفسه الفاسدة من الظلم والعدوان والفساد، فمن العصمة ألا تجد: ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَيَطۡغَىٰٓ ﴿٦﴾ أَن رَّءَاهُ ٱسۡتَغۡنَىٰٓ ﴿٧﴾﴾ [العلق: ٦-٧].

ومن الناس من يغلب على نفسه الإحباط إذا أصابه الفقر أو المرض، ولكن عنده من صلاح السريرة ما يمنعه من الظلم والطغيان، فهذا يصلحه العطاء والعافية وهما يشجعانه على البذل والعطاء، والعبادة، والدعوة إلى الله، والإحسان إلى الخلق، وصنائع المعروف التي تنفع الأمة، وتقيم حياتها على الإيمان والتقوى: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿٣٠﴾ ﴾[الإسراء:٣٠].

والشكر هو عبادة المؤمن التي لاتنفك عنه إلى انقضاء أجله، فهو دائما يرى نعم ربه التي لاتعد ولا تحصى، يراها عليه وعلى غيره فيتعبد لله بعبادة الشكر القلبية، وكذا الصبر على فعل الطاعات، والصبر عن فعلالمعاصي .

أما الصبر على البلاء فإنما يكون عند المصائب .

السادس :اليقين بحسن عاقبة الصبر في الدنيا والآخرة يجعل العبد يصبر على البلاء : ﴿فَٱصْبِرْ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٩﴾ ﴾[هود:٤٩].

فالعلم بأن عاقبة الصبر هي الجنة يخفف البلاء، ويرفع الدرجات، ويمحو الخطايا، ويعجل العافية، كل ذلك يخفف ألم البلاء، ويعقب حسن الصبر، والشكر للرب.

قال النبي ﷺ: «مَا يَزَال الْبَلاءُ بِالمُؤْمِنِ وَالمؤْمِنَةِ في نَفْسِهِ وَولَدِهِ ومَالِهِ حَتَّى يَلْقى اللهَّ تَعالَى وَمَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ»أخرجه أحمد والترمذي(١).

السابع: التفويض الكامل لله عز وجل، والرضى بقضائه وقدره، والرضى بما اختاره الله لعبده، كل ذلك يخفف ألم البلاء، ويعين العبد على الصبر: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾ ﴾[الطلاق:٢-٣].

الثامن: رؤية مصائب الناس الكبيرة التي هي أعظم من مصيبة العبد، فإن ذلك مما يخفف ألم المصيبة، ويعين على الصبر، وكثرة الشكر .

(١)صحيح: أخرجه احمد برقم (٧٨٥٩) والترمذي برقم (٢٣٩٩) .

التاسع: العلم بأن الصبر عن الشهوات المحرمة أسهل من الصبر على ألم العقوبة عليها في الدنيا والآخرة، والعلم بأن الصبر عن الشهوة أسهل من فقد الصحة، والأمراض المعدية والمهلكة، والعلم بأن الصبر عن الشهوة أسهل من تنجيس العرض بالتهم والفضائح، وأسهل من سقوط قدرك بين الناس .

العاشر: العلم بعقوبة الله لكل من تجاوز حدوده من إقامة الحدود في الدنيا والعقوبات في الآخرة: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾﴾[النساء:١٤].

وقال عزوجل: ﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾﴾[النساء:١٢٣].

٥ -أنواع الابتلاء

الابتلاء نوعان :

الأول: ابتلاء لرفع الدرجات، وتكفير السيئات، فهذا ابتلاء محبة من الله للعبد، يزيد به إيمان العبد، ويقوى به توكله على ربه، وهذا غالباً ينزل بالمؤمنين : ﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾﴾[الأحزاب:٢٢].

وقال النبي ﷺ : «ما يُصيبُ المسلمُ من نصبٍ ولا وصبٍ، ولا همٍّ ولا حزنٍ، ولا أذىً ولا غمٍّ، حتى الشوكة يُشاكَها إلّا كفَّرَ اللهُ بها من خَطاياه» متفق عليه [١].

الثاني: ابتلاء العقوبات، فهذا ابتلاء سخط من الله على العبد، ينزل على العصاة والمجرمين،ويكونمنهالجزع،والتسخط، وفعل المحرمات، كما أن ابتلاء رفع الدرجات يكون معه الصبر والشكر، والرضى والاحتساب .

وابتلاء العقوبة يقل معه الإيمان، وهو ما يصيب الفاسق من التسخط، والاعتراض على أقدار الله، فينقص إيمانه، ويفعل ما حرم الله عليه، فيهلك بسبب ذلك إن لم يتب .

قال النبي ﷺ: «لَا يَزْني الزَّاني حِينَ يَزْني وَهو مُؤْمِنٌ، وَلَا يَسْرِقُ السَّارِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهو مُؤْمِنٌ»متفق عليه [٢].

---

(١)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٥٦٤٢) ومسلم برقم (٢٥٧٣).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٢٤٧٥) ومسلم برقم (٥٧).

٦ - فوائد المصائب

الأولى: المصائب تكفر الذنوب.

قال النبي ﷺ: «ما مِن مُصِيبَةٍ تُصِيبُ المُسْلِمَ إلَّا كَفَّرَ اللهُ بها عنْه، حتَّى الشَّوْكَةِ يُشاكُها» متفق عليه (١).

الثانية: المصائب تذكر المؤمن بالتوبة والاستغفار، فما نزل بلاء إلا بذنب، وما رفع إلا بتوبة، فمن تاب واستغفر تاب الله عليه، وأبدل سيئاته بحسنات: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقۡتُلُونَ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَلَا يَزۡنُونَۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ يَلۡقَ أَثَامٗا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفۡ لَهُ ٱلۡعَذَابُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَيَخۡلُدۡ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلٗا صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٖۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿٧٠﴾﴾ [الفرقان: ٦٨-٧٠].

الثالثة: المصائب تعجيل لعقوبة العاصي في الدنيا حتى يلقى الله في الآخرة وليس عليه خطيئة.

قال النبي ﷺ: «مَا يَزَال الْبَلاءُ بِالْمُؤْمِنِ وَالمؤْمِنَةِ في نَفْسِهِ وَوَلَدِهِ ومَالِهِ حَتَّى يَلْقَى اللهَ تَعَالَى وَمَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ» أخرجه أحمد والترمذي (٢).

الرابعة: المصائب تكسر قلب المؤمن، وانكسار القلب يقتضي الإنابة إلى الله، والذل لله، والتوبة إليه.

فالمصائب والأمراض والابتلاءات يحصل بها ذل العبد لربه، وانكساره بين يديه، ودعاؤه له، والتوبة إليه، ورؤية نقصه وعجزه.

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٥٦٤٠) ومسلم برقم (٢٥٧٢).

(٢) صحيح: أخرجه احمد برقم (٧٨٥٩) ومسلم برقم (٢٣٩٩).

ويحصل بها تكفير الخطايا، ورفع الدرجات، ورقة القلب، وذلك يدفعه إلى الإنابة إلى ربه، والتوبة إليه، وترك التكبر، والعجب بالنفس، ودوام الصحة لايحصل بها هذه المصالح والعبوديات غالباً إلا ما رحم الله: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ۗ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (١٥٥) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (١٥٦) أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ (١٥٧) ﴾[البقرة:١٥٥-١٥٧].

الخامسة: المصائب دليل حب الله للعبد، فالله إذا أحب قوماً ابتلاهم، وأشد الناس بلاءً الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل، يبتلي الرجل على حسب دينه.

قال النبي ﷺ: « إن أعظم الجزاء إِنَّ اللهَّ إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ» أخرجه الترمذي وابن ماجة(١).

فالله خلق الآلام والأمراض والمصائب، لصرف الأسرار إلى أعمال الأبرار، وجر النفوس إلى الملك القدوس، وصرف القلوب عن دار الغرور إلى دار السرور: ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (٢١٦) ﴾[البقرة:٢١٦].

السادسة: أن البلاء يورث حسن الظن بالله عز وجل، وحسن الصبر على بلائه، وإن عظم الجزاء مع عظم البلاء .

والله رءوف رحيم ما ابتلى المؤمن إلا ليعافيه، وماكسره إلا ليجبره، وما نقص بعض مافي يده إلا لكي يزيده، وما منعه إلا ليعطيه، وما ابتلاه إلا ليعافيه، ويدفعه إلى عبودية الصبر، التي أجرها أعظم الأجور، كما قال سبحانه: ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ (١٠) ﴾[الزمر:١٠].

---

(١)صحيح: أخرجه الترمذي برقم (٢٣٩٦)وابن ماجه برقم (٤٠٣١) .

السابعة: أن المصائب تنقي التوحيد من شوائب الشرك، وتجعل العبد يتعلق بالله وحده، ويرجو ثواب الآخرة :﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴿٧٦﴾﴾[المؤمنون:٧٦].

فالدنيا دار بلاء وابتلاء، تتقلب بأهلها من بلاء إلى بلاء، فغنيها فقير، وصحيحها سقيم، وقويها ضعيف، وملكها مملوك :﴿وَمَا هَٰذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾﴾[العنكبوت:٦٤].

والله حكيم عليم قدّر وجود البلاء في حياة الناس، ليتضرعوا إلى ربهم، ويؤمنوا به، ويذكروه ويتوبوا إليه، وقدّر وجود البلاء في حياة المؤمنين، ليرى منهم ما يحبه ويرضاه من عبوديات الصبر، والشكر، والتوكل، والإنابة، والتوبة، والاستغفار، التي لن يفعلوها لولا البلاء، وأمرهم بالصبر على البلاء، لينالوا أعظم الجزاء في الجنة :﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ ﴿٢٢﴾ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ ۖ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴿٢٤﴾﴾[الرعد:٢٢-٢٤].

والابتلاء بالعطاء قد يكون أعظم من الابتلاء بالحرمان كما قال سبحانه :﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾﴾ [الأنفال:٢٨].

فالأموال والأولاد وجودهم فتنة، وحرمانهم فتنة من نوع آخر كما قال سبحانه عن الكفار :﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴿٥٥﴾﴾[التوبة:٥٥].

فالصحة عافية من وجه، وبلاء من عدة أوجه، لأن أكثر الناس يستعملونها في معصية الله، فيتبعون الشهوات، ويظلمون الناس: ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ۝٧﴾ [العلق: ٦-٧].

فمن استعمل نعم الله عليه في معاصيه كانت العافية بلاء عليه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ۝٦ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ۝٧ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ۝٨﴾ [الانفطار: ٦-٨].

أما المؤمن فالعطاء خير له، والمنع خير له.

فالعطاء يثمر له الشكر لربه، والمنع يثمر له الصبر على بلائه، وهذا هو الدين كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ۝٥﴾ [إبراهيم: ٥].

وقال النبي ﷺ: «عَجَبًا لأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إنَّ أمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وليسَ ذاكَ لأَحَدٍ إلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إنْ أصابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ، فَكانَ خَيْرًا له، وإنْ أصابَتْهُ ضَرَّاءُ، صَبَرَ فَكانَ خَيْرًا له» أخرجه مسلم (١).

والدنيا سجن المؤمن، وجنة الكافر، كما قال النبي ﷺ: «الدُّنْيا سِجْنُ المُؤْمِنِ، وَجَنَّةُ الْكَافِرِ» أخرجه مسلم (٢).

فالدنيا سجن المؤمن، ولو كان في أعظم نعيم، لأنه يعيش في سجن الدنيا، فهو في سجن بالنسبة لما أعد الله له من أنواع النعيم المقيم في الجنة: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝١٧﴾ [السجدة: ١٧].

والدنيا جنة الكافر، وإن كان أفقر الناس، وأشدهم بلاءً، لأن ذلك جنة إذا قرن بعذاب النار يوم القيامة: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٩٩٩).

(٢) أخرجه مسلم برقم (٢٩٥٦).

﴿تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ﴿١٢﴾﴾
[محمد:١٢].

فالدنيا سجن المؤمن، وجنة الكافر، والآخرة جنة المؤمن، وسجن الكافر: ﴿أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ كَمَنۢ بَآءَ بِسَخَطٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٦٢﴾ هُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٣﴾﴾[آل عمران:١٦٢-١٦٣].

والنجاة والفلاح فقط بالقيام بالدين، وإقامة الدين في العالم، والصبر على كل ذلك: ﴿وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾﴾[العصر:١-٣].

وقال عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾﴾[آل عمران:٢٠٠].

٧- تفاوت الناس في الصبر

الناس عند المصائب متفاوتون في الصبر، فمن رضي فله الرضى، ومن سخط فله السخط، والرضى والسخط من أعمال القلوب، والصبر من أعظم أعمال القلوب التي ينال بها المؤمن أعظم الأجور، كما قال سبحانه: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ١٠﴾ [الزمر:١٠].

ورضى القلب لا ينافي عمل الجوارح بالسعي لرد البلاء ودفعه، ورضى القلب بالمرض لا ينافي التداوي، لأنه عمل الجوارح، وفعل الأسباب المأمور بها شرعاً.

والرضى بالفقر لا ينافي السعي في طلب الرزق، فعمل القلب الرضى والتسليم، وعمل الجوارح دفع ما يمكن من البلاء، وكل ذلك عبادة لله عز وجل: ﴿فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَلَهُۥٓ أَسْلِمُوا۟ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ٣٤ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ وَٱلْمُقِيمِى ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ٣٥﴾ [الحج: ٣٤-٣٥].

ودفع البلاء ليس من التسخط، إنما هو من الأخذ بالأسباب المأمور بها شرعاً، والتسخط من عمل القلب المذموم: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ٦٥﴾ [النساء: ٦٥].

والرضى من عمل القلب المحمود: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ٧ جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ ٨﴾ [البينة: ٧-٨].

والرضى بقضاء الله وقدره أعظم من الصبر، والرضى هو ترك اختيار العبد لنفسه، والتسليم لاختيار الله له، وقضائه له، فلا يجد ألما لمصيبة، ولا يتمنى زوالها،

ولا يتمنى أنها لم تقع : ﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ ﴾[التوبة:٥١].

والرضى عن الله يكون عند كمال التفويض لله، وانشغال القلب عن ألم المصيبة بما فيها من أنواع اللطف والرحمة، وما فيها من الحكمة التي توجب الاستسلام لله، والرضى والشكر، وما يرى فيها العبد من حسن العاقبة بنيل ثواب الله في الآخرة كما قال سبحانه :﴿ قُلْ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌۗ وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌۗ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾ ﴾[الزمر:١٠].

ورضى القلب لا ينافي عمل الجوارح، بدفع قدر المصيبة بقدر العافية، ولا ينافي دعاء الله بكشف الكربات وزوالها :﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ ﴾ [البقرة:١٨٦].

وكانالنبي ﷺ يدعو ربه عند الكرب بقوله :« لا إلَهَ إلَّا اللهُ العَظِيمُ الحَلِيمُ، لا إلَهَ إلَّا اللهُ رَبُّ العَرْشِ العَظِيمِ، لا إلَهَ إلَّا اللهُ رَبُّ السَّمَوَاتِ ورَبُّ الأرْضِ، ورَبُّ العَرْشِ الكَرِيمِ »متفق عليه (١).

وكيفية الوصول إلى الرضى أن يسلم العبد أمره إلى الله بكمال التفويض إليه، وحسن الظن به في قضائه واختياره، والرغبة في ثواب الله، وحسن عاقبته:﴿ وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ ﴾[التوبة:٦٢].

وإذا صدق حب العبد لربه آمن بقضائه وقدره، وفوض أموره إليه .

فمن آمن باسم الله الحكيم أيقن أن قضاءه كله بحكمة بالغة، وأن كل قضائه خير لعبده فرضي به، وكلما صدق حب العبد لربه أحب فعله به، ورضي عنه، وأيقن أن اختيار الله له هو الخير :﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ ﴾[التوبة:٥١].

---

(١)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٥٩٩٦) ومسلم برقم (٢٠١٦).

والرضى هو اليقين بأن البلاء وقع بنوعه وقدره ووقته بعلم الله السابق، وأن الله كتبه في اللوح المحفوظ قبل أن يخلقه، فلذة عبادة الرضى بقضاء الله تغلب ألم البلاء: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾﴾[التغابن: ١١].

واليقين بحسن عاقبة الصبر، وثوابه في الآخرة، هو الذي يبلغ فيها العبدمرتبة الرضى والتسليم، ثم مرتبة الحمد والشكر: ﴿فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾﴾ [الجاثية: ٣٦-٣٧].

والدعاء والطلب من الله أن يكشف البلاء، وفعل الأسباب، لا ينافي الرضى، بل يشرع للعبد فعل الأسباب، وسؤال الله رفع البلاء الذي يمنع فعل الطاعات، وأداء العبادات على أحسن وجه.

ومن دعاء الرسول ﷺ: «اللَّهمَّ إنِّي أسأَلُكَ العافيةَ في الدُّنيا والآخرةِ» أخرجه أحمد وأبو داود (١).

والتسخط عكس الرضى، فمن سخط على المصيبة سخط الله عليه، فبعض الناس يتمنى الموت عند وقوع البلاء لقلة صبره، وجهله بربه، وبعضهم يعدد المصائب التي نزلت به، وكان الأولى أن يعدد نعم الله عليه، ويشكره على ذلك: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾﴾[النمل: ٧٣].

وبعضهم يقول عند المصيبةلو أخذ الله مني كذا لكان أهون علي، فهو يتسخط على قدر الله، ويريد أن يعدل على الله في قضائه، وهذا ينقض الركن السادس من أركان الإيمان وهو الإيمان بالقدر خيره وشره: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾﴾[التغابن: ١١].

---

(١) صحيح: أخرجه أحمد برقم (٤٧٨٠) وأبو داود برقم (٥٠٧٤).

فالصبر من أعظم عبادات القلوب، ثم فوقه الرضى بما قدره الله عليه، ثم فوقه شكر الله على قضائه، لما يرى في المصيبة من عظيم الأجر، وحسن العاقبة، وفضل الرضى بالقدر، وتكفير السيئات، ورفعة الدرجات: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾﴾ [التوبة: ٥١].

وشكر الله على القضاء والقدر هو الثناء على الله بفعله، والثقة بحكمته في حسن تدبيره لأمر عبده، وتفويض الأمر إليه في إصلاح شأنه، واليقين بحسن عاقبته، وثبوت أجره: ﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ ۗ وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓا۟ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [النحل: ٩٦].

وشكر الله على قضائه أعلى مراتب الدين، ولا يصل إلى هذه المرتبة إلا أقل القليل: ﴿ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾﴾ [سبأ: ١٣].

والناس في الصبر على درجات.

فمنهم من يستسلم لقضاء الله مع كراهة النفس،

ومنهم من يرضى بقضاء الله فيقبله ولا يكرهه، ومنهم من يشكر الله على البلاء، لما يرى فيه من الثواب، ورفعة الدرجات، وتكفير السيئات: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾﴾ [محمد: ١٩].

٨- ثمرات الصبر

للصبر ثمرات كثيرة منها :

الأولى: أن الله يحب الصابرين كما قال سبحانه :﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾﴾ [آل عمران:١٤٦].

الثانية: أن الله مع الصابرين كما قال سبحانه :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٣﴾﴾[البقرة:١٥٣].

الثالثة: أن الصبر سبب للفلاح في الدنيا والآخرة كما قال سبحانه :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾﴾ [آل عمران: ٢٠٠].

الرابعة: أن المؤمن الصابر يجعله الله إماماً في الدين كما قال سبحانه :﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُواْ ۖ وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾﴾[السجدة:٢٤].

فاليقين عبادة قلبية، والصبر عبادة قلبية، واليقين يعين على قوة الصبر.

الخامسة: أنه بالصبر والرضى يزيد الإيمان، وتحصل الهداية كما قال سبحانه:﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾﴾[التغابن:١١].

السادسة: أن الصبر خير وأوسع عطاء من الرب للعبد .

قال النبي ﷺ: «وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْرًا وَأَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ» متفق عليه [(١)].

السابعة: أن الصبر ضياء، فهو يضيء قلب المؤمن، ويشرح صدره، وينور قلبه.

قال النبي ﷺ: «وَالصَّلاةُ نُورٌ، وَالصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ، وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ» أخرجه مسلم [(٢)].

الثامنة: أن الصبر من أسباب الثبات على الدين، ونشر الدين كما قال سبحانه:﴿وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾﴾[البقرة:٤٥].

---

(١)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (١٤٦٩) ومسلم برقم (١٠٥٣).

(٢)أخرجه مسلم برقم (٢٢٣) .

التاسعة: أن الله أخبر أن الصبر حظ عظيم للعبد كما قال سبحانه :﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾﴾[فصلت:٣٤-٣٥].

العاشرة: أن الصبر على البلاء فيه تشبه بالأنبياء والمرسلين.

فقد «سئل النبي ﷺ يا رسولَ الله أيُّ النَّاسِ أشدُّ بلاءً ؟ قال : الأنبياءُ ثمَّ الأمثلُ فالأمثلُ »أخرجه احمد والدارمي [١].

الحادية عشرة: أن الصابر يصلي الله عليه، وتنزل عليه رحمة الله، وهدايته كما قال سبحانه :﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾﴾[البقرة:١٥٥-١٥٧].

الثانية عشرة:أن الصابر يجازى بأحسن عمله: كما قال سبحانه : ﴿ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ ۗ وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓا۟ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [النحل:٩٦].

الثالثة عشرة: أن الصابر يُعطى أجره بغير حساب: كما قال سبحانه :﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾﴾[الزمر:١٠].

اللهم ارزقنا صدق الإيمان، وحسن الصبر، وحسن العبادة، وعظيم الأجر.

﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾﴾ [البقرة:٢٠١].

---

(١)صحيح: أخرجه احمد برقم (١٤٩٤) والدارمي برقم (٢٧٨٣) .

عبادات القلوب

في ضوء القرآن والسنة

العبادة الرابعة عشرة

عبادة الحمد والشكر

وتشتمل هذه العبادة العظيمة على المباحث الآتية :

الأول :فقه الحمد والشكر.

الثاني: منزلة الحمد والشكر.

الثالث: فضائل الحمد والشكر.

الرابع: أركان الحمد والشكر.

الخامس: الأسباب المعينة عليالحمدوالشكر.

السادس: تفاوت الناس في الحمد والشكر.

السابع :جزاء أهل الحمد والشكر.

العبادة الرابعة عشرة

عبادة الحمد والشكر

١ - فقه الحمد والشكر

الحمد لله عز وجل هو ثناء القلب واللسان على الله، وتعظيمه وتمجيده ومحبته، لكمال ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، ولإحسانه إلى مخلوقاته: ﴿فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾﴾[الجاثية:٣٦-٣٧].

والحمد يكون بالقلب واللسان والجوارح، وحمد الجوارح هو تصريف النعمة فيما يرضي الله عز وجل كما قال سبحانه: ﴿ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾﴾[سبأ:١٣].

ومن تمام الحمد الاعتراف بالتقصير في شكر الرب، وألا ترى نفسك قد قمت بحق الله من الحمد أبداً.

قال النبي ﷺ: «لا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ أَنْتَ كما أَثْنَيْتَ على نَفْسِكَ» أخرجه مسلم [1]

وحمد الله وشكره جل جلاله على شيئين:

الأولى: حمد الله وشكره على كمال ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله.

فالله سبحانه له غاية الجلال والجمال والكمال، وله كمال العظمة والكبرياء والعلو، وله كمال الملك والعزة والغنى، وله كمال القوة والقدرة والقهر، وله كمال الحكمة والرأفة والرحمة، وله كمال الرفق والحلم والستر، وله كمال العلم والإحاطة، وله كمال البر والكرم والإحسان: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٤٨٦).

﴿ٱلسَّلَٰمُ ٱلۡمُؤۡمِنُ ٱلۡمُهَيۡمِنُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡجَبَّارُ ٱلۡمُتَكَبِّرُۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٢٣ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡخَٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ ٱلۡمُصَوِّرُۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٢٤﴾ [الحشر:٢٢-٢٤].

ومَن هذه أسماؤه وصفاته وأفعاله هو الرب الحميد الذي يستحق الحمد والشكر وحده لا شريك له: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ ٨﴾ [طه:٨].

الثاني: حمد الله وشكره على إحسانه إلى عباده بأنواع الإحسان المادي والروحي.

فهو الرب الذي خلق الخلق، وأحياهم، ورزقهم، وأطعمهم، وسقاهم، وشفاهم، وكساهم، وهداهم، وأنعم عليهم بكافة النعم، وأعظمها هدايته لهم إلى طريق الوصول إلى رضوانه وجنته، واجتناب ما يضرهم، فليشكروه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ١٧٢﴾ [البقرة:١٧٢].

وقال عز وجل: ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا وَكُنتُمۡ عَلَىٰ شَفَا حُفۡرَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنۡهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ١٠٣﴾ [آل عمران:١٠٣].

والله عز وجل يحب الحمد، وأهل الحمد، لأنه يستحقه، إذ جميع النعم الظاهرة والباطنة، والمادية والروحية كلها منه وحده: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيۡهِ تَجۡـَٔرُونَ ٥٣﴾ [النحل:٥٣].

فهو أهل أن يعبد، وأهل أن يحمد، وأهل أن يشكر، وأهل أن يمجد، فله الحمد كثيراً، كما ينعم كثيراً، وكما ينبغي لجلال وجهه، وعظيم سلطانه وعظمة نعمه وإحسانه: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ٣ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ٤ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ٥ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ٧﴾ [الفاتحة:٢-٧].

والشكر هو الثناء على الله بنعمه :﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِي وَلَا تَكۡفُرُونِ ١٥٢﴾[البقرة:١٥٢].

والشكر عبادة قلبية ولسانية وبدنية، ونعم الله لاتعد ولا تحصى، والإنسان إما شاكر للنعمة، وإما كافر بها :﴿إِنَّا خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن نُّطۡفَةٍ أَمۡشَاجٖ نَّبۡتَلِيهِ فَجَعَلۡنَٰهُ سَمِيعَۢا بَصِيرًا ٢ إِنَّا هَدَيۡنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرٗا وَإِمَّا كَفُورًا ٣﴾[الإنسان:٢-٣].

والفرق بين الحمد،والشكر،والمدح :

أن الحمد هو الثناء، مع تعظيم القلب ومحبته للمحبوب جل جلاله .

أما المدح فهو ثناء بلا تعظيم ومحبة، لأن المادح قد يمدح أحداً وهو يكرهه، وقد يمدحه لتحصيل منفعة أو مال، فإذا لم يعطه انقلب ذاماً له .

والمدح يكون للجماد، والنبات، والحيوان، والإنسان.

قال النبي ﷺ:«إِذَا رَأَيْتُمُ الْمَدَّاحِينَ ، فَاحْثُوا فِي وُجُوهِهِمِ التُّرَابَ» أخرجه مسلم (١).

والحمد ثناء على الأوصاف العظيمة للرب عز وجل كما قال سبحانه :﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ٣ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ٤ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ٥﴾[الفاتحة:٢-٥].

وقال الله عز وجل :﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ جَاعِلِ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُوْلِيٓ أَجۡنِحَةٖ مَّثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۚ يَزِيدُ فِي ٱلۡخَلۡقِ مَا يَشَآءُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ١﴾[فاطر:١].

وقال الله عز وجل :﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبۡدِهِ ٱلۡكِتَٰبَ وَلَمۡ يَجۡعَل لَّهُۥ عِوَجَاۜ ١ قَيِّمٗا لِّيُنذِرَ بَأۡسٗا شَدِيدٗا مِّن لَّدُنۡهُ وَيُبَشِّرَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ أَجۡرًا حَسَنٗا ٢ مَّٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدٗا ٣ وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدٗا ٤﴾ [الكهف:١-٤].

والشكر يكون بالقلب، واللسان، والجوارح، فكل أنواع الطاعات تعد من الشكر، لأنها صرف لنعم الله في مراضيه :﴿ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ

---

(١)أخرجه مسلم برقم (٣٠٠٢) .

ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾﴾[سبأ:١٣].
فالصدقات والصلوات من الطاعات، وهي من شكر نعمة المال، ونعمة العافية .
والتوفيق إلى فعل الطاعة من أعظم نعم الله على عباده، فإن شكرها العبد بطاعة جديدة، فهذه نعمة تحتاج إلى شكر جديد .
والشكر يكون بالقلب خضوعاً وانكساراً، وباللسان ثناء واعترافا، وبالجوارح طاعة وانقيادا .
والشكر يكون على الإحسان والنعم، أما الحمد فيكون على الأوصاف الذاتية :﴿فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾﴾[الجاثية:٣٦-٣٧].
فالحمد لله هو مقتضى الإيمان باسم الله الحميد، والشكر هو مقتضى الإيمان بأسماء الله الشاكر والشكور، فالله هو الشاكر الذي يشكر القليل من العمل بالكثير من الثواب .
والشكور هو الذي يشكر عبده كلما عمل عملا، مهما كان عمله قليلاً، فالله سبحانه هو الشاكر الشكور الذي يشكر المحسن بمضاعفة أجره، ويشكر المسيء بقبول توبته :﴿وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ ۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾﴾[فاطر:٣٤].
والشكر شرط الإيمان، فمن لم يشكر الله زال إيمانه، وزوال الشكر من القلب بالكلية يعني زوال الإيمان بالكلية، ومن لم يشكر الله لم يعبده أصلاً، كما قال سبحانه :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾﴾[البقرة:١٧٢].
ومن لم يشكر الله فقد كفر بالله:﴿ فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾﴾
[البقرة:١٥٢].

٢ - منزلة الحمد والشكر

الدين نصفان: نصف شكر، ونصف صبر.

وكلاهما عبادتان قلبيتان عظيمتان، والله عز وجل من حبه للحمد، واستحقاقه له، افتتح كتابه بالحمد خمس مرات، في خمس سور من القرآن وهي:

الأولى: فاتحة الكتاب بقوله: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧﴾﴾ [الفاتحة: ٢-٧].

الثانية: سورة الأنعام: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١﴾﴾ [الأنعام: ١].

الثالثة: سورة الكهف: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ﴿١﴾﴾ [الكهف: ١].

الرابعة: سورة سبأ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١﴾﴾ [سبأ: ١].

الخامسة: سورة فاطر: كما قال سبحانه: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۚ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾﴾ [فاطر: ١].

ولمكانة الحمد جعله الله عبادة في الدنيا، وأكرم به أهل الجنة يوم القيامة، كما قال سبحانه عن أهل الجنة: ﴿دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ ۚ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾﴾ [يونس: ١٠].

وكان النبي ﷺ يقُولُ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلاَةٍ إِذَا سَلَّمَ: «لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ، وَلَهُ الحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» متفق عليه (١).

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٨٤٤) ومسلم برقم (٥٩٣).

وكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، إِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ الرُّكُوعِ، قَالَ: «رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ، مِلْءَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ، وَمِلْءَ مَا شِئْتَ مِنْ شَيْءٍ بَعْدُ، أَهْلَ الثَّنَاءِ وَالْمَجْدِ، أَحَقُّ مَا قَالَ الْعَبْدُ: وَكُلُّنَا لَكَ عَبْدٌ» أخرجه مسلم [1] .

وأعظم الحمد حمد الله على كمال ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، وحمده على عظمة ملكه وسلطانه، وحمده على عظمة نعمه وإحسانه، وحمده على كمال دينه وشرعه، وحمده على نعمة الهداية: ﴿فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾﴾ [الجاثية: ٣٦-٣٧].

ويجب على كل مسلم أن يحمد ربه كل يوم سبع عشرة مرة على الأقل، وهي عدد الركعات في الصلوات الخمس التي يبدأها بقوله: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾﴾ [الفاتحة: ٢].

فيحمد العبد ربه على ألوهيته بقوله الحمد لله، فيحمد الله على إحسانه إلى خلقه بهذا الدين العظيم، وعبادة الله وحده.

ثم يحمد الله على ربوبيته بقوله: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾﴾ [الفاتحة: ٢].

فهو الذي خلق الخلق، وأنعم عليهم بالحياة والعقل، والسمع والبصر، والرزق، والأهل، والمال والولد، والأمن والعافية، والرب الذي هذه نعمه هو الذي يستحق الحمد وحده لا شريك له: ﴿فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾﴾ [الجاثية: ٣٦-٣٧].

فهو الرحمن الذي يرحم جميع الخلق، حتى المعرضين عنه أعطاهم الحياة والسمع والبصر، والعافية والعقل: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٧﴾﴾ [غافر: ٧].

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٤٧٧).

وهو الرحيم بالمؤمنين، فهو الرحيم الذي ينعم عليهم بقبول أعمالهم، ويعطيهم الثواب العظيم على العمل القليل: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ ۚ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴿٤٤﴾﴾ [الأحزاب: ٤٣-٤٤].

أنعم الله على المؤمنين بالإيمان في الدنيا، وينعم عليهم بثواب الإيمان في الجنة: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿١٠٨﴾﴾ [الكهف: ١٠٧-١٠٨].

ثم يحمد العبد ربه على ملكه العظيم ليوم القيامة، فيقول: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾﴾ [الفاتحة: ٤].

فكل مظلوم سيأخذ الملك الحق حقه من ظالمه، ويوم القيامة سيزول ملك كل ملوك الدنيا مع أن ملكهم غير حقيقي، والله هو الذي ملّكهم، وكيف يكون أحدهم ملكاً وهو لا يملك أمر نفسه، ولا يقدر أن يدفع عن نفسه المرض أو الموت: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾﴾ [الملك: ١].

وبعض الناس ليس بملك، لكنه مالك لبعض الدنيا من الأموال، وهذا ملك غير حقيقي، لأنه يملك لمدة محدودة، بقدر محدود، فالله أعطاه ما يملكه في الدنيا. فقط، ثم يأخذه منه عند موته ويعطيه لغيره، فهذا ملك غير حقيقي، وإنما هو عبد مملوك، في صورة مالك متصرف.

فلله الحمد الملك المالك للملوك والمماليك وما يملكون: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾﴾ [آل عمران: ٢٦].

ثم يحمد الله على عبادته لله وحده لا شريك له، فيقول: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ [الفاتحة: ٥].

فأعظم إحسان الله إلى عباده أن جعلهم يعبدونه وحده، وأنقذهم من عبادة غيره، وعلمهم ما يعبدونه به، فأرسل إليهم الرسل، وأنزل عليهم الكتب،

وهداهم إليه، وأعانهم على عبادته، فالحمد لله على نعمة الهداية والعلم والعبادة: ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ۝١٥ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝١٦﴾[المائدة:١٥-١٦].

ثم يحمد الله على إعانته له على عبادته، فيقول: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾[الفاتحة:٥].

فالعبد ضعيف لن يطيع ربه إلا بمعونته، فهو الذي يسر له طاعته، وجعل طاعته سبباً لنيل رضوانه وجنته، فلله الحمد أن هدانا للإسلام، وخصنا بعبادته، وأعاننا على عبادته، وقبل منا الطاعات، وأثابنا على ذلك بالجنة: ﴿وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ ۖ فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ۝٧٤﴾[الزمر:٧٤].

ثم يحمد العبد ربه على هدايته، فيقول: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦﴾[الفاتحة:٦].

فشاهد أيها المؤمن أن الله عز وجل هداك، وترك غيرك، ولولا أن الله هداك لكنت من المغضوب عليهم، الذين عرفوا الحق وتركوه من اليهود وغيرهم، أو من الضالين الذين عرفوا الحق وضلوا عنه من النصارى وغيرهم.

فلله الحمد أن أنعم علينا بمعرفة الحق، والعمل به، والدعوة إليه، والثبات عليه: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾ [الفاتحة:٦-٧].

٣- فضائل الحمد والشكر

للحمد والشكر فضائل كثيرة :

الأول: الشكر أعظم مقامات الدين على الإطلاق وهو مقام الأنبياء، والوصول إليه يكون بمداومة الشكر لله عز وجل في كل حال.

وكانالنبي ﷺيقوم الليل حتى تتفطر قدماه فإذا سئل عن ذلك قَالَ: «أَفَلا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا»متفق عليه [١].

والشكر أحد أركان الإحسان التي هي حب الله، وخوفه، والإخلاص له، والتوكل عليه، والتوبة إليه، وتقواه وشكره : ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ ۚ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿١٢﴾﴾[لقمان:١٢].

الثاني : أن الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام هم أول الشاكرين .

فنوح ﷺ كان عبداً شكوراً، كما قال الله عنه: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴿٣﴾﴾ [الإسراء:٣].

وإبراهيم ﷺكان عبداً شكوراً لربه كما قال الله عنه :﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ۚ ٱجْتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾ وَءَاتَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٢٢﴾﴾ [النحل:١٢٠-١٢٢].

وسليمان ﷺكان شاكراً لربه، كما قال الله عنه :﴿ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩﴾﴾[النمل:١٩].

الثالث: أن الله شكور يحب الشكر، ويحب الشاكرين.

---

(١)**متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٤٨٣٦) ومسلم برقم (٢٨١٩).

الرابع : أن الله عز وجل يرضى عن الشكر والشاكرين : ﴿ إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ ﴾[الزمر:٧].

الخامس : أن شكر العبد للرب يتبعه شكر الرب للعبد : ﴿ إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٥٨﴾ ﴾[البقرة:١٥٨].

السادس : أن شكر النعمة يثمر الزيادة : ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾ ﴾[إبراهيم:٧].

السابع : أن الشكر يحفظ العبد من عذاب الله : ﴿ مَّا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَآمَنتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿١٤٧﴾ ﴾[النساء:١٤٧].

الثامن : أن الحمد لله تملأ الميزان يوم القيامة.

قال النبي ﷺ: «والحَمدُ لله تملأُ الميزانَ، وسُبحانَ الله والحَمدُ لله تملأُ ما بين السَّماءِ والأرضِ" أخرجه مسلم (١).

التاسع: أن الحمد لله أعظم من النعمة، فما أنعم الله على عبد بنعمة فحمد الله عليها إلا كان حمده لله نعمة من الله أكبر من النعمة الأولى .

إن النعمة المادية تفنى في الدنيا، وثواب الحمد يبقى في الجنة، كما قال سبحانه عن أهل الجنة : ﴿ دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠﴾ ﴾[يونس:١٠].

العاشر: قال عز وجل : ﴿ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ اللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾[النحل:٩٦].

أن شكر العبد لربه نعمة تحتاج إلى شكر جديد، فالحمد لله نعمة من الله تستوجب من العبد أن يحمد الله الذي أنعم عليه بها، فالحمد لله نعمة أكبر من نعم الدنيا، لأن نعم الدنيا لا تبقى، وثواب الحمد لا يفنى، والعبد لا يكون شاكراً

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٦٩٤) .

لمولاه إلا إذا استعمل نعمه في رضاه: ﴿ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ١٣﴾ [سبأ: ١٣].

وكيفية شكر العبد لربه أن يستعمل العبد قلبه في حمد الله، وشكره، والرضى عنه، وشهود نعم الله عليه، والإقرار بها لله، وتعظيم الله بها، والافتقار إلى الله بها، ويستعمل العبد لسانه في شكر الله، وحمده، وتمجيده بالثناء عليه، ودوام ذكره فيقول: الحمد لله رب العالمين، أو اللهم لك الحمد والشكر ونحو ذلك: ﴿وَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي لَمۡ يَتَّخِذۡ وَلَدٗا وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٞ فِي ٱلۡمُلۡكِ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ وَلِيّٞ مِّنَ ٱلذُّلِّۖ وَكَبِّرۡهُ تَكۡبِيرَۢا ١١١﴾ [الإسراء: ١١١].

ويستعمل العبد بدنه في صرف النعم في طاعة الخالق، ومعونة الخلق، وقضاء حوائجه وحوائجهم، ويستعمل ماله في الإنفاق في سبيل الله: ﴿۞وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤﴾ [آل عمران: ١٣٣-١٣٤].

ومن غفل عن استحضار أن النعم من الله جل جلاله استعملها في معصيته، ومن استحضر أن النعم كلها من عند الله وحده أحب ربه، وانقادت جوارحه لعبادته، وخضع بقلبه وجوارحه لمن أنعم عليه، وهو مع ذلك لا يرى نفسه قد قام بحق الله أبداً: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤۡتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمۡ وَجِلَةٌ أَنَّهُمۡ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ رَٰجِعُونَ ٦٠ أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَهُمۡ لَهَا سَٰبِقُونَ ٦١﴾ [المؤمنون: ٦٠-٦١].

ومن أعظم الشكر شكر الله على البلاء، لما يرى فيه العبد من تكفير السيئات، ورفعة الدرجات، وحسن العاقبة في الجنة، وما يحصل للعبد من انكسار القلب، ويسر العبادة في الدنيا، ولما يرى فيه من حكمة الله البالغة، وقدرته النافذة، وغناه عن خلقه، وافتقار جميع خلقه إليه: ﴿وَلَنَبۡلُوَنَّكُم بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلۡخَوۡفِ وَٱلۡجُوعِ وَنَقۡصٖ مِّنَ

ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ ﴿١٥٧﴾﴾[البقرة:١٥٥-١٥٧].

وشهود ذلك كله في القلب يزيد الإيمان، وزيادة الإيمان عند البلاء هي أعظم العطاء: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ يَهۡدِ قَلۡبَهُۥۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴿١١﴾﴾[التغابن:١١].

فهذا العبد قد صار البلاء في حقه عطاء، فليكثر الحمد والثناء على ربه الذي خصه بهذا البلاء: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوۡلَىٰنَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴿٥١﴾﴾[التوبة:٥١].

فالله قدر عليه البلاء، لأنه أحب أن يسمع من عبده الدعاء والتضرع بين يديه، وما قدر عليه البلاء إلا عن سبق في علمه أنه من الأصفياء: ﴿وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لِّيَقُولُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنۢ بَيۡنِنَآۗ أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِأَعۡلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٥٣﴾﴾[الأنعام:٥٣].

٤ - أركان الحمد والشكر

الحمد والشكر لله عز وجل عبادة قلبية من أعظم العبادات، ولها أربعة أركان:

الأول: الاعتراف بالنعمة أنها من عند الله وحده لا شريك له، كما قال سبحانه: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ ﴿٥٣﴾﴾ [النحل:٥٣].

فأول شكر النعمة الاعتراف بأنها من عند الله عز وجل.

قال النبي ﷺ: «اللَّهُمَّ أنْتَ رَبِّي لا إلَهَ إلَّا أنْتَ، خَلَقْتَنِي وأنا عَبْدُكَ، وأنا علَى عَهْدِكَ ووَعْدِكَ ما اسْتَطَعْتُ، أعُوذُ بكَ مِن شَرِّ ما صَنَعْتُ، أبُوءُ لكَ بنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وأَبُوءُ لكَ بذَنْبِي فاغْفِرْ لِي، فإنَّه لا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إلَّا أنْتَ» أخرجه البخاري [1].

فمن لم يشعر بالنعمة، ويعترف بها أنها من ربه، كيف يشكرها؟: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴿١٩﴾﴾ [محمد:١٩].

الثاني: نسبة النعمة إلى من أنعم بها، وهو الله وحده: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ ﴿٥٣﴾﴾ [النحل:٥٣].

الثالث: الرضى بالنعمة، والثناء على الله بها، لأن الله هو الذي خلق النعم، وقسم الأرزاق بين الخلق وحده لا شريك له: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴿٣٠﴾﴾ [الإسراء:٣٠].

ومن الرضى بالنعمة محبة من أنعم بها، والخضوع له، وشكره والثناء عليه بالنعمة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾﴾ [البقرة:١٧٢].

الرابع: بذل النعمة في طاعة الله، وفيما يحبه الله ويرضاه.

فإذا علم العبد أن النعمة من عند الله صرفها في طاعة الله، فيستعمل ما علّمه الله في تعليم عباده، ويستعمل صحته في أداء العبادات، وفي الدعوة إلى

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٦٣٠٦).

الله، والجهادفيسبيل الله، وإقامة الصلوات، ويستعمل نعمة المال في الإنفاق في سبيل الله، وتفريج الكربات: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾[الأنفال:٢-٤].

وقال عز وجل: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُواْ عِبَادًا لِّي مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُواْ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾﴾[آل عمران:٧٩].

وكما نشكر الله على نعمه التي لاتعد ولا تحصى، فكذلك يجب أن نشكر الناس الذي جعلهم الله سبباً في وصول تلك النعمة إلينا.

قال النبي ﷺ: «مَنْ صَنَعَ إِلَيكُمْ مَعْرُوفًا فَكَافِئُوهُ، فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا مَا تُكَافِئُونَهُ فَادْعُوا لَهُ حَتَّى تَرَوْا أَنَّكُمْ قَدْ كَافَأْتُمُوهُ» أخرجهالبخاري في الأدب المفرد وأبو دادو [1].

وقال النبي ﷺ: «من صُنعَ إليهِ معروفٌ فقالَ لفاعلهِ جزاكَ اللهُ خيرًا فقد أبلغَ في الثَّناءِ» أخرجهالنسائي والترمذي [2].

وأركان الحمد والشكر في البدن ثلاثة:

حمد باللسان، وهو أن يثني العبد بلسانه على ربه الواحد الأحد.

وحمد بالقلب، وهو أن تعلم أن من أنعم عليك هو الله، وأن الذي يعطي ويمنع هو الله وحده.

وحمد بالجوارح، وهو أن تسخر طاقتك وأعضائك في عبادة ربك الواحد الأحد: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرْكَعُواْ وَٱسْجُدُواْ وَٱعْبُدُواْ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُواْ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾﴾[الحج:٧٧].

---

(١) صحيح، أخرجه البخاري في الأدب المفرد برقم (٢١٦) وأبو داود برقم (٥١٠٩).

(٢) صحيح، أخرجه النسائي برقم (١٠٠٠٨) والترمذي برقم (٢٠٣٥).

٥ - الأسباب المعينة على الحمد والشكر

الأول: العلم بأن من أسماء الله الحسنى الشاكر والشكور والحميد، وأن الشكر من صفات الله عز وجل، والله يحب من عباده أن يتصفوا بصفاته: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [الأعراف:١٨٠].

فالله عز وجل شكور يحب الشكر، وأهل الشكر، مؤمن يحب الإيمان، وأهل الإيمان، والله عز وجل هو الشكور الذي يشكر القليل من العمل، ويكافئ عليه بالأجور العظيمة، ويكرم عباده بالأجور العظيمة بلا عمل منهم كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَـٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾﴾ [النساء:٤٠].

وهو سبحانه الشاكر الذي يقبل شكر عباده رغم تقصيرهم، ويغفر لهم الكثير من الزلل كما قال سبحانه: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾ عَـٰلِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ ۖ وَحُلُّوٓا۟ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢١﴾ إِنَّ هَـٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَآءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا ﴿٢٢﴾﴾ [الإنسان:٢٠-٢٢].

وقال النبي ﷺ: «إنَّ اللهَ ليَرضى مِن العبدِ أن يأكُلَ الأكلَةَ فيحمَدَهُ عليها، ويشرَبَ الشَّربَةَ فيحمَدَهُ عليها» أخرجه مسلم [(١)].

فمن عرف ربه باسمه الشكور الشاكر الحميد سارع إلى شكره وحمده بقلبه ولسانه وجوارحه: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾﴾ [محمد:١٩].

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٧٣٤).

الثاني : العلم بكمال أسماء الله الحسنى، وصفاته العلا، يستدعي من العبد حمد ربه وشكره على كمال ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله : ﴿فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾﴾ [الجاثية:٣٦-٣٧].

فالتفكر في عظمة ملك الله وخلقه ورزقه، والتفكر في كمال ربوبيته ووحدانيته، والتفكر في كمال حياته وصمديته، والتفكر في كمال جماله وجلاله ومجده، والتفكر في كمال بره وكرمه وإنعامه، والتفكر في كمال رحمته ولطفه، والتفكر في إنعامه وفضله وإحسانه، والتفكر في عفوه وحلمه ومغفرته، كل ذلك يدعو العبد إلى دوام ذكر ربه، وشكره وحمده :﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾﴾[محمد:١٩].

الثالث : العلم بكمال أفعال الله عز وجل، والتفكر في عظيم إحسان الله إلى الخلق، يستدعي من العبد أن يحمد ربه ويشكره على نعمه التي لا تعد ولا تحصى : ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١﴾ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۚ وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾﴾[سبأ:١-٢].

والله تعالى غني كريم حليم يرزق جميع خلقه برهم وفاجرهم، ولا يمنع إحسانه إلى خلقه، رغم أن أكثرهم يكفرون به،ويشركون به، ولا ينتهون عن معصيته: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾﴾ [البقرة:٢٤٣].

وقال النبي ﷺ: «لَا أَحَدَ أَصْبَرُ عَلَى أَذًى يَسْمَعُهُ مِنَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ ، إِنَّهُ يُشْرَكُ بِهِ ، وَيُجْعَلُ لَهُ الْوَلَدُ ، ثُمَّ هُوَ يُعَافِيهِمْ وَيَرْزُقُهُمْ» متفق عليه (١).

فهو سبحانه الرزاق الذي يرزق خلقه الأموال والزوجات والأولاد، ويرزقهم القصور والدور، والعافية والأمن :﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾﴾ [الذاريات:٥٨].

وقال عز وجل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾﴾[البقرة:٢٤٣].

وهو سبحانه المحسن الذي يحسن إلى العبد حين يضن على نفسه، ويختار له ما ينفعه حين لا يعلم العبد ما الذي ينفعه أو يضره، وهو الذي يرزق العبد قبل أن يسأله : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿٣٠﴾﴾ [الإسراء:٣٠].

وإذا أحسن العبد ضاعف الله ثوابه، وإذا أساء أمهله ليتوب إليه، فإن تاب قبل توبته، فإن أصر على معصيته ابتلاه، ليكسر علوه وتكبره، فإذا ذل له، وندم على التفريط، جبره وأكرمه وتاب عليه ثم قبل توبته :﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُوا۟ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٢٥﴾﴾[الشورى:٢٥].

فإن تاب هذا العبد توبةً نصوحاً تاب الله عليه، وبدل الله سيئاته حسنات، وأدخله الجنة، وحفظه من النار :﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ

(١)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٠٩٩) ومسلم برقم (٢٨٠٤) .

ﭐلۡقِيَٰمَةِ وَيَخۡلُدۡ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلٗا صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٖۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿٧٠﴾﴾ [الفرقان:٦٨ - ٧٠].

فلله الحمد كثيراً كما ينعم كثيراً، وكما يعطي كثيراً، وكما يرحم كثيراً: ﴿هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [غافر:٦٥].

الرابع: العلم بعظمة نعم الله على خلقه يستدعي منهم الحمد والشكر لربهم في كل حال على نعمه التي لا تعد ولا تحصى: ﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلۡتُمُوهُۚ وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَظَلُومٞ كَفَّارٞ ﴿٣٤﴾﴾ [إبراهيم:٣٤].

فالله هو الكريم الذي أنعم علي وعلى غيري، وأعطاني خيراً، وصرف عني شراً، وأعطاني ما ينفعني، وصرف عني ما يضرني، وهو الذي هداني للإيمان، وزينه في قلبي، ويسر لي عبادته وحده، ووعدني على ذلك الجنة: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمۡ رَسُولَ ٱللَّهِۚ لَوۡ يُطِيعُكُمۡ فِي كَثِيرٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ لَعَنِتُّمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ وَكَرَّهَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكُفۡرَ وَٱلۡفُسُوقَ وَٱلۡعِصۡيَانَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ﴿٧﴾ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعۡمَةٗۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴿٨﴾﴾ [الحجرات:٧-٨].

فلله الحمد والشكر على نعمه التي لا تعد ولا تحصى، وعلى نعمه الظاهرة والباطنة: ﴿أَلَمۡ تَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَأَسۡبَغَ عَلَيۡكُمۡ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةٗ وَبَاطِنَةٗۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَلَا هُدٗى وَلَا كِتَٰبٖ مُّنِيرٖ ﴿٢٠﴾﴾ [لقمان:٢٠].

وكما ملأ الله الكون لنا بنعمه التي لا تعد ولا تحصى، فيجب أن نملأ الكون بحمد الله وشكره على نعمه التي لا تعد ولا تحصى، فالحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، ملء السماء، وملء الأرض، وملء ما شئت من شيء بعد: ﴿هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [غافر:٦٥].

الخامس: التفكر في غنى الرب جل جلاله عما سواه، وفقر العبد إلى ربه في كل حال، يستدعي من العبد الإكثار من حمد الله وشكره بقلبه ولسانه وجوارحه، فلا حول ولا قوة إلا بالله وحده، وله الحمد في الأولى والآخرة: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١﴾﴾ [الأنعام:١].

وقال الله عز وجل: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ﴿١﴾﴾ [الكهف:١].

السادس: سؤال الله العون على ذكره وشكره وحسن عبادته، فالله كريم لا يرد سائلاً، ولا يخيب مؤملاً: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [غافر:٦٠].

٦ - تفاوت الناس في الحمد والشكر

الناس في شكر الله وحمده ثلاثة أصناف:

الأول: المؤمنون، فالمؤمن يشكر ربه على نعمة الدين، ونعم الدنيا، وأعظم نعم الله التي تستحق أعظم الشكر هي نعمة الهداية للتوحيد والإيمان، ونبذ الشرك كما قال الله عن أوليائه: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ ۖ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ ۖ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ ۖ وَنُودُوا أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾﴾[الأعراف:٤٣].

الثاني: عامة الناس يشكرون الله على نعم الدنيا فقط، ولا يشعرون بنعمة الدين: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا ۖ قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم ۖ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٧﴾﴾[الحجرات:١٧].

وقال عز وجل: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ۚ﴾[المائدة:٣].

الثالث: أكثر أهل الأرض من الكفار والمشركين لا يعرفون الرب، ولا يقرون بوجوده، ولا يعبدونه، ولا يشكرونه: ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾﴾[يوسف:١٠٣].

وأكثر الناس غافلون عن الشكر، لأنهم يرون نعم الله متواترة عليهم، فلا يشعرون بها إلا عند فقدها: ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ ﴿٩٢﴾﴾[يونس:٩٢].

أليس الإنسان يتقلب في نعم الله الظاهرة والباطنة كل يوم صباحاً ومساءً؟

فالهواء نعمة، لولاها لمات الناس، والعافية نعمة، والسمع نعمة، والبصر، والعقل نعم عظيمة، والطعام والشراب نعمة، والكلام نعمة، والرزق نعمة، والهداية للإيمان أعظم نعمة: ﴿وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ۗ إِنَّ الْإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾﴾[إبراهيم:٣٤].

أما يستحي العبد من ربه أن يتقلب في هذه النعم العظيمة في كل وقت ولا يشكر ربه عليها؟

أما يخاف أن تسلب منه في الدنيا، ويسأل عنها يوم القيامة؟ .

﴿وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ أَنتُمۡ قَلِيلٞ مُّسۡتَضۡعَفُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمۡ وَأَيَّدَكُم بِنَصۡرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ٢٦﴾[الأنفال:٢٦].

فلا إله إلا الله ما أجهل أكثر الخلق بنعم الله التي لا تعد ولا تحصى، وما أقل شكرهم لربهم عليها :﴿ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ١٣﴾ [سبأ:١٣].

إن الابتلاء بالمصائب من نعم الله على خلقه، فالله سبحانه خلق المرض لكي نشكره على نعمة العافية،وخلقالخوف لكي نشكره على نعمة الأمن،وخلق الكفر لكي نشكره على نعمة الإسلام، وخلق المعاصي لكي نشكره على نعمة الطاعات، فالله حكيم لطيف بعباده، رحيم بهم، يسوقهم بأفعاله وأقداره إلى ما ينفعهم ويسعدهم في الدنيا والآخرة : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ ٢٤٣﴾[البقرة:٢٤٣].

فلله الحمد والشكر على عظمة جماله وجلاله وحسن تدبيره، وله الحمد والشكر على كل أفعاله وأقداره، وخلقه وأمره :﴿ هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦٥﴾[غافر:٦٥].

٧- جزاء أهل الحمد والشكر

الأول: رضا الله عز وجل عن الشاكر.

قال النبي ﷺ: «إِنَّ اللهَ لَيَرضى مِن العبدِ أن يأكُلَ الأكلَةَ فيحمَدَهُ عليها ويشرَبَ الشَّربَةَ فيحمَدَهُ عليها» أخرجه مسلم [1].

الثاني: أن الله يزيد الشاكر من فضله كلما شكر ربه عز وجل: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ۝٧﴾[إبراهيم:٧].

الثالث: الفوز بالنعيم في الجنة، فالله يجزي عباده الشاكرين الجزاء الأوفى، وهو أن يعطي الله عبده الشاكر حتى يقول حسبي يارب: ﴿جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا ۝٣٦﴾[النبأ:٣٦].

فليبشر كل شاكر لربه بنعم لم ترها عينه، ولم تسمعها أذنه، ولم تخطر على قلبه: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝١٧﴾[السجدة:١٧].

وقال عز وجل: ﴿وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلْـَٔاخِرَةِ نُؤْتِهِۦ مِنْهَا ۚ وَسَنَجْزِى ٱلشَّٰكِرِينَ ۝١٤٥﴾[آل عمران:١٤٥].

وقال عز وجل: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُوا۟ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُوا۟ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝٢٥﴾[البقرة:٢٥].

وقال عز وجل عن أهل الجنة: ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ۝٣٥﴾[ق:٣٥].

وهذه الدنيا دار الابتلاء والفتن، وفتنة السراء أعظم من فتنة الضراء

الأولى تستوجب الشكر أكثر.. والثانية تستوجب الصبر أكثر

فالشكر عبادة قلبية عظيمة، والصبر عبادة قلبية عظيمة، والله يحب الشاكرين، يحب الصابرين.

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٧٣٤)..

وفتنة السراء يلازمها التكبر،والطغيان،والاغترار بالنعمة، وهذا غالباً يصرف العبد عن الشكر إلا من رحم الله :﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَيَطۡغَىٰٓ ٦ أَن رَّءَاهُ ٱسۡتَغۡنَىٰٓ ٧ ﴾ [العلق:٦ -٧].

أما فتنة الضراء فيلازمها البلاء، والبلاء يلازمه الانكسار والافتقار، وهذا يسهل الصبر على العبد :﴿ فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ وَلَا يَسۡتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ٦٠ ﴾[الروم:٦٠].

وجحد النعم عكس شكرها، والجحد نوع من الكفر، لأنه تغطية للنعمة، وعدم الاعتراف بها لمن أنعم بها، وعدم نسبتها إلى من أنعم بها، وعدم استعمالها في طاعة الله، وهذا كفر :﴿ ۞ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ كُفۡرٗا وَأَحَلُّواْ قَوۡمَهُمۡ دَارَ ٱلۡبَوَارِ ٢٨ جَهَنَّمَ يَصۡلَوۡنَهَاۖ وَبِئۡسَ ٱلۡقَرَارُ ٢٩ ﴾[إبراهيم:٢٨ -٢٩].

فيجب على الناس شكر النعمة، وعدم جحدها :﴿ فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِي وَلَا تَكۡفُرُونِ ١٥٢ ﴾[البقرة:١٥٢].

ومن جحد النعمة أن يقول الإنسان أوتيت هذا المال بسبب علمي وذكائي وخبرتي وشهادتي،كما قال قارون:﴿ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓۚ ﴾[القصص:٧٨].
فكانت عقوبته :﴿ فَخَسَفۡنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلۡأَرۡضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٖ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُنتَصِرِينَ ٨١ ﴾[القصص:٨١].
أو يقول أحياناً لقد ورثت هذا المال كابراً عن كابر، يتفاخر بآبائه وأجداده وما كان من لعاعة الدنيا، أو يقول إن الله أعطاني النعم، لأنه يعلم أني أستحقها: ﴿ وَلَئِنۡ أَذَقۡنَٰهُ رَحۡمَةٗ مِّنَّا مِنۢ بَعۡدِ ضَرَّآءَ مَسَّتۡهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِي وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةٗ وَلَئِن رُّجِعۡتُ إِلَىٰ رَبِّيٓ إِنَّ لِي عِندَهُۥ لَلۡحُسۡنَىٰۚ ﴾[فصلت:٥٠].

أو يقول إن الله يحبني ولذلك أعطاني، ولولا كرامتي عنده ما أعطاني، وغير ذلك مما يقول أهل الجهل والسفهوالكفر :﴿ فَأَمَّا ٱلۡإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبۡتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكۡرَمَهُۥ

وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَكۡرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبۡتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيۡهِ رِزۡقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَهَٰنَنِ ﴿١٦﴾ كَلَّاۖ بَل لَّا تُكۡرِمُونَ ٱلۡيَتِيمَ ﴿١٧﴾ وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلۡمِسۡكِينِ ﴿١٨﴾ وَتَأۡكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ أَكۡلٗا لَّمّٗا ﴿١٩﴾ وَتُحِبُّونَ ٱلۡمَالَ حُبّٗا جَمّٗا ﴿٢٠﴾﴾ [الفجر: ١٥-٢٠].

فالله حكيم عليم يعطي الدنيا من يحب، ومن لا يحب، ولكنه لا يعطي الدين إلا من يحب، والله سبحانه يجنب عباده المخلصين الدنيا حتى لا ينشغلوا بها عن ذكره،وعبادته، وامتثال أوامره، ولم يعلم هذا الغافل أن الله أعطاه من هذه النعم ليختبره أيطيعه في هذا المال أم يعصيه، ويبتليه لينظر هل يشكر أم يكفر: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴿٣﴾﴾ [العنكبوت: ٢-٣].

وقال سليمان ﷺ: ﴿قَالَ هَٰذَا مِن فَضۡلِ رَبِّي لِيَبۡلُوَنِيٓ ءَأَشۡكُرُ أَمۡ أَكۡفُرُۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشۡكُرُ لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيّٞ كَرِيمٞ ﴿٤٠﴾﴾ [النمل: ٤٠].

والنعم المادية في حق المؤمن متاع تبلغه إلى ما هو خير منها في الجنة، لأنه يشكر النعمة، ويتقوى بها على طاعة الله، ويصرفها في مرضاة الله عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ﴿١٧٢﴾﴾ [البقرة: ١٧٢].

والنعمة في حق الكفار والمشركين متاع غرور، يغتر بها، ويأمن مكر الله، ويظن أنه يمكن أن يستغني بها عن الله، والله يمهله ولا يهمله، حتى إذا اطمأن بها، وغفل عن الله، أخذه الله أخذ عزيز مقتدر، ثم أورثه النار يوم القيامة: ﴿۞ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ كُفۡرٗا وَأَحَلُّواْ قَوۡمَهُمۡ دَارَ ٱلۡبَوَارِ ﴿٢٨﴾ جَهَنَّمَ يَصۡلَوۡنَهَاۖ وَبِئۡسَ ٱلۡقَرَارُ ﴿٢٩﴾﴾ [إبراهيم: ٢٨-٢٩].

ومقصود الشيطان إخراج الناس من النور إلى الظلمات، ومن التوحيد إلى الشرك، ومن الشكر إلى الكفر: ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾﴾ [سبأ:٢٠].

فالشيطان عدو مبين لكل إنسان: ﴿قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾﴾ [الأعراف:١٦-١٧].

اللهم احفظنا من بين أيدينا ومن خلفنا، وعن أيماننا وعن شمائلنا، وأعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك.

﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأعراف:٢٣].

﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٨﴾﴾ [آل عمران:٨].

عبادات القلوب

في ضوء القرآن والسنة

العبادة الخامسة عشرة

عبادة حسن الظن بالله ﷻ

وتشتمل هذه العبادة العظيمة على المباحث الآتية :

الأول: منزلة حسن الظن بالله ﷻ

الثاني: أنواع الظن بالله ﷻ

الثالث: الأسباب المعينة على حسن الظن بالله ﷻ

الرابع: علامات حسن الظن بالله ﷻ

الخامس: مقامات حسن الظن بالله ﷻ

السادس: جزاء حسن الظن بالله ﷻ.

العبادة الخامسة عشرة

عبادة حسن الظن بالله عز وجل

١ - منزلة حسن الظن بالله ﷻ

حُسن الظنّ بالله ﷻ من أعظم العبادات القلبية، وحسن الظنّ بالله أن تعتقد أن الله ما منعك إلا ليعطيك، وما ابتلاك إلا ليعافيك ويرقّيك، وأنه أرحم بك من نفسك: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝٦٥﴾ [الحج:٦٥].

وأعظم حسن الظن بالله أن تفرح بالطاعات، وتستبشر بها، وتظن أن الله سيدخلك بها الجنة، ليس بسبب عملك؛ وإنما برحمة الله الذي يسّر لك بها الطاعة: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ۝٥٨﴾ [يونس:٥٨].

ومن لوازم حسن الظنّ بالله ﷻ المداومة على طاعته، والإكثار من ذكره وحمده وشكره، والمداومة على التوبة والاستغفار، وإساءة الظنّ بالنفس، وانتظار الفرج من الرحمن الرحيم: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ۝١٦٣﴾ [البقرة:١٦٣].

وحسن الظن بالله ﷻ من مقتضيات الإيمان بأسماء الله الحكيم والخبير، ومن آثار الإيمان بأسماء الله الرحمن، الرحيم، الرءوف، الودود، البر، الكريم، المحسن: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝١٨٠﴾ [الأعراف:١٨٠].

فالله ﷻ حكيمٌ في أفعاله، خبيرٌ بعباده، يوصِل الأرزاق إلى كل من خلق، ويذكرهم جميعًا، ولا ينسى أحدًا، سواءً أطاعه أو عصاه، لأنه لا رازق للخلق سواه: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ۝٥٧﴾ [الذاريات: ٥٦ – ٥٧].

وهو الرحمن الرحيم الذي وسعت رحمته كل شيء، وتفضل بالنعم على كل أحد بلا عِوض: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ۝٥٣﴾ [النحل: ٥٣].

وهو سبحانه الودود الذي تودد إلى عباده بأنواع الإحسان والإكرام والنِّعم، ليُحبوه ويعبدوه، ويُحسنوا الظنّ به ويَرجوه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَـٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَـٰرَةً لَّن تَبُورَ ۝٢٩ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ۝٣٠﴾ [فاطر: ٢٩-٣٠].

وهو سبحانه البَرّ الكريم المحسن إلى عباده بكل ما يُسعدهم في الدنيا والآخرة: ﴿إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ ۝٢٨﴾ [الطور: ٢٨].

وهو سبحانه القوي العزيز الذي ينتقمُ من المجرمين، ويردّ عمل المُرائين، لأن كفرهم بربهم، وإشراكهم به، وإعراضهم عن طاعته، وصدهم عن سبيله، كل ذلك يُبطِل حسن ظنّهم بربهم، ويوقِعَ العقوبة بهم، فمن أحسنَ الظن بالله ﷻ نال رضوانه وثوابه، ومن أساء الظن بربه استحق سخطه وعقوبته: ﴿لِّيُدْخِلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ ٱللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا ۝٥ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ وَٱلْمُنَـٰفِقَـٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَـٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ۝٦﴾ [الفتح: ٥-٦].

فهؤلاء لو أحسنوا الظن بالله ﷻ لآمنوا به، وعبدوه وحدَه، ولم يلتفتوا لأحدٍ سواه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّوا۟ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَـٰتِنَا غَـٰفِلُونَ ۝٧ أُو۟لَـٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ۝٨ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَـٰنِهِمْ ۖ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَـٰرُ فِى جَنَّـٰتِ ٱلنَّعِيمِ ۝٩﴾ [يونس: ٧-٩].

٢ - أنواع الظنّ بالله ﷻ

الأول: حسن الظن بالله ﷻ:

وهو ظنُّ المؤمن الذي آمن بالله، وأحسن الظن به، واستبشر بطاعته، وفرح بها، وداوم عليها، والطاعات تُرضي الرحمن، وإذا رضي الرحمن أرضى عبده بالنعيم والإكرام.

ومن أقامه الله في طاعته، وحبَّب إليه عبادته، فقد أعدّه الله لنيلِ كرامته.

وهذا هو الظنّ الصادق بالله ﷻ، وحسن الظن بالله يُثمر للعبد أنواع العبادات والطاعات و القربات، والاستكثار منها، والمداومة عليها، والفرح بها: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴿٦١﴾﴾ [المؤمنون:٥٧-٦١].

الثاني: ظنُّ المغرور:

وهو صاحب العمل القليل، الذي يظن أنه قد أدّى كل ما عليه من واجباتٍ وزيادة، ويرى أعماله كالجبل، ويعتقد أنها ستُقبل، فيمُنُّ بها على الله ﷻ، كما قال سبحانه: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا۟ ۖ قُل لَّا تَمُنُّوا۟ عَلَىَّ إِسْلَٰمَكُم ۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾﴾ [الحجرات:١٧].

الثالث: ظنّ الجاهلية:

وهو إساءة الظنّ باللهﷻ، واعتقاد أنّ الله لن يقبل عمل عبده، ولن يُدخله الجنّة، ولن يَنصر دينه، وسيجعل الهزيمة لأوليائه، نعوذ بالله العظيم من هذا الظن السيئ برب العالمين.

وهذا الظن من الإلحاد في أسماء الله وصفاته وأفعاله، لأن معاني أسماء الله وصفاته وأفعاله توجِب عكس ذلك من عدل الله ورحمته، وإحسانه وإكرامه لأوليائه، ونصرة أوليائه، وخذلان أعدائه.

وهذا ظنّ الكفار، والمشركين، والمنافقين، وسينالهم عذاب الله على سوء ظنهم

بالله: ﴿وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [فصلت:٢٣].

وقال الله عز وجل: ﴿وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٦﴾﴾ [الفتح:٦].

الرابع: سوء ظن المسرفين على أنفسهم بالمعاصي:

فيظن الواحد منهم أن الله لن يغفر له إذا تاب، لأنه غرِق في المعاصي، واستبْعَدَ أن يغفر الله له، وظنَّ أن رحمة ربه لن تسع إلا الطائعين من خلقه، وهذا يدفعه القنوط واليأس من رحمة الله إلى التمادي في العصيان، وهذا من سوء الظن بأرحم الراحمين: ﴿۞ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾ [الزمر:٥٣].

الخامس: سوء ظنّ ضعيف الإيمان بالله ﷻ:

وهو الذي يظن أن الله لن ينصر أولياءه، وسيجعل الدائرة والغلبة لأعدائه، خاصة إذا رأى الأعداء لهم القوة والغلبة في الأرض: ﴿يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَىْءٍ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ﴾ [آل عمران:١٥٤].

السادس: سوء ظنّ صاحب البدعة:

وهو الذي يظن السوء بصفات الله ﷻ، وأن صفاته تشبه مخلوقاته، فيظن أن الله غيْرُ كامل القدرة، وغيرُ عظيم الرحمة، وغيرُ واسع المغفرة، فيُعطّل صفات الله ﷻ، ويشبّه الخالق بالمخلوق، والله عز وجل يقول: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى:١١].

وهذا كله سوء ظنٍّ بالله سببه الجهل بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله، فالله هو الواحد الأحد الذي ليس كمثله أحد: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾ [الإخلاص:١-٤].

فحسنُ الظن بالله ﷻ عبادة قلبية تُثمر كلَّ خيرٍ وفلاحٍ في الدنيا والآخرة، وتُثمر

أنواع الطاعات و القُربات، وسوء الظنّ بالله سبب كلّ شرٍّ وشقاء في الدنيا والآخرة.

والأصل هو حسن الظنّ بالله ﷻ، وحسن الظنّ بالناس، وأخذ الناس بالظاهر، ونَكِلَ سرائرهم إلى من يعلم الظاهر والباطن :﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلۡأَرۡضِۖ يَعۡلَمُ سِرَّكُمۡ وَجَهۡرَكُمۡ وَيَعۡلَمُ مَا تَكۡسِبُونَ ۝٣﴾[الأنعام:٣].

وحسن الظن بالناس يفتح أبواب التعاون على البِرّ والتقوى، ويُثمر الطمأنينة والأمن، ويؤلّف القلوب، ويفتح الآذان والقلوب لسماع الدعوة إلى الله، وقبول النصيحة، وحُسنِ المعاشرة، ونحو ذلك من الفضائل:﴿وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرۡحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ۝٧١﴾[التوبة:٧١].

وسوء الظنِّ بالناس يُولِّد ثمان آفات، فينشأ عن سوء الظنّ بالناس:

كثرة الغيبة، والنميمة، ثم التحسس، والتجسس، ثم التباغض، والتقاطع، ثم التدابر، والتقاتل:﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۝١١ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمۡ أَن يَأۡكُلَ لَحۡمَ أَخِيهِ مَيۡتٗا فَكَرِهۡتُمُوهُۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٞ رَّحِيمٞ ۝١٢﴾[الحجرات:١١-١٢].

وقال النبيﷺ: «لا تحاسدوا ولا تناجَشُوا ولا تباغَضُوا ولا تدابَرُوا، ولا يَبِعْ بعضُكم على بَيْعِ بعض، وكونوا عبادَ الله إخوانًا، المُسلم أخو المُسلم لا يَظْلِمُهُ، ولا يَحْقِرُهُ، ولا يَخْذِلُهُ» أخرجه مسلم (١).

(١)أخرجه مسلم برقم (٢٥٦٤) .

٣- الأسباب المعينة على حسن الظنّ بالله ﷻ

الأول: العلم بأسماء الله الحسنى، وصفاته العُلا، وأفعاله الحميدة، ونُعوتِه الجميلة، فمن عرف ذلك أحسن الظنّ بربه، وأحبّه ومجّده، وطمع في رحمته ومغفرته، ورجا إحسانه وثوابه، وخاف من عقوبته وعذابه: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴿١٩﴾﴾ [محمد:١٩].

الثاني: مطالعة آثار رحمة الله، وإحسانه إلى خلقه، في كلّ زمان ومكان .

فالله هو الذي خلقهم، ورزقهم، وأرسل إليهم الرسل، وأنزل عليهم الكتب، ليؤمنوا به، ويوحّدوه، ويطيعوه، ويشكروه، ويحبوه، ومن رأى ذلك أحسن الظنّ بربه الرحمن الرحيم، وطمع في رحمته، وأطاع أمره، ورجا رحمته، والفوز بجنته: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾﴾ [البقرة:١٦٣].

الثالث: رؤية نعم الله التي لاتُعدّ ولا تُحصى، وأنه يأكل منها المؤمن والكافر، والمطيع والعاصي، على حدٍ سواء، ومن رأى ذلك أحسن الظنّ بربه، فزاد شكره لله، وزاد حبه لله: ﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ۗ إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾﴾ [النحل:١٨].

وقال ﷻ: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ۗ إِنَّ الْإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾﴾ [إبراهيم:٣٢-٣٤].

الرابع: أن نعلم أن من قال لا إله إلا الله مخلصًا من قلبه، وعمل بموجب ذلك، دخل الجنّة، ونجا من النّار .

قال النبي ﷺ: «إن الله قد حرّم على النّار من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله» أخرجه البخاري (١).

---

(١) أخرجه البخاري برقم (١١٨٦).

٤ - علامات صِدقُ حسنِ الظنّ بالله عَزَّ وَجَلَّ

الأولى: إحسان الظنّ بالله عز وجل، لكمال ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، وإساءة الظنّ بالنفس، لأنها أمارة بالسوء: ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٥٣﴾ [يوسف:٥٣].

فالمؤمن حقًا يرى كلّ أعماله الصالحة تفضُلًا من ربه عليه، فهو الذي خلقه، وخلق فيه القدرة على العمل، وخلق فيه العمل الصالح، وحببه إليه، وأعانه على فعله، وقبِله منه، وأثابه عليه: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيۡهِ تَجۡـَٔرُونَ ٥٣﴾ [النحل:٥٣].

والعبد إنما يجتهدُ في إحسان العمل، ويعترفُ بتقصيره، ثم يطلب من ربه قبوله على الرغم من نقصه وقلّته: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤۡتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمۡ وَجِلَةٌ أَنَّهُمۡ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ رَٰجِعُونَ ٦٠ أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَهُمۡ لَهَا سَٰبِقُونَ ٦١﴾ [المؤمنون:٦٠-٦١].

فهذا الذي يَقبل الله عمله، ويُضاعف أجره، ويعفو عن زلته .

فعليك يا عبد الله بالتوبة والاستغفار من كلّ ذنب، وعدم الاتكال على العمل، مع الاجتهاد في حسان العمل، فإن حقَّ الله عظيم، وظُلمَ النفسِ خطير: ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٥٣﴾ [يوسف:٥٣].

فالمؤمن لا يرى نفسه إلّا مُقصّرًا ومخطئًا ومذنبًا، رغم اجتهاده في الطاعة، فهو يعمل ويجتهد ويرى بضاعته بضاعةً قليلةً مُزجاة، رديئة الإتقان، ناقصة الإخلاص، فلا يسعه إلا أن يقول: ﴿رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٢٣﴾ [الأعراف:٢٣].

وقال النبي ﷺ: «اللهم اغفر لي خطيئتي وجهلي وإسرافي في أمري وما أنت أعلم به مني، اللهم اغفر لي هزلي وجدي وخطأي وعمدي وكل ذلك عندي» متفق عليه (١).

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٣٩٩) ومسلم برقم (٢٧١٩) .

وإذا كان رسول الله ﷺ يقول هذا وهو أعبدُ الناس لربه، وهو المعصوم الذي غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فكيف بنا نحن؟ هل خلصت أعمالنا من شوائب الرياء، ورؤية النفس، والعُجبْ، والمنّ على الله، وعلى خلقه: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ۝١٧﴾ [الحجرات:١٧].

وهل أدّينا أعمالنا على السُنّة، أم للنفس فيها هوىً؟!

فإن سَلِمَ عملنا من ذلك كلّه، فيا لقلّته إلى جانب المجتهدين، ويا لتأخره إلى جانب المسرعين إلى الله: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ۝١٠ أُولَٰئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ۝١١ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ۝١٢ ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ ۝١٣ وَقَلِيلٌ مِّنَ الْآخِرِينَ ۝١٤﴾ [الواقعة:١٠-١٤].

الثانية: المداومة على الأعمال الصالحة، فرْضها ونفْلها.

فمن أحسن الظنّ بالله ﷻ أسرع إلى طاعته، ومن أحسن الظنّ بالله، ولم يسارع إلى طاعته، فهو كاذب، فإن من أحسن الظنّ بربه أحسن له العمل، فمن ظنّ في ربه الخير ذكره في نفسه خاليًا، فدمعت عيناه، وذكره في الناس واعظًا فعلّم الهُدى، وتقرّب إلى الله مسارعًا لينال رضاه كالأنبياء: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ۝٩٠﴾ [الأنبياء:٩٠].

فحُسن الظنّ بالله ﷻ هو الدافع لفعل الطاعات، واجتناب المعاصي، ودوام التوبة والاستغفار، وكثرةِ الذّكر والحمد، والعطاء والشكر: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ۝٤﴾ [الأنفال:٢-٤].

وقال النبي ﷺ: «قال الله تعالى أنا عندَ ظنّ عبدي بي، وأنا معه حين يذكُرني، فإن ذكَرني في نفسِه، ذكرتُه في نفسي، وإن ذكَرني في ملأٍ، ذكرته في ملأٍ خيرٍ منهم، وإن تقرَّب مني شبرًا، تقرَّبتُ إليه ذراعًا، وإن تقرّب إليّ ذراعًا، تقرّبتُ منه باعًا، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة» متفق عليه (١).

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٧٤٠٥)، ومسلم برقم (٢٦٧٥).

الثالثة: المداومة على التوبة والاستغفار في كل وقت، فالتوبة تجُبُّ ما قبلها، والاستغفار يمحو الذنوب: ﴿فَٱسۡتَغۡفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِۚ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٞ مُّجِيبٞ ٦١﴾ [هود:٦١].

والرسول ﷺ قد غفرَ الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، ومع ذلك كان يستغفرُ الله ويتوب إليه في اليوم مائة مرة:

قال النبي ﷺ: «إنه لَيُغانُ على قلبي، وإني لأستغفرُ الله وأتوب إليه في اليوم مائةَ مرة» أخرجه مسلم (١).

وقال النبي ﷺ: «يا أيها الناس! توبوا إلى الله فإني أتوب إليه في اليوم والليلة مائة مرة» أخرجه مسلم (٢).

فنستغفر الله، ونتوب إليه، ونستغفر الله، ونتوب إليه، ونستغفر الله، ونتوب إليه من ذنوبنا الظاهرة والخفيّة: ﴿رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٢٣﴾ [الأعراف:٢٣].

الرابعة: الإكثار من ذكر الله، والبكاء بين يديه، والتسبيح بحمده، وخوفه ورجائه: ﴿إِنَّمَا يُؤۡمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِهَا خَرُّواْۤ سُجَّدٗا وَسَبَّحُواْ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ ۩ ١٥ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمۡ عَنِ ٱلۡمَضَاجِعِ يَدۡعُونَ رَبَّهُمۡ خَوۡفٗا وَطَمَعٗا وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ١٦ فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٧﴾ [السجدة:١٥-١٧].

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٧٠٢).

(٢) أخرجه مسلم برقم (٢٧٠٢).

٥- مقاماتُ حُسنُ الظنِّ باللهِ ﷻ

حسن الظن بالله ﷻ يكون في جميع أحوال العبد .

في حال السرّاء والضرّاء، وحال الأمن والخوف، وحال الصحة والمرض، وحال البلاء والعافية .

ويتحقق حسن ظنِّ العبد بربه في مقامات:

الأول: إذا تقرّب العبد إلى ربه بعمل صالح أن يتقبّل الله عمله: ﴿أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنۡهُمۡ أَحۡسَنَ مَا عَمِلُواْ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمۡ فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلۡجَنَّةِۖ وَعۡدَ ٱلصِّدۡقِ ٱلَّذِي كَانُواْ يُوعَدُونَ ١٦﴾[الأحقاف:١٦].

الثاني: أن يقبل الله توبة العبد إذا تاب من ذنوبه، فيُبادر لحسن ظنّه بالله إلى التوبة إلى ربه: ﴿أَلَمۡ يَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقۡبَلُ ٱلتَّوۡبَةَ عَنۡ عِبَادِهِۦ وَيَأۡخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ١٠٤﴾[التوبة:١٠٤].

الثالث: إذا دعا العبد ربه أن يقبل دعاءه، ويجيب سؤاله: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لِي وَلۡيُؤۡمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمۡ يَرۡشُدُونَ ١٨٦﴾[البقرة:١٨٦].

وقال النبي ﷺ: «ادْعُوا اللهَ وأنتمْ مُوقِنُونَ بالإجابةِ ، واعلمُوا أنَّ اللهَ لا يَستجيبُ دُعاءً من قلْبٍ غافِلٍ لَاهٍ» أخرجه الترمذي(١).

ومن حسُنَ ظنّه بربه دعاه، وعَبدَهُ كأنّه يراه: ﴿هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦٥﴾[غافر:٦٥].

الرابع: أن يوقِنَ العبد بوعد الله ووعيده، فيُسارع العبد إلى امتثال أوامره، واجتناب نواهيه، لأنه سيلقى ربه بعمله: ﴿يَوۡمَئِذٖ يَصۡدُرُ ٱلنَّاسُ أَشۡتَاتٗا لِّيُرَوۡاْ أَعۡمَٰلَهُمۡ ٦ فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ٧ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ ٨﴾[الزلزلة:٦-٨].

الخامس: أن يوقِن العبد بحسن لقاء الله، وستره عليه، وتجاوزه عنه، وهو في

---

(١) صحيح: أخرجه الترمذي برقم (٣٤٧٩).

سياق الموت.

قال النبي ﷺ: «لا يموتنَّ أحدكم إلا وهو يُحسن الظنّ بالله» أخرجه مسلم [1].

السادس: حسن الظن بالله ﷻ عند نزول البلاء، وضِيقِ الحال، فإن الله وحده بيده مفاتيح الفرج: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [النمل:٦٢].

وحسن الظن بالله عز وجل يتبعه حسن العمل، وسوء الظن يتبعه سوء العمل: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [الأنبياء: ٩٠].

وقال عز وجل: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُوا۟ يُفْسِدُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [النحل:٨٨].

ومن سوء الظنّ اليأس والقنوط من رحمة الله.

ومن سوء الظنّ بالله أن يعتقد العبد أن الله يُخلفُ وعده ووعيده.

ومن سوء الظنّ بالله أن يعتقد العبد أن الله يُعامل عباده الصالحين معاملة المُسيئين.

ومن سوء الظنّ بالله عز وجل أن يعتقد أنه لا يقبل العبد الذي دعاه، وأناب إليه؛

ومن سوء الظن عدم التوكل على الله.

وهذا كله من صفات الكفار والمنافقين والمشركين: ﴿وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [فصلت:٢٣].

وقال الله عز وجل: ﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ ۖ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَىْءٍ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ ۗ يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ ۖ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا ۗ قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ ۖ وَلِيَبْتَلِىَ ٱللَّهُ مَا فِى صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِى قُلُوبِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٥٤﴾﴾ [آل عمران: ١٥٤].

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٨٧٧).

٦ - جزاء حسن الظنّ بالله ﷻ

من عرف ربه حقًا آمن به حقًا، وأحسن الظن به حقًا، فأحبّه ومجّده، وحمده وشكره، وأطاعه وعبده، فرضي الله عنه، وأرضاه، وأدخله جنته: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ خَيۡرُ ٱلۡبَرِيَّةِ ٧ جَزَآؤُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَشِيَ رَبَّهُۥ ٨﴾ [البينة: ٧-٨].

فالمؤمن أحسنَ الظنّ بربه فآمن به، وعبده وحده لا شريك له، والكافر أساء الظنّ بربه، فكفر به وعبد هواه، فخسر دنياه وأخراه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأۡكُلُونَ كَمَا تَأۡكُلُ ٱلۡأَنۡعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثۡوٗى لَّهُمۡ ١٢﴾ [محمد: ١٢].

وقد وعد الله المؤمنين والمؤمنات بكراماتٍ عظيمةٍ في الدنيا والآخرة.

فيكرمهم ربهم في الدنيا بالأمن والطُمأنينة، والهداية والنصر، والتمكين في الأرض والخلافة، والحياة الطيبة، والرضوان عليهم، وغيرها من الكرامات التي بيّنها الله في كتابه: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ٨٢﴾ [الأنعام: ٨٢].

وقال الله ﷻ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ٢٨ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمۡ وَحُسۡنُ مَـَٔابٖ ٢٩﴾ [الرعد: ٢٨-٢٩].

وقال ﷻ: ﴿مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗۖ وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٩٧﴾ [النحل: ٩٧].

وقال ﷻ: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ ٥١ يَوۡمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعۡذِرَتُهُمۡۖ وَلَهُمُ ٱللَّعۡنَةُ وَلَهُمۡ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ٥٢﴾ [غافر: ٥١-٥٢].

وأما في الآخرة فيُكرم الله المؤمنين بأعظم الكرامات، ومنها:

الأولى: رؤية الرّب ﷻ في الجنّة: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣].

الثانية: رضوان الرّب ﷻ على المؤمنين: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾﴾ [التوبة: ٧٢].

الثالثة: القُرب من الرّب: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٥٥﴾﴾ [القمر: ٥٤-٥٥].

الرابعة: سماع كلام وسلام الرب ﷻ: ﴿إِنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِى شُغُلٍ فَٰكِهُونَ ﴿٥٥﴾ هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ فِى ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ ﴿٥٦﴾ لَهُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ ﴿٥٧﴾ سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴿٥٨﴾﴾ [يس: ٥٥-٥٨].

الخامسة: دخول الجنّة: ﴿وَأُدْخِلَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ ۖ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ ﴿٢٣﴾﴾ [إبراهيم: ٢٣].

السادسة: التنعُّم بنعيم الجنّة: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُوا۟ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُوا۟ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [البقرة: ٢٥].

السابعة: الخلود في نعيم الجنة: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾ جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ ﴿٨﴾﴾ [البينة: ٧-٨].

الثامنة: النجاة من النار: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾﴾ [آل عمران: ١٨٥].

وقال الله ﷻ: ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾ ﴾ [مريم:٧١-٧٢].

والجنّة دار الطيّبين، والنّار دار الخبيثين، فكن طيّبًا، فإن الجنة طيّبة، ولا يدخلها إلا الطيّبون من الناس، وهم المؤمنون المتقون: ﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴿٧٣﴾ ﴾ [الزمر:٧٣].

والطيّب من تجمَّل بالإيمان والطاعات، وكان نقيًّا من المعاصي والسيئات، فمن كان كذلك دخل الجنة فورًا بلا حسابٍ ولا عذابٍ، وإن جمعتَ في الدنيا بين فعل الحسنات والسيئات، فقد فتح الله لك أبواب التوبة والاستغفار، والحسنات الماحية، حتى لا تدخل النار: ﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ اللَّيْلِ ۚ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّاكِرِينَ ﴿١١٤﴾ ﴾ [هود: ١١٤].

فإذا عرفت تلك المنقّيات التي تُطهرك من السيئات أحببت ربك، وأحسنت ظنّك به، وسارعت إلى ما يرضيه: ﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [السجدة: ١٥-١٧].

ومكفّرات الذنوب ثلاثة أنواع:

أولًا: مكفّرات الذنوب في الدنيا:

الأولى: التوبة إلى الله من جميع الذنوب: ﴿ فَمَن تَابَ مِن بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٩﴾ ﴾ [المائدة:٣٩].

الثانية: كثرة الاستغفار: ﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾ ﴾ [النساء: ١١٠].

الثالثة: الإكثار من فعل الحسنات: ﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ اللَّيْلِ ۚ إِنَّ

﴿ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴿١١٤﴾﴾[هود: ١١٤].

الرابعة: دعاء المؤمنين له: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾[الحشر: ١٠].

وقال النبي ﷺ: «ما من عبدٍ مسلمٍ يدعو لأخيه بظهر الغيب إلا قال الملَكْ: ولك بمثل» أخرجه مسلم (١).

الخامسة: دعاء الملائكة له: ﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٧﴾﴾[غافر: ٧].

السادسة: إقامة الحدّ عليه في الدنيا، فمن أُقيم عليه حدٌّ من حدود الله كحدّ الزنا أوالسرقة في الدنيا، فإنه لا يُعذّب على الذنب في الآخرة، فالله أكرم من أن يؤاخذ عبده على الذنب مرتين في الدنيا والآخرة:

قال النبي ﷺ: «ومن أصاب من ذلك شيئًا فعوقِب به في الدنيا فهو له كفارة، ومن أصاب من ذلك شيئًا فسترهُ الله فأمْره إلى الله، إن شاء عاقبه، وإن شاء عفا عنه» متفق عليه (٢).

السابعة: المصائب المُكفِّرة، فالله سبحانه رحيمٌ بعباده، يبتليهم ليُنقّيهم من ذنوبهم، ويُكفّر عنهم سيئاتهم، ويرفع درجاتهم: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾﴾[البقرة: ١٥٥-١٥٧].

وقال النبي ﷺ: «ما من مصيبةٍ تُصيب المسلم إلّا كفّر الله عنه بها، حتى الشوكة

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٧٣٢).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (١٨)، ومسلم برقم (١٧٠٩)

يُشاكها» متفق عليه [١].

فما أرحم الله بعباده يبتليهم بالسرّاء والضرّاء، يبتليهم بالسرّاء ليشكروا، ويبتليهم بالضرّاء ليصبروا، وهم بهذا وهذا ينالون أجر الشاكرين، وأجر الصابرين:

قال النبي ﷺ: «عجبًا لأمر المؤمن، إن أمْره كلَّه خير، وليس ذلك لأحد إلّا للمؤمن، إن أصابته سرّاءَ شكرَ، فكان خيرًا له، وإن أصابتهُ ضرّاءَ صبرَ، فكان خيرًا له» أخرجه مسلم [٢].

ثانيًا: تنقية العبد من الذنوب عند الموت:

الأولى: شدة سكرات الموت عند الموت:

قال النبي ﷺ: «لا إله إلا الله، إن للموتِ سكرات» أخرجه البخاري [٣].

الثانية: نطق الشهادة عند الموت:

قال النبي ﷺ: «من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة» أخرجه أبو داوود [٤].

الثالثة: صلاة الجنازة، ودعاء المؤمنين للميت:

قال ﷺ: «ما من رجلٍ مسلم يموت، فيقوم على جنازته أربعون رجلًا لا يشركون بالله شيئًا، إلّا شفّعهم الله فيه» أخرجه مسلم [٥].

الرابعة: هدايا الأحياء لأموات المؤمنين، فالأحياء المؤمنون يهدون إلى الأموات ما ينفعهم، ويخفف عنهم العذاب؛ كالدعاء لهم، والصدقة عنهم، فيصِلُ ثواب ذلك للميت:

قال النبي ﷺ: «إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاثة: صدقةٍ جارية، أو علمٍ

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٥٦٤٠)، ومسلم برقم (٢٥٧٢).

(٢) أخرجه مسلم برقم (٢٩٩٩).

(٣) **أخرجه البخاري** برقم (٤٤٤٩).

(٤) **صحيح: أخرجه أحمد برقم (٢٢٠٣٤)** وأبو داوود برقم (٣١١٦).

(٥) **أخرجه** مسلم برقم (٩٤٨).

ينتفع به، أو ولدٍ صالح يدعو له»أخرجه مسلم [1].

ثالثاً: التنقية من الذنوب يوم القيامة:

ويتم ذلك بأمور:

الأول: شفاعة النبي ﷺ في أمته، وشفاعة الصالحين، وشفاعة الشهداء، وشفاعة المؤمنين لبعضهم:

قال النبي ﷺ: «لكلِّ نبيٍ دعوة مستجابة يدعو بها، وأريد أن أختبئَ دعوتي شفاعةً لأمتي في الآخرة»متفق عليه [2].

الثاني: عفو أرحم الراحمين، فكل مذنبٍ إن لم يُطهره ما سبق، فقد استحقّ العذاب، وسيبقى في النار بقدر ذنبه حتى تنقيه النار، أو يعفو الله عنه قبل إتمام العقوبة، فيُخرجه الله من النار، ويُدخله الجنة برحمته: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾﴾[النساء:٤٨].

اللهم إنا نسألك حسن الظنّ بك، والعون على ذكرك، وشكرك، وحسن عبادتك، اللهم اهدنا فيمن هديت، وعافنا فيمن عافيت، وتولنا فيمن توليت، وقِنا برحمتك شرَّ ما قضيت، إنك تقضي ولا يُقضىَ عليك: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾﴾[البقرة:٢٠١].

---

(١)أخرجه مسلم (١٦٣١).

(٢)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٣٠٤)، ومسلم برقم (١٩٨).

عبادات القلوب

في ضوء القرآن والسنة

العبادة السادسة عشرة

عبادة الإخبات إلى الله ﷻ

وتشتمل هذه العبادة العظيمة على المباحث الآتية :

الأول: فقه الإخبات إلى الله عز وجل.

الثاني: منزلة الإخبات إلى الله عز وجل .

الثالث: فضائل الإخبات إلى الله عز وجل.

الرابع: علامات المخبتين.

الخامس: درجات الإخبات.

السادس: الأسباب المعينة على الإخبات لله عز وجل.

السابع: جزاء المخبتين.

العبادة السادسة عشرة

عبادة الإخبات إلى الله عز وجل

١ - فقه الإخبات إلى الله عز وجل

الإخبات عبادةٌ قلبية تملأ القلب بالسكون والطمأنينة، وتضبط حركة الجوارح في كل ما يحبه الله ويرضاه، وتشغل اللسان بذكر الله وتكبيره، وتسبيحه وتقديسه، وحمده وشكره، واستغفاره والتوبة إليه: ﴿فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا ۗ وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ (٣٤)﴾[الحج/ ٣٤].

والإخبات هو التواضع والسكون، والمخبتون هم أحسن الناس تواضعًا لربهم، وأعظمهم انقيادًا لأوامره، وأكثرهم ذكرًا له، وخشية له .

والإخبات إلى الله تعالى مطلوب شرعًا وعقلًا، لأنه مُقتضى أدب العبودية؛ فالضعيف لابُدّ أن يخضع للقوي سبحانه، والعاجز لابد أن يَذِلّ للقادر سبحانه، والعبد الفقير لابد أن يقف بباب الغني سبحانه، والعبد الذليل لابد أن يستسلم للعزيز: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ۖ هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ (٢٢) هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٢٣) هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٢٤)﴾ [الحشر/ ٢٢-٢٤].

والإخبات لله عز وجل من علامات صدق الإيمان، فمن عرف ربه بأسمائه وصفاته وأفعاله، أخبتَ له، وذلّ له، وخضع له، وانقاد لأمره: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٢٣)﴾[هود/ ٢٣].

هؤلاء آمنوا بربهم فأطاعوه أحسن طاعة، وتواضعوا لعظمته وجلاله، واستجابوا

لأوامره، فجزاهم على ذلك الجنة .
والإخبات هو الخشوع لله، والخضوع له، والتواضع لعزته، وحسن طاعته، وجمال عبادته، والاستسلام لحكمه، والانقياد لأمره: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾ [فاطر/ ٢٨].
والإخبات ثمرة معرفة الله بأسمائه الحسنى، وصفاته العُلا، وأفعاله الحميدة .
فمن عرف الله عظّمه وكبّره، وأخبت لله، وانقاد لأمره: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾﴾ [محمد/ ١٩].

فمن عرف ربه الواحد الأحدآمن به ووحّده، وتواضع له ومجّده، وكبّره وذلّ له، وأخبتَ له، وانقاد لجميع أوامره، وصبر على ذلك: ﴿فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَلَهُۥٓ أَسْلِمُوا۟ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ وَٱلْمُقِيمِى ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الحج/ ٣٤-٣٥].

ومن عرف ربه القوي العزيز الجبار آمن به، وانقاد لأمره، وذلّ لعظمته، وتواضع لكبريائه، وأخبت له: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنعام: ١٠٢ – ١٠٣].
ومن عرف ربه الغني الذي له خزائن السموات والأرض، الكريم الذي لا يردُّ سائلًا، ولا يُخيّب مؤمّلًا، وقف ببابه، وأخبت له، ولم يلتفت لأحدٍ سواه من خلقه: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾﴾ [فاطر/ ١٥].

ومن عرف ربه الغفور الرحيم الحليم أخبت له، وطلب عفوه، ورحمته، وإقالة عثرته: ﴿۞ نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِى هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾﴾ [الحجر/ ٤٩-٥٠].

ومن عرف ربه بعظمة قُدرته، وعظمة ملكه وسلطانه، وقوة جبروته، أخبت له،

وتواضع لجلاله، وطمع في ثوابه، وتصاغر لكبريائه: ﴿هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [غافر/ ٦٥].

ومن رحمة الله بعباده أن طبعَ كل مخلوق على أربع صفات هي :

الضعف .. والفقر .. والعجز .. والحاجة

وذلك ليقف العبد الضعيف بباب ربه القوي، فيستعين به، ويحتمي بحماه، ويقف الفقير بباب ربّه الغني، فيسأله من فضله، ويقف العبد العاجز بباب ربّه القادر على كل شيء، ويقف العبد المحتاج بباب الرب الذي لا يحتاج، المعطي لكل محتاج: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾﴾ [فاطر: ١٥] .

وفي هذا كمال العبودية لمن له الأسماء الحسنى، والصفات العُلا، والأفعال الكبرى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [الأعراف/ ١٨٠].

ومن عرف ربّه بأسمائه وصفاته وأفعاله آمن بالله وحده، وأحبت له بكمال الحُبّ والتعظيم والذلّ له: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾﴾ [الطلاق/ ١٢].

وإذا عرفتم ذلك آمنتم بالله وحده، وعبدتموه وحده، وأحببتّم له وحده.

ومن عرف الله حقًا آمن به حقًا، وأطاعه حقًا، وأحبت له حقًا، ونال ثوابه العظيم حقًا: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال/ ٢-٤].

فالإخبات هو خضوع قلب المؤمن لربه الذي له ملك السماوات والأرض وما فيهن، وما عليهن، وما بينهن: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ٣﴾ [يونس: ٣].

والإخبات هو الطمأنينة والسكينة للملك الذي بيده مقاليد الأمور: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ١ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡمَوۡتَ وَٱلۡحَيَوٰةَ لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفُورُ ٢﴾ [الملك/ ١-٢].

الإخبات لله ﷻ هو كمال الخشية للملك الذي لا يقف له شيء، ولا يُعجزه شيء، ولا يمتنع عليه شيء: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ لَهُ ٱلۡمُلۡكُۚ وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمۡلِكُونَ مِن قِطۡمِيرٍ ١٣﴾ [فاطر/ ١٣].

والإخبات هو كمال التسليم لله الواحد القهار، والإذعان لعزته، والخضوع لكبريائه، والتسليم لأمره: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا ٦٥﴾ [النساء/ ٦٥].

ومقصودُ الربّ من خلقه تحصيل صفاته على شاكلة العبودية.

فالله مؤمنٌ يحبّ الإيمان، وأهل الإيمان، والله محسنٌ يحبّ الإحسان، وأهل الإحسان، والله توّابٌ يحبّ التوبة، ويحب أهل التوبة: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلۡمُتَطَهِّرِينَ ٢٢٢﴾ [البقرة/ ٢٢٢].

فمن عرف ربه بأسمائه وصفاته وأفعاله آمن به ووحدّه، وكبّره ومجّده، وحمده وشكره، ودعاه وسأله، وأخبت له، وخافه ورجاه: ﴿إِنَّمَا يُؤۡمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِهَا خَرُّواْۤ سُجَّدٗا وَسَبَّحُواْ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ۩ ١٥ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمۡ عَنِ ٱلۡمَضَاجِعِ يَدۡعُونَ رَبَّهُمۡ خَوۡفٗا وَطَمَعٗا وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ١٦ فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٧﴾ [السجدة/ ١٥-١٧].

٢ - منزلة الإخبات إلى الله عز وجل

الإخبات إلى الله عز وجل من عبادات القلوب العظيمة، وهو ثمرة العلم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله، فمن عرف ربه بأسمائه وصفاته وأفعاله أخبت إليه، وصدّق أخباره، وامتثل أوامره، واجتنب نواهيه.

والإخبات إلى الله من منازل الإيمان بالله عز وجل، وهو من أعظم ثمرات الإيمان بالله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَخۡبَتُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٢٣﴾[هود/ ٢٣].

والإخبات إلى الله هو الطمأنينة بذكر الله، والخضوع له، والشعور بالسكينة في قربه، وانكسار القلب بين يديه، والفرح بالعودة إليه، والطمع في جزيل ثوابه .

فالإخبات إلى الله عبادةٌ عظيمة من عبادات القلوب، والمخبت حقًا هو من اطمأن بالله وحده، وسارع إلى فعل الصالحات، وأقام الصلاة، وأنفق في سبيل الله مما رزقه الله، ورضي بقضاء الله وقدره، وشاهد الرحمة في بلائه وأمره، وفي عطائه ومنعه: ﴿فَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ فَلَهُۥٓ أَسۡلِمُواْۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُخۡبِتِينَ ٣٤ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمۡ وَٱلۡمُقِيمِي ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ٣٥﴾ [الحج/ ٣٤-٣٥].

والإخبات لله من مقتضى الإيمان بأسماء الله الحسنى، والإخبات من لوازم الإيمان بأسماء الله القوي، القادر، القهار، ومن لوازم الإيمان باسم الله الرحمن، الرحيم، المحسن، الكريم، العليم، الخبير، القريب، الشهيد .

فالمُخبت إلى ربه يخاف من قوة الله وقهره، ويأنس برحمته وبرّه، ويطمئن بقربه ورقابته، ويستكين لحكمته وعدله: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ٢٨ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمۡ وَحُسۡنُ مَـَٔابٖ ٢٩﴾[الرعد/ ٢٨-٢٩].

ومن أخبت إلى ربه سارع إلى كل ما يرضيه، بكمال الحبّ والتعظيم والذلّ لهكالأنبياء والمرسلين: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [الأنبياء/ ٩٠].

والقلوب إذا عرفت علّام الغيوب أخبتت له، وأذعنت لجبروته، وتصاغرت لكبريائه، وذلت لعزته: ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا۟ بِهِۦ فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٤﴾﴾ [الحج/ ٥٤].

ومن عرف الله حقًا آمن به حقًا، وعبده حقًا: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾﴾ [محمد/ ١٩].

٣- فضائل الإخبات إلى الله عز وجل

الإخبات إلى الله عز وجل من أعظم العبادات القلبية، وهو ثمرة معرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله،والإخبات إلى الله هو العودة إلى الله بعد البعد عنه، ومن اقترب إلى الله اقترب الله منه أكثر .

قال الله عز وجل في الحديث القدسي:«أنا عند ظنِّ عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكَرني في نفسه ذكرتُه في نفسي، وإن ذكرني في ملأٍ ذكرتُه في ملأٍ خيرٍ منهم، وإن تقرَّب إليَّ بشبرٍ تقرَّبتُ إليه ذراعًا، وإن تقرَّب إليَّ ذراعًا تقرَّبتُ إليه باعًا، وإن أتاني يمشي أتيتُه هرولةً» متفق عليه [1].

ومن شعر بقربه من ربه ﷻ سكنت نفسه إليه، واطمأنت بذكره، ووقفت ببابه، وسجدت له، وانكسرت بين يديه: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ٢٨﴾[الرعد/ ٢٨].

وقال عز وجل: ﴿وَلِيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤۡمِنُواْ بِهِۦ فَتُخۡبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمۡۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٥٤﴾[الحج/ ٥٤].

وإذا ذاقت نفسه لذّة قربه وحبه، وجِلتْ وخافت أن تُبعَد وتُطرَد من رحمته، فسارعت إلى أنواع طاعته:﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنۡ خَشۡيَةِ رَبِّهِم مُّشۡفِقُونَ ٥٧ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ يُؤۡمِنُونَ ٥٨ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمۡ لَا يُشۡرِكُونَ ٥٩ وَٱلَّذِينَ يُؤۡتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمۡ وَجِلَةٌ أَنَّهُمۡ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ رَٰجِعُونَ ٦٠ أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَهُمۡ لَهَا سَٰبِقُونَ ٦١﴾ [المؤمنون/ ٥٧-٦١].

ولا يزال العبد المُخبت يطلب قربه من ربه بالمسارعة إلى الخيرات، وأداء الفرائض، وإتباعها بالنوافل، ليحصل له الإخبات والطمأنينة والأنس، وقرة العين

---

(١)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٧٤٠٥)، ومسلم برقم (٢٩٧٥).

التي لا يجدها إلا في الإخبات إلى ربه، وحسن عبادته: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال/ ٢-٤].

وقال عز وجل: ﴿۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ [آل عمران/ ١٣٣-١٣٤].

وقال النبي ﷺ: «إن الله ﷻ، قال: من عادى لِيَ وليًا فقد آذنتُه بالحرب، وما تقرَّب إليّ عبدي بشيءٍ أحبُّ إليّ مما افترضتُ عليه، وما يزال عبدي يتقرَّب إليّ بالنوافل حتى أُحبّه، فإذا أحببته كنتُ سمعه الذي يسمعُ به، وبصره الذي يُبصرُ به، ويده التي يَبطش بها، ورِجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينّه، ولئن استعاذني لأعيذنّه، وما ترددتُ عن شيءٍ أنا فاعله ترددي عن نفسِ المؤمنِ، يكرهُ الموتَ وأنا أكرهُ مساءته» أخرجه البخاري (١).

﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾﴾ [البقرة/ ٢٠١].

﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٣﴾﴾ [آل عمران/ ٥٣].

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٦٥٠٢).

٤ - علامات المُخبتين

للمُخبتين إلى ربهم علامات:

الأولى: وَجلُ قلوبهم ألاّ تُقبَل طاعاتهم، والصبر على ما أصابهم، وإقامة الصلاة، والإنفاق مما رزقهم الله، ابتغاء مرضاة الله: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَـٰمِ ۗ فَإِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ فَلَهُۥٓ أَسْلِمُوا۟ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَٱلصَّـٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ وَٱلْمُقِيمِى ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الحج/ ٣٤-٣٥].

الثانية: أن الله عز وجل آتاهم من العلم الإلهي ما يدلّهم على ربهم، فامتلأت قلوبهُم بمحبته، وتعظيمه، والأُنس بعبادته: ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا۟ بِهِۦ فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٤﴾﴾ [الحج/ ٥٤].

الثالثة: المداومة على الطاعات، وأنواع العبادات فيما بينهم وبين ربهم، وفيما بينهم وبين الناس: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَـٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَـٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال/ ٢-٤].

الرابعة: أنهم فَطموا نفوسهم عن الدنيا وشهواتها، وأشغلوها بما يحبّه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال والأخلاق، ففازوا بحبه ورضوانه وجنته: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَأَخْبَتُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [هود/ ٢٣].

فهنيئًا لمن آمن بالله، وأخبت إليه، وقام بين يديه، عابدًا له، وقام بين يدي خلقه داعياً إليه، ومعلمًا لشرعه: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [فصلت/ ٣٣].

وقال عز وجل: ﴿كُونُوا۟ رَبَّـٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَـٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [آل عمران/ ٧٩].

الخامسة: أن المخبتين إذا غلبَتهم شهواتهم قهروها بالاعتصام بالله، والإقبال على طاعته، والإحسان إلى الخلق: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤﴾ [آل عمران/ ١٣٣-١٣٤].

السادسة: أنّ المُخبتين إذا استولت على نفوسهم الغفلة ذكَّروا أنفسهم بحقوق الله عز وجل، ووجوب الوفاء بعهده، فيترك العبد غفلته، ويقبل على عبادة ربه: ﴿وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا ٧ فَأَلۡهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقۡوَىٰهَا ٨ قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ٩ وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ١٠﴾ [الشمس/ ٧-١٠].

السابعة: أنّ العبد إذا شعر بالوحدة والوحشة ذكَّر نفسه بالله، ومحبته، وإحسانه، والأنس به، ووجوب طاعته: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ ١٢﴾ [الملك/ ١٢].

الثامنة: كثرةُ لوم النفس على تقصيرها في حق الله، وتنقيتها من أمراضها، وحملها على طاعة الله، وقمع شهواتها، وزجرها عن هواها: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ١٤ وَذَكَرَ ٱسۡمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ١٥﴾ [الأعلى/ ١٥].

فهذا المُخبت إلى ربه حقًا، إذا ذكر الله اضطرب قلبه خوفًا ورجاءً، ورغبةً ورهبةً، وحبًا وشوقًا إلى مولاه: ﴿إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ٢٨﴾ [فاطر/ ٢٨].

وإذا أصابه مكروهٌ صبر عليه، ورضي به، وحمد الله، واسترجع، فتراه مقيمًا للصلاةِ على أكمل صورة، خاشعًا بين يدي ربه، مطمئنًا بذكره: ﴿وَلَنَبۡلُوَنَّكُم بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلۡخَوۡفِ وَٱلۡجُوعِ وَنَقۡصٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٥٥ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ١٥٦ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ ١٥٧﴾ [البقرة/ ١٥٥-١٥٧].

٥ - درجات الإخبات

للإخبات ثلاث درجات:

الأولى: أن تغلبَ عصمة العبد شهواته، وتَقهَرها أن تَقوده إلى معصية الله، وتقوى إرادته حتى تغلِبَ غفلاته وشهواته: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾﴾ [النازعات/ ٤٠-٤١].

الثانية: أن يَصمد العبد إلى ربه في جميع أحواله، فلا يُوحِش قلبه عارضٌ من العوارض؛ ومن أعظم العوارض وحشة التفرُّد، فاستعن بربك العظيم، ولا تستوْحش من قلّة السالكين، ولا تغترّ بكثرة الهالكين، ولا يشغلك عن مناجاة الله سواه: ﴿وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ﴿٨﴾ رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا ﴿٩﴾﴾ [المزمل/ ٨-٩].

الثالثة: أن يلوم العبد نفسه على التقصير، ويتعلّق قلبه بالله وحده لا شريك له، ويستوي عنده الفقر والغنى، ومدح الناس وذمهم، لأنه رضي بربه وكيلًا وكفيلًا: ﴿فَفِرُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجْعَلُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥١﴾﴾ [الذاريات/ ٥٠-٥١].

وبهذا يرى العبد ربه وحده، ولا يرى أحدًا سواه، فتعلو همته، وتنشط عزيمته، ويخرج من حظّ نفسه، ويتأهّل للانقطاع لعبادة ربه، وفعل ما يحبه ويرضاه،فما أجدره برضوان الله عليه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾ جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ ﴿٨﴾﴾ [البينة/ ٧-٨].

فهذا المُخبت الذي ذاق حلاوة الإيمان، ولذّة المناجاة، والقُرب من الله، والأُنس بمحبة الله، والإخبات إليه، وتنفيذ أوامره: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا۟

ٱسۡمَ ٱللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلۡأَنۡعَٰمِۗ فَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ فَلَهُۥٓ أَسۡلِمُواْۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُخۡبِتِينَ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمۡ وَٱلۡمُقِيمِي ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الحج/ ٣٤-٣٥].

والقلب هو ملك الجوارح، فإذا امتلأ بالعلم والإيمان أَخبتَ إلى ربه، وسكَن إليه، واطمأن بذكره، وذلّ له، وأناب إليه، وتاب إليه: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱجۡتَنَبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعۡبُدُوهَا وَأَنَابُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰۚ فَبَشِّرۡ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقَوۡلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحۡسَنَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿١٨﴾﴾ [الزمر/ ١٧-١٨].

وقال النبي ﷺ: «ألا إن في الجسدَ مُضغة إذا صلَحت صلَح الجسَدُ كلّه، وإذا فسدَت فسدَ الجسدُ كلّه، ألا وهي القلب» متفق عليه (١).

وإذا أخبت القلب إلى ربه، ظهرت آثار الإخبات على اللسان والجوارح، فاستعملَ هذا العبد لسانه في ذكر الله، وحمده، واستغفاره، والدعوة إليه، وتعليمشرعه: ﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [فصلت/ ٣٣].

واستعمل جوارحه بالتحلي بالأخلاق الطيبة، والأفعال الحسنة من صدقٍ وإيثار، وعدلٍ وإحسان، ومحبةٍ وقوةٍ في طاعة الله، ومسارعةٍ إلى الخيرات، وبُعدٍ عن المحرمات والسيئات: ﴿إِنَّمَا يُؤۡمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِهَا خَرُّواْۤ سُجَّدٗاۤ وَسَبَّحُواْ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمۡ عَنِ ٱلۡمَضَاجِعِ يَدۡعُونَ رَبَّهُمۡ خَوۡفٗا وَطَمَعٗا وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [السجدة/ ١٥-١٧].

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٥٢)، ومسلم برقم (١٥٩٩).

٦ - الأسباب المعينة على الإخبات لله عز وجل

الأول: العلم بأسماء الله وصفاته وأفعاله، والعلم بعظمة الله، وعظمة قوته، وعظيم قدرته، وكمال قهره، وواسع رحمته، وبالغ حكمته، فمن عرف ذلك أخبت إلى ربه: ﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ٩٨﴾ [المائدة/ ٩٨].

وقال عز وجل: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ١٩﴾ [محمد/ ١٩].

الثاني: صدق النيّة في طلب الإخبات، والصبر على الظفر به، والتوسل إلى الله في تحصيله، والعلم بمن يجب أن تخْبِت له، وتَذلّ بين يديه، وهمةٌ عالية في تحصيله، وتوكلٌ على الله في طلبه، وصحبةٌ صالحة تعين على الاتصاف به، ونظرٌ إلى الجنّة، وتفكرٌ في عذاب النار، واليقين على كمال أسماء الله وصفاته وأفعاله، وحب الله ورسوله ودينه: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ٦٩﴾ [العنكبوت/ ٦٩].

وقال عز وجل: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ٢٨﴾ [الكهف/ ٢٨].

وقال عز وجل: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ٦٠﴾ [غافر/ ٦٠].

الثالث: العلم بعيب النفس، وقَصورُها، ونَقصُها، وعَجزُها، وما فيها من أمراض القلوب، من العُجْبِ، والكِبر، والرياء، والمنّ، وغيرها مما يُحبط العمل: ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِىٓ ۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ ٥٣﴾ [يوسف/ ٥٣].

ومن عرفَ ربّه العظيم، ثم عرفَ نفسه، آمن بالله، وأخبت له، واستسلم لأمره،

وأَنِس بقربه، وفرح بمناجاته، وعلم أنه لن يبلُغ مُراده بعمله إلا أن يُدخله الله في رحمته: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾ [فاطر: ٢٨].

وقال عز وجل: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾﴾ [النحل/ ٥٣].

وقال النبي ﷺ: «لا يُدخِلُ أحدًا منكم الجنّة عَملَهُ، قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: ولا أنا إلا أن يَتغمَّدنيَ الله بفضلٍ منه ورحمة» متفق عليه [(١)].

الرابع: الإكثار من ذكر الله عز وجلّ، وتلاوة كتابه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾﴾ [الأحزاب/ ٤١-٤٣].

وقال عز وجلّ: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٠﴾﴾ [الإسراء/ ٩-١٠].

الخامس: دعاء الله عز وجل أن يرزقه التعبد لله بصفة الإخبات، فالله أمر بسؤاله، ووعد بالإجابة كما قال سبحانه: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [غافر/ ٦٠].

وقال عز وجل: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾ [البقرة: ١٨٦].

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٥٦٧٣)، ومسلم برقم (٢٨١٦)

٧- جزاء المُخبتين

الأول: الهداية إلى الصراط المستقيم كما قال سبحانه: ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا۟ بِهِۦ فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٤﴾﴾ [الحج/ ٥٤].

الثاني: البشارة بخيري الدنيا والآخرة: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ۗ فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَلَهُۥٓ أَسْلِمُوا۟ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ وَٱلْمُقِيمِى ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الحج/ ٣٤-٣٥].

الثالث: الخلود في الجنة يوم القيامة: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَخْبَتُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [هود/ ٢٣].

الرابع: الفوز برضوان الله عز وجل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾ جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ ﴿٨﴾﴾ [البينة/ ٧-٨].

الخامس: الفوز بمغفرة الله، ونيل الأجر الكبير يوم القيامة: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾﴾ [الملك/ ١٢].

عبادات القلوب

في ضوء القرآن والسنة

العبادة السابعة عشرة

عبادة الذل لله عز وجل

وتشتمل هذه العبادة العظيمة على المباحث الآتية :

الأول : فقه الذل لله عز وجل.

الثاني : منزلة الذل لله عز وجل.

الثالث : أنواع الذل لله عز وجل.

الرابع : الوسائل المعينة على الذل لله عز وجل.

الخامس : علامات الذل لله عز وجل.

السادس : ثمرات الذل لله عز وجل.

العبادة السابعة عشرة

عبادة الذل لله عز وجل

١ - فقه الذل لله عز وجل

الذل لله عز وجل أعظم العبادات القلبية، فإذا أردت بابًا أقرب إلى مولاك وأوسع، ولا مزاحم فيه، فادخل عليه من باب الذل له، والافتقار إليه، والخضوع والانكسار بين يديه، ورؤية النفس بعين الضعف والعجز، والنقص والعيب، والخطأ والتفريط: ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي ۚ إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي ۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٣﴾﴾ [يوسف:٥٣].

فكل خلق الله فقراء إليه، أذلة بين يديه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ ۖ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿١٥﴾﴾ [فاطر:١٥].

والسالك في هذا الطريق غريبٌ في الناس، فهو في وادٍ، والناس في وادٍ أخر، غايته تعظيم ربه، وعدم رؤية نفسه: ﴿اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾﴾ [التغابن:١٣].

فالذل والانكسار، والتواضع والخضوع، والافتقار للرب، أعظم مقامات العبودية لله عز وجل، والعارف حقًا يشهد في كل ذرة من ذرات الكون فقرًا وذلاً إلى خالقها، فقد كان الله ولم يكن شيءٌ قبله ولا معه، ثم خلق جميع المخلوقات لتدل على كمال قدرة الله، وعظمة أسمائه وصفاته وأفعاله، وتعلن فقرها، وعجزها، وضعفها، وذلها لمن خلقها: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿١٢﴾﴾ [الطلاق:١٢].

وإذا عرفتم ذلك آمنتم بالله وحده، وعبدتموه وحده لا شريك له: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾ [يونس:٣].

فالعابد لربه حقًا من عرف ربه بعزة الربوبية، وعرف نفسه بذلة العبودية، فقام بين يدي ربه مكبراً له، حامداً له، مستغفراً له: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾﴾ [محمد:١٩].

وجميع مخلوقات الرب جل جلاله في العالم العلوي، والعالم السفلي، شاهدةٌ بوحدانية الله، وساجدةٌ لعظمته، وذليلةٌ لعزته، ومستجيبةٌ لمشيئته، ومسرعةٌ إلى إرادته، وخاضعةٌ لأمره: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ۩ ﴿١٨﴾﴾ [الحج:١٨].

فلا إله إلا الله، فكل مخلوقاته بين يديه ذليلة لعزته وجبروته وكبريائه: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۩ ﴿٥٠﴾﴾ [النحل:٤٩-٥٠].

وكل مخلوقاته أصغر من الذرة بين يديه: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [الزمر:٦٧].

والعبد يشهد في كل ذرةٍ من ذراته الظاهرة والباطنة، ضرورةً تامة، وذلاً وافتقارًا إلى ربه العظيم، الملك العزيز الرحيم، الذي بيده فلاحه وصلاحه، وهداه وسعادته في الدنيا والآخرة: ﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلْعَرْشِ يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ ﴿١٥﴾﴾ [غافر:١٥].

وبهذا التذلل والافتقار يحصل للقلب كِسرة خاصة بين يدي ربه، فيكون كالإناء المكسور الذي لا يصلح للانتفاع به إلا بجبر جديد من صاحبه وصانعه، وحينئذٍ يستكثر هذا العبد الذليل ما منَّ الله به عليه من الخير، ويرى أنه لا يستحق قليلًا منه ولا كثيرًا، ويرى أن قدره دونه، وإنما رحمة ربه هي التي اقتضت ذكره به، وسَوق الخير إليه: ﴿أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾﴾ [لقمان: ٢٠].

فسبحان الملك العزيز الجبار الذي جميع مخلوقاته شاهدة بوحدانيته، ومتصاغرة لكبريائه، ومسبحة بحمده: ﴿سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾﴾ [الإسراء: ٤٣-٤٤].

ومن عرف ربه بصفات جلاله وجماله استقل ما قام به من الطاعات، ورآها ولو ساوت طاعات الجن والإنس من أقل ما ينبغي لربه جل جلاله عليه، واستكثر قليل معاصيه وذنوبه، وأكله الندم على فعلها، وذاب قلبه حياءً من ربه، كيف بارز من خلقه، وهداه، ورزقه، وأنعم عليه، بمعصيته، ومخالفة أمره: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾﴾ [الملك: ١٢].

فما أعظم هذا التذلل والخضوع والانكسار بين يدي الملك الذي بيده مقاليد الأمور، وما أقرب الجبر من الجبار لهذا القلب المكسور، وما أقرب الرحمة والمغفرة، والنصر والرزق، من هذا القلب الذليل، وما انفع هذا الذل لمن تذلل به لربه: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [الأنبياء: ٩٠].

وإن ذرةً من هذا الذل الصادق أحب إلى الله من طاعاتٍ أمثال الجبال من المدلين المعجبين بأعمالهم، وأحوالهم، وعلومهم: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم ۚ بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٤٩﴾﴾ [النساء: ٤٩].

وأحب القلوب إلى الله قلب تمكنت منه هذه الكَسرة، وملكته هذه الذلة، فهو ناكس الرأس بين يدي ربه، يكبره، ويسبحه ويقدسه، ويستغفره، لا يرفع رأسه حياءً من الله، لما يراه من عظمة جلاله وجماله وإحسانه، وتقصيره في أداء حقوق ربها العظيمة عليه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴿٦١﴾﴾ [المؤمنون: ٥٧-٦١].

فهذه الذلة أعظم سجدة يسجدها القلب بين يدي ربه، وإذا سجد القلب هذه السجدة العظيمة، سجدت معه جميع جوارح العبد لربها العزيز الرحيم، ووقف العبد بأعظم أبواب العبودية، ناظرًا إلى عزة الربوبية، وذلة العبودية، متصاغرًا لكبرياء ربه الكبير، ذليلًا بين يدي ربه الملك العزيز الجبار: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾ [الحشر: ٢٢-٢٤].

فما الظن بالرب الرحمٰن الرحيم، الذي هو أرحم بالعبد من نفسه، إذا فر عبده إليه، وهرب من عدوه إليه، وألقى بنفسه ذليلًا طريحًا باكيًا بين يديه، يقول يا رب ارحم ذليلًا جاء إليك، يا رب ارحم من لا راحم له سواك، وارزق من لا رازق له غيرك، وانصر من لا ناصر له سواك، وأغث من لا مغيث له سواك.

فهذا العبد جاء بكليته إلى مولاه وأظهر ذله وفقره إليه، واعترف بتقصيره بين يديه، أترى الرحمٰن الرحيم يرد سؤاله، ولا يجيب دعاءه ؟، حاشاوكلا :﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ ﴾[البقرة:١٨٦].

فالإجابة مقرونة بإظهار الذلة للملك العزيز الجبار، وعدم العجب والاستكبار: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾[غافر: ٦٠].

ومن ذل لله عز وجل ذل لأوليائه المؤمنين الذين ذلوا لربهم، فآمنوا به وعبدوه، وأطاعوه، وتعزز على الكفار المستكبرين :﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ ﴾ [المائدة: ٥٤].

وقال عز وجل:﴿ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾ ﴾[الشعراء:٢١٥].

٢ - منزلة الذل لله عز وجل

الذل لله عز وجل من أعظم عبادات القلوب، بل هو أصل العبودية، فالذل والافتقار إلى الله أقرب باب إلى الله، وهو أوسع أبواب العبودية، ولا مزاحم فيه، لقلة السالكين فيه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾﴾ [الحج:٧٧].

يا رب عبدك الفقير، الذليل، المذنب، الخطّاء بباك، فإن قبلته فأنت اهلٌ لذلك، وإن رددته فهو أهلٌ لذلك، ناصيته الخاطئة بين يديك، فإن قبلتها فبفضلك، وإن رددتها فبعدلك، غير أن رحمتك أوسع، فاغفر له وارحمه برحمتك التي وسعت كل شيء: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأعراف:٢٣].

وغاية جميع العبادات إظهار الخضوع والتذلل لله جل جلاله، وإظهار العبودية والفاقة والمسكنة للرب العزيز الجبار عز وجل: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾ [فاطر:٢٨].

وعبادة الذل والافتقار، والانكسار والتضرع، بين يدي الملك العزيز الجبار جل جلاله، من أعظم عبوديات القلب: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾﴾ [الملك:١٢].

والعبودية والذلة لله جل جلاله من أعلى المقامات عند الله عز وجل.

وعندما يرى الرب جل جلاله عبده متذللًا بين يديه بصدقٍ يغفر ذنوبه، ويفرج كربته، ويجيب دعاءه، ويقبل عبادته، وينصره ويكبت عدوه مع قلة أسبابه: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾﴾ [آل عمران:١٢٣].

والله سبحانه عزيز غني عن خلقه من كل وجه، والعبد ذليلٌ فقيرٌ إلى الله من كل وجه: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾﴾ [فاطر:١٥].

وأكمل الخلق عبودية لله أكملهم ذلًا لله، وانقيادًا له، وطاعةً له، وافتقارًا إليه، فكل أحد ذليلٌ لجبروت الله، ذليلٌ لعزته، ذليلٌ لقهره، ذليلٌ لربوبية مولاه، ذليلٌ

لإحسانه إليه، ذليلٌ لإنعامه عليه: ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾ [النحل:٥٣].

وأركان العبودية لله عز وجل هي كمال الحب لله عز وجل، مع كمال التعظيم لله، مع كمال الذل والخضوع لله عز وجل: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾ [الأنفال:٢-٤].

والحكمة من خلق الجن والإنس هي عبادة الله وحده، بكمال الحب والتعظيم والذل لله جل جلاله: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ ﴾ [الذاريات:٥٦-٥٨].

فكل العبادات مقصودها إظهار الذل والافتقار إلى الله عز وجل.

وأعظم عبادة تظهر فيها عظمة الذل والافتقار والخضوع لله عز وجل هي الصلاة: ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾ ﴾ [الزمر:٩].

وأعظم عبادة يحبها الله عز وجل هي عبادة الذل والانكسار بين يديه، وإظهار الفقر والمسكنة له، وإذا أردت أن يحبك الله، فادخل عليه من باب الذل والافتقار إليه: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾ [غافر:٦٠].

والعبادة المقبولة عند الله هي التي جمعت أصلين:

غاية الحب لله عز وجل، وغاية الذل له سبحانه، فمن أحببته، ولم تكن خاضعًا له، لم تكن عابدًا له، ومن خضعت له بلا محبة، لم تكن عابدًا له، حتى تكون محبًا لله، خاضعًا له: ﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ

﴿بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾[السجدة: ١٥-١٧].

وينقسم الذل إلى قسمين:

الأول: الذل المحمود، وهو الذل لله جل جلاله، لكمال ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، وهذا أغلى أنواع الذل.

وهذا الذل عنوان العز والشرف، والنصر والنجاة في الدنيا والآخرة: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾[فصلت: ٣٠-٣٢].

ثم الذل للمؤمنين، وهو بمعنى التراحم والتواضع والعطف: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾﴾[المائدة: ٥٤].

والذل للوالدين كما قال سبحانه: ﴿۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾﴾[الإسراء: ٢٣-٢٤].

الثاني: الذل المذموم، وهو التذلل لغير الله على وجه الذلة والهوان، والضعف والصغار، والخضوع ولانكسار.

ومن ذل لغير الله فقد أشرك بالله، واستحق العقوبة: ﴿سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ صَغَارٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَمْكُرُونَ ﴿١٢٤﴾﴾[الأنعام: ١٢٤].

٣- أنواع الذل لله عز وجل

الأول :ذل الحبيب لمحبوبه وهو الله عز وجل، وهذا أكمل وأعلى أنواع الذل، وهو ذل الأنبياء : ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾[الأنبياء:٩٠].

الثاني :ذل المملوك لمالكه، وهو الله عز وجل: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۚ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾﴾[فاطر:١٣].

الثالث : ذل الجاني بين يدي المنعم عليه، المحسن إليه، المالك له : ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾[الزمر:٥٣].

الرابع : ذل العاجز عن مصالحه وحاجاته بين يدي المالك لها، القادر عليها، أن يجلب له ما ينفعه، أو يدفع عنه ما يضره : ﴿قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ۖ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ إِنْ عِندَكُم مِّن سُلْطَٰنٍۭ بِهَٰذَآ ۚ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾﴾[يونس:٦٨].

الخامس : ذل المصائب، كالفقر والمرض، وأنواع البلاء والمحن، فلا ملجأ و لا منجا من الله إلا إليه، فيتذلل بين يدي ربه القادر على كل شيء أن يرفع عنه البلاء، ويكشف عنه السوء :﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾﴾[النمل:٦٢].

فسبحان الملك الحق الذي جميع مخلوقاته ذليلة بين يديه، متصاغرة لكبريائه، منقادة لأمره، مذعنة لجبروته، خاضعة لقهره :﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾﴾[آل عمران:٢٦].

هو سبحانه الحي بجميع صفات الجلال والجمال والكمال، وجميع مخلوقاته ذليلة بين يديه، فليدعوه وحده لا شريك له :﴿هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾[غافر:٦٥].

٤ - الوسائل المعينة على الذل لله عز وجل

الأولى : العلم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله، فمن عرف العظيم عظمه، ومن عرف العزيز ذل له، ومن عرف الغني سأله، ومن عرف الكريم وقف ببابه : ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾﴾[محمد:١٩].

الثانية : مطالعة آثار قدرة الله في الكون،من خلق السموات والأرض، وخلق الجماد والنبات، وخلق الإنسان والحيوان، وخلق الجبال والبحار،فمن عرف ذلك عرف الكبير، وتصاغر لكبريائه، وعرف العزيز فذل لعزته، وعرف القهار فذل لقهره، وعرف الحكيم فذل لحكمه، وعرف الملك فذل لأمره : ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾﴾ [البقرة:١٦٤].

ومن عرف ذلك آمن بربه، وأخلص له العبادة، وذل لعزته، وكبريائه، وجبروته: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾﴾[الزمر: ٩].

الثالثة : العلم بأسماء وصفات الجلال لله جل جلاله .

فمن عرف الملك أطاع أمره وذل له، ومن عرف الكبير كبره وذل له، ومن عرف القهار خضع له، ومن عرف الجبار ذل له، ومن عرف القادر استعان به، ومن عرف القوي لاذ بحماه وذل له :﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ

﴿ٱلۡخَٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ ٱلۡمُصَوِّرُۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٢٤﴾[الحشر:٢٢-٢٤].

الرابعة: معرفة النفس البشرية، فمن عرف نفسه بالضعف عرف ربه بالقوة، فذل له، وأطاع أمره، ومن عرف نفسه بالعجز عرف ربه بالقدرة التامة، فذل له، وأطاع أمره،ومن عرف نفسه بالجهل عرف ربه بالعلم المحيط، فذل له، وتعلم منه، واستجاب لأمره، ومن عرف نفسه بالذلة والفقر والحاجة عرف ربه بالعزة والغنى، فذل له، ووقف ببابه، وانكسر بين يديه:﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمۡ تَكُن تَعۡلَمُۚ وَكَانَ فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكَ عَظِيمٗا ١١٣﴾ [النساء:١١٣].

الخامسة: الإكثار من قراءة القرآن العظيم، وتدبر آياته، لمعرفة جلال الله وجماله، ومعرفة عظمة أسمائه وصفاته وأفعاله، ومعرفة عظمة ملكه وسلطانه ، ومعرفة عظمة دينه وشرعه، ومعرفة عظمة وعده ووعيده: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٢٩﴾[ص:٢٩].

ومن عرف ذلك آمن بالله العظيم، وذل لكبريائه وعزته، وصدق أخباره، وامتثل أوامره، واجتنب نواهيه، وعبد ربه بكمال الحب والتعظيم والذل له، فنال أعظم ثوابه :﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ٣ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَمَغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ٤﴾ [الأنفال:٢-٤].

٥ - علامات الذل والافتقار إلى الله عز وجل

الأولى : دوام الذكر، والاستغفار، والحمد، والشكر لله جل جلاله، فقلب العبد المؤمن عاكف على ذكر مولاه، والثناء عليه بأسمائه الحسنى، وصفاته العلا، دائم التوبة والاستغفار من كل زلل وتقصير، يظهر فقره وذله لربه العزيز الرحيم في كل آن : ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمۡ وَحُسۡنُ مَـَٔابٖ ﴿٢٩﴾﴾ [الرعد:٢٨-٢٩].

وقال عز وجل :﴿وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلۡ إِلَيۡهِ تَبۡتِيلٗا ﴿٨﴾ رَّبُّ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذۡهُ وَكِيلٗا ﴿٩﴾﴾[المزمل:٨-٩].

الثانية: التعلق بالله وحده، والرغبة في فعل كل ما يحبه الله ويرضاه في كل حال، وتقديم محبوبات ربه على محبوبات نفسه :﴿إِنَّمَا يُؤۡمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِهَا خَرُّواْۤ سُجَّدٗا وَسَبَّحُواْ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ۩ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمۡ عَنِ ٱلۡمَضَاجِعِ يَدۡعُونَ رَبَّهُمۡ خَوۡفٗا وَطَمَعٗا وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾[السجدة:١٥-١٧].

الثالثة: قوة الذل لله في قلب العبد، مع كمال الحب له، فتراه سلّم نفسه لربه منكسرًا بين يديه، متذللًا لعظمته، متصاغرًا لكبريائه، مقدمًا حب الله على كل حب، مؤثرًا لمرضاته على كل مرضاة .

ومن كانت هذه حاله وقف عند حدود الله، وأقبل على طاعته، والتزم بأمره ونهيه:﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾﴾[البقرة:٢٨٥].

الرابعة : الوجل من عدم قبول العمل، مع شدة إقبال العبد على أنواع الطاعات والقربات، إلّا أنه مشفق على نفسه أن يحُرم من قبول عمله : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴿٦١﴾﴾[المؤمنون:٥٧-٦١].

الخامسة: خشية الله في السر والعلن، فهي أعظم آيات وعلامات الافتقار إلى الله والذل له،فمن عرف الله بأسمائه وصفاته وأفعاله آمن به واتقاه، وأطاع أمره، وذل له وافتقر إليه، ووقف ببابه ولزم عتبة عبوديته : ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾[فاطر:٢٨].

السادسة: تعظيم أوامر الله الشرعية، فإن تعظيم الأمر والنهي من تعظيم الله عز وجل، وتعظيم الأمر والنهي هو الوقوف عند حدود الشرع، وأداء ما أمر الله ورسوله ﷺ به كما جاء، والعض عليها بالنواجذ :﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾﴾[الحج:٣٢].

ومن ذل لربه امتثل أمره، واجتنب نهيه: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ﴾[الحج:٣٠].

السابعة : الإنابة إلى الله عز وجل، والتسليم لأمره ، واتباع شرعه في كل حال : ﴿۞ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ وَٱتَّبِعُوٓا۟ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾﴾[الزمر:٥٣-٥٥].

الثامنة :كثرة التوبة والاستغفار من جميع الذنوب والمعاصي، فمن عرف ربه التواب تاب إليه من ذنوبه قبل فوات الأوان، ومن عرف ربه الغفور استغفره من

كل ذنب : ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٣١﴾ [النور:٣١].

وقال عز وجل :﴿ فَمَن تَابَ مِنۢ بَعۡدِ ظُلۡمِهِۦ وَأَصۡلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيۡهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ٣٩﴾[المائدة:٣٩].

التاسعة : الخوف والوجل عند ذكر الله، والمسارعة إلى فعل ما يحبه الله ويرضاه: ﴿ وَلِلَّهِ يَسۡجُدُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ مِن دَآبَّةٖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ ٤٩ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ۩ ٥٠﴾[النحل:٤٩-٥٠].

العاشرة : القيام بين يدي الله بكمال الحب، والتعظيم، والذل له :﴿ أَمَّنۡ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ سَاجِدٗا وَقَآئِمٗا يَحۡذَرُ ٱلۡأٓخِرَةَ وَيَرۡجُواْ رَحۡمَةَ رَبِّهِۦۗ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٩﴾[الزمر:٩].

وقال عز وجل :﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ ١٢﴾ [الملك:١٢].

اللهم يا حي يا قيوم، يا من لا تنفعه طاعاتنا، ولا تضره معاصينا، ارحم ذلنا وانكسارنا بين يديك، واغفر لنا ما قدمنا وما أخرنا، وما أسررنا وما أعلنا، وما أنت أعلم به منا .

﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغۡ قُلُوبَنَا بَعۡدَ إِذۡ هَدَيۡتَنَا وَهَبۡ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةًۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ ٨﴾ [آل عمران:٨].

٦ -ثمرات الذل لله عز وجل

الأولى :خشية الله في السر والعلن : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ ١٢﴾[الملك:١٢].

الثانية: إجابة الدعاء :﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ٦٠﴾[غافر:٦٠].

الثالثة: الفوز برضوان الله عز وجل :﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ٧٢﴾[التوبة:٧٢].

الرابعة: دخول الجنة :﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنۡهَا مِن ثَمَرَةٖ رِّزۡقٗا قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِي رُزِقۡنَا مِن قَبۡلُۖ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهٗاۖ وَلَهُمۡ فِيهَآ أَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞۖ وَهُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٢٥﴾[البقرة:٢٥].

الخامسة: الفوز بالثواب العظيم من الرب العظيم: ﴿إِنَّمَا يُؤۡمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِهَا خَرُّواْۤ سُجَّدٗا وَسَبَّحُواْ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ ۩ ١٥ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمۡ عَنِ ٱلۡمَضَاجِعِ يَدۡعُونَ رَبَّهُمۡ خَوۡفٗا وَطَمَعٗا وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ١٦ فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٧﴾[السجدة:١٥-١٧].

السادسة: الخلود في نعيم الجنة :﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ خَيۡرُ ٱلۡبَرِيَّةِ ٧ جَزَآؤُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَشِيَ رَبَّهُۥ ٨﴾[البينة:٧-٨].

عبادات القلوب

في ضوء القرآن والسنة

العبادة الثامنة عشرة

عبادة الاستعانة بالله عز وجل

وتشتمل هذه العبادة العظيمة على المباحث الآتية :

الأول: فقه الاستعانة بالله جل جلاله.

الثاني: منزلة الاستعانة بالله جل جلاله.

الثالث: أنواع الاستعانة.

الرابع: الأسباب المعينة على الاستعانة بالله عز وجل.

الخامس: أقسام الناس في الاستعانة.

السادس: جزاء أهل العبادة والاستعانة بالله جل جلاله.

العبادة الثامنة عشرة

عبادة الاستعانة بالله عز وجل

١ - فقه الاستعانة بالله جل جلاله

الاستعانة: هي طلب العون من الله ﷻ على فعل مصالح الدين والدنيا، وبلوغ درجات الجنة، فالإنسان يبرأ من حوله وقوته، ويفوّض أمره إلى الله، فإنه لا تحَوّلَ للعبد عن المعصية إلى الطاعة إلّا بتوفيق الله، ولا توفيق له للطاعة إلا بمعونة الله: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴿١٣﴾ ﴾[التغابن:١٣].

والاستعانة باللهمن مقتضى الإيمان بأسماء الله الحسنى، ومن لوازم الإيمان بأسماء الله: المستعان، القوي، القادر، القدير، المقتدر.

فالله وحده هو القوي القادر المستعان الذي يُعين من التجأ إليه في تحصيل منافع الدنيا والآخرة: ﴿ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱللَّهِ وَٱصۡبِرُوٓاْۖ إِنَّ ٱلۡأَرۡضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۖ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾ ﴾[الأعراف:١٢٨].

والاستعانة بالله من أعظم العبادات القلبية، وكل الخلق فقراء إلى ربهم في كل حال، فهو الذي خلقهم، وساق إليهم أرزاقهم، وهداهم إلى ما ينفعهم في الدنيا والآخرة: ﴿ هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾[غافر:٦٥].

وقد أَمَرنا الله بطلب الاستعانة به، فقال: ﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ﴿٥﴾ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧﴾ ﴾[الفاتحة:٢-٧].

والناس مُتباينون في الاستعانة بالله عز وجل.

فالمؤمنون يستعينون بربهم في كل حال، فيعملون بجوارحهم، ويتوكلون على

الله بقلوبهم، لعلمهم أن الله وحده بيده الخلق والأمر، والتدبير والتصريف، والحول والقوة: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأعراف: ٥٤].

وقال عز وجل: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال: ٢-٤].

أما الكفّار فإنهم يَبنون جميع حساباتهم على الأمور الحسِّية المادية، ولا يستعينون بالله، لجهلهم بالله، فلا يدعونه ولا يسألونه، ولا يتوكلون عليه.

وهؤلاء وإن حصل لهم بعض مقاصدهم الدنيوية، فإنهم لايؤجرون عليها، ولايرزقون حُسن العاقبة في الدنيا والآخرة: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّوا۟ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨﴾﴾ [يونس: ٧-٨].

وقال ﷻ عن الكفار: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾﴾ [الفرقان: ٢٣].

والاستعانة بالله جل جلاله أعظم عبادات القلوب، فهي تشمل:

الدعاء، والتوكل، والاستعاذة، والاستغاثة، والاستهداء، والاستبصار، والاستكفاء.

فكلّ ما يقوم به العبد من قول أو عمل يرجو به تحصيلَ منفعةٍ، أو دفعُ مفسدةٍ، فعليه أن يتعبد لله بالاستعانة به: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾﴾ [التغابن: ١٣].

وحاجة العبد إلى الاستعانة بربه العظيم لا تعدلها حاجة، بل هو مفتقرٌ إليه في

جميع أحواله، وذلك من رحمة الله به .

فكلّ أحد محتاجٌ إلى الهداية من الله، والثبات عليها، والعون عليها، ومحُتاجٌ إلى تثبيت قلبه على الحق، ومحُتاجٌ إلى مغفرة ذنبه إذا أذنب، ومحتاجٌ إلى سَتر عيوبه وزلّاته، ومحتاجٌ إلى حفظه من جميع الشرور والآفات والأمراض، ومحتاجٌ إلى الأمن إذا خاف، ومحتاجٌ إلى الطعام والشراب إذا جاع، وغير ذلك من الحاجات التي لا تنفكّ عن العبد كلّ لحظة من لحظات حياته .

فالإنسان كِيسُ الحاجات التي لا تنفكّ عنه أبدًا، وذلك من فضل الله عليه، ورحمته به، ليقف بباب مولاه، ويستعين بالذي خلقه في كل ما يحتاج إليه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾﴾ [فاطر:١٥].

والإنسان حارثٌ وهمّام، يجدُ في قلبه كلّ وقت مطلوبًا يحتاج إلى الإعانة على تحقيقه، والله وحده هو الربّ المستعان الذي بيده تحقيق المنافع، ودفع المضارّ، فلا يأتي بالخير إلا هو، ولا يدفع الشرّ إلا هو، ولا يأتي بالحسنات إلا هو، ولا يدفع السيئات إلا هو: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٨﴾﴾ [الأنعام:١٧-١٨].

وقال ﷻ: ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾﴾ [فاطر:٢].

وقلب المؤمن لا يطمئنّ ولا يستقرّ ولا يَسكُن إلّا بذكر الله، والإيمان به، والتوكل عليه، والاستعانة به، والاعتماد عليه: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ ﴿٢٩﴾﴾ [الرعد:٢٨-٢٩].

فمنتهى الأمور كلها إلى الله الواحد الأحد، و مقاليد الأمور كلها بيده وحده لا

شريك له: ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿٤٢﴾﴾[النجم:٤٢].

ويستحيل أن يكون المُنتهى إلى اثنين، كما يستحيل أن يكون ابتداء خلقِ المخلوقات من اثنين، فوجب أن تكون العبادة لله وحده، والتوكل على الله وحده، والاستعانة بالله وحده: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾﴾[الفاتحة:٢-٥].

ومن علم هذا علم أن ما شاء الله كان، ومالم يشأ لا يكون أبدًا، وأن ما يطلبه العبد من خيري الدنيا والآخرة بيد الله وحده، ولا يمكن لأحد أن يناله إلا من عند الله وحده: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾﴾ [النحل:٥٣].

ومن عرف ذلك يقينًا قام بقلبه عبودياتٍ عظيمة،من حُبّ الله، والتوكل عليه، وإسلام القلب له، والاستعانة به، والاستغاثة به .

وقامت في قلبه كذلك عبوديات الخوف والرجاء، والرغبة والرهبة، والثقة بالله، وحسن الظن به، وقامت في قلبه كذلك عبودية السكينة والطمأنينة: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾﴾[الرعد:٢٨].

وقال ﷻ: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ۗ﴾ [الفتح:٤].

وعبادة الله جلّ جلاله هي الغاية التي خلق الله الناس لأجلها، كما قال سبحانه: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾﴾[الذاريات:٥٦-٥٨].

والاستعانة بالله هي الوسيلة إليها، فإذا لم يُعِن الله عبده على طاعته وعبادته؛ ولم يطلب العبد من ربه العون على عبادته؛ لم تحصل منه تمام العبادة، وكمال العبودية، ولهذا قال سبحانه: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ٤ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ٥﴾[الفاتحة: ٢-٥].

وقال النبي ﷺ لمعاذ رضي الله عنه: «واللهَّ إنِّي لأحبُّكَ، فلا تدَعنَّ دُبُرَ كلِّ صلاةٍ أَنْ تقولُ: اللَّهمَّ أعنِّي على ذِكْرِكَ، وشُكْرِكَ، وحُسنِ عبادتِكَ» أخرجه أحمد وأبو داود(١).

والاستعانة من أعظم العبادات القلبية، وهي تدخل في جميع العبادات القلبية والبدنية، ولِعظم هذه العبادة وأهميتها تَعبَّد الله بها كل مسلم في كل ركعة من كل صلاة، فأمر النبي ﷺ أن يقرأها المسلم في كل ركعة من صلاته.

وأخبر ﷺ أن من لم يقرأ بفاتحة الكتاب فلا صلاة له، ففي كل ركعة من صلواتنا نقرأ: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ٥﴾[الفاتحة: ٥].

وفي هذه الآية اجتمع أمران عظيمان عليهما مدارُ كمال العبودية لله ﷻ: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ﴾[الفاتحة: ٥] وفيها إخلاص التوحيد، والبراءة من الشرك.

وقال ﷻ: ﴿وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ٥﴾[الفاتحة: ٥].

وفيها الاستعانة بالله، والبراءة من الحول والقوة؛ ومعنى ذلك لا نعبد إلا إيّاك، ولا نستعين إلا بك: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ١٠٢ لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ١٠٣﴾[الأنعام: ١٠٢-١٠٣].

فاجتهد أيها المؤمن في مصالحك، وافعل الأسباب المشروعة، واستعن بالله وحده، ولا تعتمد على الحرص، وجهد البدن:

وعن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهَّ ﷺ: «الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللهَّ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ، احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللهَّ وَلَا تَعْجَزْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلَا تَقُلْ: لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ: قَدَرُ اللهَّ وَمَا شَاءَ فَعَلَ، فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ» أخرجه مسلم(٢).

---

(١) صحيح: أخرجه احمد برقم (٢١٦١٤) وأبو داود برقم (١٥٢٢).

(٢) أخرجه مسلم برقم (٢٦٦٤).

وفي إفراد الله وحده بالاستعانة فائدتان:

الأولى: أن كلّ عبدٍ عاجزٍ عن الاستقلال بنفسه في أداء الطاعات، واجتناب المعاصي: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾﴾ [النحل:٥٣].

الثانية: أنه لا معين للعبد على مصالح دينه ودنياه إلا الله المستعان وحده لا شريك له، فمن أعانه الله حصل مقصوده، ومن خذله الله لم يتحقق مقصوده: ﴿إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ۖ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٦٠﴾﴾ [آل عمران: ١٦٠].

فتوكل أيها المؤمن على ربك المستعان، واستعن به في جميع أمورك، واستعن بالله وحده على فعل المأمورات، وترك المحظورات، والصبر على المصائب:

﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿١﴾ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَـٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧﴾﴾ [الفاتحة: ١-٧].

٢ - منزلة الاستعانة

الاستعانة بالله جلّ جلاله أعظمُ عبادات القلوب، وهي ثمرة معرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ١٩﴾[محمد:١٩].

وأفضل ما يسأل العبد ربه عز وجلالإعانة على مرضاته.

قال النبي ﷺ لمعاذ رضي الله عنه: «يا مُعاذُ، واللهَّ إنِّي لأحبُّكَ، فلا تنْسى أنْ تقول دُبُرَ كلِّ صلاةٍ: اللَّهمَّ أعنِّي على ذِكْرِكَ، وشُكْرِكَ، وحُسنِ عبادتِكَ» أخرجه أحمد(١).

وأنفع الدعاء هو طلب العون من الله على القيام بكل ما يحبه الله ويرضاه.

وأفضل المواهب إسعاف العبد بهذا المطلوب العظيم: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيۡكَ أَنۡ أَسۡلَمُواۖ قُل لَّا تَمُنُّواْ عَلَيَّ إِسۡلَٰمَكُمۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيۡكُمۡ أَنۡ هَدَىٰكُمۡ لِلۡإِيمَٰنِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ١٧﴾ [الحجرات:١٧].

وجميع الأدعية في القرآن والسنة مدارها على هذا الأصل العظيم، وعلى دفع ما يُضاده، وعلى تكميله، وتيسير أسبابه، كما قال سبحانه: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ٣ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ٤ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ٥ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ٧﴾ [الفاتحة:٢-٧].

ومن أصول الإيمان بالله تجريد الاستعانة بالله وحده، كتجريد العبادة لله وحده، سواء كانت الاستعانة بالله في الهداية، ولزوم الاستقامة، أو في تحصيل المطالب، وقضاء الحوائج التي يفتقر إليها العبد في أمور معاشه ومصالحه الدنيوية: ﴿هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦٥﴾[غافر:٦٥].

---

(١) صحيح: أخرجه احمد برقم (٢١٦١٤) وأبو داود برقم (١٥٢٢).

والاستعانة بالله من أعظم العبادات القلبية، وهي طلب العون من الله القادر على كل شيء، المتضمن كمال الذّل من العبد لربه، وتفويض الأمر إليه وحده، واعتقاد كفايته: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ١٣﴾ [التغابن:١٣].

والاستعانة بالله جل جلاله من أعظم واجبات الإيمان، وأفضل الأعمال التي تُقرّب للرحمن، لأن الأمور كلها لا تحصل إلا بالاستعانة بالله الذي بيده، مقاليد الأمور كلها: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ يُغۡشِي ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَ يَطۡلُبُهُۥ حَثِيثٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتِۭ بِأَمۡرِهِۦٓۗ أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٥٤﴾ [الأعراف:٥٤].

وقال عز وجل: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ٦٢ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ٦٣﴾ [الزمر:٦٢-٦٣].

٣- أنواع الاستعانة

الاستعانة ثلاثة أنواع:

الأول: الاستعانة بالله وحده المتضمنة كمال الذّل من العبد لربه، مع كمال الثقة بالله، والاعتماد عليه، وتفويض الأمر إليه.

وهذه هي الاستعانة التي أمر الله بها عباده المؤمنين، وهذه لاتكون إلا لله وحده: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٤ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۝٥﴾[الفاتحة: ٢-٥].

الثاني: الاستعانة بالمخلوق في أمرٍ يَقدرُ عليه.

فهذه إن كانت على بِرّ وخير فهي مشروعة، والمُعين عليها مأجور، لأن عونه إحسانٌ إلى نفسه وإلى غيره، وإن كانت على إثمٍ وعدوان فهي حرام، والمُعين آثم، لأنه تعاونٌ على فعلٍ محُرّم: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ۝٢﴾[المائدة: ٢].

والاستعانة بالله هي الأصل، والاستعانة بالمخلوق فيما يقدر عليه سببٌ ووسيلة مشروعة.

الثالث: الاستعانة بالأموات، أو الاستعانة بالأحياء على أمر غائب لا يقدرون عليه؛ فهذا شرك، لأن من استعان بهم يعتقد أن لهؤلاء تصرفًا في الكون، وأن مع الله مُدبّراً، والله وحده هو المستعان وحده، ومن استعان بالله وحده أغناه عن عَونِ غيره، ومن استعان بغير الله وكَلَه الله إلى من استعان به، فصار مخذولاً مذموماً، مخذولاً لا ناصرَ له، مذموماً لا حامدَ له: ﴿لَّا تَجۡعَلۡ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقۡعُدَ مَذۡمُومٗا مَّخۡذُولٗا ۝٢٢﴾[الإسراء: ٢٢].

والاستعانة بالله وحده هي سنّة الأنبياء التي أمروا أقوامهم بها: ﴿ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾ ﴾[الأعراف:١٢٨].

وأمر النبي ﷺ المؤمنين بالاستعانة بالله وحده في كل أمر .

قال النبي ﷺ لابن عباس: «يَا غُلامُ، إنِّي أعلِّمُكَ كَلِمَاتٍ: احْفَظِ اللهَ يحْفَظْكَ، احْفَظِ اللهَ تجِدْهُ تجُاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسأَلِ الله، وإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بالله، وَاعْلَمْ أنَّ الأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أنْ يَنفعُوكَ بِشَيءٍ لمَ يَنْفَعُوكَ إلاَّ بِشَيءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أنْ يَضُرُّوكَ بِشَيءٍ لمَ يَضُرُّوكَ إلاَّ بِشَيءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الأَقْلامُ وَجَفَّت الصّحُف» أخرجه الترمذي(١).

(١)صحيح/ أخرجه احمد برقم (٢٦٦٩) والترمذي برقم (٢٥١٦) .

٤ - الأسباب المعينة على الاستعانة بالله جل جلاله

الأول: العلم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله، فمن عرف اللهَ آمن به، وتوكل عليه، وفوّض أموره إليه، وعلم أنه لاحول له ولا قوة إلا بربه القوي القادر القهار: ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ١٩ ﴾[محمد:١٩].

الثاني: العلم بأن الأمور كلها بيد الله وحده، فما شاء الله كان، وما لم يشأ لا يكون أبدًا، لا رادّ لقضائه، ولا مُعقب لحكمه، ولا يجري في ملكه شيءٌ إلا بإذنه وعلمه، فهو الواحد الأحد الذي يدبّر كل أحد: ﴿ هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦٥ ﴾[غافر:٦٥].

فاستعن بالله المُستعان وحده، واسأله أن يُوَصّل إليك النفع الذي تريده، ويدفع عنك الضرّ الذي تخشاه: ﴿ مَّا يَفۡتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحۡمَةٖ فَلَا مُمۡسِكَ لَهَاۖ وَمَا يُمۡسِكۡ فَلَا مُرۡسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٢ ﴾[فاطر:٢].

وقال النبي ﷺ لابن عباس رضي الله عنه: «ياغُلامُ، إنِّي أعلِّمُكَ كَلِماتٍ: إذَا سَأَلْتَ فَاسأَلِ الله، وإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بالله» أخرجه أحمد والترمذي(١).

الثالث: اليقين بأن التدبير والتصريف، والحَوْلُ والقوة، بيد الله وحده لاشريك له: ﴿ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ١ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡمَوۡتَ وَٱلۡحَيَوٰةَ لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفُورُ ٢ ﴾[الملك:١-٢].

وقال النبي ﷺ: «لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ كَنْزٌ مِنْ كُنُوزِ الجَنَّةِ» متفق عليه (٢).

فمن أيْقَن أن الأمور كلها بيد الواحد القهّار استعان به، ولم يلتفت لشيء سواه، لأنه لا تحوّل من معصية الله إلى طاعته إلّا بمعونة الله، ولا ثبات على الطاعة إلا بمعونته، ولا إقرار بالتوحيد عند الممات إلا بمعونة الله، ولا تحوّل من الفقر إلى الغنى إلا بمعونة الله، ولا يتبدّل المرض بالصحة إلا بمعونة الله، ولا يتبدّل الفقر

---

(١) صحيح: أخرجه احمد برقم (٢٦٦٩) والترمذي برقم (٢٥١٦).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٤٢٢) ومسلم برقم (٢٧٠٤)

بالغنى إلا بمعونة الله: ﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُم مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ٥٦﴾ [هود:٥٦].

والذي يُستعان به في جميع الأحوال هو الله القادر على كل شيء، المحيط بكل شيء، القاهر لكل شيء، الذي لايمتنع عليه شيء، ولا يقف له شيء: ﴿قَٰلَ رَبِّ ٱحْكُم بِٱلْحَقِّ وَرَبُّنَا ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ١١٢﴾ [الأنبياء:١١٢].

ويُستعان بالأعمال الصالحة الخالصة لله عَزَّوَجَلَّ كالصبر والصلاة على تحمّل المَشاق في إبلاغ دين الله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٥٣﴾ [البقرة:١٥٣].

ويُستعان بالله وحده على تحصيل منافع الدنيا والآخرة، ودفع مضارّ الدنيا والآخرة: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ١٠٢ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ١٠٣﴾ [الأنعام:١٠٢-١٠٣].

وأعظم ما يطلب فيه المسلم المعونة من ربه هو طلب الهداية إلى الصراط المستقيم، كما قال سبحانه: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ٣ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ٤ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ٥ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ٧﴾ [الفاتحة:٢-٧].

ويَطلب كذلك المعونة على ذكر الله وشُكره، وحُسن عبادته من ربه المُستعان:
قال النبي ﷺ لمعاذ رضي الله عنه: «لا تدعنَّ دُبُرَ كلِّ صلاةٍ أَنْ تقولُ: اللَّهمَّ أعنِّي على ذِكْرِكَ، وشُكْرِكَ، وحُسنِ عبادتِكَ» أخرجه أحمد وأبو داود[1].

اللهم أنت المُستعان، وعليك التُّكلان، ولا حول ولا قوة إلا بك.

---

(١) صحيح: أخرجه احمد برقم (٢١٦١٤) وأبو داود برقم (١٥٢٢).

٥ - أقسام الناس في الاستعانة

الناس في عبادة الله والاستعانة أربعة أقسام:

الأول: أهل العبادة، والاستعانة بالله عليها، وهم المؤمنون المتقون، فعبادة الله وحده لا شريك له غاية مرادهم، وطلب العون من الله عليها، والتوفيق للقيام بأدائها، هو وسيلتهم، كما قال سبحانه: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾﴾ [الفاتحة:٢-٦].

وهؤلاء هم خِيارُ الناس، وأفضلهم، وأكملهم عبادة واستعانة: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾﴾ [البقرة:٥].

الثاني: المُعرِضون عن عبادة الله، والاستعانة به،فلا عبادة لهم،ولا استعانة، وإن استعان به أحدهم فعلى حظوظه وشهواته، لا على مرضاة ربه، وأداء حقوقه.

وهؤلاء شرّ الناس: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٦﴾﴾ [البينة:٦].

والله كريم يسأله من في السموات والأرض، ويسأله أولياؤه وأعداؤه، ويمدّ هؤلاء وهؤلاء من فضله: ﴿كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ وَلَلْءَاخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴿٢١﴾﴾ [الإسراء:٢٠-٢١].

وأبغضُ خلق الله إليه إبليس، ومع هذا سأله حاجةً وهي الإنظار إلى يوم القيامة، فأعطاه الله ماطلب: ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٣٦﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٣٧﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴿٣٨﴾﴾ [الحجر:٣٦-٣٨].

ولكن لمّا لم تكن عونًا له على طاعة ربه ومرضاته، صارت زيادةً في شِقوته، وبُعده عن الله، وطرده، ولعنه، وهكذاكل من استعان بالله على أمر، وسأله إياه،

ولم يكن عونًا على طاعة الله ومرضاته كان مُبعدًا له عن ربه، قاطعًا له عنه، فلا تسأل الله، ولا تستعين به، إلّا على أمرٍ يحبّه ويرضاه.

وإجابة الله لسائليه ليست لكرامة السائل عليه، فالله بصيرٌ بعباده، يسأله عبده الحاجة فيقضيها له، وفيها شِقوته وهلاكه، ويكون قضاؤه له من هوانه عليه، وسقوطه من عينه: ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [التوبة:٥٥].

ويكون منعه من قضاء حاجته لكرامته عليه، ومحبته له، فيمنعه صيانةً وحمايةً وحفظًا لا بُخلًا عليه، وهذا إنما يفعله العزيز الرحيم بمن يريد كرامته ومحبته، فيظنّ لجهله بحكمة الله أن الله لا يحُبه ولا يُكرمه، ويراه يقضي حوائج غيره، فيُسيء الظنّ بربه، ويعترض على أقداره واختياره له.

والعاقل يعلم أن عطاء الله ومنعه كله ابتلاء وامتحان: ﴿فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ ﴿١٦﴾ كَلَّا ۖ بَل لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ ﴿١٧﴾ وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿١٨﴾ وَتَأْكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا ﴿١٩﴾ وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴿٢٠﴾﴾ [الفجر:١٥-٢٠].

فالعطاء والمنع من الله كله ابتلاء للعبد، أيشكرُ العبد ربه على العطاء، فيعطيه فوق ذلك؛ أم يكفر بالله عند المنع، أم يصبر؛ فإن صبر أعطاه الله أضعاف ما فاته من سعة الرزق، فليس العطاء دليلٌ على الإكرام، وليس المنع دليلٌ على إهانة العبد، وإنما الإكرام الحقيقي يكون بإكرام المؤمن بمعرفة الله ومحبته، وطاعته وعبادته، والإهانة تكون لكلّ من كفر بالله، وأعرض عنه، وهو المحمود جلّ جلاله على هذا وهذا: ﴿فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾﴾ [الجاثية:٣٦-٣٧].

وقال عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ

﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾ [الحجرات: ١٣].

وقال ﷻ: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾﴾ [النساء: ١٤].

الثالث: من يعبد الله وحده من غير استعانةٍ به، ولا صبرٍ على أقداره، فتجد الواحد من هؤلاء يتحرّى الطاعات، وعنده الورع والزهد، ولزوم السنّة والمحافظة على الفرائض والنوافل، لكن ليس له توكل واستعانة، وصبر على الأقدار المؤلمة، بل فيه عجزٌ وجزعٌ وتسخّط على ما يصيبه من المكاره: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ ۖ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ ۖ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١١﴾﴾ [الحج: ١١].

الرابع: من عندهم استعانة وتوكل وصبر، من غير استقامة على الأمر الشرعي، ولا متابعة للسنّة.

فهؤلاء لا عاقبة لهم، لأنهم ليسوا من المتقين، والعاقبة للمتقين: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾ لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا۟ ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾﴾ [العنكبوت: ٦٥-٦٦].

٦ - جزاء أهل العبادة والاستعانة بالله جل جلاله

يُكرم الله عز وجل أهل العبادة والاستعانة بالله بكرامات كثيرة :

الأولى: رضوان الله عليهم، ورضاهم عنه كما قال سبحانه :﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ خَيۡرُ ٱلۡبَرِيَّةِ ٧ جَزَآؤُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَشِيَ رَبَّهُۥ ٨﴾[البينة:٧-٨].

الثانية: رِفعةُ الدرجات، ومغفرةُ الذنوب، والرزق الواسع كما قال سبحانه:﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ٣ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَمَغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ٤﴾ [الأنفال:٢-٤].

الثالثة: الأمن والسعادة في الدنيا والآخرة كما قال سبحانه :﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ٣٠ نَحۡنُ أَوۡلِيَآؤُكُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَشۡتَهِيٓ أَنفُسُكُمۡ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ٣١ نُزُلٗا مِّنۡ غَفُورٖ رَّحِيمٖ ٣٢﴾ [فصلت:٣٠-٣٢].

وقال عز وجل :﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ٨٢﴾[الأنعام:٨٢].

الرابعة: الخلود في نعيم الجنّة كما قال سبحانه :﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنۡهَا مِن ثَمَرَةٖ رِّزۡقٗا قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِي رُزِقۡنَا مِن قَبۡلُۖ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهٗاۖ وَلَهُمۡ فِيهَآ أَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞۖ وَهُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٢٥﴾[البقرة:٢٥].

الخامسة: رؤية المؤمنين ربهم يوم القيامة كما قال سبحانه: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣].

السادسة: القُرب من ربهم في الجنّة كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٥٥﴾﴾ [القمر: ٥٤-٥٥].

السابعة: الفوز بالجنّة، والنجاة من النّار: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾﴾ [آل عمران: ١٨٥].

وقال عز وجل: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾﴾ [مريم: ٧١-٧٢].

﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿١٤٧﴾﴾ [آل عمران: ١٤٧].

﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ﴿٨﴾﴾ [آل عمران: ٨].

اللهم آت نفوسنا تقواها، وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها..

عبادات القلوب

في ضوء القرآن والسنة

العبادة التاسعة عشرة

عبادة الاستغاثة بالله عز وجل

وتشتمل هذه العبادة العظيمة على المباحث الآتية :

الأول: فقه الاستغاثة بالله عز وجل.

الثاني: منزلة الاستغاثة بالله عز وجل.

الثالث: أنواع الاستغاثة.

الرابع: الفرق بين الاستغاثة والاستعانة.

الخامس: فضائل الاستغاثة بالله عز وجل.

السادس: الأسباب المعينة على الاستغاثة بالله عز وجل.

العبادة التاسعة عشرة

عبادة الاستغاثة بالله عز وجل

١ - فقه الاستغاثة بالله عز وجل

الاستغاثةُ بالله عز وجل هي طلب الغَوْثِ والمدد من الله الذي بيده ملكوت كلِّ شيء، إعلانًا للافتقار والحاجة لمن بيده مفاتيح كل شيء، وبيده وحده قضاء الحاجات، وتفريج الكربات: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾﴾[الأنفال:٩].

فالاستغاثة طلب الغَوث، وهو إزالة الشدّة، والكُربة والمِحنة .

والاستغاثة تكون بالله وحده، وهي من أعظم العبادات القلبيّة، فمن دعا الله مخلصًا أجابه، ومن استغاث به مخلصًا أغاثه، ومن استعانَ به وحده أعانه، ومن استجارَ بالله وحده أجاره. ومن استعاذَ به وحده أعاذه: ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ۗ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾[غافر:٦٥].

وتجوز الاستغاثة بالمخلوق فيما يقدر عليه عادةً، كأنْ يستغيث بمن يُنقذه من حريقٍ، أو يستغيث بمن ينقذه من غرقٍ، أو من سبع، ونحو ذلك.

أما الاستغاثة بالمخلوق الحيّ فيما لا يقدر عليه إلّا الله، كالاستغاثة بالأحياء لشفاء مريضٍ، أو إنزال غيثٍ، أو تفريج كربةٍ، أو دفعِ ضُرٍّ، فهذا شركٌ أكبر، لأنه لا يقدِر على ذلك إلّا الله وحده لا شريك له: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ ۚ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴿١١٧﴾﴾[المؤمنون:١١٧].

وكذلك الاستغاثة بالأموات والغائبين كلُّه من الشرك الأكبر :﴿وَلَقَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٦٥ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعۡبُدۡ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ٦٦﴾[الزمر:٦٥-٦٦].

فالأمور التي لا يقدرُ عليها إلّا الله وحده، لا تُطلب إلّا منه وحده، ومن طلبها من غيره فقد أشرك مع الله إلها آخر، واستحق عقوبة الله :﴿إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ ٧٢﴾[المائدة:٧٢].

فارفع حوائجك أيها المؤمن كلَّها إلى الربِّ القادر عليها كلها، وهو الله وحده لا شريك له :﴿ هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦٥﴾[غافر:٦٥].

ومن دعا الله مخلصاً أجابه :﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لِي وَلۡيُؤۡمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمۡ يَرۡشُدُونَ ١٨٦﴾[البقرة:١٨٦].

وقال النبي ﷺ: «يا فاطمة ؛ ما يَمنعُك أن تقولي إذا أصبحتِ وإذا أمسيتِ : يا حيُّ يا قيوم برحمتك أستغيث، أصلح لي شأني كله، ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين» أخرجه النسائي والحاكم(١).

والله جل جلاله وحده هو الملك القادر على كل شيء، القوي الذي لا يقف له شيء، ولا يمتنع عليه شيء، ولا يعجزه شيء. الذي يجُيب المضطرّ، ويكشفَ الضُرّ، ويُغيث المستغيث به:﴿إِذۡ تَسۡتَغِيثُونَ رَبَّكُمۡ فَٱسۡتَجَابَ لَكُمۡ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلۡفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُرۡدِفِينَ ٩﴾[الأنفال: ٩].

ولا يستطيع كشف الضرِّ إلّا من قدَّره، فهو الذي يخُففه، أو يُزيله، أو يَرفعه، أو يَزيده، وحده لا شريك له :﴿وَإِن يَمۡسَسۡكَ ٱللَّهُ بِضُرّٖ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَۖ وَإِن

---

(١)صحيح: أخرجه النسائي برقم (١٠٤٠٥) والحاكم برقم (٢٠٠٠).

يُرِدۡكَ بِخَيۡرٖ فَلَا رَآدَّ لِفَضۡلِهِۦۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۚ وَهُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾﴾ [يونس:١٠٧].

ومن عرف الله حقًا بأسمائه الحسنى، وصفاته العلا، وأفعاله الكبرى، لم يعبُد إلّا الله، ولم يسأل إلّا إيّاه، ولم يستعنْ إلا بالله وحده، ولم يستغيثْ إلا بالله وحده لا شريك له: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ﴿١٩﴾﴾ [محمد:١٩].

والاستغاثة بالله وحده ثمرة معرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلۡأَمۡرُ بَيۡنَهُنَّ لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا ﴿١٢﴾﴾ [الطلاق:١٢].

ومن عرف ذلك آمن بالله وحده، وأحبّه ومجّده، وخافه ورجاه، واستغاث به وحده عند المُلِمّاتِ والكروبِ والشدائدِ: ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجۡعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ﴿٥١﴾﴾ [الذاريات:٥٠-٥١].

وقال عز وجل: ﴿هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [غافر:٦٥].

فالله عز وجلّ لكمال ذاته، وأسمائه، وصفاته، وأفعاله، لا يُستعان إلا به، ولا يُتوكل إلّا عليه، ولا يُستغاث إلّا به، لأنه وحده الملك القادر الذي بيده مقاليد الأمور كلها: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنعام:١٠٢-١٠٣].

والاستغاثة عبادةٌ قلبيّةٌ، وهي من مقتضيات الإيمان بأسماء الله الحسنى :﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾[الأعراف:١٨٠].

والاستغاثة من لوازم الإيمان بأسماء الله القوي، القادر، القدير، المقتدر، القهّار. فمن علم أن الله هو القوي وحده استغاث به عند الشدائد والكربات، والله يُغيثُ من استغاثبهصادقاً :﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾﴾[الأنفال:٩].

فالله جلّ جلاله هو الملك القادر على كل شيء، الذي لا يعجزه شيء، ولا يغيب عنه شيء، ولا يمتنع عليه شيء، الذي يجيب المضطرّ، ويكشف الضرّ، ويُغيث المستغيث:﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾﴾[النمل:٦٢].

ولا يستطيع كشفَ الضُرّ إلّا من قدّره، فهو الذي يُخفّفه أو يزيله، أو يرفعه أو يزيده، وحده لا شريك له:﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٨﴾﴾ [الأنعام:١٧-١٨].

٢ - منزلة الاستغاثة بالله عز وجل

خلق الله عز وجل الخلق لعبادته وحده لا شريك له، وجعلهم جميعا فقراء إليه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ (١٥)﴾ [فاطر:١٥].

والعبادة لها ركنان:

عبادة الله بغاية الذُّلِّ له .. مع كمال الحُبِّ لله عز وجل.

والاستغاثة بالله عز وجلّ من الركن الأول، بل هي قلب الركن الأول وأساسه وأصله، لأن الاستغاثة بالله هي الذّل التّام للملك العزيز الجبار، والفَزَعُ إليه في الشدائد والكروب، ومع صدق الاستغاثة من العبد، تكون سرعة الإجابة من الرب، كما قال سبحانه عن استغاثة الرسول ﷺ والمؤمنين في بدر: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ (٩) وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (١٠)﴾ [الأنفال:٩-١٠].

وقال عز وجل: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (١٢٣)﴾ [آل عمران:١٢٣].

فالاستغاثة بالله جلّ جلاله من أعظم عبادات القلوب، ولهذا سارعَ إليها خِيارُ الناس، وهم الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام، كما أخبر الله عنهم مبيّنًا كمال تضرُّعهم، وتذلُّلهم لربهم، واستغاثتهم بمولاهم، فقال عز وجل عن أيوب ﷺ: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ (٨٣)﴾ [الأنبياء:٨٣].

فأجاب الله دُعاءه واستغاثته فورًا: ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ (٨٤)﴾ [الأنبياء:٨٤].

واستغاث يونس ﷺ بربه، كما قال سبحانه: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٨٧﴾ [الأنبياء:٨٧].

فاستجاب الله دعاءه فورًا، كما قال سبحانه: ﴿فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُۨجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٨٨﴾ [الأنبياء:٨٨].

وقال سبحانه عن زكريا ﷺ: ﴿وَزَكَرِيَّآ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرۡنِي فَرۡدٗا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡوَٰرِثِينَ ٨٩﴾ [الأنبياء:٨٩].

فاستجاب الله دعاءه واستغاثته، كما قال سبحانه: ﴿فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَوَهَبۡنَا لَهُۥ يَحۡيَىٰ وَأَصۡلَحۡنَا لَهُۥ زَوۡجَهُۥٓۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ٩٠﴾ [الأنبياء:٩٠].

وقال سبحانه عن خليله إبراهيم ﷺ حينما دعا قومه إلى التوحيد، فأبوا واستكبروا، وأضرموا له نارًا، فاستغاث بربه، وشكا حاله إليه، فأجاب الله دعاءه واستغاثته فورًا، وجعل النار بردًا وسلامًا عليه، كما قال سبحانه: ﴿قَالُواْ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمۡ إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ ٦٨ قُلۡنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرۡدٗا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ ٦٩ وَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيۡدٗا فَجَعَلۡنَٰهُمُ ٱلۡأَخۡسَرِينَ ٧٠ وَنَجَّيۡنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَا لِلۡعَٰلَمِينَ ٧١ وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ نَافِلَةٗۖ وَكُلّٗا جَعَلۡنَا صَٰلِحِينَ ٧٢﴾ [الأنبياء:٦٨-٧٢].

ونوح ﷺ دعا قومه إلى الإيمان بالله، فاستكبروا عن الحق، وسَخروا منه، فاستغاث بربه، فأجاب الله دعاءه، وأنجاه من أعدائه، وأغرق من كفر به، كما قالسبحانهعن نوح ﷺ: ﴿۞ كَذَّبَتۡ قَبۡلَهُمۡ قَوۡمُ نُوحٖ فَكَذَّبُواْ عَبۡدَنَا وَقَالُواْ مَجۡنُونٞ وَٱزۡدُجِرَ ٩ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَغۡلُوبٞ فَٱنتَصِرۡ ١٠ فَفَتَحۡنَآ أَبۡوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٖ مُّنۡهَمِرٖ ١١ وَفَجَّرۡنَا ٱلۡأَرۡضَ

عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾ وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾ تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴿١٤﴾ ﴾[القمر:٩-١٤].

ومحمد ﷺ استغاث بربه يوم بدر، وناشده أن يحفظ المؤمنين، وأن ينصرهم على من عاداهم من الكفار، كما قال سبحانه: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾ ﴾[الأنفال:٩].

فنصر الله رسوله وأولياءه، وخذل أعداءه من الكفار.

ولما اشتدّ الجدْبُ على الناس، ودخل الأعرابي المسجد، فوجد النبي ﷺ يخطب الناس، فقال: يا رسول الله، هلكَ المالُ، وجاعَ العيالُ، فادع الله لنا.

فقال النبي ﷺ مستغيثًا بربه: « اللهم أغثنا، اللهم أغثنا، اللهم أغثنا ». متفق عليه (١).

فأمطرت السماء أسبوعا: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ ۚ وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٨﴾ ﴾[الشورى:٢٨].

إن الاستغاثة بالله من أعظم منازل العبودية، فعلى المؤمن إذا نزلت به مصيبةٌ، أو كربةٌ، أو كارثةٌ، أو شدةٌ، أن يستغيث بربه العظيم، ويضع خدّه على التراب، مُتذلّلا لربه، مُستغيثًا به أن يفرّجَ كُربته، ويزيل محِنته، لأن الله وحده قاضي الحاجات، ومجيبُ الدعوات، لا إله غيره، ولا ربّ سواه: ﴿هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾[غافر:٦٥].

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (١٠١٤)، ومسلم برقم (٨٩٧).

٣- فضائل الاستغاثة بالله عز وجل

الأولى :أن الله عز وجل يغيث من استغاث به، ويعطيه ما سأله، ويجيب دعوته إذا دعاه وحده ولو كان كافرا، لأن الله كريم لا يرد سائلاً، ولا يخيب مؤملاً : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِى وَلْيُؤْمِنُواْ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ ﴾[البقرة:١٨٦].

وقال سبحانه عن الكفار :﴿ فَإِذَا رَكِبُواْ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾[العنكبوت:٦٥].

الثانية :أن الله ينصر المظلوم ولو كان كافرا، إذا أخلص لله الدعاء، واستغاث به وحده: ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴿٥١﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٥٢﴾ ﴾[غافر:٥١-٥٢].

وقال النبي ﷺ: « واتَّقِ دعوة المظلوم فإنها ليس بينها وبين الله حجاب » متفق عليه (١).

الثالثة : أن إغاثة الله لمن استغاث به تكون أسرع شيء، كما قال سبحانه :﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾ ﴾ [الأنفال:٩].

الرابعة : أن الاستغاثة بالله من أعظم دلائل الإيمان، وصدق العبودية، كما قال سبحانه :﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾ [الأنفال:٢-٤].

---

(١)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (١٤٩٦) ومسلم برقم (١٩) .

٤- أنواع الاستغاثة

الاستغاثة ثلاثة أنواع :

الأولى : الاستغاثة المشروعة

وهي الاستغاثة بالله وحده، فمن عرف الله بأسمائه وصفاته وأفعاله، استغاث به وحده، وفزعَ عند الشدائد والمحن إلى الله وحده، وهذه استغاثة الأنبياء والمؤمنين، كما قال سبحانه عن المؤمنين في بدر :﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾﴾[الأنفال:٩].

وهذه هي الاستغاثة العظمى التي يريدها الله من عباده :﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجْعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۖ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥١﴾﴾ [الذاريات:٥٠-٥١].

الثانية : الاستغاثة الجائزة

وهي الاستغاثة بالمخلوق الحيّ فيما يقدر عليه عادةً.

فتجوز الاستغاثة بالمخلوق الحيّ الحاضر فيما يقدِر عليه، كَأَنْ يستغيث بمن يُجيد السباحة في إنقاذه من الغرق، مع انعقاد القلب على أن المُغيث حقيقةً هو الله وحده، ولولا إعانة الله وتوفيقه لغرِق، وإن حاول أن يُنقذه أهل الأرض جميعًا، أو يستغيث بمن يحميه من عدوه، كما قال الله عز وجلّ عن موسى ﷺ :

﴿وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦۖ فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِي مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِي مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِۖ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِۖ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَٱغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُۥٓۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦﴾﴾[القصص:١٥-١٦].

لأن موسى ﷺ لم يُرِدْ قتلَ القِطْبي، وإنما يريد نصر الذي من شيعته، وتخليصه من عدوه .

وقال النبي ﷺ لابن عباس رضي الله عنهما : «يا غُلام؛ إني أُعلّمكَ كلمات : احفظ الله يحفظْك، احفظ الله تجِده تجُاهك، إذا سألتَ فاسأل الله، وإذا استعنتَ فاستعن بالله، واعلمْ أنّ الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيءٍ، لم ينفعوك إلّا بشيءٍ قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضرّوك بشيءٍ لم يضرّوك إلّا بشيءٍ قد كتبهُ الله عليك، رُفِعَتْ الأقْلامْ، وجَفَّت الصُحُفْ ».أخرجه أحمد والترمذي(١).

فاستغث أيها المؤمن بالله وحده في جميع أحوالك، ويجوز لك أن تستغيث بغيره من البشر الأحياء فيما يقدرون عليه عادة، مما أقْدَرهُم الله عليه كطلب الإنقاذ من غرقٍ أو حرقٍ ونحو ذلك لأن الله قال :﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢﴾﴾[المائدة:٢].

وقال النبي ﷺ : «المؤمن للمؤمن كالبنيان، يشد بعضه بعضا ».أخرجه(٢).

الثالثة :الاستغاثةالشركية.

وهي الاستغاثة بغير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله وحده .

فمن استغاث بمخلوق حيّ فيما لا يقدِر عليه إلا الخالق وحده، كطلب الشفاء منه أو الغنى، فقد أشرك بالله الشرك الأكبر، ومن استغاث بميتٍ أو غائبٍ من الخلق سواءً كان صالحًا أو فاسدًا ، فقد أشرك بالله الشرك الأكبر : ﴿ وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَـٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾﴾ [المؤمنون:١١٧].

---

(١)صحيح: أخرجه احمد برقم (٢٦٦٩) والترمذي برقم (٢٥١٦).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٠٢٦) ومسلم برقم (٢٥٨٥).

فلا تجوز الاستغاثة بالأموات مطلقا، لأن الميت لا يسمعه، فكيف يجيبه وينفعه؟ فالميت لا يستطيع أن يدفع عن نفسه دود الأرض وهوامها، وحتى لو كان حيا لم يملك أن يغيثه إلا على قدر طاقته البشرية المحدودة، فلا يملك أن يشفيه، أو يرد عنه الموت، لأن ذلك كله بيد الله وحده لا شريك له. فليستغيث بهوحده :﴿ يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ كُلّٞ يَجۡرِي لِأَجَلٖ مُّسَمّٗىۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ لَهُ ٱلۡمُلۡكُۚ وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمۡلِكُونَ مِن قِطۡمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدۡعُوهُمۡ لَا يَسۡمَعُواْ دُعَآءَكُمۡ وَلَوۡ سَمِعُواْ مَا ٱسۡتَجَابُواْ لَكُمۡۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكۡفُرُونَ بِشِرۡكِكُمۡۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثۡلُ خَبِيرٖ ﴿١٤﴾﴾ [فاطر:١٣-١٤].

٥ - الفرق بين الاستغاثة والاستعانة

الفرق بين الاستغاثة، والاستعانة، والاستعادة، والدعاء:

أن الاستعانة بالله تكون في أمور الدنيا والدين في كل حال؛ في حال الشدة والرخاء، كما قال سبحانه: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾﴾ [الفاتحة:٢-٥].

أما الاستغاثة بالله عز وجل، فهي طلب تفريج الشدة، أو الكربة، أو المحنة. وتكون عند وقوع الشرّ والمصائب والفواجع.

فالعبد المؤمن إذا نزلت به تلك الشدائد، استغاث بربه ليرفعها عنه، والله وحده هو الذي يعينه، ويرفع عنه ذلك البلاء، ويحقق له ما يريد من النصر أو النجاة، كما قال سبحانه عن المؤمنين في غزوة بدر: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾﴾ [الأنفال:٩].

وأما الاستعاذة فهي طلب الحماية من الشرّ.

فتطلب من الله أن يحميك من الشرّ قبل وقوعه، فتستعيذ بالله من الفتن قبل وقوعها، وتستعيذ بالله من الشيطان عند قراءة القرآن، كما قال سبحانه: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ [النحل:٩٨-١٠٠].

والدعاء أعم من هذه الثلاث، لأن الاستعانة دعاءٌ مخصوص، والاستغاثة دعاءٌ مخصوص، والاستعاذة دعاءٌ مخصوص.

أما الدعاء فهو عامٌ في طلب ما تحتاجه، سواءٌ كان ذلك طلب خير، أو دفع شر : ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِى وَلْيُؤْمِنُواْ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾[البقرة:١٨٦].

وقال عز وجل عن الأنبياء :﴿إِنَّهُمْ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾[الأنبياء:٩٠].

فالحمد لله رب العالمين الذي شرع لنا هذه العبوديات الأربع:

الاستعانة بالله عز وجل، والاستغاثة به، والاستعادة به من كل شر، ودعاء الله عز وجل : ﴿فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾﴾[الجاثية:٣٦-٣٧].

وقال عز وجل :﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾[غافر:٦٠].

٦ - الأسباب المعينة على الاستغاثة بالله عز وجل

الأول : العلم بالله، وأسمائه، وصفاته، وأفعاله. فمن عرف الله حقا، آمن به حقا، ووحده حقا، وتوكل عليه حقا، واستغاث به حقا :﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ١٩ ﴾ [محمد:١٩].

ومن علم أن الله وحده بيده كل شيء، وغيره ليس بيده شيء، استغاث بالله وحده، ولم يلتفت لأحد سواه :﴿ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ٥٠ وَلَا تَجۡعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ٥١ ﴾[الذاريات:٥٠-٥١].

الثاني : اليقين بقوة الله الغالبة التي لا يُعجزها شيء، ولا يقف لها شيء، ولا يمتنع عليها شيء : ﴿ ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيۡرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُۗ وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لَّهُدِّمَتۡ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٞ وَصَلَوَٰتٞ وَمَسَٰجِدُ يُذۡكَرُ فِيهَا ٱسۡمُ ٱللَّهِ كَثِيرٗاۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ٤٠ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ ٤١ ﴾[الحج:٤٠-٤١].

فمن أيقن بكمال قوة الله، لم يستغث إلا بالله وحده،ومن استغاث بالله أجابه، ونصره على من عاداه، كما قال الله عن المؤمنين في بدر :﴿إِذۡ تَسۡتَغِيثُونَ رَبَّكُمۡ فَٱسۡتَجَابَ لَكُمۡ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلۡفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُرۡدِفِينَ ٩ ﴾[الأنفال:٩].

الثالث : اليقين بكمال رحمة الله الواسعة، وأن رحمة الله وسعت كل أحد من خلقه، مؤمنهم وكافرهم، وبرهم وفاجرهم، وأن رحمة الله سبقت غضبه : ﴿رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا فَٱغۡفِرۡ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ ٧ ﴾[غافر:٧].

وقال النبي ﷺ لما قضى الله الخلق كتب عنده فوق عرشه «إن رحمتي سبقت غضبي» متفق عليه[1].

واليقين بأن الله يريد أن يرحم عباده، ويغفر لهم، وييسر أمورهم :﴿وَرَحۡمَتِي

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٣١٩٤) ومسلم برقم (٢٧٥١).

وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَوٰةَ وَالَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَىٰةِ وَالْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَٰلَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُولَٰٓئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾﴾[الأعراف:١٥٦-١٥٧].

الرابع: اليقين بحكمة الله البالغة، فأن الله حكيمٌ خبير، ما قدَّر البلاء إلّا ليُمحّص قلوب المتقين، ويُكفِّر سيئات المذنبين، ويرفع درجات المؤمنين، وما قدَّر المصائب لإهلاك الناس، بل قدَّرها لإكرامهم،ورفع درجاتهم، وتكفير سيئاتهم، وإحسان عاقبتهم : ﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾﴾[التغابن:١١].

وقال عز وجل :﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَٰلِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَٰتِ وَبَشِّرِ الصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَٰٓئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [البقرة:١٥٥-١٥٧].

وقال عز وجل :﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾﴾[التوبة:٥١].

اللهم ربنا عليك توكلنا، وإليك أنبنا، وإليك المصير

اللهم أغث قلوبنا بالإيمان واليقين، واستعمل جوارحنا فيما يرضيك عنا،

اللهم آتِ نفوسنا تقواها، وزكّها أنت خيرُ من زكاها، أنت وليّها ومولاها.

﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿٢٠١﴾﴾ [البقرة:٢٠١].

﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ﴿٨﴾﴾ [آل عمران:٨].

عبادات القلوب

في ضوء القرآن والسنة

العبادة العشرون

عبادة الافتقار إلى الله ﻷ

وتشتمل هذه العبادة العظيمة على المباحث الآتية :

الأول: فقه الافتقار إلى الله ﻷ.

الثاني: منزلة الافتقار إلى الله ﻷ.

الثالث: أنواع الافتقار.

الرابع:درجات الافتقار إلى الله ﻷ.

الخامس: علامات الافتقار إلى الله ﻷ

السادس: ثمرات الافتقار إلى الله ﻷ.

العبادة العشرون

عبادة الافتقار إلى الله ﷻ

١ - فقه الافتقار إلى الله ﷻ

الافتقار إلى الله عز وجل من أعظم العبادات القلبية .

والافتقار إلى الله هو الشعور القلبي بالفقر والحاجة والفاقة إلى الله في كل حال .

والافتقار إلى الله هو الاستغناء بالخالق وحده، والغنى عن كل أحد سواه : ﴿ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [غافر:٦٥].

والافتقار هو التوكل على الله وحده، وتفويض الأمور إليه وحده، وتخلص القلب من شهوات الدنيا من الأموال والنساء والمناصب وغيرها، فلا يتعلق القلب بها، ولا ينافس فيها، ولا يفرح بجمعها، ولا يبخل ببذلها، ولا يحزن لفواتها: ﴿ ۞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ ﴾ [فاطر:١٥].

والافتقار من مقتضى الإيمان بأسماء الله الحسنى، ومن موجبات الإيمان بأسماء الله الملك، القوي، القادر، الغني، الرزاق، الواسع: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾ ﴾ [الأعراف:١٨٠].

فمن وثق في غنى مولاه، شاهد فقر كل ما عداه من المخلوقات إليه، ورأى فقرهم إليه، وحاجتهم إليه في خلقهم وأرزاقهم وهدايتهم: ﴿ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٦﴾ ﴾ [لقمان:٢٦].

هو سبحانه الرب الواحد الأحد، الغني عن كل أحد، الذي أفقر إليه كل أحد:

﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾ [الإخلاص:١-٤].

والافتقار إلى الله جل جلاله من أعظم خصائص العبودية، وهو حقيقة العبودية ولبها وروحها: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾﴾ [فاطر:١٥].

فالله وحده هو الغني عن كل ما سواه، والخلائق كلهم فقراء إليه، أذلة بين يديه، وجميعهم محتاجون إليه في خلقهم،وأرزاقهم،وحياتهم،وهدايتهم :﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾﴾[الزمر:٦٢].

الناس كلهم فقراء إلى الله في تألههم له، وحبهم له، وتعبدهم له، وإخلاص العبادة له، فلو لم يوفقهم لذلك لهلكوا، وفسدت أحوالهم: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾﴾[آل عمران:١٦٤].

والناس كلهم فقراء إلى الله في إعدادهم بالقوى والأعضاء والجوارح، التي لو لا أن الله خلقها فيهم لما استطاعوا القيام بأي عمل، فكم نعمة أنعم الله بها عليك أيها العبد في حواسك وجوارحك، وفي سمعك وفي بصرك، وفي كلامك وفي عقلك :﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾﴾[النحل:٧٨].

الناس جميعًا فقراء إلى الله في إمدادهم بالأقوات والأرزاق، والنعم الظاهرة والباطنة، فلو لا فضل الله وإحسانه وإكرامه لما حصل لهم من النعم شيء :﴿أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾﴾[لقمان:٢٠].

وقال عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ۚ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ (٣)﴾[فاطر:٣].

الخلق كلهم فقراء إلى الله في صرف النقم عنهم، ودفع الضر عنهم، وإزالة الكروب والشدائد والمكاره عنهم، فلولا دفع الله الشر عنهم، وتفريجه لكربهم، وإزالته لعسرهم، لاستمرت عليهم المكاره والمصائب والآلام، وتراكمت عليهم الهموم والغموم والأحزان: ﴿وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ (٥٣)﴾[النحل:٥٣].

والأنبياء والرسل هم أصدق الناس افتقارًا إلى الله جل جلاله ولجوءاً إليه عند الشدائد والكروب، فصدقوا في افتقارهم إلى الله، فأجاب الله دعاءهم، وفرج كربهم، ونصرهم على من عاداهم، كما أخبر الله عن نبيه يونس ﷺ بقوله: ﴿وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ (٨٧) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ (٨٨)﴾[الأنبياء:٨٧-٨٨].

وقال عن نبيه أيوب ﷺ: ﴿۞ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ (٨٣) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ ۖ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَابِدِينَ (٨٤)﴾[الأنبياء:٨٣-٨٤].

وقال سبحانه عن نبيه نوح ﷺ: ﴿۞ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ (٩) فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ (١٠) فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ (١١) وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَىٰ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ (١٢) وَحَمَلْنَاهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ (١٣) تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفِرَ (١٤) وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ (١٥)﴾[القمر:٩-١٥].

وحين دعا إبراهيم ﷺ قومه إلى التوحيد، فأرادوا إحراقه بالنار، ولم يقبلوا دعوته فقال: حسبي الله ونعم الوكيل، فأنجاه الله من النار، وأبطل شدة حرارة النار، وجعلها بردًا وسلامًا على إبراهيم: ﴿قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾ وَنَجَّيْنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَٰلِحِينَ ﴿٧٢﴾﴾ [الأنبياء: ٦٨-٧٢].

وكان رسول الله ﷺ يقول عند الكرب مفتقراً إلى ربه: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ الْعَظِيمُ الحلِيمُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَرَبُّ الْأَرْضِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ» متفق عليه (١)

والناس جميعاً فقراء إلى الله في صحتهم وعافيتهم، وفي أمنهم وخوفهم، وفي جمع كلمتهم، وتأليف قلوبهم: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ [آل عمران: ١٠٣].

وقال عز وجل عن المؤمنين: ﴿وَإِن يُرِيدُوٓا۟ أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ ٱللَّهُ ۚ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ [الأنفال: ٦٢-٦٣].

والناس جميعًا فقراء إلى الله في تعليمهم ما لايعلمون، وعملهم بما يصلحهم ويسعدهم في الدنيا والآخرة، ولولا تعليم العليم لهم لم يتعلموا، ولولا توفيقه

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٣٤٥)، ومسلم برقم (٢٧٣٠).

لهم لم يصلحوا، فامتن الله عليهم بإرسال الرسل، وإنزال الكتب، وزودهم بآلات العلم، بالأسماع والأبصار والعقول: ﴿وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيۡكُم مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡحِكۡمَةِ يَعِظُكُم بِهِۦۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴿٢٣١﴾﴾ [البقرة: ٢٣١].

فلا إله إلا الله كم نعم الله على عباده: ﴿قُلۡ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَكُمۡ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۖ قَلِيلٗا مَّا تَشۡكُرُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الملك: ٢٣].

والناس كلهم فقراء إلى الله بالذات بكل اعتبار، والله هو الغني عن كل ما سواه: ﴿لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ﴿٢٦﴾﴾ [لقمان: ٢٦].

فالموفق من الناس من يشاهد فقره التام، وحاجته إلى ربه في كل حال من أمور دينه ودنياه، ويتضرع إلى ربه ويسأله ألا يكله إلى نفسه طرفة عين، وأن يعينه على جميع أموره في كل حال: ﴿۞يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ﴿١٥﴾﴾ [فاطر: ١٥].

٢ - منزلة الافتقار إلى الله عَزَّ وَجَلَّ

الافتقار إلى الله عز وجل من أعظم عبادات القلوب، ومن رأى نعم الله الدنيوية عليه وعلى غيره شكر ربه وحمده عليها: ﴿فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾﴾ [الجاثية:٣٦-٣٧].

ومن رأى النعم الدينية والأخروية من الله وحده افتقر إليه، وانكسر بين يديه، ومن لم ير افتقاره إلى الله في تلك النعم منّ على ربه بالطاعة، وطلب عليها الأجر، وذلك مما يحبط عمله: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا۟ ۖ قُل لَّا تَمُنُّوا۟ عَلَىَّ إِسْلَٰمَكُم ۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾﴾ [الحجرات:١٧].

ومن منّ بالعلم على خلق الله، وتكبر عليهم بعلمه وحاله وطاعته، وظن أنه خير منهم، وأنهم بحاجة إليه، فزكى نفسه، واحتقر غيره، فذلك كله من محبطات الأعمال: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴿٣٢﴾﴾ [النجم:٣٢].

وقال النبي ﷺ: «بِحسْبِ امْرِئٍ من الشَّرِّ أنْ يحقِرَ أخاهُ المسلِمَ» أخرجه مسلم [(١)]

ومن حرم الافتقار إلى الله من أهل العلم، والمال، والطاعات، ورأى نفسه، طلب مدح الناس له، فجاهد معهم ليقال شجاع، وأنفق المال عليهم ليقال كريم، وقرأ القرآن ليقال هو قارئ .

فهؤلاء الثلاثة هم أول من تسعر بهم النار يوم القيامة، لفقدهم الافتقار، لأن أعمالهم لم تكن خالصة لله، بل صرفوها لغير الله من أجل الشهرة: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف:١١٠].

وقال النبي ﷺ: «إنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَى يَوْمَ الْقِيامَةِ عَلَيْهِ رَجُلٌ اسْتُشْهِدَ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فعرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى اسْتُشْهِدْتُ،

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٥٦٤) .

قَالَ : كَذَبْتَ ، وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ لِأَنْ يُقَالَ : جَرِيءٌ ، فَقَدْ قِيلَ ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ ، وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ ، وَعَلَّمَهُ، وَقَرَأَ الْقُرْآنَ ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا ، قَالَ : فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا ؟ قَالَ : تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ ، وَعَلَّمْتُهُ وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ ، قَالَ : كَذَبْتَ ، وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ لِيُقَالَ : عَالِمٌ، وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ : هُوَ قَارِئٌ ، فَقَدْ قِيلَ ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ ، وَرَجُلٌ وَسَّعَ اللهُ عَلَيْهِ ، وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ كُلِّهِ ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ : فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا ؟ قَالَ : مَا تَرَكْتُ مِنْ سَبِيلٍ تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ فِيهَا إِلَّا أَنْفَقْتُ فِيهَا لَكَ ، قَالَ : كَذَبْتَ ، وَلَكِنَّكَ فَعَلْتَ لِيُقَالَ : هُوَ جَوَادٌ ، فَقَدْ قِيلَ ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ ، ثُمَّ أُلْقِيَ فِي النَّارِ» أخرجه مسلم (١).

فمن طلب مدح الناس فقد افتقر إلى الدنيا، وترك الافتقار إلى الله، فحبط عمله: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [الزمر:٦٥-٦٦].

والافتقار يدفع العبد للتواضع لربه، والشعور بفضله ومنته عليه بالتوفيق والهداية إلى الصراط المستقيم، وعدم التألي على ربه، وتجاوز حدوده .

وحكى رسول الله ﷺ: «أَنَّ رَجُلًا قَالَ: وَاللهِ لا يَغْفِرُ اللهُ لِفُلانٍ، وَإِنَّ اللهَ تَعَالَى قَالَ: مَنْ ذَا الَّذِي يَتَأَلَّى عَلَيَّ أَنْ لا أَغْفِرَ لِفُلانٍ؟ فَإِنِّي قَدْ غَفَرْتُ لِفُلانٍ وَأَحْبَطْتُ عَمَلَكَ» أخرجه مسلم (٢).

فالافتقار إلى الله عز وجل أعظم عبادات القلوب، وأوسع باب يدخل منه العبد على ربه: ﴿فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥١﴾﴾ [الذاريات:٥٠-٥١].

---

(١) أخرجه مسلم برقم (١٩٠٥) .

(٢) أخرجه مسلم برقم (٢٦٢١) .

٣- أنواع الافتقار

فقر الناس ينقسم إلى قسمين :

الأول : فقر أهل الدنيا :

وهم الذين أخلدوا إلى الأرض، ورأوا الدنيا جنة كبيرةً جدًا، فتعلقت قلوبهم بزينتها وزخرفها وشهواتها، وتعلقت نفوسهم بمن يملكها فخافوه ورجوه، واتبعوه ووالوه من دون الله، فافتقروا إلى الدنيا، واستغنوا بها عن الله، وقد ذم الله هؤلاء، وتوعدهم بالعذاب يوم القيامة بقوله :﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّوا۟ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨﴾﴾[يونس:٧-٨].

الثاني: فقر أهل الإيمان.

فمن عرف الله بالجلال والجمال والكمال، والأسماء الحسنى، والصفات العلا، والأفعال الحميدة، افتقر إليه، وذل بين يديه، وخضع لجلاله، وتصاغر لكبريائه، واقترب منه فأدناه، وافتقر إليه فأغناه بحبه عما سواه، وتوكل عليه فكفاه :﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾[الأنفال:٢-٤].

فالفقير إلى الله عز وجل هو الذي عرف الملك العزيز الجبار، الرحمن الرحيم الغفار، الكريم الأكرم الوهاب، فافتقر إليه وحده، فأغناه عن كل ما سواه :﴿ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [غافر:٦٥].

وكلما اقترب العبد من ربه، صغرت الخلائق بين عينيه، ورآهم جميعًا في قبضة مولاه، فافتقر إليه وحده، ولم يلتفت لأحد سواه: ﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٥٦﴾ [هود:٥٦].

فمن عرف ربه افتقر إليه وحده، واستغنى به عما سواه: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦ وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٦٧﴾ [الزمر:٦٧].

والزهد والافتقار إلى الله عبادتان من عبادات القلوب العظيمة، وهما متلازمتان لا تفترقان، فالزهد عبادة تركية، والافتقار إلى الله عبادة فعلية.

فمن زهد في الدنيا استغنى عن الدنيا، وافتقر إلى الله، ومن لم يزهد في الدنيا، استغنى بالدنيا، ولم يفتقر إلى الله، ومن افتقر إلى الله استغنى به، واستغنى عن الدنيا، ومن لم يفتقر إلى الله، استغنى عنه، وافتقر إلى الدنيا، فخسر دنياه وأخراه: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡعَاجِلَةَ عَجَّلۡنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلۡنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصۡلَىٰهَا مَذۡمُومٗا مَّدۡحُورٗا ١٨ وَمَنۡ أَرَادَ ٱلۡأٓخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعۡيَهَا وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ كَانَ سَعۡيُهُم مَّشۡكُورٗا ١٩ كُلّٗا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنۡ عَطَآءِ رَبِّكَۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحۡظُورًا ٢٠ ٱنظُرۡ كَيۡفَ فَضَّلۡنَا بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ وَلَلۡأٓخِرَةُ أَكۡبَرُ دَرَجَٰتٖ وَأَكۡبَرُ تَفۡضِيلٗا ٢١﴾ [الإسراء:١٨-٢١].

ولا يشعر العبد بحلاوة الافتقار إلى الله إلا إذا عرف ربه بأسمائه وصفاته وأفعاله، وتخلص قلبه من الافتقار إلى الدنيا، ومن الحرص عليها وكنزها، والبخل بها، والشح بها: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ١٩﴾ [محمد:١٩].

فالذي خلق الدنيا بيّن حقارتها، فأعرِض عنها، وتوكل على الله وحده: ﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [العنكبوت: ٦٤].

والحرص عليها هو شدة الاهتمام بتحصيلها إذا فقدت، والبخل بها إذا وجدت، واللهث في طلب المزيد منها كل وقت: ﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا ۖ وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿٢٠﴾ سَابِقُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢١﴾﴾ [الحديد: ٢٠-٢١].

والكنز هو كل مال لا تؤدى زكاته، فكل مال لاتؤدى زكاته فهو مال مكنوز، سيعذب به صاحبه يوم القيامة: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۗ وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ ۖ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [التوبة: ٣٤-٣٥].

والبخل هو إمساك المال عن إنفاقه فيما أوجب الله من الزكاة، وصلة الرحم، والإنفاق على الأهل والأولاد، والآباء والأمهات ونحوهم، والإنفاق في سبيل الله: ﴿هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ ۖ وَمَن يَبْخَلْ

﴿فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦۚ وَٱللَّهُ ٱلْغَنِىُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُۚ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَٰلَكُم ﴿٣٨﴾﴾[محمد:٣٨].

وأشد من البخل أمر الناس بالبخل :﴿ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦۗ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٣٧﴾﴾[النساء:٣٧].

والشح هو تطلع الإنسان إلى ما ليس في يده، والافتقار إلى الدنيا دون الافتقار إلى الله العظيم.

فالبخل هو إمساك ما يملك، والشح هو طلب ما لا يملك، والشح لو كان في الحلال لكان مذمومًا، لأنه يؤدي إلى إشغال العبد بالدنيا، والانصراف عن طاعة الله، ولا يزال الشح يقوى عند بعض الناس إلى أن يدفعه إلى سفك الدماء، واستحلال ما حرم الله.

قال النبيﷺ: « اتقوا الظلم وَاتَّقُوا الشُّحَّ ، فَإِنَّ الشُّحَّ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ ، حَمَلَهُمْ عَلَى أَنْ سَفَكُوا دِمَاءَهُمْ ، وَاسْتَحَلُّوا مَحَارِمَهُمْ »أخرجه مسلم [(١)].

---

(١)أخرجه مسلم برقم (٢٥٧٨) .

٤ - درجات الافتقار إلى الله ﷻ

الافتقار إلى الله ﷻ على خمس درجات:

الأولى: أعظم الافتقار إلى الله الافتقار إلى هدايته إلى الصراط المستقيم كما قال سبحانه عن أهل الجنة: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ ۖ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ ۖ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ ۖ وَنُودُوا أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [الأعراف: ٤٣].

فينبغي على العبد أن يعلم أنه لا حول له ولا قوة إلا بالله، وأنه لا يملك لنفسه ولا لغيره نفعًا ولا ضرًا فليفتقر إلى الله في جميع أموره: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ ۖ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿١٥﴾﴾ [فاطر: ١٥].

ويطلب أعظم المطالب من ربه، وهي الهداية إلى الصراط المستقيم، التي تطلبها من الله في كل ركعة من الصلاة كما قال سبحانه: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴿٧﴾﴾ [الفاتحة: ٢-٧].

الثانية: الافتقار إلى الله في أداء الطاعات، فيرى العبد أن التوفيق إلى الطاعات من توفيق الله وعونه له، ولا يمنّ بالعمل على الله، ولا ينسب العمل إلى نفسه بل ينسبه إلى فضل الله وتوفيقه: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ ﴿٥٣﴾﴾ [النحل: ٥٣].

ولا يمنّ بالعلم على الخلق، ولا يرى نفسه فوقهم، ولا يطلب منهم على تعليمه وإحسانه وإنفاقه شيئاً من الدنيا، بل يقول: ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾﴾ [هود: ٨٨].

ويطلب الأجر من الله وحده: ﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٤٧﴾﴾ [سبأ: ٤٧].

الثالثة: الافتقار إلى الله في الثبات على الدين: ﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٣﴾﴾[آل عمران:٥٣].

وقال النبي ﷺ: «يا مقلِّبَ القلوبِ ثبِّتْ قلبِي على دينِك»أخرجه أحمد والترمذي(١).

الرابعة: الافتقار إلى الله في قبول الأعمال الصالحة منه، وذلك من أرجى الأعمال كما قال إبراهيم وإسماعيل عليهما الصلاة والسلام عند بناء الكعبة: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِۦمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾﴾[البقرة:١٢٧].

الخامسة: الافتقار إلى الله أن يثيبه على عمله، فالله هو الكريم الذي منّ علينا بالدين، وهو الذي يسر لنا العمل به، وهو وحده الذي يملك الجزاء عليه :﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿١٤﴾﴾[الحج:١٤].

لهذا يجب على العبد أن يشعر نفسه بعدم قدرته على فعل الطاعات، وأنه ما فعلها إلا بأقدار الله له، وتوفيقه له، وإعانته عليها، وحتى إن فعلها فلا يستحق بها الجنة، وأنه فقير لن يدخل الجنة إلا بفضل الله ورحمته لا بعمله، فهو فقير إلى الله في كل شيء، في فعل الطاعات، وفي ثواب الطاعات، ففعل الطاعات سبب لدخول الجنة، لا موجبًا لها.

قال النبي ﷺ: «لَنْ يُدْخِلَ أَحَدًا مِنْكُمْ عَمَلُهُ الْجَنَّةَ قَالُوا : وَلَا أَنْتَ ؟ يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ : وَلَا أَنَا ، إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللهُ مِنْهُ بِفَضْلٍ وَرَحْمَةٍ»متفق عليه (٢).

---

(١)صحيح: أخرجه أحمد برقم (١٣٦٩٦) والترمذي برقم (٢١٤٠).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٥٦٧٣) ومسلم برقم (٢١٤٠).

٥ - علامات الافتقار إلى الله ﷻ

الافتقار إلى الله عز وجل له علامات، وحقيقة الافتقار إلى الله أن يجرد المؤمن قلبه من كل حظوظ النفس وأهوائها، ويقبل بكليته إلى ربه، متذللاً بين يديه، مستسلمًا لأمره ونهيه، متعلقًا قلبه بربه، مجردًا لله محبته وعبوديته :﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾[الأنعام:١٦٢-١٦٣].

والافتقار إلى الله وحده هو روح العبادات القلبية والعملية، وبقدر افتقار القلب فيها إلى الله يكون أثرها في قلبه، ويعم نفعها له في الدنيا والآخرة :﴿إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾﴾[الملك:١٢].

والافتقار إلى الله في كل حال حادٍ يحدو العبد إلى التعلق بالله وحده، ولزوم تقواه، ودوام طاعته، ويتحقق ذلك بأمرين :

الأول: مشاهدة عظمة الله جل جلاله، وعظمة أسمائه وصفاته وأفعاله، وكمال قدرته، وعظمة جبروته :﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾[الحشر:٢٢-٢٤].

الثاني: مشاهدة ضعف المخلوق، وعجزه، وحاجته إلى ربه:﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿١٥﴾﴾[فاطر:١٥].

وقال عز وجل: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٢﴾ إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾﴾[الإنسان:٢-٣].

ومن علامات الافتقار إلى الله عز وجل:

التعلق بالله وحده، وبكل ما يحبه ويرضاه، فشعور العبد بفقره وحاجته وفاقته إلى ربه يدفعه إلى الوقوف ببابه، والاستغاثة به، والاستكانة إليه، والإنابة إليه، ورفع الشكوى إليه وحده،والإكثار من ذكره وحمده، والثناء عليه، والحرص على ما يرضيه، والمسارعة إلى فعل محبوباته: ﴿هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾[غافر:٦٥].

وعلامات صدق الافتقار إلى الله هو السلامة من الدنيا طلبًا وتركًا، فهو لا يطلب الدنيا، ولا ينافس فيها، لأنه يراها لا تساوي شيئًا، وإذا تركها لا يشعر أنه ضحّى بشيء له قيمة يحزن عليه.

فالسلامة من الدنيا هي ألا ينافس في عزها، ولا يجزع من ذلها، ولا يحزن على ما فاته منها، ولا يفرح بما نال منها فرح العجب والغرور، ولا ينسب ما حصل منها إلى فعله وكسبه، بل ينسبه إلى فضل الله وكرمه: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾﴾[النحل:٥٣].

ومن صدق في افتقاره إلى الله أظهر له حقيقة الدنيا الفانية، وحقيقة الآخرة الباقية: ﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾﴾[العنكبوت:٦٤].

ومن رأى الدنيا جيفة، ورأى الضباع تتنافس عليها، امتنع عن منافستهم فيها، ونأى بنفسه عن التكالب عليها، وسارع إلى ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الصالحة: ﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ

فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِۖ كَمَثَلِ غَيۡثٍ أَعۡجَبَ ٱلۡكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصۡفَرّٗا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمٗاۖ
وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٞ شَدِيدٞ وَمَغۡفِرَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٞۚ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ
﴿٢٠﴾ سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ
ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٢١﴾﴾
[الحديد: ٢٠-٢١].

ومن صدق في افتقاره إلى الله تجاوز المحبوب الأدنى إلى المحبوب الأعلى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلۡبَنِينَ وَٱلۡقَنَٰطِيرِ ٱلۡمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلۡفِضَّةِ وَٱلۡخَيۡلِ ٱلۡمُسَوَّمَةِ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ وَٱلۡحَرۡثِۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلۡمَـَٔابِ ﴿١٤﴾ ۞ قُلۡ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيۡرٖ مِّن ذَٰلِكُمۡۖ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞ وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ ﴿١٥﴾﴾ [آل عمران: ١٤-١٥].

اللهم يا حي ياقيوم اغفر لنا وارحمنا، يا أرحم الراحمين.

ياحيياقيوم برحمتك نستغيث، فلا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين.

﴿رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأعراف: ٢٣].

٦ -ثمرات الافتقار إلى الله ﷻ

الأولى: الشوق إلى لقاء الله، والمسارعة إلى الخيرات: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴿٦١﴾﴾ [المؤمنون: ٥٧-٦١].

فإذا شاهد قلب العبد عظمة ملك الله وغناه، وشاهد فقر جميع الخلائق إليه في كل حال، رغبت نفسه واشتاقت للقاء الله .

وكلما رجا العبد لقاء الله استعد للقائه، واجتهد لنيل رضاه وثوابه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾﴾ [فاطر: ٢٩-٣٠].

فاجتهد يا عبد الله للقاء الله بالمواظبة على فعل الطاعات التي تنال بها أعلى الدرجات: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف: ١١٠].

وقال النبي ﷺ: «وأسألك لذة النظر إلى وجهك، والشوق إلى لقائك» أخرجه أحمد والنسائي (١).

الثانية: الاستغناء عن الخلق، والاستغناء بالله وحده: ﴿فَفِرُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجْعَلُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥١﴾﴾ [الذاريات: ٥٠-٥١].

---

(١) صحيح: أخرجه احمد برقم (١٨٣٥١) والنسائي برقم (١٣٠٥) .

فمن رأى أن الدنيا متاع الغرور أبعد عنها، وسارع إلى طاعة الله ورسوله، وسابق إلى كل عمل صالح، ونافس في نيل الدرجات العلى من الجنة: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾﴾ [الأنفال: ٢].

الرابعة: الفرح بطاعة الله، فمن عرف الله حقا افتقر إليه وحده، وفرح بكل ما يحبه ويرضاه: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾﴾ [يونس:٥٨].

الخامسة: الزهد في الدنيا، والسلامة منها طلباً وتركاً، فهو لا يطلب الدنيا، ولا ينافس فيها، لأنه يراها لا تساوي شيئاً، وإذا تركها فإنه لا يشعر أنه ضحى بشيء له قيمة يحزن عليه: ﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا ۖ وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿٢٠﴾ سَابِقُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢١﴾﴾ [الحديد: ٢٠-٢١].

والسلامة من الدنيا أن لا ينافس في عزها، ولا يجزع من ذلها، ولا يحزن على ما فاته منها، ولا يفرح بما نال فيها فرح العجب والغرور، ولا ينسب ما حصل له منها إلى فعله وكسبه، بل ينسبه إلى فضل الله وكرمه: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾﴾ [النحل:٥٣].

ومن صدق في افتقاره إلى الله أظهر له حقيقة الدنيا الفانية، وحقيقة الآخرة

الباقية: ﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [العنكبوت: ٦٤].

ومن رأى الدنيا جيفة، ورأى الكلاب تتنافس عليها، امتنع عن منافستهم فيها، ونأى بنفسه عن التكالب عليها، وأقبل على طاعة ربه ومولاه، ونيل ثوابه ورضاه: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾﴾ [آل عمران: ١٨٥].

وقال الله عز وجل: ﴿وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿١٣٦﴾﴾ [آل عمران: ١٣٣ – ١٣٦].

عبادات القلوب

في ضوء القرآن والسنة

العبادة الحادية والعشرون

عبادة التسليم لله ﷻ

وتشتمل هذه العبادة العظيمة على المباحث الآتية :

الأول: فقه التسليم لله ﷻ.

الثاني: منزلة التسليم لله ﷻ.

الثالث: فضائل التسليم لله ﷻ.

الرابع: علامات التسليم لله ﷻ.

الخامس: تفاوت الناس في التسليم لله ﷻ.

السادس: الأسباب المعينة على التسليم لله ﷻ.

العبادة الحادية والعشرون

عبادة التسليم إلى الله ﷻ

١ - فقه التسليم لله ﷻ

التسليمُ والاستسلامُ لله عز وجل هو الانقياد والخضوع والإذعان التام لله ﷻ، والتسليم التام لأمره وقضائه، والإسلام هو الاستسلام لله بالتوحيد، والانقياد له بالطاعة، والبراءة من الشرك: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ ﴾ [النساء: ٦٥].

والتسليم والاستسلام لله عز وجل من مقتضى الإيمان بأسماء الله الحسنى، ومن موجبات الإيمان بأسماء الملك العزيز الجبار، القوي القادر القهار.

فالله سبحانه هو الملك الذي له ملك كل شيء، وهو العزيز الذي ذل له كل شيء، وهو الجبار الذي جبر مخلوقاته على ما أراد، وهو القوي القادر القهار الذي قهر كل شيء على ما أراد، من جماد ونبات، وإنسان وحيوان، وملائكة وجان: ﴿ سُبْحَانَهُ ۖ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٤﴾ ﴾ [الزمر: ٤].

وهو الملك الذي بيده الخلق والإبداع، وبيده التدبير والتصرّف، وبيده الحياة والموت، وبيده العِزّة والذلّة، لاراد لقضائه، ولا مُعقِّب لحكمه، وهو على كل شيء قدير: ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ ۖ بِيَدِكَ الْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ ﴾ [آل عمران: ٢٦].

فسبحان القوي القادر الذي لا يقفُ له شيء، ولا يمتنعُ عليه شيء، ولا يفرُّ منه شيء، ولا يغيب عنه شيء: ﴿ هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ۗ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [غافر: ٦٥].

والتسليم والاستسلام لله عز وجل شرطٌ في صحة إيمان العبد، وبدونه لايدخلُ العبد في الإسلام: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ ﴾[النساء:٦٥].

والإسلام والتسليم والاستسلام معناها واحد، هو الانقياد والإذعان، والخضوع والقبول من الإنسان لمِا يَرِدُ عليه من ربه من حكم كوني من قضاءٍ وقدر، ومن حُكمٍ شرعيّ من أمرٍ ونهي: ﴿ ۞ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ ۗ وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴿٢٢﴾ ﴾[لقمان:٢٢].

وأصول الإيمان بالله عز وجلّ أربعة:

التوكل على اللهوحده .. وتفويض الأمور إليه .. والرضا بقضاء الله وقدره .. والتسليم لأمر الله الشرعيّ.

وهذه الأربعة هي أعظم مقامات العبودية

فالتوكل هو جعل العبد ربه وكيلاً عنه وله، يقوم بمصالحه وتدبير أموره: ﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ ۚ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾ ﴾[الطلاق:٢-٣].

وقال ﷻ: ﴿ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾ ﴾[التغابن:١٣].

والتفويضهو الاعتراف بعدم الحول والقوة إلّا بالله، وردَّ كلّ فعلٍ حسنٍ إلى الله وحده: ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾ [النحل:٥٣].

وقال ﷻ: ﴿ مَّا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ۖ وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ۚ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿٧٩﴾ ﴾[النساء:٧٩].

والرضاهو موافقةُ الطبعِ لكل ما يفعله الله جل جلاله به، والسكون تحت مجاري القضاء والقدر والشرع، والرضا باختيار الله للعبد من محبوبٍ أو مكروه: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾ جَزَاؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ

﴿تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُۥ ﴿٨﴾﴾ [البينة: ٧-٨].

والتسليمهو مُطاوعة العبد المحضة لما يريده الله فيه ومنه في كل حال: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِيٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [النساء: ٦٥].

ولا تَثْبتُ قدم الإسلام لأحد، إلا على ظهر التسليم والاستسلام لله الواحد القهار، والإذعان لله وحده والتسليم لأمره: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ۗ فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَلَهُۥٓ أَسْلِمُوا۟ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ وَٱلْمُقِيمِى ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الحج: ٣٤-٣٥].

ولا تحصل الطُمأنينة للعبد إلّا بمعرفة العبد لله، وأسمائه، وصفاته، وأفعاله، والسكونُ إلى تدبيره، والطمأنينة بذكره: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ ﴿٢٩﴾﴾ [الرعد: ٢٨-٢٩].

والتسليم لله عَجَّلَ في أقداره الكونية، وأوامره الشرعية، هو أعظم عبادات القلوب، ولإظهار هذه العبودية من العبد يبتلي الله بعض عباده بأنواع من المصائب و البلايا، ليعلم مدى تسليم العبد لله، وتفويض أموره إليه، والتسليم لكل ما قضاه الله وقدّره عليه، فإن صَبرَ العبد، وسلّم لأمر ربه، نال من ربه أعظم الثواب، وفاز برحمة الله، وكمال الهداية: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [البقرة: ١٥٥-١٥٧].

والأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام هم أعظم من استسلمَ لله عز

وجلّ، وأذعن لحكمه، وانقاد لأمره، وفوّض أموره إليه، وأحسن التوكل عليه، لكمال معرفتهم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [الأنبياء: ٩٠].

هذا آدم ﷺ يقول لربه بعد معصيته: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأعراف: ٢٣].

وهذا نوح ﷺ ينادي ربّه بقوله: ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ ۖ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۖ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ ۖ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِى وَتَرْحَمْنِىٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [هود: ٤٥-٤٧].

وهذا خليل الرحمن إبراهيم ﷺ يُعلن كمال التسليم لربّه العظيم: ﴿إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِۦمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾﴾ [البقرة: ١٣١-١٣٢].

وقد حقق إبراهيم ﷺ إسلامه وتسليمه لله ولأمره عمليًّا، حين أمره الله بترك زوجه هاجر وابنها إسماعيل بوادٍ غير ذي زرع، كما قال الله عز وجل: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [إبراهيم: ٣٧].

وحين رأى في المنام أنه يذبح ابنه اسماعيل، الذي تعلّق قلبُه بحبِّه، فسلَّم لأمر ربه، وباشر الذّبح امتثالًا لأمر ربه، كما قال الله ﷻ: ﴿فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ

﴿١٠٦﴾ وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي ٱلْأَخِرِينَ ﴿١٠٨﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿١٠٩﴾ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١١٠﴾﴾ [الصافات: ١٠١-١١٠].

ورسول الله ﷺ أصدقُ الخلقِ إيمانًا، و أعظم الناس تسليمًا لله ولأمره: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾﴾ [البقرة: ٢٨٥].

وأصحاب النبي ﷺ أصدق الناس بعد الأنبياء تسليمًا لله ورسوله، كما قال الله عنهم: ﴿ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْا۟ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾﴾ [آل عمران: ١٧٢-١٧٤].

وكلّ عبدٍ سلَّم أمره لله عز وجلّ، وفوّضَ أموره إليه، وتوكّل عليه وحده، وامتثل أوامره، واجتنبَ نواهيه؛ أكرمه اللهُ بما يسُرُّه، وصرفَ عنه ما يضرُّه، وأسعدهُ في الدنيا والآخرة: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾ [فصلت: ٣٠-٣٢].

إن التسليم لله ربّ العالمين، والانقياد لأمره؛ أعظم أصول الإيمان، وأكبر دلائل الإحسان، وأقوى ثوابت الإيمان، بل التسليم لله هو الدينُ كلهُ: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [النساء: ٦٥].

التسليم لله رب العالمين هو الانقيادُ والخضوعُ والإذعانُ لله ﷻ، والانقياد لأمره، والرضا بقدره وشرعه، واليقين بحسن اختياره، ولا يحقّق المؤمن كمالُ التسليم

لله عز وجل إلّا إذا عرفَ ربهُ بأسمائه وصفاته وأفعاله، وأحسن الظنّ به، وعلِمَ أن الله لم يشرع إلّا الخير الأكمل، وأنّ قدره لعبده كُلّهُ خير، وبهذا يرضى ويُسلِّم وينقاد لكل ما أمره الله ورسوله به: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [النساء: ٦٥].

وإذا امتلأ قلب العبد إيمانًا وتصديقًا، أثمرَ كمال التسليم والانقياد لله عَزَّ وَجَلَّ، وأثمرَ توحيد الله، ومحبته، وتمجيده، وتفويض الأمر إليه وحده، وأثمرت جوارحهُ فعل كلّ ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأفعال، وانشرح صدرهُ، ورضي بقضاء الله وقدره، وحكمِه وشرعه: ﴿وَلَمَّا رَءَا الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَٰذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾﴾ [الأحزاب: ٢٢].

وكلّ المخلوقات التي خلقها الله عَزَّ وَجَلَّ من العرش العظيم إلى أصغرِ ذرة جميعُها قد فطرها الله على التسليم، والإذعان، والانقياد لله عز وجل: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾ [آل عمران: ٨٣].

فسبحان من جميع مخلوقاته شاهدة بوحدانيته، وساجدة لعظمته، ومتصاغرة لكبريائه، وخاضعة لأمره، ومسرعة إلى إرادته: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ۩ ﴿١٨﴾﴾ [الحج: ١٨].

فالتسليمُ لله إذعانًا وخضوعًا وانقيادًا فطرة الله التي فطر عليها جميع المخلوقات: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِن دَابَّةٍ وَالْمَلَٰئِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۩ ﴿٥٠﴾﴾ [النحل: ٥٠].

٢ - منزلة التسليم لله عَزَّ وَجَلَّ

الدنيا دارُ الإيمان، والابتلاء، والعمل، ودارُ الفتن، والرزايا، والمصائب: ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الأنبياء: ٣٥].

وهذه الفتن والمصائب والابتلاءات لا يَسْلَمُ منها أحد، ولو تَرك العبدُ نفسه أمام أمواج الابتلاءات والفتن بلا سلاح يتسلّح به، ودرعٍ يتحصن به، لخارَ وهلك: ﴿فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَلَهُۥٓ أَسْلِمُوا۟ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ وَٱلْمُقِيمِى ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الحج: ٣٤-٣٥].

ولو ترك العبد نفسه بلا إيمانٍ نقيّ، وقلبٍ قويّ، وصبر قوي، ورضاً سخيّ، لأكلته الهموم والأحزان، وعصَفت به الفتن، وابتلعته شدة الابتلاءاتِ والمصائب: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [البقرة: ١٥٥-١٥٧].

ومن رحمة أرحم الراحمين أن خلق الإنسان ضعيفًا، ليحتمي بربه القوي، وخلقه عاجزًا، ليستعينَ بربه القادر على كل شيء، وخلقه جاهلًا، ليتعلم من ربه العليم بكل ما يصلح أحواله في الدنيا والآخرة، وخلقه فقيرًا، ليقف ببابِ ربه الغنيّ، ولا يذلّ نفسه لأحدٍ سواه: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾﴾ [فاطر: ١٥].

لهذا فإن من أعظم أسباب قوّة قلبِ العبد، ورسوخِ يقينه، وتمام رضاه؛ أن يعرف ربه بأسمائه الحسنى، وصفاته العُلا، وأفعاله الحميدة، ليؤمن بالله الملك العزيز الجبّار، ويستسلم لله عز وجلّ في أمره ونهيه، ويستسلم لربه في قضائه وقدره، فالمُلك مُلكه، والخلق خَلقه، والأمر أمره، وهو المَلكْ وكلُّ ما سواه مُلكٌ له: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾ [الحشر: ٢٤].

وهو وحده المَلك القادر على كل شيء، القوي الذي بيده وحده التصريفُ والتدبيرُ والتقدير: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾﴾ [الملك: ١].

فلا إله إلا الله ما أعظم ملكه، وما أحسن خلقه، وما أعظم تدبيره: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ ۖ وَتُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ ۖ وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢٧﴾﴾ [آل عمران: ٢٦-٢٧].

فسبحان من أظهر كمال قدرته في عظمة مخلوقاته: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾﴾ [الطلاق: ١٢].

ومن عرف ربه حقاً آمن به حقاً، وسلَّم لأمره حقاً: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾﴾ [محمد: ١٩].

ومن عرفَ ذلك عن ربّه القويّ القادر القهّار، الملك العزيز الجبّار، آمن بالله وحده، وعَبدَه وحده، وفوّضَ أموره إليه وحده، وتوكّل عليه وحده: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ١٠٢ لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ١٠٣﴾ [الأنعام:١٠٢-١٠٣].

ومن غابت عنه هذه الحقائق العظيمة، أشغلهُ الشيطان بزخارف الدنيا، والاستمتاع بشهواتها، ولم يَصمد قلبه أمامَ أي فتنةٍ أو شدة أو ابتلاء: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُواْ بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَٱطۡمَأَنُّواْ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنۡ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ٧ أُوْلَٰٓئِكَ مَأۡوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ٨ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهۡدِيهِمۡ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمۡۖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَٰرُ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ٩﴾ [يونس:٧-٩].

فالله بين الحق من الباطل، ورغب الناس في الحق، وحذرهم من الباطل، ولكل جزاؤه: ﴿قَالَ ٱهۡبِطَا مِنۡهَا جَمِيعَۢاۖ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ ١٢٣ وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ ١٢٤ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرۡتَنِيٓ أَعۡمَىٰ وَقَدۡ كُنتُ بَصِيرٗا ١٢٥ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتۡكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَاۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمَ تُنسَىٰ ١٢٦﴾ [طه:١٢٣-١٢٦].

فالله عز وجلوحده بيده مقاليد الأمور كلها، وبيده المفاتيح كلها: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ يُغۡشِي ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَ يَطۡلُبُهُۥ حَثِيثٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتِۭ بِأَمۡرِهِۦٓۗ أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٥٤﴾ [الأعراف:٥٤].

والربُ الذي هذه أسماؤه وصفاته وأفعاله، هو الربُ العظيم الذي يجب على العبيد التسليم له، والاستسلام لأمره، فإن هذا هو عزّ الدنيا، وجنّة الآخرة، والسلامة من العذاب: ﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٢٢﴾ وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُۥٓ ۚ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٢٣﴾ نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٢٤﴾﴾ [لقمان: ٢٢-٢٤].

والإسلام هو الانقياد والإذعان لله عز وجل، والتسليمُ هو الانقيادُ والإذعانُ لله الواحد القهار، مع كمالِ الحبِ والتعظيمِ والذلّ له؛ إذعان القلبِ وانقياده لربه بالتوحيدِ والإيمانِ والتقوى، وإذعان اللسان وانقياده بالإقرارِ بكلمة التوحيد، وكثرةِ ذكرِ الله، وإذعان الجوارح وانقيادها لله عز وجلّ بكمالِ الطاعة: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [السجدة: ١٥-١٧].

وقال ﷻ: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٢﴾﴾ [البقرة: ١١٢].

فالتسليمُ والاستسلامُ لله جلّ جلاله هو روحُ الإسلام، بل هو الإسلام كلّه: ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ

﴿١٣١﴾ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبۡرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعۡقُوبُ يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٣٢﴾﴾[البقرة:١٣٠-١٣٢].

والتسليمُ لله من أوجبِ الواجبات وأعظم القُربات، وهو ثمرةُ معرفةِ الله بأسمائهِ وصفاته وأفعاله:﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ﴿١٩﴾﴾[محمد:١٩].

وهو مبنى العبودية لله وحده، والإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليومِ الآخر، والقدر خيره وشره كل ذلك قائمٌ على التسليمِ لله ولأمره، وعدم الخوض في تفاصيل الحِكمة في الأوامرِ والنواهي والشرائع:﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٖ جَعَلۡنَا مَنسَكٗا لِّيَذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلۡأَنۡعَٰمِۗ فَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ فَلَهُۥٓ أَسۡلِمُواْۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُخۡبِتِينَ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمۡ وَٱلۡمُقِيمِي ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾[الحج:٣٤-٣٥].

فيجبُ على المؤمن الإذعانُ والانقيادُ والتسليمُ لله ولأمره القَدري والشرعي، سواءً عرِفَ الحكمة منه أم لم يعرفها:﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾﴾[البقرة:٢٨٥].

فأوامر الحكيم سبحانه كلها موجبةٌ للتسليم والانقيادِ والإذعان لله عز وجلّ، مانعةٌ من الاختيار، مقتضيةٌ للطاعةِ التامة في كل أمرٍ ونهي:﴿وَمَا كَانَ لِمُؤۡمِنٖ وَلَا مُؤۡمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمۡرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُ مِنۡ أَمۡرِهِمۡۗ وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلٗا مُّبِينٗا ﴿٣٦﴾﴾[الأحزاب:٣٦].

والتسليمُ لله ورسوله، والانقياد لحكمهما، ليس فقط من قبيل فضائل الأعمال؛

بل هو أمرٌ حتمٌ لازمٌ موجهٌ إلى كل مسلمٍ ومسلمةٍ، وذلك لأن التسليمَ لأمرِ الله ورسوله من شروطِ الإيمان، وعدم التسليم لحكم الله ورسوله كفرٌ يُخرجُ العبدَ من الملّة: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ ﴾[النساء:٦٥].

وقال الله ﷻ: ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾ ﴾[النساء:١١٥].

فالتسليم لله ورسوله من صفات المؤمنين: ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾ ﴾[النور:٥١].

وعدم التسليم لله ورسوله من صفات المنافقين، كما قال الله عنهم: ﴿ وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن يَكُن لَّهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴿٤٩﴾ أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ ۚ بَلْ أُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾[النور:٤٨-٥٠].

والتسليم والاستسلام لله عز وجلّ هو أعظم سببٍ لزيادة إيمان العبد، وتزكيته، ورفع درجته عند مولاه: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ۗ وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٢٥﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطًا ﴿١٢٦﴾ ﴾[النساء:١٢٥-١٢٦].

والذي أسلم وجهه لله هو الذي آمن بالله ﷻ وأطاعه، وأذعن لأمره، وانقاد لشرعه بامتثال أوامره، واجتناب نواهيه: ﴿ فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا ۗ وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَىٰ مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾[الحج:٣٤-٣٥].

والتسليم والاستسلام لله ﷻ، والانقياد لشرعه، هو أعظم سبب للفوز برضوان الله والجنّة، والنجاة من عذاب الله وسخطه: ﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٢٢﴾ وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُۥٓ ۚ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٢٣﴾ نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٢٤﴾﴾[لقمان:٢٢-٢٤].

اللهم ربنا سمعنا وأطعنا، وأسلمنا وجوهنا إليك: ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾﴾[البقرة:٢٨٥].

٣- فضائل التسليم لله ﷻ

الأولى: إذا استسلم العبد لربه جبرهُ الله، وأعلى قدره، وتقبّل عمله: ﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٢٢﴾ وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُۥٓ ۚ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٢٣﴾﴾ [لقمان: ٢٢ - ٢٣].

الثانية: من ذلّ لربّه، وانكسر قلبه بين يديه، أعزّه الله، وتقبّل عمله، وأجزل ثوابه، فالعبادات كلّها لا تُقبل إلّا بكمال الحب والتعظيم، والذلّ لله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾﴾ [الملك: ١٢].

الثالثة: من استسلم لله ولأمره؛ هدى الله قلبه، وثبّت فيه الإيمان: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾﴾ [التغابن: ١١].

الرابعة: من استسلم لله انقاد لعبادته، وتواضع لكبريائه، وسبح بحمده، ونال عظيم ثوابه: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٢﴾﴾ [البقرة: ١١٢].

وقال عز وجل: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [السجدة: ١٥-١٧].

الخامسة: من استسلم لله عز وجلّ أكرمه الله بأعلى درجات الجنة: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال: ٢-٤].

٤ - علامات التسليم لله ﷻ

علامات التسليم لله ﷻ كثيرة، وأعظمها التوكل على الله وحده، وتفويض الأمر إلى الله وحده، وامتثال أوامر الله، واجتناب نواهيه، والحب في الله، والبغض في الله، والموالاة في الله، والمعاداة في الله، والعطاء لله، والمنع لله، والكلام لله، والسكوت لله، وطاعة الله ورسوله، وكثرة ذكر الله وحمده، والفرح بعبادته والأُنس بمناجاته، والمسارعة إلى كلّ ما يحبه ويرضاه، والبعد عن كلّ ما يكرهه الله ويسخطه: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾﴾ [التوبة: ٧١].

وقال ﷻ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال: ٢-٤].

وقال الله ﷻ: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ ۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٨﴾﴾ [الزمر: ١٧-١٨].

ومن علامات التسليم لله ﷻ القنوت بين يدي الله، والوقوف عند حدوده، والخشية له، والخوف منه، والإنابة إليه، والتوبة إليه: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾﴾ [الزمر: ٩].

وقال الله ﷻ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾ [فاطر: ٢٨].

٥- تفاوت الناس في التسليم لله ﷻ

جميع المخلوقات في العالم العلوي، والعالم السفلي، شاهدةٌ بوحدانية الله، وخاضعةٌ لأمره، ومستجيبةٌ لمشيئته ، ومسرعةٌ إلى إرادته، ومسبحةٌ بحمده، وساجدةٌ لعظمته، وأنت أيها العبد! كما سلّمت لأمر الله القدري، فيجب أن تُسلّم لأمره الشرعي، وتسجد مع الساجدين لله في العالم العلوي، والعالم السفلي: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ۩ (١٨)﴾[الحج:١٨].

وجميع الخلائق التي خلقها الله خاضعة لأمره، ومتصاغرةٌ لكبريائه، وذليلةٌ لعزته، ومسخرة لخلقه : ﴿أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ (٢٠)﴾[لقمان:٢٠].

وقال الله ﷻ: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ (٤٩) يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۩ (٥٠)﴾[النحل:٥٠].

وجميع المخلوقات مقهورة بأمر الله الكوني قسرًا، والمؤمنون خاصة يستسلمون لأمر الله الشرعي طوعًا: ﴿فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَلَهُۥٓ أَسْلِمُوا۟ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ (٣٤) ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ وَٱلْمُقِيمِى ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ (٣٥)﴾[الحج:٣٤-٣٥].

فمن أقرّ أنه لا يستطيع الخروج عن أمر الله الكوني قسرًا، فلا يخرج عن أمر الله الشرعي طوعًا: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا (٢٩) وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا (٣٠) يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًۢا (٣١)﴾[الإنسان:٢٩-٣١].

ويتفاوت الناس في الاستسلام لله، والذل له، والخضوع له، بحسب علمهم وإيمانهم: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾ [فاطر:٢٨].

وأقوى الناس إيمانًا أشدهم استسلامًا لله، وأقواهم عبادة، وأعظمهم ثوابًا: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال:٢-٤].

وأعقل الناس من استسلم لله ولأمره، وأجهل الناس من أعرض عن الله وعن أمره: ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾﴾ [البقرة:١٣٠-١٣٢].

٦ - الأسباب المعينة على التسليم لله عَزَّ وَجَلَّ

الأول: العلم بالله، وأسمائه الحسنى، وصفاته العُلا، وأفعاله الحميدة، ومعرفة صفات جلاله وجماله، ومعرفة عظمة ملكه وسلطانه، ومعرفة عظمة نعمه وإحسانه، ومعرفة وعده ووعيده: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾﴾ [محمد:١٩].

فمن عرف ربه حقاً آمن به وأحبه، ومجده وكبره، وسلَّم لأمره.

الثاني: معرفة عظمة الله وجبروته، وعظيم قدرته وقهره، وعظيم قوته وبطشه: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾﴾ [الطلاق:١٢].

وإذا عرفتم ذلك آمنتم بالله وحده، وسلّمتم له ولأمره، وفزتم برضوانهوجنته.

الثالث: النظر والتدبر في الآيات والمخلوقات العظيمة التي خلقها الله في هذا الكون العظيم: ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٨﴾﴾ [ق:٦-٨].

وقال عز وجل: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾﴾ [البقرة:١٦٤].

الرابع: التفكّر والتدبّر لآيات الله القرآنية، وما فيها من الأخبار الصادقة والأحكام العادلة، والوعد والوعيد، والترغيب والترهيب: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾ [النساء:٨٢].

وقال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾﴾ [ص:٢٩].

ومن عرف ذلك آمن بالله، واستسلم لأمره، وأخلص له العبادة .

الخامس: سؤال الله الهداية إلى الصراط المستقيم في كل وقت:﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧﴾﴾[الفاتحة: ٢-٧].

ومن طلب الهداية من ربه فتح له أبواب الهداية إلى معرفته جلّ جلاله، والعمل بشرعه، والتسليم لأمره:﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾﴾[العنكبوت: ٦٩] .

السادس: مطالعة سيرة الأنبياء والمرسلين للاقتداء بهم في توحيدهم وإيمانهم، ويقينهم وتقواهم :﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾[الأنبياء: ٩٠].

وقال عز وجل :﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِۦمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِۦمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾﴾[البقرة: ١٣٠-١٣٢].

اللهم اهدنا فيمن هديت، وعافنا في من عافيت، وتولنا في من توليت، وقنا برحمتك واصرف عنا شرَّ ما قضيت، إنك تقضي ولا يُقضَى عليك.

﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٣﴾﴾ [آل عمران: ٥٣].

﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾﴾ [البقرة: ٢٠١].

عبادات القلوب

في ضوء القرآن والسنة

العبادة الثانية والعشرون

عبادة القنوت لله ﷻ

وتشتمل هذه العبادة العظيمة على المباحث الآتية :

الأول :فقه القنوت لله ﷻ.

الثاني : منزلة القنوت لله ﷻ.

الثالث : أنواع القنوت .

الرابع : أعظم الخلق قنوتا لله ﷻ.

الخامس : الأسباب المعينة على القنوت لله ﷻ.

السادس : ثمرات القنوت لله ﷻ.

العبادة الثانية والعشرون

عبادة القنوت لله ﷻ

١ - فقه القنوت لله ﷻ

القنوت لله عز وجل هو الخضوع والاستكانة، ودوام الطاعة لله ﷻ، وطول القيام بين يدي ملك الملوك بكمال الحب والتعظيم والذل له: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾﴾ [الزمر:٩].

فالقنوت لله، وحسن الطاعة له، والإكثار من ذكره، وحمده، واستغفاره، كل ذلك ثمرة من أعظم ثمرات العلم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾﴾ [محمد:١٩].

والقنوت لله ﷻ عبادة من عبادات القلوب، ويطلق القنوت على دوام العبادة لله، والدعاء، وطول القيام بين يدي الرب ﷻ، والخشية له، والخشوع لعظمته، ودوام الطاعة لله، والانكسار بين يديه: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ ۚ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ ﴿٢٥﴾ وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿٢٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾﴾ [الروم:٢٥-٢٧].

والقنوت في الصلاة هو الخشوع، والخضوع، والسكوت، وعدم الكلام ﴿حَٰفِظُوا۟ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُوا۟ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴿٢٣٨﴾﴾ [البقرة:٢٣٨].

والقنوت لله ﷻ هو الطاعة التامة لله ورسوله، والاستجابة لله ورسوله ﷺ في كل حال، والإقرار بالعبودية لله وحده، والخشية لله، وإخلاص العبادة له، والاستكانة إليه، والخشوع بين يديه: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ﴿٤﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ

لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ
﴿٦﴾ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴿٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ
﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ
ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١١﴾ ﴾[المؤمنون:١-١١].

والقنوت لله ﷻ ثمرة معرفة الله بأسمائه الحسنى، وصفاته العلا، وأفعاله الحميدة.
فمن عرف الله حقا، آمن به حقا، وقنت له حقا: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا
وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ
أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾ ﴾[الزمر:٩].

والكون كله بما فيه من الخلائق العظيمة قانت لله، مطيعٌ لمن خلقه، خاشعٌ لعظمته، ذليل لعزته، متصاغر لكبريائه: ﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۖ بَل لَّهُۥ
مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿١١٦﴾ ﴾[البقرة:١١٦].

والقنوت لله عز وجل من أعظم صفات الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام، لكمال معرفتهم بالله، وكمال معرفتهم بحقوقه، وعظمة حبهم له: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ
كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ۚ ٱجْتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ
صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾ وَءَاتَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٢٢﴾ ﴾
[النحل:١٢٠-١٢٢].

وقد وعد الله عز وجل أمهات المؤمنينرضي الله عنهن وأرضاهنبالأجر المضاعف، والرزق الكريم، إذا أطعن الله ورسوله: ﴿وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ
وَتَعْمَلْ صَٰلِحًا نُّؤْتِهَآ أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾ ﴾[الأحزاب:٣١].

والقنوت لله ﷻ من صفات المؤمنين والمؤمنات، كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ
ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ
وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ
وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ
وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾ ﴾
[الأحزاب:٣٥].

والقنوت لله ﷻ من مقتضيات الإيمان بأسماء الله الحسنى، ومن لوازم الإيمان بأسماء الله الملك، العزيز، الجبار، القوي، القادر، القهار، السميع، البصير، العليم، الخبير، المؤمن، الرقيب، الشهيد، القدوس، اللطيف: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾ [الحشر: ٢٢-٢٤].

فمن آمن أن ربه الملك القادر على كل شيء، العزيز الذي ذل له كل شيء، القوي الذي لا يقف له شيء، السميع لكل شيء، آمن بربه العظيم، وقنت له، وداوم على طاعته وعبادته: ﴿سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾﴾ [الإسراء: ٤٣ – ٤٤].

ومن عرف أن ربه البصير بكل شيء، الخبير بكل شيء، الرقيب على كل ذرة في الكون، الشهيد الذي لا يخفى عليه شيء، الغني الذي لا يحتاج إلى شيء.

فمن عرف ذلك كله آمن بالله العظيم، وسلم لأمره، وقنت بين يديه، وأطاع أمره، واجتنب نهيه، وانقاد لحكمه، وتوجه إليه وحده في جميع أموره، ولم يلتفت لأحد سواه، وأخلص له العبادة وحده دون سواه: ﴿هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [غافر: ٦٥].

ومن عرف الله حقا آمن به، وأحبه، وقنت له، وامتثل أمره بكمال الحب والتعظيم والذل له: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾﴾ [محمد: ١٩].

والقنوت في النوازل سنة نبوية فعلها النبي ﷺ وهو الدعاء في النوازل التي تنزل بالمسلمين أحيانا، فيقنت بهم الإمام، لدفع أذى عدو، أو رفع بلاء، أو وباء، أو قحط، أو عطش، أو جوع، أو خوف، أو ضرر ونحو ذلك من الشدائد والكوارث.

فيقنت الإمام في الصلوات الخمس بعد الرفع من الركوع في الركعة الأخيرة أو

قبل أن يركع، ويدعو على الكفار الظالمين المعتدين، ويدعو للمسلمين برفع البلاء عنهم، وزوال المكروه عنهم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٣﴾﴾[البقرة:١٥٣].

وقال النبي ﷺ في دعاء القنوت في النوازل: «اللَّهُمَّ أَنْجِ عَيَّاشَ بنَ أبي رَبِيعَةَ، اللَّهُمَّ أَنْجِ الوَلِيدَ بنَ الوَلِيدِ، اللَّهُمَّ أَنْجِ سَلَمَةَ بنَ هِشامٍ، اللَّهُمَّ أَنْجِ المُسْتَضْعَفِينَ مِنَ المُؤْمِنِينَ، اللَّهُمَّ اشْدُدْ وطْأَتَكَ على مُضَرَ، اللَّهُمَّ اجْعَلْها عليهم سِنِينَ كَسِنِي يُوسُفَ» متفق عليه (١).

فالقنوت في النوازل يكون بعد الرفع من الركعة الأخيرة من الصلوات الخمس وأحيانا قبلها ، أما القنوت في صلاة الوتر فيكون في الركعة الأخيرة من صلاة الوتر أو التراويح أو التهجد بعد الرفع من الركوع .

ومن دعاء القنوت في صلاة الوتر، ما قاله النبي ﷺ للحسن بنعلي: «اللَّهمَّ اهدِني فيمن هديت، وعافِني فيمن عافيتَ، وتولَّني فيمن تولَّيتَ، وبارِك لي فيما أعطيتَ، وقني شرَّ ما قضيتَ، إنَّكَ تقضي ولا يقضى عليْكَ، وإنَّهُ لا يذلُّ من واليتَ، ولا يعزُّ من عاديتَ، تبارَكتَ ربَّنا وتعاليتَ» أخرجه أبو داود والترمذي(٢).

ويستفتح أحيانا قنوته بما ثبت عن عمر رضي الله عنه وهو: «اللَّهمَّ إيّاكَ نَعبُدُ، ولَكَ نصلِّي ونَسجُدُ وإليكَ نَسعى ونَحفِدُ، نَرجو رَحمتَكَ، ونَخشى عذابَكَ، إنَّ عذابَكَ بالكافِرينَ مُلحِقٌ، اللَّهمَّ إنّا نَستعينُكَونَستغفِرُكَ، ونُثني عَليكَ الخيرَ، ولا نَكفرُكَ، ونؤمنُ بِكَ، ونخضَعُ لَكَ، ونَخلَعَ مَن يَكْفرُكَ» أخرجه البيهقي وعبد الرزاق(٣).

ومن ذلك: «اللَّهمَّ أعوذُ برضاكَ مِن سخَطِك وبعفوِك مِن عقوبتِك وبك منك لا أحصي ثناءً عليكَ أنتَ كما أثنيتَ على نفسِكَ» أخرجه مسلم(٤).

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٣٩٣)، ومسلم برقم (٦٧٥) .

(٢) صحيح: أخرجه أبو داودبرقم(١٤٢٥)، والترمذي برقم (٤٦٤).

(٣) **صحيح**: أخرجه البيهقي برقم (٣١٤٢)، وعبد الرزاق في المصنف برقم (٤٩٦٩).

(٤) **صحيح**: أخرجه مسلم برقم (٤٨٦) .

٢ - منزلة القنوت لله ﷻ

القنوت لله ﷻ من العبادات القلبية العظيمة ، وهو ثمرة الإيمان بالله ﷻ.

والقنوت من العبادات القلبية التي تثمر كمال الطاعة لله ﷻ، وفعل كل ما يحبه الله ويرضاه، واجتناب كل ما يبغضه ويكرهه، والاستقامة على أوامره، ودوام طاعته: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ٢٣٨﴾ [البقرة:٢٣٨].

والقنوت لله ﷻ من صفات الأنبياء والمرسلين، ومن صفات الأولياء الصالحين: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ١٢٠ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ٱجْتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ١٢١﴾ [النحل:١٢٠-١٢١].

وقال ﷻ: ﴿وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ ١٢﴾ [التحريم:١٢].

والقنوت لله ﷻ،والخضوع له، من أعظم صفات الخلائق في العالم العلوي، والعالم السفلي: ﴿وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ٢٦﴾ [الروم:٢٦].

والقنوت هو عبودية جميع الخلائق في العالم العلوي، والعالم السفلي: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ۩ ١٨﴾ [الحج:١٨].

فكن أيها المسلم من القانتين لربك العظيم، المسبحين بحمده، الذاكرين له، المستغفرين له، الملتزمين بدوام طاعته، تنال من ربك الأجر العظيم في جنات

النعيم: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلۡبَنِينَ وَٱلۡقَنَٰطِيرِ ٱلۡمُقَنطَرَةِ مِنَ
ٱلذَّهَبِ وَٱلۡفِضَّةِ وَٱلۡخَيۡلِ ٱلۡمُسَوَّمَةِ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ وَٱلۡحَرۡثِۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ
وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلۡمَـَٔابِ ١٤ ۞ قُلۡ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيۡرٖ مِّن ذَٰلِكُمۡۖ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ عِندَ رَبِّهِمۡ
جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞ وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِۗ
وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ ١٥ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا
عَذَابَ ٱلنَّارِ ١٦ ٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلۡقَٰنِتِينَ وَٱلۡمُنفِقِينَ وَٱلۡمُسۡتَغۡفِرِينَ
بِٱلۡأَسۡحَارِ ١٧﴾ [آل عمران: ١٤-١٧].

٣- أنواع القنوت

القنوت لله عز وجل من جميع المخلوقات ستة أنواع :

الأول: طاعة جميع المخلوقات لربها العظيم، وإذعانها لمشيئته وقدرته وقهره، وقنوتها له، فكل شيء مصرف بأمر ربه ومشيئته :﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۗ سُبْحَـٰنَهُۥ ۖ بَل لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَـٰنِتُونَ ﴿١١٦﴾ بَدِيعُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿١١٧﴾﴾[البقرة:١١٦-١١٧].

الثاني : ما يشعر به القانت، وهو اعتراف العبد بأن له رباً خلقه ورزقه وهداه : ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَـٰذَا غَـٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾﴾[الأعراف:١٧٢].

الثالث :أن بعض الناس يضطرون إلى الله وقت حاجتهم فيسألونه، ويخضعون له، ويدعونه، ويقنتون له، ثم إذا كشف الضر عنهم نسوه وأعرضوا عنه : ﴿ فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [العنكبوت:٦٥].

الرابع : أن الله عز وجل أرسل الرسل، وأنزل الكتب بالدين الحق، فلا بد للخلق من القنوت والطاعة لله في كثير من الأوامر، وإن عصوه في بعضها، فهم مسلمون لله، ساجدون له طوعا وكرها : ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَـٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْـَٔاصَالِ ۩ ﴿١٥﴾﴾[الرعد:١٥].

فلا يستطيع أحد الخروج عن فطرة الله،وتقديره،وتدبيره،وملكه : ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۩ ﴿٥٠﴾﴾[النحل:٤٩-٥٠].

وقال عز وجل: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [الروم: ٣٠].

الخامس : خضوع الناس لجزائه لهم في الدنيا والآخرة، فكل الخلق قانتون لجزاء الله يوم القيامة، مستسلمون لحكمه،قانتون لله في جزائهم على أعمالهم،والمصائب التي تصيبهم في الدنيا جزاءً على أعمالهم : ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾ ﴾[الشورى: ٣٠].

وقال ﷻ: ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾ ﴾[التغابن: ١١].

السادس :قنوت المؤمنين بين يدي ربهم بدوام طاعته في كل حال، وامتثال ما أمر به في كل حال : ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾ ﴾[الأحزاب:٣٥].

وقال عز وجل: ﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾[السجدة: ١٥-١٧].

٤ - أعظم الخلق قنوتا لله عز وجل

كل مخلوقات الله ﷻ شاهدةٌ بوحدانيته، وقانتةٌ له، وساجدةٌ لعظمته، ومسبحةٌ بحمده، ومتصاغرةٌ لكبريائه، ومستجيبةٌ لمشيئته، ومسرعةٌ إلى إرادته: ﴿وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ كُلّٞ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ٢٦﴾ [الروم:٢٦].

وأعظم الناس قنوتا لله عز وجل هم الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام، لكمال معرفتهم بالله، وكمال حبهم له، وكمال خوفهم منه: ﴿إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةٗ قَانِتٗا لِّلَّهِ حَنِيفٗا وَلَمۡ يَكُ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٢٠ شَاكِرٗا لِّأَنۡعُمِهِۚ ٱجۡتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ١٢١﴾ [النحل:١٢٠-١٢١].

وقال عز وجل عن الأنبياء والرسل: ﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ٩٠﴾ [الأنبياء:٩٠].

ثم الصالحون من المؤمنين: ﴿ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ١٦ ٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلۡقَٰنِتِينَ وَٱلۡمُنفِقِينَ وَٱلۡمُسۡتَغۡفِرِينَ بِٱلۡأَسۡحَارِ ١٧﴾ [آل عمران:١٦-١٧].

وأعظم المؤمنين قنوتا لله عز وجل هم العلماء الربانيون: ﴿أَمَّنۡ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ سَاجِدٗا وَقَآئِمٗا يَحۡذَرُ ٱلۡأٓخِرَةَ وَيَرۡجُواْ رَحۡمَةَ رَبِّهِۦۗ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٩﴾ [الزمر:٩].

فالعلماء هم أعرف الخلق بالله، وأعرفهم بما يجب له، وأعرفهم بما عنده: ﴿إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ٢٨﴾ [فاطر:٢٨].

فمن عرف الله حقاً اتقاه حقاً، وقنت له حقاً، وتوكل عليه حقاً: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ٣ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَمَغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ٤﴾ [الأنفال:٢-٤].

اللهم اجعلنا من عبادك القانتين، وحزبك المفلحين، و أوليائك الصادقين .

٥ - الأسباب المعينة على القنوت لله عَزَّ وَجَلَّ

الأول: العلم بأسماء الله الحسنى، وصفاته العلا، وأفعاله الكبرى.

ومن عرف ذلك حقا آمن بربه حقا، وقنت لله حقا: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ١٩﴾ [محمد:١٩].

الثاني: النظر في آيات الله الكونية في العالم العلوي، والعالم السفلي.

فمن عرف عظمة المخلوقات تجاوزها إلى الخالق العظيم، ومن عرف الصور تجاوزها إلى المصور سبحانه، ومن عرف الأرزاق تجاوزها إلى الرازق عز وجل، ومن عرف الله آمن به، وقنت له، وداوم على طاعته، وأخلص له العبادة وحده لا شريك له: ﴿إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلۡفُلۡكِ ٱلَّتِي تَجۡرِي فِي ٱلۡبَحۡرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٖ فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٖ وَتَصۡرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلۡمُسَخَّرِ بَيۡنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ١٦٤﴾ [البقرة:١٦٤].

الثالث: تدبر آيات الله القرآنية، وما فيها من صدق الأخبار، وحسن الشرائع، وبيان أسماء الله وصفاته وأفعاله، وبيان الوعد والوعيد، وصفة الجنة والنار، والثواب والعقاب، ومن عرف ذلك آمن بالله وأحبه ومجده، وخافه ورجاه، وقنت له، وأخلص العبادة له وحده لا شريك له، وأسرع إلى كل ما يحبه الله ويرضاه: ﴿أَمَّنۡ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ سَاجِدٗا وَقَآئِمٗا يَحۡذَرُ ٱلۡأٓخِرَةَ وَيَرۡجُواْ رَحۡمَةَ رَبِّهِۦۗ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٩﴾ [الزمر:٩].

وقال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٢٩﴾ [ص:٢٩].

الرابع: العلم بضعف العبد، وفقره، وعجزه، وتقصيره وجهله، وأنه محتاج إلى من يقضي حوائجه، ويدبر أموره: ﴿۞يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ١٥﴾ [فاطر:١٥].

ومن عرف ذلك آمن بربه العظيم، وقنت له، وداوم على عبادته وطاعته، ووقف ببابه، وسأله من فضله، واستغفره من ذنبه، وسارع إلى فعل كل ما يحبه الله ويرضاه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ٢١ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٢٢﴾ [البقرة: ٢١-٢٢].

الخامس: مطالعة سير الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام، وما هم عليه من صدق الإيمان، وكمال التوحيد، والافتقار إلى الله، والانكسار بين يديه، والتسليم له، والقنوت له، ودوام طاعته: ﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ٩٠﴾ [الأنبياء: ٩٠].

وقال الله ﷻ: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِبۡرَٰهِيمَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيًّا ٤١﴾ [مريم: ٤١].

وقال الله ﷻ: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِسۡمَٰعِيلَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلۡوَعۡدِ وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا ٥٤ وَكَانَ يَأۡمُرُ أَهۡلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرۡضِيّٗا ٥٥﴾ [مريم: ٥٤-٥٥].

وقال الله ﷻ: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِدۡرِيسَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيّٗا ٥٦ وَرَفَعۡنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ٥٧ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنۡ حَمَلۡنَا مَعَ نُوحٖ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنۡ هَدَيۡنَا وَٱجۡتَبَيۡنَآۚ إِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُ ٱلرَّحۡمَٰنِ خَرُّواْۤ سُجَّدٗاۤ وَبُكِيّٗا۩ ٥٨﴾ [مريم: ٥٦-٥٨].

فالأنبياء والرسل أعلم الخلق بالله، وأشدهم خشية لله، وأعظمهم قنوتاً له، وأصدقهم عبودية له، وأشدهم حباً له: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًاۖ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰلَمِينَ ٩٠﴾ [الأنعام: ٩٠].

٦ - ثمرات القنوت لله ﷻ

الأولى : أن القنوت لله ﷻ ثمرة كمال الإيمان في قلب العبد : ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾ ﴾ [الزمر:٩].

الثانية : أن القنوت لله ﷻ من ثمرات خشية الله ﷻ، وحسن التوكل عليه : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾ ﴾ [الملك:١٢].

الثالثة : أن القنوت لله ﷻ من أعظم ثمرات محبة الله وتعظيمه وطاعته : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾ [الأنفال:٢-٤].

الرابعة : أن القنوت لله ﷻ دليلٌ على صلاح القلب واستقامته : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾ ﴾ [فصلت:٣٠-٣٢].

الخامسة : أن القنوت لله ﷻ اتباعٌ للأنبياء والمرسلين والصالحين في إيمانهم، وتقواهم، وقنوتهم لربهم : ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ۚ ٱجْتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾ وَءَاتَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٢٢﴾ ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٣﴾ ﴾ [النحل:١٢٠-١٢٣].

وقال الله ﷻ: ﴿ يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ﴾ [آل عمران:٤٣].

السادسة : أن القنوت لله عز وجل سببٌ لمغفرة الله لذنوب عبده وحصول الأجر العظيم : ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾﴾ [الأحزاب:٣٥].

السابعة: أن القنوت لله عَزَّلَجَلَّ بابٌ من أبواب اللجوء إلى الله عز وجل، ومن لجأ إلى ربه حفظه، وأعانه، وأكرمه بقضاء حاجته: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾﴾ [الطلاق: ٢-٣].

وقال عز وجل: ﴿هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [غافر: ٦٥].

اللهم اهدنا فيمن هديت ، وعافنا فيمن عافيت، وتولنا فيمن توليت، وبارك لنا فيما اعطيت، وقنا برحمتك شر ما قضيت، إنك تقضي ولا يقضى عليك .

﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٣﴾﴾ [آل عمران: ٥٣].

﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٨﴾﴾ [آل عمران: ٨] .

عبادات القلوب

في ضوء القرآن والسنة

العبادة الثالثة والعشرون

عبادة الخشوع لله ﷯

وتشتمل هذه العبادة العظيمة على المباحث الآتية :

الأول: فقه الخشوع لله ﷯.

الثاني: منزلة الخشوع لله ﷯.

الثالث: فضائل الخشوع لله ﷯.

الرابع: أنواع الخشوع لله ﷯.

الخامس: علامات صدق الخشوع لله ﷯.

السادس: أركان الخشوع لله في الصلاة.

السابع: درجات الخشوع لله ﷯.

الثامن: تفاوت الناس في الخشوع لله ﷯.

التاسع: الأسباب المعينة على الخشوع لله في الصلاة.

العبادة الثالثة والعشرون

عبادة الخشوع لله ﷻ

١ - فقه الخشوع لله ﷻ

الخشوع لله ﷻ من عبادات القلوب العظيمة، وهو انصراف القلب بكليته إلى الله، وقطع الفكر فيما سواه، والخوف من مقامه، واستحضار جلاله وجماله عند سماع القرآن وتلاوته: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (١) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ (٢)﴾ [المؤمنون: ١-٢].

وكلما زاد علم العبد بأسماء الله وصفاته وأفعاله زاد إيمانه بالله ﷻ، وخشع قلبه لربه: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ (١٦) اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (١٧)﴾ [الحديد: ١٦ - ١٧].

والخشوع هو خشية الله، فمن عرف ربه حقًا خشع قلبه له، واتقى ربه، وخاف من جلاله وعقوبته: ﴿لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ (٢١)﴾ [الحشر: ٢١].

وقال الله ﷻ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ (٢٨)﴾ [فاطر: ٢٨].

والخشوع لله ﷻ عبادةٌ قلبية عظيمةٌ، وهو من مقتضيات الإيمان بأسماء الله الحسنى، ومن لوازم الإيمان بأسماء الله العظيم الكبير، والعزيز الجبار، والقوي القادر، والسميع البصير؛ وإذا عرف العبد عظمة هذه الأسماء خشع قلبه لربه، ولم يلتفت لأحد سواه، فخاف رَبَّه العظيم، وأعرض عن الحقير، ووقف بباب الغني، وانصرف عن باب الفقير، وكبر الكبير، ولم يلتفت للصغير، وتوكل على

العزيز، وانصرف عن الذليل، واستعان بالقوي، وأعرض عن الضعيف: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴿١٩﴾﴾ [محمد: ١٩].

وإذا خشع القلب لمولاه تبعته الجوارح؛ فبكت العيون وسجدت الأعضاء: ﴿وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ۩ ﴿١٠٩﴾﴾ [الإسراء: ١٠٩].

وأعظم ما يخشع القلب إذا وقف العبد بين يدي ربه العظيم في الصلاة، فتذكر عظمة جلال ربه وجماله، وعظمة ملكه وسلطانه، وعظمة نعمه وإحسانه، وعظمة قوته وقدرته، وسعة رحمته ومغفرته، وعظمة وعده ووعيده: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [الأنبياء: ٩٠].

وقال ﷻ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾﴾ [المؤمنون: ١-٣].

والخشوع هو روح الصلاة؛ فمن لم يخشع في صلاته فصلاته ميتة، وليس للعبد من صلاته إلا ما عَقَلَ منها، فإذا عقل خشع قلبه، واستعد لامتثال أوامر الله داخل الصلاة وخارج الصلاة وهذا هو مقصود الصلاة: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾﴾ [المؤمنون: ١-٣].

وإن كانت الصلاة قليلة الخشوع تُسقِط عنه الفرض، لكن خسر ثوابها العظيم؛ فصلِّ ياعبد الله صلاة تليق بمقام ربك، وتدخل معك قبرك، صلِّ بخشوع فكل ما ينتظرك أقل شأناً من الصلاة: ﴿فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا ۗ وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَىٰ مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الحج: ٣٤-٣٥].

صلِّ بخشوع؛ فإن الذي تقف بين يديه في الصلاة بيده مقاليد الأمور كلها، وتيسير المطالب كلها: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾﴾ [الملك: ١].

وصلِّ صلاةً حية، بقلب خاشع، وعين دامعة، تُقبَل صلاتك، ويَعظُم ثوابك: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ (١٥) تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ (١٦) فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ (١٧)﴾ [السجدة: ١٥-١٧].

الخشوع لله ﷻ هو القيام بين يدي الملك العزيز الجبار بالخضوع والذل والمسكنة.

الخشوع في الصلاة هو خشوع القلب، وانكساره وخضوعه لله، وانصرافه عن الالتفات إلى غيره.

وإذا خشع القلب خشعت الجوارح كلها، لأن الجوارح تابعة للقلب: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٢) ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ (٣) أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ (٤)﴾ [الأنفال: ٢-٤].

وقال النبي ﷺ: " ألا وإنَّ في الجَسَدِ مُضْغَةً، إذا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ، وإذا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ، ألا وهي القَلْبُ". متفق عليه (١).

وكان النبي ﷺ يقول في ركوعه في الصلاة: «خَشَعَ لكَ سَمْعِي، وَبَصَرِي، وَمخِّي، وَعَظْمِي، وَعَصَبِي» أخرجه مسلم (٢).

والخشوع لله ﷻ يتضمن معنيين:

أحدهما: التواضع والتذلل لله ﷻ.

والثاني: السكون والطمأنينة.

وذلك يُثمر للعبد لين القلب وسكونه، مع التعظيم لله، والمحبة له، والخشية له: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ (١) ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ (٢)﴾ [المؤمنون: ١-٢].

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٥٢)، ومسلم برقم (١٥٩٩).

(٢) أخرجه مسلم برقم (٧٧١).

والفرق بين الخشوع والإخبات لله:
أن الإخبات مقارب للخشوع، لكن الخشوع يصحبه ذُلّ القلب وانكساره، ولينه ورقته، مع المحبة والتعظيم لله عز وجل.
أما الفرق بين الخشوع والخضوع:
فإن الخضوع يكون بالبدن؛ فيستسلم العبد لمن خضع له .
وأصل الخضوع هو الذل والانقياد، أما الخشوع فيكون في القلب والبدن، والصوت والبصر.
وأما الفرق بين الخشوع والضراعة :
فالضراعة تكون في القلب، وأما الخشوع فيكون في القلب والجوارح: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۝٢﴾[المؤمنون:١ -٢].
وقد ذكر الله الخشوع في القرآن الكريم بمعان متعددة منها:
الأول: الذُّلّ :﴿وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ۝١٠٨﴾[طه:١٠٨].
وقال الله عز وجل: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ۝٢١﴾[الحشر: ٢١] .
الثاني: سكون القلب والجوارح: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۝٢﴾[المؤمنون:١ -٢].
الثالث: الخوف الدائم في القلب: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ۝٩٠﴾[الأنبياء: ٩٠].
الرابع: التواضع لله عز وجل: ﴿وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ۩ ۝١٠٩﴾[الإسراء:١٠٩].
الخامس: اليُبْسُ والجمود، كما قال سبحانه: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝٣٩﴾[فصلت:٣٩].

٢ - منزلة الخشوع

الخشوع لله ﷻ عبادة عظيمة من عبادات القلوب، وهو واجب من واجبات الإيمان، وواجب من واجبات الصلاة: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝١ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ۝٢ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝٣﴾ [المؤمنون:١-٣].

فمن فقد الخشوع فقد فَقَدَ واجبًا من واجبات الإيمان، وواجبًا من واجبات الصلاة، وقد ذم الله عز وجل غير الخاشعين في الصلاة بقوله: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ ۝٤٥﴾ [البقرة:٤٥].

ومما يدل على أهمية الخشوع أن العبادة التي فيها خشوع لله ﷻ تَفْضُل العبادة التي لا خشوع فيها، وبينهما في الفضل كما بين السماء والأرض .

فالخشوع لله عز وجل عبادة قلبية عظيمة، وهو ركن في الصلاة، وقد استبطأ الله المؤمنين في تحقيق هذا الوصف، كما قال سبحانه: ﴿۞ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ﴾ [الحديد:١٦].

ونهاهم عن قسوة القلب كما قال سبحانه: ﴿وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ۝١٦ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝١٧﴾ [الحديد:١٦-١٧].

وقد مدح الله الخاشعين له بقوله: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ ۚ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ۝٢٣﴾ [الزمر:٢٣].

وقال ﷻ: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ

﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ٣٥﴾ [الأحزاب:٣٥].

فالخشوع لله عز وجل من أعظم عبادات القلوب .

وقد استعاذ النبي ﷺ بربه: «مِن قَلبٍ لاَ يَخْشع، ومنْ عِلمٍ لا ينفعُ، ومِن نَفسٍ لا تشبَعُ، ومِن دعاءٍ لا يُسمَعُ» أخرجه ابو داود [1].

فاستعاذ النبي ﷺ من القلوب التي لا محل للخشوع فيها، وذلك يدل على أن تحقيق الخشوع وتحصيله من الواجبات التي يجب الحرص عليها، وعدم التقصير فيها: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ٢ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ٣﴾ [المؤمنون:١-٣].

فالقيام والركوع والسجود جسد الصلاة، والتكبير والتعظيم، والخشوع والخشية لله، روح الصلاة، وجسد لا روح فيه ميت .

وأعظم الخلق خشوعاً لله هم الأنبياء والمرسلين، لكمال معرفتهم بالله، وما يجب له من التعظيم والإجلال، والحب والذل :﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ٩٠﴾ [الأنبياء: ٩٠].

---

(١) صحيح: أخرجه ابو داود برقم (١٥٤٨).

٣- فضائل الخشوع لله عز وجل

الأولى: أن الخشوع من أعظم أسباب الفلاح كما قال سبحانه: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝١ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ۝٢﴾ [المؤمنون:١-٢].

الثانية: أن الخشوع من الإيمان كما قال سبحانه: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ ۝٤٥﴾ [البقرة:٤٥].

الثالثة: إجابة الدعاء، كما قال سبحانه: ﴿وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ۝٨٩ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ۝٩٠﴾ [الأنبياء:٨٩-٩٠].

الرابعة: مغفرة الذنوب، والفوز بالأجر الكبير: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ۝١٢﴾ [الملك:١٢].

وقال النبي ﷺ: «مَن تَوَضَّأَ نَحوَ وُضُوئِي هذا ثُمَّ قامَ فَرَكَعَ رَكْعَتَيْنِ لا يُحَدِّثُ فِيهِما نَفْسَهُ غُفِرَ له ما تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِه» متفق عليه (١).

الخامسة: قبول الصلاة:

قال النبي ﷺ: «ما مِنَ امْرِئٍ مُسْلِمٍ تَحْضُرُهُ صَلاةٌ مَكْتُوبَةٌ فَيُحْسِنُ وُضُوءَها وخُشُوعَها ورُكُوعَها، إلَّا كانَتْ كَفَّارَةً لِما قَبْلَها مِنَ الذُّنُوبِ، وذلكَ الدَّهْرَ كُلَّهُ» أخرجه مسلم (٢).

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (١٩٣٤)، ومسلم برقم (٢٢٦).

(٢) أخرجه مسلم برقم (٢٢٨).

السادسة:أن من عرف ربه خشعَ قلبه له، فسارع إلى الخيرات، وفاز بأعظم الدرجات: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال:٢-٤].

السابعة:الحصول على عظيم الأجر والثواب كما قال سبحانه : ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَٰشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۗ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٩٩﴾﴾[آل عمران:١٩٩].

وقال الله عز وجل: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾﴾[الأحزاب: ٣٥].

٤ - أنواع الخشوع

الخشوع نوعان :

الأول: خشوع القلب، وهو خشوع المؤمنين: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾﴾ [المؤمنون:١-٣].

الثاني: خشوع البدن من دون خشوع القلب؛ وهذا خشوع المنافقين: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَىٰ يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾﴾ [النساء:١٤٢].

فالأصل خشوع القلب لعظمة الرب عز وجل، وخشوع الجوارح تبع له، وثمرة له.

وعكس الخشوع الغفلة، فمن غفل في صلاته لم يكن ذاكراً لله فيها: ﴿وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ ﴿٢٠٥﴾﴾ [الأعراف:٢٠٥].

ومن غفل عن صلاته، فلم يؤدّها بأركانها وشروطها، أو تركها حتى خرج وقتها حلّ به عقاب الله: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ ﴿٦﴾ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ ﴿٧﴾﴾ [الماعون: ٤-٧].

وسبب الغفلة في الصلاة أمران :

الأول: سبب خارجي، وهو ما يراه المصلي من الأشياء التي يراها أمامه، أو ما يسمعه من الأصوات وهو في الصلاة، وعلاج ذلك أن يغضّ المصلي بصره، وينظر إلى موضع سجوده، ويقرب من السترة، ويبتعد عن المواضع المنقوشة التي تشغل قلبه وبصره عن الخشوع لربه.

الثاني: سبب باطني في القلب، وهو كثرة الهموم والأفكار التي تطير بقلب المصلي من واد إلى واد، ومن شهوة إلى شهوة، ومن صورة إلى صورة .

وعلاج ذلك أن يتذكر العبد عظمة ربه الذي ينظر إليه، ويسمع كلامه، ويعلم بأسراره: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾﴾ [الملك:١٢].

والغفلة عن الله، وعن أوامر الله، وعن اليوم الآخر، سببها النفس والشيطان.

فالنفس تريد تكميل محبوباتها من الشهوات العاجلة في الدنيا: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴿١٤﴾﴾ [آل عمران:١٤].

وعلاجها بتزكيتها بالإيمان والتقوى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾﴾ [الشمس:٧-١٠].

وقال ﷻ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾﴾ [الأعلى:١٤-١٥].

والشيطان يوسوس للإنسان حتى ينقله من الإيمان إلى الكفر، ومن الطاعة إلى المعصية: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٦﴾﴾ [فاطر:٦].

وعلاج وسوسة الشيطان تكون بالاستعاذة بالله منه: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾﴾ [فصلت:٣٦].

وتقوية الإيمان في القلب بالنظر في الآيات الكونية، وتدبر الآيات القرآنية: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾﴾ [النحل:٩٨-٩٩].

وقال عز وجل: ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٨﴾﴾ [ق:٦-٨].

٥ - علامات صدق الخشوع لله ﷻ

الأولى: البكاء من خشية الله، وفهم آيات القرآن: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال: ٢-٤].

وقال الله ﷻ عن أهل الإيمان والتقوى: ﴿وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ۩ ﴿١٠٩﴾﴾ [الإسراء: ١٠٩].

الثانية: القيام بالأعمال الصالحة، وعدم انشغال الفكر بشهوات الدنيا وزينتها، ومتاعها وزخارفها: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾﴾ [فاطر: ٢٩-٣٠].

الثالثة: عدم الشعور بما يحيط بالمصلي من أحداث في المسجد وما حوله، لأنه مستغرق بمناجاة ربه، فلم يدرِ ما حوله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾﴾ [المؤمنون: ١-٣].

الرابعة: طول السكوت، والتدبر في آيات الله الكونية والشرعية، والذكر والدعاء الخفي: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾﴾ [آل عمران: ١٩٠-١٩١].

الخامسة: السكون وقلة الحركة أثناء تلاوة القرآن وأثناء الذكر والدعاء: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [الأنبياء: ٩٠].

٦ - أركان الخشوع في الصلاة

خشوع العبد بين يدي ربه في الصلاة له سبعة أركان:

الأول: حضور القلب، وحضور القلب يكون باقتران الفعل بالفكر، فلا يفكر المصلي في غير أفعال الصلاة، ولا يصل إلى ذلك إلا إذا كانت الصلاة عظيمة عنده، فإن كان عنده أهم منها انصرف فكره إليه .

ولا تكون الصلاة عظيمة عند العبد إلا إذا كان عظيم الإيمان؛ يرى أن صلاته صلة بينه وبين ربه، يُكبر فيها ربه، ويحمده على نعمه، ويسأله من فضله، ويستغفره من ذنبه، ويقدم التحية له، ويتيقن أنها وسيلة لحب ربه له، وأنها سبب لنيل درجات الجنة: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ﴿٤﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴿٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١١﴾﴾ [المؤمنون:١ -١١].

الثاني: الفهم والتدبر، وهو معرفة القلب لمعاني ما ينطق به اللسان؛ فمن أشغل ذهنه بتدبر القرآن فتح الله عليه كل مرة بفتحٍ وفهمٍ جديدٍ للآيات، تقربه من ربه، وتمنعه من الفحشاء والمنكر: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [العنكبوت:٤٥].

الثالث: تعظيم الله جل جلاله، ومن عرف ربه حقًا كبّره وعظمه، وأحبه وحمده،

وخافه ورجاه، وذل لعزته، وتصاغر لكبريائه .

والتعظيم ناشئٌ عن معرفة جلال من تقف بين يديه، ومعرفة نفسك، وفقرها إلى الله في كل حال، فينتج من ذلك الانكسار للعظيم سبحانه والخشوع له: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾﴾[محمد:١٩].

الرابع: الهيبة لله جل جلاله، وهو خوف ناتج عن معرفة الله جل جلاله ومعرفة عظمة قدرته، ونفوذ مشيئته: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾[الأنبياء: ٩٠].

الخامس: الخوف من الله عَزَّوَجَلَّ، فمن عرف ربه بصفات الجلال،والعظمة،والجبروت،والكبرياء، خاف منه، وخاف من عذابه، ونال أعظم ثوابه: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾﴾[الرحمن:٤٦].

السادس: الرجاء، وهو الطمع في ثواب الله عز وجل .

فمن عرف ربه بصفات الجمال من الرحمة والمغفرة، واللطف البر، والعفو والحلم، والإكرام والإحسان؛ رجا ثوابه، وطمع بإكرامه، وسارع إلى فعل كل ما يرضيه، ثم فاز بأعظم ثوابه: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾[السجدة: ١٥-١٧].

وقال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتۡلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ يَرۡجُونَ تِجَٰرَةٗ لَّن تَبُورَ ٢٩ لِيُوَفِّيَهُمۡ أُجُورَهُمۡ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضۡلِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ غَفُورٞ شَكُورٞ ٣٠﴾ [فاطر: ٢٩-٣٠].

السابع: الحياء من الله، وهو إحساس العبد بالتقصير في امتثال أوامر الله، وأداء حقوق الله عز وجل.

وإذا علم العبد بعظمة نِعم الله عليه، فهو يسكن في ملكه، ويأكل من رزقه، ويتقلب في نعمه، وإذا علم بعيوب نفسه، وقلة الإخلاص في عمله، وكثرة معاصيه، وعلم باطلاع الله على خطرات نفسه، وأعمال جوارحه؛ نشأ من ذلك كله الحياء من ربه، فخشع قلبه لربه، وتاب إلى مولاه، وسارع إلى طاعته، واجتناب معصيته: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ١ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ ٢﴾ [المؤمنون: ١-٢].

وقال الله عز وجل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنۡ خَشۡيَةِ رَبِّهِم مُّشۡفِقُونَ ٥٧ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ يُؤۡمِنُونَ ٥٨ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمۡ لَا يُشۡرِكُونَ ٥٩ وَٱلَّذِينَ يُؤۡتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمۡ وَجِلَةٌ أَنَّهُمۡ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ رَٰجِعُونَ ٦٠ أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَهُمۡ لَهَا سَٰبِقُونَ ٦١﴾ [المؤمنون: ٥٧ – ٦١].

وقال الله عز وجل عن الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام: ﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ٩٠﴾ [الأنبياء: ٩٠].

٧- درجات الخشوع لله ﷻ

خشوع العبد لله جل جلاله على ثلاث درجات:

الأولى: التذلل لأمر الله، والاستسلام لحكمه، والتواضع لعز كبريائه:

فالتذلل لأمر الله أن ينقاد لأمر الله، ويقبل جميع أوامر الله الشرعية من غير استنكاف ولا استكبار.

والاستسلام لحكم الله ظاهرًا وباطنًا أن يُسلّم قلبه لأحكام الله الشرعية، وأحكام الله القدرية، ويصبر، ويرضى، ولا يتَسخَّط ولا يعترض على أحكام الله القدرية والشرعية، ويتواضع ويستحي من نظر ربه الملك العزيز الجبار إليه.

الثانية: النظر إلى النفس البشرية، واستشعار ذلّها ونقصها، وضعفها وعجزها، وتقصيرها وجهلها؛ وذلك يثمر كمال التواضع لربه، وكمال الخشية له، والتذلل بين يديه، والخشوع له كالأنبياء والرسل: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [الأنبياء: ٩٠].

فينظر العبد إلى نفسه بعين النقص والتقصير، وينظر إلى ربه بصفات الجلال والجمال والكمال، وينظر إلى محاسن الناس وفضائلهم وإحسانهم، ولا يتكبر عليهم.

الثالثة: أن يُصغيَ المسلم قلبه لربه، فيعبد الله وحده كأنه يراه، ولا يلتفت إلى الخلق، ولا ينظر إليهم عند أداء أي عمل صالح؛ لأنه يرجو الله، ولا يرجو سواه، ويخفي أحواله مع الله عن الخلق، فلا يعرفون شيئاً عن عبادته وخشوعه وإخلاصه لربه: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال: ٢-٤].

وقال الله ﷻ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾﴾ [الملك: ١٢].

٨- تفاوت الناس في الخشوع لله عَزَّوَجَلَّ

الناس متفاوتون في الخشوع لله عَزَّوَجَلَّ بحسب العلم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله، وبحسب قوة إيمانهم، وصدق إخلاصهم، وكذلك هم متفاوتون بحسب ما يكون في قلوبهم من معرفة النفس ونقائصها وعيوبها .

وكذلك يتفاوتون بحسب فهمهم لآيات القرآن، وتدبرهم لمعانيه : ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ١٩﴾[محمد:١٩].

فيتفاوت الناس في الخشوع في الصلاة تفاوتًا عظيمًا، ويكون بين الواحد منهم ومن بجانبه في الصلاة كما بين المشرق والمغرب :﴿إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ٢٨﴾[فاطر:٢٨].

فالناس في الخشوع في الصلاة على مراتب:

فمنهم من يحصل له الخشوع لقوة مطالعته لقرب الله جل جلاله منه، واطلاعه على سره، وعلى ظاهره وباطنه؛ فيستحي هذا العبد من ربه، ويراقبه في حركاته وسكناته، ويخشع قلبه لربه :﴿قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ١ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ ٢ وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنِ ٱللَّغۡوِ مُعۡرِضُونَ ٣﴾[المؤمنون:١-٣].

ومنهم من يحصل له الخشوع لله، لعلمه بكمال جمال الله وإحسانه وإنعامه؛ المقتضي للاستغراق في محبته وشوقه إلى لقائه :﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ٢١ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٢٢﴾[البقرة:٢١-٢٢].

ومنهم من يخشع قلبه لربه، لأنه يستشعر عظمة قوة الله وجبروته، وشدة أخذه ونكاله وبطشه بالظالمين والمجرمين والمعتدين :﴿هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ

﴿فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦٥﴾[غافر: ٦٥].

فهؤلاء جميعًا يحصل لهم الخشوع، وهم متفاوتون في هذا الخشوع:

فمنهم بين ظالمٌ لنفسه.. ومقتصدٌ.. وسابقٌ بالخيرات بإذن الله

وقد ذكر الله هؤلاء في كتابه بقوله: ﴿ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا مِنۡ عِبَادِنَاۖ فَمِنۡهُمۡ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ وَمِنۡهُم مُّقۡتَصِدٞ وَمِنۡهُمۡ سَابِقُۢ بِٱلۡخَيۡرَٰتِ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡكَبِيرُ ٣٢ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٖ وَلُؤۡلُؤٗاۖ وَلِبَاسُهُمۡ فِيهَا حَرِيرٞ ٣٣ وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَذۡهَبَ عَنَّا ٱلۡحَزَنَۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٞ شَكُورٌ ٣٤﴾[فاطر: ٣٢-٣٤].

فهؤلاء الأصناف الثلاثة هم أهل العبودية لله عز وجل، وجميعهم في الجنة.

فالظالم لنفسه هو المقصّر في الواجبات، المرتكب للمحرمات.

والمقتصد هو الذي اقتصر على الأمر الواجب، دون زيادة أو نقص، وتركَ المحرم.

والسابق بالخيرات من جاء بالواجب والمستحب، وفارق المحرم والمكروه.

فالسابقون هم أعلى مراتب المؤمنين، ثم يليهم المقتصدون، ثم يليهم الظالمون لأنفسهم، فكن رحمك الله أول السابقين، وأقوى الخاشعين لله: ﴿قُلۡ إِنِّيٓ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ١١ وَأُمِرۡتُ لِأَنۡ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ١٢﴾[الزمر: ١١-١٢].

٩ - الأسباب المعينة على الخشوع في الصلاة

أحدها: إسباغ الوضوء، ونظافة البدن والملبس ومكان الصلاة، حتى لا ينشغل العبد بالفكر بإزالة النجاسة أثناء الصلاة.

الثاني: أداء الصلوات الخمس جماعة في المسجد، لأن المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضًا: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۝٢﴾ [المؤمنون: ١-٢].

الثالث: عدم الإسراع في المشي إلى الصلاة، حتى لا يقف في الصف مضطرب الفؤاد من سرعة المشي، فذلك يذهب الخشوع.

الرابع: الحرص على إدراك تكبيرة الإحرام، حتى لا يكون مشغولًا بالتفكير في إتمام ما فاته من الصلاة.

الخامس: رفع اليدين عند التكبير، فكأنه أخذ الدنيا على ظهر كفيه فألقاها خلف ظهره عند الإحرام بالصلاة.

السادس: تذكر الموت، فمن ذكر الموت أدى صلاته صلاة مودع.

السابع: تدبر القرآن، وفهم معاني الآيات والأذكار والأدعية، فذلك يثمر الخشوع.

الثامن: استحضار عظمة الرب الملك العزيز الجبار، وأنه يراك ويسمعك، ويعلم بما في سرك: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ۝١٢﴾ [الملك: ١٢].

التاسع: ألا ينظر إلى السماء في صلاته، ولا يُخرج بصره عن موضع سجوده، فذلك أخشع لبصره، وأجمع لقلبه.

العاشر: أن يقترب من السُترة، حتى لا يمر بين يديه ما يُشغله، ويشتت قلبه وفكره.

الحادي عشر: ألا يكون أثناء الصلاة حاقنًا أو حاقبًا أو حازقًا، لئلا يشغله ذلك عن تفهّم الآيات والأذكار والأدعية.

والحاقن محتبس البول، والحاقب محتبس الغائط، والحازق محتبس الريح.

الثاني عشر: ألا يكون جائعًا والطعام قد حضر، فليأكل قبل الصلاة، حتى يخشع قلبه، ولا يفكر بما سوى ذلك.

الثالث عشر: ألّا يوجد ما يشغل فكره من طعام على نار، أو طفلٍ بجوار حفرة، حتى يخشع قلبه في صلاته.

الرابع عشر: عدم الصلاة في الأماكن التي تكثر فيها الأصوات التي تُشغل العبد عن الخشوع في صلاته كالأسواق، ومجامع الناس.

الخامس عشر: العلم أن أجر الصلاة على قدر الخشوع فيها: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾﴾ [المؤمنون: ١-٢].

السادس عشر: ألا يوجد في القبلة ما يشغل فكر المصلي من الزخارف والنقوش والصور، ونحو ذلك، مما يشغل القلب عن الخشوع في الصلاة.

اللهم آت نفوسنا تقواها، وزكّها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها.

﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأعراف: ٢٣].

﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾﴾ [الفرقان: ٧٤].

عبادات القلوب

في ضوء القرآن والسنة

العبادة الرابعة والعشرون

عبادة التواضع لله ﷻ

وتشتمل هذه العبادة العظيمة على المباحث الآتية :

الأول : فقه التواضع لله ﷻ

الثاني : فضائل التواضع لله ﷻ

الثالث : درجات التواضع

الرابع : علامات أهل التواضع

الخامس : الأسباب المعينة على التواضع لله ﷻ

السادس : جزاء أهل التواضع لله ﷻ

السابع : عقوبات أهل الكبر والاستكبار.

العبادة الرابعة والعشرون

عبادة التواضع لله عَزَّ وَجَلَّ

١ - فقه التواضع لله عز وجل

التواضع لله جل جلاله من العبادات القلبية العظيمة.

والتواضع هو الخضوع لله عز وجل، مع كمال الحب، والتعظيم، والذل له، والانقياد لشرعه، وقبول أمره بلا إباء ولا استكبار، واعتقاد أن الله هو العلي الكبير الذي له الكبرياء كله، وأنه ليس للعبد نصيب منه: ﴿فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ٣٦ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ٣٧﴾ [الجاثية:٣٦-٣٧].

فالله وحده هو الكبير المتكبر الذي له الكبرياء، وكل ما سواه يجب أن يخضع لعزته، ويتواضع لعظمته، ويتصاغر لكبريائه: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ٦٢﴾ [الحج:٦٢].

وكل من تكبر على الله، أو على خلقه أذله الله وعذبه: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ٦٠﴾ [غافر:٦٠].

وقال النبي ﷺ عن ربه عز وجل: «العز إزاره، والكبرياء رداؤه، فمن ينازعني

عذبته» أخرجه مسلم [1].

وقال النبي ﷺ: « قَالَ اللهَّ عزَّ وجلَّ : الكِبْرياءُ رِدَائِي، والعظمة إِزاري، فَمَنْ نَازعني واحدًا منهُما أدخلته النار» أخرجه مسلم[2].

والتواضع من مقتضى الإيمان بأسماء الله الحسنى، ومن موجبات الإيمان باسم الله المتكبر، لأن هذه الصفة لا تنبغي إلا لله وحده لا شريك له،فالله له الكبرياء وحده، لكمال ذاته، وأسمائه، وصفاته، وأفعاله :﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾ [الإخلاص:١-٤].

وهو الكبير الذي تكبر عن صفات النقص، والعجز، والعيب، وعن صفات البشر، وعن صفات الخلق كلهم :﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾[الحشر:٢٢-٢٤].

ومن تكبر على الخلق فقد أشرك نفسه مع ربه الذي انفرد وحده بصفة الكبرياء، فاستحق هذا المتكبر عذاب النار:﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾﴾[الزمر:٦٠].

---

(١)أخرجه مسلم برقم (٢٦٢٠) .

(٢)أخرجه مسلم برقم (٢٦٢٠) .

ومن تكبر على الخالق برد أمره، واستكبر عن عبادته، فقد كفر به، واستحق عقابه: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [غافر: ٦٠].

والتواضع عبادة من عبادات القلوب،وهو من أعظم النعم التي ينعم بها الله على عباده،والتواضع لله عز وجل خُلق عظيم يتولد من العلم بالله، وأسمائه، وصفاته، وأفعاله، ونعوت جلاله، وعظمته، ومحبة الله، وإجلاله، ومن معرفة النفس البشرية، وضعفها، وفقرها، وعجزها، وآفاتها، وعيوب أعمالها.

فيتولد من معرفة هذا وهذا خلق عظيم،وهو التواضع للملك العزيز، الجبار، المتكبر، والتصاغر لكبريائه، وقبول أوامره، وحبه، وحمده، وشكره: ﴿فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾﴾ [الجاثية: ٣٦-٣٧].

والتواضع لله عز وجل يكون في أمور:

الأول: التواضع لعظمة الرب، وجلاله، والخضوع لعزته وكبريائه، والاطمئنان بذكره، والإخبات والتسليم لعظمته، وسلطانه: ﴿فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَلَهُۥٓ أَسْلِمُوا۟ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ وَٱلْمُقِيمِى ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الحج: ٣٤-٣٥].

الثاني: تواضع العبد لأمر الله امتثالا، ولنهيه اجتنابًا،ومن تواضع لأمر الله ونهيه، فقد تواضع لعبودية من خَلَقَه، ورزقه، وهداه: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ ۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ

إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾[الأنعام:١٠١-١٠٣].

ومن تواضع لجلال الله، وعظمته، وكبريائه، وتواضع لأمره ونهيه، فقد بلغ غاية التواضع كالأنبياء: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾[الأنبياء:٩٠].

وقال الله عز وجل للنبي ﷺ: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾﴾[آل عمران:١٥٩].

وقال عز وجل: ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾﴾[الحجر:٨٨].

وقد مدح الله المؤمنين بكمال التواضع له بقوله: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ﴿٦٤﴾﴾[الفرقان:٦٣-٦٤].

٢- فضائل التواضع لله عز وجل

التواضع لله جل جلاله، والتواضع للناس، من أعظم العبادات القلبية. وهو ثمرة العلم بالله، وأسمائه، وصفاته، وأفعاله، والعلم بضعف العبد، وعيوبه، وآفاته: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ (١٩)﴾ [محمد:١٩].

ومما ورد في القرآن في فضل التواضع قوله عز وجل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ (٧) جَزَاؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۖ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ (٨)﴾ [البينة:٧-٨].

وقال الله عز وجل: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ (١٥) تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ (١٦) فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٧)﴾ [السجدة:١٥-١٧].

وقال عز وجل: ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (٢١٥)﴾ [الشعراء:٢١٥].

وقال الله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (٥٤)﴾ [المائدة:٥٤].

وقال عز وجل: ﴿۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا (٢٣) وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا (٢٤)﴾ [الإسراء:٢٣-٢٤].

وقال الله ﷻ: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ﴿٦٤﴾﴾ [الفرقان: ٦٣-٦٤].

ومما ورد في السنة في فضل التواضع، قول النبي ﷺ: «إنَّ الله أوحى إليّ أن تواضعوا حتى لا يفخر أحدٌ على أحدٍ، ولا يبغي أحدٌ على أحدٍ» أخرجه مسلم (١).

وقال النبي ﷺ: «ما نقصت صدقة من مال، وما زاد الله عبداً بعفو إلا عزًّا، وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله» أخرجه مسلم (٢).

فمن أراد الرفعة والعزة فليتواضع لربه الملك العزيز الجبار، فإن العزة لا تحصل إلا بقدر النزول، ألا ترى أن الماء ينزل إلى عروق الشجرة ثم يصعد لأعلاها، ويخرج أوراقًا وأزهارًا وثمارًا: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾ [فصلت: ٣٩].

وقال الله ﷻ: ﴿وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٥﴾﴾ [الحج: ٥].

والتواضع سبب من أسباب دخول الجنة.

قال النبي ﷺ: «أَلا أنبكم بأَهْلِ الجَنَّةِ ؟ قالوا: بَلَى، قالَ ﷺ: كُلُّ ضَعِيفٍ مُتَضَعِّفٍ، لو أَقْسَمَ علَى اللهِ لأَبَرَّهُ» أخرجه مسلم (٣).

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٥٨٨).

(٢) أخرجه مسلم برقم (٢٥٨٨)..

(٣) أخرجه مسلم برقم (٢٨٥٣)..

٣- درجات التواضع

التواضع درجات :

الأولى: أن يتواضع العبد لربه العظيم، ولا يستكبر عن عبادة الله، ولا يستكبر على خلق الله. فيعظم ربه، ويعظم شعائر ربه ﷻ: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ۝٣٢﴾[الحج: ٣٢].

وقال الله ﷻ عن الأنبياء والرسل: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ۝٩٠﴾[الأنبياء: ٩٠].

وهذه أعلى درجات التواضع، وأوسعها، وأكملها، وأعظمها أجراً .

ومن رد شيئاً من شرع الله كان فيه شبه بإبليس في تكبره عن طاعة أمر الله،ومن استكبر عن طاعة ربه فقد كفر به: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ۝٣٤﴾[البقرة: ٣٤].

الثانية: أن يتواضع العبد للمؤمنين، ويخفض جناحه لهم، ويذل لهم، كما قال سبحانه عن أوليائه : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ۝٥٤﴾[المائدة: ٥٤].

وقال النبي ﷺ: ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ۝٨٨﴾[الحجر: ٨٨].

الثالثة: التواضع يكون بنسبة الفضل كله إلى الله، وعدم المن على الناس.

فالمتواضع لا يمن على الخلق بعلمه، أو عمله، أو ماله، أو إحسانه، أو صدقته، ولا يرى لنفسه منزلة فوقهم: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (١٧)﴾ [الحجرات:١٧].

وقال عز وجل: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ (٥٣)﴾ [النحل:٥٣].

ومن أكرمه الله بهذه الدرجات الثلاث، فقد وصل إلى أعلى درجات التواضع: ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (٤)﴾ [الجمعة:٤].

٤ - علامات أهل التواضع

لأهل التواضع لله عَزَّ وَجَلَّ علامات:

الأولى: المتواضع لله عَزَّ وَجَلَّ ينظر إلى عزة ربه، ويتصاغر لكبريائه، ويسجد لعظمته: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَـٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾﴾ [السجدة:١٥].

الثانية: المتواضع ذليل على المؤمنين، كما قال الله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾ [المائدة:٥٤].

الثالثة: المتواضع يقبل الحق، ولا يرده ولو سمعه من صبي أو من أجهل الناس: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَـٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾﴾ [البقرة:٢٨٥].

الرابعة: المتواضع يأكل على الأرض تواضعاً لربه، ويجلس على الأرض، ويجالس الفقراء، ويعود المساكين كما كان ﷺ: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾﴾ [آل عمران:١٥٩].

وكان ﷺ من شدة تواضعه يركب الحمار أحيانًا، ويردف خلفه، ويعود المساكين، ويجالس الفقراء، ويجيب دعوة العبيد، ويجلس بين أصحابه كواحد منهم، ويجلس حيث ينتهي به المجلس: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾﴾ [الكهف:٢٨].

الخامسة: المتواضع لله عز وجل لا يُسبل إزاره.

قال النبي ﷺ: «ما أسفل من الكعبين من الإزار في النار» أخرجه البخاري (١).

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٥٧٨٧).

السادسة: المتواضع يُسيء الظن بنفسه، ويظن أن أكثر المسلمين خير منه: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴿٦١﴾﴾ [المؤمنون: ٦٠-٦١].

السابعة: المتواضع يرى نفسه مقصرًا في حق الله، وفي حقوق الخلق، ويلوم نفسه على تقصيرها في امتثال أوامر ربه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴿٦١﴾﴾ [المؤمنون: ٥٧-٦١].

الثامنة: المتواضع كثير التوبة والاستغفار في كل أحيانه، لشعوره بعظيم حقوق الله، وحقوق عباده، وتقصيره في أداء ذلك: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾ كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾﴾ [الذاريات: ١٥-١٨].

وقال الله ﷻ في صفات من اشتراهم: ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلْءَامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾﴾ [التوبة: ١١٢].

التاسعة: المتواضع لا يستكبر بقوله ولا فعله، ولا لباسه ولا مشيته: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴿١٩﴾﴾ [لقمان: ١٨-١٩].

العاشرة: المتواضع يستقل عمله، ويطلب من ربه الزيادة منه: ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۗ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ ۖ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴿١١٤﴾﴾ [طه: ١١٤].

٥ - الأسباب المعينة على التواضع لله عز وجل

الأول: العلم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله

فمن عرف ربه بالعزة والكبرياء، وصفات الجلال، والجمال، والكمال، كبره ومجده وتواضع له، وأخلص العبادة له: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الحشر:٢٣].

ومن عرف الله حقاً أحبه حقاً، وعبده حقاً: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾﴾ [الطلاق:١٢].

الثاني: العلم بعظمة الله، وعظمة ملكه وسلطانه، وعظمة نِعَمه وإحسانه، وعظمة دينه وشرعه، وعظمة وعده ووعيده: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾﴾ [محمد:١٩].

ومن عرف ربه بأسمائه، وصفاته، وأفعاله آمن به، وتواضع لكبريائه، وأخلص العبادة له وحده لا شريك له: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ ۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنعام:١٠٣].

الثالث: التفكر في عظمة مخلوقات الله، والاستدلال بعظمة مخلوقاته على عظمة ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا

يُشۡرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡخَٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ ٱلۡمُصَوِّرُۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾ [الحشر: ٢٢-٢٤].

الرابع: العلم بضعف الإنسان وعجزه فمن عرف ربه بالقوة والقدرة والكبرياء والعظمة، عرف نفسه بالضعف والعجز والذلة والفقر والجهل: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ﴿١٥﴾﴾ [فاطر: ١٥].

وقال الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾﴾ [الانفطار: ٦-٨].

الخامس: العلم بصفات الأنبياء والمرسلين، وما هم عليه من التعظيم لربهم، ومن التواضع لعزته وجلاله، وكبريائه: ﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [الأنبياء: ٩٠].

وقال عز وجل عن الأنبياء والرسل: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنۡ حَمَلۡنَا مَعَ نُوحٖ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنۡ هَدَيۡنَا وَٱجۡتَبَيۡنَآۚ إِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُ ٱلرَّحۡمَٰنِ خَرُّواْۤ سُجَّدٗاۤ وَبُكِيّٗا۩ ﴿٥٨﴾﴾ [مريم: ٥٨].

وقال ﷻ: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِبۡرَٰهِيمَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾﴾ [مريم: ٤١].

وقال ﷻ: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِسۡمَٰعِيلَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلۡوَعۡدِ وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا ﴿٥٤﴾﴾ [مريم: ٥٤].

٦- جزاء أهل التواضع لله عز وجل

الأول: الرفعة في الدنيا والآخرة.

قال النبي ﷺ: «ما تواضع أحد لله إلا رفعه» أخرجه مسلم [(١)].

الثاني: العزة في الدنيا والآخرة، كما قال سبحانه: ﴿يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾﴾ [المنافقون:٨].

الثالث: رضوان الرب عليهم، كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾ جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ ﴿٨﴾﴾ [البينة:٧-٨].

الرابع: دخول الجنة، كما قال سبحانه: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُوا۟ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُوا۟ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [البقرة:٢٥].

الخامس: الوصول إلى أعلى درجات الجنة، كما قال سبحانه: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال:٢-٤].

السادس: رؤية الرب جل جلاله، كما قال سبحانه عن المؤمنين: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة:٢٢-٢٣].

السابع: القرب من الرب جل جلاله، كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ ﴿٥٥﴾﴾ [القمر:٥٤-٥٥].

الثامن: الفوز بالجنة، والنجاة من النار، كما قال سبحانه: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾﴾ [مريم:٧١-٧٢].

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٥٨٨).

٧- عقوبات أهل الكبر والاستكبار

يعاقب الله المتكبرين والمستكبرين يوم القيامة بأنواع العقوبات.

فمن كان في قلبه كبر عن قبول الحق لن يدخل الجنة إذا مات، وسيخلد في النار يوم القيامة: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [غافر: ٦٠].

وقال النبي ﷺ: «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر» أخرجه مسلم [١].

وقال النبي ﷺ: «أَلاَ أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ الجَنَّةِ ؟ كُلُّ ضَعِيفٍ مُتَضَاعِفٍ، لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللهِ لأَبَرَّهُ. أَلاَ أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ النَّارِ؟ كُلُّ عُتُلٍّ جَوَّاظٍ مُسْتَكْبِرٍ» متفق عليه [٢].

ومن كان في قلبه تكبر على الخلق، فهذا تزكية للنفس، واحتقار للخلق، وتشبه بإبليس في استكباره عن السجود لآدم: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٣٤﴾﴾ [البقرة: ٣٤].

والكبر والاستكبار من أكبر الكبائر، ولهذا يحتاج إلى التوبة.

فمن مات ولم يتب منه فهو تحت مشيئة الله، إن شاء عذبه، وإن شاء غفر له: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ۚ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿١١٦﴾﴾ [النساء: ١١٦].

ومن أعظم الذنوب تزكية النفس، والعُجب بالنفس: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنْفُسَهُمْ ۚ بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٤٩﴾﴾ [النساء: ٤٩].

والكبر عكس التواضع، والكبر هو التشبه باسم الله المتكبر الذي لا يوصف به إلا الله وحده لا شريك له، وهو من الإلحاد في أسماء الله وصفاته: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [الأعراف: ١٨٠].

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٩).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٤٩١٨) ومسلم برقم (٢٨٥٣).

والكبر والاستكبار عن الحق من أعظم أسباب دخول النار، والخلود فيها: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسۡتَكۡبَرُواْ عَنۡهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمۡ أَبۡوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلۡجَمَلُ فِي سَمِّ ٱلۡخِيَاطِۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿٤٠﴾ لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٞ وَمِن فَوۡقِهِمۡ غَوَاشٖۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤١﴾﴾ [الأعراف: ٤٠-٤١].

وقال الله ﷻ: ﴿وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسۡوَدَّةٌۚ أَلَيۡسَ فِي جَهَنَّمَ مَثۡوٗى لِّلۡمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [الزمر: ٦٠].

ويُحشر المتكبرون يوم القيامة أمثال الذر يطؤهم الناس.

فتواضع يا عبد العزيز لربك العظيم، الذي له جميع صفات الجلال والجمال والكمال، وَقِفْ بين يديه مكبرًا له، حامدًا له، ممجدًا له، مثنيًا عليه، خائفًا منه، متواضعًا لعظمته، راغبًا في فضله، راهبًا من عقوبته: ﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [الأنبياء: ٩٠].

وقال عز وجل: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦ وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [الزمر: ٦٧].

اللهم يا حي يا قيوم، ارحم فقرنا وذلنا وانكسارنا بين يديك، يا أرحم الراحمين، ﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلۡتَ وَٱتَّبَعۡنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكۡتُبۡنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٣﴾﴾ [آل عمران: ٥٣].

عبادات القلوب

في ضوء القرآن والسنة

العبادة الخامسة والعشرون

عبادة مراقبة الله ﷻ

وتشتمل هذه العبادة العظيمة على المباحث الآتية :

الأول: فقه مراقبة الله ﷻ.

الثاني: منزلة مراقبة الله ﷻ.

الثالث: فضائل مراقبة الله ﷻ.

الرابع: درجات المراقبة.

الخامس: تفاوت الناس في المراقبة.

السادس: علامات صدق المراقبة

السابع: الأسباب المعينة على صدق المراقبة.

العبادة الخامسة والعشرون

عبادة مراقبة الله عز وجل

١ - فقه مراقبة الله عز وجل

مراقبة العبد ربه من أعظم العبادات القلبية، بل هي أعظمها، لأن من راقب ربه بقلبه زاد إيمانه، وأحسن عبادته لربه، وأدى أعماله لربه كأنه يراه، فإن لم يبلغ ذلك فليعلم أن الله يراه، والمراقبة أعلى درجات العبودية.

قال النبي ﷺ: «الإحْسَانُ أنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأنَّكَ تَرَاهُ، فإنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فإنَّه يَرَاكَ» متفق عليه (١).

ومراقبة الله عز وجل من مقتضى الإيمان بأسماء اللهالعليم الخبير، القريب الشهيد، ومن لوازم الإيمان بأسماء الله السميع،البصير،المحيط،فالله سبحانه قريب من العبد، بل هو أقرب إليه من حبل الوريد، والله شهيد على كل أحد، يعلم أحوال العبد، ويعلم حركاته وسكناته، ويعلم سره وجهره: ﴿وَأَسِرُّوا۟ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُوا۟ بِهِۦٓ ۖ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٣﴾ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾﴾[الملك:١٣-١٤].

وهو سبحانه السميع الذي يسمع جميع الأصوات، على اختلاف اللغات، وتباين الحاجات، وكثرة السؤالات :﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ ۖ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ﴿٣﴾﴾[الأنعام:٣].

وقال الله تعالى:﴿إِن تُبْدُوا۟ شَيْـًٔا أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٥٤﴾﴾ [الأحزاب:٥٤].

وهو سبحانه البصير الذي يبصر كل شيء في ملكه من الذرات والمجرات، ويرى ويسمع دبيب النملة السوداء، على الصخرة الصماء، في الليلة الظلماء،

---

(١)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٥٠) ومسلم برقم (٩).

الغيب عنده شهادة، والسر عنده علانية، والمستور عنده مكشوف: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى:١١].

ومتى علم العبد ذلك آمن بالله العظيم، وراقبه في سره وجهره، وأخلص له العبادة في ظاهره وباطنه، وعظم ربه وكبّره، لما يراه من عظمته وجبروته، وعظمة ملكه وسلطانه: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾ [يونس:٣].

وأحب ربه وحمده، لما يراه من عظيم نعمه وإحسانه وإكرامه، فقنت بين يدي ربه ساجدًا وقائمًا، يكبره ويمجده، ويحمده ويشكره: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾﴾ [الزمر:٩].

ومن راقب الله تعالى اتقاه، وفاز بمغفرته وثوابه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾﴾ [الملك:١٢].

وحقيقة المراقبة: دوام علم العبد ويقينه باطلاع ربه على ظاهره وباطنه، وأن الله ينظر إليه في كل حال، ولا يخفى عليه شيء من أحواله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَىْءٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٥﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦﴾﴾ [آل عمران:٥-٦].

المراقبة أن يكون المؤمن على علم ويقين أن الله ﷻ ناظر إليه، سامع لأقواله، بصير بأفعاله، مطلع على ظاهره وباطنه، عليم بسره وعلانيته، محيط بحركاته وسكناته، عليم خبير لا يخفى عليه شيء من أقوال العبد وأفعاله، ولا يغيب عنه شيء من نياته وخواطره وأسراره: ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾﴾ [الحديد:٤].

والذي يستحضر حقيقة المراقبة لله ﷻ لا يحتاج إلى مراقبة أحد من الناس، لأن ربه أعظم في قلبه من كل أحد، وأكبر من كل أحد.

فيحسن عمله ويتقنه، ويجتنب الكذب والغش، تقربًا إلى الله الذي يراه ويسمعه، والذي أمره ونهاه، والذي يثيبه ويعاقبه، ومحبةً لله الذي أنعم عليه وهداه، وتعظيمًا لله الذي له ملك السماوات والأرض وما فيهن، وحياءً من الله أن يعصيه بنعمه، وهو يسكن في ملكه، ويأكل من رزقه، وطلبًا لمرضات الله، وخوفًا من عقابه: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾ [الحشر: ٢٢-٢٤].

ومن راقب الله أحبه وعظمه، وأطاعه ولم يعصه: ﴿هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [غافر: ٦٥].

ومن راقب الله زاد إيمانه، وحسنت عبادته: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾﴾ [البينة: ٥].

فيا عبد الرقيب راقبِ الله في كل حال، وأخلص العبادة لمن خلقك وهداك، وأطعمك، وسقاك، واختارك واصطفاك، وهداك، تفز برضاه وجنته: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾ جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ ﴿٨﴾﴾ [البينة: ٧-٨].

٢ - منزلة مراقبةِ الله ﷻ

مراقبة الله ﷻ أساس الأعمال القلبية وعمودها، ومن تيقن أن الله يراه ويسمعه، ويعلم بسره وعلانيته، خافه ورجاه، وأطاعه ولم يعصه، وأخلص العبادة له وحده لا شريك له: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ١٠٢ لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ١٠٣﴾[الأنعام:١٠٢-١٠٣].

والمراقبة تُثّمِرُ تحقيق مراتب الدين كلها، الإسلام، والإيمان، والإحسان، وهي من أعظم منازل العبودية لله ربِ العالمين :﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ ١٢﴾[الملك:١٢].

وقال النبي ﷺ: «الإِحْسَانُ أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّه يَرَاكَ» متفق عليه (١).

فمراقبة الله عز وجل تثمر إقبال العبيد على فعل الطاعات والقربات، وتقيهم من الوقوع في الفواحش والمنكرات، وبذلك يعيش الناس في الدنيا في سعادة وأمن، ويتبوؤون في الآخرة أعلى درجات الجنة: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ٣٠ نَحۡنُ أَوۡلِيَآؤُكُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَشۡتَهِيٓ أَنفُسُكُمۡ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ٣١ نُزُلٗا مِّنۡ غَفُورٖ رَّحِيمٖ ٣٢﴾ [فصلت:٣٠-٣٢].

ومراقبة الله ﷻ في السر والعلن أعظم دليل على قوة إيمان العبد بربه العظيم، ودليل على يقينه على كمال ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله .

فهو سبحانه الشهيد الرقيب الذي لا يخفى عليه شيء ولا يغيب عنه شيء، الحفيظ الذي لا يغفل، العليم الذي لا يخفى عليه مثقالُ ذرة من أحوال

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٥٠) ومسلم برقم (٩) .

خلقه: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلۡأَمۡرُ بَيۡنَهُنَّ لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا ﴿١٢﴾﴾ [الطلاق:١٢].

ومن علم ذلك راقب ربه في جميع أحواله، فأطاع أمره، واجتنب نهيه، وأخلص له العبادة وحده لا شريك له، وعبد ربه بكمال الحب والتعظيم والذل له: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ﴿٥﴾﴾ [البينة:٥].

ومقامُ المراقبة من أعظم منازل العُبودية لله جل جلاله، فالله هو الرقيب الشهيد، السميع البصير، العليم الخبير بكلِ شيء، لا فرق عنده بين السر والعلانية ولا بين الظاهر والباطن، لا إله إلا هو، لا يخفى على سمعه شيء ولا يغيب عن بصره شيء: ﴿وَمَا تَكُونُ فِى شَأۡنٖ وَمَا تَتۡلُواْ مِنۡهُ مِن قُرۡءَانٖ وَلَا تَعۡمَلُونَ مِنۡ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيۡكُمۡ شُهُودًا إِذۡ تُفِيضُونَ فِيهِۚ وَمَا يَعۡزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثۡقَالِ ذَرَّةٖ فِى ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصۡغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡبَرَ إِلَّا فِى كِتَٰبٖ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾﴾ [يونس:٦١].

ومَن علم بذلك يقينا آمن بالله وحده، وكبره ومجده، وأحبه وحمده وشكره، وأخلص العبادة له، وراقبه في كل حال، وأقبل على طاعته بكمال الحب والتعظيم والذل له، وابتعد عن كل ما نهى الله عنه: ﴿إِنَّمَا يُؤۡمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِهَا خَرُّواْ سُجَّدٗا وَسَبَّحُواْ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ۩ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمۡ عَنِ ٱلۡمَضَاجِعِ يَدۡعُونَ رَبَّهُمۡ خَوۡفٗا وَطَمَعٗا وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [السجدة:١٥-١٧].

مراقبة الله عز وجل هي حقيقة العبودية وروحُها، وأصلها ولبها .

وهي أن تراقب الله لتعبده كأنك تراه بصفات جماله وإحسانه، راغبًا فيما عنده، طامعًا في ثوابه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك بصفات جلاله، فخف منه، وابتعد عن كل ما يبغضه ويسخطه: ﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [الأنبياء:٩٠].

وأحسن الناس مراقبة لله ﷻ، وامتثالًا لأوامره، واجتنابًا لنواهيه، هو من عرف ربه

بأسمائه الحسنى، وصفاته العلا، وأفعاله الكبرى، أحاط بكل شيء علما، وأحصى كل شيء عددا، ولا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾﴾ [محمد:١٩].

هو سبحانه الرقيب الشهيد لكل شيء.

من تكلم من خلقه علم نطقه، ومن سكت علم سره، ومن أسر علم بكل ما يجول في خاطره: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾﴾ [البقرة:٢٥٥].

ومن علم ذلك عبد الله بمقام المراقبة والمشاهدة، يرى ربه بكمال القوة والقدرة والعزة، ويراه بكمال الرحمة واللطف، والإكرام والإحسان، فيقف بين يديه بكمال الحب والتعظيم والذل له، ناظرًا إلى عز ربوبيته، متصاغرًا لكبريائه، ذليلًا لعزته.

فأي عبد هذا المؤمن الذي أكرمه الله بالوصول إلى أعلى درجات العبودية: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴿٦١﴾﴾ [المؤمنون:٥٧-٦١].

ومراقبة الله في السر والعلن أعظم طريق لإتقان العمل وإحسانه، وكثرته ودوامه، وتصحيحه وإخلاصه: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف:١١٠].

وقال النبي ﷺ: «إِنَّ اللهَ يحِبُّ إذا عمِلَ أحدُكم عملًا أنْ يُتقِنَه» أخرجه الطبراني وأبو يعلى[1].

---

(١) حسن: أخرجه الطبراني في الأوسط برقم (٨٩١) وأبو يعلى برقم (٤٣٨٦).

٣- فضائل مراقبة الله عَزَّ وَجَلَّ

الأولى: إحسان العبادة لله عز وجل، فإحسان العبادة بالإخلاص وحسن المتابعة من أرجى أسباب قبولها: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف: ١١٠].

وقال عز وجل: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [السجدة: ١٥-١٧].

الثانية: صيانة العبد للسانه وسمعه وبصره وفرجه عن كل ما لا يحل، وصيانة بطنه ومطعمه ومشربه عن الحرام: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾﴾ [الإسراء: ٣٦].

الثالثة: شغل الأوقات بالطاعات، وعدم الالتفات إلى المعاصي والمحرمات: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ [الأنعام: ١٦٢-١٦٣].

الرابعة: مراقبة الله جل جلاله سبب لتحسين أعمال العبد، وإخلاصها لله، فمن عرف الله، وعبده كأنه يراه، وراقبه في كل حال؛ أحسن عمله له: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾﴾ [الملك: ١٢].

والذي يراقب ربه في كل حال يتقن عمله، ويجعل عبادته خالصة لله عز وجل، ولا يقصر في عمله، ولا يغش في تجارته، ولا يكذب على غيره، بل يصدق في كل أموره، ويجتهد في إتقان وإحسان عمله تعبدًا لله، وخوفًا منه، وطمعًا في ثوابه، وحياءً من ربه الذي لا يخفى عليه ظاهر أو باطن: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ

إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ [الأنفال:٢-٤].

الخامسة: مراقبة الله في السر والعلن من أعظم السبل للجد والاجتهاد في أنواع الطاعات والقربات والعبادات، وهجر الفواحش والآثام والمنكرات.

فالذي يستحضر مراقبة الله عز وجل لا يقصر في أداء الحقوق، ولا يضيع الفرائض، ولا يترك الواجبات، ولا يفعل المحرمات، بل يجد ويجتهد في فعل كل ما يحبه الله ويرضاه: ﴿۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ [آل عمران:١٣٣-١٣٤].

السادسة: الذي يراقب الله عز وجل في كل أحواله، لا يتجرأ على محارمه، ولا يسرف في معصيته، لأنه على يقين أن الله السميع البصير يراه ويسمعه، فيخاف من الله ويستحي من معصيته، وهو يسكن في ملكه، ويأكل من رزقه، ويبتعد عن معصيته في سره وعلانيته: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾﴾ [الملك:١٢].

وقال النبي ﷺ: «اتَّقِ اللهَ حيثُما كنتَ وأتبعِ السَّيِّئَةَ الحسنةَ تمحُها وخالِقِ النَّاسَ بخلقٍ حسنٍ» أخرجه أحمد(١).

فمن راقب الله في خواطره عصمه الله في جوارحه، فلم يستعملها إلا فيما يرضي مولاه من الطاعات، فيستحي من الله أن يقترف بها سوءا، أو يجره إلى مسلم:

(١) حسن: أخرجه احمد برقم (٢١٤٠٥).

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾[النساء: ١].

السابعة: مراقبة الله عز وجل في السر والعلن تقي المسلم من الكذب والمكر، ومن الغش والخديعة، ومن الظلم والعدوان،وغيرها من الصفات السيئة،فمن علم أن الله ﷻ مطلع عليه، ناظر إليه، مراقب له، يحصي عليه أقواله وأعماله وخواطره؛ لا يكذب ولا يغش، ولا يمكر ولا يخون، ولا يظلم ولا يخدع أحدا، بل يستحي من الله الذي يراه، ويخاف من الله الذي يسمعه، أن يراه وهو يغش في معاملاته، أو يكذب في كلامه، فأهل الصفات الطيبة هم أهل الجنات، وأهل المغفرة، وأهل الدرجات العالية:﴿إِنَّ ٱلۡمُسۡلِمِينَ وَٱلۡمُسۡلِمَٰتِ وَٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ وَٱلۡقَٰنِتِينَ وَٱلۡقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلۡخَٰشِعِينَ وَٱلۡخَٰشِعَٰتِ وَٱلۡمُتَصَدِّقِينَ وَٱلۡمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلۡحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمۡ وَٱلۡحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمٗا ٣٥﴾[الأحزاب: ٣٥].

الثامنة: مراقبة الله جل جلاله في السر والعلن ضمان لنزاهة العبد في خلوته، ووقاية له من الوقوع في معصية الله، فأغلب الذنوب والمنكرات، والمعاصي والفواحش، إنما تكون في الخلوات، حين يكون الإنسان وحده بعيدًا عن أنظار الناس، لا يستحضر مراقبة رب الأرض والسماوات .

ففي الخلوات يسرق السارق، ويزني الزاني، ويشرب الخمر، ويخون الخائن، وفيها تنتهك الحرمات، وتؤكل الرشوة، ويقع التزوير .

ومن استحضر مراقبة الله له في كل أحواله لم يعصه أبدا، ولم يخن أحدا، فاتق الله أيها المؤمن في خلوتك وجلوتك، وراقب الله في سرك وعلانيتك، فإن الله مطلع عليك، وناظر إليك، واستحي من الذي يراك ويسمعك أن تعصيه بنعمه: ﴿إِنَّ

﴿ٱلَّذِينَ هُم مِّنۡ خَشۡيَةِ رَبِّهِم مُّشۡفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ يُؤۡمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمۡ لَا يُشۡرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤۡتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمۡ وَجِلَةٌ أَنَّهُمۡ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَهُمۡ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴿٦١﴾﴾[المؤمنون:٥٧-٦١].

وقال الله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ ﴿١٢﴾﴾[الملك:١٢].

واعلم أيها المسلم أن الفوز والفلاح والسعادة في الدنيا والآخرة في تقوى العبد لربه، وخشية الله في السر والعلن، ومراقبة الله عند كل أمر ونهي، في كل وقت وحين: ﴿وَأُزۡلِفَتِ ٱلۡجَنَّةُ لِلۡمُتَّقِينَ غَيۡرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٖ ﴿٣٢﴾ مَّنۡ خَشِيَ ٱلرَّحۡمَٰنَ بِٱلۡغَيۡبِ وَجَآءَ بِقَلۡبٖ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾ ٱدۡخُلُوهَا بِسَلَٰمٖۖ ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلۡخُلُودِ ﴿٣٤﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيۡنَا مَزِيدٞ ﴿٣٥﴾﴾[ق:٣١-٣٥].

٤ - درجات المراقبة

مراقبة الله ﷻ على أربع درجات:

الأولى: استدامة السير إلى الله ﷻ،وتعظيمه، وتعظيم أمره، وحضور القلب مع الرب، والقرب منه، والأنس والسرور به، والذهول عن غيره: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ (١٥) تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ (١٦) فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ (١٧)﴾ [السجدة:١٥-١٧].

وكلما ازداد العبد قربًا من ربه ازداد له تعظيمًا وحبًا، وحمدًا وشكرًا، وخوفًا ورجاءً، وأغناه ذلك عن الالتفات إلى غيره من العبيد، وأشغله سروره بمولاه عن كل ما سواه، ودخل جنة المعرفة الموصلة إلى جنة الآخرة كما هي حال الأنبياء: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ (٩٠)﴾[الأنبياء:٩٠].

وقال النبي ﷺ: «ذاقَ طَعْمَ الإيمانِ مَن رَضِيَ باللهِ رَبًّا، وبالإسْلامِ دِينًا، وبِمُحَمَّدٍ رَسولًا» أخرجه مسلم [(١)].

وهذه أعظم جنة في الدنيا يكرم الله بها من عرفه، وعمل بشرعه، وأطاع أمره: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ (٣٠) نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ (٣١) نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ (٣٢)﴾[فصلت:٣٠-٣٢].

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٣٤).

الثانية: مراقبة الله بصيانة الظاهر والباطن، وذلك يوجب صيانة الباطن والظاهر في كل حال: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾ [فاطر:٢٨].

وصيانة الباطنتكون بحفظ الخواطر والإرادات، وصيانة الظاهرتكون بحفظ الحركات الظاهرة، فيجرد العبد قلبه وبدنه من كل شهوةٍ وإرادةٍ تعارض أمر ربه، ومن كل إرادةٍ تعارض إرادة ربه، ومن كل شبهة تعارض خبره، ومن كل محبة تزاحم محبة ربه، ومن كل خوفٍ يزاحم خوف ربه: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [النساء:٦٥].

وهذه حقيقة القلب السليم الذي لا ينجو إلا من أتى الله به يوم القيامة، كما قال إبراهيم ﷺ: ﴿وَلَا تُخْزِنِى يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴿٨٧﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ [الشعراء:٨٧-٨٩].

الثالثة: مراقبة الله بشهود انفراده وحده بالربوبية والألوهية، وأنه لم يكن شيء قبله ولا معه، ثم خلق الخلق إظهارًا لقدرته، وكمال حكمته، وسعة علمه ورحمته، وبيانًا لعظمة أسمائه وصفاته وأفعاله: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾﴾ [الطلاق:١٢].

وقال الله تعالى: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾﴾ [الحديد:٣].

وهذا الشهود يقوي إيمان العبد بربه، ويحمله على مراقبة الله في كل حال، وبذلك يفنى العبد عن نفسه، ويتعلق قلبه بالحي القيوم الذي بيده مقاليد الأمور: ﴿هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [غافر:٦٥].

الرابعة: مراقبة مواقع رضا الرب سبحانه ليفعلها، ومراقبة كل ما يسخط الله ليحذرها، والفناء عن مرادهِ من ربه مهما كان إلى مراد ربه منه: ﴿فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ (٣٤) الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَىٰ مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ (٣٥)﴾ [الحج: ٣٤-٣٥].

ومن أكرمه الله، وأوصله إلى هذه الدرجات العظيمة، راقب الله في كل حال، وسعد بالقرب من ربه، وحسن مناجاته، وسعد في الدنيا والآخرة، وفاز برضوان الله وجنته: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٢) الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ (٣) أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ (٤)﴾ [الأنفال: ٢-٤].

وقال عز وجل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ (٧) جَزَاؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ (٨)﴾ [البينة: ٧-٨].

٥ - تفاوت الناس في المراقبة

الناس متفاوتون في المراقبة بحسب العلم بالله، وأسمائه، وصفاته، وأفعاله، وأعظم الناس مراقبة لربه أشدهم له خشية وتقوى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾[فاطر:٢٨].

ومقام المراقبة هو مقام الإحسان، وهو أعلى درجات الدين .

والإحسان على درجتين:

الأولى: أن تراقب الله في كل أقوالك، وأعمالك، وأحوالك، فتعمل كل عمل صالح كأنك ترى ربك بأسمائه الحسنى، وصفاته العلا، وأفعاله الحميدة: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾[الأنفال:٢-٤].

وهذه أعلى الدرجتين .

الثانية: إذا لم تستطع ذلك، فاعلم أن الله القادر على كل شيء القاهر لكل شيء العليم بكل شيء، يراك، فخف من ربك، وخف من عقوبته وعذابه :﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾[الأنعام:١٠٢-١٠٣].

وقال الله تعالى: ﴿۞ نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِى هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾﴾[الحجر:٤٩-٥٠].

وقال النبي ﷺ لما سأله جبريل عن الإحسان: «أن تعبُدَ اللهَ كأنَّك تراه ، فإنْ لم تكنْ تراه فإنَّه يرَاك» متفق عليه [١].

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٥٠) ومسلم برقم (٩).

٦ - علامات صدق المراقبة

الأولى: إخلاص الأعمال لله عز وجل، فمتى استحضر العبد رؤية الله له زال عنه الشعور برؤية الناس له، فلم يطلب مدحهم، أو يهرب من ذمهم: ﴿قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾﴾[الزمر:١١-١٢].

وقال الله عز وجل عن الأنبياء: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾[الأنبياء:٩٠].

الثانية: عدم المن بالعمل على الخالق، وعلى المخلوق، فالذي يراقب ربه لا يمن بالعمل على الخالق، لأن الله هو الذي خلقه، وخلق فيه القدرة على العمل، وأعانه على أداء العمل، وقبل منه العمل، وأثابه على العمل الصالح: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا۟ ۖ قُل لَّا تَمُنُّوا۟ عَلَىَّ إِسْلَٰمَكُم ۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾﴾[الحجرات:١٧].

والذي يراقب ربه لا يمن بالعمل على المخلوق، لأنه لا يدري من المقبول، و لا يعلم من سيختم له بالشر والرد، ومن سيختم له بالسرور والقبول.

الثالثة: الخوف من عدم القبول، لقلة الإخلاص، وضعف المتابعة، ورؤية النقص والتقصير في العمل، كما قال الله عز وجل عن المؤمنين: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴿٦١﴾﴾[المؤمنون:٦٠-٦١].

الرابعة: عدم الأمن من مكر الله تعالى، فالله هو مقلب القلوب، وهو الذي قلَّب قلب عبده إلى طاعته، وهو قادر أن يحوّل قلب عبده إلى معصيته، فليداوم على الخوف من ربه، ويسأله الثبات على دينه ،والرضا بمراقبته وقدره: ﴿أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩٩﴾﴾[الأعراف:٩٩].

وقال النبي ﷺ: «اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك» أخرجه مسلم [(١)].

الخامسة: كثرة البكاء من خشية الله عز وجل: ﴿وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ۩ ﴿١٠٩﴾﴾[الإسراء:١٠٩].

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٦٥٤).

٧- الأسباب المعينة على صدق المراقبة:

الأول: استحضار عظمة الله، وعظمة أسماء الله وصفاته وأفعاله، وعظمة قدرته، وإحاطة سمعه وبصره بكل ذرة: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ١٩﴾ [محمد:١٩].

وقال الله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦ وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٦٧﴾ [الزمر:٦٧].

الثاني: استحضار علم الله بكل شيء، وأنه محيط بكل شيء، عليم بكل شيء، لا يخفى عليه شيء، ولا يقف له شيء، ولا يمتنع عليه شيء: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلۡأَمۡرُ بَيۡنَهُنَّ لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا ١٢﴾ [الطلاق:١٢].

وقال لقمان لابنه: ﴿يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٖ فَتَكُن فِي صَخۡرَةٍ أَوۡ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَأۡتِ بِهَا ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٞ ١٦﴾ [لقمان:١٦].

الثالث: استحضار قرب الرب من خلقه ومعيته لهم في كل شأن: ﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ وَنَعۡلَمُ مَا تُوَسۡوِسُ بِهِۦ نَفۡسُهُۥۖ وَنَحۡنُ أَقۡرَبُ إِلَيۡهِ مِنۡ حَبۡلِ ٱلۡوَرِيدِ ١٦﴾ [ق:١٦].

وقال الله عز وجل: ﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجۡوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمۡ وَلَا خَمۡسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمۡ وَلَآ أَدۡنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمۡ أَيۡنَ مَا كَانُواْۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُواْ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ٧﴾ [المجادلة:٧].

الرابع: استحضار موقف العبد بين يدي ربه للحساب والجزاء يوم القيامة، كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ إِلَيۡنَآ إِيَابَهُمۡ ٢٥ ثُمَّ إِنَّ عَلَيۡنَا حِسَابَهُم ٢٦﴾ [الغاشية:٢٥-٢٦].

وقال الله عز وجل: ﴿وَنَضَعُ ٱلۡمَوَٰزِينَ ٱلۡقِسۡطَ لِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَلَا تُظۡلَمُ نَفۡسٞ شَيۡـٔٗاۖ وَإِن كَانَ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٍ أَتَيۡنَا بِهَاۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ٤٧﴾ [الأنبياء:٤٧].

الخامس: استحضار شدة عذاب الله للكفار والعصاة: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ١١٥﴾[النساء:١١٥].

وقال الله ﷻ: ﴿وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدۡخِلۡهُ نَارًا خَٰلِدٗا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٞ مُّهِينٞ ١٤﴾[النساء:١٤].

السادس: استحضار الخلود في نار جهنم: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ شَرُّ ٱلۡبَرِيَّةِ ٦﴾[البينة:٦].

وقال الله عز وجل: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلۡكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ هِيَ حَسۡبُهُمۡۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُۖ وَلَهُمۡ عَذَابٞ مُّقِيمٞ ٦٨﴾[التوبة:٦٨].

فمن عرف هذه الحقائق العظيمة آمن بربه، وخاف منه، وأقبل على طاعته، وامتثل أمره، واجتنب نهيه، وأخلص له العبادة وحده لا شريك له، وفاز برضاه وجنته: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ خَيۡرُ ٱلۡبَرِيَّةِ ٧ جَزَآؤُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَشِيَ رَبَّهُۥ ٨﴾[البينة:٧-٨].

اللّهم يا حي يا قيوم ارزقنا كمال المراقبة لك، وحسن التوكل عليك، ولذة القرب منك، يا ذا الجلال والإكرام.

اللّهم آت نفوسنا تقواها، وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها.

اللّهم ارزقنا اليقين حتى نعبدك كأنا نراك، وارزقنا كمال الإخلاص حتى لا نرى أحدا سواك.

﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ حَسَنَةٗ وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ٢٠١﴾ [البقرة:٢٠١].

عبادات القلوب

في ضوء القرآن والسنة

العبادة السادسة والعشرون

عبادة خشية الله جل جلاله

وتشتمل هذه العبادة العظيمة على المباحث الآتية :

الأول: فقه خشية الله عز وجل.

الثاني: منزلة خشية الله عز وجل.

الثالث: فضائل خشية الله عز وجل.

الرابع: الأسباب المعينة على خشية الله عز وجل.

الخامس: ثمرات خشية الله عز وجل.

لعبادة السادسة والعشرون

عبادة خشية الله جل جلاله

١ - فقه خشية الله عز وجل

خشية الله ﷻ هي خوفٌ يشوبه تعظيمٌ لله ﷻ ، وفرارٌ من معصيته إلى طاعته .

وخشية الله ﷻ من أعظم أعمال القلوب التي تقوم عليها كل عبادة، والتي تكفّ العبد عن ركوب المعاصي والفواحش، واستباحة المحرّمات، والاستهانة بشرع الله وشعائره : ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾ [فاطر:٢٨].

وخشية الله عز وجل هي انزجار القلب عن كل ما يسخط الله، ووجله وخوفه من ربه، وهربه من سخط الله وغضبه، وعذابه وعقوبته، واليقين على وعده ووعيده في الدنيا والآخرة، طلباً لثوابه، وخوفاً من عقابه : ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٥٢﴾﴾ [النور:٥٢].

خشية الله عز وجل هي خوفٌ يكون في القلب، تظهر آثاره على الجوارح بالانخفاض والسكون والتسليم، وتدفع العبد إلى العمل الصالح، والبُعد عن المعاصي والمحرمات : ﴿فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٩﴾ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ﴿١٠﴾﴾ [الأعلى:٩-١٠].

وخشية الله عز وجل هي التي تحولُ بين العبد وبين معصية الله عز وجل

والعبد إذا خاف مخلوقًا هرب منه، وإذا خاف ربه لجأ إليه، وهرب إليه، وفرّ إليه، وعمل بطاعته، وأقلع عن معصيته: ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ٥٠ وَلَا تَجۡعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ٥١﴾ [الذاريات: ٥٠-٥١].

وخشية الله ﷻ من لوازم الإيمان بالله، بل هي شرطٌ من شروط الإيمان بالله ﷻ، فمن لم يخش الله لم يكن مؤمنًا بالله: ﴿أَتَخۡشَوۡنَهُمۡۚ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخۡشَوۡهُ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ١٣﴾ [التوبة: ١٣].

وخشية الله ﷻ من مقتضيات الإيمان بأسماء الله الحسنى، ومن لوازم الإيمان بأسماء اللهالملك، العزيز، الجبّار، القويّ، القادر، القهّار: ﴿هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦٥﴾ [غافر: ٦٥].

فمن عرفَ المَلك أذعنَ لأمره، وخشيهُ واتقاه، ومن عرف العزيز ذلَّ لعزته، وأخلص العبادة له، ومن عرف الجبّار خضع لجبروته، ومن عرف ربه القويّ امتلأ قلبه بخشيته والخوف منه، ففرّ إليه، ومن عرف القادر استعان به، ولم يلتفت إلى غيره، ومن عرف القهار ذلّ لقهره، وامتلأ قلبه بخشيته وتقواه: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۖ هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ٢٢ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلۡمُؤۡمِنُ ٱلۡمُهَيۡمِنُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡجَبَّارُ ٱلۡمُتَكَبِّرُۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٢٣ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡخَٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ ٱلۡمُصَوِّرُۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٢٤﴾ [الحشر: ٢٢-٢٤].

وخشية الله عز وجلتنشأ من معرفة جلال الله وجبروته، وكمال قوته وقدرته، ومعرفة شدة انتقامه ممن عصاه، وعظمة عقوبته لمن كفر به وعصاه: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ١٩﴾ [محمد: ١٩].

وخشية الله ﷻ،والخوف منه، هي عبادة جميع المخلوقات في العالم العلوي والعالم السفلي: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِن دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ (٤٩) يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۩ (٥٠)﴾ [النحل:٤٩-٥٠].

والإنسان مخلوقٌ ضعيف مكرم، يجب عليه أن يشارك جميع المخلوقات في تسبيح ربه، والسجود له، والتصاغر لكبريائه، والخشية له، والخوف منه :﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ۩ (١٨)﴾[الحج:١٨].

والخوف من الله ﷻمستقرٌّ في قلب كل مؤمن، فإن من عرف الله بأسمائه الحسنى، وصفاته العلا، وأفعاله الكبرى، كبّره ومجّده، وأحبه وخافه ورجاه، وامتلأ قلبه بخشيته وتقواه : ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ (١٩)﴾[محمد:١٩].

وأهل الإيمان مختلفون في درجات الخوف من الله، والخشية لله، بحسب علمهم وإيمانهم بربهم، وهم على ثلاثة أقسام:

الأول: كامل الخوف والخشية لله، وهو من حمله الخوف من الله، والخشيةِ له، على فعل الواجبات والمستحبّات، وترك المحرّمات والمكروهات، واجتناب الشُبهات، وترك الإسراف في الشهوات .

وهؤلاء خير الناس، وأفضل الناس، وفي مقدمتهم الأنبياء والرسل وصالح المؤمنين: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ (١٢)﴾[الملك:١٢].

الثاني: مُقتصِدُ الخوف، وهو من حمله الخوف على المحافظة على فعل الفرائض، واجتناب المحرمات، ولم يجتنب الشُبهات والمكروهات؛ وهؤلاء دون الأول.

الثالث: ناقصُ الخوف والخشية لله، وهو الظالم لنفسه، وهو من قصّر في فعل الواجبات، وارتكب المحرّمات، وأسرف في الموبقات والشهوات .

ومن رحمة الله ﷻ أن هؤلاء الأصناف الثلاثة كلهم في الجنّة، وهم الظالم لنفسه، والمقتصد، والسابق بالخيرات،وهم فيها على درجات بحسب إيمانهم وتقواهم، وأعمالهم، كما قال سبحانه: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣٣﴾ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ ۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴿٣٥﴾﴾ [فاطر:٣٢-٣٥].

وأهل الخشية لله عز وجلهم من عرف ربه بأسمائه وصفاته وأفعاله، فخاف الله واتقاه، وسارع إلى كل ما يحبه ويرضاه، واجتنب كل ما يكرهه ويسخطه، وعمر أوقاته بطاعة الله، واجتناب كل معصية، وبالغ في اجتناب المحرمات، وخشي من الوقوع في الآثام، فبالغ في ترك الشبهات، وفضول المباحات: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال:٢-٤].

والخشية المحمودة شرعًا هي الخوف من الجبّار، والخوف من عقوبة الملك العزيز القويّ القادر القهّار، مع المسارعة إلى الخيرات، مع الشعور بالتقصير، والاعتراف بالذنب، والندم الموجب للكفّ عن ركوب المحرّمات، وتغيير الحال إلى الأحسن، والمبادرة بالتوبة، والمسارعة إلى عمل الصالحات، لتكفير السيئات، ونيل الدرجات: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ

وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴿٦١﴾﴾ [المؤمنون:٥٧-٦١].

وقال ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾﴾ [الملك:١٢].

ومن مقتضيات الخشية لله ﷻ أن تُبلِّغ شرعه كالأنبياء والرسل، ولا تخاف أحدًا في دين الله، وتقولُ بالحق لا تخاف لومة لائم كالأنبياء: ﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴿٣٩﴾﴾ [الأحزاب:٣٩].

ومقتضى خشية الله عز وجلأن تخشاه وحده، وتخافه وحده، ولا تخاف أحدًا من شياطين الإنس والجن : ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾﴾ [آل عمران:١٧٥].

والفرق بين الخشية والخوف:

أن الخشية تكون من معرفة عظمة المخشيّ، وهو الله عز وجل .

والخوف يكون من ضعف العبد الخاشي، وإن لم يكن المخوفُ عظيمًا .

فالخشية أعظم من الخوف، لأنها خوفٌ مقرونٌ بفزعٍ ومهابةٍ، وإجلالٍ للرب العزيز الجبار.

والخشية انفعالٌ ممزوجٌ بالخوف من الله؛ تكون تارةً بمعرفة جلال الله وعظمته وهيبته، وتارةً باستحضار جناية العبد، وكثرة معاصيه :﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾﴾ [الملك:١٢].

وقال الله ﷻ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾ [فاطر:٢٨].

٢ - منزلة خشية الله عز وجل

خشية الله ﷻ ثمرة معرفة الله بأسمائه الحسنى، وصفاته العلا، وأفعاله الكبرى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾﴾ [الطلاق:١٢].

وإذا عرفتم ذلك آمنتم بالله وحده، وامتلأت قلوبكم بمحبته، والخوف منه، والخشية له: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾﴾ [محمد:١٩].

وخشية الله ﷻ من أعظم عبادات القلوب التي تُثمر تعظيم الله ومحبته، وحُسنِ عبادته، وخوفه ورجائه، وعظيم ثوابه: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٥٢﴾﴾ [النور:٥٢].

وخشية الله عز وجلتحفظ المؤمن من الوقوع في الغفلة والمعاصي والزلات، والوقوع في الشبهات، وتحمله على شّدة محاسبة النفس، والإقبال على الطاعات، والبعد عن المعاصي والمحرمات: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾ [فاطر:٢٨].

ومن امتلأ قلبه بخشية الله، والخوف منه،اتقاه، ونال رضاه، وفاز بثوابه العظيم: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾ جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ ﴿٨﴾﴾ [البينة:٧-٨].

وخشية الله ﷻ من أجلّ أعمال القلوب التي تقوم عليها أنواع الطاعات والعبادات والقُربات، وتُعين المؤمن على مراقبة الله في الخلوة والجلوة، وفي السر والعلن، وكلما كان العبد أكثر علمًا بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله اشتدّ خوفه من ربه، وامتلأ قلبه بخشية الله وتقواه.

وأعظم الناس خشية لله هم الأنبياء والرسل الذين هم أعرف الخلق بالله، وأكملهم عبودية لله: ﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴿٣٩﴾﴾ [الأحزاب:٣٩].

وقال النبي ﷺ: «أما والله إنّي لأَخْشاكُم لله وأتقاكُم له» متفق عليه (١).

ثم يليهم العلماء بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله، ودينه وشرعه ووعده ووعيده، كما قال سبحانه: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾ [فاطر:٢٨].

ثم يليهم عامة المؤمنين، وهم على درجاتٍ متفاوتة بحسب علمهم وإيمانهم وتقواهم: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴿٦١﴾﴾ [المؤمنون:٥٧-٦١].

والخشية درجة من درجات الخوف، لكنها أعلى من الخوف.

فكل مسلمٍ يخاف الله ﷻ، وكل قلبٍ ليس فيه خوف الله ﷻ فهو قلبٌ خَرِبْ، والخوف والخشية من علامات الإيمان في القلب، كما قال سبحانه: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾﴾ [آل عمران:١٧٥].

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٥٠٦٣) ومسلم برقم (١٤٠١).

وقال الله ﷻ: ﴿أَتَخۡشَوۡنَهُمۡۚ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخۡشَوۡهُ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ١٣﴾[التوبة:١٣].

والخشية لله ثمرة العلم بالله، فلا تكون قويةٌ، وذات أثرٍ كبير، إلّا من العلماء: ﴿إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ٢٨﴾[فاطر:٢٨].

وخشية الله عز وجلمقامٌ من أعلى مقامات العبودية، وصفةٌ من أعلى الصفات، ودرجةٌ من أعلى الدرجات: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ٣ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَمَغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ٤﴾[الأنفال:٢-٤].

وخشية الله ﷻ عبادةٌ قلبيةٌ عظيمةٌ، تثمر للعبد النجاة من النّار ودخول الجنّة.

قال النبي ﷺ: «لا يلِجُ النار رجلٌ بكى من خشية الله حتى يعود اللبن في الضرع، ولا يجتمع غبارٌ في سبيل الله، ودخان جهنم» أخرجه الترمذي(١).

والعالمُ حقًا كل عبدٍ عرف الله فأطاعه، بفعل أوامره، واجتناب نواهيه: ﴿أَمَّنۡ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ سَاجِدٗا وَقَآئِمٗا يَحۡذَرُ ٱلۡأٓخِرَةَ وَيَرۡجُواْ رَحۡمَةَ رَبِّهِۦۗ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٩﴾[الزمر:٩].

والعلم بالله ﷻ، وخشية الله عز وجل متلازمان، فإذا انتفى العلم انتفت الخشية، وإذا فُقدت الخشية دلت على انتفاء العلم: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ١٩﴾[محمد:١٩].

وكل من كان بالله أعلم كان أكثر له خشية: ﴿إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ٢٨﴾[فاطر:٢٨].

---

(١) صحيح: أخرجه الترمذي.

وخشية الله من صفات عُمارِ مساجد الله عز وجل: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ فَعَسَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٨﴾﴾ [التوبة:١٨].

ومن عرف الله حقًا أحبه حقًا، وعظّمه حقًا، وعبده حقًا، بكمال الحب والتعظيم والذل لله ﷻ، فهو يخاف عقاب الله، ويرجو رحمة الله، ويخاف من غضبه، ويطمع في رضاه، ويخاف من خذلانه، ويطمع في توفيقه، ويخاف من ناره، ويرجو جنته.

فليُبشر هذا العبد الذي يخشى الله ويخافه، ويعبد ربه كما أمره، بالإكرام الإلهي، والعطاء الرباني الذي لا يخطر على باله: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [السجدة:١٥-١٧].

٣- فضائل خشية الله عز وجل

الأولى: خشية الله ﷻ خلقٌ عظيم لا يتّصف به إلا الأنبياء والمرسلين والمؤمنين المتقين: ﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخۡشَوۡنَهُۥ وَلَا يَخۡشَوۡنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبٗا ٣٩﴾[الأحزاب:٣٩].

الثانية: خشية الله سبب لإخلاص العمل لله ﷻ،فمن عرف الله حقًا أخلص له العبادة حقًا: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ٥﴾[البينة:٥].

الثالثة: خشية العبدِ لربه تجمعه بالصالحين، وتبعده عن الطالحين، وعن الوقوع في المعاصي والسيئات: ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا ٢٨﴾[الكهف:٢٨].

الرابعة:خشية الله ﷻ وتقواه وطاعته من أعظم أسباب الفلاح، والفوز في الدنيا والآخرة: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخۡشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقۡهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ٥٢﴾ [النور:٥٢].

الخامسة: خشية الله ﷻ من مكارم الأخلاق، ومن صفات أولياء الله المتقين: ﴿ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ وَهُم مِّنَ ٱلسَّاعَةِ مُشۡفِقُونَ ٤٩﴾[الأنبياء:٤٩].

السادسة: خشية الله ﷻ سببٌ لمغفرة الذنوب، وتحصيل أعظم الأجور: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ ١٢﴾[الملك:١٢].

السابعة: خشية الله عز وجلمن علامات الإيمان بالله عز وجل ، كما قال سبحانه : ﴿أَتَخۡشَوۡنَهُمۡۚ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخۡشَوۡهُ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ١٣﴾[التوبة:١٣].

الثامنة: خشية الله عز وجلتجعل المؤمن يتأثر بكلام ربه، ويخشع قلبه عند سماع آياته: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ

رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾﴾[الزمر:٢٣].

التاسعة: خشية الله وطاعته أعظم عبوديات الخلق، فالله هو الواحد الأحد الذي يخشاه كل أحد، ويخشاه ويخافه كل من عَلِمَ قدْره، وعرف جلاله وجبروته وكبرياءه: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۩ ﴿٥٠﴾﴾[النحل:٤٩-٥٠].

العاشرة: أن من عرف الله بأسمائه وصفاته وأفعاله؛ وعرف عظمة كلامه، خشع قلبه لربه، وزادت خشيته له: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾﴾[الحشر:٢١].

الحادية عشرة: أن الله ﷻ أمر رسوله ﷺ أن يُبشّر الذين يخشون ربهم بالمغفرة والأجر الكريم: ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ وَخَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ ۖ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ﴿١١﴾﴾[يس:١١].

الثانية عشرة: أن الله ﷻ يكرم أهل خشيته برضوانه عليهم، ورضاهم عنه، ودخولهم أعلى الجنات: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾ جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ ﴿٨﴾﴾[البينة:٧-٨].

٤ - الأسباب المعينة على خشية الله عز وجل

الأول: العلم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله، فالمؤمن إذا عرف ربه آمن به واتقاه، وامتلأ قلبه بخوفه وخشيته ومحبته: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ١٩﴾ [محمد:١٩].

الثاني: الإكثار من ذكر الله عَزَّوَجَلَّ، فمن ذكر الله اتقاه، وأطاعه ولم يعصه، واستحى أن يعصيه بنعمه في ملكه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ لَهُم مَّغۡفِرَةٌ وَأَجۡرٌ كَبِيرٌ ١٢﴾ [الملك:١٢].

وقال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ٢١ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٢٢﴾ [البقرة:٢١-٢٢].

الثالث: التفكر في شدة غضب الجبار، وقوة انتقامه ممن كفر به، وأشرك به، وصد عن سبيله وعصاه: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخۡذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلۡقُرَىٰ وَهِيَ ظَٰلِمَةٌۚ إِنَّ أَخۡذَهُۥٓ أَلِيمٞ شَدِيدٌ ١٠٢﴾ [هود:١٠٢].

الرابع: التفكر في شدة سكرات الموت، وما بعد الموت: ﴿وَجَآءَتۡ سَكۡرَةُ ٱلۡمَوۡتِ بِٱلۡحَقِّۖ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنۡهُ تَحِيدُ ١٩ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِۚ ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلۡوَعِيدِ ٢٠ وَجَآءَتۡ كُلُّ نَفۡسٖ مَّعَهَا سَآئِقٞ وَشَهِيدٞ ٢١﴾ [ق:١٩-٢١].

الخامس: التفكّر في شدة أهوال يوم القيامة، وما فيه من الفزع والخوف، والحساب والجزاء: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ إِنَّ زَلۡزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيۡءٌ عَظِيمٞ ١ يَوۡمَ تَرَوۡنَهَا تَذۡهَلُ كُلُّ مُرۡضِعَةٍ عَمَّآ أَرۡضَعَتۡ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمۡلٍ حَمۡلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٞ ٢﴾ [الحج:١-٢].

السادس: التفكر في خطر سوء الخاتمة.

قال النبيﷺ: «إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّةِ حتَّى ما يَكونُ بيْنَهُ وبيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ، فيَسْبِقُ عليه الكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، فيَدْخُلُهَا» متفق عليه [1].

السابع: التفكر في شهادة جوارح الإنسان عليه بما عمل من خيرٍ أو شرّ، حيث تشهد الجوارح على صاحبها بما ارتكبه من المعاصي والفواحش، وتفضحه على رؤوس الأشهاد: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [النور:٢٤].

وقال عز وجل: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا۟ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٦﴾ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾﴾ [الزلزلة:٦-٨].

الثامن: التفكر في الخلود في النار يوم القيامة: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾﴾ [النساء:١٤].

التاسع: التفكر في غضب الجبار، ولعنته لكل من كفر به، وأعرض عن دينه، وصد عن سبيله: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ هِىَ حَسْبُهُمْ ۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٦٨﴾﴾ [التوبة:٦٨].

وقال عز وجل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٦١﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿١٦٢﴾﴾ [البقرة:١٦١-١٦٢].

العاشر: التفكر في عظمة مخلوقات الله في العالم العلوي، والعالم السفلي.

فمن تفكر في ذلك رأى عظمة الخالق، وكمال قدرته، وخشي الله واتقاه: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾﴾ [البقرة:١٦٤].

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٣٢٠٨) ومسلم برقم (٢٦٤٣).

٥ - ثمرات خشية الله عز وجل

كلما زادت معرفة العبد بربه، وبدينه، وبوعده ووعيده، ازداد خوفه من ربه، وخشيته إياه، ومن خاف الله خافه كل شيء، وذهب عنه الخوف من كل مخلوق، وأَنِس بالله، واستوحش من غيره، وأورثته تلك المعرفة بالله الحياء من الله، والتعظيم والإجلال لله، والرضا به، والتسليم لأمره، والتوكل عليه، والإنابة إليه، والمحبة له، والفوز بمغفرته وثوابه، ودوام مراقبته، وخشيته في السر والعلن: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ ١٢﴾ [الملك:١٢].

وخشية الله ﷻ من أعظم أسباب انتفاع العبد بالمواعظ، والتأثر بذكر الله، لأن قلبه مليء بحب الله، والطمع في ثوابه، والخوف من عقابه: ﴿قُلۡ ءَامِنُواْ بِهِۦٓ أَوۡ لَا تُؤۡمِنُوٓاْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ مِن قَبۡلِهِۦٓ إِذَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ يَخِرُّونَۤ لِلۡأَذۡقَانِۤ سُجَّدٗا ١٠٧ وَيَقُولُونَ سُبۡحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعۡدُ رَبِّنَا لَمَفۡعُولٗا ١٠٨ وَيَخِرُّونَ لِلۡأَذۡقَانِ يَبۡكُونَ وَيَزِيدُهُمۡ خُشُوعٗا۩ ١٠٩﴾ [الإسراء:١٠٧-١٠٩].

وقال الله ﷻ عن أهل الكتاب: ﴿وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعۡيُنَهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلۡحَقِّۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكۡتُبۡنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ٨٣ وَمَا لَنَا لَا نُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَمَا جَآءَنَا مِنَ ٱلۡحَقِّ وَنَطۡمَعُ أَن يُدۡخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلصَّٰلِحِينَ ٨٤﴾ [المائدة:٨٣-٨٤].

ومن عرف الله حقًا، خافه واتقاه حين يقف بين يديه مصليًّا وداعيًا وذاكرًا، وحين يخلو بنفسه، وحين يتعامل مع الناس في بيعه وشرائه، وحين يؤدي عمله، وحين يربي أولاده، وحين يتعامل مع الخدم والأُجراء: ﴿إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ٢٨﴾ [فاطر:٢٨].

إن خشية الله ﷻ، والخوف منه، هو الذي يحمل العبد على حُسن العمل، ويدفع بصاحبه إلى طاعة الله ورسوله، والبعد عن معصية الله ورسوله، كما هي حال

الأنبياء :﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾[الأنبياء:٩٠].

وخشية الله ﷻ هي التي تربي قلب المؤمن، فلا ينظر إلى صغر المعصية، ولكن ينظر إلى عظمة من يعصيه جل جلاله: ﴿ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾[غافر:٦٥].

وقال الله ﷻ: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ ﴾[الأنعام:١٠٢-١٠٣].

وقال عز وجل :﴿ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾ أَلَمْ تَرَوْا۟ كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾ لِّتَسْلُكُوا۟ مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴿٢٠﴾ ﴾[نوح:١٣-٢٠].

اللهم إني أسألك خشيتك في الغيب والشهادة، وأسألك كلمة الحق في الرضى والغضب، وأسألك القصد في الفقر والغنى؛ وأسألك قرة عين لا تنقطع، وأسألك برَدَ العيش بعد الموت، وأسألك لذة النظر إلى وجهك، والشوق إلى لقائك في غير ضراء مُضرة، ولا فتنة مضلة.

اللهم زينا بزينة الإيمان، واجعلنا هداةً مهتدين.

﴿ رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٣﴾ ﴾ [آل عمران:٥٣]..

عبادات القلوب

في ضوء القرآن والسنة

العبادة السابعة والعشرون

عبادة الزهـــد

وتشتمل هذه العبادة العظيمة على المباحث الآتية :

الأول: فقه الزهد.

الثاني: أقسام الزهد.

الثالث: فضائل الزهد.

الرابع: الأسباب المعينة على الزهد.

الخامس: علامات أهل الزهد.

السادس: مداخل الشيطان على أهل الزهد.

العبادة السابعة والعشرون

عبادة الزهد

١ - فقه الزهد

الزُهدُ هو نفض اليدين من الدنيا، وعدم تعلّق القلب بها، والسلامة من الانشغال بها، وإسكات اللسان عن ذكرها، وعدم المنافسة في عِزّها، أو الجزع من ذُلِّها.

والزهد في الدنيا عبادة من عبادات القلوب التي تُثمر الانصراف عن الدنيا، والانشغال بما هو أعظم منها؛ وهو الدار الآخرة.

الزهد أن يرى العبد الدنيا على حقيقتها، ويعلم أنها لا تَزِنُ عند الله جناح بعوضة، وأنها فانية، والآخرة باقية: ﴿قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا ۝٧٧﴾ [النساء:٧٧].

وقال النبي ﷺ: «لو كانَت الدُّنيا تَعدِلُ عندَ الله جناحَ بعُوضة، ما سقى منها كافرًا شربةَ ماء» أخرجه الترمذي[1].

ومن رأى الدنيا كذلك زَهِدَ فيها، ولم ينافس فيها، ولم يتطلّعْ إليها، ولم يحرصْ عليها، ولم يحزنْ لزوالها إذا فقدها، ولم يبخلْ بها إذا وجدها: ﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ۝٦٤﴾ [العنكبوت:٦٤].

فاحرص يا عبد الله إذا ملكْتَ الدنيا ألا تملِكُك، واحذر أن تتخذها ربًا فتتّخذُك عبدًا، ولا تلهث لتحصيل المزيد من جناح بعوضها، واقنع بما قسم الله لك تكن أغنى الناس، واعمل للدار الآخرة الباقية: ﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ

---

(١) صحيح: أخرجه الترمذي برقم (٢٣٢٠).

وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرُۢ بَيۡنَكُمۡ وَتَكَاثُرٞ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِۖ كَمَثَلِ غَيۡثٍ أَعۡجَبَ ٱلۡكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصۡفَرّٗا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمٗاۖ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٞ شَدِيدٞ وَمَغۡفِرَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٞۚ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ ﴿٢٠﴾ سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٢١﴾﴾ [الحديد: ٢٠-٢١].

والزهد المشروع ترك كلّ ما لا ينفع في الآخرة، وأما ما يستعين به العبد على طاعة الله، ويغنيه عن سؤال الناس، فليس تركه من الزهد المشروع، وإنما ترك الفضول التي تُشغِل العبد عن طاعة الله ورسوله هو الزهد المشروع: ﴿فَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطۡغَوۡاْۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ﴿١١٢﴾﴾ [هود: ١١٢].

وإذا كان الزهدُ في حلال الدنيا مُستحَب، لئلّا يشغل العبد عن طاعة مولاه، فإن الزهد في حرامها واجب.

والزهد من مقتضى الإيمان بأسماء الله الحسنى، ومن آثار الإيمان بأسماء الله الملَك، الكريم، المُحسن، الوهّاب، الرزّاق، الغنيّ، المُعطي: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ سَيُجۡزَوۡنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [الأعراف: ١٨٠].

فمن آمن بأن الله ﷻ هو الملك الرزاق أَمِن في الدنيا ألّا يفُوته رزق الملك الغني الرزاق، الكريم الوهاب المعطي الذي لا ينسى أحدًا، ولا تنفدُ خزائنه أبداً: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنۡهُم مِّن رِّزۡقٖ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطۡعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلۡقُوَّةِ ٱلۡمَتِينُ ﴿٥٨﴾﴾ [الذاريات: ٥٦-٥٨].

والزاهد هو من ابتغى النعيم المقيم عند ربه الملك الكريم في جنات النعيم: ﴿إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَنَهَرٖ ﴿٥٤﴾ فِي مَقۡعَدِ صِدۡقٍ عِندَ مَلِيكٖ مُّقۡتَدِرِۭ ﴿٥٥﴾﴾ [القمر: ٥٤-٥٥].

ورغب عن الحقير الفاني الذي لا ينفك عن الكدر إلى النعيم العظيم الباقي: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴿١٤﴾ ۞ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ۚ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿١٥﴾﴾ [آل عمران: ١٤-١٥].

وقد أمر الله ﷻ نبيه محمداً ﷺ بالزهد في الدنيا، والتفرغ للأعمال الصالحة، فقال سبحانه: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾﴾ [الكهف: ٢٨].

وقال الله ﷻ: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾ وَقَالُوا۟ لَوْلَا يَأْتِينَا بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّهِۦٓ ۚ أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٣٣﴾﴾ [طه: ١٣١-١٣٣].

فيا عبد الله لا تعجبك أحوال أهل الدنيا، ولا يغرّنك كلامهم، وما هم فيه من لُعاعة الدنيا، فإنما هي فتنةٌ وعذاب، ومتاعٌ زائل: ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [التوبة: ٥٥].

فالرزق الحقيقي هو الباقيات الصالحات، وهو ذكر الله وطاعته وعبادته، فهو بركةٌ في الدنيا، وثوابٌ لا ينفُذ في الآخرة: ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾﴾ [الكهف: ٤٦].

وقال النبي ﷺ : «أخوفُ ما أخافُ عليكم ما يخُرجُ اللهُ لكم من زهرة الدنيا، قالوا وما زهرة الدنيا يا رسول الله؟ قال ﷺ: بركات الأرض» متفق عليه (١).

وقال النبي ﷺ: «كن في الدنيا كأنك غريبٌ أو عابرُ سبيل» أخرجه البخاري (٢).

وأفضلُ الزهدِ إخفاءُ الزهدِ، وأصعبُ الزهد الزهد في الحظوظ والشهوات والملذات؛ فإن النفوس تحب الشهوات العاجلة، وتزهد في الملذات الآجلة .

والأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام هم أزهد الناس، وهم قدوة البشر في الزهد في الدنيا، والرغبة في الآخرة :﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًاۖ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰلَمِينَ ٩٠﴾[الأنعام:٩٠].

وقال النبي ﷺ: «مالي وللدنيا! إنما مثَلي ومثلُ الدّنيا كمثلِ رجلٍ سارَ في يوم شديدِ الحرّ، فاستظلّ تحت شجرةٍ ساعة، ثم راح وتركها» أخرجه أحمد والترمذي(٣).

ونهى الله سبحانه نبيه ﷺ عن النظر إلى ما في أيدي الناس من الدنيا، لأن ذلك مَدْعاةٌ إلى الركون إلى الدنيا الفانية، والانشغال بها عن الدار الباقية، فقال عز وجل : ﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيۡنَيۡكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعۡنَا بِهِۦٓ أَزۡوَٰجٗا مِّنۡهُمۡ زَهۡرَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا لِنَفۡتِنَهُمۡ فِيهِۚ وَرِزۡقُ رَبِّكَ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰ ١٣١ وَأۡمُرۡ أَهۡلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصۡطَبِرۡ عَلَيۡهَاۖ لَا نَسۡـَٔلُكَ رِزۡقٗاۖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُكَۗ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلتَّقۡوَىٰ ١٣٢﴾[طه: ١٣١ – ١٣٢] .

وحقيقة الزهد ألا ترفض الدنيا، ولكن تملِكها وتُوظِفها للآخرة، الزهدُ ألّا تكون أُميًّا؛ ولكن أن تكون عالماً بالله وبدينه، وتعلّم الناس ما علّمك الله :﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمۡ تَكُن تَعۡلَمُۚ وَكَانَ فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكَ عَظِيمٗا ١١٣﴾[النساء:١١٣].

---

(١)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٤٢٧) ومسلم برقم (١٠٥٢).

(٢)أخرجه البخاري برقم (٦٤١٦)

(٣)صحيح: أخرجه أحمد برقم (٣٧٠٩) والترمذي برقم (٢٣٧٧).

الزهد الحقيقي ألّا تكون جاهلًا، ولكن تكون عالماً بالله وبدينه، وتوظّف ذلك في الدعوة إلى الله، وتعليم شرع الله :﴿كُونُوا۟ رَبَّـٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَـٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾﴾[آل عمران:٧٩].

الزهد المشروع ألّا تكون عالةً على الآخرين، بل تكون خادمًا لهم، نافعًا لهم، محُسنًا إليهم :﴿۞ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَـٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَـٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾[آل عمران:١٣٣-١٣٤].

فقوة المؤمن قوةٌ للمؤمنين، وغنى المؤمن غنىً للمؤمنين، وتجارة المؤمن تجارةٌ للمؤمنين، لكن وُفْقَ منهج الله عز وجل، واليد العليا خيرٌ من اليد السفلى .

قال النبيﷺ: " المؤمن القوي خيرٌ وأحبُّ إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كلٍ خير ".أخرجه مسلم [1].

فالمؤمن القويُّ الغني خياراته في العمل الصالح أنواعٌ كثيرة جدًا :﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّا۟ئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَـٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾﴾[البقرة: ٢٦١].

ومن أراد أن يزهد في الدنيا، وينصرف قلبه إلى الدار الآخرة، فعليه أن ينظر في ثلاثة أمور :

الأول: النظر في الدنيا، وسرعة زوالها، وأن لذّاتها غيرُ دائمة، بل يشُوبها كثيرٌ من الكَدَرِ والمنغِّصات، والآفات والعوارض، حتى لو توفرت للعبد أسباب الراحة : ﴿وَمَا هَـٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾﴾[العنكبوت: ٦٤].

---

(١)أخرجه مسلم برقم (١٣٦٩) .

وقال الله عز وجل: ﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ ﴿٤﴾﴾ [الضحى:٤].

الثاني: أن يذكر العبد أن ما قسمه الله له من الرزق آتٍ لا محالة، وأن زيادة الحرص على الدنيا لا تأتي بشيء لم يكتبه الله عز وجل للعبد: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [الزخرف:٣٢].

فرزق الله معلوم مُقدّر لكل مخلوق كميةً ونوعيةً، ومكانًا وزمانًا: ﴿وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿٦﴾﴾ [هود:٦].

ورزق الله عز وجل لا يجرّه حِرصُ حريص، ولا يمنعه كراهيةُ كاره، ومن علم ذلك اطمأنّت نفسه إلى ما قدّره الله له، وترك الحرص الزائد، وزال عنه الخوف والوجل، واشتغل بما يحبه الله ويرضاه: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال:٢-٤].

الثالث: النظر إلى الآخرة ودوامها، وما في الجنّة من النّعيم المقيم لمن آمن بالله وأخلص العبادةَ لله وحده، واشتغل بما يحبه الله ويرضاه، وقدّم ما يحبه ربه على ما تحبه نفسه من أنواع الطاعات والعبادات والقُربات، ففاز برضوان الله والجنة:

﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا

ﭐلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٧٢﴾﴾[التوبة: ٧١-٧٢].

الزهد في الدنيا عبادةٌ قلبيةٌ عظيمة، وهو سفرُ القلب من وطن الدنيا إلى الآخرة؛ الزهد عدم الفرح بإقبال الدنيا، وعدم الحزن على إدبارها .

ومن أعظم علامات الزهد أن يغتنم العبد جميع أوقاته فيما يُقرّبه إلى ربه ﷻ: ﴿قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرۡتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾[الأنعام:١٦٢-١٦٣].

وأفضل الزهد أن تزهد فيما سوى الله :﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنۡ خَشۡيَةِ رَبِّهِم مُّشۡفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ يُؤۡمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمۡ لَا يُشۡرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤۡتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمۡ وَجِلَةٌ أَنَّهُمۡ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَهُمۡ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴿٦١﴾﴾[المؤمنون:٥٧-٦١].

الزهد انصراف القلب عن الشيء إلى ما هو خيرٌ منه، وترك راحة الدنيا لراحة الآخرة .

وقد رغّب النبي ﷺ في الزهد في الدنيا، بقوله: «كنت نهيْتُكم عن زيارة القبور فزوروها، فإنها تُزَهِّد في الدنيا وتُذكّر الآخرة» أخرجه مسلم (١).

(١)أخرجه مسلم برقم (٩٣٨) .

٢ - أقسام الزهد

الزهد على أربعة أقسام :

الأول: زهد فرضُ عين على كل مسلم ومسلمة، وهو الزهد في كل ما حرّمه الله ورسوله :﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾﴾[الحشر:٧].

وهذا متى أخلّ به العبد انعقد سبب العقوبة عليه :﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾﴾[النساء:١٢٣].

الثاني:الزهد في المشتبهات، لئلا يقع في الحرام:

قال النبي ﷺ : «إِنَّ الْحَلَالَ بَيِّنٌ، وَإِنَّ الْحَرَامَ بَيِّنٌ، وَبَيْنَهُمَا أُمُورٌ مُشْتَبِهَاتٌ لَا يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، فَمَنْ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ فَقَد اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الْحَرَامِ، كَالرَّاعِي يَرْعَى حَوْلَ الْحِمَى يُوشِكُ أَنْ يَرْتَعَ فِيهِ، أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى، أَلَّا وَإِنَّ حِمَى اللهَّ مَحَارِمُهُ» متفق عليه (١).

الثالث: زهدٌ مستحب، وهو الزهد في المكروه، وفُضول المباحات، والتفنّن في الشهوات المباحة التي تُشغل العبد عن الأعمال الصالحة :﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٥﴾ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُواْ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٦﴾﴾[فاطر:٥-٦].

الرابع: زهد المشمِّرين في السير إلى الله والدار الآخرة، وهو زهدٌ في الدنيا جملة، ولو كان غنيًا فيُخرجها من قلبه بالكلية، ولا يدعها تُساكنُ قلبه، وإن كانت الدنيا في يده:﴿فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَلَهُۥٓ أَسْلِمُواْ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ وَٱلْمُقِيمِى ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الحج:٣٤-٣٥].

وهذا كحال سيدِ ولدِ آدم ﷺ حين فتح الله عليه من الدنيا ما فتح من الغنائم

---

(١)**متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٥٢) ومسلم برقم (١٥٩٩).

العظيمة، فلم يَزِدْهُ ذلك إلا زهدًا فيها، كما قال الله له : ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾﴾ [طه: ١٣١].

وقال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾﴾ [الكهف: ٢٨].

وكذا هو حال الخلفاء الراشدين، وكبار أغنياء الصحابة، وعامة الصحابة، وكل من سار على هديهم؛ الزهد في الدنيا، والرغبة في الآخرة : ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال: ٢-٤].

وزُهدُ النفوس في الدنيا على ثلاث درجات :

الأولى: أن يزهد العبد في الدنيا وهو مُشْتَهٍ لها، وقلبه مائلٌ إليها، ونفسه راغبةٌ فيها، ولكنه يجُاهدُها، ويكفّها عن الدنيا، وهذه أدنى درجات الزهد .

الثانية: أن يترك العبد الدنيا طوعًا لاستحقاره إياها بالنسبة إلى الآخرة، فهو يترك ما يحب لما هو أحب، ويترك ما له قدر إلى ما هو أعظم قدرًا منه.

الثالثة: أن يزهد العبد في الدنيا طوعًا، فلا يرى أنه ترك شيئًا له قيمة، فيكون كمن ترك نواة وأخذ جوهرةً عظيمة، وهذه هي أعلى درجات الزهد .

وينقسم الزهد بالنسبة إلى المرغوب فيه إلى ثلاثة أقسام:

الأول: أن يكون المرغوب فيه النجاةُ من النار، وسائر آلام عذاب القبر، ومناقشة الحساب، فهو يزهد في الدنيا، ويستكثر من الأعمال الصالحة، لينجو من تلك الأهوال والآلام : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾ جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ ﴿٨﴾﴾ [البينة: ٧-٨].

وهذا زهد الخائفين كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴿٦١﴾﴾ [المؤمنون:٥٧-٦١].

الثاني: أن يزهد العبد في الدنيا رغبةً في ثواب الله العظيم، والنعيم الموعود في الجنة: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾﴾ [فاطر:٢٩-٣٠].

وهذا زهد الراجين من المؤمنين: ﴿۞ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ [آل عمران:١٣٣-١٣٤].

الثالث: أن لا يكون للعبد رغبة إلا في الله ولقائه، فهو لا يطلب إلا الله وحده، لأن من طلب غير الله فقد عبده: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف:١١٠].

وهذا زهد المحبين والعارفين: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾﴾ [محمد:١٩].

فالأول أدنى الدرجات، والثاني أوسط الدرجات، والثالث أعلى الدرجات.

٣- فضائل الزهد

أنواع الزهد كثيرة فمنه:

الزهد في المال؛ والزهد في الجاه والمنصب، والزهد في الناس، والزهد في النفس.

وفضائل الزهد في النفس هي أعلى درجات الزهد .

فمن هانت عليه نفسه في الله لم يقم لها وزنًا، فبلال رضي الله عنه هانت عليه نفسه في الله فلم يشعر بعذاب الكفار، ولم تؤثّر سياطهم على صلابة إيمانه، ولم يُظهِر لهم من الجزع أدنى شيء، فثبّته الله على الإيمان، وخلّصه من عذاب الكفار، وصار مؤذّن النبي ﷺ في مسجده، وأمره النبي ﷺ يوم الفتح أن يؤذّن على ظهر الكعبة .

فهذه أولى فضائل الزهد في النفس.

الثانية: الزهد في النفس هو أقرب شيء لقبول العمل ، فالزاهد في نفسه أبعد شيء عن الرياء والمنّ والعُجب : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ ١٢﴾[الملك:١٢].

الثالثة: الزاهد في نفسه هو أكثر الناس تواضعًا لله ولغيره :﴿إِنَّمَا يُؤۡمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِهَا خَرُّواْۤ سُجَّدٗا وَسَبَّحُواْ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ ۩ ١٥ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمۡ عَنِ ٱلۡمَضَاجِعِ يَدۡعُونَ رَبَّهُمۡ خَوۡفٗا وَطَمَعٗا وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ١٦ فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٧﴾ [السجدة:١٥-١٧].

الرابعة: الزاهد في نفسه أبعد الناس عن المعاصي، لمعرفته بعقوبة الله لمن عصاه، وإجلال الله أن يعصيه في ملكه، وهو يدر عليه نعمه كل آن .

الخامسة: الزاهد في نفسه لا يُنافس على الدنيا، ولا يحَرص عليها، ولا يبخل بها، ولا يُشغِل لسانه بذكرها، لأنه مشغول بغيرها؛ وهو عمارة الدار الآخرة.

السادسة: الزاهد في نفسه كثير التوبة، دائم الاستغفار، لا تبدو منه هفوة إلا بادر بالتوبة، ولا تحصل منه غفلة إلا سارع بالإنابة: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾﴾ [النساء: ١١٠].

وقال عز وجل: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿١٣٦﴾﴾ [آل عمران: ١٣٥-١٣٦].

السابعة: الزاهد في نفسه أقوى الناس على نفسه، فلا يحتاج إلى جهدٍ كبيرٍ في سبيل ترويضها ورجوعها إلى ربها: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾﴾ [الأعلى: ١٤-١٥].

فكلما قلّ شأن النفس عند صاحبها، سَهُلَ عليه إلجامها بلجام الطاعة، وكلما هانت عليه سهُل قيادها إلى ربها، وما فيه صلاحها وسعادتها: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾﴾ [الشمس: ٧-١٠].

الثامنة: الزاهد في نفسه هو أسرع الناس إلى التضحية بنفسه، وماله، ووقته، في سبيل إعلاء كلمة الله، ولو رأى نفسه لصرف أمواله وأوقاته في سبيل شهواته ورغباته: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾﴾ [الحجرات: ١٥].

التاسعة: الزاهد في نفسه أسرع الناس إلى القتال في سبيل الله لإعلاء كلمة الله، ونصرة دين الله، والدفاع عن أولياء الله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ٥٤﴾ [المائدة: ٥٤].

العاشرة: الزهد في النفس أعوَن شيء على الصبر والتّحمّل، فالزاهد لا يرى البلاء يُنقِص منه شيئاً، فاجتماع الدنيا عنده مثل فقدها، فإن نقصَ منها شيء فبقدر الله، وإن زاد شيء فابتلاء من الله، فهو راضٍ بما اختاره له مولاه.

فإن كان البلاء عقوبة فهو يستحقها، ويحمد الله أن عجّل له العقوبة في الدنيا، فهي أخفّ من العقوبة في الآخرة، لِيَقدُمَ على ربه قدوم الأبرار الأطهار: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٥١﴾ [التوبة: ٥١].

وإن كان البلاء امتحانًا فهذا وقتُ إظهار صدق الإيمان، والرجوع إلى الله بالتوبة والاستغفار، والمسارعة إلى الأعمال الصالحة: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٥٥ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ١٥٦ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ١٥٧﴾ [البقرة: ١٥٦-١٥٧].

وإن كان البلاء تكفيرًا للسيئات، ورِفعةً للدرجات، فليحمد ربه على ما خصه به من هذا التكريم: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٥١﴾ [التوبة: ٥١].

وقال النبي ﷺ: «ما يُصيبُ المسلمُ من نصبٍ ولا وصبٍ، ولا همٍّ ولا حزنٍ، ولا أذىً ولا غمٍّ، حتى الشوكة يُشاكَها إلّا كفَّرَ اللهُ بها من خَطاياه» متفق عليه (١).

الحادية عشرة: الزاهد في نفسه لا يخاف إلا الله وحده، فالزاهد في نفسه ينظر إلى عزّة الربوبية، ويتصاغر لكبرياء ربه، فيخافُ من الله، ويهون في عينه كلّ أحدٍ سواه: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ١٧٥﴾ [آل عمران: ١٧٥].

الثانية عشرة: الزاهد في نفسه صريحٌ لا يحتاج إلى التُّقْيةِ؛ لأن نفسه أهوَن عليه من أن يكْذُبَ ليحميها، والطاغية أهون عنده من أن يَتملّقهُ أو يُداهنهُ، وربُّه أعظم عنده من أن يُهان اسمه حتى وإن كان قلبه مطمئنًا بالإيمان، ودينه أغلى عنده من نفسه من أن يُعطي فيه الدَّنيّة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ٥٤﴾ [المائدة: ٥٤].

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٥٦٤٢) ومسلم برقم (٢٥٧٣).

٤ - الأسباب المعينة على الزهد

الأسباب المعينة على الزهد في الدنيا:

أحدها: تعلُّق القلب بالرب العظيم الغني الذي كل رزق منه، الذي قسم الأرزاق على العباد، ولم ينسَ أحدًا: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا وَيَعۡلَمُ مُسۡتَقَرَّهَا وَمُسۡتَوۡدَعَهَاۚ كُلّٞ فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ٦﴾[هود:٦].

الثاني: تعلُّق القلب بنعيم الجنة الذي يُنسي كل ما سواه، فالزاهد في الدنيا يرى أن كل ما على الأرض من النِّعم إما معينٌ على طاعة الله؛ فينوي إن حصَّله أن ينفقه في سبيل الله، وإما معينٌ على معصيةِ الله، فلا حاجةَ له به: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتۡ لَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلۡفِرۡدَوۡسِ نُزُلًا ١٠٧ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبۡغُونَ عَنۡهَا حِوَلٗا ١٠٨﴾ [الكهف:١٠٧-١٠٨].

الثالث: معرفة حقارة الدنيا، وأنها دار ممرّ لا دار مقرّ، وأن العبد سيخرج من الدنيا ولا شيء معه من متاعها، فيخرج منها كما ولِدَ عُريانًا لا شيء معه إلّا عمله الذي سوف يحُاسَب عليه: ﴿إِنَّهُۥ مَن يَأۡتِ رَبَّهُۥ مُجۡرِمٗا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحۡيَىٰ ٧٤ وَمَن يَأۡتِهِۦ مُؤۡمِنٗا قَدۡ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلۡعُلَىٰ ٧٥﴾[طه:٧٤-٧٥].

الرابع: الإكثار من ذكر الموت، ومفارقة الملذات والشهوات، وزيارة القبور، وتذكُّر أحوال الأموات:

قال النبي ﷺ: «أكثروا ذِكرِ هادمِ اللذات» أخرجه الترمذي وابن ماجة(١).

فاعلم يا عبد الله أن الزهد المشروع هو فراغ القلب من حبّ الدنيا، لا فراغ اليد منها، فكم من غني زاهد أنفق أمواله في سبيل الله، فتنال أعظم الثواب:

---

(١) **صحيح**: أخرجه الترمذي برقم (٢٣٠٧) وابن ماجة برقم (٤٢٥٨).

﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ٢٧٤﴾[البقرة: ٢٧٤].

ومن علم أن الله الذي خلق الدنيا قد ذمَّها؛ زهِدَ فيها قلبه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ٥﴾[فاطر: ٥].

ومن عرف الآخرة وما فيها من أنواع الملذات؛ لم يلتفت إلى شيء من متاع الدنيا الزائل: ﴿وَفَرِحُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا مَتَٰعٌ ٢٦﴾[الرعد: ٢٦].

وقال الله ﷻ: ﴿يَٰقَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَٰعٌ وَإِنَّ ٱلْءَاخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلْقَرَارِ ٣٩﴾[غافر: ٣٩].

الخامس: العلم بأنّ متاع الدنيا قليل زائل، وأنّ نعيم الجنة كثير لا حدَّ له، ولا نفاد له: ﴿قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا ٧٧﴾[النساء: ٧٧].

السادس: العلم بأن الحياة الدنيا لَعِبٌ ولهوٌ وزينة وتكاثر، وأن الآخرة دار النعيم العظيم للمؤمنين والعذاب الشديد للكفار والعصاة: ﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ٢٠﴾[الحديد: ٢٠].

السابع: العلم بأن الله عز وجل زيّن الدنيا ابتلاءً واختبارًا لعباده، وحذّرهم من الركون إليها، والانشغال بها عن الآخرة: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ٧﴾[الكهف: ٧].

وقال عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ٥﴾[فاطر: ٥].

الثامن: العلم بأن ذكر الله والأعمال الصالحة خيرٌ من زهرة الدنيا ومتاعها: ﴿ٱلۡمَالُ وَٱلۡبَنُونَ زِينَةُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَٱلۡبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيۡرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابٗا وَخَيۡرٌ أَمَلٗا ﴿٤٦﴾﴾[الكهف:٤٦].

التاسع: عدم الانشغال بذمّ الدنيا؛ وإنما المذموم تعلّق القلب بها، لأن من أكثرَ من ذم الدنيا فهذا دليل على أنها تشغل حيزًا من قلبه، وهو لا يدافعها بلسانه إلا لِتمكُّنها من قلبه: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرۡفَعَ وَيُذۡكَرَ فِيهَا ٱسۡمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٞ لَّا تُلۡهِيهِمۡ تِجَٰرَةٞ وَلَا بَيۡعٌ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوۡمٗا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلۡقُلُوبُ وَٱلۡأَبۡصَٰرُ ﴿٣٧﴾ لِيَجۡزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحۡسَنَ مَا عَمِلُواْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضۡلِهِۦۗ وَٱللَّهُ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴿٣٨﴾﴾[النور:٣٦-٣٨].

فالزاهد حقًا من غَفلَ قلبه عن الدنيا، وصمتَ عنها لسانه، واستعمل أوقاته بالطاعات التي يحبها الله عز وجل: ﴿۞وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ [آل عمران:١٣٣-١٣٤].

العاشر: العلم بأن الدنيا المذمومة هي كل ما أشْغَلَ عن ذكر الله وعبادته وطاعته، وكل ما أعانَ على معصية الله ورسوله.

فالزهد لا يعني الفقر، فقد يكون الزاهد من أكثر الناس غِنىً كسليمان وداود عليهم الصلاة والسلام، وكعبد الرحمن بن عوف، و الزبير، وغيرهم من أغنياء الصحابة، فأغنياء الصحابة رضي الله عنهم كأبي بكر، وعمر، وعثمان، وطلحة بن عبيد الله، وعبد الرحمن بن عوف وغيرهم من الصحابة رضي الله عنهم كانوا من أزهد الناس في الدنيا مع كثرة أموالهم، زهدوا في المال فأنفقوه في سبيل الله،

ولو أحبوه لأمسكوه؛ وهان عليهم المال فجادت أنفسهم بإنفاقه في سبيل الله، وفيما يُرضي الله، ولو غلا عندهم لضنّوا به رضي الله عنهم؛ وإن الواحد منهم لم يسعَ لكسب المال لِيستكثر به على الناس، أو لِيطغى به عليهم، ولكن اكتسبه لِيُعْلي به كلمة الله، ويَنصُر به دين الله، ويُعلي به درجته في جنة الله : ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾﴾[الحجرات:١٥].

وقال عز وجل : ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٤﴾﴾ [البقرة:٢٧٤].

٥ - علامات أهل الزهد

للزاهد علامات بين الناس:

الأولى: أن لا يفرح بموجود، ولا يحزن على مفقود، وهذه علامة الزهد في المال: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ٢٢ لِّكَيۡلَا تَأۡسَوۡاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمۡ وَلَا تَفۡرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمۡۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٍ ٢٣﴾ [الحديد: ٢٢-٢٣].

الثانية: أن يستوي عنده مادحه وذامّه من الناس، وهذه علامة الزهد في الجاه.

الثالثة: أن يغلِب على قلب العبد الأُنس بالله، وحلاوة مناجاته، وحلاوة الطاعات، ومرارة المعاصي، والزهد في كل ما سوى ذلك، وتعلّق القلب بالله وحده: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ٣ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَمَغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ٤﴾ [الأنفال: ٢-٤].

الرابعة: أن ينشغل قلب العبد بكثرة ذكر الله، وصدق التوكل عليه: ﴿وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلۡ إِلَيۡهِ تَبۡتِيلٗا ٨ رَّبُّ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذۡهُ وَكِيلٗا ٩﴾ [المزمل: ٨-٩].

الخامسة: قِصرُ الأمل، والسخاء بالمال، وإيثار غيره على نفسه: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلۡإِيمَٰنَ مِن قَبۡلِهِمۡ يُحِبُّونَ مَنۡ هَاجَرَ إِلَيۡهِمۡ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمۡ حَاجَةٗ مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤۡثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ وَلَوۡ كَانَ بِهِمۡ خَصَاصَةٞۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ٩﴾ [الحشر: ٩].

السادسة: لزوم بيئة الإيمان، والأعمال الصالحة، وهجر بيئة الغفلة والشهوات: ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ

عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾﴾ [الكهف:٢٨].

فحبُّ الدنيا مِفتاح كلّ شرّ، والزهد في الدنيا مِفتاح كلّ خير: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْـَٔاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾﴾ [الإسراء:١٨-١٩].

والزهد عبادةٌ قلبيةٌ عظيمة، لكنه لا يتمّ إلّا بصِدق التّوكل على الله: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَـٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾﴾ [الطلاق:٢-٣].

وقال ﷻ: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾﴾ [التغابن:١٣].

وأعقل الناس من عمل للدار الباقية، وزهد في الدار الفانية: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾﴾ [طه:١٣١-١٣٢].

فالدنيا دارُ من لا دار له، ومالُ من لا مال له، وبها يتعلّق قلبُ من لا عقل له.

وأسعد الناس في الدنيا أرغبُهم عنها، وأشقاهم فيها أرغبُهم فيها: ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَـٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَـٰفِرُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [التوبة:٥٥].

٦ - مداخل الشيطان على أهل الزهد

يدخل الشيطان على أهل الزهد من أبواب كثيرة:

الأول: أن يستكثر العبد عمله، ويمنّ به على الله، وعلى خَلْقِه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ۝٥ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ۝٦﴾ [المدثر:١-٦].

الثاني: أن يوجب على الله حقًا بعمله الصالح، فيوجب على الله أن لا يبتليه، وأن يرزقه من الدنيا ما يحب، ويعتقد أنه أولى بذلك من العصاة، لعمله الصالح: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ۝٥٣﴾ [النحل:٥٣].

الثالث: أن يحب أن يطاع مطلقًا، وأن يخضع الناس له لزهده، وهذه منازعة لله في ربوبيته و ألوهيته: ﴿هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٦٥﴾ [غافر:٦٥].

الرابع: أن يستشعر الاستغناء عن عفو الله ورحمته، لأنه ليست له ذنوب، ومَنْ يَسلمْ من الذنوب؟! فكلّ بني آدم خطّاء، وخيرُ الخطّائين التّوابون، ومتى رضيَ العبد عن عمله، فاعلم أن الله غيرُ راضٍ عنه: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ۝١٥﴾ [فاطر:١٥].

والله يريد من عباده الزهد في الدنيا، والرغبة في الآخرة، والشيطان يريد من الناس الزهد في الآخرة، والرغبة في الدنيا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ۝٥ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ۝٦﴾ [فاطر:٥-٦].

اللهم فقهنا في الدين، واجعلنا هداة مهتدين.

اللهم آتِ نفوسنا تقواها، وزكّها أنت خير من زكّاها، أنت وليها ومولاها.

﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ۝٢٠١﴾ [البقرة: ٢٠١].

عبادات القلوب

في ضوء القرآن والسنة

العبادة الثامنة والعشرون

عبادة الورع

وتشتمل هذه العبادة العظيمة على المباحث الآتية :

الأول: فقه الورع.

الثاني: منزلة الورع.

الثالث: درجات الورع.

الرابع: أقسام الورع.

الخامس: مراتب الورع.

السادس: اختلاف الناس في الورع.

السابع: علامات صدق الورع.

الثامن: الأسباب المعينة على الورع.

التاسع: ثمرات الورع.

العبادة الثامنة والعشرون

عبادة الورع

١ - فقه الورع

الورع من أعظم العبادات القلبية، وهو ترك ما ليس به بأس، خوفاً مما به بأس، ابتغاء مرضات الله، وخوفاً من عقابه، وطمعاً في ثوابه: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ ۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٨﴾﴾ [الزمر/ ١٧ -١٨].

وقال النبي ﷺ: «إِنَّ الحلالَ بَيِّنٌ، وإِنَّ الحرامَ بَيِّنٌ، وبيْنَهُما مُشْتَبِهاتٌ لا يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، فَمَنِ اتَّقَى الشُّبُهاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ، وعِرْضِهِ، ومَن وقَعَ في الشُّبُهاتِ وقَعَ في الحَرامِ، كالرَّاعِي يَرْعَى حَوْلَ الحِمَى، يُوشِكُ أنْ يَرْتَعَ فِيهِ، ألا وإنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى، ألا وإنَّ حِمَى الله مَحارِمُهُ، ألا وإنَّ في الجَسَدِ مُضْغَةً، إذا صَلَحَتْ، صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ، وإذا فَسَدَتْ، فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ، ألا وهي القَلْبُ» متفق عليه [١].

والورع من مقتضى الإيمان بأسماء الله الحسنى، ومن لوازم الإيمان باسم الله الهادي، ومن أثر الإيمان بأسماء الله القويّ، القادر، القاهر، القهّار، الملك، العزيز، الجبّار، المتكبّر: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٥٢) ومسلم برقم (١٥٩٩).

﴿ٱلۡخَٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ ٱلۡمُصَوِّرُۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٢٤﴾[الحشر/ ٢٢-٢٤].

فالله ﷻ هو الملك الذي له مُلكُ كل شيء، وهو الجبّار القاهر لكل ما سواه، وهو الهادي الذي هدى عبده لورعه وتقواه، وهو الحفيظ الذي من المعاصي حمَاه، ومن الفجور نجّاه، ولو شاء لتركه فسقط في بحر هواه: ﴿وَنَزَعۡنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنۡ غِلّٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهۡتَدِيَ لَوۡلَآ أَنۡ هَدَىٰنَا ٱللَّهُۖ لَقَدۡ جَآءَتۡ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلۡحَقِّۖ وَنُودُوٓاْ أَن تِلۡكُمُ ٱلۡجَنَّةُ أُورِثۡتُمُوهَا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٤٣﴾ [الأعراف/ ٤٣].

وهو سبحانه الملك القوي القادر، القاهر الجبّار، الذي يجب على العبد أن يخافَه بالغيب لعظمة قوته، وعظيم قدرته، وعلّو شأنه، وعظمة مُلكه، وقوة قهره وعظمة كبريائه: ﴿هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦٥﴾[غافر/ ٦٥].

فلا مَهْربَ للعبد من الله إلّا إليه، ولا ملجأ منه إلّا إليه، لكمال قوته وعلمه،وكمال إحاطته وقدرته: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّۖ يَتَنَزَّلُ ٱلۡأَمۡرُ بَيۡنَهُنَّ لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا ١٢﴾[الطلاق/ ١٢].

وإذا علمتم ذلك آمنتم بالله وحده، وأطعتموه، وعبدتموه وحده لا شريك له.

الورع هو اجتناب الشّبهات خوفاً من الوقوع في المحرمات.

الورع ترك ما يرى العبد أنه حلال، خشية أن يكون حرامًا.

الورع ترك ما يُريبك إلى ما لا يَريبك، وترك ما يَشينك إلى ما يَزينك.

الورع تجنّب الشبهات، ومراقبة الخطرات عن الزلات.

الورع ترك الحرام والمشتبِه، وكلّ ما يخاف أن يضرّه في الدنيا والآخرة.

والمُتورِّع يحتاج إلى علم كبير بالكتاب والسنة، ليعرف ما يجوز وما لا يجوز، وما يَحلّ وما يحرُم، ويعرف الواجب من المستحب، والمحرّم من المكروه،

حتى لا يحلّ حرامًا، ولا يحرّم حلالًا: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾ [فاطر/ ٢٨].

وتمام الورع أن يعرف العبد خير الخيرين فيفعله، ويعرف شرّ الشرّين فيتركه، ويعرف الحسن من الأحسن ليفعل الأحسن والأكمل: ﴿۞ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [يونس/ ٢٦].

والورع المشروع هو فعل الواجبات حسب الاستطاعة، وترك المحرمات مطلقًا، والبعد عن المشتبهات: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴿٦١﴾﴾ [المؤمنون/ ٥٧-٦١].

فما أحوجَنا اليوم إلى الورع؛ فنحن في زمان قلّ فيه الورع، أو غاب فيه الورع.

فما أعظم التعبّد لله بصفة الورع في زمنٍ أصبح فيه كثيرٌ من الناس في غاية الطمعِ والجشع كحاطبِ ليل؛ يجمع كل شيء لا يميز بين حلالٍ وحرامٍ، وبين ما ينفعه ومايضرّه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾﴾ [الملك/ ١٢].

والورع عبادةٌ قلبيةٌ عظيمة تمنع العبد من الوقوع في المحرّمات والمنهيّات، وتحرسه من الوقوع في الشّبهات، وتمنعه من التقصير والتفريط في أداء الواجبات والمستحبات: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٨﴾﴾ [الزمر/ ١٧-١٨].

وقال النبي ﷺ: «إِنِّي لأَنْقَلِبُ إلى أَهْلِي فأجِدُ التَّمْرَةَ ساقِطَةً على فِراشِي، فأرْفَعُها لِآكُلَها، ثُمَّ أخْشَى أنْ تَكُونَ صَدَقَةً، فأُلْقِيها» متفق عليه (١).

والزهدُ والورعُ من أعظم العبادات القلبية: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾﴾ [الكهف/ ٢٨].

والفرق بين الزهدِ والورعِ أن الزهدَ ترك ما لا ينفع في الآخرة، والورع ترك ما تخاف ضرره في الآخرة، والزهدُ أبلغ من الورع، وأشرف منه، والورع داخل في الزهد، فكلّ زاهدٍ ورعٍ، وليس كلّ ورعٍ زاهدٍ.

والزهد والورع يشتركان في ترك المحرمات والمكروهات والمشتبهات، وفعل الطاعات من الواجبات والمستحبات، وقد جمع النبي ﷺ الورع كله بكلمة واحدة في قوله ﷺ: «مِنْ حُسْنِ إِسْلامِ المَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ» أخرجه الترمذي(٢).

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٢٤١٢) ومسلم برقم (١٠٧١).

(٢) حسن/ أخرجه الترمذي برقم (١٤٨٩).

٢ - منزلة الورع

الورع من عبادات القلوب، والورع من أعظم أخلاق المُرسَلين، ومن أحسن صفات المتَّقين: ﴿فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٣٦﴾ وَٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا۟ هُمْ يَغْفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [الشورى/ ٣٦-٣٨].

الورع هو أعلى منازل الدِّين، وهو طوق النجاة في الدنيا والآخرة.

فبالورع تُنال أعظم الدرجات في الجنّة، وبالورع تُحفظ الدماء والأعراض، والأموال والحقوق، وبالورع يختفي الجشع والطمع، والظلم والحسد، والاحتكار والغشّ بين الناس، وبالورع يحَفظ العبد لسانه عن القيل والقال، والغيبة والنميمة، وإثارة الفتن، والورع سببٌ لبذل المعروف والإحسان بين الناس: ﴿۞ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ [آل عمران/ ١٣٣-١٣٤].

فالدّين هو الورع؛ فلا تغترّ بصلاة أحد ولا صيامه ولا صدقته، ولكن انظر إلى ورعه في فعل الواجبات، واجتناب المحرمات، وترك الشبهات، فإن كان ورعاً مع ما رزقه الله من العبادة فهو عبد الله حقًا: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال/ ٢-٤].

٣- درجات الورع

الورع درجتان:

إحداهما: الورع الواجب، وهو كفّ النفس عن كل ما حرّم الله من الاعتقادات، والأقوالِ، والأعمالِ، والمعاملاتِ، والأخلاقِ: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (١٥١) وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (١٥٢) وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (١٥٣)﴾ [الأنعام/ ١٥١-١٥٣].

الثانية: الورع المستحب، وهو كفّ النفس عن المكروهات، والمشتبهات، حتى لا يقع العبد في المحرمات.

قال النبي ﷺ: «دع ما يريبك إلى ما لا يريبك، فإن الصدق طمأنينة، والكذب ريبة» أخرجه الترمذي والنسائي(١)

(١) صحيح/ أخرجه الترمذي برقم (٢٥٨١) والنسائي برقم (٥٧١١).

٤ - أقسام الورع

ينقسم الورع إلى أربعة أقسام :

الأول: الورع الصحيح المشروع الذي بعث الله به محمدًا ﷺ، وهو اتّقاء العبد ما يخاف أن يكون سببًا للذمّ والعذاب، ويدخل في ذلك أداء الواجبات، والمشْتبهات التي تشبه الواجب، وترك المحرمات، والمشتبهات التي تشبه الحرام :﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾[الأحزاب/ ٢١].

وقال النبي ﷺ : «إِنَّ الحَلالَ بَيِّنٌ، وإِنَّ الحَرامَ بَيِّنٌ، وبيْنَهُما مُشْتَبِهاتٌ لا يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، فَمَنِ اتَّقَى الشُّبُهاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ، وعِرْضِهِ، ومَن وقَعَ في الشُّبُهاتِ وقَعَ في الحَرامِ، كالرَّاعِي يَرْعَى حَوْلَ الحِمَى، يُوشِكُ أنْ يَرْتَعَ فِيهِ، ألا وإنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى، ألَا وإنَّ حِمَى الله مَحارِمُهُ، ألا وإنَّ في الجَسَدِ مُضْغَةً، إذا صَلَحَتْ، صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ، وإذا فَسَدَتْ، فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ، ألا وهي القَلْبُ» متفق عليه (١).

وقال النبي ﷺ: «البِرُّ حُسْنُ الخُلُق، والإِثْمُ ماحاكَ في نَفْسِكَ، وكَرِهْتَ أَنْ يطَّلِعَ عَليهِ النَّاسُ» أخرجه مسلم (٢).

الثاني: الورعُ الفاسد، وهو الورع المبنيّ على أوهامٍ وظنونٍ كاذبة، كحال أهل الوسوسة في النجاسات، وورع أُناسٍ يعدّون غالبَ أموال الناس محرّمة أو مشتبهة، وورع أهل البِدع، وورع الكفّار والمشركين الذين حرّموا الوصيلة والبحيرة والسائبة والحام، وورع أهل الكتاب الذين حرموا ما أحلّ الله .

---

(١)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٥٢) ومسلم برقم (١٥٩٩).

(٢)أخرجه مسلم برقم (٢٥٥٣) .

فهؤلاء كلّهم ورعَهم ورعٌ فاسد، مبنيّ على هوى، وجهلٍ، وعادة: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٢٣﴾﴾ [النجم/ ٢٣].

وقال عز وجل: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾ [النساء/ ١١٥].

وقال النبي ﷺ: «هَلَكَ المُتَنَطِّعُونَ، قالها ثلاثًا» أخرجه مسلم (١).

وقال سبحانه عن الكفار: ﴿مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ ۙ وَلَٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۖ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ [المائدة/ ١٠٣].

وقد ذمّ رسول الله ﷺ هذا الورع الفاسد، وحذّر منه، فقال: «ما بَالُ أقْوامٍ يَتَنَزَّهُونَ عَنِ الشَّيْءِ أصْنَعُهُ، فَوَاللهِ إنِّي لَأَعْلَمُهُمْ باللهِ، وأَشَدُّهُمْ له خَشْيَةً» متفق عليه (٢).

الثالث: الورع المندوب، وهو الوقوف والبعد عن الشبهات.

الرابع: الورع الذي هو فضيلة، وهو الكفّ عن كثير من المباحات، والاقتصار على أقل الضرورات: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾﴾ [الكهف/ ٢٨].

وقال النبي ﷺ: «إنَّ الحَلالَ بَيِّنٌ، وإنَّ الحَرامَ بَيِّنٌ، وبيْنَهُما مُشْتَبِهاتٌ لا يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، فَمَنِ اتَّقَى الشُّبُهاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ، وعِرْضِهِ، ومَن وقَعَ في الشُّبُهاتِ وقَعَ في الحَرامِ، كالرَّاعِي يَرْعَى حَوْلَ الحِمَى، يُوشِكُ أنْ يَرْتَعَ فِيهِ، ألا وإنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى، ألا وإنَّ حِمَى الله محَارِمُهُ، ألا وإنَّ في الجَسَدِ مُضْغَةً، إذا صَلَحَتْ، صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ، وإذا فَسَدَتْ، فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ، ألا وهي القَلْبُ» متفق عليه (٣).

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٦٧٠).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦١٠١) ومسلم برقم (٢٣٥٦).

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٥٢) ومسلم برقم (١٥٩٩).

٥ - مراتب الورع

الورع على أربع مراتب :

الأول: ورع العُدول،والمسلمون كلهم عُدول إلى أن يثبت العكس؛ وهو الاحتراز عن الحرام الظاهر من قول أو فعل أو خُلُق، وهذه أدنى مراتب الورع.

الثاني: ورع الصالحين،وهوالتوقّي عن الشبهات التي تتقابل فيها الاحتمالات بين الحلال والحرام

قال النبي ﷺ: «دعْ ما يَريبُكَ إلى مَا لا يَرِيبُكَ» أخرجه الترمذي والنسائي[١].

الثالثة: ورع المتقين،وهو ترك الحلال المَحْض الذي قد يكون سبباً للوقوع في الحرام : ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦۚ قَدۡ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيۡءٖ قَدۡرٗا ٣﴾[الطلاق/ ٢-٣].

الرابعة: ورع الصدّيقين،وهو الإعراض عن كل ما سوى الله عز وجل خوفاً من صرف ساعة أو لحظة من العمر فيما لا يُقرّب إلى الله عز وجل .

وهذه أعلى مراتب الورع، وهو ورع الأنبياء والمرسَلين، والصدّيقين والشهداء والصالحين :﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ٦٩ ذَٰلِكَ ٱلۡفَضۡلُ مِنَ ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمٗا ٧٠﴾[النساء/ ٦٩-٧٠].

والورع أنواع :

ورعٌ في السمع، ورعٌ في البصر، ورع في اللسان، ورعٌ في الفِكر؛ ورعٌ في الأكل والشرب، ورعٌ في البيع والشراء، ورعٌ في الأموال، ورعٌ في الأقوال، ورعٌ في الأعمال، و ورعٌ في التُروك : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنۡ خَشۡيَةِ رَبِّهِم مُّشۡفِقُونَ ٥٧ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ يُؤۡمِنُونَ ٥٨ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمۡ لَا يُشۡرِكُونَ ٥٩ وَٱلَّذِينَ يُؤۡتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمۡ وَجِلَةٌ أَنَّهُمۡ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ رَٰجِعُونَ ٦٠ أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَهُمۡ لَهَا سَٰبِقُونَ ٦١﴾[المؤمنون/ ٥٧-٦١].

---

(١) صحيح/ أخرجه الترمذي برقم (٢٥١٨) والنسائي برقم (٥٧١١).

وقال عز وجل :﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلۡسِنَتُكُمُ ٱلۡكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٞ وَهَٰذَا حَرَامٞ لِّتَفۡتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ لَا يُفۡلِحُونَ ١١٦ مَتَٰعٞ قَلِيلٞ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ١١٧﴾[النحل/ ١١٦-١١٧].

والورع على ثلاث مراتب:

الأول: ورعٌ واجب، وهو الكفّ عن جميع المحرمات وهذا للناس كافة :﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ٧﴾ [الحشر/ ٧].

الثاني: ورعٌ مستحب، وهو الوقوف والبعدُ عن الشبهات، وهذا يفعله قليل من الناس.

الثالث: الكفّ عن الكثير من المباحات، والاقتصار على أقل الضرورات؛ وذلك للنبيين، ومن سار على هديهم من الصدّيقين والشهداء والصالحين، وهو الورع عن كل ما يُشغِل عن الله ﷻ،والأعمال الصالحة، والدار الآخرة :﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا ٢٨﴾ [الكهف/ ٢٨].

٦ - اختلاف الناس في الورع

يختلف الناس في الورع بحسب علمهم، وقوة إيمانهم، وكمال يقينهم، وصدق تقواهم: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾ [فاطر/ ٢٨].

مراتب لناس في الورع:

الأول: من الناس من يكون الحائل بينه وبين المعاصي كالجبل، فلا يشمُّ لها رائحة، ولا يسمع لها صوتًا، ولا يرى لها صورة.

وهذا النوع من الورع يدخل في عصمة الأنبياء، وحفظ الأولياء: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾﴾ [البقرة/ ٥].

الثاني: من الناس من يكون الحائل بينه وبين المعاصي كالزجاج، لا يستطيع له اختراقًا، ولا يسمع له صوتاً، ولا يجد له رائحة؛ لكنه يرى الألوان والحركات والمغريات.

الثالث: من يكون الحاجز بينه وبين المعاصي كالماء، يمكن أن يخترقه، وتَنفُذ منه الروائح، وتُسمع منه الأصوات غالبًا، ويرى من خلاله الألوان والحركات.

الرابع: من الناس من يكون الحائل بينه وبين المعاصي كالهواء، يسهل عليه اختراقه، وهو والمعصية في لحافٍ واحد.

فالناس مختلفون في الورع بحسب ذلك؛ فمنهم من يحول ورعه بينه وبين الكبائر فقط، ومنهم من يحول ورعه بينه وبين الكبائر والصغائر، ومنهم من يحول ورعه بينه وبين الكبائر والصغائر، والمكروهات والمشتبهات: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [السجدة/ ١٧].

والورع المشروع المطلوب،هو فعل الواجبات حسب الاستطاعة، والكفّ عن المحرمات مطلقًا، وترك المشتبهات والمكروهات: ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا۟ ۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾﴾ [هود/ ١١٢].

٧- علامات صدق الورع

علامات صدق الورع أن يحرصَ العبد ألّا يفوتَه شيءٌ من المستحبّات، ويحزن حزنًا شديدًا إذا فاته إحداها، كأن تفوته إحدى السُنن الراتبة، أو صلاة الضحى، ونحو ذلك تعظيماً لله، ولأمره؛ فصادق الورع يتورّع عن المشتبهات، ويتجنّب المحرمات من أكل الحرام، والخوض في أعراض الناس: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ١١ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمۡ أَن يَأۡكُلَ لَحۡمَ أَخِيهِ مَيۡتٗا فَكَرِهۡتُمُوهُۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٞ رَّحِيمٞ ١٢﴾ [الحجرات/ ١١-١٢].

وعامّةُ الورع يكون في التروك أكثر منه في الأفعال، فعلى المسلم أن يتورَّع عن كل ما يضرّه في دينه ودنياه وآخرته من قولٍ قبيح، أو فعلٍ خبيث، أو خلقٍ ذميم، أو سلوكٍ منحرف، وعليه أن يحفظ جوارحه من كل سوء، ويوظّفها في كل ما ينفعه في دينه ودنياه وأخراه، ويعوّدها على فعل الخير، لتشهد له بين يدي خالقه بما فعلته يوم القيامة من الخير والحسنات: ﴿ٱلۡيَوۡمَ نَخۡتِمُ عَلَىٰٓ أَفۡوَٰهِهِمۡ وَتُكَلِّمُنَآ أَيۡدِيهِمۡ وَتَشۡهَدُ أَرۡجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ٦٥﴾ [يس/ ٦٥].

وعلى العبد أن يحفظ لسانه من كلّ كلامٍ سيء، فلا يسبُّ ولا يشتُم، ولا يكذب ولا يستهزئ؛ بل يقول القول الحسن، ويأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر: ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلۡسِنَتُكُمُ ٱلۡكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٞ وَهَٰذَا حَرَامٞ لِّتَفۡتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ لَا يُفۡلِحُونَ ١١٦ مَتَٰعٞ قَلِيلٞ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ١١٧﴾ [النحل/ ١١٦-١١٧].

وقال النبي ﷺ : «مَن كان يُؤمِنُ باللهِ واليومِ الآخرِ، فليَقُلْ خيرًا، أو لِيَصْمُتْ» متفق عليه[1].

ومن علامات صدق الورع التورّع عن كل خُلقٍ ذميم، والتحلّي بكلّ خُلقٍ كريم، كما أثنى الله عز وجل على نبيه ﷺ بقوله : ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾ [القلم/ ٤].

وقال عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما: «لَمْ يَكُنْ رَسولُ اللهِ ﷺ فَاحِشًا ولَا مُتَفَحِّشًا، وإنَّه كانَ يقولُ: إنَّ خِيَارَكُمْ أَحَاسِنُكُمْ أَخْلَاقًا» أخرجه البخاري [2].

ومن علامات صدق الورع عدم دخول العبد فيما لا يعنيه، وأن لا يتدّخل فيما يخصّ الآخرين إلّا بالخير والإصلاح :﴿ لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ۝١١٤﴾ [النساء/ ١١٤].

وقال النبي ﷺ: «مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ المَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ» أخرجه الترمذي وابن ماجة[3].

ومن الورع التورّع عن الخوض في أعراض الناس .

ومن علامات الورع التورّع عن المحرّمات والمكروهات والمشتبهات : ﴿ قُل لَّا يَسْتَوِى ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ ٱلْخَبِيثِ ۚ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝١٠٠﴾ [المائدة/ ١٠٠].

وقال الله عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ۝١﴾ [النساء/ ١].

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٤٧٥) ومسلم برقم (٤٨).

(٢) أخرجه البخاري برقم (٦٠٣٥).

(٣) حسن/ أخرجه الترمذي برقم(٢٣١٨)، وابن ماجة برقم (٣٩٧٦) .

٨- الأسباب المعينة على الورع

الأول: معرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله، فمن عرف الله حقاً اتقاه وتورع عن معصيته: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴿١٩﴾﴾ [محمد/ ١٩].

وقال الله ﷻ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾ [فاطر/ ٢٨].

الثاني: معرفة سيرة الرسول ﷺ وطريقة حياته، ليقتدي به في حسن خلقه، وزهده وورعه وتقواه: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴿٢٨﴾﴾ [الكهف/ ٢٨].

وقال الله ﷻ: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ [الأحزاب/ ٢١].

الثالث: تعظيم حُرمات الله حتى لا يقع فيها العبد: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ عِندَ رَبِّهِ ۗ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ الْأَنْعَامُ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ۖ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ ﴿٣٠﴾ حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾﴾ [الحج/ ٣٠-٣١].

الرابع: تعظيم أمر الله واجبًا أو مستحبًا، فنسارع إليه حتى يعْظُم علينا فعلُ خلافه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾﴾ [الملك/ ١٢].

الخامس: تعظيم أمر الرسول ﷺ، فنتّبعه فيما أمر به واجبًا أو مستحبًا، ونَحذَر مما حذّر منه محرمًا أو مكروهًا: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۖ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٧﴾﴾ [الحشر/ ٧].

السادس: الحذر من محُقِّرات الذنوب، فإن الصغيرة تكون بالإصرار عليها كبيرة، والمؤمن يرى ذنبه كالجبل يوشك أن يقع عليه، فيتوب إلى الله، ويستغفر من ذنبه، ويُكثر من التوبة و الاستغفار، خوفًا من الله وعذابه، والمنافق يرى ذنبه كالذُّباب وقع على أنفه فأطاره، ويرى أنه يكفيه أن يستغفر الله بعد أن يفعل الكبيرة، يظنّ أن ذلك يمحوها من غير أن يتوب إلى الله، ويندم على الذنب، ويقلع عنه، ويعزم على عدم العودة إليه :﴿فَمَن تَابَ مِنۢ بَعۡدِ ظُلۡمِهِۦ وَأَصۡلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيۡهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ٣٩﴾[المائدة/ ٣٩].

والفرق بيننا وبين الصحابة رضي الله عنهم أنهم كانوا يفعلون السُنّة، لأنها سُنّة، جاء بها النبي ﷺ،ونحن نترك السنّة، لأنها سنّة غير واجبة : ﴿ذَٰلِكَۖ وَمَن يُعَظِّمۡ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقۡوَى ٱلۡقُلُوبِ ٣٢﴾[الحج/ ٣٢].

السابع: الإكثار من ذكر الموت، وأحوال وأهوال اليوم الآخر، فمن ذكر ذلك سارع إلى طاعة الله، واتقى المعاصي، وزهد في كل ما حرم الله: ﴿إِنَّمَا يُؤۡمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِهَا خَرُّواْۤ سُجَّدٗاۤ وَسَبَّحُواْ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ۩ ١٥ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمۡ عَنِ ٱلۡمَضَاجِعِ يَدۡعُونَ رَبَّهُمۡ خَوۡفٗا وَطَمَعٗا وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ١٦ فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٧﴾[السجدة/ ١٥-١٧].

وقال عز وجل: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ٢٨١﴾[البقرة/ ٢٨١].

٩ - ثمرات الورع

الأولى: الورع هو الدّين كلّه، فالدّين كلّه تصديق الأخبار، وامتثال الأوامر، واجتناب النواهي، والورع من العبادات القلبية التي تجلِب محبة الله للعبد: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾﴾[البقرة/ ٢٢٢].

الثانية: الورع فيه الاقتداء بِهدْي النبي ﷺ، وفيه ترك الشبهات، والبعد عنها: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾[الأحزاب/ ٢١].

الثالثة: بالورع يطيب المطعم والمشرب، والورع سببٌ لإجابة الدعاء، والورع من أعظم أسباب التقوى، وحصول الرزق ميسراً: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾﴾[الطلاق/ ٢-٣].

الرابعة: الورع خيرُ خصال الدّين، فكنْ ورعاً تكنْ أعبدَ الناس .

الخامسة: الورع من أعظم أسباب المغفرة، ودخول الجنّة، وحصول الأجر العظيم: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾﴾[الملك/ ١٢].

السادسة: الورع من أعظم أسباب استقامة القلب والجوارح، ونيل الدرجات العلا في الجنّة: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾[الأنفال/ ٢-٤].

السابعة: الورع من أعظم أسباب الفلاح والفوز في الدنيا والآخرة: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى

ﭐلْأَخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِيٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾ [فصلت/ ٣٠-٣٢].

الثامنة: الورع الذي أمر الله ورسوله به هو فعل الواجبات والمستحبات، واجتناب المحرمات والمكروهات والمشتبهات، ابتغاء مرضات الله، وهو من أعظم أسباب رضوان الله على العبد، ودخول الجنة، ومغفرة الذنوب: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾ جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ ﴿٨﴾﴾ [البينة/ ٧-٨].

وقال عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾﴾ [الأنفال/ ٢٩].

اللهم إنا نسألك الهدى والتقى، والعفاف والغنى.

اللهم آت نفوسنا تقواها، وزكّها أنت خير من زكّاها، أنت وليها ومولاها.

﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأعراف/ ٢٣].

عبادات القلوب

في ضوء القرآن والسنة

العبادة التاسعة والعشرون

عبادة اليقين

وتشتمل هذه العبادة العظيمة على المباحث الآتية :

الأوَّل: فقه اليقين

الثَّاني: فضائل اليقين

الثَّالث: أنواع اليقين

الرَّابع: مراتب اليقين

الخامس: تفاوت النَّاس في اليقين

السَّادس: علامات أهل اليقين

السَّابع: علامات صدق اليقين

الثَّامن: ثمرات اليقين.

التاسع: الأسباب المُعِينة على تحصيل اليقين

العبادة التاسعة والعشرون

عبادة اليقين

١ - فقه اليقين

اليقينهو الاعتقاد الجازم بوجود الله ﷻ، وأنَّه واحدٌ لا شريك له في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، وأنَّه الخالق الرَّازق المالك لهذا الكون وحده لا شريك له، وأنَّ الله وحده هو الرَّبُّ الَّذي يستحقُّ العبادة وحده لا شريك له: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٖ فَٱعْبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ وَكِيلٞ ١٠٢ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ١٠٣﴾ [الأنعام: ١٠٢-١٠٣].

اليقينهو الاعتقاد الجازم بحكمة الله تعالى في أقداره، وأنَّ كلَّ ما يجري في الكون قدَّره الله بعلمه ومشيئته وإرادته، وأنَّ كلَّ ما أصابك لم يكن ليُخطئك، وما أخطأك لم يكن ليُصيبك، وأنَّ ما شاء الله كان، وما لم يشأ لا يكون أبداً، فيدفعك ذلك إلى الإيمان والرِّضا بقضاء الله وقدره، والتَّسليم لأمره: ﴿هُوَ ٱلْحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ٦٥﴾ [غافر: ٦٥].

واليقينهو الاعتقاد الجازم بأنَّ الله وحده بيده مقاليد الأمور كلِّها، فيفوِّض العبدُ جميعَ الأمور إليه، فلا يختار لنفسه إلَّا ما اختاره الله له، واليقين بأنَّ الأمر كلَّه لله وحده، فالله وحده بيده الغنى والفقر، وبيده الصِّحَّة والمرض، وبيده الأمن والخوف، وبيده الحياة والموت، وبيده التَّصريف والتَّدبير، وبيده الخلق والتَّصوير: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِي ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثٗا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتِۭ بِأَمْرِهِۦٓۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ٥٤﴾ [الأعراف: ٥٤].

واليقينهو الاعتقاد الجازم بالجزاء يوم القيامة، وأنَّ الله سوف يجُازي أهل الطَّاعات بالجنَّة، وسيُجازي مَن كفر به وعصاه بالنَّار، فيدفعه ذلك للاستعداد لذلك اليوم العظيم بامتثال أوامر الله، والحذر من ارتكاب معاصيه: ﴿ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ فِى جَنَّـٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٥٦﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا فَأُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٥٧﴾﴾[الحج:٥٧].

فمَن أيقن بذلك كلِّه فقد وصل إلى ذروة اليقين، وعبَدَ الله بالحبِّ والتَّعظيم والذُّلِّ له، وعبَدَ الله كأنَّهُ يراه، فإن لم يكن يراه فإنَّ الله يراه: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَـٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾[فاطر:٢٨].

وقال النبي ﷺ لجبريل حين سأله عن الإحسان فقال: «أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ» متفق عليه (١).

واليقين يَكمُل بالنَّظر والتَّدبُّر والتَّفكُّر في ملكوت ربِّ العالمين: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾﴾[الأنعام:٧٥].

فاليقين روح التَّوحيد، ونور الإيمان، وهُو مِن مقتضيات الإيمان بأسماء الله الحُسنى، وصفاته العلا، وأفعاله الكبرى، وهو مِن موجبات الإيمان بأسماء الله الملك العزيز الجبَّار، والحكيم والحكم، والقدير والقادر، والنَّصير والنَّاصر، والخالق والبارئ والمصوِّر: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَـٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَـٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَـٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾[الحشر:٢٢-٢٤].

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٥٠)، ومسلم برقم (٩)

الله سبحانه هو الخالق الَّذي خلق كلَّ شيءٍ، البارئ الَّذي برأ كلَّ شيءٍ، المصوِّر الَّذي صوَّر كلَّ مخلوقٍ، وهو الملك الَّذي له الملك كلُّه، وبيده الخير كلُّه، وإليه يرجع الأمر كلُّه: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۚ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾﴾ [فاطر:١٣].

وهو الإله الحق الَّذي خلق جميع المخلوقات، لتدلَّ على كمال قدرته، وتخضع لإرادته، وتسبِّح بحمده، وتذلَّ لكبريائه، وتسجد لعظمته: ﴿سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾﴾ [الإسراء:٤٣-٤٤].

وهو سُبحانه العزيز الَّذي لا يُغلَبُ، القويُّ الَّذي قهر كلَّ قويٍّ، القادر الَّذي لا يعجزه شيءٌ، ولا يقف له شيءٌ، ولا يمتنع عليه شيءٌ ولا يغيب عنه شيءٌ: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ ﴿٦٦﴾﴾ [هود:٦٦].

وهو سبحانه النَّاصر النَّصير الَّذي ينصُر أولياءه، ويخذل أعداءه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴿٧﴾﴾ [محمد:٧].

وقال الله ﷻ: ﴿إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ۖ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٦٠﴾﴾ [آل عمران: ١٦٠].

هو سبحانه الحكيم الحكم الَّذي له الحكم كلُّه في الدُّنيا والآخرة، الحكيم الَّذي يضع الشَّيء في موضعه، وهو أحكم الحاكمين: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٨﴾﴾ [الأنعام:١٨].

وهو سبحانه الإله العظيم الَّذي خلق الجنَّ والإنس لعبادته وحده لا شريك له، وتكفَّل بأرزاقهم جميعاً، مَن آمن به ومَن كفر به: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾﴾ [الذاريات:٥٦-٥٨].

وهو سبحانه الأوَّل فليس قبله شيءٌ، والآخِر فليس بعده شيءٌ، والظَّاهر فليس فوقه شيءٌ، والباطن فليس دونه شيءٌ: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾﴾[الحديد:٣].

وهو سبحانه السَّميع البصير، العليم الخبير الَّذي يعلم بكلِّ شيءٍ، ويرى كلَّ شيءٍ، ويسمع كلَّ شيءٍ، ولا يخفى عليه شيءٌ: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴿١٢﴾﴾[الطلاق:١٢].

وهو سُبحانه الصَّادق الَّذي وعد مَن أطاعه بالجنَّة، وتوعَّد مَن عصاه بالنَّارِ، ومَن أصدق مِن الله قيلاً، ومَن أصدق مِن الله حديثاً: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١١٥﴾﴾[الأنعام:١١٥].

وهو سُبحانه الحيُّ الَّذي لا يموت، القيُّوم الَّذي لا ينام، الحيُّ بجميع صفات الكمال والجلال والجمال: ﴿هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾[غافر:٦٥].

ومَن علم بذلك كلِّه زاد إيمانه، وقوِي يقينُه، وعبَد اللهَ وحدَه، وتوكَّل عليه وحدَه، واستعان به وحدَه: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾﴾[محمد:١٩].

ومنزلة اليقين أنَّه أعظم مراتب الدِّين، وبالصَّبر واليقين تُنال الإمامة في الدِّين: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾﴾[السجدة:٢٤].

ومَن فقدَ اليقينَ فقدَ الإيمانَ؛ لأنَّ مِن شروط «لا إله إلَّا الله» اليقين المنافي للشَّكِّ، والشَّكُّ في الله كفرٌ، فمَن شكَّ في الله فقد كفر به: ﴿۞ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِى ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ﴾[إبراهيم:١٠].

٢ - فضائل اليقين

لليقين فضائل:

الأولى: اليقين هو أعلى مراتب الدِّين، فمَن أيقن على ربِّه عبدَه كأنَّه يراه بأسمائه وصفاته وأفعاله.

قال ﷺ لجبريل حين سأله عن الإحسان: «أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ» متفق عليه [١].

الثَّانية: بالصبر واليقين تُنال الإمامة في الدِّين كما قال سبحانه: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [السجدة:٢٤].

الثَّالثة: اليقين على الله، وعلى وعده ووعيده، هُو الَّذي يدفع العبد للتَّضحية في سبيل الله بالمال والنَّفس والوقت، والمسارعة إلى امتثال أوامر الله في كلِّ حالٍ، لينال أعلى الدَّرجات في الجنَّة: ﴿إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ ﴿٦١﴾﴾ [المؤمنون:٥٧-٦١].

وقال الله ﷻ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾﴾ [الملك:١٢].

الرَّابعة: اليقين هو الذي يُعِين العبدَ على تحمُّل مشاقِّ الدَّعوة والعبادة، كما وصف الله المؤمنين بقوله: ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٣﴾﴾ [النمل:٣].

وقال الله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿١٥﴾﴾ [الحجرات:١٥].

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٥٠)، ومسلم برقم (٩).

الخامسة: أنَّ اليقين أعلى درجات الإيمان، فأفضل الإيمان هو الإيمان بالغيب كما قال سبحانه: ﴿الٓمٓ ١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ٢ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ٣﴾[البقرة: ١-٣].

السَّادسة: أنَّ اليقين يُثمِر أعظم العبادات القلبيَّة والبدنيَّة كما قال سبحانه: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ٣ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَمَغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ٤﴾[الأنفال: ٢-٤].

السابعة: أن اليقين يثمر عبودية الصبر التي هي من أعظم عبوديات القلب: ﴿فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ وَلَا يَسۡتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ٦٠﴾[الروم: ٦٠].

٣- أنواع اليقين

اليقين نوعان:

الأوَّل: يقينٌ على أخبار الله الَّتي جاءت في كتابه العظيم، وهو الإيمان بيقين بكلِّ ما جاء به الشَّرع مِن أمور الغيب كأركان الإيمان السِّتَّة، وهي الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدَر خيره وشرِّه: ﴿الٓمٓ ١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ٢ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ٣ وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ٤ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ٥﴾ [البقرة:١-٥].

الثَّاني: يقينٌ على أوامر الله الشَّرعيَّة والكونيَّة، وأنَّها كلَّها حقٌّ وعدلٌ، ورحمةٌ وإحسانٌ، والتَّسليم الكامل لكلِّ ما أمر الله ورسوله به، والطُّمأنينة بكلِّ ما قضاه الله وقدَّره: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا ٦٥﴾[النساء:٦٥].

وقال الله عز وجل: ﴿وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرۡحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ٧١﴾[التوبة:٧١].

واليقين الصَّحيح هو المقرون بعمل الجوارح فِعلاً أو تركاً: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱجۡتَنَبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعۡبُدُوهَا وَأَنَابُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰۚ فَبَشِّرۡ عِبَادِ ١٧ ٱلَّذِينَ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقَوۡلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحۡسَنَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ١٨﴾[الزمر:١٧-١٨].

وقال ﷻ: ﴿أَمَّنۡ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ سَاجِدٗا وَقَآئِمٗا يَحۡذَرُ ٱلۡأٓخِرَةَ وَيَرۡجُواْ رَحۡمَةَ رَبِّهِۦۗ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٩﴾[الزمر:٩].

٤ - مراتب اليقين

لليقين ثلاث مراتب:

الأولى: علم اليقين، وهو انكشاف المعلوم للقلب بحيث يشاهده ويعلمه ولا يشكُّ فيه، كانكشاف المحسوس للبصر: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْأَخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ۝٩﴾ [الزمر:٩].

الثَّانية: عين اليقين، وهو أن نشاهد المعلوم بالقلب كما يشاهد المحسوس بالبصر.

الثَّالثة: حقُّ اليقين، وهو مباشرة المعلوم ورؤيته وإدراكه الإدراك التَّامَّ.

فالأولى كعلم الإنسان بأنَّ في هذا الوادي ماءً حلواً، والثَّانية كرؤية هذا الماء ببصره، والثَّالثة كرؤيته، والشُّرب منه وذوق طعمه .

وعلى هذا فإيماننا الجازم بالجنَّة والنَّار هذا علم اليقين، كما قال سبحانه: ﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ۝٥﴾ [التكاثر:٥].

فإذا أزلفت الجنَّة للمتَّقين في يوم القيامة، وشاهدها الخلائق، وبُرِّزت الجحيم للغاوين، ورآها الخلائق، فذلك عين اليقين كما قال سبحانه: ﴿لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ۝٦ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ ۝٧﴾ [التكاثر:٧-٨].

فإذا أُدخِل أهل الجنَّةِ الجنَّةَ، وأُدخِل أهلُ النَّار النَّارَ، فذلك حينئذٍ حقُّ اليقين كما قال سبحانه عن الإنسان يوم القيامة: ﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ۝٨٨ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ۝٨٩ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ۝٩٠ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ۝٩١ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ۝٩٢ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ۝٩٣ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ۝٩٤ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ ۝٩٥ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ۝٩٦﴾ [الواقعة:٨٨-٩٦].

فأعلى درجات اليقين هي مرتبة حقِّ اليقين، وهي أعلى مراتب الدِّين، فمَن وصل إلى ذلك عبَد الله بصفة الإحسان، والإحسان: أن تعبد الله كأنَّك تراه، فإن لم تكن

تراه فإنَّه يراك، ونال يوم القيامة أعظم الدَّرجات في الجنَّة: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال:٢-٤].

واليقين هو أعلى مراتب الدِّين، بأن ترى بقلبك ما غاب عنك كأنَّه حاضرٌ بين يديك، وتعبد الله بموجب ذلك: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾﴾ [الملك:١٢].

وقال الله عز وجل: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [السجدة:١٥-١٧].

واليقين أعلى درجات الإيمان، وهو يقوى ويضعُف، ويزيد وينقص، بحسب العلم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله، والعلم بدينه وشرعه، والعلم بوعده ووعيده، والعلم بآياته ومخلوقاته، والعلم بنعمه وإحسانه: ﴿إِنَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ وَفِى خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٥﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَ ٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾﴾ [الجاثية:٣-٦].

وقال الله عز وجل: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾﴾ [البقرة:١٦٤].

٥ - تفاوت النَّاس في اليقين

النَّاس متفاوتون في اليقين بحسب العلم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله، والعلم بدِينه وشرعه، والعلم بوعده ووعيده .

فمِن النَّاس مَن يكون يقينه علم يقينٍ كمَن سمع عن العسل مِن ثقةٍ أنَّه حلوٌ وأسودُ فأيقن بذلك

ومِن النَّاس مَن يكون يقينه عينَ اليقين، كمَن رأى العسلَ بعينه،فرأى أنَّه أسود فأيقن بذلك، وهذا أعلى ممَّا قبله.

ومِن النَّاس مَن يكون يقينه حقَّ اليقين، كمَن سمع عن العسل أنَّه حلوٌ، أسود، ثمَّ رآهُ، وذاق طعمه،وأحسن بحلاوته فهذا قد وصل إلى حقِّ اليقين .

وحقُّ اليقين: أن تعبد الله كأنَّك تراه بصفات جلاله وجماله وكماله، وهذه أعلى درجات اليقين:﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾﴾[الحجرات:١٥].

وكلَّما زاد علم العبد بربِّه زاد يقينه، وحسُنت عبادته، وأدام ذِكرَ ربِّه، ومَن صحَّ يقينه بلغ درجة الإحسان فعبد الله كأنَّه يراه بصفات جلاله وجماله وكماله: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾﴾[محمد:١٩].

ومِن النَّاس مَن يضعُف يقينه على ربِّه حتى يقع في المعاصي، وسبب المعاصي هو ضعْفُ يقين العبد بالوعد والوعيد، والجنَّة والنَّار؛ لأنَّ ذلك مِن الغيب الَّذي سمع به، ولم يشاهده، ولو كان الجزاء بالجنَّة والنَّار حاضراً لأطاع الله كلُّ أحدٍ، ولم يعصِ الله أحدٌ، ولكنَّ الله عزَّ وجلَّ بحكمته غيَّبه ابتلاءً لعباده، ليعلمَ مَن يُطيعه بالغيب فيُعطيه أعظم الأجر والثَّواب كما قال سبحانه:﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾﴾[الملك:١٢].

فالله غيبٌ لا يُرى، والجنَّة غيبٌ، والنَّار غيبٌ، والملائكة غيبٌ: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ۝٤ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ۝٥﴾ [البقرة:١-٥].

ومَن قوي يقينه رأى الله عزَّ وجلَّ يخلق ويرزق، ويحكم ويدبِّرُ، ويُعطي ويمنع، ويحيي ويميت، فعبد الله كأنَّه يراه، ورأى الجنَّة كأنَّه يراها رأي العين، ورأى النَّار وسعيرها، فامتلأ قلبُه باليقين،فدعا إلى الله، وقاتل في سبيل الله حتى يُقتل، لأنَّه يرى الجنَّة والنَّار ولا يرى النَّاس: ﴿إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ۝٢٨﴾ [فاطر:٢٨].

وبعد تحريم الصَّيد على المُحرِم بالحجِّ أو العُمرة ابتلى الله الصَّحابة بوجود الصَّيدِ مُيسَّر بينهم، ليمتحن إيمانهم بما أمرهم به: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَيَبۡلُوَنَّكُمُ ٱللَّهُ بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلصَّيۡدِ تَنَالُهُۥٓ أَيۡدِيكُمۡ وَرِمَاحُكُمۡ لِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ مَن يَخَافُهُۥ بِٱلۡغَيۡبِۚ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٞ ۝٩٤﴾ [المائدة: ٩٤].

فاليقين هو التَّصديق بالغيب، فإذا صار الغيب عند العبد شهادةً فهذا هو حقُّ اليقين الَّذي يريده الله من كلِّ عبدٍ،حتى يعبد الله كأنَّه يراه: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ۝٣ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَمَغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ۝٤﴾ [الأنفال:٢-٤].

٦ - علامات أهل اليقين

لأهل اليقين علاماتٌ:

الأولى: تعلُّق قلب العبد بالله ﷻ، والإكثار مِن ذِكره، وشكره، ودوام حُسن عبادته، وكثرة التَّوبة، والاستغفار، والبكاء، والخشوع، والانكسار بين يديه: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِهَا خَرُّواْ سُجَّدًا وَسَبَّحُواْ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [السجدة: ١٥ -١٧].

الثَّانية: تعلُّق القلب ببيوت الله ﷻ، والحرص على إقامة الصَّلوات فيها والإحساس بالرَّاحة والطُّمأنينة عند المكث فيها: ﴿فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ ۙ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٣٧﴾ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُواْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٨﴾﴾ [النور: ٣٦ -٣٨].

الثَّالثة: ميل القلب إلى الإكثار مِن تلاوة كتاب الله، والحرص على حِفظه وفهمه وتدبُّره، والعمل بما فيه: ﴿وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَٰبِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴿١٧٠﴾﴾ [الأعراف: ١٧٠].

الرَّابعة: حبُّ الرَّسول ﷺ، والحرص على امتثال أوامره، واجتناب نواهيه: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [التوبة: ١٢٨].

وقال الله عز وجل: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾﴾ [الحشر: ٧].

الخامسة: الخوف من الله جل جلاله، والخشية من عذاب الله، والمسارعة

إليالطَّاعات، والحذر من الوقوع في المعاصي: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ ١٢﴾ [الملك:١٢].

السَّادسة: رجاء الله ﷻ، والطَّمع في رحمته وعفوه، وإحسان الظَّنِّ به، والثِّقة بوعده: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتۡلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ يَرۡجُونَ تِجَٰرَةٗ لَّن تَبُورَ ٢٩ لِيُوَفِّيَهُمۡ أُجُورَهُمۡ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضۡلِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ غَفُورٞ شَكُورٞ ٣٠﴾ [فاطر:٢٩-٣٠].

السَّابعة: دعاء الله ﷻ، والفزع إليه في كلِّ حالٍ، والإلحاح بالدُّعاء ولو تأخَّرتِ الإجابة: ﴿هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦٥﴾ [غافر:٦٥].

الثَّامنة: خوف العبد على دِينه وإيمانه مِن الضَّعف والنَّقص، والحرص على إتباع الفرائض بالنَّوافل، وإتمام النَّقص بالنَّوافل مِن الصَّلوات والصَّدقات والصِّيام والحجِّ والعمرة وغيرها من أنواع العبادات: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤۡتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمۡ وَجِلَةٌ أَنَّهُمۡ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ رَٰجِعُونَ ٦٠ أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَهُمۡ لَهَا سَٰبِقُونَ ٦١﴾ [المؤمنون:٦٠-٦١].

التَّاسعة: تمعُّرُ وجه المؤمن غضباً لله ﷻ إذا انتُهكت محارم الله، أو إذا سمع أو علم مَن يلمز شيئاً ممَّا جاء به الرَّسول ﷺ، أو ينتقص أحداً من أهل العلم والخير والتَّقوى.

العاشرة: الإكثار مِن ذِكرِ الموت وما بعده من الأهوال في القبر، ويوم القيامة، والاستعداد لذلك بالعمل الصَّالح: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ٢٨١﴾ [البقرة:٢٨١].

الحادية عشرة: القناعة بما رزقك الله، والرِّضا بما قسمه الله لك، والاشتغال بحمد الله وشكره علىنعمائه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ١٧٢﴾ [البقرة:١٧٢].

الثَّانية عشرة: حبُّ الدَّعوة إلى الله، والقيام بها في جميع الأماكن والأوقات والأحوال حسب القدرة: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [فصلت:٣٣].

وقال الله عزَّ وجلَّ: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ [يوسف:١٠٨].

الثَّالثة عشرة: الفرح بظهور دِين الله، وانتصار دِين الله عزَّ وجلَّ، وظهور المسلمين على أعدائهم، وخذلان أهل الباطل: ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾ بِنَصْرِ ٱللَّهِ ۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥﴾﴾ [الروم:٤-٥].

الرَّابعة عشرة: حبُّ المؤمن لدعوة النَّاس إلى الخير، وتعليمهم شرْعَ الله، والإحسان إليهم، ليحبُّوا ربَّهم ويعبدوه ويشكروه، والقيام بذلك، وإقامة النَّاس على ذلك: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾﴾ [التوبة:٧١].

الخامسة عشرة: التَّسليم الكامل لأمر الله الكونيِّ والشَّرعيِّ: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [النساء:٦٥].

السَّادسة عشرة: رحمة الخلق، والرِّفق بهم، والعطف عليهم، والإحسان إليهم، ليؤمنوا بالله وحده، ويعبدوه وحده لا شريك له: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾﴾ [آل عمران:١٥٩].

٧- علامات صِدق اليقين

لصدق اليقين علاماتٌ:

الأولى: الثَّبات على الدِّين، وصِدْقُ التَّوكُّل علىالله: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال:٢-٤].

الثَّانية: المسارعة إلى الخيرات، وعدم الكسل عن الطَّاعات، والخوف من عدم قبول العمل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴿٦١﴾﴾ [المؤمنون:٥٧-٦١].

الثَّالثة: الثَّبات عند المِحن والفتن والشَّدائد، فمَن أيقن على ربِّه ثبت على دِينه، ولم يتجاوز حدودَه، ولم يخُالِف أمره: ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا۟ ۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾ وَلَا تَرْكَنُوٓا۟ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿١١٣﴾﴾ [هود:١١٢-١١٣].

الرَّابعة: عدمُ الميل إلى المعاصي أو الإصرار عليها: ﴿فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَىْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٣٦﴾ وَٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا۟ هُمْ يَغْفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [الشورى:٣٦-٣٨].

الخامسة: التَّضحية بكلِّ شيءٍ مِن أجل إقامة الدِّين، ونُصرة الدِّين، وإعلاء كلمة الله عز وجل: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَوا۟ وَّنَصَرُوٓا۟ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٧٤﴾﴾ [الأنفال:٧٤].

وقال الله عز وجل: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾﴾ [الحجرات:١٥].

السَّادسة: البكاء عند ذِكرِ الله، فمَن عرف الله حقًّا بأسمائه وصفاته وأفعاله بكى عند ذِكرِه، ورجا رحمته، وخاف مِن عقوبته، وسجد لعظمته، وذلَّ لعزَّته، وأطاع أمره، واجتنب نهيه: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾ [فاطر:٢٨].

وقال الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ۩ ﴿١٠٩﴾﴾ [الإسراء:١٠٩].

وقال عز وجل: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [السجدة:١٥-١٧].

٨- ثمرات اليقين

اليقين مِن أعظم العبادات القلبيَّة، بل هو أعظمها، وأصلها وروحها، وذروة سنامها.

واليقين ثمرة العلم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾﴾ [محمد: ١٩].

واليقين يُثمِر كمالَ الحُبِّ والتَّعظيم والذُّلِّ لله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾﴾ [الملك: ١٢].

ويُثمِر للعبد كلَّ عبادةٍ وطاعةٍ وقُربةٍ، ويُثمِر دوامَ الذِّكر والشُّكر، ودوامَ التَّوبة والاستغفار ومراقبة النَّفس، وتزكيتها بالأعمال الصَّالحة: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [السجدة: ١٥-١٧].

ويُثمِر اليقينُ كمالَ التَّسليم لله عزَّ وجلَّ، والقيام بأنواع العبادات والطاعات بكمال الحب والتعظيم والذل لله عز وجل: ﴿فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَلَهُۥٓ أَسْلِمُوا۟ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ وَٱلْمُقِيمِى ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الحج: ٣٤-٣٥].

ويُثمِرُ اليقينُ رضوانَ الله ﷻ على العبد، ودخول الجنَّة: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾ جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ ﴿٨﴾﴾ [البينة: ٧-٨].

ويثمر اليقين كمال الرضا بقضاء الله وقدره في كل محبوب أو مكروه: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾﴾ [التغابن: ١١].

ويثمر اليقين كمال الصبر ابتغاء مرضاة الله: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [البقرة: ١٥٥-١٥٧].

٩ - الأسباب المُعِينة على تحصيل اليقين

الأوَّل: العِلم بالله، وأسمائه الحُسنى، وصفاته العلا، وأفعاله الحميدة .

فمَن عرف الله رآه بصفات جلاله وجماله وكماله، وعبده كأنَّه يراه: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ١٩﴾ [محمد:١٩].

الثَّاني: الاطِّلاع على سِير الأنبياء والمرسلين لمعرفة كمال يقينهم وتقواهم: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبٗا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٨٧ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٨٨﴾ [الأنبياء:٨٧-٨٨].

الثَّالث: التَّفكُّر والتَّدبُّر لما في الكون من المخلوقات العظيمة، والتَّدبيرات الحكيمة، مِن خلْقِ السَّماء والأرض، والجماد والنَّبات، والإنسان والحيوان، وتقليب اللَّيل والنَّهار، وحصول الحرِّ والبرد، وحدوث الحياة والموت: ﴿إِنَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ لَأٓيَٰتٖ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ٣ وَفِي خَلۡقِكُمۡ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ءَايَٰتٞ لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ٤﴾ [الجاثية:٣-٤].

وقال الله عز وجل: ﴿قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَا تُغۡنِي ٱلۡأٓيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ ١٠١﴾ [يونس:١٠١].

الرَّابع: تدبُّر الآيات القرآنيَّة الَّتي تُبيِّن عظمة الله ووحدانيَّته، وكمال قوَّته وقُدرته، وسعة رحمته ومغفرته، وعظمة دينه وشرعه، ووعده ووعيده: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ أَمۡ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقۡفَالُهَآ ٢٤﴾ [محمد:٢٤].

فمَن تدبَّر وتفكَّر في الآيات الكونية في السَّماوات والأرض، وتدبَّر الآيات القرآنيَّة الَّتي بينت أسماء الله وصفاته وأفعاله أيقن أنَّ الله هو الرَّبُّ الواحد الأحد، الإله الَّذي يجب أن يعبده كلُّ أحدٍ: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٞ وَلَمۡ

﴿تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٞۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ١٠١ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ١٠٢﴾[الأنعام:١٠١-١٠٢].

وقال عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلۡفُلۡكِ ٱلَّتِي تَجۡرِي فِي ٱلۡبَحۡرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٖ فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٖ وَتَصۡرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلۡمُسَخَّرِ بَيۡنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ١٦٤﴾[البقرة:١٦٤].

الخامس: التفكر في حال الإنسان، وشدة حاجته وفقره إلى ربه: ﴿۞يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ١٥﴾[فاطر:١٥].

ومن عرف ذلك أيقن أنه لا إله إلا الله، ولا رب سواه: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيۡهِ تَجۡـَٔرُونَ ٥٣﴾[النحل:٥٣].

اللَّهمَّ آتِ نفُوسَنا تقوها، وزكِّها أنتَ خيرُ مَن زكَّاها، أنت وليُّها ومولاها.

اللَّهمَّ ارزقْنا حقيقة الإيمان، وحلاوة اليقين، ودوام الذِّكرِ والشُّكرِ وحُسن العبادة، والدَّرجات العُلا في الجنَّة.

﴿رَبَّنَا لَا تُزِغۡ قُلُوبَنَا بَعۡدَ إِذۡ هَدَيۡتَنَا وَهَبۡ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةًۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ ٨﴾ [آل عمران:٨].

عبادات القلوب

في ضوء القرآن والسنة

العبادة الثلاثون

عبادة الإنابة إلى الله عز وجل

وتشتمل هذه العبادة العظيمة على المباحث الآتية :

الأول : فقه الإنابة إلى الله عز وجل.

الثاني : منزلة الإنابة .

الثالث : أنواع الإنابة .

الرابع : درجات الإنابة .

الخامس : علامات الإنابة .

السادس : الأسباب المعينة على الإنابة .

السابع : ثمرات الإنابة.

العبادة الثلاثون

عبادة الإنابة إلى الله عز وجل

١ - فقه الإنابة إلى الله عز وجل

الإنابة هي الرجوع عن كل شيء يشغل العبد عن الله إلى الله عز وجل، رغبةً وحبًا لما عنده، استحياءً من مقام جلاله، وخوفًا من عقابه، وطمعاً في ثوابه.

الإنابة هي الرجوع إلى الله في كل شيء، فتشكر الله عند النعمة، وتسأله عند الحاجة، وتستعين به عند العجز، وتطلب منه العفو عند الزلة، وتلجأ إليه عند الخوف، وتتوب إليه حين تذنب: ﴿هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [غافر:٦٥].

والإنابة من أعظم صفات الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام، كما قال الله عز وجل عن خليله إبراهيم صلى الله عليه وسلم: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ ﴿٧٥﴾﴾ [هود:٧٥].

والمؤمن يفزع إلى ربه في كل أمر، لأنه يعلم أن ربه بيده مقاليد الأمور كلها، فينيب إلى ربه، ويرجع إلى مولاه في كل شأن، لأنه وحده قاضي الحاجات، ومجيب الدعوات، ولا منجا ولا ملجأ منه إلا إليه: ﴿رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤﴾﴾ [الممتحنة:٤].

وكان صلى الله عليه وسلم إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة، وشكى حاله لربه، لأنه يعلم أنه لا يقضي الحاجات إلا هو، ولا يكشف الكرباتإلا هو، ولا يرفع البلاء إلا هو: ﴿وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَىْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّى عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿١٠﴾﴾ [الشورى:١٠].

والإنابة من أعظم العبادات القلبية، وهي ثمرة العلم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله، وهي مقرونة بكمال الطاعة لله عز وجل: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾﴾ [محمد:١٩].

والإنابة من مقتضيات الإيمان بأسماء الله الحسنى، ومن لوازم الإيمان بأسماء الله الملك، العزيز، الجبار، القوي، القادر، القهار، الرحمن، الرحيم، الغني، الكريم، العفو، الغفور، الغفار :﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ سَيُجۡزَوۡنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٨٠﴾[الأعراف:١٨٠].

فالله مؤمن يحب الإيمان، وأهل الإيمان، والله محسن يحب الإحسان، وأهل الإحسان، والله تواب يحب التوبة، و أهل التوبة، والله شكور يحب الشكر، وأهل الشكر، وهكذا: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ ٨﴾[طه:٨].

فمن عرف أن الله هو الملك الحق آمن به، وأناب إليه، ومن عرف العزيز ذُل له، ورجع إليه، ومن عرف الجبار خضع له، ومن عرف القوي لاذ بحماه، وأناب إليه، ومن عرف القادر استعان به، وفوض أموره إليه، ومن عرف القهار أذعن لطاعته، وأناب إليه :﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ١٠٢﴾[الأنعام:١٠٢].

وإذا علم العبد أن ربه هو الرحمن الرحيم أقبل عليه، وأناب إليه، وإذا عرف أنه الغني وقف ببابه، وسأله حوائجه، ومن عرف الكريم أحبه، وأناب إليه، ومن عرف العفو أحبه، وسأله إقالة عثرته، ومن عرف الغفور أناب إليه، واستغفره من ذنبه، ومن عرف التواب تاب إليه، ورجع إليه :﴿هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦٥﴾[غافر:٦٥].

ومن رزقه الله حسن الإنابة إلى ربه أكرمه الله بثلاث كرامات :

الأولى:الفرار إلى الله في كل حال، وتفويض الأمور إليه في كل حال كالأنبياء: ﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ٩٠﴾[الأنبياء:٩٠].

الثانية: من أناب إلى الله عز وجل فَهَّمه الله حكمته من أقداره وأحكامه :

﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزْقًا ۚ وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ ﴾[غافر:١٣].

ومن أناب إلى ربه ملأ الله قلبه إيمانا، وأطلعه على أسراره في آياته ومخلوقاته: ﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٨﴾ ﴾[ق:٦-٨].

الثالثة: الفوز بالجنة في الآخرة: ﴿ وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿٣٢﴾ مَّنْ خَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ۖ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُلُودِ ﴿٣٤﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾ ﴾[ق:٣١-٣٥].

والإنابة عبادة لله عز وجل، وصرفها لغير الله شرك، والخشية عبادة لله عز وجل، ومن صرفها لغير الله فهو مشرك، والخوف عبادة الله عز وجل، ومن صرفه لغير الله فقد أشرك، وهكذا سائر العبادات القلبية والبدنية، لا تصرف إلا لله وحده، ومن صرفها لغيره فقد أشرك: ﴿ وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾ ﴾[المؤمنون:١١٧].

والإنابة إلى الله عز وجل عبادة قلبية تجمع أربعة أمور هي:

محبة الله عز وجل.. والخضوع له.. والإقبال على الله.. والإعراض عما سواه.

فمن اجتمعت فيه هذه الأمور الأربعة فهو منيب إلى الله عز وجل، ففاز بثوابه، وسلم من عقابه: ﴿ وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ ﴾[الزمر:٥٤].

والإنابة من أجلِّ أنواع العبادات القلبية، وهي أعلى منزلة من التوبة، لأن التوبة هي الإقلاع عن الذنب، والندم على ما فات من الذنب، والعزم على أن لا يعود إليه أبدا: ﴿ فَمَن تَابَ مِنۢ بَعْدِ ظُلْمِهِۦ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٩﴾ ﴾[المائدة:٣٩].

والإنابة تدل على كل ذلك، وتدل على الإقبال على الله بأنواع العبادات والطاعات والقربات: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱجۡتَنَبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعۡبُدُوهَا وَأَنَابُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰۚ فَبَشِّرۡ عِبَادِ ١٧ ٱلَّذِينَ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقَوۡلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحۡسَنَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ١٨﴾[الزمر:١٧-١٨].

الإنابة هي الرجوع إلى الله بالتوبة، والاستقامة على طاعته.

وحقيقة الإنابة هي الرجوع إلى الله، والإقبال عليه، والإعراض عما سواه.

الإنابة هي الإسراع إلى مرضاة الله، والرجوع إليه في كل وقت، وإخلاص العمل له في كل حال: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ٥﴾[البينة:٥].

والإنابة تملأ القلب بحب الله، وخوفه، ورجائه، وتعظيمه، وإجلاله، وحمده، والثناء عليه، والحياء منه، وحب عبادته: ﴿إِنَّمَا يُؤۡمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِهَا خَرُّواْۤ سُجَّدٗا وَسَبَّحُواْ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ۩ ١٥ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمۡ عَنِ ٱلۡمَضَاجِعِ يَدۡعُونَ رَبَّهُمۡ خَوۡفٗا وَطَمَعٗا وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ١٦ فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٧﴾[السجدة:١٥-١٧].

والإنابة إلى الله هي عبادة الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام، لأنهم أعرف الخلق بالله، وأصدقهم إيمانا بالله، وأشدهم حبا لله، وخوفا منه، ورجاءً له، وخشية له، وتوكلًا عليه: ﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ٩٠﴾[الأنبياء:٩٠].

فقد أثنى الله عز وجل على خليله إبراهيم ﷺ بالإنابة إليه بقوله: ﴿إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٞ مُّنِيبٞ ٧٥﴾[هود:٧٥].

ومن دعاء الخليل ﷺ: ﴿رَّبَّنَا عَلَيۡكَ تَوَكَّلۡنَا وَإِلَيۡكَ أَنَبۡنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ٤﴾[الممتحنة:٤].

وقال عز وجل عن نبيه داوود ﷺ: ﴿وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسۡتَغۡفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّۤ رَاكِعٗاۤ وَأَنَابَ۩ ٢٤﴾[ص:٢٤].

وقال ﷻ عن نبيه سليمان ﷺ: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾﴾ [ص:٣٤].

وقال ﷻ عن شعيب ﷺ: ﴿وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾﴾ [هود:٨٨].

وقال ﷻ عن رسوله محمد ﷺ: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّى عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿١٠﴾﴾ [الشورى:١٠].

وقد أمره الله باقتفاء طريق المنيبين إليه بقوله سبحانه: ﴿وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۚ﴾ [لقمان:١٥].

وإذا كانت عبودية الإنابة هي أعظم عبوديات الأنبياء والمرسلين، وهم أفضل الخلق، وأقربهم إلى الله منزلة وطاعة وعبادة، فحري بنا ونحن أهل التقصير والتفريط والغفلة أن ننيب إلى ربنا إنابةً نرجو بها القربة من الله، ونيل رضاه، والفوز بالجنة، والنجاة من النار وغفران الذنوب: ﴿وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ وَٱتَّبِعُوٓا۟ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [الزمر:٥٤-٥٥].

وقال الله عز وجل: ﴿وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿١٣٦﴾﴾ [آل عمران:١٣٣-١٣٦].

٢- منزلة الإنابة

الإنابة إلى الله عز وجل من أعظم منازل العبودية لله جل جلاله، فمن وفقه الله للتوبة النصوح، نزل في جميع منازل الإسلام، فإذا استقرت قدمه في منزلة التوبة، نزل بعدها في منزلة الإنابة، وهي الرجوع إلى الله في كل شيء.

والإنابة عبادة قلبية عظيمة، مدح الله أهلها، وبشرهم بالهداية والسعادة: ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى فَبَشِّرْ عِبَادِ (١٧) الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ (١٨)﴾ [الزمر:١٧-١٨].

والإنابة إلى الله عز وجل من أعظم أسباب دخول الجنة، والنجاة من النار، كما قال سبحانه: ﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ (٣١) هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ (٣٢) مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ (٣٣) ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ (٣٤) لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ (٣٥)﴾ [ق:٣١-٣٥].

وقال الله عز وجل: ﴿وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ (٥٤)﴾ [الزمر:٥٤].

ولا يعتبر بالآيات، ولا يتعظ بالعبر، إلا من أناب إلى الله عز وجل: ﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ (٦) وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ (٧)﴾ [ق:٦-٧].

والإنابة إلى الله عز وجل هي مفتاح الهداية والسعادة في الدنيا والآخرة: ﴿قُلْ إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ (٢٧)﴾ [الرعد:٢٧].

ولأهمية الإنابة أمر الله بها جميع الخلق بقوله: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٣٠) مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ

ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًاۖ كُلُّ حِزْبِۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾﴾[الروم: ٣٠-٣٢].

وكانالنبي ﷺ أكثر الناس إنابة إلى ربه، وأحسنهم عبادة له، وكان من دعائه إذا قام من الليل يتهجد : «اللَّهُمَّ لكَ الحَمْدُ أنْتَ نُورُ السَّمَوَاتِ والأرْضِ، ولَكَ الحَمْدُ أنْتَ قَيِّمُ السَّمَوَاتِ والأرْضِ، ولَكَ الحَمْدُ أنْتَ رَبُّ السَّمَوَاتِ والأرْضِ ومَن فِيهِنَّ، أنْتَ الحَقُّ، ووَعْدُكَ الحَقُّ، وقَوْلُكَ الحَقُّ، ولِقَاؤُكَ الحَقُّ، والجَنَّةُ حَقٌّ، والنَّارُ حَقٌّ، والنَّبِيُّونَ حَقٌّ، والسَّاعَةُ حَقٌّ، اللَّهُمَّ لكَ أسْلَمْتُ، وبِكَ آمَنْتُ، وعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وإلَيْكَ أنَبْتُ، وبِكَ خَاصَمْتُ، وإلَيْكَ حَاكَمْتُ، فَاغْفِرْ لي ما قَدَّمْتُ وما أخَّرْتُ، وما أسْرَرْتُ وما أعْلَنْتُ، أنْتَ إلَهِي لا إلَهَ إلَّا أنْتَ» متفق عليه [1].

والإنابة إلى الله ﷻ أعلى منزلة من التوبة، فالتوبة هي الرجوع عن المخالفات، والإنابة هي الرجوع إلى الله ﷻ في كل حال، الرجوع في التوبة رجوع اعتذار ، والرجوع في الإنابة رجوع إقبال على الله، بامتثال الأوامر، واجتناب المناهي.

والتائب قد يعود إلى الذنب، لكن المنيب إلى الله دأبه الإكثار من الطاعات والعبادات، وإن وقع في معصية تاب وأناب إلى ربه فورًا .

والتوكل على الله نصف الدين، والإنابة إلى الله النصف الثاني، ومن حقق التوكل والإنابة فقد حقق كمال العبودية لله، فالدين كله استعانة وعبادة، فالتوكل هو الاستعانة، والإنابة هي العبادة، كما قال سبحانه:﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾﴾[الفاتحة: ٢-٥].

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٧٤٩٩) ومسلم برقم (٧٦٩) .

٣- أنواع الإنابة

الإنابة إلى الله ﷻ نوعان:

الأول: إنابة لربوبيته جل جلاله، وهي إنابة جميع المخلوقات لربها، إنابة خضوع واستسلام لله جل جلاله.

ويشترك في هذه الإنابة المؤمن والكافر، والبر والفاجر، وهي لا تستلزم الإسلام، كما قال سبحانه: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ (١٨)﴾ [الحج:١٨].

وقال الله ﷻ: ﴿وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا أَذَاقَهُمْ مِنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ (٣٣) لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ (٣٤)﴾ [الروم:٣٣-٣٤].

الثانية: إنابة لألوهيته سبحانه، إنابة عبودية ومحبة وتعظيم وذل لله ﷻ، وهي إنابة المؤمنين من الأنس والجن: ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى فَبَشِّرْ عِبَادِ (١٧) الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ (١٨)﴾ [الزمر:١٧-١٨].

وهذه الإنابة تتضمن أربعة أمور:

محبة الله ﷻ، والخضوع له، والإقبال عليه، والإعراض عما سواه: ﴿وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ (٥٤)﴾ [الزمر:٥٤].

والمنيب هو المسرع إلى مرضات الله، الراجع إليه كل وقت، المتقدم إلى محابه: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٧١)﴾ [التوبة:٧١].

وقد وعد الله هؤلاء بالجنة والرضوان كما قال سبحانه: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (٧٢)﴾ [التوبة:٧٢].

٤ - درجات الإنابة

الإنابة إلى الله على ثلاث درجات :

الأولى :الإنابةإلى الله من الكفر إلى الإيمان، ومن الشرك إلى التوحيد، ومن أناب هذه الإنابة فهو من أهل الإنابة والهداية الذين قال الله فيهم :﴿وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ ۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٨﴾﴾[الزمر:١٧-١٨].

الثانية: إنابة المتقين، وهي الإنابة إلى الله من المعصية إلى الطاعة، ومن لم يأت بهذه الإنابة فهو من الذين أسرفوا على أنفسهم بالمعاصي من عصاة المسلمين، كما قال سبحانه:﴿ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾﴾[الزمر:٥٣-٥٤].

الثالثة: إنابة المحسنين، وهي الإنابة التي تحمل المنيب على كثرة ذكر الله، وحمده وشكره، وحسن عبادته، والتوبة إليه، والإقبال على الله بأنواع الطاعات، والتذكر النافع، والتفكر في آيات الله ومخلوقاته، والاتعاظ بمواعظ القرآن، ونحو ذلك مما يثمر للعبد حب الله ﷻ،وخشيته، وتعظيمه، والخضوع له، والذل له، فيعبد الله بصفة الإحسان كأنه يراه بصفات جلاله وجماله وكماله، وينال أعظم أجره وثوابه: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾[الأنفال:٢-٤].

ومن وصل إلى هذه الدرجة سلّم قلبه وبدنه لمولاه، واشتغل بما يحبه ويرضاه، وأعرض عن كل ما سواه: ﴿فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَلَهُۥٓ أَسْلِمُوا۟ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾﴾ [الحج:٣٤].

وهذه الإنابة أحسن الإنابات، وأعظمها، وأكملها، وأحبها إلى الله عز وجل، لما تثمره من كثرة التوبة والاستغفار، والرجوع إلى الله، وحسن الإقبال عليه، والمسارعة إلى أنواع عبادته، ولذلك كانت من أخص صفات أصفيائه من خلقه، وهم الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام ،كما قال الله عز وجل عن إبراهيم ﷺ :﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ ﴿٧٥﴾﴾[هود:٧٥].

وقال عن شعيب ﷺ :﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا ۚ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ ۚ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾﴾[هود:٨٨].

وقال عن محمد ﷺ :﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿١٠﴾﴾ [الشورى:١٠].

ومن دعاء النبي ﷺ في تهجده :«اللَّهُمَّ لكَ أَسْلَمْتُ، وبِكَ آمَنْتُ، وعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وإِلَيْكَ أَنَبْتُ، وبِكَ خَاصَمْتُ، وإِلَيْكَ حَاكَمْتُ، فَاغْفِرْ لي ما قَدَّمْتُ وما أَخَّرْتُ، وما أَسْرَرْتُ وما أَعْلَنْتُ، أَنْتَ إِلَهِي لا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ» متفق عليه (١).

---

(١)**متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٧٤٩٩) ومسلم برقم (٧٦٩) .

٥ - علامات الإنابة

للإنابة إلى الله ﷻ علامات تدل على صاحبها :

الأولى: المسارعة إلى أنواع الطاعات والعبادات، وتوجع قلب العبد وتألمه عند وقوع الذنوب منه، والتوبة السريعة منها، وعدم الإصرار عليها: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ١٣٥ أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغۡفِرَةٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَجَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ ١٣٦﴾ [آل عمران:١٣-١٣٦].

الثانية: شدة التحسر على فوات أو تأخير الفرائض والواجبات والنوافل، والحرص على أدائها فوراً، لما في قلوبالمؤنين من محبة الله، وتعظيمه، وتعظيم أمره: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنۡ خَشۡيَةِ رَبِّهِم مُّشۡفِقُونَ ٥٧ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ يُؤۡمِنُونَ ٥٨ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمۡ لَا يُشۡرِكُونَ ٥٩ وَٱلَّذِينَ يُؤۡتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمۡ وَجِلَةٌ أَنَّهُمۡ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ رَٰجِعُونَ ٦٠ أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَهُمۡ لَهَا سَٰبِقُونَ ٦١﴾ [المؤمنون:٥٧-٦١].

وهذا سيد المنيبين ﷺ يقول عن المشركين يوم الخندق لما شغلوه عن الصلاة: «مَلأَ اللهُ قُبُورَهُمْ وبُيُوتَهُمْ نارًا، كما شَغَلُونَا عن صَلاَةِ الوُسْطَى حتَّى غَابَتِ الشَّمْسُ» متفق عليه [١] .

الثالثة: كثرة التوبة والاستغفار، والتطهر من الذنوب التي بين العبد وربه، والذنوب التي بين العبد وخلقه، وأداء الحقوق قبل فوات الأوان : ﴿أَلَمۡ يَأۡنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخۡشَعَ قُلُوبُهُمۡ لِذِكۡرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلۡحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلُ فَطَالَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَمَدُ فَقَسَتۡ قُلُوبُهُمۡۖ وَكَثِيرٞ مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ ١٦ ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٦٣٩٦) ومسلم برقم (٦٢٧) .

بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ قَدۡ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴿١٧﴾﴾[الحديد:١٦-١٧].

الرابعة: عدم احتقار أهل الغفلة والمعاصي، والاهتمام بالنفس وتزكيتها، فيخاف على نفسه وهو في الطاعة، ويرجو للعصاة التوبة والإنابة وهم في المعصية: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ ﴿١٢﴾﴾[الملك:١٢].

وقال عز وجل: ﴿وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلۡهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقۡوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾﴾[الشمس:٧-١٠].

الخامسة: القيام بالأعمال الصالحة مع شدة الخوف من عدم قبولها، لما قد يكون فيها من الرياء أو السمعة أو العجب: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنۡ خَشۡيَةِ رَبِّهِم مُّشۡفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ يُؤۡمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمۡ لَا يُشۡرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤۡتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمۡ وَجِلَةٌ أَنَّهُمۡ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَهُمۡ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴿٦١﴾﴾[المؤمنون:٥٧-٦١].

السادسة: وجل القلب عند ذكر الله، وصدق التوكل عليه، والمبادرة إلى الأعمال الصالحة، بأنواعها في أوقاتها: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَمَغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ﴿٤﴾﴾[الأنفال:٢-٤].

السابعة: لزوم بيوت الله ﷻ، والإكثار من ذكر الله، والحرص على مجالس الذكر والوعظ: ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا ﴿٢٨﴾﴾[الكهف:٢٨].

الثامنة: الحرص على الاقتداء الكامل بالرسول ﷺ في توحيده وإيمانه، وأقواله وأعماله، وأخلاقه وسائر ما جاء به: ﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا ﴿٢١﴾﴾[الأحزاب:٢١].

٦ - الأسباب المعينة على الإنابة

الإنابة إلى الله ﷻ هي أعظم عبوديات القلب بعد الإيمان .

ومن الأسباب المعينة على تحصيل الإنابة ما يلي :

الأول: العلم بالله، وأسمائه الحسنى، وصفاته العلا، وأفعاله الحميدة .

فمن عرف الله آمن به ووحده، وكبره وعظمه، وأحبه ومجده، وحمده وشكره، وتاب إليه، وأناب إليه :﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ١٩ ﴾[محمد:١٩].

الثاني: النظر في آيات الله في الكون، وما فيها من الإبداع والإتقان والإحكام : ﴿ أَفَلَمۡ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوۡقَهُمۡ كَيۡفَ بَنَيۡنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٖ ٦ وَٱلۡأَرۡضَ مَدَدۡنَٰهَا وَأَلۡقَيۡنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ ٧ تَبۡصِرَةٗ وَذِكۡرَىٰ لِكُلِّ عَبۡدٖ مُّنِيبٖ ٨ ﴾[ق:٦-٨].

وقال ﷻ: ﴿ هُوَ ٱلَّذِي يُرِيكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزۡقٗاۚ وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ ١٣ ﴾[غافر:١٣].

الثالث: التدبر لآيات الله في كتابه العظيم، وما فيها من الأخبار الصادقة، والأحكام الحسنة، ومن عرف ذلك علم أنها تنزيل من حكيم خبير بمصالح عباده، فآمن به، وأناب إليه، ولزم تقواه، وخافه ورجاه :﴿ إِنَّمَا يُؤۡمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِهَا خَرُّواْۤ سُجَّدٗاۤ وَسَبَّحُواْ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ ۩ ١٥ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمۡ عَنِ ٱلۡمَضَاجِعِ يَدۡعُونَ رَبَّهُمۡ خَوۡفٗا وَطَمَعٗا وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ١٦ فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٧ ﴾[السجدة:١٥-١٧].

الرابع: العلم بسيرة الأنبياء والمرسلين، وما هم عليه من كمال الإيمان والتقوى، والتوبة والإنابة، للاقتداء بهم في إيمانهم وتقواهم وصفاتهم :﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًاۖ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰلَمِينَ ٩٠ ﴾[الأنعام:٩٠].

الخامس:لزوم بيئة الإيمان والأعمال الصالحة، والانقطاع عن بيئة الغفلة والشهوات :﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا ٢٨﴾[الكهف:٢٨].

السادس:الإكثار من ذكر الله في كل حال، فمن ذكر الله أطاعه ولم يعصه :﴿وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلۡ إِلَيۡهِ تَبۡتِيلٗا ٨ رَّبُّ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذۡهُ وَكِيلٗا ٩﴾ [المزمل:٨-٩].

السابع:الإكثار من ذكر الموت وأهوال يوم القيامة .

فمن ذكر ذلك أناب إلى ربه، وعمل لآخرته، واتقى ربه الذي سيرجع إليه:﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ٢٨١﴾[البقرة:٢٨١].

وقال النبي ﷺ «أكثروا ذكر هادم اللذات»أخرجه الترمذي وابن ماجة[1].

---

(١)صحيح: أخرجه الترمذي برقم (٢٣٠٧) وابن ماجة برقم (٤٢٥٨) .

٧- ثمرات الإنابة

للإنابةإلى الله عز وجل فوائد عظيمة، وثمرات جليلة .

فالإنابة إلى الله عز وجل هي سبيل الهداية، وهي سبب للتذكر والتبصر، والبعد عن الغفلة والمعاصي، وبالإنابة تتحقق سعادة المرء في الدنيا والآخرة :﴿ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾﴾[الشورى:١٣].

والإنابة تملأ القلب بحب الله، وخوفه، ورجائه، والإكثار من ذكر الله، وشكره وحسن عبادته، والإقبال على الطاعات، والبعد عن المعاصي والمنكرات، كما قال الله عن الأنبياء:﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾[الأنبياء:٩٠].

والإنابة تثمر حب الرب للعبد، وحب العبد للرب، ورضا الله عن المؤمنين، ورضاهم عن الله :﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾ جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ ﴿٨﴾﴾[البينة:٧-٨].

وتثمر الإنابة خشية الله وتقواه، والفوز بالجنة، والنجاة من النار :﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿٣٢﴾ مَّنْ خَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ۖ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُلُودِ ﴿٣٤﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾﴾ [ق:٣١-٣٥].

والإنابة سبب لصلاح القلب، وطمأنينة النفس، وتطهير العبد من كثير من الأدواء والعلل :﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ ﴿٢٩﴾﴾[الرعد:٢٨-٢٩].

﴿رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤﴾﴾[الممتحنة:٤].

اللهم لك أسلمنا، وبك آمنا، وعليك توكلنا، وإليك أنبنا، فاغفر لنا ما قدمنا وما أخرنا .

عبادات القلوب

في ضوء القرآن والسنة

العبادة الحادية والثلاثون

عبادة الاستغناء بالله عَزَّ وَجَلَّ

وتشتمل هذه العبادة العظيمة على المباحث الآتية :

الأول : غنى الله عز وجل.

الثاني : فقه الاستغناء بالله عز وجل.

الثالث : حقيقة الاستغناء بالله عز وجل.

الرابع : علامات الاستغناء بالله عز وجل.

الخامس : الأسباب المعينة على تعلق القلب بالله وحده.

العبادة الحادية والثلاثون

عبادة الاستغناء بالله عز وجل

١ - غنى الله عز وجل

الله عز وجلهو الملك الحق الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الحميدة وله الملك كله، وله الخلق كله، وبيده الأمر كله: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝١﴾ [الملك:١].

هو سبحانه الغني عن كل أحد، الذي يحتاج إليه كل أحد في خلقه ورزقه، وبقائه وفنائه، وحياته وموته: ﴿لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ۝٢٦﴾ [لقمان:٢٦].

وغنى الله ﷻغنى ذاتي لازم لا ينفك عنه، وغناه سبحانه لا أول له ولا آخر، ولا بداية له ولا نهاية، وخزائن الغني سبحانه لاتنفذ أبدًا، ولا تنقص أبدًا، مع كثرة الإنفاق والعطاء في كل وقت: ﴿سُبْحَٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ۖ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ﴾ [يونس:٦٨].

وَعَنْ أَبِي ذَرٍ رضي الله عنه عَنِ النبيِّ ﷺ، فِيما رَوَى عَنِ الله تَبارَكَ وَتَعالَى أَنَّهُ قالَ: «يا عِبادِي إنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ على نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بيْنَكُمْ محُرَّمًا، فلا تَظالمُوا، يا عِبادِي كُلُّكُمْ ضَالٌّ إلَّا مَن هَدَيْتُهُ، فَاسْتَهْدُوني أَهْدِكُمْ، يا عِبادِي كُلُّكُمْ جائِعٌ، إلَّا مَن أَطْعَمْتُهُ، فَاسْتَطْعِمُوني أُطْعِمْكُمْ، يا عِبادِي كُلُّكُمْ عارٍ، إلَّا مَن كَسَوْتُهُ، فَاسْتَكْسُوني أَكْسُكُمْ، يا عِبادِي إنَّكُمْ تُخْطِئُونَ باللَّيْلِ وَالنَّهارِ، وَأَنا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا، فَاسْتَغْفِرُوني أَغْفِرْ لَكُمْ، يا عِبادِي إنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضَرِّي فَتَضُرُّوني وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي فَتَنْفَعُوني.

يا عِبادِي لو أنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وإنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كانُوا على أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنكُمْ، ما زَادَ ذلكَ في مُلْكِي شيئًا، يا عِبادِي لو أنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وإنْسَكُمْ

وَجِنَّكُمْ كَانُوا على أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ، ما نَقَصَ ذلكَ مِن مُلْكِي شيئًا، يا عِبَادِي لو أنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ قَامُوا في صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي فأعْطَيْتُ كُلَّ إنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ، ما نَقَصَ ذلكَ ممَّا عِندِي إلَّا كما يَنْقُصُ المِخْيَطُ إذَا أُدْخِلَ البَحْرَ، يا عِبَادِي إنَّما هي أَعْمالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ، ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ إيَّاهَا، فَمَن وَجَدَ خَيْرًا، فَلْيَحْمَدِ اللهَّ وَمَن وَجَدَ غيرَ ذلكَ، فلا يَلُومَنَّ إلَّا نَفْسَهُ»أخرجه مسلم (١).

فالله ﷻ هو الغني بذاته عن كل ما سواه، وكل ما سواه فقير إلى الله بالذات :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾﴾[فاطر:١٥].

والله ﷻ غني عن الخلق وعباداتهم، طاعاتهم لا تنفعه، ومعاصيهم لاتضره: ﴿وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦﴾﴾[العنكبوت:٦].

فاستصحب يا عبد الله في جميع أحوالك أن الله غني عنك، وعن عبادتك، وعن الخلق أجمعين، وأنك أنت الفقير إليه في جميع أحوالك :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾﴾[فاطر:١٥].

فالخلائق كلهم بلا استثناء فقراء إلى الله عز وجل وحده :﴿ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾[غافر:٦٥].

هو الملك الغني عن كل ما سواه، العرش ومن يطوف به ويحمله من الملائكة فقراء إلى الله،والسموات السبع وما فيها من الملائكة فقراء إلى الله، والأرضون السبع ومافيها من الجمادات، والنباتات، والحيوانات، والجِّن، والإنس، والذرات، والمجرات وغيرهم مما خلق الله كلهم فقراء إلى الله في خلقهم،وإيجادهم،وأرزاقهم،وبقائهم،وفنائهم:﴿ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٦﴾﴾[لقمان:٢٦].

فكل ما سوى الله ﷻ فقير إلى الله عز وجل بالذات:الملوك في ملكهم، والأغنياء في أموالهم،والأقوياء في أبدانهم،كلهم فقراء إلى رب الأرض والسماء:

---

(١)أخرجه مسلم برقم (٢٥٧٧).

﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ١٥ ﴾[فاطر:١٥].

فالله عز وجل هو الغني عن كل ما سواه، وأنت الفقير إليه، المحتاج إليه، فالصلاة من أجل أن تتصل به، لتستفيد من خزائنه، وتستنير بنوره، وعبادتك من أجل مصلحتك أنت، طاعاتك لا تنفعه، ومعاصيك لا تضره، ولكن إن أطعته فعلت الخير لنفسك، وإن عصيته مازدت على أن سببت الشر والتعاسة لنفسك، لن تفيده بطاعتك، ولن تضره بمعصيتك، طاعتك لك، ومعصيتك عليك: ﴿وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفۡسِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦﴾[العنكبوت:٦].

وقال ﷻ: ﴿**مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشۡرُ أَمۡثَالِهَاۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجۡزَىٰٓ إِلَّا مِثۡلَهَا وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ١٦٠**﴾[الأنعام:١٦٠].

فأيها العبد الفقير أنت محتاج إلى ربك الغني، وأيها العبد الضعيف أنت محتاج إلى ربك القوي، وأيها العبد العاجز أنت محتاج إلى ربك القادر،وأيها العبد المريض أنت محتاج إلى ربك الشافي،وأيها العبد المذنب أنت محتاج إلى ربك الغفور الرحيم ليغفر لك ذنوبك :﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ١٥ ﴾[فاطر:١٥].

فاستغن بالله يحقق لك ما تريد، واستغن بالله يغنيك عن كل ما سواه، ولا يكونن أحد أغنى بالله منك، ولا يكونن أحد أفقر إلى الله منك.

ولا يكونن أحد أقرب إلى الله منك، وسل الله ما تحتاج، فإنه قاض الحاجات، ومجيب الدعوات، وكاشف الكربات:﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لِي وَلۡيُؤۡمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمۡ يَرۡشُدُونَ ١٨٦ ﴾[البقرة:١٨٦].

٢ - فقه الاستغناء بالله جل جلاله

الاستغناء بالله عز وجل هو التعلق بالله وحده، والتوكل عليه وحده، وعدم الالتفات إلى ما سواه: ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ٥٠ وَلَا تَجۡعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ٥١﴾ [الذاريات: ٥٠-٥١].

والقلب إذا عرف ربه بأسمائه الحسنى، وصفاته العلا، وأفعاله الحميدة، آمن به، وأحبه، وعظمه، وكبره، وحمده، وشكره، وخضع لعظمته، وذل لعزته، وتصاغر لكبريائه، وتوكل عليه وحده، واغتنى به عن كل ما سواه، وسارع إلى كل ما يحبه ويرضاه، وأخلص له في عبادته: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ١٩﴾ [محمد: ١٩].

وعلى قدر تعلق القلب بالمخلوقين، وانجذابه إليهم، واحتياجه إليهم، يكون نقص تعلقه بربه الغني الكريم، ويحصل له العذاب والألم، والشقاء والنكد، والهموالتعب: ﴿فَلَا تَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُعَذَّبِينَ ٢١٣﴾ [الشعراء: ٢١٣].

وقال الله ﷻ: ﴿لَّا تَجۡعَلۡ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقۡعُدَ مَذۡمُومٗا مَّخۡذُولٗا ٢٢﴾ [الإسراء: ٢٢].

مذمومًا لا حامد لك، مخذولًا لا ناصر لك.

والاستغناء بالله وحده، والتعلق بالله وحده، وعدم الالتفات إلى غيره، هو ثمرة معرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلۡأَمۡرُ بَيۡنَهُنَّ لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا ١٢﴾ [الطلاق: ١٢].

وإذا علمتم ذلك آمنتم بالله وحده، وتوكلتم عليه وحده، وأخلصتم له العبادة وحده.

والاستغناء بالله من لوازم الإيمان بأسماء الله الملك العزيز الجبار، الغني الكريم الوهاب، القوي القادر القهار، فمن عرف ربه الملك استغنى به عن كل العبيد،

ومن عرف ربه العزيز ذل له وحده، ومن عرف ربه الجبار خضع له، ومن عرفربهالغني استغنى به عما سواه، ومن عرف الكريم وقف ببابه، ومن عرف الوهاب سأله من فضله،واستوهبه من خزائنه، ومن عرف القوي استغنى به، ولاذ بحماه، ومن عرف القادر استعان به في جميع أموره، ومن عرف الرحمن استرحمه، ومن عرف الغفور استغفره، ومن عرف التواب تاب إليه: ﴿هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾[غافر:٦٥].

وإذا علم العبد أن ربه له الملك كله، وإليه يرجع الأمر كله، وبيده الخير كله، وهو وحده القادر على دفع الشر كله، آمن بالله، وتوكل عليه، واستغنى بالله وحده، ولم يلتفت قلبه إلى أحد سواه، وتعلق قلبه بالله وحده، لأنه يعلم أن الله كافيه من كل ما سواه :﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾﴾ [الطلاق:٢-٣].

ومن عرف الله حقًا، تعلق بالله وحده، وكثرت طاعاته له، وقلت معاصيه، وأحسن الظن بربه، ورضي بشرعه وقدره، وزادت ضراعته لربه، والتسليم لأمره، وعظمت رغبته فيما عنده، فسارع إلى امتثال أوامره، واجتناب نواهيه، بكمال الحب والتعظيم والذل له، ففاز بأعلى الدرجات عنده:﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾[الأنفال:٢-٤].

وأكرمه الله بأن رضي الله عنه، وأرضاه عنه، وأسكنه جنته: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾ جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ ﴿٨﴾﴾[البينة:٧-٨].

وإذا علم الله من عبده الاستغناء به، والافتقار إليه، والتعلق به وحده، تحمل حوائجه كلها، وحمل عنه كل ما أهمه، وصرف عنه كل ما يشغله عن ربه، وفرغ قلبه لمحبته، وفرغ لسانه لذكره، وفرغ جوارحه لطاعته وعبادته، وأوصله إلى أعلى الدرجات في دار كرامته: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ (١٥) تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (١٦) فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٧)﴾ [السجدة: ١٥-١٧].

ومن أمن بالله العظيم، وانقاد لشرعه العظيم، نال ثوابه العظيم، وفاز برضوانه: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٧١) وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (٧٢)﴾ [التوبة: ٧١-٧٢].

٣- حقيقة الاستغناء بالله جل جلاله

من استغنى بالله أغناه، ومن لجأ إلى الله حماه، ومن توكل عليه كفاه، ومن سأله أعطاه: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنعام:١٠٢-١٠٣].

وحقيقة الاستغناء بالله تظهر على المؤمن إذا توالت عليه المصائب، وحلت به النكبات، وأحاطت به الهموم والغموم، فلا يشكو حاله إلا لله، كما قال يعقوب ﷺ لأبنائه: ﴿قَالَ إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّي وَحُزْنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾﴾ [يوسف:٨٦].

والله عليم حكيم، يبتلي عباده بالمصائب، ليذكرهم به، ويرد قلوبهم إلى التعلق به وحده: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [البقرة:١٥٥-١٥٧].

وتظهر حقيقة التعلق بالله وحده، والاستغناء به عما سواه، إذا كاد للمؤمن الكائدون، وحسده الحاسدون، أو ضيق عليه الظالمون، أو اعتدى عليه المعتدون، أو تسلطت عليه الهموم، أو ركبته الديون، أو نزلت به المصائب، أو سكن المرض في جسده، أو تعب من تربية ولده، أو عضه الجوع بأنيابه، فهنا ينطلق هذا المؤمن الصادق الذي تعلق قلبه بربه إلى مصلاه، ويبث شكواه إلى من يعلم سره ونجواه، بقلب خلا من كل شيء إلا من الله، وخاب ظنه في كل شيء إلا في الله، وأيس من كل فرج إلا فرجاً يأتي به الله: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾ [البقرة:١٨٦].

فإذا بالفرج يطرق بابه، وإذا بالخير ينزل داره، وإذا بالطمأنينة تسكن قلبه، وإذا بالهموم والمصائب ترحل عنه: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمۡ وَحُسۡنُ مَـَٔابٖ ﴿٢٩﴾﴾ [الرعد: ٢٨-٢٩].

ومن أراد أن يعرف أن قلبه متعلقٌ بالله وحده لا شريك له، فلينظر إلى حاله إذا نزلت به المصائب هل يفزع إلى الله، أم إلى خلق الله؟: ﴿وَلَنَبۡلُوَنَّكُم بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلۡخَوۡفِ وَٱلۡجُوعِ وَنَقۡصٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [البقرة: ١٥٥-١٥٧].

هل يشكو حاله إلى الخالق، أم إلى المخلوق؟ : ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَمَغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال: ٢-٤].

التعلق بالله وحده، والاستغناء بالله وحده، والتوكل على الله وحده، من أعظم عبادات القلوب.

ذلك هو العزة التي لا ذلة معها، هو الأمن الذي لا يصحبه خوف، هو الطمأنينة التي لا يشوبها قلق، هو السكينة التي لا فزع معها، هو الراحة التي لا شقاء بعدها: ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجۡعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ﴿٥١﴾﴾ [الذاريات: ٥٠-٥١].

ما تعلق عبد بربه العظيم، ثم شكى حاله إلى ربه الكريم، إلا أجابه وأعطاه فوق ما تمناه: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ﴿٢﴾ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦۚ قَدۡ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيۡءٖ قَدۡرٗا ﴿٣﴾﴾ [الطلاق: ٣].

وقال النبي ﷺ: «وَمَن يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ اللهُ، وَمَن يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللهُ، وَمَن يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ

اللهُ، وما أُعْطِيَ أحَدٌ عَطَاءً خَيْرًا وأَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ» متفق عليه [1].

وأكمل الناس عبودية لله من استغنى بالله وحده، واستغنى عن جميع الناس برب الناس: ﴿ هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦٥ ﴾[غافر:٦٥].

ومن عرف الله حقا استغنى به عما سواه: ﴿ أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبۡدَهُۥۖ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٖ ٣٦ ﴾[الزمر:٣٦].

ومن عرف الله عز وجل استسلم له ولأمره، ففاز برضوانه وجنته: ﴿فَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ فَلَهُۥٓ أَسۡلِمُواْۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُخۡبِتِينَ ٣٤ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمۡ وَٱلۡمُقِيمِي ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ٣٥ ﴾[الحج:٣٤-٣٥].

ومن استغنى بالله أسعده الله في دنياه وأخراه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ٣٠ نَحۡنُ أَوۡلِيَآؤُكُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَشۡتَهِيٓ أَنفُسُكُمۡ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ٣١ نُزُلٗا مِّنۡ غَفُورٖ رَّحِيمٖ ٣٢ ﴾ [فصلت:٣٠-٣٢].

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (١٤٦٩) ومسلم برقم (١٠٥٣).

٤ – علامات الاستغناء بالله عز وجل

الاستغناء بالله عز وجللهعلامات :

الأولى: الإكثار من ذكر الله في كل حال: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ (١٩٠) الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (١٩١)﴾ [آل عمران: ١٩٠-١٩١].

الثانية: صدق التوكل على الله وحده، ووجل القلب عند ذكره : ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٢)﴾ [الأنفال: ٢].

الثالثة: الخضوع لجميع أوامر الله، فمن تعلق قلبه بربه استغنى به، وذل لأمره، وسارع إلى طاعته، بكمال الحب والتعظيم والذل له كالأنبياء : ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ (٩٠)﴾ [الأنبياء: ٩٠].

الرابعة: الاستعداد للموت قبل نزوله، وذلك بالمسارعة إلى فعل كل ما يحبه الله ويرضاه، واجتناب كل ما نهى الله عنه، والتوبة من جميع الذنوب والمعاصي: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (٢٨١)﴾ [البقرة: ٢٨١].

الخامسة: إحسان العبادة بين يدي الله، فيقف المؤمن بين يدي ربه العظيم ناظرًا إلى عزة الربوبية، وذلة العبودية، فيعبد الله دائمًا بصفة الإحسان، والإحسان: «أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَراهُ، فإِنَّكَ إِنْ لا تَراهُ فإِنَّه يَراكَ» متفق عليه [1].

السادسة: تجديد التوبة النصوح في كل وقت، والإكثار من الاستغفار في كل وقت، فكل بني آدم خطاء، وخير الخطاءينالتوابون: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾﴾ [النساء: ١١٠].

وقال الله عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ تُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ ۖ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٨﴾﴾ [التحريم: ٨].

السابعة: إحسان الظن بالله عز وجل، فمن تعلق قلبه بربه الكريم طمع في رحمته وفضله وكرمه، ورجا حلمه وعفوه وإحسانه، فسارع إلى الإكثار من ذكره، وشكره، وحسن عبادته: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف: ١١٠].

الثامنة: الفرح بالله، والأنس به، والفرح بدينه، وحسن العاقبة عنده: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾﴾ [يونس: ٥٨].

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٥٠) ومسلم برقم (٩).

التاسعة:الحرص التام على اتباع رسوله صلى الله عليه وسلم، وعدم مخالفة أمره: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾﴾[الحشر:٧].

العاشرة: حفظ الأوقات بالأعمال الصالحة، وعدم إضاعتها فيما لاينفع، لعلمه بأن عمره قصير، والدنيا فانية، فهو يستعمل أوقاته في عمارة آخرته، ويفرح بكل ساعة يذكر فيها ربه، ويحزن ويندم على كل ساعة يغفل فيها عن ربه: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّـٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ ۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴿١٨﴾﴾ [الزمر:١٧-١٨].

الحادية عشرة :توحيد التعلق بالله عز وجل، والاستغناء به في كل حال، وعدم التعلق بسواه: ﴿فَإِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ فَلَهُۥٓ أَسْلِمُوا۟ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَٱلصَّـٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ وَٱلْمُقِيمِى ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾[الحج:٣٤-٣٥].

الثانية عشرة : شدة المحافظة على حياة قلبه، ودفع أسباب ضعفه، والحرص على رعاية أحواله، خشية سقوطه من عين ربه لأدنى زلة أو تقصير أو غفلة: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَـٰبِقُونَ ﴿٦١﴾﴾[المؤمنون:٦٠-٦١].

الثالثة عشرة : تعلق القلب ببيوت الله، فلما تعلق قلبه بربه، حنت نفسه للزوم بيته، والاشتغال بما يحبه ويرضاه من صلاة وذكر، وتلاوة قرآن، وتفكر وتدبر: ﴿فِى

﴿بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرۡفَعَ وَيُذۡكَرَ فِيهَا ٱسۡمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ ٣٦ رِجَالٞ لَّا تُلۡهِيهِمۡ تِجَٰرَةٞ وَلَا بَيۡعٌ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوۡمٗا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلۡقُلُوبُ وَٱلۡأَبۡصَٰرُ ٣٧ لِيَجۡزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحۡسَنَ مَا عَمِلُواْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضۡلِهِۦۗ وَٱللَّهُ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ٣٨﴾[النور:٣٦-٣٨].

الرابعة عشرة: لزوم البيئة الإيمانية التي تذكر بالله واليوم الآخر، والانقطاع عن أهل الغفلة: ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا ٢٨﴾[الكهف:٢٨].

الخامسة عشرة: كمال التوكل على الله، وتفويض الأمور كلها إليه: ﴿وَلِلَّهِ غَيۡبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَإِلَيۡهِ يُرۡجَعُ ٱلۡأَمۡرُ كُلُّهُۥ فَٱعۡبُدۡهُ وَتَوَكَّلۡ عَلَيۡهِۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ١٢٣﴾[هود:١٢٣].

٥- الأسباب المعينة على تعلق القلب بالله وحده

الأول: العلم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله، فمن عرف ربه حقًا، أحبه وتعلق قلبه به وحده، واستغنى بالله وحده، ولم يلتفت لأحد سواه: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾﴾ [محمد:١٩].

الثاني: الإكثار من ذكر الله، وتلاوة كتابه، والخوف من عقابه، والطمع في ثوابه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾﴾ [فاطر:٢٩-٣٠].

الثالث: كثرة النظر في آيات الله ومخلوقاته، والتفكر في عجائب مخلوقاته العلوية والسفلية: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾﴾ [البقرة:١٦٤].

الرابع: التدبر لآيات الله القرآنية، وما فيها من بيان عظمة أسماء الله وصفاته وأفعاله، وما جاءت به من الأخبار الصادقة، والأحكام العادلة، والشرائع الحسنة: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾ [النساء:٨٢].

وقال الله ﷻ: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾﴾ [ص:٢٩].

الخامس: العلم بعظمة ملك الله وسلطانه، وعظمة نعمه وإحسانه، وعظمة دينه وشرعه، وعظمة وعده ووعيده: ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٨﴾﴾ [ق:٦-٨].

السادس: العلم بأن الله وحده بيده مقاليد الأمور كلها، وأنه لا يعطي ولا يمنع إلا الله وحده، وأن ما شاء الله كان، ومالم يشأ لا يكون أبدًا، وأن النفع والضر بيد الله وحده لا شريك له: ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾﴾ [فاطر:٢].

وقال ﷻ: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٨﴾﴾ [الأنعام:١٧-١٨].

السابع: دعاء الله عز وجل ليعلق قلبه به، ومن سأل ربه أعطاه ما يسعده في الدنيا والآخرة: ﴿هُوَ ٱلْحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [غافر:٦٥].

الثامن: حفظ الأوقات بذكر الله، والأعمال الصالحة، من أنواع العبادات والطاعات والقربات، والدعوة إلى الله، وتعليم شرع الله، والإحسان إلى خلق الله: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [فصلت:٣٣].

وقال الله ﷻ: ﴿۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ [آل عمران:١٣٣-١٣٤].

التاسع: امتثال أوامر الله في كل حال، فمن أحب الله تعلق قلبه به، وسارع إلى امتثال أوامره، واجتناب نواهيه، ففاز برضوانه وجنته: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ

ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ خَيۡرُ ٱلۡبَرِيَّةِ ﴿٧﴾ جَزَآؤُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَشِيَ رَبَّهُۥ ﴿٨﴾﴾ [البينة:٧-٨].

العاشر : كمال العلم بصفات جلال الله وجماله، فمن عرف الله حقًا، إن خاف توجه إلى ربه فأمّن خوفه، وإن ضل سأل الله أن يهديه إلى الصراط المستقيم فهداه، وإن تألم اشتكى إلى ربه فرفع بلواه، وإن افتقر سأل ربه فأغناه بفضله عما سواه: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لِي وَلۡيُؤۡمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمۡ يَرۡشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾ [البقرة:١٨٦].

فهذه القلوب المؤمنة التي استغنت بالله، لا تعرف إلا الله، ولا تستعين إلا بالله: ﴿وَإِن يَمۡسَسۡكَ ٱللَّهُ بِضُرّٖ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَۖ وَإِن يُرِدۡكَ بِخَيۡرٖ فَلَا رَآدَّ لِفَضۡلِهِۦۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۚ وَهُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾﴾ [يونس:١٠٧].

وقال النبي ﷺ لابن عباس: «يا غلامُ ، إني أعلِّمُك كلماتٍ : احفَظِ اللهَ يحفَظْك، احفَظِ اللهَ تجِدْه تجُاهَك ، إذا سألتَ فاسألِ اللهَ ، وإذا استعنْتَ فاستعِنْ بالله ، واعلمْ أنَّ الأمةَ لو اجتمعتْ على أن ينفعوك بشيءٍ ، لم ينفعوك إلا بشيءٍ قد كتَبه اللهُ لك، وإنِ اجتمعوا على أن يضُرُّوك بشيءٍ لم يضُروك إلا بشيءٍ قد كتبه اللهُ عليك ، رُفِعَتِ الأقلامُ وجَفَّتِ الصُّحُفَ» أخرجه الترمذي وأحمد(١).

إن التعلق بالله وحده، والاستغناء به عما سواه، من أعظم عبادات القلوب التي يسعد بها العبد في دنياه وأخراه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحۡنُ أَوۡلِيَآؤُكُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَشۡتَهِيٓ أَنفُسُكُمۡ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلٗا مِّنۡ غَفُورٖ رَّحِيمٖ ﴿٣٢﴾﴾ [فصلت:٣٠-٣٢].

---

(١) صحيح: أخرجه الترمذي برقم (٢٥١٦) وأحمد برقم (٢٦٦٩).

فيا عبد الله استغن بالله وحده لاشريكله،فمن توكل على الله كفاه، ومن سأل الله أعطاه، ومن استغنى بالله أغناه: ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۖ إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ ﴿٧٩﴾﴾ [النمل:٧٩].

وقال الله ﷻ : ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾﴾[الشعراء:٢١٧-٢٢٠].

وكان ﷺيقول في دبر كل صلاة : (اللَّهُمَّ لَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ ، وَلَا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ ، وَلَا يَنْفَعُ ذَا الجَدِّ مِنْكَ الجَدُّ)أخرجه البخاري [١].

هذه القلوب التي تعلقت بالله وحده، واستغنت به عما سواه، لا تحمل هم الرزق، لأنها تعلم بأن الله هو الرزاق ذو القوة المتين :﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦﴾﴾[هود:٦].

اللهم لك أسلمت، وبك آمنت، وعليك توكلت، وإليك أنبت، فاغفر لي ما قدمت وما أخرت، لا إله إلا أنت.

اللهم آت نفوسنا تقواها، وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها.

﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٨﴾﴾ [آل عمران:٨].

---

(١)أخرجه البخاري برقم (٧٢٩٢).

عبادات القلوب

في ضوء القرآن والسنة

العبادة الثانية والثلاثون

عبادة التبتل إلى الله عز وجل

وتشتمل هذه العبادة العظيمة على المباحث الآتية :

الأول: فقه التبتل إلى الله عز وجل

الثاني: منزلة التبتل.

الثالث: أنواع التبتل.

الرابع: خطوات التبتل المشروع.

الخامس: درجات التبتل.

السادس: الأسباب المعينة على تحصيل التبتل.

السابع: ثمرات التبتل.

العبادة الثانية والثلاثون

عبادة التبتل إلى الله ﷻ

١ - فقه التبتل إلى الله ﷻ

التبتل هو الانقطاع، يقال تَبَتّل إلى الله تفرّغ لعبادته، وتنفيذ أوامره .

والتبتل في العبادة هو الانقطاع إلى الله وحده، فالمؤمن المُتبتّل إلى ربه هو الذي انقطع عن هوى نفسه وشهواته، وانفصل عن متاع الدنيا كله، فلم يعد يَمَسّ قلبه أبدًا حتى لو ملكته يده، فهو لا يشعر به، ولا يجد له لذة ولا حلاوة، لأنه منقطع عنه إلى ربه العظيم: ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ ۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ۚ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿١٨﴾﴾[الزمر:١٧-١٨].

التبتلهو العزوف عن شهوات الدنيا، والانقطاع عن كل ما يشغل العبد عن ربه، ولزوم محراب العبودية لله في كل حال: ﴿وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ﴿٨﴾ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا ﴿٩﴾﴾[المزمل:٨-٩].

التبتلهو خلوصُ القلب لله ﷻ،والانقطاع إليه، فلا مكان للدنيا في قلبه، ولا لشهوات الدنيا فيه مكان، ولا لزخرفها قيمةٌ فيه، ولا لهموم الدنيا نصيبٌ فيه: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾﴾[البينة:٥].

التبتل هو انقطاع المؤمن إلى الله، والإنابة إليه، والاستغناء به، والتوكل عليه، وعدم الالتفات إلى غيره: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ

عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [الزمر:٦٥-٦٦].

التبتل هو انفصال القلب عن الخلائق، وعن حظوظ النفس وشهواتها، والأنس بالله وحده، والتبتل إليه، والاتصاف بمحبة الله، والاشتغال بما يقرّب إليه من أنواع العبادات والقُرُبات، وغيرها مما يحبه الله ويرضاه: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ﴿٧﴾ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب ﴿٨﴾﴾ [الشرح:٧-٨].

التبتل هو الانقطاع عما سوى الله إلى الله؛ الانقطاع عن الكفر إلى الإيمان، والانقطاع عن الشرك إلى التوحيد، والانقطاع عن البدعة إلى السنّة: ﴿۞ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٢٢﴾﴾ [لقمان:٢٢].

المؤمن المتبتل يقود نفسه إلى ربه بالأعمال الصالحة التي شرعها الله، ولا تقوده نفسه إلى ما تحبه و تشتهيه، والمتبتل يسخّر طاقته كلها لله عز وجل، عبادةً ودعوة، وتعليمًا لشرعه، وإحسانًا إلى خلقه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾ وَجَٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ﴾ [الحج:٧٧-٧٨].

المؤمن المتبتل هو الذي انقطع إلى الله عز وجل انقطاعًا تامًا بحيث لا يشغله غير الله عنه، فينقطع إلى ربه، ويتفرغ لعبادته، وتنفيذ أوامره على نفسه وعلى غيره،

ومن أكثر من ذكر ربه أحبّه، وأطاعه ولم يعصه: ﴿وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ﴿٨﴾ رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا ﴿٩﴾﴾ [المزمل:٨-٩].

المؤمن المتبتل هو الذي انقطع عن الناس، وما يُشغِله عن ربه، وتفرّغ لفعل كل ما يحبه الله ويرضاه: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ [الأنعام: ١٦٢-١٦٣].

وسُميت مريم البتول لانقطاعها إلى الله، وانقطاعها عن الناس، وتفرّغها لعبادة الله ﷻ: ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ﴿٤٢﴾ يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴿٤٣﴾﴾ [آل عمران: ٤٢-٤٣].

وقيل لفاطمة بنت محمدٍ رسول الله ﷺ البتول لانقطاعها عن الدنيا لله ﷻ.

والتبتل المأمور به شرعًا هو الانقطاع عن الأعمال التي تمنع العبد أو تعوقه عن قيام الليل بين يدي ربه، وعن القيام بين يدي الخلق بالنهار بالدعوة إلى الله وتعليم شرع الله، والإحسان إلى خلق الله، والتفرّغ لأداء كل ما يحبه الله ويرضاه، مستعينًا بالله، ومتوكلًا عليه: ﴿وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ﴿٨﴾ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا ﴿٩﴾﴾ [المزمل: ٨-٩].

والتبتل الحقيقي يجمع أمرين عظيمين هما:

الاتصال والانفصال، ولا يصحّ التبتل إلى الله إلّا بهمامعاً .

فالانفصالانقطاع قلب المؤمن عن حظوظ النفس وشهواتها التي تزاحم مرادَ الرب منه، ومن التفاتِ قلبه إلى ما سوى الله خوفًا منه، أو رغبةً فيه، أو فكرًا فيه: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١٩٠﴾ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ

وَٱلۡأَرۡضِ رَبَّنَا مَا خَلَقۡتَ هَٰذَا بَٰطِلٗا سُبۡحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾﴾ [آل عمران: ١٩٠-١٩١].

والاتصال لا يصحّ إلا بعد هذا الانفصال عما سوى الله، ثم يأتي الاتصال بالله والإقبال عليه، والانقطاع إليه، وإقامة وجهه لله ﷻ حبًا له، وخوفًا منه، ورجاءً له، وتسليمًا له، وإنابةً إليه، وتوكلًا عليه: ﴿فَأَقِمۡ وَجۡهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفٗاۚ فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَاۚ لَا تَبۡدِيلَ لِخَلۡقِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ۞ مُنِيبِينَ إِلَيۡهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿٣١﴾﴾[الروم: ٣٠-٣١].

والتبتّل إلى الله ﷻ من أعظم عبادات القلوب، وهو ثمرة العلم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله، فمن عرف الله حقًا أحبه، وانقطع إليه، وتبتّل إليه، ولم يلتفت لأحدٍ سواه: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ﴿١٩﴾﴾[محمد: ١٩].

التبتل هو الانقطاع إلى الله، وهو من مقتضيات الإيمان بأسماء الله الحسنى، ومن لوازم وآثار الإيمان بأسماء اللهالملك، العزيز، الجبّار، الواحد الأحد، القهّار، القويّ، القادر، الغنيّ، الكريم، الرءوف، الرحيم، العفوّ، الغفور: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۖ هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلۡمُؤۡمِنُ ٱلۡمُهَيۡمِنُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡجَبَّارُ ٱلۡمُتَكَبِّرُۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡخَٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ ٱلۡمُصَوِّرُۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾[الحشر: ٢٢-٢٤].

فالمؤمن إذا عرف ربه الملك توجّه إليه وحده، وانقطع إليه، وإذا عرف ربه العزيز أقبل عليه، ولم يَذلّ لأحدٍ سواه، وإذا عرف ربه الجبّار خضع له، واستسلم لأمره، وإذا عرف ربه الواحد الأحد استغنى به عن كل أحد، وإذا عرف ربه القهّار خضع له، وانقاد لأمره .

وإذا عرف ربه القويّ لاذَ بحِماه، ولم يلتفت لأحدٍ سواه، وإذا عرف ربه القادر استعان به وحده، وتوكل عليه وحده، وإذا عرف ربه الغنيّ وقف ببابه، وسأله حوائجه، وإذا عرف ربه الرءوف بخلقه أحبه، وتبتّل إليه .

وإذا عرف ربه الرّحمن الرّحيم أقبل عليه، وأناب إليه، وإذا عرف ربه العفو سأله إقالة عثرته، وإذا عرف ربه الغفور أحبه واستغفره: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾ [محمد:١٩].

٢ - منزلة التبتل

التبتلعبادة من أعظم عبادات القلوب، فمن عرف الله تبتَّل إليه، وانقطع إليه .

وعبادة التبتّل والانقطاع إلى الله بالكلّية أعظم عبادات القلوب، وهذه العبادة العظيمة تلازم المؤمن المُتبتّل في كل زمان ومكان وحال، ولا تنفكّ عنه أبدًا، فهو بين الناس بجسمه، ولكن قلبه بين يدي ربه؛ يكبّره ويحمده، ويسأله ويستغفره، يكلّم الناس بلسانه، وقلبه يسبّح ربه ويمجّده، لما يراه من صفات جلاله وصفات جماله التي لا تغيب عنه، يفرح مع الناس عند فرحهم، لكن قلبه مملوء وجلًا وخوفًا وخشيةً من ربه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ ١٢﴾[الملك:١٢].

ويحزن المتبتل مع الناس عند حزنهم، لكن قلبه وفؤاده قد مُلىء أُنسًا ورضىً بما قدره الله وقضاه: ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ يَهۡدِ قَلۡبَهُۥۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ١١﴾[التغابن:١١].

فهذا المتبتل حاضرٌ غائب، وموجودٌ ومفقود :﴿إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ٢٨﴾[فاطر:٢٨].

ولتحقيق عبودية التبتل لله عز وجل لابد من العلم بأمور :

الأول: العلم بأن التبتّل إلى الله واجبٌ قلبيٌ، فمن عرف الله حقًا، تبتّل إليه، وانقطع إليه، وتوكل عليه، كما قال سبحانه: ﴿ وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلۡ إِلَيۡهِ تَبۡتِيلٗا ٨ رَّبُّ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذۡهُ وَكِيلٗا ٩﴾[المزمل:٨-٩].

الثاني:التبتّل لله يكون بالتدرّج والاستكثار من العبادات، فيروّض العبد نفسه بالعبادات تدريجيًا، لئلا تعجز نفسه، فتقعد عن العمل.

قال النبي ﷺ: «قاربوا وسدّدوا واعلموا أنه لن ينجو أحدٌ منكم بعمله، قالوا يارسول الله: ولا أنت؟ قال: ولا أنا، إلّا أن يتغمدني الله برحمةٍ منه وفضلٍ» متفق عليه[١].

---

(١)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٥٦٧٣) ومسلم برقم (٢٨١٦).

الثالث: أن التبتل لا يحصل للعبد إلا بعد معرفة عِزّة الربوبية، وذِلّة العبودية .
فمن عرف نفسه علم أنه لا يصلُح له إلّا أن يكون عبدًا، ومن عرف الله بأسمائه وصفاته وأفعاله علم أنه هو الإله الحقّ الذي لا يجوز أن يُعبَد إلا هو، ولا يُخاف إلّا هو، ولا يُرجى إلّا هو، فانقطع إليه، وأنزل حاجته به: ﴿هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [غافر: ٦٥].
الرابع: العلم بأن التبتل لله يقوم على ركنين: انفصال واتصال .
فينقطع العبد عن كل ما سوى الله، ثم يُقبل على الله، ويتبتل إليه، وينقطع إليه حبًا له، وخوفًا منه، ورجاءً له، ورغبةً إليه، وشوقًا إليه، وتوكلًا عليه: ﴿وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ﴿٨﴾ رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا ﴿٩﴾﴾ [المزمل: ٨-٩].
الخامس: العلم بأن الذي يقطع التبتل أمران:
الأول: رجاء المخلوق، فمن رجى المخلوق تعلّق قلبه به، فانقطع تبتله لربه .
وعلاج ذلك قطع الطمع فيما عند الناس، والرضا بما قسم الله لك.
الثاني: الخوف من المخلوقين، فمن خاف غير الله انقطع عن الله، وتعلّق قلبه بغير الله.
وعلاج ذلك يكون بالتسليم لله، والخوف من الله وحده، وعدم الخوف من غيره، لأن الله وحده بيده مقاليد الأمور كلها: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾﴾ [آل عمران: ١٧٥].
السادس: مخالفة هوى النفس فيما تريد مما يُخالف أمر الله ورسوله، ويقطع على العبد تبتله لربه: ﴿۞ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِىٓ ۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٣﴾﴾ [يوسف: ٥٣].
وقال الله ﷻ: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾﴾ [النازعات: ٤٠-٤١].

٣- أنواع التبتل

التبتل نوعان:

الأول: تبتلٌ محمودٌ مشروعٌ:

وهو الانقطاع إلى الله، مع إخلاص العبادة له، والأخذ من الدنيا بقدر الحاجة، والانقطاع إلى الله بقدر الطاقة؛ بامتثال أوامره، واجتناب نواهيه، وإخلاص العبادة له: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾﴾ [الحشر:٧].

وهذا التبتل الذي أمر الله به، وسار عليه رسله، وأنبياؤه، وأولوا العلم، والصالحون من المؤمنين، امتثالا لأمر الله ﷻ بقوله: ﴿وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ﴿٨﴾ رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا ﴿٩﴾﴾ [المزمل:٨-٩].

وهؤلاء هم الذين استجابوا لله ورسوله، وحققوا مُراد الله من خلقه؛ بعبادة الله وحده، والدعوة إليه، وتعليم شرعه، والإحسان إلى خلقه: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾﴾ [التوبة:٧١].

وقد وعد الله هؤلاء بالجنة والرضوان كما قال سبحانه: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾﴾ [التوبة:٧٢].

فهؤلاء المتبتلون الذين انقطعوا عن الشرك والمعاصي، وأنابوا إلى الله بالإيمان والطاعات: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ ۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ

﴿ٱلَّذِينَ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقَوۡلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحۡسَنَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ١٨﴾ [الزمر:١٧-١٨].

الثاني: تبتلٌ مذمومٌ مُبْتَدَعٌ:

وهو سلوك مسلك النصارى في الترهّب في الصوامع، وترك النكاح، وترك أكل ما لذّ من اللحم، والتشديد على النفس في العبادة على خلاف هدي النبي ﷺ، كصوم الدهر، وقيام الليلكله،ونحو ذلك من البدع التي تتعب الأبدان، وتحَرُم النفس من حظوظها، وتُقعدها عن العبادة لله ﷻ: ﴿فَلۡيَحۡذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنۡ أَمۡرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمۡ فِتۡنَةٌ أَوۡ يُصِيبَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ٦٣﴾ [النور:٦٣].

وقال الله سبحانه :﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ١١٥﴾ [النساء:١١٥].

وقد نهى الله ورسوله عن هذا التبتل والرهبانية، وفي القرآن:﴿ثُمَّ قَفَّيۡنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيۡنَا بِعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡإِنجِيلَ وَجَعَلۡنَا فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأۡفَةً وَرَحۡمَةً وَرَهۡبَانِيَّةً ٱبۡتَدَعُوهَا مَا كَتَبۡنَٰهَا عَلَيۡهِمۡ إِلَّا ٱبۡتِغَآءَ رِضۡوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوۡهَا حَقَّ رِعَايَتِهَاۖ فَـَٔاتَيۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنۡهُمۡ أَجۡرَهُمۡۖ وَكَثِيرٌ مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ ٢٧﴾ [الحديد:٢٧].

وعن أنس رضي الله عنه أن نفراً من أصحاب النبي ﷺ سألوا أزواج النبي ﷺ عن عمله في السرفقال بعضهم: لا أتزوج النساء، وقال بعضهم: لا آكل اللحم، وقال بعضهم: لا أنام على فراش، فحمد الله وأثنى عليه، فقال: «مابال أقوام قالوا كذا وكذا، لكني أصلي وأنام، وأصوم وأفطر، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني» متفق عليه [(١)].

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٥٠٦٣) ومسلم برقم (١٤٠١).

فالتبتل المأمور به شرعًا هو الانقطاع إلى الله ﷻ بإخلاص العبادة له، وامتثال أوامره واجتناب نواهيه، والأخذ من الدنيا بقدر الحاجة، وذكر الله وعبادته والدعوة إليه بقدر الطاقة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾ وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ﴾ [الحج: ٧٨].

والتبتل المنهي عنههو سلوك مسلك النصارى، في ترك الحلال، والنكاح، والترهّب في الصوامع،وعبادة الله بغير ما شرع وهو مردود غير مقبول: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾ [النساء: ١١٥].

وقال النبي ﷺ: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد» متفق عليه [(١)].

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٢٦٩٧) ومسلم برقم (١٧١٨).

٤ - خطوات التبتل

التبتل إلى الله له خمس خطوات :

الأولى: قطع رغبة النفس في المدح،فلا يحب المدح، أو يستوي عنده المدح وعدمه، لأن قلبه معلقٌ بالله وحده : ﴿ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾[غافر:٦٥].

الثانية: قطع رغبة النفس في الشُّهرة، ورؤية الناس له، فلا يجد الرياء لقلبه سبيلًا : ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾ ﴾[البينة:٥].

الثالثة: قطع رغبة النفس في الإمارة والرئاسة، سواء في الدين أو الدنيا، لكنه يدعو ربه دائمًا أن يكون للمتقين إمامًا في كل ما يحبه الله ويرضاه، كما قال سبحانه في صفات المؤمنين:﴿ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾ ﴾[الفرقان:٧٤].

الرابعة: قطع رغبة النفس في العلو في الأرض، وتبوّء أعلى المراكز والمناصب للعلو في الأرض، وقهر الناس، والسيطرة عليهم:﴿ وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۘ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ۚ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾[القصص:٨٨].

وقال الله تعالي: ﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾[القصص: ٨٣] .

الخامسة: الانقطاع إلى الله من كل ما سوى الله وإخلاص العبادة له:﴿ وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ ۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٨﴾ ﴾ [الزمر:١٧-١٨].

ومن تبتل إلى الله صادقًا، وانقطع إليه راغبًا، فشغل أوقاته بما يحبه ربه ويرضاه، أسعده الله في الدنيا والآخرة، وأكرمه بأنواع الكرامات:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ

ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي
كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحۡنُ أَوۡلِيَآؤُكُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا
تَشۡتَهِيٓ أَنفُسُكُمۡ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلٗا مِّنۡ غَفُورٖ رَّحِيمٖ ﴿٣٢﴾﴾
[فصلت: ٣٠-٣٢].

والأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام هم أعظم من تقرّب الى الله بعبادة التبتل: ﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾[الأنبياء: ٩٠].

وقال الله ﷻ لنبيه ﷺ: ﴿قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرۡتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾[الأنعام: ١٦٢-١٦٣].

ثم يليهم من آمن بهم من الناس: ﴿إِنَّمَا يُؤۡمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِهَا خَرُّواْۤ
سُجَّدٗاۤ وَسَبَّحُواْ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ۩ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمۡ عَنِ
ٱلۡمَضَاجِعِ يَدۡعُونَ رَبَّهُمۡ خَوۡفٗا وَطَمَعٗا وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ
لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾[السجدة: ١٥-١٧].

ومريم البتول انقطعت إلى الله، فآثرها الله على نساء العالمين، فولدت ابنًا بلا ذكر، ورزقها الله طعامًا بلا شجر، وأجرى لها من الكرامات ما أجراه: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ
عَلَيۡهَا زَكَرِيَّا ٱلۡمِحۡرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزۡقٗاۖ قَالَ يَٰمَرۡيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَاۖ قَالَتۡ هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ إِنَّ ٱللَّهَ
يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾﴾[آل عمران: ٣٧].

وآسية امرأة فرعون انقطعت إلى الله، وآثرت رضاه على المُلك والجاه، فآثرها الله بالقرب منه في جنته: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱمۡرَأَتَ فِرۡعَوۡنَ إِذۡ
قَالَتۡ رَبِّ ٱبۡنِ لِي عِندَكَ بَيۡتٗا فِي ٱلۡجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرۡعَوۡنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِي مِنَ ٱلۡقَوۡمِ
ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١١﴾ وَمَرۡيَمَ ٱبۡنَتَ عِمۡرَٰنَ ٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا فَنَفَخۡنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا
وَصَدَّقَتۡ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتۡ مِنَ ٱلۡقَٰنِتِينَ ﴿١٢﴾﴾[التحريم: ١١-١٢].

٥ - درجات التبتل إلى الله

التبتل إلى الله درجات :

الأولى: الانقطاع عن الخلق إلى الله،فلا يخاف العبد أحدًا إلا الله، ولا يرجو أحدًا إلا الله، ولا يتوكل إلا على الله: ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ٥٠ وَلَا تَجۡعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ٥١﴾[الذاريات:٥٠-٥١].

الثانية: الانقطاع عن النفس إلى الله، فتعطيها حظّها مما أحل الله لها، وتصرف جميع أوقاتك فيما يحبه الله ويرضاه: ﴿وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا ٧ فَأَلۡهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقۡوَىٰهَا ٨ قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ٩ وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ١٠﴾[الشمس:٧-١٠].

وهذه درجة أعلى من الأولى، لأنه استبدل حلاوة الشهوات بحلاوة الطاعات، واستبدل ما تحبه النفس بما يحبه الرب: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ١٤ وَذَكَرَ ٱسۡمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ١٥﴾[الأعلى:١٤-١٥].

الثالثة:أن تنقطع عن مرادك من الله، إلى مُراد الله منك، لكمال معرفتك بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله، فتعبده لأنه هو الذي يستحق العبادة وحده لا شريك له، وأنه وحده أهلٌ أن يُعبد، ويُكبَّر، ويُمجَّد، ويُشكر، لكمال جلاله وجماله، فتُخلِص له العبادة وحده وتنقطع إليه بالكلية: ﴿هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦٥﴾[غافر:٦٥].

وهذه أكمل منهما؛ فالأولى انقطاع عن الخلق إلى الله، والثانية انقطاع عن النفس إلى الله، والثالثة انقطاعك عن مرادك من الله إلى مراد الله منك: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ٥﴾ [البينة:٥].

الرابعة: أن تنقطع عن مرادك من الله،إلى مراد الله منك، مستعيناً به وحده، حتى لا ترى انقطاعك إلا من الله وحده لا منك، وهذه أعلى الدرجات: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيۡهِ تَجۡـَٔرُونَ ٥٣﴾[النحل:٥٣].

٦ - الأسباب المعينة على تحصيل التبتل إلى الله ﷻ

الأول: العلم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله، فمن عرف ربه حقًا آمن به وأحبه، وانقطع إليه، ولم يلتفت لأحدٍ سواه؛ لأنه استغنى بالله فلم يشغله عنه سواه: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ١٩﴾[محمد:١٩].

الثاني: مجاهدة النفس على امتثال ما أمر الله به، واجتناب ما نهى الله عنه، ابتغاء مرضات الله: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٦٩﴾ [العنكبوت:٦٩].

الثالث: مراقبة الله في كل حال، وإخلاص العمل له، فمن علم أن الله يراه في كل حال، ويسمعه إن تكلم، ويعلم بما في قلبه إن أضمر، توجه إليه وحده، وانقطع إليه، ولم يشغله سواه عنه، وأخلص العبادة له: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ ١٢﴾[الملك:١٢].

الرابع: النظر والتفكر في مخلوقات الله في الكون،فمن نظر وتفكّر في تلك المخلوقات العظيمة،والتدبيرات الحكيمة، عَلِم أن خالقها ربٌ عظيم، له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الحميدة، فآمن به وأحبه، وانقطع إليه، وتبتل إليه في ليله ونهاره: ﴿إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلۡفُلۡكِ ٱلَّتِي تَجۡرِي فِي ٱلۡبَحۡرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٖ فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٖ وَتَصۡرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلۡمُسَخَّرِ بَيۡنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ١٦٤﴾[البقرة:١٦٤].

وقال ﷻ: ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ٦ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ٧ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ٨﴾[ق:٦-٨].

الخامس: التدبر لآيات الله التي أنزلها في كتابه، وما فيها من بيان أسماء الله وصفاته وأفعاله، وما اشتملت عليه من صدق الأخبار، وحسن الأحكام، وأحسن القَصَص، ومن علم بذلك أيقن أنها تنزيل رب العالمين، فآمن به وحده، وانقطع إليه، وسلّم لأمره: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ٢٩﴾[ص:٢٩].

السادس: العلم بأحوال الأنبياء والمرسلين، وما هم عليه من صِدق الإيمان وحسن العبادة، والتبتل إلى الله، والانقطاع إليه: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ ٩٠﴾ [الأنعام:٩٠].

والأنبياء أحسن الناس لمن أراد الاقتداء والاهتداء، والفوز والفلاح: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ٢١﴾ [الأحزاب:٢١].

السابع: صُحبة الأخيار والصالحين الذين يذكرون الله، ويذكّرون به، والانقطاع عما سواهم ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ٢٨﴾[الكهف:٢٨].

الثامن: الحرص على أداء العبادات الجماعية كالجمعة والجماعة، والدعوة إلى الله، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والنُصح للمسلمين، والعناية بالعبادات، الانفرادية؛ كقيام الليل، والاعتكاف، وتلاوة القرآن، وذكر الله في

الخلوة والجلوة: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ (٦٩)﴾ [العنكبوت:٦٩].

التاسع: دعاء الله ﷻ أن يرزقه عبادة التبتل إليه، والانقطاع إليه، وحسن القيام بين يديه؛ فالله كريم يجيب من دعاه، ويفرح بمن سأله، ويعطيه فوق ما يتمناه: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ (١٨٦)﴾ [البقرة:١٨٦].

العاشر: الحذر من آفتين تقطعان على العبد تبتله لربه العظيم:

الأولى: تحميل النفس من العبادات مالا تطيق، فإن النفس تسأم وتمَل ثم تنقطع: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِأَنْفُسِكُمْ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٦)﴾ [التغابن:١٦].

وقال النبي ﷺ: «يا أيها الناس خذوا من الأعمال ما تطيقون، فإن الله لا يملّ حتى تملّوا، وإنّ أحب الأعمال إلى الله مادام وإنقلّ» متفق عليه (١).

الثانية: الاجتهاد في العبادة، مع الإخلال في الحقوق والواجبات الأخرى من الدعوة إلى الله، وتعليم شرع الله، والإحسان إلى خلق الله، وبرّ الوالدين، وكسب المعيشة، وأداء حقوق الزوج والأولاد والضيوف: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا (٣٦)﴾ [النساء:٣٦].

وكان لعثمان بن مظعون رضي الله عنه زوجة، وكان يقوم الليل، ويصوم النهار، فبعث إليه رسول الله ﷺ فجاءه، فقال: «ياعثمان أرغبت عن سنتي؟! فقال: لا

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٥٨٦١) ومسلم برقم (٧٦١).

والله يا رسول الله، ولكن سنّتك أطلب، فقال له: فإني أنام وأصلي، وأصوم وأفطر، وأنكح النساء، فاتق الله ياعثمان، فإن لأهلك عليك حقًا، وإن لضيفك عليك حقًا، وإن لنفسك عليك حقا، فصم وأفطر، وصلّ ونم» أخرجه أحمد وأبو داود [1].

فالتبتل إلى الله، والانقطاع إلى الله، هو التعلّق بالله وحده، وامتثال أوامره، واجتناب نواهيه، والأكل من الطيبات بما يُعين العبد على عبادة الله عز وجل، وأداء حقوق عباده: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾﴾ [البقرة:١٧٢].

فتحريم الحلال من الطعام والنكاح ليس من التبتل! بل هو من الاعتداء، وظلم النفس: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٨٧﴾ وَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [المائدة:٨٧-٨٨].

---

(١) صحيح: أخرجه احمد برقم (٢٦٣٠٨) وأبو داود برقم (١٣٦٩).

٧- ثمرات التبتل

ثمرات التبتل إلى الله ﷻ كثيرة ومنها :

الأولى: الطمأنينة بذكر الله: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ٢٨﴾ [الرعد:٢٨].

الثانية: غفران الذنوب: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ ١٢﴾ [الملك:١٢].

الثالثة: قبول الأعمال الصالحة، فمن انقطع إلى الله، وعمل بما يُرضيه، قبِل الله عمله: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ ٢٧﴾ [المائدة:٢٧].

الرابعة: دخول الجنة: ﴿وَأُزۡلِفَتِ ٱلۡجَنَّةُ لِلۡمُتَّقِينَ غَيۡرَ بَعِيدٍ ٣١ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٖ ٣٢ مَّنۡ خَشِيَ ٱلرَّحۡمَٰنَ بِٱلۡغَيۡبِ وَجَآءَ بِقَلۡبٖ مُّنِيبٍ ٣٣ ٱدۡخُلُوهَا بِسَلَٰمٖۖ ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلۡخُلُودِ ٣٤ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيۡنَا مَزِيدٞ ٣٥﴾ [ق:٣١-٣٥].

الخامسة: رضوان الرب على العبد، ورضى العبد عن الرب، والخلود الأبدي في الجنة: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ خَيۡرُ ٱلۡبَرِيَّةِ ٧ جَزَآؤُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَشِيَ رَبَّهُۥ ٨﴾ [البينة:٧-٨].

السادس: بلوغ العبد درجة الولاية: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٦٢ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ٦٣ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ لَا تَبۡدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ٦٤﴾ [يونس:٦٢-٦٤].

السابعة: بلوغ العبد أعلى درجات الجنة: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾[الأنفال:٢-٤].

اللهم آت نفوسنا تقواها، وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها .

اللهم اهدنا فيمن هديت، وعافنا فيمن عافيت، وتولنا فيمن توليت، وقنا برحمتك شر ما قضيت .

﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾[الأعراف:٢٣].

عبادات القلوب

في ضوء القرآن والسنة

العبادة الثالثة والثلاثون

عبادة التفويض إلى الله ﷻ

وتشتمل هذه العبادة العظيمة على المباحث الآتية :

الأول: فقه التفويض إلى الله ﷻ

الثاني: منزلة التفويض.

الثالث: درجات التفويض.

الرابع: الأسباب المعينة على التفويض.

العبادة الثالثة والثلاثون

عبادة التفويض إلى الله ﷻ

١ - فقه التفويض إلى الله ﷻ

تفويض الأمور إلى الله جل جلاله عبادةٌ قلبية؛ والتسليم لله في كل حال عبادةٌ قلبية، وهما ركنا العبادة، ولن تكون عبدًا لله حقًا إلا بهما: ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ١٢٣﴾[هود:١٢٣].

التفويضهو محضُ التسليم والطاعة لله ﷻفي كل شيء.

التفويضهو الخروج من حولك وقوتك إلى حول الله وقوته، والتسليم لأمره، والرضا بقضائه: ﴿هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ٦٥﴾[غافر:٦٥].

وقال الله ﷻ: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ١٣﴾ [التغابن:١٣].

التفويضهو ركون القلب إلى الله في كل حال: ﴿فَفِرُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ٥٠ وَلَا تَجْعَلُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ٥١﴾ [الذاريات: ٥٠ - ٥١] .

والفرق بين التوكل والتفويض،أن التوكل مبدأ، والتفويض منتهى، فهو أعلى من التوكل، لأن التوكل هو الاعتماد على الله بقلوبنا، مع فعل الأسباب بجوارحنا: ﴿قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ٱدْخُلُوا۟ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَٰلِبُونَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ٢٣﴾[المائدة:٢٣].

أما التفويضفهو التسليم التام لله ﷻفي كل شيء عند انقطاع الأسباب كما قال مؤمن آل فرعون: ﴿فَسَتَذْكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمْ ۚ وَأُفَوِّضُ أَمْرِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ

﴿بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ ٤٤﴾[غافر:٤٤].

فلما فوّض أمره إلى الله، وقاهُ الله سيئات ما مكروا: ﴿فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُواْۖ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرۡعَوۡنَ سُوٓءُ ٱلۡعَذَابِ ٤٥﴾[غافر:٤٥].

والمؤمن يفوض أمره إلى الله ﷻ إذا انقطع عن الأسباب، كما قال النبي ﷺ في دعائه: «اللَّهُمَّ وَجّهتُ وجْهِي إليْكَ، وأَسْلَمتُ نَفسي إليْكَ، وفَوَّضْتُ أمْرِي إليْكَ، وأَلجَأْتُ ظَهْرِي إليْكَ، رَغْبَةً ورَهْبَةً إليْكَ» متفق عليه (١).

فالتوكل على الله هو الاعتماد على الله، مع فعل الأسباب بالجوارح، وهو الحالة الدائمة معنا في كل حال: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ٢٥٥﴾[البقرة:٢٥٥].

أما التفويض فيكون في حالات خاصة، وهي حالات الشدة والمكر والكيد الخفي، وعند انقطاع الأسباب عنك؛ فهنا يَحسن التفويض إلى الله في كشف الكربة، ودفع البلية.

والأنبياء والرسل هم أعظم الخلق معرفةً بالله، يفزعون إلى ربهم في تحصيل المنافع، ودفع المضارّ، وكشف الكربات، وتحصيل الخير، ودفع الشر، فمن استغاث بالله أغاثه، ومن دعا الله أجابه: ﴿۞ وَأَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ٨٣ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ فَكَشَفۡنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرّٖۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ أَهۡلَهُۥ وَمِثۡلَهُم مَّعَهُمۡ رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَا وَذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰبِدِينَ ٨٤﴾[الأنبياء:٨٣-٨٤].

وقال الله ﷻ: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبٗا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٨٧ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٨٨ وَزَكَرِيَّآ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرۡنِي فَرۡدٗا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡوَٰرِثِينَ ٨٩ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَوَهَبۡنَا لَهُۥ يَحۡيَىٰ

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٣١١) ومسلم برقم (٢٧١٠).

وَأَصۡلَحۡنَا لَهُۥ زَوۡجَهُۥٓۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [الأنبياء: ٩٠].

وقال الله ﷻ: ﴿وَنُوحًا إِذۡ نَادَىٰ مِن قَبۡلُ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ فَنَجَّيۡنَٰهُ وَأَهۡلَهُۥ مِنَ ٱلۡكَرۡبِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَنَصَرۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمَ سَوۡءٖ فَأَغۡرَقۡنَٰهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٧٧﴾﴾ [الأنبياء: ٧٦-٧٧].

وقال الله ﷻ عن خليله إبراهيم ﷺ حينما أعد له قومه النار وأوقدوها لإحراقه: ﴿قَالُواْ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمۡ إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلۡنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرۡدٗا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيۡدٗا فَجَعَلۡنَٰهُمُ ٱلۡأَخۡسَرِينَ ﴿٧٠﴾﴾ [الأنبياء: ٦٨-٧٠].

وأنت أيها المؤمن إذا خِفت من عدوٍ أو غيره فافزع إلى ربك القوي العزيز وقل: ﴿حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾﴾ [آل عمران: ١٧٣].

فإن الله قال بعدها: ﴿فَٱنقَلَبُواْ بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ لَّمۡ يَمۡسَسۡهُمۡ سُوٓءٞ وَٱتَّبَعُواْ رِضۡوَٰنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضۡلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾﴾ [آل عمران: ١٧٤].

وإذا مكرَ بك أحدٌ، ولا تستطيعُ دفعَ مكرِه، ففوض أمرك إلى ربك الذي بيده كشف الكُرب، وعنده مفاتيح الفرج، فقل: ﴿وَأُفَوِّضُ أَمۡرِيٓ إِلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ ﴿٤٤﴾﴾ [غافر: ٤٤].

فإن الله قال بعدها: ﴿فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُواْۖ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرۡعَوۡنَ سُوٓءُ ٱلۡعَذَابِ ﴿٤٥﴾ ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۚ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ ﴿٤٦﴾﴾ [غافر: ٤٥-٤٦].

وإذا أردت شيئاً من الدنيا فسلْ من يملكها وقل: ﴿مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ﴾ [الكهف: ٣٩].

فإن الله قال بعدها: ﴿إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالٗا وَوَلَدٗا ﴿٣٩﴾ فَعَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يُؤۡتِيَنِ خَيۡرٗا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرۡسِلَ عَلَيۡهَا حُسۡبَانٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصۡبِحَ صَعِيدٗا زَلَقًا ﴿٤٠﴾ أَوۡ يُصۡبِحَ مَآؤُهَا غَوۡرٗا فَلَن تَسۡتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبٗا ﴿٤١﴾ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصۡبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيۡهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي لَمۡ أُشۡرِكۡ بِرَبِّيٓ أَحَدٗا ﴿٤٢﴾﴾ [الكهف: ٣٩-٤٢].

وإذا أصابك غمٌ أو همٌ أو ضيقٌ؛ فقل كما قال يونس ﷺ: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٨٧﴾ [الأنبياء:٨٧].

فإن الله قال بعدها: ﴿فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٨٨﴾ [الأنبياء:٨٨].

التفويضهو روح التوكل ولبّه وحقيقته: ﴿إِنِّي تَوَكَّلۡتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٥٦﴾ [هود:٥٦].

التفويض اعتقاد أن كل أمور العبد آتيةٌ من الله، وراجعةٌ إليه، فمن فوض أموره إلى ربه، فقد خرج من حوله وقوته، إلى حول الله وقوته: ﴿هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦٥﴾ [غافر:٦٥].

والمؤمن الذي عرف ربه بأسمائه وصفاته وأفعاله يتوكل عليه وحده، ويفوض أموره إليه، لأنه يعلم أن الله بيده وحده مقاليد الأمور كلها: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ٦٢ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ٦٣﴾ [الزمر:٦٢-٦٣].

ويصبر ويسترجع ويفوض أمره إلى مولاه: ﴿وَلَنَبۡلُوَنَّكُم بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلۡخَوۡفِ وَٱلۡجُوعِ وَنَقۡصٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٥٥ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ١٥٦ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ ١٥٧﴾ [البقرة:١٥٥-١٥٧].

فاستسلم يا عبد الله لمولاك وخالقك، وفوض أمورك إليه، وتوكل عليه وحده في تدبير أمورك كلها، وقفْ بين يدي ربك الملك العزيز الجبار وقفة العبد الضعيف العاجز الفقير المحتاج ، راضياً بقضائه، ومستسلماً لحكمه: ﴿إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ٢٨﴾ [فاطر:٢٨].

هو سبحانه الواحد الأحد الذي بيده ناصية كل أحد: ﴿فَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ فَلَهُۥٓ أَسۡلِمُواْۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُخۡبِتِينَ ٣٤ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمۡ وَٱلۡمُقِيمِي ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ٣٥﴾ [الحج:٣٤-٣٥].

تفويض الأمر إلى الله عز وجلعبادة عظيمة من عبادات القلوب؛ وهي ثمرة قوة اليقين، وحسن الظن بالله ﷻ: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ١٩﴾[محمد:١٩].

والمؤمن إذا فوض أموره إلى ربه، ودعا ربه بقوله : وأفوض أمري إلى اللهفقد خرج من حوله وقوته إلى حول الله وقوته، فكفاه ربه شرّ من ظلمه، وأخذ حقه ممن اغتصبه، ورده إليه، وجعل له من أمره فرجًا ومخرجًا: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦۚ قَدۡ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيۡءٖ قَدۡرٗا ٣﴾[الطلاق:٢-٣].

وإبراهيمﷺحين ترك زوجته هاجر وابنه إسماعيل في مكة بوادٍ غير ذي زرع، وقفل راجعًا إلى الشام «قالَتْ له هاجر: يا إبْرَاهِيمُ أَيْنَ تَذْهَبُ وتَتْرُكُنَا في هَذا المكان؟ فلمْ يجُبها! ثم قالَتْ له: آللهُ الذي أَمَرَكَ بهذا؟ قالَ نَعَمْ، فقالَتْ له: اذهبْ فلَنْ يُضَيِّعُنَا»أخرجهالبخاري [1].

فلما فوّضت أمرها إلى الله ﷻ،جعل لها ولابنها من كل هم فرجًا، ومن كل ضيق مخرجًا، وكان ما كان في مكة.

وكان النبيﷺ أعرف الخلق بربه، وأعظمهم عبادةً لله، وتوكلاً عليه، وتسليماً لأمره، وأصدقهم في تفويض أمره إلى الله، وكان من دعائه لربه عند النوم: «اللَّهُمَّ أَسْلَمْتُ نَفسي إلَيْكَ، وفَوَّضْتُ أمْرِي إلَيْكَ، وأَلْجَأْتُ ظَهْرِي إلَيْكَ، رَهْبَةً ورَغْبَةً إلَيْكَ، لا مَلْجَأَ ولَا مَنْجَا مِنْكَ إلَّا إلَيْكَ»متفق عليه [2].

والتفويض من مقتضى الإيمان بأسماء الله الحسنى، ومن لوازم الإيمان بأسماء اللهالملك العزيز الجبّار، القويّ القادر القهّار، الغنيّ الكريم الوهّاب، العفو الغفور الرحيم: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۖ هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ٢٢ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلۡمُؤۡمِنُ

---

(١)أخرجه البخاري برقم (٣٣٦٥).

(٢)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٢٤٧)، ومسلم برقم (٢٧١٠).

﴿ٱلۡمُهَيۡمِنُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡجَبَّارُ ٱلۡمُتَكَبِّرُۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٢٣ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡخَٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ ٱلۡمُصَوِّرُۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٢٤﴾ [الحشر: ٢٢-٢٤].

فالمؤمن إذا عرف ربه الملكاعتمد عليه، وفوّض أموره إليه، لأنه العليم بما يصلح عباده في الدنيا والآخرة، وإذا عرف ربه العزيز ذلَّ له، وإذا عرف ربه الجبّار خضع له، وسلم لأمره، وإذا عرف ربه القويّ لاذَ بحِماه، وإذا عرف ربه القادر استعان به، وإذا عرف ربه القهّار سلَّم لأمره، وأذعن لقهره، وإذا عرف ربه الغنيّ سأله، ولم يلتفت لأحد سواه.

وإذا عرف ربه الكريم وقف ببابه، وسأله من فضله، وإذا عرف ربه الوهّاب طمعَ في ثوابه، وإذا عرف ربه العفو سأله أن يقيل عثرته، وإذا عرف ربه الغفور استغفره من ذنوبه، وإذا عرف ربه الرحمن استرحمه، وفوض أموره إليه: ﴿هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦٥﴾ [غافر: ٦٥].

والله عز وجل كما أمر بالتوكل عليه، والتسليم لأمره، والتفويض إليه؛ أمر العباد بفعل الأسباب بالجوارح، مع اعتماد القلب على الله، وتفويض الأمر إليه وحده: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ٣ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَمَغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ٤﴾ [الأنفال: ٢-٤].

٢ -منزلة التفويض

التفويض من أعظم صفات الأنبياء والرسل، وأهل الإيمان والتوحيد، وتفويض الأمر إلى الله عبادة من أعظم العبادات؛ فالله وحده بيده مقاليد الأمور كلها: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ١﴾[الملك:١].

فالتوكل علىَ الله، والتسليم لأمره، وتفويض الأمور إليه، من أعظم أسباب الحفظ للعبد، و الوقاية له من كل سوء؛ كما قال مؤمن آل فرعون بعد أن نصح لقومه فلم يقبلوا منه: ﴿فَسَتَذۡكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمۡۚ وَأُفَوِّضُ أَمۡرِيٓ إِلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ ٤٤﴾[غافر:٤٤].

ثم أخبر الله عنه بقوله: ﴿فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُواْۖ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرۡعَوۡنَ سُوٓءُ ٱلۡعَذَابِ ٤٥﴾[غافر:٤٥].

ومن توكل على الله كفاه، وحفظه مِن كل مَن عاداه: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦۚ قَدۡ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيۡءٖ قَدۡرٗا ٣﴾[الطلاق:٢-٣].

وتفويض الأمر إلى الله، والتوكل عليه وحده، عبادةٌ قلبيةٌ مطلوبةٌ من كل مؤمن، سواء كان ذلك في أمور الدين أو أمور الدنيا، وقد أمر الله المؤمنين بذلك فقال: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ١٣﴾[التغابن:١٣].

وقال الله ﷻ: ﴿وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ٨١﴾[النساء:٨١].

وقال الله ﷻ: ﴿وَلِلَّهِ غَيۡبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَإِلَيۡهِ يُرۡجَعُ ٱلۡأَمۡرُ كُلُّهُۥ فَٱعۡبُدۡهُ وَتَوَكَّلۡ عَلَيۡهِۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ١٢٣﴾[هود:١٢٣].

والتفويض أعلى من التوكل

فالتوكل على الله هو الاعتماد على الله في كل شيء، لكمال الثقة به .

والتفويض هو جوهر التوكل وروحه وثمرته .

ومن وهبه الله حسن التوكل على ربه، وتفويض الأمور إليه، والتسليم لأمره اطمئن قلبه بذكر ربه، وزالت عنه هموم الدنيا، وزال عنه الخوف من الناس، وزال عنه الطمع فيما عندهم، وأعرض عن التوسع في محبوبات النفس، واشتغل بما يحبه الله من أنواع الطاعات والعبادات والقُربات، وفي التفويض راحة القلب والبدن: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمۡ وَحُسۡنُ مَـَٔابٖ ﴿٢٩﴾﴾[الرعد:٢٨-٢٩].

وبالتفويض يكون صلاح القلب والبدن، والتسليم لله ظاهراً وباطناً، وحسن عبادة الرب، والإحسان إلى الخلق: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَمَغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ﴿٤﴾﴾[الأنفال:٢-٤].

وقال الله عز وجل: ﴿۞وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾[آل عمران:١٣٣-١٣٤].

٣- درجات التفويض

درجات التفويض إلى الله ثلاث:

الأولى: أن يعلم العبد أنه لا يملك قبل عمله استطاعة؛ فلا يأمن مكر الله، ولا ييأس من معونة، ولا يعول على نية أو عمل، فإن استطاعته بيد الله وحده، فإذا لم يعطه ربه الاستطاعة فهو عاجز: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾﴾[النحل:٥٣].

الثانية: معاينة الاضطرار، فيرى العبد فقره وفاقته وضرورته وحاجته إلى الله، فيرى في كل ذرة من ذراته ضرورةً وفاقةً تامة إلى الله، فنجاته إنما هي بالله الذي بيده مقاليد الأمور، لا بعمله، ولا بقوته، وأن سعة رحمة الله ومغفرته هي التي أوجبت له التبتّل إلى الله، والتفويض إليه، والتسليم لأمره، والعمل بشرعه: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾﴾[فاطر:١٥].

وقال الله ﷻ: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢١﴾﴾[النور:٢١].

وقال النبي ﷺ: «قَارِبُوا وَسَدِّدُوا وَاعْلَمُوا أَنَّهُ لَنْ يَنْجُوَ أَحَدٌ مِنْكُمْ بِعَمَلِهِ، قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ: وَلا أَنْتَ؟ قَالَ: وَلا أَنَا إِلا أَنْ يَتَغَمَّدَنِيَ اللهُ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ» متفق عليه (١).

الثالثة: شهود تفرد الحق جل جلاله بملك التدبير والتصريف، وملك الحركة والسكون، وملك البسط والقبض، وملك العطاء والمنع، وملك الحياة والموت: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَـٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ ۖ وَتُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ ۖ وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢٧﴾﴾[آل عمران: ٢٦ – ٢٧].

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٥٦٧٣) ومسلم برقم (٢٨١٦).

وقال الله ﷻ: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأعراف:٥٤].

وقال الله ﷻ: ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾﴾ [فاطر:٢].

فهذه الدرجة تتعلق بشهود أسماء الله وصفاته وأفعاله: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾﴾ [محمد:١٩].

وما قبلها يتعلق بشهود حال العبد وفقره وضعفه وعجزه، وحاجته إلى ربه في كل حال، ومن عرف ربه بالغنى التام، عرف نفسه بالفقر التام: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾﴾ [فاطر:١٥].

وإذا عرفت ربك بأسمائه الحسنى، وصفاته العلا، وأفعاله الحميدة، وعرفت نفسك بالضعف والفقر، والعجز والذلة، ففوض أمورك إلى من بيده مقاليد الأمور، وأخلص العبادة له وحده لا شريك له، تسعد في الدنيا والآخرة: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾ [فصلت:٣٠-٣٢].

٤ - الأسباب المعينة على تحصيل التفويض إلى الله

الأسباب المعينة على عبادة التفويض إلى الله ﷻ:

الأول: العلم بأسمائه وصفاته وأفعاله، والعلم بكمال قدرته وكفايته وقيوميته، والعلم بانتهاء الأمور كلها إليه، وصدورها عن مشيئته وقدرته، ومن عرف ذلك آمن بالله وحده، وتوكل عليه، وفوض أموره إليه وحده:

الثاني: حسن الظن بالله ﷻ،فمن عرف ربه بصفات الجلال والجمال والكمال أحسن الظن به، ووثق به، وفوض أموره إليه؛ لأنه أعلم بمصلحة العبد من نفسه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ ۚ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴿٤٤﴾﴾[الأحزاب:٤١-٤٤].

ومن هذه أسماؤه وصفاته وأفعاله هو الذي يستحق أن يُعبد وحده لا شريك له، وأن تُفوّض الأمور إليه، وأن يُعبد وحده لا شريك له: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾[الأنعام:١٠٢-١٠٣].

الثالث: العلم بعظمة ملك الله وسلطانه، والعلم بعظمة نِعم الله وإحسانه،فمن عرف ذلك فوض أموره إلى ربه، وانقاد لأمره، وسارع إلى ما يحبه ويرضاه، ابتغاء مرضاته، وخوفًا من عقابه: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾﴾ [الطلاق:١٢].

وإذا عرفتم ذلك آمنتم بالله وحده، وسلمتم لأمره، وفوضتم أموركم إليه، وأخلصتم له العبادة وحده لا شريك له: ﴿هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾[غافر:٦٥].

الرابع:العلم بسيرة الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام، وما هم عليه من كمال التوحيد، وصدق الإيمان، والتعلق بالله وحده، والتسليم لأمره في حال الشدة والرخاء، للاقتداء بهم في توحيدهم وإيمانهم، وأقوالهم وأفعالهم، وأخلاقهم وآدابهم :﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًاۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٠﴾﴾[الأنعام:٩٠].

الخامس:النظر والتفكر في مخلوقات الله العظيمة من السماء والأرض، وما فيهما من المخلوقات، واختلاف الليل والنهار، والتدبير والتصريف من ليل ونهار، وحياة وموت، وأمن وخوف، وغنى وفقر، وصحة ومرض .

ومن عرف ذلك توكل على ربه في تدبير أموره، وفوض جميع أموره إليه لأنه الرب القادر على كل شيء:﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾﴾[البقرة:٢٥٥].

وقال الله ﷻ:﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّۖ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [يونس:٣١-٣٢].

السادس: دعاء الله ﷻ أن يرزقه من العلم والعبادة مايقربه إليه، حتى يتعلق قلبه بالله وحده، ولا يلتفت لأحد سواه:﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾ [البقرة:١٨٦].

السابع: العلم بفضيلة عبادة التفويض إلى الله، والتسليم لأمره، وعَظمة الثواب على ذلك :﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾ جَزَآؤُهُمْ عِندَ

رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُۥ ﴿٨﴾ [البينة:٧-٨].

وقال الله ﷻ: ﴿ ۞ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٢٢﴾ [لقمان:٢٢].

وقال الله ﷻ: ﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ [السجدة:١٧].

اللهم وجهت وجهي إليك، وأسلمت نفسي إليك، وفوضت أمري إليك، رغبةً ورهبة إليك، لا ملجأ ولا منجى منك إلا إليك .

اللهم آت نفوسنا تقواها،وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها .

﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٨﴾ [آل عمران:٨].

عبادات القلوب

في ضوء القرآن والسنة

العبادة الرابعة والثلاثون

عبادة السكينة

وتشتمل هذه العبادة العظيمة على المباحث الآتية :

الأول: فقه السكينة

الثاني: فضائل السكينة

الثالث: أقسام السكينة

الرابع: درجات السكينة

الخامس: ثمرات السكينة.

العبادة الرابعة والثلاثون

عبادة السكينة

١ - فقه السكينة

السكينة هي الطمأنينة، والهدوء، والاستقرار، وراحة البال، والرضى، والوقار، والمهابة، والرحمة، والثبات، والرزانة.

السكينة هي الطمأنينة والسكون والوقار الذي ينزله الله عز وجل في قلب العبد عند اضطرابه من شدة المخاوف وغيرها مما يوجب له زيادة الإيمان، وقوة اليقين: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٤﴾﴾ [الفتح:٤].

والسكينة والوقار كلمتان مترادفتان في المعنى، لكن تتميز السكينة بأنها مفارقة اضطراب القلب عند الغضب والخوف، كما قال سبحانه: ﴿إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوٓا۟ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٢٦﴾﴾ [الفتح:٢٦].

والسكينة منحة ربانية لا تسكن إلا في قلب نبي أو ولي، ليطمئن قلبه، ويسكن روعه، ويزيد إيمانه: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٤﴾ لِّيُدْخِلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ ٱللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٥﴾﴾ [الفتح:٤-٥].

وكل عبد محتاج إلى السكينة عند الوساوس المعترضة في أصل الإيمان، ليثبت قلب المؤمن ولا يزيغ، وعند الشدائد والمخاوف، ليثبت قلبه، ويسكن جأشه، وعند أسباب الفرح، لئلا يطمح به مركبه فيجاوز الحد المشروع، فينقلب فرحه

ترحاً وحزنًا، وعند هجوم الأسباب المؤلمة على اختلافها،ليثبت قلب المؤمن،وتسكن نفسه إلى ما قدره الله وقضاه :﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ يَهۡدِ قَلۡبَهُۥۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴿١١﴾ ﴾[التغابن:١١].

والسكينة في هذه المواطن علامة على قوة الإيمان، وكمال اليقين، وحسن الظن بالله، وذلك يثمر للعبد حصول المحبوب، ودفع المكروه، وحصول الخير، واندفاع الشر :﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ لِيَزۡدَادُوٓاْ إِيمَٰنٗا مَّعَ إِيمَٰنِهِمۡۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا ﴿٤﴾ ﴾[الفتح:٤].

السكينة هي الطمأنينة والوقار، فيكون المؤمن ساكناً في قلبه، وجوارحه، وحاله، وأقواله، وأفعاله، لحسن ظنه بربه، ورضاه عنه، وكمال ثقته به :﴿ إِنَّمَا يُؤۡمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِهَا خَرُّواْۤ سُجَّدٗاۤ وَسَبَّحُواْ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمۡ عَنِ ٱلۡمَضَاجِعِ يَدۡعُونَ رَبَّهُمۡ خَوۡفٗا وَطَمَعٗا وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [السجدة:١٥-١٧].

والسكينة من أعظم العبادات القلبية التي يُكرم الله بها من يشاء من عباده فيطمئن قلبه، وتسكن روحه لكل ما أمر الله به فيفعله، ولكل ما نهى الله عنه فيحذره، ويسلم لكل ما قضاه الله وقدره :﴿ فَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ فَلَهُۥٓ أَسۡلِمُواْۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُخۡبِتِينَ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمۡ وَٱلۡمُقِيمِي ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾[الحج:٣٤-٣٥].

والسكينة دواء ورداء ينزل من الرب على قلب المؤمن الصادق، فيثبت القلوب الطائرة، ويهدئ الانفعالات الثائرة، ويطمئن القلوب الطائشة، ويجعلها قادرة على تحمل المصائب إذا نزلت به :﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ لِيَزۡدَادُوٓاْ إِيمَٰنٗا مَّعَ إِيمَٰنِهِمۡۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا ﴿٤﴾ ﴾[الفتح:٤].

ومن تحلى بالسكينة خشع قلبه لربه في صلاته، وسكنت جوارحه بين يديه :﴿إِنَّ

﴿ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ ١٢﴾[الملك:١٢].
والسكينة إذا نزلت في القلب اطمأن بها، وسكنت إليها الجوارح، وأنطقت اللسان بالحكمة والصواب، وحالت بينه وبين قول الفحش،والخنا،واللغو،والباطل،والكذب:﴿قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ١ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ ٢ وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنِ ٱللَّغۡوِ مُعۡرِضُونَ ٣ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ٤ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ ٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ فَإِنَّهُمۡ غَيۡرُ مَلُومِينَ ٦ فَمَنِ ٱبۡتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡعَادُونَ ٧ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِأَمَٰنَٰتِهِمۡ وَعَهۡدِهِمۡ رَٰعُونَ ٨ وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمۡ يُحَافِظُونَ ٩ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡوَٰرِثُونَ ١٠ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلۡفِرۡدَوۡسَ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ١١﴾[المؤمنون:١-١١].
والسكينة هبة من الله عز وجل يلقيها الله في قلوب بعض عباده فتبعث على السكون والطمأنينة والوقار، والانقياد لأوامر الله، والتسليم لأحكامه، وتثبت القلب عند المخاوف فلا تزلزله الفتن، ولا تؤثر فيه المحن، بل يزداد بها إيماناً ويقيناً وثباتاً: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ لِيَزۡدَادُوٓاْ إِيمَٰنٗا مَّعَ إِيمَٰنِهِمۡۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا ٤﴾[الفتح:٤].
السكينة عبادة قلبية، وهبة ربانية، يُكرم الله بها من آمن به واتقاه عند المخاوف، واضطراب الأحوال، وتفاقم الأمور، وتكالب الأعداء .
السكينة من أعظم ما يطمئن النفوس، ويزيل الغموم، ويطرد الهموم، وأمراض النفوس، والسكينة ملجأ الخائفين، وأنيس المؤمنين، ونجاة المضطرين :﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٦٢ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ٦٣ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ لَا تَبۡدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ٦٤﴾[يونس:٦٢-٦٤].
ولما علم الله ﷻ صدق أصحاب النبي ﷺ،وما هم عليه من الإيمان والصدق، والسمع والطاعة لله ورسوله، وبايعوا النبي ﷺ تحت الشجرة، أنزل الله على

قلوبهم السكينة، ورضي عنهم، وفتح لهم مايريدون: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا (١٨) وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا (١٩)﴾ [الفتح:١٨-١٩].

السكينة هي الثبات على دين الله الحق، والتسليم لأوامر الله الكونية والشرعية، وراحة القلب، وطمأنينة النفس، وقوة الثقة بالله، والتوكل عليه، والرضا بقضائه وقدره: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ (٢٨) الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ (٢٩)﴾ [الرعد:٢٨-٢٩].

وفي هذا الزمان الذي نعيش فيه تشتد الحاجة إلى السكينة، لتطمئن النفوس الحائرة، والقلوب المضطربة: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا (٢) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا (٣)﴾ [الطلاق:٢-٣].

فما أحوجنا إلى السكينة في زمن الفتن والاضطرابات والإشاعات، وتتابع الأكاذيب والافتراءات.

وما أحوجنا إلى السكينة عند تبلبل الأفكار، وغلاء الأسعار، وخيانة الصديق، وجفاء القريب، وغلبة الهوى، وحصول الفتن، وتوالي المحن، وفتور الهمم، وتبدل الأحوال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ (٣٠) نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ (٣١) نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ (٣٢)﴾ [فصلت:٣٠-٣٢].

وكان من وصيته ﷺ لأصحابه حينما يوصيهم إذا خرجوا للدعوة إلى الله أن يقول لهم: «يَسِّرُوا ولا تُعَسِّرُوا، وسَكِّنُوا ولا تُنَفِّرُوا» متفق عليه (١).

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٩)، ومسلم برقم (١٧٣٤).

٢ - فضائل السكينة

السكينة عبادة قلبية تثبت المؤمنين، وتقوي الصالحين، وتسلي الخائف، وتسر الخاطر، وتقوي الإيمان: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَـٰنًا مَّعَ إِيمَـٰنِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٤﴾﴾ [الفتح:٤].

السكينة علامة اليقين، والثقة برب العالمين: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ ﴿٢٩﴾﴾ [الرعد:٢٨-٢٩].

السكينة ثمرة حسن الظن بالله عز وجل، فمن عرف الله حقًا أكرمه الله ﷻ، وملأ قلبه بالسكينة: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾﴾ [الملك:١٢].

صاحب السكينة ذاق طعم الإيمان، ووجد حلاوته في قلبه، لأنه رضي بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد ﷺ رسولاً.

قال النبي ﷺ: «ذَاقَ طَعْمَ الْإِيمَانِ مَنْ رَضِيَ بِاللهِ رَبًّا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا» أخرجه مسلم (١).

صاحب السكينة واثق بربه، ثابت الجأش، مطمئن القلب، لاتزعزع إيمانه الفتن والحوادث، ولا تقلقه المصائب والكوارث.

صاحب السكينة يرضى بالمحبوب والمكروه على حد سواء، ولا تزيده محن الدنيا وفتنتها وشهواتها إلا صبراً وإيماناً، وثباتاً ورسوخاً، وعملاً ونشاطاً: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾﴾ [التوبة:٥١].

السكينة إذا حلّت في البيوت أثمرت الذرية الصالحة، والأسرة العابدة، والقدوة الحسنة، والأعمال المستمرة.

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٣٤).

فالسكينة إذا حلّت في القلوب اطمأن بها القلب، وسكنت إليها الجوارح، وأنطقت اللسان بالصواب والحكمة والسداد، وحالت بينه وبين الكذب، وقول الزور، وقول الخنا والفحش واللغو: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال:٢-٤].

والسكينة متى نزلت في القلوب استقامت الأمور، وصلحت الأحوال، وطردت الهموم، ومتى ترحلت من القلوب حلّت فيها المخاوف والوحشة، والاضطراب والضنك: ﴿قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾﴾ [طه:١٢٣-١٢٦].

والسكينة من أعظم علامات رضا الرب عز وجل عن العبد، فمن رضي الله عنه أنزل السكينة في قلبه، فانقاد لأمره، ورضي بقضائه، وصبر على بلائه: ﴿۞ لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾﴾ [الفتح:١٨].

ومن رضي الله عنه أرضاه بكل ما يحبهاللهويرضاه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾ جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ ﴿٨﴾﴾ [البينة:٧-٨].

٣- أقسام السكينة

تنقسم السكينة إلى قسمين:

الأول السكينة العامة :

وهي التي يجدها المؤمن عند القيام بأداء ما أمر الله به من أنواع العبادات والقربات من الفرائض والنوافل .

وهذه السكينة تثمر الخشوع والخشية والخضوع التام لله، وجمعية القلب على الله عز وجل :﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمۡ وَحُسۡنُ مَـَٔابٖ ﴿٢٩﴾﴾ [الرعد:٢٨-٢٩].

وقال ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ ﴿١٢﴾﴾[الملك:١٢].

الثاني :السكينة الخاصة :

وهي التي تخص الأنبياء والرسل، وتخص أتباعهم من المؤمنين، بحسب علمهم وإيمانهم وتقواهم، وهي سكينة الإيمان التي تسكّن القلوب عند الريب والشك، والاضطراب والخوف، ولهذا أنزلها الله على المؤمنين في أشد الأحوال، وأصعب المواطن، حينما يكونون أشد حاجة إليها، كما قال سبحانه :﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ لِيَزۡدَادُوٓاْ إِيمَٰنٗا مَّعَ إِيمَٰنِهِمۡۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا ﴿٤﴾﴾[الفتح:٤].

وأعلى مراتب السكينة، وأخص أقسامها، هي سكينة الأنبياء والرسل التي لاتفارقهم، لكمال علمهم بالله، وصدق توكلهم عليه :﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [الأنبياء:٩٠].

ومن هذه السكينة ما حصل لإبراهيم الخليل صلى الله عليه وسلم حينما وضعه أعداؤه في المنجنيق الذي سيلقيه في النار، فتوجه إلى ربه، فأنجاه الله من

النار كماقال سبحانه: ﴿قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾ وَنَجَّيْنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾﴾ [الأنبياء:٦٨-٧١].

ومن تلك السكينة ما حصل لموسى ﷺ حين خرج مع بني إسرائيل، فلحقهم فرعون وجنوده، فكان البحر أمامهم، وفرعون وجنوده خلفهم: ﴿فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾ فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٦٦﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٦٧﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦٨﴾﴾ [الشعراء:٦٠-٦٨].

وكذلك السكينة التي حصلت لموسى ﷺ وقت تكليم الله له: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾﴾ [الأعراف:١٤٣].

وكذلك السكينة التي نزلت عليه حين رأى العصا ثعباناً مبيناً كما قال سبحانه: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿١٧﴾ قَالَ هِىَ عَصَاىَ أَتَوَكَّؤُا۟ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِى وَلِىَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ ﴿١٨﴾ قَالَ أَلْقِهَا يَٰمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِىَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴿٢٠﴾ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ ۖ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ ﴿٢١﴾ وَٱضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ءَايَةً أُخْرَىٰ ﴿٢٢﴾ لِنُرِيَكَ مِنْ ءَايَٰتِنَا ٱلْكُبْرَى ﴿٢٣﴾﴾ [طه:١٧-٢٣].

وكذلك السكينة التي نزلت عليه حين أمره الله بالذهاب إلى فرعون كما قال سبحانه: ﴿وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى ﴿٤١﴾ ٱذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَٰتِى وَلَا تَنِيَا فِى ذِكْرِى ﴿٤٢﴾ ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ ﴿٤٥﴾ قَالَ لَا تَخَافَآ ۖ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾﴾ [طه:٤١-٤٦].

وكذلك السكينة التي نزلت على قلب موسى ﷺ يوم الزينة، حين رأى حبال السحرة وعصيهم كأنها حيات تسعى: ﴿قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلۡقِيَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنۡ أَلۡقَىٰ ٦٥ قَالَ بَلۡ أَلۡقُواْۖ فَإِذَا حِبَالُهُمۡ وَعِصِيُّهُمۡ يُخَيَّلُ إِلَيۡهِ مِن سِحۡرِهِمۡ أَنَّهَا تَسۡعَىٰ ٦٦ فَأَوۡجَسَ فِي نَفۡسِهِۦ خِيفَةٗ مُّوسَىٰ ٦٧ قُلۡنَا لَا تَخَفۡ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡأَعۡلَىٰ ٦٨ وَأَلۡقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلۡقَفۡ مَا صَنَعُوٓاْۖ إِنَّمَا صَنَعُواْ كَيۡدُ سَٰحِرٖۖ وَلَا يُفۡلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيۡثُ أَتَىٰ ٦٩ فَأُلۡقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدٗا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ٧٠﴾ [طه: ٦٥-٧٠].

وكذلك السكينة التي حصلت لنبينا محمد ﷺ حينما وصل إليه الكفار وهو وصاحبه أبو بكر رضي الله عنه في الغار، كما قال سبحانه: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدۡ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذۡ أَخۡرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ إِذۡ هُمَا فِي ٱلۡغَارِ إِذۡ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيۡهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٖ لَّمۡ تَرَوۡهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفۡلَىٰۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلۡعُلۡيَاۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ٤٠﴾ [التوبة: ٤٠].

وكذلك السكينة التي نزلت عليه ﷺ في مواقفه العظيمة في غزواته، وأعداء الله قد أحاطوا به، كيوم بدر، ويوم حنين، ويوم الخندق وغيرها.. كما قال سبحانه: ﴿لَقَدۡ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٖ وَيَوۡمَ حُنَيۡنٍ إِذۡ أَعۡجَبَتۡكُمۡ كَثۡرَتُكُمۡ فَلَمۡ تُغۡنِ عَنكُمۡ شَيۡـٔٗا وَضَاقَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ ثُمَّ وَلَّيۡتُم مُّدۡبِرِينَ ٢٥ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودٗا لَّمۡ تَرَوۡهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٢٦﴾ [التوبة: ٢٥-٢٦].

وقد جعل الله عز وجل هذه الدنيا دار ابتلاء وامتحان، ودار هموم وغموم، ودار تقلبات وتحولات.. وغيرها مما يشغل فكر العبد، ويشتت ذهنه، ويكدر صفوه، وهذا من رحمة أرحم الراحمين، حتى لا يركن الناس إليها، ويشتغلوا بعمارة الدار الآخرة الباقية، وعند تلك الابتلاءات والامتحانات يحتاج العبد من ربه إلى ما يطمئن قلبه، ويشرح صدره، ويربط جأشه، ويزيل ضيقه، ويريح قلبه، ويزيد إيمانه، ويقوي حسن ظنه بربه: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ لِيَزۡدَادُوٓاْ إِيمَٰنٗا

مَّعَ إِيمَٰنِهِمْۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٤﴾ لِّيُدْخِلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ ٱللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٥﴾ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِۖ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٦﴾﴾ [الفتح: ٤-٦].

والفرق بين الطمأنينة والسكينة:

أن الطمأنينة هي سكون القلب إلى الشيء، وعدم اضطرابه وقلقه.

قال النبي ﷺ: «الْبِرُّ مَا اطْمَأَنَّتْ إِلَيْهِ النَّفْسُ، وَاطْمَأَنَّ إِلَيْهِ الْقَلْبُ، والإثم ما حاك في النفس وتردد في الصدر، وإن أفتاك الناس وأفتوك» أخرجه أحمد (١).

أما السكينة فهي ثبات القلب عند هجوم المنغصات والمخاوف على العبد، وسكونه، وعدم اضطرابه.

فالطمأنينة أعم وأشمل، وتكون في العلم واليقين، ولهذا اطمأنت القلوب بذكر الله والقرآن، وامتازت بالسكينة والتواضع، وحسن الظن بالله، وصدق التوكل عليه، والرضا بقضائه، والصبر على بلائه، وسارت بمقتضى ذلك الإيمان إلى الإحسان والبر، والتقوى والصبر، والتوبة والإقبال على الله، حتى وصلت إلى رضوان الله والجنة: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ ﴿٢٩﴾﴾ [الرعد: ٢٨-٢٩].

وقال الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴿٣٠﴾﴾ [الفجر: ٢٧-٣٠].

---

(١) حسن/ أخرجه احمد برقم (١٧٩٩٩).

٤ - درجات السكينة

السكينة على ثلاث درجات:

الأولى: سكينة الخشوع عند القيام بين يدي الله بالعبادة، رعاية لمقام الرب، وتعظيماً له، وتصاغراً لكبريائه، وانكساراً بين يديه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ ١٢﴾ [الملك:١٢].

الثانية: السكينة عند المعاملة، بمحاسبة النفس، وملاطفة الخلق، ومراقبة الحق جل جلاله: ﴿۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ١٣٥﴾ [آل عمران:١٣٣-١٣٥].

الثالثة: السكينة التي تثمر الرضا بالقدر، وتمنع الشطح، وتوقف صاحبها عند الحد الشرعي: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ٣٠ نَحۡنُ أَوۡلِيَآؤُكُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَشۡتَهِيٓ أَنفُسُكُمۡ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ٣١ نُزُلٗا مِّنۡ غَفُورٖ رَّحِيمٖ ٣٢﴾ [فصلت:٣٠-٣٢].

وأسعد الناس بهذه الدرجات الثلاث هم الأنبياء والرسل، وأتباعهم من المؤمنين: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ٥﴾ [البقرة:٥].

وقال عز وجل: ﴿إِنَّمَا يُؤۡمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِهَا خَرُّواْۤ سُجَّدٗا وَسَبَّحُواْ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ۩ ١٥ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمۡ عَنِ ٱلۡمَضَاجِعِ يَدۡعُونَ رَبَّهُمۡ خَوۡفٗا وَطَمَعٗا وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ١٦ فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٧﴾ [السجدة:١٥-١٧].

٥ - ثمرات السكينة

من أعظم ثمرات السكينة محبة الله لعبده، حيث أنزل على قلبه السكينة، ثم محبة الملائكة له، ثم محبة الناس له: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾﴾ [الفتح:١٨].

وقال عز وجل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَٰنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾﴾ [مريم:٩٦].

والسكينة منحة ربانية تجعل العبد المؤمن قادراً على تحمل المصائب والشدائد إذا نزلت به: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ۗ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [البقرة: ١٥٥-١٥٧].

والسكينة تثمر للعبد أداء العبادات بكمال الحب والتعظيم والذل لله عز وجل، وبكل طمأنينة، وخشوع، وسكينة، وحضور قلب، فيؤدي العبد المؤمن كل عبادة على ما يحبه الله ويرضاه: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ﴿٤﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٧﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١﴾﴾ [المؤمنون:١-١١].

وقال النبي ﷺ: «إِذَا أُقِيمَتِ الصَّلَاةُ فَلَا تَأْتُوهَا تَسْعَوْنَ، وَأْتُوهَا تَمْشُونَ وَعَلَيْكُمُ السَّكِينَةُ» متفق عليه [(١)]

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٣٥) ومسلم برقم (٦٠٣).

وقال النبي ﷺ: «إِذَا أُقِيمَتِ الصَّلاَةُ ، فَلاَ تَقُومُوا حَتَّى تَرَوْنِي وَعَلَيْكُمْ بِالسَّكِينَةِ» متفق عليه [1]

وفي الحج لما دفع النبي ﷺ من عرفة فَسَمِعَ وَرَاءَهُ زَجْرًا شَدِيدًا ، وَضَرْبًا وَصَوْتًا لِلْإِبِلِ ، فَأَشَارَ بِسَوْطِهِ إِلَيْهِمْ ، وَقَالَ : «أَيُّهَا النَّاسُ عَلَيْكُمْ بِالسَّكِينَةِ» أخرجه البخاري [2].

والسكينة علامة من علامات رضا الله عز وجل عن العبد، والسكينة تجعل المؤمن قادرًا على امتصاص غضبه عندما تحل به مصيبة أو كارثة، فيصبر ويرضى ويسلم، لكمال ثقته بربه، وحسن ظنه به :﴿فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَلَهُۥٓ أَسْلِمُوا۟ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ وَٱلْمُقِيمِى ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾[الحج:٣٤-٣٥].

وقال الله عز وجل :﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [البقرة:١٥٥-١٥٧].

اللهم إنا نسألك إيماناً كاملاً، ويقيناً صادقاً، وقلباً خاشعاً، ولساناً ذاكراً، وتوبةً نصوحاً.

اللهم آت نفوسنا تقواها، وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها.

﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾﴾ [البقرة:٢٠١].

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٣٨) ومسلم برقم (٦٠٤).

(٢) أخرجه البخاري برقم (١٦٧١).

عبادات القلوب

في ضوء القرآن والسنة

العبادة الخامسة والثلاثون

عبادة الرحمة

وتشتمل هذه العبادة العظيمة على المباحث الآتية :

الأول: فقه رحمة الرب ﷻ.

الثاني: فقه رحمة الخلق.

الثالث: أقسام الرحمة.

الرابع: أنواع الرحمة.

الخامس: الأسباب المعينة على رحمة الخلق.

السادس: ثمرات الرحمة.

العبادة الخامسة والثلاثون

عبادة الرحمة

١ - فقه رحمة الرب ﷻ

الرحمة من أعظم صفات الرب ﷻ؛ والرحمة صفةٌ ذاتية لله ﷻ،مشتقة من اسم اللهالرحمن الرحيم؛ وكذلك الرحمة صفةٌ فعلية للرب ﷻ، فالله يرحم من يشاء، ويعذب من يشاء، متى شاء:﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾﴾ [البقرة:١٦٣].

ورحمة الله ﷻوسعت كل شيء؛ فوسعت في الدنيا المؤمن والكافر، والبرّ والفاجر، والمطيع والعاصي، وهي يوم القيامة للمؤمنين خاصة:﴿قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ ۖ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾﴾[الأعراف:١٥٦].

وقال النبيﷺ:«إِنَّ اللهَّ كَتَبَ كِتابًا قَبْلَ أنْ يَخْلُقَ الخلْقَ: إنَّ رَحْمَتي سَبَقَتْ غَضَبِي، فَهو مَكْتُوبٌ عِنْدَهُ فَوْقَ العَرْشِ»متفق عليه (١).

وقال النبيﷺ: «جَعَلَ اللهُّ الرَّحْمَةَ مِئَةَ جُزْءٍ، فأمْسَكَ عِنْدَهُ تِسْعَةً وتِسْعِينَ جُزْءًا، وأَنْزَلَ في الأرْضِ جُزْءًا واحِدًا، فَمِنْ ذلكَ الجُزْءِ يَتَراحَمُ الخَلْقُ، حتَّى تَرْفَعَ الفَرَسُ حافِرَها عن ولَدِها، خَشْيَةَ أنْ تُصِيبَهُ»متفق عليه (٢).

ومن رحمة الله سبحانه بعباده أنه خلق الجنّ والإنس لعبادته، وتكفّل بجميع أرزاقهم، وأرزاق غيرهم:﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴿٥٨﴾﴾ [الذاريات:٥٦-٥٨].

---

(١)**متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٧٥٥٤) ومسلم برقم (٢٧٥١).

(٢)**متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٦٠٠٠) ومسلم برقم (٢٧٥٢).

وقال جل جلاله: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا وَيَعۡلَمُ مُسۡتَقَرَّهَا وَمُسۡتَوۡدَعَهَاۚ كُلّٞ فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ٦﴾ [هود:٦].

ومن رحمة الله سبحانه أنه ابتلى عباده بالأوامر والنواهي رحمةً بهم، وحميةً لهم مما يضرهم، لا حاجةً منه إليهم، لأنه وحده الغني عن كل ما سواه: ﴿وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفۡسِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦﴾ [العنكبوت:٦].

ومن رحمة أرحم الرحمين سبحانه أنه نغّص الدنيا وكدّرها على الناس، لئلّا يتعلقوا بها، ويسكنوا إليها، كي يرغبوا في النعيم في الجنّة، فمنعهم ليعطيهم، وابتلاهم ليعافيهم، وأماتهم ليحييهم: ﴿كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۗ وَنَبۡلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلۡخَيۡرِ فِتۡنَةٗۖ وَإِلَيۡنَا تُرۡجَعُونَ ٣٥﴾ [الأنبياء:٣٥].

ومن رحمة الله الواسعة بخلقة أن سخّر لهم ما في السموات وما في الأرض، ليشكروا ربهم ويحبوه، ويستعينوا به على عبادته وطاعته: ﴿أَلَمۡ تَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَأَسۡبَغَ عَلَيۡكُمۡ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةٗ وَبَاطِنَةٗۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَلَا هُدٗى وَلَا كِتَٰبٖ مُّنِيرٖ ٢٠﴾ [لقمان:٢٠].

ومن رحمة الله ﷻ بالناس أن أرسل إليهم الرسل، وأنزل عليهم الكتب، وشرع لهم الدين الحق، وزودهم بالسمع والأبصار والعقول، ليعرفوا ربهم، ويعبدوا من يستحق أن يُعبد، ومن يستحق أن يُطاع فلا يُعصى، ويُذكر فلا يُنسى، ويُشكر فلا يُكفر: ﴿هُوَ ٱلَّذِي يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦٓ ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٖ لِّيُخۡرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ بِكُمۡ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ٩﴾ [الحديد:٩].

وقال ﷻ: ﴿وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ٧٨﴾ [النحل:٧٨].

ومن رحمة الله بعباده أن عرّفهم بنفسه، ليؤمنوا به، وحذرهم نفسه، لئلا يعاملوه بما لا يليق بجلاله وعظمته: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥۗ وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلۡعِبَادِ ٣٠﴾ [آل عمران:٣٠].

وقال ﷻ: ﴿ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٩٨﴾[المائدة:٩٨].

وقال ﷻ: ﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمۡ ذُو رَحۡمَةٖ وَٰسِعَةٖ وَلَا يُرَدُّ بَأۡسُهُۥ عَنِ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ١٤٧﴾[الأنعام:١٤٧].

ومن رحمة أرحم الراحمين بعباده قبول توبة التائبين، والعفو عن العاصين، والمغفرة للمستغفرين: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يَقۡبَلُ ٱلتَّوۡبَةَ عَنۡ عِبَادِهِۦ وَيَعۡفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعۡلَمُ مَا تَفۡعَلُونَ ٢٥﴾[الشورى:٢٥].

وقال ﷻ: ﴿۞قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ٥٣﴾[الزمر:٥٣].

ومن رحمة الله بعباده أن شرع لهم من الأحكام والأخلاق ماينفعهم في دينهم ودنياهم وأُخراهم، فامتثال أوامره سبيلٌ إلى رحمته، واجتناب نواهيه سبيلٌ إلى رحمته، والوقوف عند حدوده سبيلٌ إلى رحمته: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ٥٦﴾[النور:٥٦].

ومن رحمة أرحم الراحمين بعباده أنه يثيب المؤمنين بأعظم الثواب: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ خَيۡرُ ٱلۡبَرِيَّةِ ٧ جَزَآؤُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَشِيَ رَبَّهُۥ ٨﴾ [البينة:٧-٨].

ومن رحمة أرحم الراحمين أنه يجزي الصابرين من المؤمنين بأحسن الجزاء: ﴿وَلَنَبۡلُوَنَّكُم بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلۡخَوۡفِ وَٱلۡجُوعِ وَنَقۡصٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٥٥ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ١٥٦ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ ١٥٧﴾[البقرة:١٥٥-١٥٧].

وقال ﷻ: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٖ ١٠﴾[الزمر:١٠].

ورحمة الله واسعة لا أول لها ولا آخر، ولا بداية لها ولا نهاية، فهو أرحم الراحمين قبل أن يرحم أحدًا، وهو الرزاق قبل أن يرزق أحدًا، وهو العفو قبل أن

يعفو عن أحد، وهو الخالق قبل أن يخلق أحداً: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾[الحشر:٢٢-٢٤].

وكل رحمة في المخلوقات فمن آثار رحمة الله بعباده: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾﴾[النحل:٥٣].

ورحمة الله قريبةٌ من أهل الخير والبر والإحسان: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾﴾[الأعراف:٥٦].

وكل رحمة في الخلق فمن آثار رحمة الخالق: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾﴾[آل عمران:١٥٩].

٢ - فقه رحمة الخلق

أحب شيءٍ إلى الله ﷻ هو تحصيل صفاته، والتعبّد لله بها على شاكلة العبودية .

فالله مؤمنٌ يحب الإيمان، وأهل الإيمان، والله محسنٌ يحب الإحسان، وأهل الإحسان، والله توابٌ يحب التوبة، وأهل التوبة، والله رحمنٌ يحب الرحمة، وأهل الرحمة: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [الأعراف: ١٨٠].

والرحمة عبادةٌ قلبية، وخلقٌ عظيم أودَعه الله قلوب جميع المخلوقات؛ فالرحمة تدفع الكبير ليحنو على الصغير، وتدعو القادر لإعانة العاجز، وتدفع الغني للإحسان إلى الفقير، وتدفع العالم لتعليم الجاهل، وتدفع الوالد للإنفاق على الولد، وتدفع الولد للإحسان إلى الوالد، وتدفع الصحيح لإسعاف المريض: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ﴾ [الفتح: ٢٩].

والرحمة تدفع الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام لرحمة الخلق، والعطف عليهم، واللين لهم، والإحسان إليهم، ليعرفوا ربهم، ويؤمنوا به، ويعبدوه وحده لا شريك له: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾﴾ [آل عمران: ١٥٩].

وقد أرسل الله الرحمن الرحيم جميع الرسل لرحمة الخلق، وتعريفهم بربهم الرحمن الرحيم؛ حتى يحبوه، ويسألوه، ويعبدوه وحده لا شريك له ، لينالوا ثوابه، وينجوا من عقابه: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

الرحمة خلقٌ عظيم من أخلاق الإسلام، وأجمل أخلاق الأنبياء والمرسلين: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾[التوبة:١٢٨].

الرحمة خلقٌ عظيم من سمة عباد الله الصالحين، وأولياء الله المتقين، تنبعث من شعور العبد بما يعانيه غيره من هموم وأحزان، وما يقاسيه من آلام وأوجاع، فتحمل العبد على رحمة غيره، والوقوف إلى جانبه، وإسداء المعروف إليه، والأخذ بيده، والإحسان إليه بالقول والفعل: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢١﴾﴾[النور:٢١].

وقال سبحانه: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ ۚ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا ۖ سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾﴾[الفتح:٢٩].

وقال النبي ﷺ: "مَثَلُ المؤْمِنِينَ في تَوادِّهِمْ، وتَراحُمِهِمْ، وتَعاطُفِهِمْ مَثَلُ الجَسَدِ إذا اشْتَكَى منه عُضْوٌ تَداعَى له سائِرُ الجَسَدِ بالسَّهَرِ والحُمَّى". متفق عليه (١).

والرحمة هي إرادة إيصال الخير إلى الغير من إنسان أو حيوان؛ الرحمة رقة في القلب تقتضي الإحسان إلى المرحوم بالقول والفعل

الرحمة إحسان وإنعام وإكرام من الراحم للمرحوم: ﴿ ۞ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ۖ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾﴾[النساء:٣٦].

---

(١) متفق عليه. أخرجه البخاري برقم (٦٠١١) ومسلم برقم (٢٥٨٦).

والرحمة والتراحم بين الخلق هو نشر الرحمة بينهم، والتآزر والتعاطف والتعاون بينهم، وبذل الخير والإحسان والمعروف لمن هو في حاجة إليه، تعبدا لله، ورحمة بالناس: ﴿۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤﴾ [آل عمران: ١٣٣-١٣٤].

والرحمة صفة من صفات الله ﷻ، وهي من مقتضى الإيمان بأسماء الله الحسنى، ومن لوازم الإيمان بأسماء الله الرحمن الرحيم، المحسن الكريم، العفو الغفور، الرءوف اللطيف؛ فمن عرف ربه الرحمن الرحيم أحبه ومجّده، وسأله من واسع فضله ورحمته، ورحم غيره من الخلق: ﴿رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا فَٱغۡفِرۡ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ ٧﴾ [غافر: ٧].

ومن عرف ربه بصفة الإحسان أحسن إلى غيره بالقول والفعل: ﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسۡنٗا﴾ [البقرة: ٨٣].

وقال الله ﷻ: ﴿وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلۡقُواْ بِأَيۡدِيكُمۡ إِلَى ٱلتَّهۡلُكَةِ وَأَحۡسِنُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٩٥﴾ [البقرة: ١٩٥].

ومن عرف ربه باسمه الكريم شكر ربه على إحسانه وإنعامه، وأكرم غيره من الخلق بما يدخل السرور عليه: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ٢٦١﴾ [البقرة: ٢٦١].

ومن عرف ربه العفو شكره، وعفا عن غيره. ومن عرف ربه الغفور شكره على عظيم مغفرته، وغفر زلات من أساء إليه، ومن عرف ربه الرءوف رأفَ بخلقه، ومن عرف ربه اللطيف رحِم عباده، ولطَفَ بهم، وأحسن إليهم: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ

﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ١٠٣﴾ [الأنعام:١٠٢-١٠٣].

والرحمة من أعظم صفات الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةً لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾[الأنبياء: ١٠٧].

الرحمة عبادة قلبية تقتضي رقة القلب، والرغبة في الإحسان إلى المرحوم واللطف به، وإدخال السرور عليه، والرأفة به،والإشفاق عليه.

والفرق بين الرحمة والرأفة:

أن الرأفة مبالغةً في رحمةٍ خاصة، وهي دفع المكروه، وإزالة الضرر عن المرحوم. وأما الرحمة فهي اسم جامع تقتضي الإحسان إلى المرحوم، ودفع المكروه عنه، فهي أعمّ من الرأفة والرأفة والرحمة من أعظم صفات نبينا ﷺ:﴿لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ١٢٨﴾[التوبة:١٢٨].

٣-أقسام الرحمة

تنقسم الرحمة من حيث المدح والذم إلى قسمين :

الأولى: الرحمة المحمودة:

وهي رحمة جميع البشرية بدعوتهم إلى الله ﷻ،ليؤمنوا به، ويعبدوه وحده لا شريك له، ليفوزوا بثوابه، وينجوا من عقابه:﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾[الأنبياء:١٠٧].

ورحمة الضعفاء من الصغار والكبار، والأرامل والأيتام، والفقراء والمساكين، والمرضى والمحتاجين، بالإحسان إليهم، والشفقة عليهم، ودفع المكروه عنهم، وهذه الرحمة هي الأصل؛ وهي التي فطر الله الناس عليها:﴿فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِۖ فَإِذَا عَزَمۡتَ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَوَكِّلِينَ ١٥٩﴾ [آل عمران:١٥٩].

الثانية: الرحمة المذمومة:

وهي كل ما يحصل بسبب تعطيل شرع الله، أو التهاون في تطبيق حدوده وأوامره؛ كمن يشفق على من ارتكب جرمًا يستحق به إقامة الحد عليه، فيحاول إقالته، والعفو عنه، وإسقاط الحد عنه، يظن أن ذلك من رحمة الخلق، وليس ذلك من الرحمة في شيء؛ بل الرحمة هي إقامة الحد على المذنب، و تنفيذ حكم الله فيه، قطعًا لدابر الشر والفساد والظلم والعدوان في الأرض:﴿وَلَكُمۡ فِي ٱلۡقِصَاصِ حَيَوٰةٞ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٧٩﴾[البقرة:١٧٩].

ولهذا نهى الله ﷻالمؤمنين أن تأخذهم رأفةً أو رحمةً في تنفيذ حدود الله على الجناة، وإقامة شرعه على المجرمين بقوله :﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجۡلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا مِاْئَةَ

جَلۡدَةٖۖ وَلَا تَأۡخُذۡكُم بِهِمَا رَأۡفَةٞ فِي دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۖ وَلۡيَشۡهَدۡ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٞ مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٢﴾﴾[النور:٢].

فدين الله الذي تُنال به رحمته هو طاعته وطاعة رسوله، المبني على محبته ومحبة رسوله ﷺ: ﴿قُلۡ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾ [آل عمران:٣٢].

والرأفة والرحمة يحبهما الله ورسوله ما لم تكن مضيعةً لدين الله،وتعطيل حدوده، وقد أرسل الله رسوله محمداً ﷺ رحمةً للعالمين كما قال سبحانه:﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾[الأنبياء:١٠٧].

فمن ترك هذه الرحمة النافعة لرأفة يجدها بالمريض الذي يتألم ويتعذب، فلم يُعنه ويسعفه رأفةً به، فهو الذي أعان على عذابه وهلاكه بجهله وحمقه، لأن الله الرحمن الرحيم هو الذي أمر بالرحمة والتراحم، والتعاون على البر والتقوى، وخير الناس أنفعهم للناس:﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴿٢﴾﴾[المائدة:٢].

وقال النبي ﷺ :«أحبُّ الناسِ إلى الله تعالى أنفعُهم للناسِ وأحبُّ الأعمالِ إلى الله عزَّ وجلَّ سرورٌ يُدخلُه على مسلمٍ أو يكشفُ عنه كُربةً أو يقضي عنه دَينًا أو يطرُدُ عنه جوعًا»أخرجه الطبراني(١).

ومن الرحمة المذمومة شرعًا ما يكون سببًا في ضياع وفساد وهلاك المرحوم؛ كما يفعله بعض الآباء من ترك تربية الأولاد، وعدم تأديبهم وعقوبتهم عند الخطأ، رحمةً بهم، وشفقةً عليهم، وعطفًا عليهم، فيكونون سببًا في فسادهم

(١)صحيح: أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط برقم (٦٠٢٦) .

وانحرافهم،وفشلهم وهلاكهم، وهم لا يشعرون، فهذه رحمة مذمومة مقرونة بجهل! فإن الله سائل كل راعٍ عما استرعاه؛ فليقم بما أوجب الله عليه .

قال النبي ﷺ :«أَلَا كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مسئول عَنْ رَعِيَّتِهِ، فَالْأَمِيرُ الَّذِي عَلَى النَّاسِ رَاعٍ، وَهُوَ مسئول عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ، وَهُوَ مسئول عَنْهُمْ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ عَلَى بَيْتِ بَعْلِهَا وَوَلَدِهِ، وَهِيَ مسئولة عَنْهُمْ، وَالْعَبْدُ رَاعٍ عَلَى مَالِ سَيِّدِهِ وَهُوَ مسئول عَنْهُ، أَلَا فَكُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مسئول عَنْ رَعِيَّتِهِ» متفق عليه (١).

ومن الرحمة المذمومةترك نصح الوالدين عن فعل المعاصي والكبائر، ظنًّا من الولد أن هذا ينافي الإحسان إليهما، وإدخال السرور عليهما والقول الحسن معهما، والبر بهما .

وهذه رحمة مقرونة بجهل؛ لأن الله أمرنا بالإحسان إلى الخلق عمومًا، والإحسان إلى الوالدين خصوصًا، ومن الإحسان إليهما الرفق بهما،وإحسان القول لهما، والتواضع لهما، والدعاء لهما، وأمرهم بالمعروف، ونهيهم عن المنكر:﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾﴾ [الإسراء:٢٣-٢٤].

ومن الرحمة المذمومة ترك الإنكار على أهل المعاصي من الأقارب، وترك إيقاظ الأولاد للصلاة خاصةً صلاة الفجر رحمةً بهم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾﴾[التحريم:٦].

---

(١)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٢٥٥٤)، ومسلم برقم (١٨٢٩) .

وتنقسم الرحمة من حيث الاتصاف بها إليقسمين :

الأول: رحمة فطرية، قد جبلَ الله عليها بعض عباده، فجعل في قلوبهم الرحمة والرأفة، والحنان والإشفاق على الخلق، ففعلوا بموجب هذه الرحمة كل ما يقدرون عليه من نفع الخلق بحسب استطاعتهم، وهم محمودون مثابونعلى ما قاموا به من رحمة الخلق، معذورون فيما عجزوا عنه، ويكتب الله لهم بنياتهم الصادقة ما عجزت عنه قواهم: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾[الأنفال:٢-٤].

وقال الله ﷻ: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الروم:٣٠].

وقال النبي ﷺ: «إنما الأعمال بالنيات.... نوى» متفق عليه [١].

الثاني: رحمة مكتسبة، يكتسبها العبد بسلوكه ومجاهدته، لعلمه بأن الرحمة من أجلّ مكارم الأخلاق وأكملها؛ فيجاهد نفسه عليا لاتصاف بها، ولعلمه بما رتّب الله عليها من الثواب العظيم، ولعلمه أن الجزاء من جنس العمل ، فمن رحم الخلق رحمه الله، ومن أحسن إليهم أحسن الله إليه: ﴿۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ [آل عمران:١٣٣-١٣٤].

---

(١)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (١) ومسلم برقم (١٩٠٧).

وقال النبي ﷺ: «إِنَّما يَرْحَمُ اللهُ مِن عِبَادِهِ الرُّحَمَاءَ» متفق عليه (١).

وتنقسم الرحمة من حيث القوة والضعف إلى قسمين :

الأول: أهل الرحمة القوية الواسعة العامة:

وتحصل هذه الرحمة لهؤلاء بحسب معرفتهم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله، ومعرفة صفات جلاله وجماله، وسعة رحمته لجميع الخلق، وعلمهم بأن الرحمة من أحسن مكارم الأخلاق، وأن الرحمة من أعظم صفات الأنبياء والمرسلين، وعلمهم بعظيم ثواب الله لأهل الرحمة والإحسان، ومحبته لهم، وعلمهم بأن الجزاء من جنس العمل، فمن رحم العبيد رحمه رب العبيد، ومن أحسن إلى الخلق أحسن إليه رب الخلق .

فهؤلاء لكثرة مخالطتهم للضعفاء من الفقراء والمساكين،والمرضى والمصابين، والمحتاجين والمعوزين، هم أنفع الناس للناس بعد الأنبياء .

فهؤلاء بين الخلق كالشمس والقمر، وكالأرض تنبت من كل زوج بهيج، وكالماء النازل من السماء تحيا به الأرض بعد موتها، ويسقي الزروع والبهائم وبني آدم .

فما أعظم فضل الله على هؤلاء، وما أعظم فضلهم على الخلق، وما أعظم ثوابهم عند ربهم: ﴿ ۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤ ﴾[آل عمران:١٣٣-١٣٤].

وفي مقدمة هؤلاء الأنبياء والرسل، ومن سار على هديهم من المؤمنين: ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُم بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ فَلَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٢٧٤ ﴾[البقرة:٢٧٤].

---

(١)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (١٢٨٤) ومسلم برقم (٩٢٣) .

وقال الله ﷻ عن الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [الأنبياء: ٩٠].

فوظائف هؤلاء بين الخلق الدعوة إلى الله، وتعليم شرع الله، والإحسان إلى خلق الله بأنواع الإحسان، والبذل والعطاء، والرحمة واللطف، والعفو والصفح: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿١٢﴾ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْـَٔاخِرِينَ ﴿١٤﴾﴾ [الواقعة: ١٠-١٤].

الثاني: أهل الرحمة الضعيفة:

فرحمتهم ناقصة محدودة، لجهلهم بصفات أرحم الراحمين، وجهلهم بصفات سيد المرسلين، وجهلهم بثواب أهل الرحمة، وعدم مخالطتهم للفقراء والمساكين والمحتاجين: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾﴾ [محمد: ١٩].

وقال الله عز وجل: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [التوبة: ١٢٨].

٤ - أنواع الرحمة

الرحمة خمسة أنواع:

الأول: رحمة النفس

وذلك بحملها على طاعة الله ورسوله، وتزكيتها بالإيمان والأعمال الصالحة، وإعطائها حظوظها، وعدم الاعتداء عليها، أو حرمانها مما أحلّ الله لها: ﴿**وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا (٧) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا (٨) قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا (٩) وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا (١٠)**﴾[الشمس:٧-١٠].

وقال الله ﷻ: ﴿**يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ (١٧٢)**﴾[البقرة:١٧٢].

الثاني: رحمة الأسرة المسلمة التي يعيش فيها الإنسان:

فيجب إشاعة الرحمة والمحبة والمودة داخل هذه الأسرة، وذلك بنشر العلم الإلهي بينهم؛ ليعرفوا أوامر الله وحدوده، ويعملوا بموجب ذلك، ليفوزوا برضوان الله، وينجوا من عقابه: ﴿**يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ (٦)**﴾[التحريم:٦].

وقال النبي ﷺ: «**خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لأَهْلِهِ وَأَنَا خَيْرُكُمْ لأَهْلِي**» أخرجه الترمذي وابن ماجة[١].

الثالث: رحمة الأمة المسلمة:

وذلك بالأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والتواصي بالحق، والوعظ والتذكير، والنصح لكل مسلم، والاستقامة على الدين من الجميع: ﴿**وَٱلْعَصْرِ (١) إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ (٢) إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ (٣)**﴾[العصر:١-٣].

---

(١) **صحيح**: أخرجه الترمذي برقم (٣٨٩٥) وابن ماجة برقم (١٩٧٧).

وقال الله عز وجل: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ٧١﴾[التوبة: ٧١].

الرابع: رحمة البشرية كافة:

وذلك بدعوتهم إلى الله عز وجل، وتعريفهم بربهمالذي خلقهم ورزقهم، ليؤمنوا به، ويعبدوه وحده لا شريك له؛ لأنه وحده الرب الذي له الأسماء الحسنى،والصفات العلا، والأفعال الحميدة: ﴿هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ٥٢﴾[إبراهيم:٥٢].

فالواجب على المسلمين رجالًا ونساءً دعوة الكفار إلى الإسلام في كل زمانٍ ومكان، حتى يكون الدين كله لله: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ١٠٤﴾[آل عمران: ١٠٤].

وقال الله عز وجل: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ١٠٨﴾[يوسف:١٠٨].

الخامس: رحمة كل من على ظهر الأرض:

من العرب والعجم، والرجال والنساء، والضعفاء والمساكين، والطير والحيوان، والإحسان إلى الخلق، والرفق بهم، وقضاء حوائجهم حسب الاستطاعة: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾[الأنبياء:١٠٧].

وقال النبي ﷺ: «الرَّاحمونَ يرحمُهُمُ الرَّحمنُ،ارحَموا من في الأرضِ يرحَمْكم من في السَّماءِ»أخرجه الترمذي(١).

وقال النبي ﷺ: «في كُلِّ كَبِدٍ رَطْبَةٍ أجرٌ»متفق عليه (٢).

---

(١)صحيح: أخرجه الترمذي برقم (١٩٢٤) وأبو داود برقم (٤٩٤١).

(٢)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٢٣٦٣) ومسلم برقم (٢٢٤٤).

٥- الأسباب المعينة على رحمة الخلق

الأول: العلم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله، والعلم بأنه أرحم الراحمين، الرحمن الذي وسعت رحمته كل شيء: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ١٩﴾[محمد:١٩].

والله يحب من عباده أن يتّصفوا بصفاته على شاكلة العبودية: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ سَيُجۡزَوۡنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٨٠﴾ [الأعراف:١٨٠].

الثاني: معرفة سيرة الرسول ﷺ، وما أكرمه الله به من عظيم الأخلاق؛ من الرحمة واللطف والإحسان، والاقتداء به فيما جاء به، وما تخلّق به: ﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا ٢١﴾ [الأحزاب:٢١].

الثالث: معرفة جزاء أهل الرحمة وثوابهم، وأنهم جديرون برحمة الله أكثر من غيرهم، ومعرفة عقوبة أهل القَسوة والشِّدة: ﴿إِنَّ رَحۡمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ مِّنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٥٦﴾[الأعراف:٥٦].

وقال النبي ﷺ: «إنما يَرحمُ اللهُ مِنْ عباده الرُّحماء» متفق عليه (١).

الرابع: معرفة الآثار المترتبة على التعبد لله بخُلُق الرحمة، والثمار التي يجنيها الرحماء في الدنيا والآخرة: ﴿مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمۡ فِي ٱلۡإِنجِيلِ كَزَرۡعٍ أَخۡرَجَ شَطۡـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسۡتَغۡلَظَ فَٱسۡتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنۡهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمَۢا ٢٩﴾[الفتح:٢٩].

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (١٢٨٤)، ومسلم برقم (٩٢٣).

الخامس: مخالطة الضعفاء، والمساكين، والفقراء، وذوي الحاجات، فإن ذلك مما يرقّق القلب، ويملؤه بالرحمة والشفقة على هؤلاء وغيرهم.
قال النبي ﷺ: «مثل المؤمنين في توادهم .... إلى الحمى» متفق عليه (١).
السادس: تربية الأولاد على مكارم الأخلاق، وغَرس الرحمة والرفق في قلوبهم؛ حتى تصبح الرحمة سجيّة لهم، ومنارًا لأهل البيت: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجِكُمۡ وَأَوۡلَٰدِكُمۡ عَدُوّٗا لَّكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُمۡۚ وَإِن تَعۡفُواْ وَتَصۡفَحُواْ وَتَغۡفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ١٤﴾ [التغابن: ١٤].
السابع: مجالسة الرحماء ومخالطتهم، والبُعد عن ذوي القسوة والغِلظة، فالمرء على دين خليله، فلينظر من يخالل: ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا ٢٨﴾ [الكهف: ٢٨].
الثامن: دعاء الله عز وجل أن يرزقه خلق الرحمة لجميع الخلق، فالله كريم لا يرد سائلاً، ولا يخيب مؤملاً: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لِي وَلۡيُؤۡمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمۡ يَرۡشُدُونَ ١٨٦﴾ [البقرة: ١٨٦].
وقال النبي ﷺ: «يَنْزِلُ رَبُّنَا تبارَكَ وتَعالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إلى السَّماءِ الدُّنْيا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ يقولُ: مَن يَدْعُوني، فأسْتَجِيبَ له مَن يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، مَن يَسْتَغْفِرُنِي فأغْفِرَ له» متفق عليه (٢)

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٦١١) ومسلم برقم (٢٥٨١).
(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (١١٤٥) ومسلم برقم (٧٥٨).

٦ - ثمرات الرحمة

من أعظم ثمرات الرحمة :

الأولى: محبة الله لصاحب الرحمة، ومحبة الملائكة له، ثم محبة الناس له، كما قال سبحانه: ﴿**إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا ٩٦**﴾[مريم:٩٦].

الثانية: أن الرحمة بالخلق من أعظم أسباب تحصيل رحمة الله، فقد خصّ الله أهلها برحمته جزاءً رحمتهم لخلقه: ﴿**وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرۡحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ٧١**﴾[التوبة:٧١].

الثالثة: أن المُتحلّي بخلق الرحمة مُقتدٍ بأرحم الناس بالناس، وهو النبي ﷺ: ﴿**لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ١٢٨**﴾[التوبة:١٢٨].

الرابعة: أن الرحمة والتراحم من أعظم أسباب الأمن والمحبة، والتآلف والمودة: ﴿**وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنۡ خَلَقَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا لِّتَسۡكُنُوٓاْ إِلَيۡهَا وَجَعَلَ بَيۡنَكُم مَّوَدَّةٗ وَرَحۡمَةًۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ٢١**﴾[الروم:٢١].

وقال النبي ﷺ: «مثلُ المؤمنِينَ في توَادهم وتَراحمهم وتعاطُفِهم مثلُ الجسَدِ إذا اشتكى منه عُضوٌ تداعى له سائِرَ الجسَدِ بالسَهرِ والحُمَّى» متفق عليه (١).

الخامسة: أن الرحمة أعظم رباطٍ يربط المؤمنين ببعضهم حتى يكونوا كالجسد الواحد، فالرحمة من علامات الإيمان والأمن: ﴿**ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ٨٢**﴾[الأنعام:٨٢].

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٦١١) ومسلم برقم (٢٥٨٦).

وقال النبي ﷺ :«ليس منّا مَنْ لم يرحم صغيرنا ويعرف حقَّ كبيرنا»أخرجه أحمد والترمذي(١).

السادسة: أنه على قدر حظ المؤمن من الرحمة تكون درجته عند الله ﷻ : ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴿٢٩﴾﴾ [الفتح:٢٩].

وقال النبي ﷺ :«إنما يَرحمُ الله من عباده الرُّحماء» متفق عليه(٢).

السابعة: أن الرحمة والمغفرة سبب لمغفرة الله تعالى، وكريم عفوه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ ۚ وَإِن تَعْفُوا۟ وَتَصْفَحُوا۟ وَتَغْفِرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾﴾[التغابن:١٤].

الثامنة: أن الرحمة أعظم مفتاحٍ لأبواب الأجر والثواب؛ لأنها تتعلق بِضَعَفَةِ المجتمع من الفقراء والمساكين، والأرامل والأيتام، والكبار والعجزة، والمرضى والضعفاء والمحتاجين، فخير الناس أنفعهم للناس :﴿۞ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾[آل عمران:١٣٣-١٣٤].

التاسعة: أن الرحمة خلقٌ عظيم متعدّ النفع لجميع الخلق من بني آدم وغيرهم من البهائم والحيوان والطير.

قال ﷺ :«في كلِّ كبدٍ رطبةٍ أجرٌ» متفق عليه (٣)

---

(١)صحيح: أخرجه احمد برقم (٦٧٣٣) والترمذي برقم (١٩٢٠) .

(٢) متفق عليه،أخرجه البخاري برقم (١٢٨٤) ومسلم برقم (٩٢٣) .

(٣)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٢٣٦٣) ومسلم برقم (٢٢٤٤).

العاشرة: أن من رحمه الله رضي الله عنه، وأدخله جنته: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٧١) وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (٧٢)﴾[التوبة: ٧١-٧٢].

﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٢٣)﴾[الأعراف:٢٣].

﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ (٨)﴾ [آل عمران:٨].

اللهم يا حي يا قيوم، يا ذا الجلال والإكرام، ارحمنا برحمتك التي وسعت كل شيء، يا أرحم الراحمين .

اللهم آت نفوسنا تقواها، وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها .

عبادات القلوب

في ضوء القرآن والسنة

العبادة السادسة والثلاثون

عبادة الحلم

وتشتمل هذه العبادة العظيمة على المباحث الآتية :

الأول :فقه حلم الله ﷻ.

الثاني : فقه الحلم على الخلق.

الثالث : منزلة الحلم.

الرابع : أقسام الأخلاق.

الخامس : صور من حلم النبي صلى الله عليه وسلم.

السادس : الأسباب الباعثة على الحلم.

السابع : ثمرات الحلم.

العبادة السادسة والثلاثون

عبادة الحِلم

١ - فقه حلم الله عز وجل

الله عز وجل هو الملك الحق الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلا، والأفعال الحميدة، والنعوت الجميلة، والأحكام المجيدة: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ ٨﴾ [طه:٨].

هو جل جلاله الحليم الذي لا أحلم منه، الحليم الذي وهب الحلم لكل حليم، والحليم اسم عظيم من أسماء الله الحسنى، والحلم صفة من صفات الله تعالى: ﴿إِن تُقۡرِضُواْ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا يُضَٰعِفۡهُ لَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ١٧﴾ [التغابن:١٧].

وحلم الله ﷻ هو الصفح عن العصاة من العباد، وتأجيل عقوبتهم، رجاء توبتهم عن معاصيهم.

وحلم الله ﷻ على عباده، وتركه معاجلتهم بالعقوبة، من صفات كماله، وليس لعجزه عنهم، لأن الله قوي قادر لا يعجزه شيء: ﴿لِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا فِيهِنَّۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرُۢ ١٢٠﴾ [المائدة:١٢٠].

وليس حلم الله ﷻ وإمهاله للعصاة عن عدم علمه بما يفعل العصاة، بل هو العليم البصير بكل ذرة في ملكه، العليم الخبير الذي لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء: ﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجۡوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمۡ وَلَا خَمۡسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمۡ وَلَآ أَدۡنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمۡ أَيۡنَ مَا كَانُواْۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُواْ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ٧﴾ [المجادلة:٧].

وليس حلم الله على العصاة والمجرمين لحاجته إليهم، بل هو الغني عنهم، وهم الفقراء إليه: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ١٥﴾ [فاطر:١٥].

هو الرب الحليم الذي وسع حلمه جميع خلقه، الحليم الذي لا يحبس إنعامه وإحسانه عن عباده لأجل معاصيهم، هو الحليم الذي يرزق العاصي كما يرزق المطيع، ويبقي العاصي وهو منهمك بمعاصيه كما يبقي البر التقي، ويقيه البلايا والآفات وهو كافرٌ لا يؤمن به، أو غافلٌ لا يذكره: ﴿سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾﴾ [الإسراء:٤٣-٤٤].

ولو لا حلم الله الواسع لما بقي على ظهر الأرض أحد: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُوا۟ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرًۢا ﴿٤٥﴾﴾ [فاطر:٤٥].

والحليم سبحانه لكمال رحمته بعباده، يؤخر العذاب عن العصاة في الدنيا رحمةً بهم لعلهم يتوبون إليه، ولكن أكثر الناس يغترون بهذا الإمهال، ولا يرون رحمة الله، فالله يريد للناس الرحمة والإمهال، ولكن الجهال والأجلاف يرفضون تلك الرحمة، ولا يعرفون حكمة ذلك الإمهال كما قال كفار مكة: ﴿وَإِذْ قَالُوا۟ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٢﴾ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأنفال:٣٢-٣٣].

هو سبحانه الحليم الذي وهب الحلم لكل حليم، ووهب العلم لكل عليم، ووهب الرحمة لكل راحم، القدير الذي وهب القدرة لكل قادر: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾﴾ [النحل:٥٣].

والرب العظيم الذي هذه أسماؤه وصفاته وأفعاله هو الرب الذي يستحق أن يطاع فلا يعصى، ويذكر فلا ينسى، ويشكر فلا يكفر، وأن يعبد وحده لا شريك له: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [البقرة:٢١-٢٢].

٢ - فقه الحلم على الخلق

الحلم من مكارم الأخلاق، وأجمل صفات الأنبياء والمرسلين .

والحلم عبادة قلبية بين العبد وبين الناس، تقلب العداوة إلى صداقة،وتقلب البغضاء إلى محبة : ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾﴾[فصلت:٣٣-٣٥].

الحلم ضبط النفس عند هيجان الغضب، وحملها على الأحسن من القول والفعل والخلق.

فمن سبك وشتمك فواجهه بالحلم، وقل له لن نكافي من عصى الله فينا بأكثر من أن نطيع الله فيه، أو قل إن كنت أنا كما قلت فغفر الله لي، وإن لم أكن كما قلت فغفر الله لك: ﴿وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾[آل عمران: ١٣٣ – ١٣٤] .

والحلم والأناة من أجمل صفات الإنسان،فالحلم ضد السفه والغضب، والأناة ضد العجلة والطيش .

والحلم والأناة صفتان لازمتان للأنبياء والمرسلين، تعبدوا الله بهما مع أقوامهم، فكانت سبباً لمحبة الناس لهم، والدخول في دينهم، وقبول دعوتهم :﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ

﴿لَهُمۡ وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِۖ فَإِذَا عَزَمۡتَ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَوَكِّلِينَ ١٥٩﴾ [آل عمران:١٥٩].

وقال الله ﷻ عن خليله إبراهيم ﷺ: ﴿إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٞ مُّنِيبٞ ٧٥﴾ [هود:٧٥].

وقال عن سيد الأنبياء والرسل ﷺ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ ٤﴾ [القلم:٤].

وقال الله لرسوله ﷺ: ﴿خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ ١٩٩﴾ [الأعراف:١٩٩].

وحكى النبي ﷺ عن نبي مِنَ الأنْبِيَاءِ، ضَرَبَهُ قَوْمُهُ فأدْمَوْهُ، وهو يَمْسَحُ الدَّمَ عن وجْهِهِ ويقولُ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فإنَّهُمْ لا يَعْلَمُونَ» متفق عليه (١) .

وقد حصل هذا لنبينا صلى الله عليه وسلم في غزوة أحد.

الحلم ضبط النفس عن الغضب، وكفها عن مقابلة الإساءة بمثلها.

والفرق بين الحلم، والوقار، والأناة، والرفق، والصبر:

أن الحلمهو أن يملك الإنسان نفسه عند الغضب.

قال النبي ﷺ: «ليسَ الشَّدِيدُ بالصُّرَعَةِ، إنَّما الشَّدِيدُ الذي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الغَضَبِ» متفق عليه (٢).

والوقارهو الهدوء وسكون الأطراف، ومفارقة الطيش عند الغضب.

والأناةهي التأني في الأمور، وعدم العجلة، والتريث حتى يستبين الأمر.

أما الرفق فهو معاملة الناس بالرفق واللين واللطف، حتى وإن استحقوا العقوبة والنكال، وهو من جميل الأخلاق.

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٣٤٧٧) ومسلم برقم (١٧٩٢).

(٢)**متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٥٧٦٣) ومسلم برقم (٢٦٠٩).

قال النبي ﷺ: «إِنَّ الرِّفْقَ لا يَكونُ في شيءٍ إِلَّا زانَهُ، ولا يُنْزَعُ مِن شيءٍ إِلَّا شانَهُ» أخرجه مسلم (١).

وأما الصبر فهو حبس النفس عن إظهار الجزع ابتغاء مرضاة الله: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [البقرة: ١٥٥-١٥٧].

والحلم من مقتضى الإيمان بأسماء الله الحسنى، ومن لوازم الإيمان بأسماء الله الحليم، والعفو، والغفور، والرحمن، والرحيم.

فالمؤمن إذا عرف حلم الله الواسع على الطغاة والعصاة، وإمهاله لهم ليتوبوا، حلم على من جهل عليه وسبه وآذاه: ﴿فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴿٦٠﴾﴾ [الروم: ٦٠].

وإذا عرف العبد عفو الله عن خلقه، وحلمه عليهم، وتجاوزه عن سيئاتهم، وغفران ذنوبهم، عفا عمن ظلمه، ووصل من قطعه، وأعطى من حرمه، وأحسن إلى من أساء إليه، وأعرض عمن سبه: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾﴾ [الأعراف: ١٩٩].

وقال سبحانه: ﴿۞ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ [آل عمران: ١٣٣-١٣٤].

وإذا عرف العبد ربه الرحمن الرحيم، وأن رحمته سبقت غضبه، سارع إلى رحمة الناس، والإحسان إليهم، والرفق بهم، والعفو عنهم، ابتغاء مرضاة الله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٥٩٤).

ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجِكُمۡ وَأَوۡلَٰدِكُمۡ عَدُوّٗا لَّكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُمۡۚ وَإِن تَعۡفُواْ وَتَصۡفَحُواْ وَتَغۡفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾﴾ [التغابن: ١٤].

وقد جمع الله عز وجل أحسن الأخلاق والصفات في الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام، ثم جمعها في سيد الأنبياء والرسل محمد ﷺ، لأنه قدوة لجميع الناس إلى يوم القيامة فقال الله عنه ربه مثنيًا عليه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ ﴿٤﴾﴾ [القلم: ٤].

ثم فرق سبحانه أحسن الصفات والأخلاق في هذه الأمة، لأنها خير أمة أخرجت للناس كما قال الله عنهم: ﴿كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِۗ وَلَوۡ ءَامَنَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۚ مِّنۡهُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَأَكۡثَرُهُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾﴾ [آل عمران: ١١٠].

ومن تعبد لله بهذه الصفات فليبشر بالمغفرة والأجر العظيم من ربه: ﴿إِنَّ ٱلۡمُسۡلِمِينَ وَٱلۡمُسۡلِمَٰتِ وَٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ وَٱلۡقَٰنِتِينَ وَٱلۡقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلۡخَٰشِعِينَ وَٱلۡخَٰشِعَٰتِ وَٱلۡمُتَصَدِّقِينَ وَٱلۡمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلۡحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمۡ وَٱلۡحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمٗا ﴿٣٥﴾﴾ [الأحزاب: ٣٥].

٣- منزلة الحلم

الحليم اسم من أسماء الله الحسنى، والحِلم صفة من صفات الرب عز وجل.

والله عز وجل يحب من عباده أن يتصفوا بصفاته على شاكلة العبودية: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [الأعراف: ١٨٠].

فالله مؤمن يحب الإيمان، وأهل الإيمان، والله حليم يحب الحِلم، وأهل الحِلم.

والحلم من أعظم صفات الأنبياء والمرسلين كما قال الله عز وجل عن خليله إبراهيم ﷺ: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ ﴿٧٥﴾﴾ [هود: ٧٥].

وقال عن نبيه محمد ﷺ: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾﴾ [آل عمران: ١٥٩].

والحلم من أعظم صفات المؤمنين المتقين كما قال سبحانه: ﴿۞ وَسَارِعُوٓا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَـٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَـٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ [آل عمران: ١٣٤].

والحلم من أحسن الأخلاق، وأحقها بذوي العقول والألباب، لما فيه من سلامة العرض، وراحة البال، وعظيم الأجر، واكتساب الحمد: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَـٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾﴾ [الأعراف: ١٩٩].

وقال الله عز وجل: ﴿۞ وَسَارِعُوٓا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَـٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَـٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ [آل عمران: ١٣٤].

ومن غرس شجرة الحلم في قلبه، جنى ثمرة السلم والأمن في حياته.

والحلم سيد الأخلاق، وتاج الأمن والسلامة والسلام، وقيد العدو بلا عقال، وصاحبه محمود بين الأنام: ﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾﴾ [فصلت: ٣٤-٣٦].

فعليك يا عبد الله بالحلم، وإياك والغضب، فإنه جمرة ملتهبة في قلب الإنسان، تحرق صاحبها، ومن اقترب منها.

وسبب الغضب هجوم ما يكره الإنسان ممن هو دونه، والحزن هجوم ما يكره الإنسان ممن هو فوقه، وكلاهما مذموم.

فالغضب يتحرك من داخل الجسد إلى خارجه للانتقام، والحزن يتحرك من خارج الجسد إلى داخله بالحسرات، وبذلك قتل الحزن صاحبه لكمونه، لأنه ينتج عنه الأمراض والأسقام المفضية إلى الموت.

ولم يقتل الغضب صاحبه لبروزه، فأفضى إلى السطوة، والانتقام المفضي إلى التهديد والثأر، وكل ذلك من مساوئ الأخلاق.

جاء رَجُلٌ إلى النبيِّ ﷺ وقَالَ لَهُ: «أَوْصِنِي، قالَ: لا تَغْضَبْ فَرَدَّدَ مِرَارًا، قالَ: لا تَغْضَبْ» أخرجه البخاري [(١)].

والحلم من أعظم صفات المؤمن، فمن حلم ساد، ونال محبة العباد، ومحبة رب العباد.

والحلم دليل على كمال العقل، وسعة الصدر، وامتلاك النفس، فتجمّل به: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾﴾ [الأعراف: ١٩٩].

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٦١١٦).

٤ - أقسام الأخلاق

تنقسم الأخلاق الفاضلة إلى قسمين :

الأول : الأخلاق الفطرية.

فقد فطر الله الخلق على حب الخير والفضائل، وبغض الشر والرذائل، وحب العدل والإحسان، وبغض الظلم والعدوان، وهذا هو الأصل :﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾[الروم:٣٠].

والناس متفاوتون في هذه الفطرة من الرحمة والحلم، والإحسان والعفو، والرفق واللطف، ومكارم الأخلاق.

قال النبي ﷺ: «الناسُ معادِنٌ كمعادِنِ الذهبِ والفضةِ ، خيارُهم في الجاهلِيَّةِ ، خيارُهم في الإسلامِ إذا فَقُهوا ، والأرواحُ جنودٌ مُجَنَّدَةٌ ، فما تعارَفَ منها ائتلَفَ ، وما تناكَرَ منها اختلف» متفق عليه (١).

وقال رسول الله ﷺ للأشجِّ أشجِّ عبد القيس :«إنَّ فيك خصلتين يحبُّهما الله: الحِلْم، والأناة» أخرجه مسلم (٢).

وقال النبي ﷺ: « ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو يمجسانه أو ينصرانه» متفق عليه (٣).

الثاني :الأخلاق المكتسبة :

وهي الأخلاق التي يكتسبها الإنسان، ويسعى للتحلي بها، والتجمل بها.

فالصبر بالتصبر، والحلم بالتحلم، والعلم بالتعلم، والناس متفاوتون في سلم الفضائل بحسب ما وهبهم الله من الاستعداد والقدوة، والمجاهدة والهمة:﴿وَمَن

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٣٤٩٥) ومسلم برقم (٢٦٣٨).

(٢) **أخرجه** مسلم برقم (١٧) .

(٣) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (١٣٥٨) ومسلم برقم (٢٦٥٨).

جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦﴾ [العنكبوت:٦].

وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ :«إِنَّ نَاسًا مِنْ الأَنْصَارِ سَأَلُوا رَسُولَ اللهِ ﷺفَأَعْطَاهُمْ ثُمَّ سَأَلُوهُ فَأَعْطَاهُمْ ثُمَّ سَأَلُوهُ فَأَعْطَاهُمْ حَتَّى نَفِدَ مَا عِنْدَهُ فَقَالَ : مَا يَكُونُ عِنْدِي مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ أَدَّخِرَهُ عَنْكُمْ ، وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ اللهُ ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللهُ ، وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللهُ ، وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْرًا وَأَوْسَعَ مِنْ الصَّبْرِ» متفق عليه [1].

وقال النبي ﷺ: «إِنَّما العلمُ بِالتَّعَلُّمِ ، وإِنَّما الحِلْمُ بِالتَّحَلُّمِ ، ومَنْ يَتَحَرَّ الخَيْرَ يُعْطَهُ ، ومَنْ يَتَّقِ الشَّرَّ يُوقَهُ» أخرجه ابو داود والترمذي[2].

والأخلاق الفطرية كالرحمة والحلم والعفو والإحسان يمكن ترقيتها وتقويتها في البيئات الصالحة، ورغبة النفس في الفضائل، وذوقها حلاوتها، وذلك بمجاهدة النفس لتحصيلها، ولزوم البيئة الإيمانية التي تقويها :﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾﴾[العنكبوت:٦٩].

وقال عز وجل :﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَاۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾﴾[الكهف:٢٨].

وفي البيئة الإيمانية نتعلم الدين، ونحب الدين، ونعمل بالدين، ونتثبت على الدين، ونترقى في الدين، وننشر الدين :﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾﴾[التوبة:١١٩].

---

(١)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (١٤٦٩) ومسلم برقم (١٠٥٣).

(٢)حسن: أخرجه أبو داود برقم (٤٨٥٦) ومسلم برقم (٣٣٨٠).

٥- صور من حلم النبي ﷺ

قال الله تعالى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ ﴾[آل عمران:١٥٩].

وقال الله تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ ﴾[التوبة:١٢٨].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كنت أمشي مع رسول الله ﷺ، وعليه بردٌ نجرانيٌّ غليظ الحاشية، فأدركه أعرابيٌّ، فجذبه بردائه جذبةً شديدةً، حتى نظرت إلى صفحة عاتق رسول الله ﷺ قد أثَّرت بها حاشية البُرْد مِن شدَّة جَذبته، ثمَّ قال:يا محمَّد! مُرْ لي مِن مال الله الذي عندك، فالتفت إليه رسول الله ﷺ ثمَّ ضحك، ثمَّ أمر له بعطاء. متفق عليه (١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال كانَ لِرَجُلٍ على رَسولِ اللهَّ ﷺ دَيْنٌ، فَهَمَّ به أصْحَابُهُ، فَقالَ: دَعُوهُ، فإنَّ لِصَاحِبِ الحَقِّ مَقَالًا، وقالَ: اشْتَرُوا له سِنًّا، فأعْطُوهَا إيَّاهُ فَقالوا: إنَّا لا نَجِدُ سِنًّا إلَّا سِنًّا هي أفْضَلُ مِن سِنِّهِ، قالَ: فَاشْتَرُوهَا، فأعْطُوهَا إيَّاهُ، فإنَّ مِن خَيْرِكُمْ أحْسَنَكُمْ قَضَاءً. متفق عليه (٢).

وقال عبد الله كأني أنظر إلى النبي ﷺ يحْكِي نَبِيًّا مِنَ الأنْبِيَاءِ، ضَرَبَهُ قَوْمُهُ فأدْمَوْهُ، وهو يَمْسَحُ الدَّمَ عن وجْهِهِ ويقولُ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فإنَّهُمْ لا يَعْلَمُونَ. متفق عليه (٣).

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٣١٤٩) ومسلم برقم (١٠٥٧).

(٢)**متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٢٦٠٦) ومسلم برقم (١٦٠١).

(٣) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٣٤٧٧) ومسلم برقم (١٧٩٢).

وقال أنس رضي الله عنه :«وَاللهِّ لَقَدْ خَدَمْتُهُ تِسْعَ سِنِينَ ، مَا عَلِمْتُهُ قَالَ لِشَيْءٍ صَنَعْتُهُ : لِمَ فَعَلْتَ كَذَا وَكَذَا ؟ أَوْ لِشَيْءٍ تَرَكْتُهُ: هَلَّا فَعَلْتَ كَذَا وَكَذَا» أخرجه مسلم [1].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ: «واسْتَوْصُوا بالنِّساءِ خَيْرًا، فإنَّهُنَّ خُلِقْنَ مِن ضِلَعٍ، وإنَّ أعْوَجَ شيءٍ في الضِّلَعِ أعْلاهُ، فإنْ ذَهَبْتَ تُقِيمُهُ كَسَرْتَهُ، وإنْ تَرَكْتَهُ لَمْ يَزَلْ أعْوَجَ، فاسْتَوْصُوا بالنِّساءِ خَيْرًا»متفق عليه [2].

وعن أنس رضي الله عنه «أنَّ يَهُودِيَّةً أتَتِ النبيَّ ﷺبشَاةٍ مَسْمُومَةٍ، فأكَلَ منها، فَجِيءَ بهَا فقِيلَ: ألَا نَقْتُلُهَا، قالَ: لَا، فَما زِلْتُ أعْرِفُهَا في لَهَوَاتِ رَسولِ اللهِّ ﷺ» متفق عليه [3].

هذه بعض الصور من حلم النبي ﷺ، والواجب على المؤمنين والمؤمنات الاقتداء به، والتخلق بأخلاقه، والتأدب بآدابه :﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾[الأحزاب:٢١].

---

(١)أخرجه مسلم برقم (٢٣١٠) .

(٢)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٣٣٣١) ومسلم برقم (١٤٦٨).

(٣)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٢٦١٧) ومسلم برقم (٢١٩٠).

٦ - الأسباب الباعثة على الحلم

الأول: العلم بأسماء الله وصفاته وأفعاله، والعلم بصفات جلاله وجماله من العزة والقدرة، والحلم والعفو: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾﴾ [محمد:١٩].

ومن عرف ذلك أحب ربه، وتعبد لله بصفاته على شاكلة العبودية.

فالله مؤمن يحب الإيمان وأهل الإيمان، ومحسن يحب الإحسان وأهل الإحسان، وحليم يحب الحلم وأهل الحلم، وعفو يحب العفو وأهل العفو: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [الأعراف:١٨٠].

الثاني: العلم بأخلاق الأنبياء والمرسلين التي شرفهم الله بها، من الرحمة والصبر، والحلم والأناة، للاقتداء بهم في توحيدهم وإيمانهم وأخلاقهم: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ [الأحزاب:٢١].

الثالث: العلم بفضائل الحلم والأناة، والصبر والعفو وغيرها من مكارم الأخلاق، وحمل النفس على التعبد لله بها بين الناس: ﴿۞ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ [آل عمران:١٣٣-١٣٤].

الرابع: الصبر على أذى الناس، والإعراض عن جهل الجاهلين، وسفه السفهاء، ابتغاء مرضاة الله: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿٤٣﴾﴾ [الشورى:٤٣].

الخامس: تغليب الحلم والعفو على الانتصار على من ظلمك، فمن أقدره الله على عدوه فليجعل العفو عنه شكرًا لمن أقدره عليه.

فأحسن المكارم عفو المقتدر، وجود المفتقر، والحلم على الجاهل: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُو۟لُوا۟ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓا۟ أُو۟لِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ

﴿وَلۡيَعۡفُواْ وَلۡيَصۡفَحُوٓاْۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ٢٢﴾[النور:٢٢].

السادس: التحلي بمكارم الأخلاق، والترفع عن مجازاة المخطي، والإحسان إليه،فالمؤمن جميل الصفات، يصل من قطعه، ويعطي من حرمه، ويعفو عمن ظلمه، ويحسن إلى من أساء إليه، فشرف النفوس أن تتحلى بالصبر على المكاره، وتشكر الله على حسن المكارم : ﴿خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ ١٩٩﴾[الأعراف:١٩٩].

السابع: الاستهانة بالمسيء، والترفع عن الإساءة إليه، لا عن كبر وإعجاب بالنفس، بل ترفع عن منافسة المسيء في إساءته.

فمن سكت عن السفيه والجاهل فلم يجبه أوسعه جوابًا، وأوجعه عقابًا :﴿خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ ١٩٩﴾[الأعراف:١٩٩].

الثامن :الاستحياء من جزاء الجواب، صيانة للنفس مما لايليق بها.

فاحتمال سفه السفيه خير من التحلي بصورته، وليس من عادة الكرام الانتقام:﴿وَلَا تَسۡتَوِي ٱلۡحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُۚ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ ٣٤ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٖ ٣٥﴾[فصلت:٣٤-٣٥].

التاسع: التلطف بالمسيء والإحسان إليه، والصبر على أذاه :﴿إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٩٠﴾[يوسف:٩٠].

العاشر: قطع دابر الخصام بالسكوت والإعراض والصبر على ما كان.

الحادي عشر: استحضار عقوبة جواب السفيه فالحلم حجاب للآفات، والرفق حلم ونجاة.

الثاني عشر: الرعاية ليد سالفة، وحرمة لازمة.

وهذا من كمال المروءة، وحسن العهد، فإن أكرم الشيم أرعاها للذمم.

الثالث عشر: اتقاء الغضب بالإكثار من ذكر الله عز وجل.

والعلم بأن الغضب من نزغات الشيطان بالإنسان، وتذكر ما يؤول إليه الغضب

من الندم، ومذمة الانتقام، وتذكر حسن ثواب الحلم والعفو، وحب الله لأهل الحلم والعفو والإحسان :﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ٤٠﴾[الشورى:٤٠].

وقال رسول الله ﷺ للأشج -أشجِّ عبد القيس-: (إنَّ فيك خصلتين يحبُّهما الله: الحِلْم، والأناة) أخرجه مسلم (١).

الرابع عشر: تذكر حلم الله على العبد العاصي، وإمهاله له حين يعصيه.

فمن عرف ذلك حلم على الجاهل والسفيه :﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٞ ٢٣٥﴾[البقرة:٢٣٥].

الخامس عشر: تذكر ثواب أهل الحلم والعفو والإحسان، فمن عرف ذلك هان عليه الحلم والعفو :﴿۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤﴾[آل عمران:١٣٣-١٣٤].

السادس عشر: دعاء الله عز وجل أن يرزقه صفة الحلم :﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ٦٠﴾ [غافر:٦٠].

ومن أراد أن يتزين بصفة الحلم فليصبر على سفه السفيه، وجهل الجاهل، رحمة به، وشفقة عليه، ويهتم بحاجات الناس، ويدخل السرور عليهم، ويحسن إليهم، ويصغ بسمعه لما يريدون منه، ويتجنب الأمور السلبية التي تثير نعراتهم، وتمزق وحدتهم :﴿خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ ١٩٩﴾[الأعراف:١٩٩].

---

(١) أخرجه مسلم برقم (١٧).

٧- ثمرات الحلم

من أعظم ثمرات الحلم:

الأولى: الحلم والأناة صفتان يحبهما الله ورسوله، فمن كان حليمًا متأنيًا نال محبة الله ورسوله والمؤمنين: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾﴾ [مريم:٩٦].

وقال رسول الله ﷺ للأشج -أشجِّ عبد القيس-: «إنَّ فيك خصلتين يحبُّهما الله: الحِلْم، والأناة» أخرجه مسلم [(١)].

الثانية: بالحلم والأناة تتآلف القلوب، وتسود المحبة بين الناس، وتقترب القلوب من القلوب: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾﴾ [التوبة:٧١].

الثالثة: الحلم صفة من صفات الله العظيمة، ومن تعبد لله بصفة الحلم أحبه الله، ومن أحبه الله نال ثوابه، ونجا من عقابه: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [الأعراف:١٨٠].

الرابعة: الحلم والأناة من صفات الأنبياء، ومن تعبد بذلك فقد تشبه بهم، وأخذ من صفاتهم: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ ﴿٧٥﴾﴾ [هود:٧٥].

الخامسة: أن أول عوض الحليم عن حلمه أن الناس أنصاره على الجاهل عليه، والسفيه الذي سبه وآذاه.

السادسة: أن الحليم عنده القوة في التحكم في انفعالاته وتصرفاته، وهذا أمر محمود.

---

(١) أخرجه مسلم برقم (١٧).

قال النبي ﷺ: «ليسَ الشَّدِيدُ بالصُّرَعَةِ، إنَّما الشَّدِيدُ الذي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الغَضَبِ» متفق عليه (١).

السابعة: أن الحلم من أسباب جمع الكلمة، وتآلف القلوب، ونشر المحبة بين الناس، وإزالة العداوة والبغضاء بينهم: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾﴾ [آل عمران: ١٥٩].

الثامنة: الفوز بثواب أهل الحلم، والصبر الذي لا عدل له، ولا حد لثوابه: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [البقرة: ١٥٥-١٥٧].

وقال عز وجل: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾﴾ [الزمر: ١٠].

﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٣﴾﴾ [آل عمران: ٥٣].

اللهم أعطنا ولا تحرمنا، وزدنا ولا تنقصنا، وأكرمنا ولا تهنا، يا أرحم الراحمين.

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٦١١٤) ومسلم برقم (٢٦٠٩).

عبادات القلوب

في ضوء القرآن والسنة

العبادة السابعة والثلاثون

عبادة العفو

وتشتمل هذه العبادة العظيمة على المباحث الآتية :

الأول : فقه العفو.

الثاني : منزلة العفو.

الثالث : أنواع العفو.

الرابع : صور من عفو النبي ﷺ.

الخامس : الأسباب المعينة على العفو.

السادس : ثمرات العفو عن الناس.

العبادة السابعة والثلاثون

عبادة العفو

١ - فقه العفو

العفو : هو المحو والطمس للذنب حتى لا يبقى له أثر .

العفو: هو ترك المؤاخذة على الذنب، والتجاوز عن المذنب، وترك المعاقبة على الذنب، ابتغاء مرضات الله: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ٤٠﴾[الشورى:٤٠].

والفرق بين العفو والمغفرة:

أن العفو هو محو الذنب بالكلية، والمغفرة هي الستر والتغطية، ومنه المغفر الذي يستر رأس الإنسان في الحرب، والمغفرة هي الستر والتغطية للذنوب والمعاصي، والتجاوز عنها، وعدم المعاقبة عليها، فالعفو أبلغ من المغفرة.

والعفو والصفح من مكارم الأخلاق،و جميل الصفات، التي يتحلى بها الإنسان بين الناس، ويحصل ذلك للعبد بقوة الصبر، وكظم الغيظ، واحتساب الأجر، والعلم بعواقب الانتقام. ﴿وَلَا تَسۡتَوِي ٱلۡحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُۚ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ ٣٤ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٖ ٣٥﴾[فصلت:٣٤-٣٥].

والفرق بين العفو والصفح:

أن العفو هو التجاوز عن الذنب، وترك الانتقام والعقاب، وإسقاط اللوم في الظاهر، وبقاء أثر الذنب في النفس .

أما الصفح ففيه معنى العفو وزيادة، وهي ترك لوم المذنب، وترك عتابه وتأنيبه على الذنب، ومحو أثره من النفس، والتجاوز عن الخطأ ظاهرًا وباطنًا، وكأن شيئًا لم يكن، فالصفح أبلغ وأعم من العفو :﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾ ﴾[النور:٢٢].

والعفو هو التجاوز عن المذنب، وترك عقوبة المذنب، والصفح كذلك مع ترك التأنيب والعتاب واللوم :﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣﴾ ﴾ [المائدة:١٣].

والعفو من مقتضيات الإيمان بأسماء الله الحسنى، ومن لوازم الإيمان بأسماء اللهالعفو، الغفور، الغفار، الرحمن، الرحيم، المحسن، الكريم .

فمن عرف ربه بأسمائه الحسنى، وصفاته العلا، تعبد لله بها، وتخلق بين الناس بها: ﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾[محمد: ١٩].

فالله مؤمن يحب الإيمان، وأهل الإيمان، والله محسن يحب الإحسان، وأهل الإحسان، واللهتواب يحب التوبة، وأهل التوبة، والله كريم يحب الكرم، وأهل الكرم، والله رحمن يحب الرحمة، وأهل الرحمة : ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾ ﴾[الأعراف:١٨٠].

والعفو والصفح، والسماحة والرحمة، من أعظم صفات الأنبياء والمرسلين، التي تجذب قلوب الناس إليهم، وتثمر محبة الناس لهم، وقبول دعوتهم، والإيمان بهم وتصديقهم: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾﴾ [آل عمران: ١٥٩].

ونبي الله يوسف ﷺ حسده إخوته، فألقوه في البئر للتخلص منه، ليخلو لهم وجه أبيهم، فعفا عنهم، فكان ذلك سببًا في توبتهم، ورجوعهم إلى ربهم:

﴿قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَاطِئِينَ ﴿٩١﴾ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ ۖ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٩٢﴾﴾ [يوسف: ٩١-٩٢].

والعفو من صفات المؤمنين المتقين: ﴿۞ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾

[آل عمران: ١٣٣-١٣٤].

والمقصود من العفو هو الإصلاح، فإذا لم يتحقق الإصلاح مع تكرار العفو، وتمادى المسيء في إساءته، وزاد شره وفساده وأذاه، فهنا يجب الأخذ بالحق، والمطالبة بعقوبة هذا المسيء، قطعا لدابر الشر والفساد، لأن الإصلاح واجب، والعفو مندوب، فإذا كان في العفو فوات الإصلاح، عدلنا عن العفو المستحب إلى الإصلاح الواجب: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ۖ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿٤٠﴾﴾ [الشورى: ٤٠].

والعفو سبحانه هو الذي أمر بالقصاص الذي يحقق المصلحة بقوله ﴿ وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾ ﴾[البقرة:١٧٩].

وهو الذي رغب في العفو الذي يحقق المصلحة بقوله :﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ ﴾[الأعراف:١٩٩].

وقد أمر الله المؤمنين بما أمر به المرسلين من العفو والصفح،فقال سبحانه :﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٩﴾ ﴾[البقرة:١٠٩].

وقال عز وجل: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ ۚ وَإِن تَعْفُوا۟ وَتَصْفَحُوا۟ وَتَغْفِرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ ﴾ [التغابن:١٤].

٢ - منزلة العفو

العفو عن الناس من أعظم العبادات القلبية التي تكون بين العبد وغيره من الناس الذين ظلموه، أو أساؤوا إليه .

والعفو يثمر للعبد عفو الله عنه، ومحبة الله له، ومغفرة الله له، ومحبة الناس له: ﴿۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤﴾[آل عمران:١٣٣-١٣٤].

والعفوُ صفة عظيمة تقلب العداوة إلى ولاية وصداقة، ومحبة :﴿وَلَا تَسۡتَوِي ٱلۡحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُۚ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ ٣٤ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٖ ٣٥﴾[فصلت:٣٤-٣٥].

والعفو اسم من أسماء الرب عز وجل ،والعفو صفة من صفاته العظيمة .

ومن تخلق بالعفو فقد تعبد لله باسم من أسمائه، وصفة من صفاته : ﴿إِن تُبۡدُواْ خَيۡرًا أَوۡ تُخۡفُوهُ أَوۡ تَعۡفُواْ عَن سُوٓءٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوّٗا قَدِيرًا ١٤٩﴾[النساء:١٤٩].

والعفو من أعظم صفات الأنبياء والمرسلين، ومن تخلق به فقد تشبه بالأنبياء في صفاتهم واقتدى بهم في حسن أخلاقهم :﴿ فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِۖ فَإِذَا عَزَمۡتَ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَوَكِّلِينَ ١٥٩﴾[آل عمران:١٥٩].

و العفو وصية رب العالمين لأنبيائه ورسله والمؤمنين كما قال سبحانه :﴿خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ ١٩٩﴾[الأعراف:١٩٩].

ورغب الله ﷻ عباده بالعفو، لأنه يثمر المودة والمحبة، ولما فيه من عظيم الأجر والثواب فقال سبحانه :﴿ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ٤٠﴾[الشورى:٤٠].

والعفو سبب عزة العبد في الدنيا والآخرة.

عن أبي هُريرة : أَنَّ رسولَ اللهَّ ﷺ قَالَ: «مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ، وَمَا زَادَ اللهُّ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا، وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ للهَّ إِلَّا رَفَعَهُ اللهُّ»أخرجه مسلم (١).

والعفو شعار الصالحين الأتقياء، لأن التنازل عن الحق بالعفو إرضاء لله عز وجل وإيثار لما يحبه الرب على ما تحبه النفس: ﴿وَاللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾﴾[التوبة:٦٢].

والعفو خلق عظيم يثمر مودة الآخرين، لأنه ينفذ إلى شغاف القلوب، فلا يملكون أمامه إلا إبداء نظرة إجلال وإكبار لمن تخلق به، والثناء عليه بين الناس والدعاء له: ﴿۞ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَـٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَـٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾[آل عمران:١٣٣-١٣٤].

والانتصار للنفس ممن ظلمها حق، ولكن العفو أحسن منه إن تحققت به مصلحة: ﴿وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ۖ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾﴾[الشورى:٤٠].

اللهم إنك عفو كريم تحب العفو فاعف عنا، وتجاوز عن سيئاتنا، يا أرحم الراحمين .

---

(١)أخرجه مسلم برقم (٢٥٨٨) .

٣- أنواع العفو

العفو نوعان :

الأول : عفو الله عز وجل عن عباده، وهو من أعظم صفات الرب.

ويكون هذا العفو بترك مؤاخذة العصاة على ذنوبهم، وعدم محاسبتهم عليها، ومحوها عنهم بالكلية :﴿إِن تُبْدُواْ خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُواْ عَن سُوٓءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ١٤٩﴾[النساء:١٤٩].

ويحصل عفو الله عن عباده بأمور هي:

طلب العفو من الله عز وجل ،والتوبة إليه من الذنوب.

فالتوبة تجب ماقبلها، واستغفار الله عز وجل من الذنوب، وعفو العبد عن الناس، رجاء أن يعفو الله عنه :﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ ۖ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ٨﴾[التحريم:٨].

وعفو الله ﷻ من كمال رحمته بعباده، وإحسانه إليهم.

قال النبي ﷺ:«مَا أَحَدٌ أَصْبَرُ عَلَى أَذًى سَمِعَهُ مِنَ اللهِ، يَدَّعُونَ لَهُ الوَلَدَ، ثُمَّ يُعَافِيهِمْ وَيَرْزُقُهُمْ» متفق عليه (١).

الثاني: العفو بين الناس .

والعفو عبادة قلبية، وخلق محمود يحبه الله، وقد أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم بالتخلق به بقوله :﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ١٩٩﴾ [الأعراف:١٩٩].

وأوصى النبي ﷺ زوجته أم المؤمنين عائشة أن تقول:«اللَّهُمَّ إِنَّكَ عفوٌّ تحبُّ

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٧٣٧٨) ومسلم برقم (٤٩).

العفوَ فاعفُ عنِّي» أخرجه أحمد والترمذي(١).

والعفو من أعظم صفات المؤمنين المتقين التي ينالون بها من ربهم المغفرة والجنة: ﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤ ﴾[آل عمران:١٣٣-١٣٤].

فيا عبد الله تعبد لله بهذا الخلق العظيم، وتخلق به بين الناس، ليعظم أجرك، ويحبك ربك، ويحبك الناس وتملك قلوبهم بعفوك وصفحك عمن ظلمك: ﴿ خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ ١٩٩ ﴾[الأعراف:١٩٩].

والعفو خلق عظيم، وهو من أعظم صفات الرب، وقد ندب الله رسله وأولياءه إليه، لما يثمره من عظيم المحبة والمودة، وعظيم الأجر والثواب: ﴿ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ٤٠ ﴾[الشورى:٤٠].

وقال الله عز وجل: ﴿ فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِۖ فَإِذَا عَزَمۡتَ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَوَكِّلِينَ ١٥٩ ﴾[آل عمران: ١٥٩].

---

(١)صحيح: أخرجه احمد برقم (٢٥٣٨٤) والترمذي برقم (٣٥١٣) .

٤ - صور من عفو النبي ﷺ

قال الله تعالى :﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾[التوبة:١٢٨].

وعن عائشة رضي اللهَّ عنها أنها قالت للنبيِّ ﷺ:«هَلْ أَتى عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشدَّ مِنْ يَوْمِ أُحُدٍ؟ قَالَ: "لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَومِكِ، وكَان أَشدُّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يوم العقَبَةِ، إِذْ عرَضتُ نَفسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَالِيلَ ابنِ عبْدِ كُلال، فلَمْ يجُبنِى إِلى مَا أَردْتُ، فَانْطَلَقْتُ وَأَنا مَهْمُومٌ عَلى وَجْهِي، فلَمْ أَسْتَفِقْ إِلاَّ وَأَنا بقرنِ الثَّعالِبِ، فَرفَعْتُ رأْسِي، فَإِذا أَنَا بِسحابَةٍ قَد أَظلَّتني، فنظَرتُ فَإِذا فِيها جِبرِيلُ عليه السلام، فناداني فَقَالَ: إِنَّ اللهَّ تَعالَى قَد سَمِع قَولَ قومِك لَكَ، وَما رَدُّوا عَلَيكَ، وَقد بعثَ إِلَيك ملَكَ الجبالِ لِتأْمُرهُ بمَا شِئْتَ فِيهم، فَنادَاني ملَكُ الجِبَالِ، فَسلَّمَ عَليَّ ثُمَّ قَالَ: يَا محُمَّدُ إِنَّ اللهَّ قَد سمعَ قَولَ قَومِكَ لَكَ، وأَنَا مَلَكُ الجِبالِ، وقَدْ بَعثَني رَبِّي إِلَيْكَ لِتأْمُرَني بِأَمْرِكَ، فَمَا شئتَ: إِنْ شئْتَ: أَطْبَقْتُ عَليهمُ الأَخْشَبَيْنِ"فقال النبي ﷺ:بلْ أَرْجُو أَنْ يخْرِجَ اللهَّ مِنْ أَصْلابِهِم منْ يعْبُدُ اللهَّ وَحْدَهُ لا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً»متفق عليه (١).

وعن أَنس رضي اللهَّ عنه قَالَ:«كُنتُ أَمْشِي مَعَ رسول اللهَّ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّم وَعَلَيْهِ بُردٌ نَجْرَانيٌّ غَلِيظُ الحَاشِيةِ، فأَدركَهُ أَعْرَابيٌّ، فَجبذهُ بِرِدَائِهِ جبْذَة شَديدَةً، فَنظرتُ إِلَى صَفْحَةِ عاتِقِ النَّبيِّ ﷺ، وقَد أَثَّرت بها حَاشِيةُ الرِّداءِ مِنْ شِدَّةِ جَبذَتِهِ، ثُمَّ قَالَ: يَا محُمَّدُ مُرْ لِي مِن مالِ اللهَّ الَّذِي عِندَكَ. فالتَفَتَ إِلَيْه، فضحِكَ، ثُمَّ أمر لَهُ بعَطَاءٍ»متفق عليه (٢).

وعنْ جَابِرٍ رضي الله عنهأَنَّهُ غَزَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ قِبَلَ نَجدٍ فَلَمَّا قفَل رَسُول اللهَّ ﷺ قَفَل مَعهُمْ، فأَدْركتْهُمُ الْقَائلَةُ في وادٍ كَثِيرِ الْعضَاهِ، فَنزَلَ رسولُ اللهَّ ﷺ، وتَفرَّقَ النَّاسُ يسْتظِلُّونَ بالشَّجَرِ، ونَزلَ رسولُ اللهَّ ﷺ تحْتَ سمُرةٍ، فَعلَّقَ بهَا سيفَه، ونِمْنا

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٣٢٣١) ومسلم برقم (١٧٩٥) .

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٣١٤٩) ومسلم برقم (١٠٥٧) .

نوْمةً، فَإِذَا رسولُ اللهَّ ﷺ يدْعونَا، وإِذَا عِنْدَهُ أعْرابيٌّ فقَالَ: إنَّ هَذَا اخْتَرَطَ عَليَّ سيْفي وأَنَا نَائِمٌ، فاسْتيقَظتُ وَهُو في يدِهِ صَلْتاً، قالَ: مَنْ يَمْنَعُكَ منِّي؟ قُلْتُ: اللهَّ – ثَلاثاً وَلَمْ يُعاقِبْهُ وَجَلَسَ» متفق عليه [1].

وحكى النبيﷺ عن نبي من الأنبياء ضربه قومه وهو يقول: «اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون» متفق عليه [2].

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، «أَنَّ يَهُودِيَّةً أَتَتِ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِشَاةٍ مَسْمُومَةٍ ، فَأَكَلَ مِنْهَا ، فَجِيءَ بِهَا فَقِيلَ : أَلاَ نَقْتُلُهَا ، قَالَ : لاَ ، فَمَا زِلْتُ أَعْرِفُهَا فِي لَهَوَاتِ رَسُولِ اللهَّ ﷺ» متفق عليه [3].

وكل حياة النبي ﷺ مملوءة بالعفو،والصبر، والحلم، والسماحة، والرحمة، والبر، والإحسان فصلوات الله وسلامه عليه .

ولهذا أثنى عليه ربه بقوله :﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾[القلم: ٤].

اللهم ارزقنا حسن الاقتداء به، في أقواله، وأعماله، وأخلاقه، وآدابه :﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾ [الأحزاب: ٢١].

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٣٩٠٥) ومسلم برقم (٨٤٣) .

(٢)**متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٣٤٧٧) ومسلم برقم (١٧٩٢) .

(٣)**متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٢٦١٧) ومسلم برقم (٢١٩٠) .

٥ - الأسباب المعينة على العفو عن الناس

الأول : العلم بأسماء الله الحسنى، وصفاته العلا، وأفعاله الحميدة، ونعوته الجميلة، وأحكامه المجيدة .

فمن عرف ربه بالعفو عن العباد عفا عن الناس، وتعبد لله بهذا الخلق العظيم : ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ١٩ ﴾[محمد:١٩].

الثاني : العلم بأخلاق النبي ﷺ،وحسن أقواله، وأفعاله، وأخلاقه، وآدابه: ﴿ فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِۖ فَإِذَا عَزَمۡتَ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَوَكِّلِينَ ١٥٩ ﴾ [آل عمران:١٥٩].

الثالث : العلم بفضائل العفو والصفح، والرحمة والإحسان.

﴿ ۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤ ﴾[آل عمران:١٣٣-١٣٤].

فمن عرف ذلك سارع إلى العفو والإحسان إلى الخلق :﴿وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلۡقُواْ بِأَيۡدِيكُمۡ إِلَى ٱلتَّهۡلُكَةِ وَأَحۡسِنُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٩٥ ﴾[البقرة:١٩٥].

الرابع : الصبر على أذى الخلق، والإعراض عن جهل الجاهلين، وسفه السفهاء، ابتغاء مرضاة الله : ﴿ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ٤٣ ﴾[الشورى:٤٣].

الخامس : تغليب العفو والصفح على الانتقام والانتصار على من أساء إليك:

فمن أقدره الله على من ظلمه، فليجعل العفو عنه شكرا لربه الذي أقدره عليه:﴿ خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ ١٩٩ ﴾[الأعراف:١٩٩].

السادس : التحلي بمكارم الأخلاق، والترفع عن مجازاة المسيء، فالمؤمن يصل من قطعه، ويعطي من حرمه، ويعفو عمن ظلمه، ويحسن إلى من أساء إليه:

﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ ﴾[الأعراف:١٩٩].

السابع : التلطف بالمسيء، والإحسان إليه، والصبر على أذاه، وكسب مودته، واتقاء شره بالعفو عنه : ﴿ وَلَا تَسْتَوِي ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ ﴾[فصلت:٣٤-٣٥].

الثامن: الإكثار من ذكر الله ﷻ، والعلم بأن من عفا عفا الله عنه، وتذكر حسن ثواب العفو، وحب الله لمن عفا وأحسن إلى خلقه: ﴿ وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ۖ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ ﴾[الشورى:٤٠].

التاسع : قطع دابر الخصام، بالسكوت، والإعراض، والصبر، والعفو .

فمن سكت عن جاهل أوسعه جوابًا، وأوجعه عقابًا :﴿ وَلَا تَسْتَوِي ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ ﴾[فصلت:٣٤-٣٥].

العاشر: تذكر حلم الله على العصاة، و إمهاله لهم حين يعصونه، ومن علم ذلك صبر على جهل الجاهلين، وعفا عن ظلمهم، رجاء أن يعفو الله عنه : ﴿ وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾ ﴾[النور:٢٢].

٦ - ثمرات العفو عن الناس

من أعظم ثمرات العفو عن الناس:

الأولى: العفو سبب لنيل عفو الله ﷻ، ونيل مغفرته ورضوانه.

﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾[النور:٢٢].

وقال ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِن تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾﴾ [التغابن:١٤].

الثانية: العفو عبادة لله عز وجل،وإحسان إلى المسيء، وسبب لحب الله لمن عفا: ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣﴾﴾[المائدة:١٣].

الثالثة: العفو سبب لتحقيق صفة التقوى لله ﷻ.

﴿وَأَن تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَلَا تَنسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٧﴾﴾ [البقرة:٢٣٧].

الرابعة: العفو من صفات المؤمنين المتقين الذين وعدهم الله بالمغفرة والجنة.

﴿۞ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾[آل عمران:١٣٣-١٣٤].

الخامسة: العفو يثمر المحبة بين الناس، وتآلف قلوبهم، واجتماع كلمتهم.

السادسة: العفو إحسان إلى المسيء و رحمة به، وتقدير لجانب ضعفه البشري، وغرس للمحبة والمودة في قلبه.

السابعة: العفو امتثال لأمر الله بالعفو، فمن عفا عفا الله عنه، وغفر الله له: ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾[النور:٢٢].

الثامنة:العفو من أعظم صفات الأنبياء والمرسلين، ومن عفا عن غيره ممن سبه أو ظلمه فقد تشبه بالأنبياء بصفاتهم كما قال الله عنهم: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ

﴿فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًاۖ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰلَمِينَ ٩٠﴾ [الأنعام: ٩٠].

التاسعة: العفو من أعظم صفات الله عز وجل، فمن عفا فقد تعبد لله باسمه العفو: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ سَيُجۡزَوۡنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٨٠﴾[الأعراف: ١٨٠].

العاشرة: إن من عفا عن غيره نال أعظم الثواب من ربه: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ٤٠﴾[الشورى: ٤٠].

الحادية عشرة: العفو عن الناس سبب لنيل العزة في الدنيا والآخرة.

قَالَ رسولَ اللهِ ﷺ: «مَا زَادَ اللهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا» أخرجه مسلم (١)

الثانية عشرة: العفو سبب لطمأنينة القلب، وراحة البال، ومحبة الناس له، ودعائهم له، وحسن الثناء عليه .

الثالثة عشرة: العفو عمن يستحق العفو يقلب العداوة إلى صداقة، ويقلب البغض إلى محبة: ﴿وَلَا تَسۡتَوِي ٱلۡحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُۚ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ ٣٤ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٖ ٣٥﴾[فصلت: ٣٤-٣٥].

الرابعة عشرة: أن الجزاء من جنس العمل، فمن عفا عن غيره من الناس، عفا الله عنه في الدنيا والآخرة، وزاد أجره .

﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ٤٠﴾ [الشورى: ٤٠].

الخامسة عشرة: أن العفو عن الناس من صفات الأقوياء الصابرين، الذين قدموا ما يحب الله على ما تحبه النفس، واستعصوا على حظوظ النفس ورغباتها .

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٥٨٨) .

قَالَ رَسُولَ الله ﷺقَالَ: «لَيْسَ الشَّدِيدُ بالصُّرَعَةِ؛ إِنَّمَا الشَدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ»متفق عليه (١) .

فهنيئا لأهل العفو، والصفح، والإكرام، والإحسان، والرحمة،والصبر، بالتعبد لله بهذه الصفات العظيمة، ونيل مغفرة الله، ودخول جنته، وكسب مودة الخلق: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤﴾[آل عمران:١٣٣-١٣٤].

وقال الله ﷻ: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ٤٠﴾[الشورى:٤٠].

اللّهم اهدِنا فيمَن هَديْت، و عافِنا فيمَن عافيْت،وتَولَّنا فيمَن تَولَّيْت، وقِنا برحمتك شَرَّ ما قَضَيت ، فإنك تَقضي ولا يُقضى عَليك .

اللَّهُمَّ إِنَّكَ عُفُوٌّ كَرِيمٌ تحِبُّ الْعَفْوَ فَاعْفُ عَنَّا .

﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ حَسَنَةٗ وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ٢٠١﴾ [البقرة:٢٠١].

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٥٧٦٣) ومسلم برقم (٢٦٠٩) .

عبادات القلوب

في ضوء القرآن والسنة

العبادة الثامنة والثلاثون

عبادة الاستغفار

وتشتمل هذه العبادة العظيمة على المباحث الآتية :

الأوَّل: فقه الاستغفار.

الثَّاني: فضائل الاستغفار.

الثَّالث: استغفار الأنبياء والرُّسل.

الرَّابع: صيغ الاستغفار في القرآن والسُّنَّة.

الخامس: الأسباب المعينة على التَّوبة والاستغفار.

السَّادس: ثمرات الاستغفار.

٣٨- عبادة الاستغفار

العبادة الثامنة والثلاثون

فقه الاستغفار

استغفار الله ﷻ عبادةٌ قلبيَّةٌ بين العبد وربِّه، فالعبد يستغفر ربَّه من ذنبه، والرَّبُّ كريمٌ غفورٌ رحيمٌ، يغفر الذَّنب، ويستر العبد: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾﴾ [النساء:١١٠].

والمغفرة: هي وقاية شرِّ الذُّنوب والمعاصي، مع سترها على العبد.

والله حييٌ ستِّيرٌ يستر على مَن يغفر له، وعلى مَن لا يغفر له، لأنَّه ستِّيرٌ يحبُّ السَّتر، والستر جزءٌ من المغفرة، وكم ستر الله ﷻ على أقوامٍ لا يتوبون ولا يستغفرون، ويمهلهم برحمته، ويُملي لهم إمَّا لأجل أن يتوبوا ويستغفروا ربَّهم من ذنوبهم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾﴾ [البقرة:٢٤٣].

وإمَّا يمهلهم ربُّهم استدراجاً لهم، لصدِّهم عن الحقِّ، وإعراضهم عنه: ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [التوبة:٥٥].

وقال الله ﷻ: ﴿فَذَرْنِى وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ ۖ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٤﴾ وَأُمْلِى لَهُمْ ۚ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ ﴿٤٥﴾﴾ [القلم:٤٤-٤٥].

والفرصة سانحةٌ لهؤلاء وهؤلاء، ليتوبوا إلى ربِّهم: ﴿فَمَن تَابَ مِنۢ بَعْدِ ظُلْمِهِۦ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٩﴾﴾ [المائدة:٣٩].

والله وحده هو العليم بما عملوا، وبما سيعملون، وبما سينتهي إليه أمرهم: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾﴾ [الملك:١٤].

والمداومة على الاستغفار مغفرةٌ للذُّنوب، وتكفيرٌ للسَّيِّئات :﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾ ﴾[النساء: ١١٠].

والاستغفار دواءٌ ناجعٌ يطهِّر القلوب من الذُّنوب والخطايا، ويُزيل الدَّرن منها،ويملؤها بحبِّ الله، وحبِّ عبادته، لهذا أمر الله ﷻ رسوله ﷺ بالاستغفار بقوله:﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾[محمد:١٩].

وأمر النبي ﷺ المؤمنين بالاستغفار بقوله:«يا أيُّها الناسُ، تُوبُوا إلى الله واستغفِروه؛ فإنِّي أستغفر الله وأتوب في كل يوم مِئَةَ مرَّةٍ» أخرجه[1].

وقال النَّبيُّ ﷺ: «وَاللهِ إِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ فِي الْيَوْمِ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ مَرَّةً» أخرجه البخاري [2].

والاستغفار هو طلب المغفرة مِن الله ﷻ بمحو الذُّنوب، وستر العيوب، والله كريم لا يردُّ سائلاً، ولا يخيِّب مؤمِّلاً، ولكن لا بدَّ أن يصحب الاستغفارَ الإقلاعُ عن الذُّنوب والمعاصي، ولزوم الطَّاعات، لأنَّ الاستغفار ندمٌ ينقل العبد مِن الفعل المكروه إلى الفعل المحبوب، ويرفع العبد من المقام الأدنى إلى المقام الأعلى .

وكلَّما زاد العبد علماً بالله ازداد حبًّا له، وثناءً عليه، وشكراً له، واستغفاراً له : ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾[محمد:١٩].

فأبلغ الثَّناء أن تقول: لا إله إلَّا الله، و أبلغ الدُّعاء أن تقول: أستغفر الله .

فأكثِر يا عبد الله مِن هذا وهذا، لأنَّ التَّوحيد يمحو الشِّرك، والاستغفار يمحو شعب الشِّرك مِن البدع و المعاصي، والتوحيد يُذهِب أصلَ الشِّرك، والاستغفار يمحوفروعه .

---

(١)أخرجه مسلم برقم (٢٧٠٢).

(٢)أخرجه البخاري برقم (٦٣٠٧) .

والاستغفار عبادةٌ عظيمةٌ، فمَن استغفر الله صادقاً محا الله عنه الشِّرك الأكبر، والكبائر والصَّغائر: ﴿۞ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾ [الزمر:٥٣].

ولأهمِّيَّة التَّوبة والاستغفار في حياة المسلم أمر الله رسوله ﷺ بكثرة التوبة والاستغفار بقوله: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾﴾ [محمد:١٩].

وقال الله ﷻ: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ﴿١﴾ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا ﴿٣﴾﴾ [النصر:١-٣].

وقال الله ﷻ للنَّبيِّ ﷺ: ﴿وَٱسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٦﴾﴾ [النساء:١٠٦].

ورغب الله جميع عباده بالاستغفار، وأمرهم بطلب المغفرة مِن ربِّهم فقال: ﴿۞ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ [آل عمران:١٣٣-١٣٤].

وقال الله ﷻ: ﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلْجَنَّةِ وَٱلْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِۦ ۖ﴾ [البقرة:٢٢١].

وقال الله ﷻ: ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٩﴾﴾ [البقرة:١٩٩].

وقال الله ﷻ: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَٱسْتَقِيمُوٓا۟ إِلَيْهِ وَٱسْتَغْفِرُوهُ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ﴿٦﴾﴾ [فصلت:٦].

ورغب الغفور الرحيم كلَّ مَن أسرف على نفسه بالمعاصي بالاستغفار والتَّوبة إلى ربه فقال: ﴿۞ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾ [الزمر:٥٣].

وأمر الله رسوله ﷺ أن يخبر المؤمنين بسعة مغفرة ربِّهم ورحمته بقوله: ﴿ ۞ نَبِّئۡ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلۡعَذَابُ ٱلۡأَلِيمُ ﴿٥٠﴾ ﴾ [الحجر:٤٩-٥٠].

وقال الله ﷻ: ﴿ ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٩٨﴾ ﴾ [المائدة:٩٨].

وقال الله ﷻ في الحديث القدسيِّ: «يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ تُخْطِؤُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ» أخرجه مسلم (١).

والله ﷻ غفورٌ غفَّارٌ يغفر الذّنوب جميعاً مهما كبرت، ومهما عظمت، ومهما تكرَّرت: ﴿ ۞ قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ ﴾ [الزمر:٥٣].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت النَّبيَّ ﷺ يقول: «إِنَّ عَبْدًا أَصَابَ ذَنْبًا، وَرُبَّمَا قَالَ: أَذْنَبَ ذَنْبًا، فَقَالَ: رَبِّ أَذْنَبْتُ، وَرُبَّمَا قَالَ: أَصَبْتُ، فَاغْفِرْ لِي فَقَالَ رَبُّهُ: أَعَلِمَ عَبْدِي أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِهِ؟ غَفَرْتُ لِعَبْدِي، ثُمَّ مَكَثَ مَا شَاءَ اللهُ، ثُمَّ أَصَابَ ذَنْبًا، أَوْ أَذْنَبَ ذَنْبًا، فَقَالَ: رَبِّ أَذْنَبْتُ، أَوْ أَصَبْتُ، آخَرَ فَاغْفِرْهُ، فَقَالَ: أَعَلِمَ عَبْدِي أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِهِ؟ غَفَرْتُ لِعَبْدِي، ثُمَّ مَكَثَ مَا شَاءَ اللهُ ثُمَّ أَذْنَبَ ذَنْبًا، وَرُبَّمَا قَالَ: أَصَابَ، ذَنْبًا قَالَ: قَالَ: رَبِّ أَصَبْتُ، أَوْ قَالَ أَذْنَبْتُ، آخَرَ فَاغْفِرْهُ لِي فَقَالَ: أَعَلِمَ عَبْدِي أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِهِ؟ غَفَرْتُ لِعَبْدِي ثَلَاثًا فَلْيَعْمَلْ مَا شَاءَ» متفق عليه (٢).

ومغفرة الله ﷻ للذُّنوب مِن مقتضيات الإيمان بأسماء الله الحسنى، ومِن لوازم الإيمان بأسماء الله الغفور والغفَّار، فمَن علم أنَّ ربَّه غفورٌ استغفره، ومَن علم أنَّ

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٥٧٧).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٧٥٠٧) ومسلم برقم (٢٧٥٨).

الله غفَّارٌ استغفره مِن جميع الذُّنوب والمعاصي :﴿ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا ٣ ﴾[النصر:٣].

وقال الله ﷻ:﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٞ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا ثُمَّ ٱهۡتَدَىٰ ٨٢ ﴾[طه:٨٢].

وقال النبي ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا لَذَهَبَ اللهُ بِكُمْ وَلجَاءَ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ فَيَسْتَغْفِرُونَ اللهَ فَيَغْفِرُ لَهُمْ» أخرجه مسلم (١).

والله ﷻ غفورٌ رحيمٌ يغفر لكلِّ مَن استغفره وتاب إليه من عباده كما قال سبحانه:﴿ وَمَن يَعۡمَلۡ سُوٓءًا أَوۡ يَظۡلِمۡ نَفۡسَهُۥ ثُمَّ يَسۡتَغۡفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ١١٠ ﴾[النساء:١١٠].

وذنوب العباد ومعاصيهم عظيمة وكثيرة، لا يغفرها إلَّا الله الغفور الرَّحيم وحده لا شريك له:﴿ ۞ نَبِّئۡ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ٤٩ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلۡعَذَابُ ٱلۡأَلِيمُ ٥٠ ﴾[الحجر:٤٩-٥٠].

وقال ﷻ:﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ١٣٥ أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغۡفِرَةٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَجَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ ١٣٦ ﴾[آل عمران:١٣٥-١٣٦].

والاستغفار عبادةٌ بين المؤمن وربِّه، فلا يُقبل إلَّا من المؤمنين كما في دعاء الخليل ﷺ لربِّه بقوله عن الأصنام:﴿ فَإِنَّهُمۡ عَدُوّٞ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٧٧ ٱلَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهۡدِينِ ٧٨ وَٱلَّذِي هُوَ يُطۡعِمُنِي وَيَسۡقِينِ ٧٩ وَإِذَا مَرِضۡتُ فَهُوَ يَشۡفِينِ ٨٠ وَٱلَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحۡيِينِ ٨١ وَٱلَّذِيٓ أَطۡمَعُ أَن يَغۡفِرَ لِي خَطِيٓـَٔتِي يَوۡمَ ٱلدِّينِ ٨٢ ﴾ [الشعراء:٧٧-٨٢].

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٧٤٩).

والاستغفار عبادةٌ قلبيَّةٌ بين العبد وبين ربِّه، تظهر على اللِّسان دعاءً وسؤالاً، وإعلاناً واعتذاراً، وفي القلب ندماً وخوفاً: ﴿وَمَن يَعۡمَلۡ سُوٓءًا أَوۡ يَظۡلِمۡ نَفۡسَهُۥ ثُمَّ يَسۡتَغۡفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ١١٠﴾[النساء: ١١٠].

والاستغفار يرفع البلاء والعذاب عن الأمَّة : ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمۡ وَأَنتَ فِيهِمۡۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمۡ وَهُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ ٣٣﴾[الأنفال:٣٣].

والاستغفار مِن أعظم أسباب جلب الرَّحمة كما قال صالحٌ ﷺ لقومه: ﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ لِمَ تَسۡتَعۡجِلُونَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبۡلَ ٱلۡحَسَنَةِۖ لَوۡلَا تَسۡتَغۡفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ٤٦﴾[النمل:٤٦].

والفرق بين العفو والمغفرة:

أنَّ العفو أبلغ مِن المغفرة، لأنَّ العفو محو الذَّنب، والمغفرة ستر الذَّنب .

فالعفو عبارةٌ عن إزالة آثار الذُّنوب بالكلِّيَّة، ومحوها مِن ديوان الكرام الكاتبين، وعدم المؤاخذة عليها.

والمغفرة هي: أن يستر الله على المذنب جرمه صوناً له من عذاب الخجل والفضيحة يوم القيامة، وإسقاط العقاب عنه، فالعفو محوٌ وطمسٌ للذُّنوب، والمغفرة سترٌ وتغطيةٌ للذُّنوب، والمحو أبلغ مِن السَّتر، وقد جمع الله بينهما في قوله سبحانه عن الضُّعفاء: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعۡفُوَ عَنۡهُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورٗا ٩٩﴾[النساء:٩٩].

فالله ﷻ هو العفوُّ الذي يعفو عن الذُّنوب، ويمحوها بالكلِّيَّة، ويسترها عن المذنبين، صيانةً لهم من الخجل والفضيحة: ﴿إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلۡمَغۡفِرَةِۚ﴾[النجم:٣٢].

وقال ﷻ: ﴿فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا ٣﴾[النصر:٣].

٢ - فضائل الاستغفار

الأولى: الاستغفار استجابةٌ لأمر الله بالاستغفار، وهو مِن أعظم العبادات الَّتي تغسل الذُّنوب فيما بين العبد وربِّه: ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ﴿١٩﴾ ﴾[محمد:١٩].

الثَّانية: الاستغفار عبادةٌ تجلب الخيرات والبركات، وتدفع البلايا والمصائب، والاستغفار سببٌ لنزول الغيث من السَّماء، والإمداد بالأموال والبنين، وبركة النَّبات والأشجار والثِّمار كما قال نوحٌ لقومه: ﴿ فَقُلۡتُ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارٗا ﴿١٠﴾ يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا ﴿١١﴾ وَيُمۡدِدۡكُم بِأَمۡوَٰلٖ وَبَنِينَ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ جَنَّٰتٖ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ أَنۡهَٰرٗا ﴿١٢﴾ ﴾[نوح: ١٠ – ١٢] .

الثَّالثة: الاستغفار سببٌ لزيادة القوَّة في الأبدان، لما فيه مِن غسل الذُّنوب، فيخفُّ البدن وينشط، كما قال هودٌ ﷺ لقومه: ﴿ وَيَٰقَوۡمِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا وَيَزِدۡكُمۡ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمۡ ﴾[هود:٥٢].

الرَّابعة: المداومة على الاستغفار سببٌ للفلاح والفوز في الدُّنيا والآخرة .

قال الله عزَّ وجلَّ في الحديث القدسيِّ: «يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ» أخرجه مسلم [١].

وقال النبي ﷺ: «طُوبَى لِمَنْ وَجَدَ فِي صَحِيفَتِهِ اسْتِغْفَارًا كَثِيرًا» أخرجه ابن ماجة[٢].

الخامسة: الاستغفار عبادةٌ تدفع العقوبة والعذاب، كما قال سبحانه: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمۡ وَأَنتَ فِيهِمۡۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمۡ وَهُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [الأنفال:٣٣].

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٥٧٧).

(٢) صحيح: أخرجه ابن ماجة (٣٠٩٣).

السَّادسة: الاستغفار وسيلةٌ لتدارك التَّقصير، وجبرٌ لتقصير العبد في شكر نعم الرَّبِّ، وجبرٌ للتَّقصير الَّذي يحصل في الطَّاعات والعبادات الكبار، كالصَّلاة والزكاة، والصوم والحجِّ وختام المجالس وغيرها.

فكانَ ﷺإذَا انْصَرَفَ مِن صَلاَتِهِ اسْتَغْفَرَ ثَلاَثًا. أخرجه مسلم (١).

وشرع الله الاستغفار بعد الفراغ من الحجِّ فقال: ﴿ ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ وَٱسْتَغْفِرُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ١٩٩ ﴾[البقرة:١٩٩].

وكان النَّبيُّ ﷺاذا جلس مجلساً ختمه بقوله: «سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ» أخرجهالترمذيوأحمد(٢).

السَّابعة: الاستغفار سببٌ للمغفرة والرَّحمة، وتبديل السَّيِّئات بالحسنات: ﴿ وَٱلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ثُمَّ تَابُواْ مِنۢ بَعۡدِهَا وَءَامَنُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعۡدِهَا لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ١٥٣ ﴾[الأعراف:١٥٣].

وقال الله ﷻ: ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقۡتُلُونَ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَلَا يَزۡنُونَۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ يَلۡقَ أَثَامٗا ٦٨ يُضَٰعَفۡ لَهُ ٱلۡعَذَابُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَيَخۡلُدۡ فِيهِۦ مُهَانًا ٦٩ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلٗا صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٖۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ٧٠ ﴾[الفرقان:٦٨-٧٠].

الثَّامنة: الاستغفار عبادة الأتقياء في الأسحار، وتوبة المذنبين في اللَّيل والنَّهار، واعتذار أهل الكبائر والصَّغائر بين يدي الملك العزيز الجبَّار: ﴿ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا ٣ ﴾[النصر:٣].

وقال الله ﷻ: ﴿ وَبِٱلۡأَسۡحَارِ هُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ ١٨ ﴾[الذاريات:١٨].

---

(١)أخرجه مسلم برقم (٥٩١) .

(٢)صحيح: أخرجه الترمذي برقم (٣٤٣٣) وأحمد برقم (١٠٤١٥) .

التَّاسعة: الاستغفار سببٌ للمتاع الحسن في الدُّنيا والآخرة، كما قال هودٌ ﷺ لقومه: ﴿وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ ۖ وَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ ﴿٣﴾﴾[هود:٣].

العاشرة: الاستغفار سببٌ لنزول الرَّحمة على المؤمنين كما قال صالحٌ ﷺ لقومه: ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ ۖ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٦﴾﴾[النمل:٤٦].

والاستغفار عبادةٌ عظيمةٌ مشروعةٌ في كلِّ وقتٍ، وهناك أوقاتٌ أرجى مِن أوقاتٍ، وأحوالٌ أبلغ مِن أحوالٍ، ومِن ذلك .

الأول: الاستغفار عقب الذُّنوب مباشرةً :﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾﴾[النساء:١١٠].

وقال آدم ﷺ بعد الأكل مِن الشَّجرة الَّتي نهاه الله عن أكلها: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾[الأعراف:٢٣].

الثَّاني: الاستغفار عقب الطَّاعات لشهود العبد تقصيرَه في الطَّاعة كما أمر الله عباده بالاستغفار بعد الفراغ من الصَّلاة والحجِّ كما قال سبحانه: ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٩﴾﴾ [البقرة:١٩٩].

وكان ﷺ يقول بعد السَّلام: «أَسْتَغْفِرُ اللهَ» ثلاثاً، أخرجه مسلم [١].

وكان ﷺ يختم مجالس الذِّكر والوعظ بالاستغفار فيقول: «سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ» أخرجهاحمدوالترمذي[٢].

---

(١)أخرجه مسلم برقم (٥٩١) .

(٢)صحيح: أخرجه احمد برقم (١٠٤١٥) والترمذي برقم (٣٤٣٣) .

الثَّالث: في الأذكار اليوميَّة الرَّاتبة كأدعية الاستفتاح في الصَّلاة، وأدعية الرُّكوع والسُّجود، وما بين السَّجدتين ونحو ذلك .

أمَّا الأوقات والمواطن الَّتي يُستجَاب فيها الاستغفار ففي وقت السَّحر كما قال سبحانه: ﴿وَبِٱلۡأَسۡحَارِ هُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ ١٨﴾ [الذاريات:١٨].

وقال الله عَزَّ وَجَلَّ مُثنياً على المستغفرين: ﴿وَٱلۡمُسۡتَغۡفِرِينَ بِٱلۡأَسۡحَارِ ١٧﴾ [آل عمران:١٧].

ويتأكَّد الاستغفار عند الخسوف والكسوف، وعند التَّقلُّب في الفراش ليلاً، وعند القيام في اللَّيل للتَّهجُّد، وعند الفراغ مِن الوضوء، ونحو ذلك من المواطن والحالات : ﴿فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا ٣﴾ [النصر:٣].

٣- استغفار الأنبياء والرُّسل

الأنبياء والرُّسل عليهم الصَّلاة والسَّلام أعلم الخلْقِ بربِّهم، وأحسنهم عبوديَّةً له، وأعظمهم شكراً له، وأكثرهم استغفاراً له.

والاستغفار والتَّوبة مِن أعظم عبادات الأنبياء والمرسلين، فآدم وزوجه لمَّا خالفا أمرَ الله بادرا إلى الاستغفار والتَّوبة والنَّدم: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأعراف:٢٣].

ونوحٌ ﷺ لمَّا سأل الله أن ينجِّي ابنَه عدَّ هذا ذنباً يُوجِب الاستغفار: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ ۖ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِى وَتَرْحَمْنِىٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [هود:٤٧].

ومِن دعاء نوح ﷺ: ﴿رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّـٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًۢا ﴿٢٨﴾﴾ [نوح:٢٨].

وإبراهيم ﷺ يقول راجياً مغفرة مولاه: ﴿قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٨٢﴾﴾ [الشعراء:٧٥-٨٢].

ومِن دعاء إبراهيم ﷺ: ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ ﴿٤١﴾﴾ [إبراهيم:٤١].

وموسى ﷺ: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى فَغَفَرَ لَهُۥٓ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦﴾﴾ [القصص:١٦].

ويونس ﷺ ينادي ربَّه في الظُّلمات: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَـٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَـٰتِ أَن لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَـٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَـٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾﴾ [الأنبياء:٨٧-٨٨].

وقال سبحانه في شأن داود ﷺ: ﴿وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسۡتَغۡفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعٗاۤ وَأَنَابَ ۩ ﴿٢٤﴾﴾ [ص: ٢٤].

وسليمان ﷺ: ﴿قَالَ رَبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَهَبۡ لِي مُلۡكٗا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِيٓۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ ﴿٣٥﴾﴾ [ص: ٣٥].

ويعقوب ﷺ عندما جاء أبناؤه يطلبون المغفرة: ﴿قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا ٱسۡتَغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ ﴿٩٧﴾ قَالَ سَوۡفَ أَسۡتَغۡفِرُ لَكُمۡ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٩٨﴾﴾ [يوسف: ٩٧-٩٨].

وأمر الله رسوله محمداً ﷺ بالاستغفار فقال: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ﴿١٩﴾﴾ [محمد: ١٩].

وأمره في ختام دعوته أن يُكثِر مِن الاستغفار فقال: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ﴿١﴾ وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ﴿٢﴾ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا ﴿٣﴾﴾ [النصر: ١-٣].

ونبيُّنا محمدٌ ﷺ كان يقول: ((وَاللهِ إِنِّي لأَسْتَغْفِرُ اللهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ فِي الْيَوْمِ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ مَرَّةً))، أخرجه البخاري [(١)].

وأمر الله المؤمنين كالأنبياء بالاستغفار فقال: ﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ فَٱسۡتَقِيمُوٓاْ إِلَيۡهِ وَٱسۡتَغۡفِرُوهُۗ وَوَيۡلٞ لِّلۡمُشۡرِكِينَ ﴿٦﴾﴾ [فصلت: ٦].

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٦٣٠٧).

٤- صيغ الاستغفار في القرآن والسُّنَّة

صيغ الاستغفار في كتاب الله ﷻ كثيرةٌ ومنها: ﴿رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٢٣﴾ [الأعراف:٢٣].

وقول الله ﷻ: ﴿رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسۡرَافَنَا فِيٓ أَمۡرِنَا وَثَبِّتۡ أَقۡدَامَنَا وَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ١٤٧﴾ [آل عمران:١٤٧].

وقوله سبحانه: ﴿رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ١٦﴾ [آل عمران:١٦].

وقوله سبحانه: ﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ١٠٩﴾ [المؤمنون:١٠٩].

وقوله سبحانه: ﴿رَبَّنَآ أَتۡمِمۡ لَنَا نُورَنَا وَٱغۡفِرۡ لَنَآۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٨﴾ [التحريم:٨].

وقوله سبحانه: ﴿رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعۡنَا مُنَادِيٗا يُنَادِي لِلۡإِيمَٰنِ أَنۡ ءَامِنُواْ بِرَبِّكُمۡ فَـَٔامَنَّاۚ رَبَّنَا فَٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرۡ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلۡأَبۡرَارِ ١٩٣ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخۡزِنَا يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ إِنَّكَ لَا تُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ ١٩٤﴾ [آل عمران:١٩٣-١٩٤].

وقوله سبحانه عن دعاء إبراهيم ﷺ: ﴿رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡحِسَابُ ٤١﴾ [إبراهيم:٤١].

قوله ﷻ عن دعاء نوح ﷺ: ﴿رَّبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيۡتِيَ مُؤۡمِنٗا وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۖ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارَۢا ٢٨﴾ [نوح:٢٨].

وغير ذلك من الأدعية الواردة في كتاب الله ﷻ.

أمَّا صيغ الاستغفار في السُّنَّة النَّبويَّة فمنها سيِّد الاستغفار.

عن شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ رَضِيَ الله عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «سَيِّدُ الاِسْتِغْفَارِ أَنْ تَقُولَ: اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لا إِلَهَ إلا أَنْتَ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ، أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وَأَبُوءُ لَكَ بِذَنْبِي، فَاغْفِرْ لِي فَإِنَّهُ لا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إلا أَنْتَ، مَنْ قَالَهَا مِنَ النَّهَارِ مُوقِنًا بِهَا فَمَاتَ مِنْ

يَوْمِهِ قَبْلَ أَنْ يُمْسِيَ فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ، وَمَنْ قَالَهَا مِنَ اللَّيْلِ وَهُوَ مُوقِنٌ بِهَا فَمَاتَ قَبْلَ أَنْ يُصْبِحَ فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ» أخرجه البخاري [1].

وعَنِ ابْنِ عُمَرَ رضِي اللهَّ عَنْهُما قَال: إن كُنَّا نَعُدُّ لِرَسُول اللهَّ ﷺ في المجلِس الْواحِدِ مِائَةَ مرَّةٍ: «ربِّ اغفِرْ لِي، وتُبْ عليَّ إِنَّكَ أَنْتَ التَّوابُ الرَّحِيمُ» أخرجه أبو داودوالترمذي [2].

وقال النَّبيُّ ﷺ: «مَنْ قَالَ: أَسْتَغْفِرُ الله الَّذي لَا إِلَهَ إلاَّ هُوَ الحَيُّ الْقَيُّومُ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ، غُفِرَ لَهُ وَإِنْ كَانَ فَرَّ مِنَ الزَّحْفِ» أخرجه أبو داود والترمذي [3].

وقال أبو بكرٍ الصِّدِّيقِ: يا رَسولَ اللهَّ، عَلِّمني دُعَاءً أَدعُو بِهِ في صَلاتي، قَالَ: «قُلْ: اللَّهمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا كثِيرًا، وَلا يَغْفِر الذُّنوبَ إِلاَّ أَنْتَ، فَاغْفِر لي مغْفِرَةً مِن عِنْدِكَ، وَارحَمْني، إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفور الرَّحِيم» متفق عليه [4].

وعن أبي موسى الأشعريِّ رضي الله عنه: أنَّ النَّبيَّ ﷺ كان يدعو بهذا الدُّعاء: «اللَّهمَّ اغفِرْ لي خطيئَتي وجهلي، وَإِسْرَافِي فِي أَمْرِي، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، اللَّهُمَّ اغفِرْ لي خَطَئِي وعَمْدِي، وهَزْلي وجِدِّي، وكلُّ ذَلِكَ عِنْدِي، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ، أَنْتَ المُقَدِّمُ، وَأَنْتَ المُؤَخِّرُ، وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ» متفق عليه [5].

والله ﷻ غفورٌ رحيمٌ يغفر للمستغفرين، ويتوب على التَّائبين: ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ شَدِيدِ ٱلۡعِقَابِ ذِي ٱلطَّوۡلِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ إِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ۝٣﴾ [غافر: ٣].

والمؤمن يتعبَّد لربِّه فيما بينه وبينه بعبادة الاستغفار، لأنَّه يعلم أنه لا يغفر الذُّنوب إلَّا الله وحده، كما قال سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ

(١) أخرجه البخاري برقم (٦٣٠٦).

(٢) **صحيح/** أخرجه ابو داودبرقم (١٥١٦) والترمذي برقم (٣٤٣٤).

(٣) **صحيح/** أخرجه ابو داودبرقم (١٥١٧) والترمذي برقم (٣٥١٧).

(٤) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٨٣٤) ومسلم برقم (٢٧٠٥).

(٥) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٦٣٩٩) ومسلم برقم (٢٧١٩).

﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ ١٣٥﴾[آل عمران: ١٣٥].

ويتعبَّد المؤمن لله كذلك فيما بينه وبين غيره بصفة المغفرة والصَّفح لمن أخطأ عليه، أو أساء إليه، أو اعتدى عليه، لينال بذلك مغفرة ربِّه، ومحبَّة النَّاس له: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجِكُمۡ وَأَوۡلَٰدِكُمۡ عَدُوّٗا لَّكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُمۡۚ وَإِن تَعۡفُواْ وَتَصۡفَحُواْ وَتَغۡفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ١٤﴾[التغابن: ١٤].

وقال عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ٤٣﴾[الشورى: ٤٣].

فاستغفِر يا عبد الله ربَّك الغفور الغفَّار، يغفر لك ذنوبك مهما كَبُرت وعَظُمت، ومهما تكررت وكَثُرت، واغفر للنَّاس زلَّاتهم، واصفح عن سيِّئاتهم، يغفر الله لك، ويحبُّك الله، ويحبُّك النَّاس، ويعظم أجرك، ويسعد قلبك، ويصحَّ بدنك .

ولأهمِّيَّة الاستغفار جعل الله الملائكة في السَّماء يستغفرون لمن في الأرض: ﴿ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا فَٱغۡفِرۡ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ ٧﴾[غافر: ٧].

وقال الله ﷻ: ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ مِن فَوۡقِهِنَّۚ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِمَن فِي ٱلۡأَرۡضِۗ أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ٥﴾[الشورى: ٥].

والمؤمن الصادق يدعو لنفسه وللمؤمنين بالمغفرة كما في دعاء نوح ﵇: ﴿رَّبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيۡتِيَ مُؤۡمِنٗا وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۖ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارَۢا ٢٨﴾[نوح: ٢٨].

وقال الله عز وجل: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ١٠﴾ [الحشر: ١٠].

٥- الأسباب المعينة على التَّوبة والاستغفار

الأوَّل: العلم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله .

فمَن عرف ربَّه بالعفو عفا عن النَّاس، ومَن عرف ربَّه بالغفران للذُّنوب استغفره، وصفح عن غيره: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ١٩﴾[محمد:١٩].

الثَّاني: إخلاص العمل لله ﷻ

فمَن أخلص لله العمل يسَّر له الخير، وصرف عنه الشَّرَّ، كما قال الله في شأن يوسف ﷺ: ﴿وَلَقَدۡ هَمَّتۡ بِهِۦۖ وَهَمَّ بِهَا لَوۡلَآ أَن رَّءَا بُرۡهَٰنَ رَبِّهِۦۚ كَذَٰلِكَ لِنَصۡرِفَ عَنۡهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلۡفَحۡشَآءَۚ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُخۡلَصِينَ ٢٤﴾[يوسف:٢٤].

الثَّالث: العلم بعظمة الله ﷻ، والعلم بخطورة مخالفة أمره

فالمؤمن لا ينظر إلى حجم المعصية، ولكن ينظر إلى عظمة من يعصيه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ ١٢﴾[الملك:١٢].

الرَّابع: استشعار خطورة الذُّنوب والمعاصي، وعواقبها الوخيمة في الدُّنيا والآخرة: ﴿وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدۡخِلۡهُ نَارًا خَٰلِدٗا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٞ مُّهِينٞ ١٤﴾[النساء:١٤].

وقال الله ﷻ: ﴿مَن يَعۡمَلۡ سُوٓءٗا يُجۡزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدۡ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا ١٢٣﴾[النساء:١٢٣].

الخامس: مجاهدة النَّفس، لتقوم بفعل الأوامر، واجتناب النَّواهي، حبًّا لله، ورغبةً فيما عنده من الثَّواب، وخوفاً من العقاب: ﴿وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا ٧ فَأَلۡهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقۡوَىٰهَا ٨ قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ٩ وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ١٠﴾[الشمس:٧-١٠].

السَّادس: العلم بفضائل التَّوبة والاستغفار، فمَن عرف ذلك سارع إلى التَّوبة إلى الله، وأكثر مِن الاستغفار: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾﴾[النساء:١١٠].

وقال الله ﷻ: ﴿۞ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾[الزمر:٥٣].

السَّابع : تذكر الموت، وأهوال يوم القيامة، فمَن ذكر ذلك أكثر مِن التَّوبة والاستغفار مِن ذنوبه وسارع إلى كلِّ طاعةٍ.

قال النبي ﷺ: «أكثِروا ذِكرَ هادمَ اللَّذاتِ» أخرجهالترمذي[1].

الثَّامن: خشية الله ﷻ، والخوف منه، فمَن ذكر الله أطاعه ولم يعصه، وأكثر مِن التَّوبة والاستغفار من ذنوبه :﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾[فاطر:٢٨].

التَّاسع: تذكر رحمة الله الَّتي وسعت كلَّ شيءٍ، ومغفرته الَّتي وسعت كلَّ شيءٍ، فمَن عرف ذلك أقبل على طاعة مولاه، واجتنب معصيته، واستغفر مِن ذنبه : ﴿۞ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾[الزمر:٥٣].

العاشر: تذكُّر عذاب النَّار يوم القيامة، وشدَّة سعيرها، وضيقها، وزقُّومها، وشدَّة حرارة مائها، وأهوالها، فمَن ذكر ذلك تاب إلى ربِّه، واستغفر من ذنوبه :﴿وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾﴾ [البقرة:٢٨١].

---

(١)صحيح: أخرجه الترمذي برقم (٢٣٠٧) وابن ماجة برقم (٤٢٥٨) .

الحادي عشر: تذكر النَّعيم المقيم في الجنَّة، فالعبد إذا تذكَّر الجنَّة ونعيمها، وثمارها وحورها، وأنهارها وقصورها، ودرجاتها وسعتها، أقبل على الطَّاعات،وابتعد عن المعاصي، وأكثر من التَّوبة والاستغفار من الذنوب: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنۡهَا مِن ثَمَرَةٖ رِّزۡقٗا قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِي رُزِقۡنَا مِن قَبۡلُۖ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهٗاۖ وَلَهُمۡ فِيهَآ أَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞۖ وَهُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٢٥﴾[البقرة:٢٥].

الثَّاني عشر: المواظبة على الفرائض خاصَّةً الصَّلوات الخمس، والحرص على النَّوافل من الصَّلاة والصِّيام والصَّدقات، فالفرائض والنَّوافل تذكِّر العبدَ بربِّه،وتجدِّد إيمانه، وتزيد حسناته، فيكون قلبه معلَّقاً بالله ﷻ،دائم التَّوبة والاستغفار: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ٣ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَمَغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ٤﴾[الأنفال:٢-٤].

وقال النَّبيُّ ﷺ: «إنَّ الله قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ» أخرجه البخاري [1].

---

(١)أخرجه البخاري برقم (٦٥٠٢).

الثَّالث عشر: الإكثار مِن تلاوة القرآن، والمحافظة على الأذكار، والإكثار من الاستغفار، فذلك صارفٌ للعبد عن الذُّنوب والمعاصي: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ (١٣٥)﴾[آل عمران: ١٣٥].

الرَّابع عشر: الاطِّلاع على سيرة الأنبياء والمرسلين، وما هم عليه مِن كثرة الذِّكر والتَّوبة والاستغفار: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا (٢١)﴾[الأحزاب: ٢١].

الخامس عشر: مصاحبة الصَّالحين، ومجالسة التَّائبين، والبعد عن قرناء السُّوء، ومواطن الغفلة والمعاصي، فالمرء على دين خليله: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا (٢٨)﴾ [الكهف: ٢٨].

وقال الله ﷻ: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَىٰ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (٦٨)﴾[الأنعام: ٦٨].

السَّادس عشر: الدُّعاء والتَّضرُّع إلى الله، وسؤاله الثَّبات على الطَّاعات، والبعد عن المعاصي، فالقلوب بين إصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء.

ولقد كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُكْثِرُ من قول: «يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ» أخرجه الترمذي(١).

---

(١) **صحيح**: أخرجه الترمذي برقم (٢١٤٠) واحمد برقم (١٣٦٩٦).

٦ - ثمرات الاستغفار

الاستغفار عبادةٌ مِن عبادات القلوب العظيمة، والاستغفار سيِّد الأذكار والأدعية: ﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾[محمد:١٩].

ومِن ثمرات الاستغفار:

أنَّه يطرد الشَّيطان، ويرضي الرَّحمن، ويُزيل الهمَّ والغمَّ، وينوِّر الوجه، ويجذب السُّرور إلى القلب، ويصحِّح البدن.

ويُورث الاستغفار محبَّة الله للعبد، ومحبَّة العبد للرَّبِّ، ولذَّة القرب منه، ويُورِث ذِكرَ الله كثيراً، ويحُيي القلب.

ويُزيل الاستغفار الوحشة بين العبد وربِّه، ويجلب الرِّزق، ويرفع الدَّرجات، ويحطُّ السَّيِّئات، ويرفع البلاء، ويغسل الذُّنوب: ﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾ ﴾[النساء:١١٠].

والاستغفار مِن أعظم أسباب البركات والخيرات: ﴿ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا ﴿١٢﴾ ﴾[نوح:١٠-١٢].

والاستغفار من أعظم أسباب المغفرة ودخول الجنة: ﴿ ۞ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ

﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ١٣٥ أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغۡفِرَةٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَجَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ ١٣٦﴾ [آل عمران: ١٣٣ -١٣٦].

﴿رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٢٣﴾ [الأعراف: ٢٣].

﴿رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسۡرَافَنَا فِيٓ أَمۡرِنَا وَثَبِّتۡ أَقۡدَامَنَا وَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ١٤٧﴾ [آل عمران: ١٤٧].

عبادات القلوب

في ضوء القرآن والسنة

العبادة التاسعة والثلاثون

عبادة الاستعاذة بالله عز وجل

وتشتمل هذه العبادة العظيمة على المباحث الآتية :

الأول: فقه الاستعاذة بالله عز وجل

الثاني: أقسام الاستعاذة.

الثالث: صيغ الاستعاذة.

الرابع: الأمور التي يستعاذ بالله منها.

الخامس: ما يُستعاذ به.

السادس: الأسباب المعينة على الاستعاذة بالله.

العبادة التاسعة والثلاثون

عبادة الاستعاذة بالله عز وجل

١ - فقه الاستعاذة عز وجل

الاستعاذة بالله هي الالتجاء إلى الله، والاعتصام والتحصن بالله، والفزع إليه من كل ما يخافه العبد: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ٣٦﴾ [فصلت: ٣٦].

والاستعاذة بالله عز وجل عبادة من أجلّ العبادات، وطاعة من أزكى الطاعات، لأنها تتعلق بتوحيد رب الأرض والسموات، لما فيها من الالتجاء إلى الله، والاستجارة به، والاعتصام به من كل ذي شر: ﴿وَمَن يَعۡتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدۡ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ١٠١﴾ [آل عمران: ١٠١].

والاستعاذة عبادة لا تصرف إلا لله وحده، لأنه رب الناس، وملك الناس، وإله الناس الذي لا تجوز الاستعاذة إلا به وحده؛ لأنه وحده الذي يعين المستعيذين، ويعصمهم من الشرور، ويمنعهم من شر من أراد بهم سوءًا: ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ ١ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ٢ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ٣ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِي ٱلۡعُقَدِ ٤ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ٥﴾ [الفلق: ١-٥]

فاستعذ بالله القادر على كل شيء: ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ٢ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ٣ مِن شَرِّ ٱلۡوَسۡوَاسِ ٱلۡخَنَّاسِ ٤ ٱلَّذِي يُوَسۡوِسُ فِي صُدُورِ ٱلنَّاسِ ٥ مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ٦﴾ [الناس: ١-٦].

والاستعاذة بالله عز وجلعبادة قلبية من أعظم العبادات، وهي تستلزم كثيراً من العبادات القلبية،والقولية،والعملية .

منها: افتقار العبد إلى ربه، وإظهار حاجته إليه، وإقرار العبد بضعفه وعجزه، وإظهار ذله لربه العزيز الجبار.

ومنها:أنها تحمل العبد على الاستقامة على أوامر الله، وحفظ لسانه وجوارحهمما يغضب الله، لأنه يخشى أن يخذله ربه بسبب معاصيه وذنوبه.

ومنها:أن المستعيذ تقوم بقلبه أعمال جليلة يحبها الله عز وجل؛ من الصدق والإخلاص، والمحبة والتوكل، والافتقار، والإنابة إلى الله:﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ ﴿١٢﴾﴾[الملك:١٢].

ومنها: عمران قلب العبد بخشية الله، وصدق الإنابة إليه؛ لمعرفته بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله: ﴿إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾ [فاطر:٢٨].

وتحقيق الاستعاذة بالله يكون بأمرين :

الأول:التجاء العبد إلى الله عز وجل، وطلب إعانته بصدق وإخلاص، معتقدًا أن النفع والضر بيد الله وحده، وأن ما شاء الله كان، وما لم يشأ لا يكون أبدًا : ﴿ هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [غافر:٦٥].

الثاني:إتباع أمر الله فيما أمره به، ليعيذه مما يضره بفعل الأسباب التي أمره الله بها، والانتهاء عما نهى الله عنه، فمن جمع بين هذين الأمرين كان مستعيذًا بالله

حقًا: ﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ١١٠﴾ [الكهف: ١١٠].

والاستعاذة بالله جل جلاله عبادة من عبادات القلوب: فمن استعاذ بالله صادقًا أعاده، ومن استغفر الله غفر له، ومن تاب إلى الله تاب الله عليه: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ٣٦﴾ [فصلت: ٣٦].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: إنَّ اللهَ قالَ: «مَن عادَى لي وليًّا فقَدْ آذَنْتُهُ بالحَرْبِ، وما تَقَرَّبَ إلَيَّ عَبْدِي بشيءٍ أحَبَّ إلَيَّ ممَّا افْتَرَضْتُ عليه، وما يَزالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إلَيَّ بالنَّوافِلِ حتَّى أُحِبَّهُ، فإذا أحْبَبْتُهُ: كُنْتُ سَمْعَهُ الذي يَسْمَعُ به، وبَصَرَهُ الذي يُبْصِرُ به، ويَدَهُ الَّتي يَبْطِشُ بها، ورِجْلَهُ الَّتي يَمْشِي بها، وإنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، ولَئِنِ اسْتَعاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ، وما تَرَدَّدْتُ عن شيءٍ أنا فاعِلُهُ تَرَدُّدِي عن نَفْسِ المُؤْمِنِ، يَكْرَهُ المَوْتَ وأنا أكْرَهُ مَساءَتَهُ» أخرجه البخاري [1].

ومن استعاذ بغير الله فقد أشرك، ولم تزده استعاذته إلا رهقًا ووبالًا: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٞ مِّنَ ٱلۡإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٖ مِّنَ ٱلۡجِنِّ فَزَادُوهُمۡ رَهَقٗا ٦﴾ [الجن: ٦].

والاستعاذة بغير الله شرك بالله، وهي مردودة غير مقبولة: ﴿وَلَقَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٦٥ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعۡبُدۡ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ٦٦﴾ [الزمر: ٦٥-٦٦].

وقال النبي ﷺ: «من أحدَث في أمرِنا هذا ما ليس منه فهو رَدٌّ» متفق عليه [2].

واستعاذة المحسنين هي أعلى درجات الاستعاذة وأفضلها وأحسنها.

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٦٥٠٢).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٢٦٩٧) ومسلم برقم (١٧١٨).

وهؤلاء هم الذين أوجب الله على نفسه أن يعيذهم إذا استعاذوا به، كما قال ﷻ في الحديث القدسي: «ولَئِنِ اسْتَعاذَني لأُعِيذَنَّهُ» أخرجه البخاري (١).

وهؤلاء هم أولياء الله الذين آمنوا بالله واتقوه، وأحسنوا الظن به، وعبدوه كأنهم يرونه، بكمال الحب والتعظيم والذلّ له: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَـٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾﴾ [يونس: ٦٢-٦٤].

والله ﷻ حكيم عليم يبتلي عباده ببعض ما يُستعاذ منه، ليلجئوا إليه، ويخلصوا له العبادة وحده، فمن أحسنَ الاستعاذة بالله أعاذه الله واصطفاه وأكرمه، ومن استعاذ بغيره خذله الله من جهته: ﴿فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾﴾ [فصلت: ٣٦].

وقال الله ﷻ: ﴿لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴿٢٢﴾﴾ [الإسراء: ٢٢].

الاستعاذة طلب العون من الله لدفع ما يخافه الإنسان، ويخشى ضرره على نفسه.

والاستعاذة من مقتضيات الإيمان بأسماء الله الحسنى، ومن لوازم الإيمان بأسماء الله: الملك، القويّ، القادر، القاهر، القهّار، المستعان.

فالله وحده هو الملك القويّ القادر الذي يعيذُ من استعاذ به، والتجأ إليه، واستعان به، وامتنع به، وهو القاهر القهّار الذي يكفي عبده شر ما استعاذ منه؛ فاستعذ بمن هذه أسماؤه وصفاته: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴿١﴾ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٦٥٠٢).

﴿٢﴾ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ﴿٤﴾ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾﴾ [الفلق: ١-٥]

واستعذ بالله العظيم من شر الشيطان وشركه يُعيذك منه: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ﴿٣﴾ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ﴿٤﴾ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ﴿٥﴾ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ﴿٦﴾﴾ [الناس: ١-٦].

والله سبحانه هو الرب المستعان الذي يعين كل من استعان به، ويعيذ كل من استعاذ به: ﴿قَٰلَ رَبِّ ٱحْكُم بِٱلْحَقِّ ۗ وَرَبُّنَا ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١١٢﴾﴾ [الأنبياء: ١١٢].

والاستعاذة بالله مأمور بها عند قراءة القرآن كما قال سبحانه: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾﴾ [النحل: ٩٨].

والاستعاذة مشروعة قبل قراءة الفاتحة في الصلاة، وكان النبي ﷺ يقولها سرًا هي والبسملة قبل الفاتحة، فتُشرع الاستعاذة في كل ركعات الصلاة قبل الفاتحة، لأن الاستعاذة بالله مشروعة قبل قراءة القرآن عمومًا: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾﴾ [النحل: ٩٨-٩٩].

وتُشرع الاستعاذة عند دخول الخلاء، فكانَ رَسولُ اللهِ ﷺ يقولُ إذَا دَخَلَ الخَلاءَ: «اللَّهُمَّ إنِّي أعُوذُ بكَ مِنَ الخُبْثِ والخَبَائِثِ» متفق عليه (١).

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (١٤٢) ومسلم برقم (٣٧٥).

وكانَ ﷺ يُعَوِّذُ الحَسَنَ والحُسَيْنَ، ويقولُ: «إنَّ أَبَاكُما كانَ يُعَوِّذُ بهَا إسْمَاعِيلَ وإسْحَاقَ: «أَعُوذُ بكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّةِ، مِن كُلِّ شيطَانٍ وهَامَّةٍ، ومِنْ كُلِّ عَيْنٍ لامَّةٍ". أخرجه البخاري [١].

وكان ﷺ يستعيذ بالله من الشيطان في صلاة الليل فيقول: «أعوذُ باللهِ السَّميعِ العليمِ منَ الشَّيطانِ الرَّجيمِ، مِن همزِهِ، ونفخِهِ، ونفثِهِ» أخرجه أحمد والترمذي [٢].

والناس متفاوتون في الاستعاذة:

فالمؤمنون يستعيذون بالله من الشيطان الرجيم، فيحفظهم الله من كيده، ومكره، وشرّه، فلا يكون له تحكمٌ ولا طاعةٌ ولا سلطانٌ على المؤمنين، لاستعاذتهم بالله منه، إنما سلطانه على الذين يتوَلوْنه ويطيعونه من الكفار، فينقادون لأمر الشيطان من دون الله، ويشركون به مع الله في الاستسلام له، والانقياد له: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ [النحل: ٩٨-١٠٠].

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٣٣٧١).

(٢) صحيح: أخرجه احمد برقم (٣٨٣٠) وابن ماجة برقم (٨٠٨).

٢ - أقسام الاستعاذة

تنقسم الاستعاذة بالله إلى قسمين:

الأول: استعاذة العبادة:

وهي التي يقوم في قلب صاحبها أعمالٌ تعبُديّة لله المستعاذ به، من الخوف والرجاء، والرغبة والرهبة، والاستعانة والتوكل: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾﴾[الأعراف: ٢٠٠].

وهي تستلزم افتقار المستعيذ إلى من استعاذ به، وهو الله عز وجل.

فهي عبادة عظيمة يجب إفراد الله بها، ومَن صرفها لغير الله فقد أشرك مع الله في عبادته: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾﴾[البينة: ٥].

وقال الله عز وجل: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾[الكهف: ١١٠].

الثاني: استعاذة التّسبُب:

وهي ما يفعله المستعيذ من الأسباب المشروعة التي يعتصم بها من شر ما يخافه، من غير أن يقوم في قلبه أعمال تعبدية للمستعاذ به، كما يستعيذ الإنسان بعصبته وقومه وإخوته من شر من يريد به شرًا.

فهذه الاستعاذة ليست بشرك، لأنها من الأسباب المشروعة المأمور بها، كما قال سبحانه: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢﴾﴾[المائدة: ٢].

وقال النبي ﷺ: «المؤْمِنَ للمؤمنِ كالبُنْيانِ يشدُّ بَعضُهُ بعضًا» متفق عليه [(١)].

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٢٤٤٦) ومسلم برقم (٢٥٨٥).

٣- صيغ الاستعاذة

صيغ الاستعاذة بالله الثابتة في السنّة أربع،. وللمؤمن أن يختار منها ما يشاء :

الأولى :أعوذ بالله من الشيطان الرجيم.

الثانية: أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم.

الثالثة: أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم من همزه ونفخه ونفثه.

الرابعة:اللهم إني أعوذ بك من الشيطان الرجيم وهمزه ونفخه ونفثه .

وجميع هذه الصيغ الأربع ثابتة عن النبي صلى الله عليه وسلم وآكدها الأولى وهي الموافقة لقوله سبحانه:﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ ﴾[النحل:٩٨].

ومن صيغ الاستعاذة الواردة في القرآن الكريم:﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾ ﴾[المؤمنون:٩٧-٩٨].

أما مواضع الاستعاذة من الشيطان فمنها:

الأول :الاستعاذة بالله عز وجل عند دخول الخلاء فيقول العبد: «اللَّهُمَّ إنِّي أعُوذُ بكَ مِنَ الخُبُثِ والخَبَائِثِ» متفق عليه [(١)].

الثاني :الاستعاذة بالله من الشيطان عند الغضب: ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾ ﴾[فصلت:٣٦].

الثالث:الاستعاذة بالله من الشيطان عند نزول منزل أو وادٍ.

الرابع :الاستعاذة بالله من الشيطان عند نهيق الحمار.

الخامس:الاستعاذة بالله من الشيطان عند قراءة القرآن، كما قال سبحانه:﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ ﴾[النحل:٩٨].

---

(١)**متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (١٤٢) ومسلم برقم (٣٧٥) .

٤ - الأمور التي يُستعاذ بالله منها

احدها: يُستعاذ بالله العظيم من سخطه وغضبه، وعقابه ونقمته، وزوال نعمته .

كان النبي ﷺ يقول: «اللَّهُمَّ أعُوذُ بِرِضَاكَ مِن سَخَطِكَ، وبِمُعَافَاتِكَ مِن عُقُوبَتِكَ، وأَعُوذُ بكَ مِنْكَ لا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ أنْتَ كما أثْنَيْتَ على نَفْسِكْ» أخرجه مسلم (١).

وقال النبي ﷺ: «اللَّهُمَّ إنِّي أَعُوذُ بكَ مِن زَوَالِ نِعْمَتِكَ، وَتحَوُّلِ عَافِيَتِكَ، وَفُجَاءَةِ نِقْمَتِكَ، وَجَمِيعِ سَخَطِكَ» أخرجه مسلم (٢).

وقال النبي ﷺ: «أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ الله التَّامَّات مِنْ غَضَبِهِ وَعِقَابِهِ، وَمِنْ شَرِّ عِبَادِهِ، وَمِنْ شَرِّ الشَّيَاطِينِ، وَأَنْ يَحْضُرُونِ» أخرجهابو داود والترمذي(٣).

الثاني: يستعاذ بالله من الشيطان ومن همزه ونفخه، ونفثه، وشركه وتخبطه، ووسوسته: ﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾﴾ [المؤمنون: ٩٧ -٩٨].

وقال الله ﷻ: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾﴾ [النحل: ٩٨].

وكان النبي ﷺ يقول: «أعوذُ باللهِ السَّميعِ العليمِ منَ الشَّيطانِ الرَّجيمِ، مِن همزِهِ ونفخِهِ ونفثِهِ» أخرجه أحمد وابن ماجة(٤).

الثالث: الاستعاذة بالله من الكفر والشرك، والنفاق والرياء والفسوق، ومن دعاء النبي ﷺ: «اللَّهمَّ إنِّي أعوذُ بِك منَ العَجزِ والكسَلِ والبخلِ والهرَمِ والقسوةِ والغفلةِ والذِّلَّةِ والمسكَنةِ وأعوذُ بِك منَ الفقرِ والكفرِ والشِّركِ والنِّفاقِ والسُّمعةِ والرِّياءِ وأعوذُ بِك منَ الصَّممِ والبَكَمِ والجنونِ والبَرَصِ والجذامِ وسيِّءِ الأسقامِ» متفق عليه (٥).

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٤٨٦) .

(٢) أخرجه مسلم برقم (٢٧٣٩) .

(٣) صحيح: أخرجه ابو داود برقم (٣٨٩٣) والترمذي برقم (٣٥٢٨) .

(٤) صحيح: أخرجه احمد برقم (٣٨٣٠) وابن ماجة برقم (٨٠٨) .

(٥) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٣٦٧) ومسلم برقم (٢٧٠٦).

وقال النبي ﷺ: «اللهم إني أعوذُ بك أن أشرِكَ بك و أنا أعلمُ، و أستغفِرُك لما لا أَعلمُ» أخرجه البخاري في الأدب المفرد (١).

الرابع: الاستعاذة بالله من الضلال.

قال النبي ﷺ: «اللَّهُمَّ إنِّي أَعُوذُ بكَ مِن عِلْمٍ لا يَنْفَعُ، وَمِنْ قَلْبٍ لا يَخْشَعُ، وَمِنْ نَفْسٍ لا تَشْبَعُ، وَمِنْ دَعْوَةٍ لا يُسْتَجَابُ لَهَا» أخرجه مسلم (٢).

الخامس: الاستعاذة بالله من عذاب النار وعذاب القبر، ومن دعاء النبي ﷺ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ، وَمِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ، وَمِنْ شَرِّ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ» متفق عليه (٣).

السادس: الاستعاذة بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن، ومن دعاء النبي ﷺ: «اللهم إني أَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ المَحْيا وَالمَمَاتِ، وَضَلَعِ الدَّيْنِ، وَغَلَبَةِ الرِّجَالِ» اخرجه البخاري (٤).

وقال النبي ﷺ: «اللَّهُمَّ إنِّي أعُوذُ بكَ مِن عَذابِ النَّارِ، وفِتْنَةِ النَّارِ، وفِتْنَةِ القَبْرِ، وعَذابِ القَبْرِ، وشَرِّ فِتْنَةِ الغِنَى، وشَرِّ فِتْنَةِ الفَقْرِ، ومِنْ شَرِّ فِتْنَةِ المَسِيحِ الدَّجَّالِ» متفق عليه (٥).

السابع: الاستعاذة بالله من شر الناس، ومن الظلم والخيانة، ومن جار السوء وصديق السوء، ومن المتكبرين، وأصحاب الأهواء، ومن شر السحرة وأهل الحسد: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ۝٤ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥﴾ [الفلق: ١ - ٥]

---

(١) صحيح/ أخرجه البخاري في الأدب المفرد برقم (٧١٦) وأبو يعلى برقم (٥٨).

(٢) أخرجه مسلم برقم (٢٧٢٢).

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (١٣٣٧) ومسلم برقم (٥٨٨).

(٤) أخرجه البخاري برقم (٦٣٦٩).

(٥) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٨٣٢) ومسلم برقم (٥٨٩).

ومن دعاء النبي ﷺ: «اللهم إني أعوذ بك من الخيانة، فإنها بئست البطانة» أخرجه ابو داود والنسائي(١).

وقال النبي ﷺ: «اللَّهُمَّ إنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ جَارِ السُّوءِ فِي دَارِ المُقَامَةِ؛ فَإِنَّ جَارَ الْبَادِيَةِ يَتَحَوَّلُ» أخرجه النسائي(٢).

وقال النبي ﷺ: «اللهم أعوذُ بك أن أَضِلَّ أو أُضَلَّ أو أَزِلَّ أو أُزَلَّ أو أَظْلِمَ أو أُظْلَمَ أو أَجْهَلَ أو يُجْهَلَ عَلَيَّ» أخرجه أحمد والترمذي(٣).

الثامن: الاستعاذة بالله من الجبن والعجز، والكسل والهرم، والبخل والقسوة، والغفلة والذِّلة، والأخلاق السيئة.

قال النبي ﷺ: «اللَّهُمَّ إنِّي أعُوذُ بكَ مِنَ الهَمِّ والحَزَنِ، والعَجْزِ والكَسَلِ، والبُخْلِ، والجُبْنِ، وضَلَعِ الدَّيْنِ، وغَلَبَةِ الرِّجالِ» أخرجه البخاري (٤).

وكان ﷺ يقول: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ مُنْكَرَاتِ الْأَخْلَاقِ، وَالْأَعْمَالِ، وَالْأَهْوَاءِ والأَدْواء» أخرجه الترمذي وابن ماجة(٥).

التاسع: الاستعاذة بالله من الجوع والفقر، والمصائب.

ومن دعاء النبي ﷺ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الجُوعِ؛ فَإِنَّهُ بِئْسَ الضَّجِيعُ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الخِيَانَةِ؛ فَإِنَّهَا بِئْسَتِ الْبِطَانَةُ» أخرجه أبو داود النسائي(٦).

وقال النبي ﷺ: «تعُوذُوا بالله مِنْ جَهْدِ الْبَلَاءِ، وَدَرَكِ الشَّقَاءِ، وَسُوءِ الْقَضَاءِ، وَشَمَاتَةِ الْأَعْدَاءِ» متفق عليه (٧).

---

(١) صحيح: أخرجه ابو داود برقم (١٥٤٧) والنسائي برقم (٥٤٨٣).

(٢) صحيح: أخرجه النسائي برقم (٥٥١٧) والبخاري في الأدب برقم (١١٧).

(٣) صحيح: أخرجه احمد برقم (٢٦٦١٦) والترمذي برقم (٣٤٢٧).

(٤) أخرجه البخاري برقم (٦٣٦٩).

(٥) صحيح: أخرجه الترمذي برقم (٣٥٩١) وابن حبان برقم (٩٦٠).

(٦) صحيح: أخرجه ابو داود برقم (١٥٤٧) والنسائي برقم (٥٤٨٣).

(٧) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٦١٦) ومسلم برقم (٢٧٠٧).

وقال النبي ﷺ: «أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّةِ، مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ وَهَامَّةٍ، وَمِنْ كُلِّ عَيْنٍ لَامَّةٍ» أخرجهالبخاري [1].

وقال النبي ﷺ: «اللهمَّ إنِّي أعوذُ بك من غلبةِ الدَّينِ، و غَلَبَةِ العدِّو، و شماتَةِ الأعداء» أخرجه أحمد والنسائي [2].

وقال النبي ﷺ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْهَدْمِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ التَّرَدِّي، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْغَرَقِ وَالحَرْقِ، والهَرَمِ» أخرجه ابو داود والنسائي [3].

العاشر: الاستعاذة بالله من عمل الإنسان، وما تكسبه جوارحه.

قال النبي ﷺ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا عَمِلْتُ، وَمِنْ شَرِّ مَا لَمْ أَعْمَلْ» أخرجه مسلم [4].

وقال ﷺ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ سَمْعِي، وَمِنْ شَرِّ بَصَرِي، وَمِنْ شَرِّ لِسَانِي، وَمِنْ شَرِّ قَلْبِي، وَمِنْ شَرِّ مَنِيِّي» أخرجه الترمذي والنسائي [5].

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٣٣٧١).

(٢) صحيح/ أخرجه أحمد برقم (٦٦١٨) والنسائي برقم (٥٤٧٥).

(٣) صحيح/ أخرجه أبو داود برقم (١٥٥٣) والنسائي برقم (٥٥٣١).

(٤) أخرجه مسلم برقم (٢٧١٦).

(٥) صحيح: أخرجه الترمذي برقم (٣٤٩٢) والنسائي برقم (٥٤٤٤).

٥ - ما يُستعاذ به

يستعيذ المؤمن بالله العظيم، وبوجهه الكريم، وبسلطانه القديم، وبكلمات الله التامات، وبرضاه، وبمعافاته، وقد كان رسول الله ﷺ يقول: «أعوذُ بالله العظيمِ، وبوجهه الكريم، وسلطانِه القديمِ، من الشيطانِ الرجيم» أخرجه ابو داود[١].

ومن أفضل ما يُستعاذ به سورة الفلق كما قال سبحانه: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ۝٤ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥﴾ [الفلق: ١-٥]

وسورة الناس، كما قال سبحانه: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ۝٤ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ۝٦﴾ [الناس: ١-٦].

فسورة الفلق أمان من الشرور الخارجية التي تصيب الإنسان؛ وسورة الناس أمان من الشرور الداخلية وهي وسوسة الشيطان للإنسان.

ومن أفضل ما يستعاذ منه عند السفر أن يقول المسلم إذا نزل بمكان: " أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ الله التَّامَّات مِنْ غَضَبِهِ وَعِقَابِهِ، وَمِنْ شَرِّ عِبَادِهِ، وَمِنْ شَرِّ الشَّيَاطِينِ أَنْ يَحْضُرُونِ". أخرجه أبو داودوالترمذي[٢].

وقال النبي ﷺ: «أعوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ، الَّتِي لا يُجَاوِزُهُنَّ بَرٌّ وَلَا فَاجِرٌ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ، وبَرَأَ وذَرَأَ، وَمِنْ شَرِّ مَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ، وَمِنْ شَرِّ مَا يَعْرُجُ فِيهَا، وَمِنْ شَرِّ مَا ذَرَأَ فِي الأَرْضِ، وَمِنْ شَرِّ مَا يَخْرُجُ مِنْهَا، وَمِنْ شَرِّ فِتَنِ اللَّيْلِ والنَّهارِ، وَمِنْ شَرِّ الطَوارِقِ إِلاَّ طَارِقاً يَطْرُقُ بِخَيْرٍ يَارَحْمنُ» أخرجه أحمد[٣].

---

(١) صحيح: أخرجه أبو داود برقم (٤٦٦).

(٢) صحيح: أخرجه أبو داود برقم (٣٨٩٣) والترمذي برقم (٣٥٢٨).

(٣) صحيح: أخرجه احمد برقم (١٥٤٦١).

٦ - الأسباب المعينة على الاستعاذة بالله عز وجل

الأول: العلم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله، فمن عرف ربه حقًا آمن به وكبره وعظمه، وتوكل عليه، والتجأ إليه، وفرّ إليه من غيره واعتصم به دون سواه: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ١٩﴾ [محمد: ١٩].

وقال الله ﷻ: ﴿ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٩٨﴾ [المائدة: ٩٨].

الثاني: العلم بضعف العبد وعجزه عن حماية نفسه، وجهله بما يضره مما حوله، ومن علم ذلك لجأ إلى ربه الذي بيده ملكوت كل شيء، واستعاذ به من كل ما سواه: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمۡۚ وَخُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ ضَعِيفٗا ٢٨﴾ [النساء: ٢٨].

الثالث: العلم بأن هذه الدنيا دار ابتلاء وامتحان ممزوجة بالخير والشر، وبالأمن والخوف، وبالمحبوب و المكروه، ومن عرف ذلك لجأ إلى ربه ليعيذه مما يكره: ﴿كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۗ وَنَبۡلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلۡخَيۡرِ فِتۡنَةٗۖ وَإِلَيۡنَا تُرۡجَعُونَ ٣٥﴾ [الأنبياء: ٣٥].

الرابع: قوة التوكل على الله: فمن عرف الله حقًا توكل عليه وحده، ورفع إليه حوائجه وحده، واعتصم به وحده: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦۚ قَدۡ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيۡءٖ قَدۡرٗا ٣﴾ [الطلاق: ٢-٣].

الخامس: المحافظة على الفرائض في أوقاتها، والمحافظة على النوافل بأنواعها، وكل ذلك سبب لمحبة الله للعبد، وإجابة دعائه وحفظه مما يضره.

قال النبي ﷺ: «إنَّ اللهَ قالَ: مَن عادَى لي وليًّا فقَدْ آذَنْتُهُ بالحَرْبِ، وما تَقَرَّبَ إلَيَّ عَبْدِي بشيءٍ أحَبَّ إلَيَّ ممَّا افْتَرَضْتُ عليه، وما يَزالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إلَيَّ بالنَّوافِلِ حتَّى أُحِبَّهُ، فإذا أحْبَبْتُهُ: كُنْتُ سَمْعَهُ الذي يَسْمَعُ به، وبَصَرَهُ الذي يُبْصِرُ به، ويَدَهُ

الَّتي يَبْطِشُ بها، ورِجْلَهُ الَّتي يَمْشِي بها، وإنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، ولَئِنِ اسْتَعاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ» أخرجهالبخاري (1).

السادس: الإكثار من ذكر الله عز وجل، فمن ذكر الله أطاعه ولم يعصه، وأناب إليه والتجأ إليه من كل ما يخاف منه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾﴾ [الأحزاب: ٤١-٤٣].

وقال الله ﷻ: ﴿وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ﴿٨﴾ رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا ﴿٩﴾﴾ [المزمل: ٨-٩].

اللهم اهدنا فيمن هديت، وعافنا فيمن عافيت وتولنا فيمن توليت، وقنا برحمتك واصرف عنا شر ما قضيت.

اللهم وجهت وجهي إليك، وألجأت ظهري إليك، وفوضت أمري إليك، لا ملجأ ولا منجا منك إلا إليك.

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٦٥٠٢).

عبادات القلوب

في ضوء القرآن والسنة

العبادة الأربعون

عبادة الطمأنينة

وتشتمل هذه العبادة العظيمة على المباحث الآتية :

الأول : فقه الطمأنينة.

الثاني : درجات الطمأنينة.

الثالث : الأسباب المعينة على الطمأنينة.

الرابع : ثمرات الطمأنينة.

العبادة الأربعون

عبادة الطمأنينة

١ - فقه الطمأنينة

الطمأنينة : هي الراحة والسكون، والهدوء والثبات وعدم القلق .

الطمأنينة : هي السكون بعد الانزعاج، والراحة بعد القلق.

والنفس المطمئنةهي التي اطمأنت إلى ربها بالتوحيد والإيمان والاستقامة: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴿٣٠﴾﴾ [الفجر:٢٧-٣٠].

والطمأنينة من أعظم عبادات القلوب، ومن أعظم نعم الله على عباده، يكرم الله بها من يعلم أنه يزكو بها، ويشكر الله عليها، والله أعلم حيث يجعله رسالته وهدايته :﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ ﴿٢٩﴾﴾ [الرعد:٢٨-٢٩].

والطمأنينة أعم من السكينة، وهي نهاية السكينة، والطمأنينة لا تفارق صاحبها، أما السكينة فتكون حينًا بعد حين .

وحقيقة الطمأنينة أن يطمئن قلب المؤمن في باب معرفة أسماء الله وصفاته وأفعاله إلى خبره الذي أخبر به عن نفسه، و أخبرت به عنه رسله، فيتلقاه بالقبول والتسليم والتصديق، والإذعان، وانشراح الصدر، وفرح القلب، ويصير ذلك كنزول الماء العذب على القلب الملتهب بالعطش، فيفرح به، ويطمئن إليه، ويسكن إليه، بل يصير ذلك لقلبه بمنزله رؤية الشمس في وسط النهار، فلو خالفه أهل الأرض جميعا لم يلتفت إلى خلافهم : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ

ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴿٢٨﴾﴾[الرعد:٢٨].

وأعظم الخلق طمأنينة هم الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام، لأنهم أعرف الخلق بالله وأسمائه وصفاته و أفعاله، و محمد ﷺ هو أعظم الناس طمأنينة، فهو مطمئن بالله وحده، وجميع أهل الأرض يخالفونه، فصبر حتى أظهر الله دينه، ونصر رسوله وأولياءه :﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ﴿٣٣﴾﴾[التوبة:٣٣].

وقال الله ﷻ لرسوله ﷺ:﴿ فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ وَلَا يَسۡتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴿٦٠﴾﴾[الروم:٦٠].

وكلما زاد علم العبد بأسماء الله وصفاته وأفعاله زاد إيمانه بالله، وزادت طمأنينته به، وقوى توكله عليه :﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ﴿١٩﴾﴾[محمد:١٩].

هذه الطمأنينة هي أصل أصول الإيمان التي قام عليها بناؤه، وشيدت أركانه.

ثم يطمئن قلب العبد إلى إخبار الله عما يكون بعد الموت من أمور البرزخ، وما يكون بعده من أهوال يوم القيامة، حتى كأنه يشاهد ذلك كله بعينه، لا يشك فيه أبدا، و هذا حقيقة الإيمان باليوم الأخر :﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ لَيَجۡمَعَنَّكُمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا رَيۡبَ فِيهِۗ وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثٗا ﴿٨٧﴾﴾[النساء:٨٧].

وكذلك يطمئن قلب العبد إلى أقدار الله عز وجل، فيعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه، وأن ما قدره الله كله خير ورحمة، سواء كان محبوبًا او مكروها :﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ يَهۡدِ قَلۡبَهُۥۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴿١١﴾﴾[التغابن:١١].

ويطمئن قلبه كذلك إلى وعد الله ووعيده، فيسارع إلى كل ما يحبه الله ويرضاه، ويحذر كل ما يسخطه الله ويكرهه :﴿ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ

يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرۡحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴿٧١﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٧٢﴾﴾ [التوبة:٧١-٧٢].

وقال الله ﷻ عن الكفار والمنافقين: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلۡكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ هِيَ حَسۡبُهُمۡۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُۖ وَلَهُمۡ عَذَابٞ مُّقِيمٞ ﴿٦٨﴾﴾ [التوبة:٦٨].

فأهل الطمأنينة هم المؤمنون حقا بالله واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، فهم أكثر الناس طمأنينة وسكينة، وأحسنهم عبادة، وأقواهم توكلا، وأعظمهم ثوابا: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمۡ وَحُسۡنُ مَـَٔابٖ ﴿٢٩﴾﴾ [الرعد:٢٨-٢٩].

وأولئك هم الكفار الذين خسروا الدنيا والآخرة: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُواْ بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَٱطۡمَأَنُّواْ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنۡ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾ أُوْلَٰٓئِكَ مَأۡوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴿٨﴾﴾ [يونس:٧-٨].

والطمأنينة عبادة قلبية يكرم الله بها من شاء من أوليائه، لينقله من علم اليقين إلى حق اليقين، ليعبد ربه كأنه يراه، بكمال الحب والتعظيم والذل له، و يقف بين يديه كأنه يراه بصفات جلاله، وصفات جماله: ﴿وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِي كَيۡفَ تُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰۖ قَالَ أَوَلَمۡ تُؤۡمِنۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطۡمَئِنَّ قَلۡبِيۖ قَالَ فَخُذۡ أَرۡبَعَةٗ مِّنَ ٱلطَّيۡرِ فَصُرۡهُنَّ إِلَيۡكَ ثُمَّ ٱجۡعَلۡ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٖ مِّنۡهُنَّ جُزۡءٗا ثُمَّ ٱدۡعُهُنَّ يَأۡتِينَكَ سَعۡيٗاۚ وَٱعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴿٢٦٠﴾﴾ [البقرة:٢٦٠].

والطمأنينة عبادة تقوى بقوة المجاهدة: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ

ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٦٩﴾ [العنكبوت:٦٩].

والفرق بين الطمأنينة والسعادة:

أن الطمأنينة أعم من السعادة، لأن السعادة ترتبط بالمسرات، وهي مؤقتة، أما الطمأنينة فترتبط بالقناعات، وهي دائمة، والسعادة غاية كل إنسان في هذه الحياة، والطمأنينة هي العامل الأكبر والأهم في تحصيل تلك السعادة.

والطمأنينة تأتي بعد الأمن ، لأنه في حال الحرب والخوف لا طمأنينة ولا أمن: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا قَرۡيَةٗ كَانَتۡ ءَامِنَةٗ مُّطۡمَئِنَّةٗ يَأۡتِيهَا رِزۡقُهَا رَغَدٗا مِّن كُلِّ مَكَانٖ فَكَفَرَتۡ بِأَنۡعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلۡجُوعِ وَٱلۡخَوۡفِ بِمَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ ﴿١١٢﴾ [النحل:١١٢].

أما الفرق بين الطمأنينة والخشوع ، فالطمأنينة تحصل باستقرار الأعضاء وسكونها في كل ركن من أركان الصلاة، وهي ركن من أركان الصلاة .

أما الخشوع فهو حضور القلب في الصلاة، والطمأنينة أثر من آثار الخشوع في الصلاة : ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنِ ٱللَّغۡوِ مُعۡرِضُونَ ﴿٣﴾ [المؤمنون:١-٣].

وأعظم ما تطمئن به القلوب هي الكتب السماوية التي أنزلها الله على رسله، لأنها رسائل من الله ﷻ إلى عباده، ليعرفهم بربهم، وما يحب وما يكره، وتخفف عنهم البلاء والمصائب، وتطمئن قلوبهم بما يسرهم : ﴿قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ﴿١٥﴾ يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿١٦﴾ [المائدة:١٥-١٦].

وأعظم الكتب السماوية التي تملأ القلب بالسكينة والطمأنينة هو القرآن الكريم: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ

﴿ٱلْقُلُوبُ ٢٨﴾[الرعد:٢٨].

ومن الأفعال التي تثمر الطمأنينة في القلوب عبادة الله ﷻ، ومن أعظمها الصلاة، لما فيها من حسن مناجاة الرب، والانكسار بين يديه، والأُنس به، وبث الشكوى إليه، والخضوع له، والثناء عليه، والخشوع بين يديه :﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ١٢﴾[الملك:١٢].

الطمأنينة هي سكون القلب وثباته، وعدم قلقه وخوفه واضطرابه.

قَالَ رَسُولَ اللهَّ ﷺ: «دع ما يريبك إلى ما لا يريبك،فَإِنَّ الصِّدْقَ طُمَأْنِينَةٌ ، وَإِنَّ الْكَذِبَ رِيبَةٌ»أخرجهالنسائي والترمذي(١) .

فالصدق يطمئن له قلب السامع، ويسكن إليه، والكذب يوجب له قلقًا واضطرابًا، وارتيابًا وخوفا.

قال النبي ﷺ:«البِرُّ ما سَكَنَتْ إليهِ النَّفْسُ، واطْمَأَنَّ إليهِ القلبُ»أخرجه أحمد والطبراني(٢).

و جعل الله ﷻالطمأنينة في قلوب أوليائه، وجعل المدحة والبشارة بدخول الجنة لأهل الطمأنينة :﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ٢٨ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ ٢٩﴾ [الرعد:٢٨-٢٩].

وأخبر سبحانه أن النفوس المطمئنة هي التي ترجع إلى ربها مكرمة راضية مرضية، لأنها اطمأنت في الدنيا بذكر ربها، وشكره، وحسن عبادته :﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ٢٧ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ٢٨ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ٢٩ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ٣٠﴾ [الفجر:٢٧-٣٠].

---

(١)صحيح: أخرجه النسائي برقم (٥٧١١) والترمذي برقم (٢٥١٨) .

(٢)صحيح: أخرجه احمد برقم (١٧٧٧٧) والطبراني برقم (٥٨٥) .

والإيمان بالله ﷻ وتقواه هو أعظم أسباب السعادة، وطمأنينة النفس، وراحة البال، وهو الدافع القوي للتغلب على جميع المخاوف والهموم، وإزالة القلق والاضطراب، والفوز بأعظم الثواب: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾ [فصلت:٣٠-٣٢].

والإنسان بدون الإيمان والتقوى، يكون فريسة للأوهام والشكوك التي تحجبه عن الرؤية الصحيحة، وتضيق عليه حياته، حتى يتمنى التخلص من هذا الضيق ولو بإنهاء حياته، ظنًا منه أن الموت راحة له: ﴿قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا ۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾﴾ [طه:١٢٣-١٢٦].

وقال الله ﷻ: ﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾﴾ [الشعراء:٢١٣].

فأهل الطمأنينة هم أهل التوحيد والإيمان والتقوى، وأهل الشقاء والاضطراب هم أهل الكفر والشرك والمعاصي: ﴿أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ كَمَنۢ بَآءَ بِسَخَطٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٦٢﴾ هُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٣﴾﴾ [آل عمران:١٦٢-١٦٣].

والطمأنينة من مقتضيات الإيمان بأسماء الله الحسنى، ومن لوازم وآثار الإيمان بأسماء الله الملك، العزيز، الجبار، القوي، القادر، القهار، وأمثالها من أسماء وصفات الجلال، وكذلك هي من لوازم الإيمان بأسماء الله الرحمن، الرحيم، العفو، الغفور، الغني، الكريم، وأمثالها من أسماء وصفات الجمال: ﴿هُوَ ٱللَّهُ

﴿ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۖ هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلۡمُؤۡمِنُ ٱلۡمُهَيۡمِنُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡجَبَّارُ ٱلۡمُتَكَبِّرُۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡخَٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ ٱلۡمُصَوِّرُۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾[الحشر:٢٢-٢٤].

ومن عرف ربه الملك العزيز الجبار آمن به، وذل له، وخضع له، و امتثل أمره، واجتنب نهيه، واطمأن قلبه، وسكنت نفسه: ﴿يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيۡلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ كُلٌّ يَجۡرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّىۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ لَهُ ٱلۡمُلۡكُۚ وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمۡلِكُونَ مِن قِطۡمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدۡعُوهُمۡ لَا يَسۡمَعُواْ دُعَآءَكُمۡ وَلَوۡ سَمِعُواْ مَا ٱسۡتَجَابُواْ لَكُمۡۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكۡفُرُونَ بِشِرۡكِكُمۡۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثۡلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾﴾[فاطر:١٣-١٤].

ومن عرف ربه بالقوة والقدرة والقهر آمن به، ولجأ إليه، واستعان به، وخضع له، و توكل عليه، وامتلأ قلبه بالطمأنينة والسكينة: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴿٢٨﴾﴾[الرعد:٢٨].

وكذلك الطمأنينة من آثار الإيمان بأسماء الله الرحمن الرحيم، الغني الكريم، فمن عرف ربه بالرحمة والغنى والكرم اطمأن إليه، وطمع في ثوابه، ووقف ببابه، ولم يلتفت لأحد سواه: ﴿هُوَ ٱلۡحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾[غافر:٦٥].

والرب العظيم الذي هذه أسماؤه وصفاته وأفعاله هو الرب الذي تطمئن إليه القلوب، وتعبده وحده لا شريك له: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىۡءٍ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىۡءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾[الأنعام:١٠٢-١٠٣].

٢ - درجات الطمأنينة

الطمأنينة على ثلاث درجات :

الدرجة الأولى: طمأنينة القلب بذكر الله عز وجل ، وهي على ثلاث درجات:

الأولى : طمأنينة الخائف إلى الرجاء، فالعبد إذا طال عليه الخوف، وأراد الله ﷻ أن يريحه ويؤمنه، أنزل على قلبه الطمأنينة والسكينة، فاستراح قلبه إلى الرجاء، واطمأن به، وسكن لهيب خوفه: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الأنعام:٨٢].

الثانية : طمأنينة الضجر إلى الحكم، فمن أصابه الضجر من قوة التكاليف، وأعباء الأمر وأثقاله، خاصة من يبلغ دين الله للأمة، ومن يجاهد أعداء الله ورسوله، فهؤلاء لابد أن يدركهم الضجر والضعف، ويضعف صبرهم، فإذا أراد الله أن يريح هؤلاء أنزل على قلوبهم السكينة، فاطمأنوا إلى حكمه الديني الشرعي، وحكمه القدري الكوني، ولا طمأنينة للقلب إلا بمشاهدة هذين الحكمين .

فالعبد إذا اطمأن إلى حكم الله الشرعي، علم أن دين الله هو الحق، وهو الصراط المستقيم، والله ناصره، وناصر أهله، فاستراحت نفسه، واطمأن قلبه بذلك: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ ﴿٢٩﴾﴾ [الرعد:٢٨-٢٩].

وإذا اطمأن المؤمن إلى حكم الله الكوني، علم أنه لن يصيبه إلا ما كتب الله له، وإن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه، وأن ماشاء الله كان، وما لم يشأ لا يكون أبدًا،وأن ما قدره الله خير، فلا وجه للجزع والقلق: ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾﴾ [التغابن:١١].

وقال اللهﷻ: ﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَـٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ

﴿فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٥١﴾[التوبة:٥١].

الثالثة: طمأنينة العبد المبتلى إلى عظيم المثوبة من الله عز وجل:

فالمبتلى إذا قويت مشاهدته لعظيم الأجر والثواب، سكن قلبه، واطمأن بمشاهدة العوض :﴿وَلَنَبۡلُوَنَّكُم بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلۡخَوۡفِ وَٱلۡجُوعِ وَنَقۡصٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٥٥ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ١٥٦ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ ١٥٧﴾[البقرة:١٥٥-١٥٧].

الدرجة الثانية : طمأنينة الروح في حال القسط إلى الكشف، وفي حال الشوق إلى العِدة، وفي حال التفرقة إلى الجمع.

فتطمئن الروح في حال قسطها إلى كشف الحقيقة، ولا تلتفت إلى ما وراءها .

فالمؤمن لا يرجو بإيمانه وتقواه إلا رضوان الله عز وجل، والفوز بالجنة، والنجاة من النار :﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ خَيۡرُ ٱلۡبَرِيَّةِ ٧ جَزَآؤُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَشِيَ رَبَّهُۥ ٨﴾[البينة:٧-٨].

أما الشوق إلى العِدة، فالروح تظهر اشتياقها إلى ما وعدت به، وشوقت إليه من جنات النعيم، ورضوان رب العالمين ورؤية وجهه الكريم، فطمأنينة الروح سكونها إلى وعد اللقاء، وعلمها بحصول الموعود به من ربها :﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ٧٢﴾[التوبة:٧٢].

وأما الشوق إلى الجمع بعد التفرقة، فهو أن تسكن الروح وتطمئن إلى ما اعتادته من الجمع، بإخلاص العمل لله وحده، والمسارعة إلى كل ما يحبه الله ويرضاه، وعدم الانشغال بما سِوى ذلك، فتطمئن النفس بذلك كما يطمئن الجائع إلى ما عنده من الطعام :﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ٢٨﴾[الرعد:٢٨].

الدرجة الثالثة: طمأنينة شهود الذات الإلهية إلى اللطف، فمن رأى ربه بأسمائه الحسنى، وصفاته العلا، وأفعاله الكبرى، ورأى صفات جلاله وكماله، فلولا طمأنينة القلب إلى لطف الله ورحمته، لمحقه هذا الشهود، وأفناه جملة، فقد خر موسى صعقا لما تجلى ربه للجبل، وتدكدك الجبل، وساخ في الأرض، من تجليه عز وجل، كما قال سبحانه :﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾ ﴾[الأعراف: ١٤٣].

وشهود سبق الرحمة الإلهية للعبد قبل خلقه، وقبل عمله، يطمئن قلبه، ويجعله يسكن إلى مولاه، ويسارع إلى فعل ما يحبه ويرضاه، شكرًا لمولاه على ما خصه به من هذا التكريم العظيم:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا ۖ وَهُمْ فِى مَا ٱشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٢﴾ لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾[الأنبياء: ١٠١-١٠٣].

والعبد إذا أوصله الله للطمأنينة والسكينة، وأوصله إلى هذه الدرجات العالية، فليحمد ربه على نعمه الظاهرة والباطنة، ويسارع إلى ما يحبه الله ويرضاه، لينال رضوان ربه،ويفوز بجنته :﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴿٣٠﴾ ﴾[الفجر: ٢٧-٣٠].

فسارع يا عبد الله إلى ما يحب ربك ويرضاه، فهذا جزاء الشكر على الهداية والطمأنينة :﴿ ۞ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ ﴾[آل عمران: ١٣٣-١٣٤].

٣- الأسباب المعينة على الطمأنينة

الأول : العلم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله :﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾[محمد:١٩].

فالعبد إذا عرف ربه حقاً آمن به، واطمأن بذكره، وسكن إلى أقداره الكونية، وأحكامه الشرعية، وصدق بوعده ووعيده :﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾ ﴾[الطلاق:١٢].

وإذا عرفتم ذلك آمنتم بالله، واطمأننتم به، وعبدتموه وحده لا شريك له.

الثاني : قراءة كتاب الله عز وجل، وتدبر آياته، وتصديق أخباره، وامتثال أوامره، واجتناب نواهيه :﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ﴾[الرعد:٢٨].

وقال ﷻ: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾ ﴾ [الأنعام:١٥٥].

الثالث : الاطلاع على سيرة الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام، وما هم عليه من الطمأنينة والسكينة، وصدق الإيمان بالله، وحسن التوكل عليه، والثقة بوعده ووعيده :﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾[الأحزاب:٢١].

الرابع : معرفة ضعف الإنسان وعجزه عن تدبير أموره، وحاجته إلى ربه في كل حال، ليطمئن قلبه، وتسكن نفسه، ويزول عنه الخوف والقلق : ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ ﴾[فاطر:١٥].

الخامس : دعاء الله عز وجل أن يثبته على دينه، ويرزقه الطمأنينة بذكر الله، والتسليم لأمره : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ ﴾[البقرة:١٨٦].

السادس : المحافظة على الفرائض، والمداومة على النوافل في أوقاتها، وبذلك يطمئن قلب العبد، ويحبه ربه، ويستجيب دعاءه، ويفوز بمعية الله ونصرته :﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴿٥١﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ ۖ وَلَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٥٢﴾﴾[غافر:٥١-٥٢].

وقال رسول الله ﷺ: إن الله قال:«مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ» أخرجه البخاري (١).

السابع : الإكثار من ذكر الله عز وجل، والمحافظة على أذكار الصباح والمساء، فمن أكثر من ذكر الله اطمأن إليه، وأحبه، وأطاعه، ولم يعصه، وفوض أموره إليه، وتوكل عليه:﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾﴾[الأحزاب:٤١-٤٣].

و قال الله ﷻ:﴿وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ﴿٨﴾ رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا ﴿٩﴾﴾[المزمل:٨-٩].

الثامن : لزوم البيئة الصالحة، وحضور مجالس العلم والذكر والوعظ، واجتناب مجالس اللهو والغفلة، فمن لزم ذلك زاد حبه لربه، وتعظيمه له، واطمأن قلبه لأقداره وأحكامه، ووعده ووعيده:﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾﴾[الكهف:٢٨].

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٦٥٠٢).

فلحصول الطمأنينة نجلس في مجالس الهداية والذكر والوعظ، وللثبات عليها ننقطع عن مجالس الغفلة واللهو والمعاصي.

التاسع: الإكثار من الاستغفار والتوبة من الذنوب والمعاصي، والتخلص من المظالم وحقوق العباد، فأعظم ما يقلق المؤمن ذنوبه، والحقوق التي عليه، فإذا تاب من ذنوبه، وادى ما عليه من الحقوق، وتخلص من المظالم، اطمأنت نفسه، وسكن قلبه، وصار أكثر طمأنينة وسكينة، وراحة وسعادة: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾﴾ [النور: ٣١].

وقال الله عز وجل: ﴿وَٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴿٩٠﴾﴾ [هود: ٩٠].

استغفروه من الذنوب، ثم توبوا إليه، وارجعوا إليه بامتثال أوامره، واجتناب نواهيه.

العاشر: الإيمان بالقضاء والقدر.

فإذا علم العبد أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه، وأن ماشاء الله كان، وما لم يشأ لا يكون أبدًا، وأن ما اختاره الله له كله خير ورحمة، زاد إيمانه بربه، واطمأن قلبه بذكره: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾﴾ [التوبة: ٥١].

الحادي عشر: اليقين بأن الله عز وجل كتب آجال العباد وأرزاقهم، فلن يتأخر عن أحد رزقه، ولن يتأخر أحد عن أجله: ﴿۞ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦﴾﴾ [هود: ٦].

وقال الله عز وجل: ﴿وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾﴾ [المنافقون: ١١].

الثاني عشر: الإقبال على أعمال الآخرة، وعدم الانشغال بالدنيا، فالأعمال الصالحة تثمر كل خير وفلاح، وطمأنينة وراحة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ

﴿ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْۤ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۩ ٧٧﴾
[الحج:٧٧].

والانشغال بالدنيا هو سبب الشقاء والتعب، والهم والحزن، كما قال الله عن الكفار: ﴿فَلَا تُعۡجِبۡكَ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُمۡۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَتَزۡهَقَ أَنفُسُهُمۡ وَهُمۡ كَٰفِرُونَ ٥٥﴾[التوبة:٥٥].

الثالث عشر : قراءة آيات السكينة والطمأنينة وتدبرها ،وخاصة عند الخوف والقلق، والانزعاج والاضطراب، والهلع والتوتر، لأن هذه الآيات تثمر طمأنينة القلب وسكونه إلى ربه : ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ٢٨ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمۡ وَحُسۡنُ مَـَٔابٖ ٢٩﴾[الرعد:٢٨-٢٩].

وقال الله عز وجل:﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ لِيَزۡدَادُوٓاْ إِيمَٰنٗا مَّعَ إِيمَٰنِهِمۡۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا ٤﴾[الفتح:٤].

وقال الله عز وجل :﴿۞لَّقَدۡ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ يُبَايِعُونَكَ تَحۡتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمۡ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيۡهِمۡ وَأَثَٰبَهُمۡ فَتۡحٗا قَرِيبٗا ١٨ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةٗ يَأۡخُذُونَهَاۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمٗا ١٩﴾[الفتح:١٨-١٩].

وقال الله ﷻ: ﴿إِذۡ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَأَلۡزَمَهُمۡ كَلِمَةَ ٱلتَّقۡوَىٰ وَكَانُوٓاْ أَحَقَّ بِهَا وَأَهۡلَهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٗا ٢٦﴾[الفتح:٢٦].

وقال الله ﷻ:﴿۞وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِي ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ١٣﴾[الأنعام:١٣].

وغير ذلك من آيات الطمأنينة والسكينة التي جاءت في القرآن الكريم.

٤ - ثمرات الطمأنينة

الطمأنينة هي راحة القلب وسكونه، وفرحه وأُنسه بربه، ومن ثمرات الطمأنينة:

الأولى: طمأنينة القلب سعادة حاضرة، وسعادة آجلة: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ٢٨ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمۡ وَحُسۡنُ مَـَٔابٖ ٢٩﴾ [الرعد:٢٨-٢٩].

وقال عز وجل: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ٨٢﴾ [الأنعام:٨٢].

الثانية: طمأنينة القلب تثمر أنواعًا من العبودية القلبية والقولية والعملية، من حب الله، والثناء عليه، والإكثار من ذكره وشكره، وامتثال أوامره، واجتناب نواهيه: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ٣ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَمَغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ٤﴾ [الأنفال:٢-٤].

الثالثة: طمأنينة القلب ثمرة العلم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله.

فمن عرف ربه حقا آمن به، وسكن إليه، واطمأن بذكره، وسلم لأمره، وأخبت إليه، وهذه أعظم أنواع العبودية: ﴿فَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ فَلَهُۥٓ أَسۡلِمُواْۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُخۡبِتِينَ ٣٤ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمۡ وَٱلۡمُقِيمِي ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ٣٥﴾ [الحج:٣٤-٣٥].

الرابعة: طمأنينة القلب تثمر قرب العبد من ربه، والقيام بين يديه مكبرًا له، شاكراً له، محبًا له، قانتاً له، خاشعًا له، سائلًا له، مستغفرًا له، راجيًا له، خائفًا منه: ﴿أَمَّنۡ

هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْأَخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾ ﴾[الزمر:٩].

الخامسة: إذا اطمأن القلب إلى ربه العظيم أكثر من ذكره، وشكره، وأحسن عبادته، وأنس بمناجاته، واستوحش من غيره، وسجد لعظمته، وتصاغر لكبريائه، فرضي الله عنه، وأكرمه بأحسن ثوابه: ﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِهَا خَرُّواْ سُجَّدًا وَسَبَّحُواْ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾[السجدة:١٥-١٧].

السادسة: مصدر طمأنينة الخلق في الدنيا والآخرة هو الإيمان بالله، وامتثال أوامره واجتناب نواهيه، كما أخبر الله عز وجل بقوله: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ ﴿٢٩﴾ ﴾[الرعد:٢٨-٢٩].

فهذه النفوس المؤمنة عرفت أن مفتاح السعادة والطمأنينة في الدنيا والآخرة هو بالإيمان بالله وتقواه، فسكنت إلى ربها واطمأنت إليه وامتثلت أوامره، وآثرته على غيره، ففازت برضوان الله وجنته: ﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴿٣٠﴾ ﴾[الفجر:٢٧-٣٠].

والعالم اليوم كله يعيش في اضطراب، وخوف، وقلق، وعذاب، ولن ينجيهم من ذلك كله إلا الإيمان بالله عز وجل، والعمل بشرعه، واتباع رسوله محمد ﷺ: ﴿ قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا ۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ ﴾[طه:١٢٣-١٢٦].

وقال الله ﷻ: ﴿لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴿٢٢﴾﴾[الإسراء:٢٢].
مذمومًا لا حامد لك، ومخذولًا لا ناصر لك .
وقال الله ﷻ: ﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾﴾[الشعراء:٢١٣].
اللهم يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ هب لنا نَفوسًا مطمئنةً تُؤْمِنُ بلِقائِكَ، وتَرْضَى بقضائِكَ، وتَقْنَعُ بعَطائِكَ، وتَشكُر نعماءك، وتَصبرُ على بلائك .
اللهم ارزقنا نفوسا مطمئنة تصدق أخبارك، وتمتثل أوامرك، وتجتنب نواهيك، وتصدق بوعدك ووعيدك، وترجو رحمتك، وتخشى عذابك .
﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٣﴾﴾
[آل عمران:٥٣].
﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾﴾
[الفرقان:٧٤].

عبادات القلوب

في ضوء القرآن والسنة

العبادة الحادية والأربعون

عبادة الحكمة

وتشتمل هذه العبادة العظيمة على المباحث الآتية :

الأول: فقه الحكمة.

الثاني:فقه حكمة الله عز وجل.

الثالث:أنواع الحكمة.

الرابع :درجات الحكمة.

الخامس: الأسباب المعينة على الحكمة.

السادس:ثمرات الحكمة.

العبادة الحادية والأربعون

عبادة الحكمة

١ - فقه الحكمة

الحكمة مأخوذة من الإحكام؛ لأنها تمنع صاحبها عن فعل ما لا ينبغي، من قولٍ أو فعلٍ أو خُلقٍ، وهي ضد السفه.

الحكمة: هي وضع الشيء في موضعه الحق.

الحكمة: هي فعل ما ينبغي، على الوجه الذي ينبغي، بالقدر الذي ينبغي، في الوقت الذي ينبغي.

والحكمة أفضل ما أُعطي العبد في الدنيا، والرحمة أفضل ما أعطي العبد في الدنيا والآخرة: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٢٦٩﴾﴾[البقرة:٢٦٩].

ومن عُرِفَ بالحكمة لحَظَتْهُ العيون بالوقار والهيبة، والاحترام والإكرام.

وكلمةٌ طيبةٌ من أخيك خيرٌ لك من مال يعطيك، لأن المال يطغيكْ، والكلمة الطيبة تهديكْ: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾[فصلت:٣٣].

فشتان بين الحكمة والسفه: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ۚ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾﴾[فصلت:٣٤-٣٥].

الحكمة: هي العلم بالحق على وجهه وحكمته، والعلم بالأحكام الشرعية، ومعرفة ما فيها من الأسرار والإحكام.

الحكمة: هي كل ما أوصلك إلى الفضائل، ومنعك من الجهل، وزجرك عن المعاصي والقبائح، وهي أعظم ما أكرم الله به عباده: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ

﴿رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾﴾[الجمعة:٢].

وقال النبي ﷺ:"لا حَسَدَ إلاَّ في اثنتينِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللهُ مَالاً، فَسَلَّطَه عَلَى هَلَكَتِهِ في الحَقِّ، وَرَجُلٌ آتَاه اللهُ حِكْمَةً، فَهُوَ يَقْضِي بِهَا وَيُعَلِّمُهَا". متفق عليه (١).

وأركان الحكمة ثلاثة:

العلم .. والحلم .. والصبر.

فمن اجتمعت له هذه الثلاث صار حكيماً: ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾﴾[النساء:١١٣].

والحكمة: هبةٌ من الله يُكرم الله بها من يُحبه، ومن يعلم فيه حُسنَ استعمالها فيما يُحب، فالمال هبة الله لمن يشاء، والعلم هبة من الله، والحكمة هبة من الله، والقوة هبة من الله، والذكاء هبة من الله: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾﴾[النحل:٥٣].

الحكمة: هي العلم النافع الذي يوافق الحق، ويوجه المؤمن لفعل الخير، ويمنعه من عمل الشر: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ ۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٨﴾﴾[الزمر:١٧-١٨].

فالحكمة ضابطةٌ مانعة؛ تسير بالعبد نحو الفضائل والمحاسن، وتمنعه من الرذائل والقبائح.

الحكمة: هي العلم النافع المقرون بالعمل الصالح، وإصابة الحق في القول والعمل، والفقه في الدين، ومعرفة أسرار الأحكام، ووضع الشيء في موضعه الحق؛ فأهل الحكمة هم الذين عرفوا الحقَّ واتبعوه، وأهل السَّفه هم الذين

---

(١) **متفق عليه**، اخرجه البخاري برقم (٧٣) ومسلم برقم (٨١٦).

عرفوا الحق ثم أعرضوا عنه :﴿۞ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩﴾﴾[الرعد:١٩].

أهل الحكمة هم الذين قدموا ما يحب الرب على ما تحب النفس، فأنفقوا أجود أموالهم وأطيبها في سبيل الله، وصرفوا أوقاتهم للقيام بالدعوة إلى الله، وتعليم شرع الله، والإحسان إلى خلق الله :﴿۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ [آل عمران:١٣٣-١٣٤].

وقال الله ﷻ: ﴿كُونُواْ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [آل عمران:٧٩].

وأهل الجهل والسَّفه هم الذين قدموا ما تُحبُّ النفس من الشهوات على ما يُحبه الرب من الأقوال والأعمال الصالحة، واستحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله، ورأوا أنَّ الإنفاق في سبيل الله نوع من الإسراف والتبذير، وأن البخل بالمال هو الحكمة، وأن صرف الأموال والأوقات في قضاء شهوات النفس هو الأَوْلى : ﴿ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٣٧﴾﴾[النساء:٣٧].

وقال الله عز جل :﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾﴾[الأعراف:١٧٩].

والحكيم والحَكَمُ من أسماء الله الحسنى؛ والحكمة من صفاته العلا .

فالله هو الحكيم الذي يضع الأشياء في مواضعها بحكمته؛ الحكيم الذي أتقن صُنعَ كل شيء، الحكيم في أقواله وأفعاله وتدبيره وتصريفه :﴿فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ

ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾﴾ [الجاثية:٣٦-٣٧].

هو الحكيم الحكم الذي أَحْكَمَ المخلوقات والأمور، ومنعها من الخروج عن حكمته: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾﴾ [الأنعام:٨٣].

هو الحكيم الذي أظهر كمال حكمته في مخلوقاته وأفعاله، وآياته وأحكامه، وأثنى على نفسه بكمال حكمته في خلقه وأمره: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْمَلِكِ ٱلْقُدُّوسِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١﴾﴾ [الجمعة:١].

وقال سبحانه: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦﴾﴾ [آل عمران:٦].

والحكمة من مقتضيات الإيمان بأسماء الله الحسنى التي يجب على المؤمنين أن يتعبدوا الله بها، ويتخلقوا بها على شاكلة العبودية: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [الأعراف:١٨٠].

فالله مؤمنٌ يحب الإيمان، وأهل الإيمان، شكورٌ، يحب الشكر وأهل الشكر، توابٌ يحب التوبة، وأهل التوبة، رحيمٌ يحب الرحمة، وأهل الرحمة، حكيمٌ يحب الحكمة، وأهل الحكمة: ﴿يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٦٩﴾﴾ [البقرة:٢٦٩].

والحكمة من لوازم وآثار الإيمان بأسماء الله: الحكيم، والحَكَم.

فمن عرف أن ربه حكيم، وأن أفعاله وأحكامه كلها حكمة؛ سارع إلى التَّعبد لله بالحكمة في أقواله وأفعاله، ودعوته ومواعظه، وتعليمه وتعلّمه: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾﴾ [النحل:١٢٥].

وقَدَّمَ ما يحبه الله على ما تحبه نفسه، وقدَّمَ أعمال الآخرة على أعمال الدنيا، وقدَّمَ الأحسن على الحسن، وقدَّمَ الفرض على النفل، وقدَّمَ علم القرآن والسنّة على ما سواهما من العلوم، وقدَّمَ الفقه في الدين والعمل به على شهوات النفس ومحبوباتها: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلۡبَنِينَ وَٱلۡقَنَٰطِيرِ ٱلۡمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلۡفِضَّةِ وَٱلۡخَيۡلِ ٱلۡمُسَوَّمَةِ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ وَٱلۡحَرۡثِۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلۡمَـَٔابِ (١٤) ۞ قُلۡ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيۡرٖ مِّن ذَٰلِكُمۡۖ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞ وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ (١٥)﴾ [آل عمران: ١٤-١٥].

فكن يا عبد الحكيم حكيمًا في أقوالك، حكيمًا في أفعالك، حكيمًا في دعوتك إلى الله، حكيمًا في معاملاتك مع الناس، حكيمًا في تعليم الناس، تحب لإخوانك ما تحبه لنفسك، وتُقدّم مصلحة الدين على مصلحة الدنيا، وتؤثر الآخرة على الدنيا: ﴿وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرۡحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ (٧١)﴾ [التوبة: ٧١].

الحكمة: وضع الشيء في موضعه الحق، والنظر في الأمور بفكرٍ ثاقب، وعقلٍ راجح، يُميِّز بين المصالح والمفاسد، وما يحبه الله وما تحبه النفس.

والحكمة نورٌ يقذفه الله في قلب العبد يُميّز به بين الحق والباطل، والضار والنافع، والهدى والضلال، ويُبصر به مراتب الأعمال حسنها وأحسنها.

وكلما كان العبد أكثر علماً وصلاحًا وتزكيةً لنفسه بالأعمال الصالحة كان حظه من نور الحكمة أقوى، وتفرسه في الأمور أدق، واختياره أحسن: ﴿ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ (٤)﴾ [الجمعة: ٤].

والله كريم يتفضل على عباده الصالحين بأنوار الحكمة التي هي حُسن الإصابة في القول والعمل، والفقه في الدين، والتدبر لكتاب الله عز وجل، ومعرفة أسرار

الأحكام، والعمل بطاعة الله، واجتناب معاصيه، والخوف من الله، والطمع في ثوابه: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾ [فاطر:٢٨].

وقد أعطى الله الأنبياء والرسل أعظم حظٍ من الحكمة، ونوّر بها قلوبهم، وجمّل بها أخلاقهم: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾﴾ [الجمعة:٢].

وقال الله عَزَّ وَجَلَّ عن نبيه محمد ﷺ: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُۥ لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ ۖ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَىْءٍ ۚ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾﴾ [النساء:١١٣].

ولأتباع الأنبياء من المؤمنين حظٌّ من الحكمة بحسب إيمانهم، وتقواهم، وصلاحهم، وزكاة نفوسهم: ﴿يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٦٩﴾﴾ [البقرة:٢٦٩].

وقال النبي ﷺ: "مَن يُرِدِ اللهُ به خَيْرًا يُفَقِّهْهُ في الدِّين". متفق عليه (١).

وقال النبي ﷺ: "خَيْرُكُمْ مَن تَعَلَّمَ القُرْآنَ وعَلَّمَهُ". أخرجه البخاري (٢).

والحكمة نعمةٌ ربانية؛ وتكمُل وتزيد بالعلم والعمل والمجاهدة: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾﴾ [العنكبوت:٦٩].

وقد نوَّر الله عز وجل بالحكمة قلوبَ كثيرٍ من عباده المؤمنين، ففاضت ينابيع تلك الحكمة على ألسنتهم حِكمًا عظيمة، ووصايا نافعة، ومن هؤلاء لقمان الحكيم الذي أوصى ابنه بأعظم الوصايا، كما قال الله سبحانه: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ ۚ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ

---

(١) متفق عليه، اخرجه البخاري برقم (٧١) ومسلم برقم (١٠٣٧).

(٢) أخرجه البخاري برقم (٥٠٢٧).

﴿وَإِذۡ قَالَ لُقۡمَٰنُ لِٱبۡنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ ١٣﴾[لقمان:١٢-١٣].

وقال لقمان لابنه :﴿ يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٖ فَتَكُن فِي صَخۡرَةٍ أَوۡ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَأۡتِ بِهَا ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٞ ١٦ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ١٧ وَلَا تُصَعِّرۡ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٖ ١٨ وَٱقۡصِدۡ فِي مَشۡيِكَ وَٱغۡضُضۡ مِن صَوۡتِكَۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلۡأَصۡوَٰتِ لَصَوۡتُ ٱلۡحَمِيرِ ١٩﴾[لقمان:١٦-١٩].

وكلما امتلأ قلب المؤمن بنور القرآن أثمرَ حُسْنَ التقوى لله عز وجل، فأكرمه الله بزيادة نور الإيمان، وجعل له واعظًا يوجهه إلى الخير، ويُلهمه الرُّشد والصواب: ﴿نُّورٌ عَلَىٰ نُورٖۚ يَهۡدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَيَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَٰلَ لِلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ٣٥﴾[النور:٣٥].

وقال النبي ﷺ:" لقَدْ كانَ فِيما قبلَكُمْ مِنَ الأُمَمِ محُدَّثُونَ، فإنْ يَكُ في أُمَّتي مِنْهُم أحَدٌ، فإنَّه عُمَرُ". متفق عليه (١).

والمُحدَّث: هو المُلهم المُخاطب في سرِّه بما يوافق الحق :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤۡتِكُمۡ كِفۡلَيۡنِ مِن رَّحۡمَتِهِۦ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ نُورٗا تَمۡشُونَ بِهِۦ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٢٨﴾[الحديد:٢٨].

وقال الله سبحانه :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا وَيُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ٢٩﴾[الأنفال:٢٩].

ومن الحكمة قوة الفِراسة في الرجال والنساء والأحوال.

قوال عمرو بن أبي قيس:" اتَّقوا فِراسةَ المؤمنِ ، فإنَّهُ ينظرُ بنورِ اللهِّ". أخرجه الترمذي(٢).

---

(١)متفق عليه، اخرجه البخاري برقم (٣٤٦٩) ومسلم برقم (٢٣٩٨).

(٢)صحيح: أخرجه الترمذي برقم (٣١٢٧).

٢ - فقه حِكمةِ الله عز وجل

الله عز وجل هو الحكيم الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلا، والأفعال الحميدة: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ ٨﴾ [طه:٨].

هو الحكيم في خلقه،الحكيم في أمره، الحكيم في تدبيره وتصريفه، الحكيم الذي أحكم الأمور، وأحكم صنع المخلوقات: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ١﴾ [الحديد:١].

هو الحكيم في أقواله وأفعاله، الحكيم الحاكم الذي قهر جميع المخلوقات على مُراده، فدان المُلكُ والملكوت كله لحِكمِه العدلْ، وأمرِهِ الفصلْ: ﴿سُبۡحَٰنَهُۥۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ٤ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّۖ يُكَوِّرُ ٱلَّيۡلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيۡلِۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ كُلّٞ يَجۡرِي لِأَجَلٖ مُّسَمًّىۗ أَلَا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفَّٰرُ ٥﴾ [الزمر:٤-٥].

وهو سبحانه أحكم الحاكمين؛ الحكيم الذي كل أقواله وأفعاله، وأقداره وأحكامه، في منتهى الحُسنِ والجمالِ والحِكمة: ﴿أَفَحُكۡمَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ يَبۡغُونَۚ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكۡمٗا لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ٥٠﴾ [المائدة:٥٠].

وهو سبحانه الحكيم الحَكَم الذي حكم المُلْكَ والملكوت، الحاكم الذي نفذَ حُكمه في جميع مخلوقاته، لا رادَّ لقضائه، ولا معقِّب لحكمه: ﴿وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ كُلّٞ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ٢٦ وَهُوَ ٱلَّذِي يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهۡوَنُ عَلَيۡهِۚ وَلَهُ ٱلۡمَثَلُ ٱلۡأَعۡلَىٰ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٢٧﴾ [الروم:٢٦-٢٧].

وهو سبحانه الحكيم الحكم الذي لا إله غيره، ولا رب سواه: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ١٨﴾ [آل عمران:١٨].

وأجرى سبحانه حُكمه وحكمته في مُلكِه وملكوته، وجميع مخلوقاته: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾ [الحشر: ٢٢-٢٤].

ومن حكمة أحكم الحاكمين أنه خلق جميع المخلوقات، وأحكم صنعها، وحكم حركاتها وسكناتها، ومنافعها ومضارّها، وبقاءها وفناءها: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾﴾ [الروم: ٢٧].

وهو الحكيم الذي أجرى في ملكه حُكمِه الكوني، وحُكمِه الشرعي، وحُكمِه الجزائي: ﴿فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾﴾ [الجاثية: ٣٦-٣٧].

ومن آثار حكمة الحكيم جل جلاله في ملكه وملكوته ما أظهره في جميع مخلوقاته في العالم العلوي والعالم السفلي، كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾﴾ [البقرة: ١٦٤].

وقال الله ﷻ: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأعراف: ٥٤].

فما أَظْهرَ حكمة الله في آياته ومخلوقاته، وأفعاله وتدبيره: ﴿يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَيُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١٩﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ

خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ ﴿٢٢﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٢٣﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَيُحْىِۦ بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٤﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ ۚ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ ﴿٢٥﴾ وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [الروم: ١٩-٢٦].

وقال الله عز وجل: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١١﴾﴾ [لقمان: ١٠-١١].

والحكيم الذي هذه أسماؤه وصفاته وأفعاله، هو الرب الذي يستحق أن يُعبد وحده لا شريك له، وأن يُطاع فلا يعصى، ويُذكر فلا ينسى، ويُشكر فلا يكفر: ﴿هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [غافر: ٦٥].

٣- أنواع الحكمة

الحكمة نوعان:

الأولى: حكمةٌ علميةٌ نظريةٌ:

وهي الاطلاع على بواطن الأشياء، ومعرفة أسرارها، ومعرفة ارتباط الأسباب بمسبباتها خلقًا وأمرًا، وقدرًا وشرعًا، وهي أعظم ما أعطى الله أنبياءه ورسله وأولياءه: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ (٢٦٩)﴾ [البقرة:٢٦٩].

الثانية: حكمةٌ عمليةٌ:

وهي وضع الشيء في موضعه الحق؛ مثل وضع الكلام المناسب، للشخص المناسب، في الوقت المناسب، بالقدر المناسب: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ (١٢٥)﴾ [النحل:١٢٥].

والحكمة تُطلق على عدة معان:

الأول: الحكمة بمعنى سُنَّة النبي ﷺ، كما قال سبحانه: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٢)﴾ [الجمعة:٢].

الثاني: الحكمة بمعنى النبوة، كما قال سبحانه عن سليمان عليه السلام: ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ (٢٠)﴾ [ص:٢٠].

الثالث: الحكمة بمعنى الفقه في الشرع، كما قال سبحانه: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ (٢٦٩)﴾ [البقرة:٢٦٩].

الرابع: الحكمة بمعنى الفهم للشريعة، وكمال العقل: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ (١٢)﴾ [لقمان:١٢].

الخامس: الحكمة بمعنى العِظَة، كما قال سبحانه: ﴿حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ ۝٥﴾[القمر:٥].

وحقيقة الحكمة هي العلم الإلهي، المثمر لأنواع العمل الصالح، كما أمر الله ورسوله به، ومعرفة أسرار الشرائع وحكمها، والإصابة في القول والعمل، ووضع الشيء في موضعه الحق، وتقديم الأحسن على الحسن.

والحكمة من حيث اكتسابها تنقسم إلى قسمين:

الأول: حكمةٌ فطريةٌ ربانية:

يؤتيها الله من شاء من عباده، وهذه لا يدَ للعباد فيها، لأنها بيد الله وحده: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ۝٢٦٩﴾[البقرة:٢٦٩].

الثاني: حكمةٌ مكتسبةٌ، يكتسبها المؤمن بفعل أسبابها، وترك موانعها، فيسهُل انقيادها له، وتجري على ألفاظه التي ينطق بها، وأفعاله التي يفعلها: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ۝٦٩﴾[العنكبوت:٦٩].

ومن طُرق اكتساب الحكمة:

التفقه في الدين، ومجالسة أهل الصلاح والحكمة، والإكثار من ذكر الله، وتدبر كتابه، وأداء العبادات كما ورد شرعًا، وتحري أكل الحلال، ومشورة إخوانه المؤمنين في أموره، وطلب الحكمة من ربه الحكيم جل جلاله: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ۝٢٨﴾[الكهف:٢٨].

فاسأل ربك الحكيم أن يرزقك الحكمة: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ۝١٨٦﴾ [البقرة:١٨٦].

٤ - درجات الحكمة

الحكمة على ثلاث درجات:

الدرجة الأولى: أن تعطي كل شيء حقه، ولا تُعَدِّيه حدَّه، ولا تعجِّله عن وقته، ولا تؤخِّره عن وقته: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾﴾ [الحشر:٧].

فالحكمة فعلُ ما ينبغي، على الوجه الذي ينبغي، في الوقت الذي ينبغي، بالقدر الذي ينبغي.

الثانية : أن تشهد نظر الله في وعده ووعيده، وتعرف عدله في حكمه وأمره، وتلحَظ بُرَّه في منعه وعطائه .

فتعرف الحكمة في الوعد والوعيد، فتشهد إحسان الله وعدله في وعده ووعيده: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾﴾ [النساء: ٤٠].

وقال عز وجل : ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦٠﴾﴾ [الأنعام: ١٦٠].

وتعرف عدل الله في أحكامه الشرعية، وأحكامه الكونية الجارية على الخلائق، فإنها أحسن الأحكام والأقدار، لا ظُلم فيها، ولا حَيْفَ، ولا جَوْر؛ فكلها حكمة ورحمة، وعدلٌ وإحسان .

وكذلك تعرف برَّ الله في منعه وعطائه؛ فهو الحكيم الذي يضع الشيء في موضعه الحق، لكمال علمه بما يُصلِحُ أحوال عباده، فالله حكيمٌ عليم ما ابتلى إلا ليعافي، وما منع إلا ليُعطي، وما قبض إلا ليَبسط : ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿٣٠﴾﴾ [الإسراء: ٣٠].

الثالثة: أن تبلغ في استدلالك أعلى درجات العلم، وهي البصيرة التي يرى بها القلب حقائق العلم، كما يرى البصر حقائق الأشياء المحسوسة .

فترى الخلائق وتتجاوزهم إلى الخالق، وترى الصور وتتجاوزها إلى المصوّر، وترى الأرزاق وتتجاوزها إلى الرزاق، فتفعل ما يحبه الله ويرضاه، وتجتنب ما يكرهه ويسخطه: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾﴾[الطلاق:١٢].

وترى الدنيا وتتجاوزها إلى الآخرة، وترى الأموال والأشياء وتتجاوزها إلى الإيمان والأعمال الصالحة،وترى السنة الكونية وتتجاوزها إلى القدرة الإلهية: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾﴾[البقرة:١٦٤].

وتتجاوز الحسن إلى الأحسن: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٦﴾﴾[يونس:٢٦].

٥- الأسباب المعينة على تحصيل الحكمة

الأول: النظر والتفكر في عظمة مخلوقات الله، فمن تفكَّر في ذلك رأى عظمة هذه المخلوقات، وإحكام خلقها من ربها الحكيم، وإتقان صنعها؛ فزاد إيمانه بربه، وملأ الله قلبه نورًا يميز به بين الحق والباطل، وبين الخالق والمخلوق، وبين ما يجب تقديمه، وما يجب تأخيره: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾﴾ [آل عمران: ١٩٠-١٩١].

وقال الله ﷻ: ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٨﴾﴾ [ق: ٦-٨].

الثاني: تدبر آيات الله القرآنية، ومعرفة أسرار الأحكام الكونية، وأسرار الأحكام الشرعية، وأسرار الأحكام الجزائية، فمن تدبر ذلك عرف حكمة رَبّ العالمين في خلقه وأمره، وقضائه وقدره، ودينه وشرعه، ووعده ووعيده: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾﴾ [ص: ٢٩].

الثالث: معرفة سيرة الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام، وما هم عليه من الرحمة واللطف واللين، والحكمة، وحسن السيرة والسريرة: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ [الأحزاب: ٢١].

الرابع: المحافظة على الفرائض، والمداومة على أداء النوافل في أوقاتها، فذلك يملأ قلب المؤمن بنور الحكمة، ويثمر محبة العبد للرب، وحب مناجاته:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤۡتِكُمۡ كِفۡلَيۡنِ مِن رَّحۡمَتِهِۦ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ نُورٗا تَمۡشُونَ بِهِۦ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٢٨ ﴾[الحديد:٢٨].

وقال رسول الله ﷺ: " إنَّ اللهَ قالَ: مَن عادَى لي ولِيًّا فقَدْ آذَنْتُهُ بالحَرْبِ، وما تَقرَّبَ إليَّ عَبْدِي بشيءٍ أحَبَّ إليَّ ممَّا افْتَرَضْتُ عليه، وما يَزالُ عَبْدِي يَتَقرَّبُ إليَّ بالنَّوافِلِ حتَّى أُحِبَّهُ، فإذا أحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الذي يَسْمَعُ به، وبَصَرَهُ الذي يُبْصِرُ به، ويَدَهُ الَّتي يَبْطِشُ بها، ورِجْلَهُ الَّتي يَمْشِي بها، وإنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، ولَئِنِ اسْتَعاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ، وما تَرَدَّدْتُ عن شيءٍ أنا فاعِلُهُ تَرَدُّدِي عن نَفْسِ المُؤْمِنِ، يَكْرَهُ المَوْتَ وأنا أكْرَهُ مَساءَتَهُ". أخرجه البخاري (1).

الخامس: دعاء الله عز وجل أن يرزقه الحكمة، وحُسنُ الإصابة في القول والعمل، فالله كريمٌ لا يردُّ سائلًا، ولا يخيّبُ مؤملًا: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ٦٠ ﴾ [غافر:٦٠].

السادس: الإكثار من ذكر الله عز وجل، وتلاوة وتدبر كتابه، فمن أكثر من ذكر الله امتلأ قلبه بنور الإيمان، وأحبَّ ربه، وأطاعه ولم يعصه: ﴿ وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلۡ إِلَيۡهِ تَبۡتِيلٗا ٨ رَّبُّ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذۡهُ وَكِيلٗا ٩ ﴾[المزمل:٨-٩].

السابع: الإكثار من الاستغفار والتوبة من الذنوب والمعاصي، والمبادرة إلى التخلُّص من المظالم، وحقوق العباد، فمن فعل ذلك صار أهلاً للطمأنينة والسكينة، وإكرام الله له بالحكمة والرحمة والمغفرة: ﴿ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٣١ ﴾[النور:٣١].

---

(1) أخرجه البخاري برقم (٦٥٠٢).

وقال الله ﷻ: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ أَن يُؤْتَىٰٓ أَحَدٌ مِّثْلَ مَآ أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَآجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾﴾[آل عمران: ٧٣-٧٤].

الثامن: لزوم البيئة الإيمانية، والمداومة على حضور مجالس الذكر والوعظ، ومجالسة أهل العلم والحكمة، والانقطاع عن جو الغفلة، فمن لزم ذلك؛ أظهر الله ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه، فنطق بالحق، وعَمِلَ به، ودعا إليه: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾﴾[الكهف: ٢٨].

٦ - ثمرات الحكمة

من أعظم ثمرات الحكمة:

الأولى: الحكمة من أعظم نعم الله على عباده، لما فيها من مجامع المنافع والخيرات والبركات، كما قال سبحانه: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ (٢٦٩)﴾ [البقرة:٢٦٩].

الثانية: الحكمة من أعظم صفات الرب؛ ومن اتَّصف بالحكمة فقد تعبد لله بهذه الصفة: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٨٠)﴾ [الأعراف:١٨٠].

الثالثة: الحكمة من أعظم صفات الأنبياء والرسل، ومن تحلى بالحكمة فقد تشبَّه بهم، وسارع إلى هديهم: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (١٦٤)﴾ [آل عمران:١٦٤].

الرابعة: الحكمة صفة عظيمة، وخلّة كريمة، تزيد الشريف شرفًا، وترفع العبد المملوك ليكون ملكًا: ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (٤)﴾ [الجمعة:٤].

الخامسة: الحكمة نعمة من الله يُكرمُ بها من شاء من عباده ممن يعلم أنه يزكو بها،ويعمل بها، ويعلِّمها، ويشكر ربه عليها: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ (٢٦٩)﴾ [البقرة:٢٦٩].

السادسة: أن الحكمة زينة المؤمن، تقوى بالمجاهدة والصبر، والحكمة ضالة المؤمن أينما وجدها أخذها، وعند من رآها طلبها: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ (٦٩)﴾ [العنكبوت:٦٩].

السابعة: أن الله عز وجل يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب، ولكنه لا يعطي الدين إلا من يحب من أصفيائه وأوليائه :﴿وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّـٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ ۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴿١٨﴾﴾[الزمر:١٧-١٨].

الثامنة: أن الحكمة تثمر أنواع العبودية التي يحبها الله؛ من الإيمان والتقوى، وأحسن الأقوال والأعمال والأخلاق :﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَـٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾[فاطر:٢٨].

التاسعة : أن الحكمة تُساسُ بها الأمور، وتحُلّ بها المعضلات، وتُفصل بها الخصومات، وتُنال بها أعلى الدرجات، كما قال سبحانه عن داودﷺ : ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ ﴿٢٠﴾﴾[ص:٢٠].

العاشرة: أن كمال العبد متوقف على الحكمة؛ فكمال الإنسان بتكميل قوتيه العلمية والعملية .

فتكميل قوته العلمية بمعرفة الحق، وتكميل قوته العملية بفعل الخير، وترك الشر، والإصابة في القول والعمل، ووضع الشيء في موضعه الحق، وهذه هي الحكمة التي أكرم الله بها من شاء من أوليائه:﴿يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴿٢٦٩﴾﴾[البقرة:٢٦٩].

الحادية عشرة: أن الحكمة هي أحسن ما يتعلمه المؤمن، كما دعا النبيﷺ لابن عباس رضي الله عنه بقوله: " اللهم علمه الحكمة ". أخرجه البخاري (١).

---

(١)أخرجه البخاري برقم (٣٧٥٦) .

الثانية عشرة: أن الحكمة تملأُ قلب المؤمن بمعرفة أسرار الأحكام، وهي مثمرةٌ للقُرب من الله، وامتثال أوامره، واجتناب نواهيه، والتعلق بالله دون سواه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ ١٢﴾ [الملك:١٢].

الثالثة عشرة: الحكمة سمة من سمات الأنبياء والصالحين، وعلامة من علامات العلماء الربانيين، ومزية للدعاة الصادقين: ﴿ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ٤﴾ [الجمعة:٤].

الرابعة عشرة: أن الحكمة تدعو صاحبها للعمل على وفق الشرع، فيصيب في القول والعمل، ويسير على هدى وبصيرة؛ لأن الحكمة تأمر بفعل ما يُحمَد، وتنهى عن كل ما يُذَمّ: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ٣ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَمَغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ٤﴾ [الأنفال:٢-٤].

فاجتهد يا عبد الحكيم في طلب الحكمة، فتعرُّفُها حقٌ واجبٌ على أولي الألباب، وادع إلى ربك الكريم أن يرزقك الحكمة، فإنه جواد كريم: ﴿يُؤۡتِي ٱلۡحِكۡمَةَ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُؤۡتَ ٱلۡحِكۡمَةَ فَقَدۡ أُوتِيَ خَيۡرٗا كَثِيرٗاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٢٦٩﴾ [البقرة:٢٦٩].

واصرف جميع أوقاتك وأموالك وأنفاسك في مرضات من أنعم عليك بالحكمة والتوفيق لهداه: ﴿قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٦٢ لَا شَرِيكَ لَهُۥۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرۡتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ١٦٣﴾ [الأنعام:١٦٢-١٦٣].

وأحكِمْ جميع أمورك فيما بينك وبين الله، وفيما بينك وبين خلق الله، وسارع إلى الخيرات وسابق إلى الفضائل والطاعات تسبق إلى أعالي الجنات: ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ

﴿مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢١﴾﴾[الحديد: ٢١].

يا عبد الحكيم إذا حكمت بين الناس فاحكم بالحق والعدل، وإياك والجور والظلم: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٦﴾﴾[ص:٢٦].

اللهم اهدنا فيمن هديت، وعافنا فيمن عافيت، وتولنا فيمن توليت، واصرف عنا شر ما قضيت، يا ذا الجلال والإكرام.

اللهم يا أرحم الراحمين،ويا أحكم الحاكمين، هب لنا من لدنك رحمة، إنك أنت الوهاب.

﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٨﴾﴾ [آل عمران:٨].

﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾[الأعراف:٢٣].

عبادات القلوب

في ضوء القرآن والسنة

العبادة الثانية والأربعون

عبادة اللطف

وتشتمل هذه العبادة العظيمة على المباحث الآتية :

الأول : فقه اللطف بالخلق .

الثاني : فقه لطف الله ﷻبالخلق .

الثالث : الأسباب المعينة على اللطف .

الرابع : التعبد لله ﷻ بصفة اللطف.

العبادة الثانية والأربعون

عبادة اللطف

١ - فقه اللطف بالخلق

اللطف هو اللين والرفق في المعاملات، والتُّؤَدَة وعدم العجلة، والسماحة والبِشْر، وحسن الخطاب، ولُطف القَول والعمل والخلق.

واللطف عبادة بين العبد وغيره من الخلق، والله لطيف يحب من عباده أن يتصفوا بصفاته على شاكلة العبودية: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [الأعراف: ١٨٠].

وعبادات القلوب تنقسم إلى قسمين:

الأول: عبادات بين العبد وربه كالأذكار والأدعية، والصلاة والصوم وأمثالها.

الثاني: عبادات بين العبد وغيره من الخلق كالرحمة والعفو، والحِلم واللطف، والبر والإحسان وأمثالها.

وهذه وتلك كلاهما من العبادات القلبية المأمور بها شرعا: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال: ٢-٤].

فلابد من الإحسان في عبادة الله، والإحسان في معاملة الخلق، فالدين ركنان، عبادة الحق، والإحسان إلى الخلق، كما قال الله ﷻ: ﴿۞ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾﴾ [النساء: ٣٦].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: « قال رجلٌ: يا رسولَ الله إنَّ فلانةَ فذَكَرَ من كثرةِ صلاتِها وصدقتِها وصيامِها غيرَ أنها تُؤْذِي جيرانَها بلسانها قال: " هيَ في النارِ "، قال: يا رسولَ الله فإنَّ فلانَةَ فذَكَرَ من قلَّةِ صيامِها وصلاتِها وأنَّها تصَّدَّقُ بالأثوارِ من

الأقِطِ ولا تُؤْذِي بلسانها جيرانها، قال: «هي في الجنةِ»أخرجه أحمد والبزار(١).

وسر السعادة والراحة والطمأنينة يَكْمُن في اللطف بالناس، ولين الجانب لهم، والرفق بهم، والرحمة لهم: ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ٢٢ ﴾[النور:٢٢].

واللُّطف بالخلق، والرحمة لهم، واللين لهم، والرفق بهم، من أعظم صفات الأنبياء والرسل،وبذلك ألان الله لهم قلوب الخلق فأحبوهم، وآمنوا بما جاؤوا به، واستجابوا لأمرهم: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ١٥٩ ﴾[آل عمران:١٥٩].

وقال الله ﷻ: ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ١٩٩ ﴾[الأعراف:١٩٩].

واللطف، واللين، والرفق بالناس، عبادات بين العبد والخَلق،وليس أنفع للقلب من معاملة الناس باللطف واللين، والرِّفق والعفو، والحِلم والصبر، والبر والإحسان: ﴿ ۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ١٣٤ ﴾[آل عمران:١٣٣-١٣٤].

فالناس إما أجنبي فتكسب محبته ومودته،وإما صديق وحبيب فتستديم مودته ومحبته،وإما عدو ومُبغض فتطفئ بلطفك جمرة غضبه، وتستكفي أذاه وشره: ﴿ وَلَا تَسْتَوِي ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ٣٤ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ٣٥ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ٣٦ ﴾[فصلت:٣٤-٣٦].

إن من اللُّطف بالناس، وكسب مودتهم، أن تصل من قطعك، وتُعطي من حرمك، وتعفو عمن ظلمك، وتُحسن إلى من أساء إليك، ابتغاء مرضاة الله: ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ

---

(١)صحيح: أخرجه احمد برقم (٩٦٧٥) والبزار برقم (٩٧١٣).

﴿وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ ١٩٩﴾[الأعراف:١٩٩].
وقال النبي ﷺ: «مَثَلُ المؤْمِنِينَ في تَوادِّهِمْ، وتَراحُمِهِمْ، وتَعاطُفِهِمْ مَثَلُ الجَسَدِ إذا اشْتَكَى منه عُضْوٌ تَداعَى له سائِرُ الجَسَدِ بالسَّهَرِ والحُمَّى» متفق عليه [1].
إن من اللُّطف بالناس أن تُسلم على من عرفت ومن لم تعرف، وترد التحية بأحسن منها: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٖ فَحَيُّواْ بِأَحۡسَنَ مِنۡهَآ أَوۡ رُدُّوهَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٍ حَسِيبًا ٨٦﴾[النساء:٨٦].
ومِن اللطف بالناس أن تُقابل القاسي باللين، والشديد بالرحمة، والسفيه بالحلم، والجاهل بالصبر، والمسيء بالإحسان، والفقير بالعطاء، والغني بالثناء، والصديق بأحسن الأخلاق، والعدو بالعفو: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجِكُمۡ وَأَوۡلَٰدِكُمۡ عَدُوّٗا لَّكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُمۡۚ وَإِن تَعۡفُواْ وَتَصۡفَحُواْ وَتَغۡفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ١٤﴾[التغابن:١٤].
ومِن اللطف بالناس أن تُقابل باللين واللطف، والمحبة والرحمة، كل من يُكِنُّ لك المحبة والتقدير، ويقضي حوائجك، ويدفع عنك الأذى: ﴿هَلۡ جَزَآءُ ٱلۡإِحۡسَٰنِ إِلَّا ٱلۡإِحۡسَٰنُ ٦٠﴾[الرحمن:٦٠].
إن من أحسن الأخلاق أن تبتسم في وجه أخيك إذا لَقيته، ولا تُعبِّس في وجهه، ولا تتكبر عليه، أو تُعرض عنه.
ومن مكارم الأخلاق أن تحُب لأخيك ما تحُب لنفسك، وتفرحَ بخبر سار حَصل له، أو خبر ضار اندفع عنه.
قال النبي ﷺ: «مَثَلُ المؤْمِنِينَ في تَوادِّهِمْ، وتَراحُمِهِمْ، وتَعاطُفِهِمْ مَثَلُ الجَسَدِ إذا اشْتَكَى منه عُضْوٌ تَداعَى له سائِرُ الجَسَدِ بالسَّهَرِ والحُمَّى» متفق عليه [2].
ومِن مكارم الأخلاق أن من تَفنن في القُرب منك، والإحسان إليك، أَن تَقترب منه وتَشكره، ولا تبتعد عنه أو تَصُدَّ عنه.

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٠١١) ومسلم برقم (٢٥٨٦).
(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٠١١) ومسلم برقم (٢٥٨٦).

ومِن مكارم الأخلاق أن من ذكرك بين الناس بخير، أن تذكره بينهم بخير، وتُثني عليه، ولا تُشوه صورته بذِكر عيوبه بينهم، وستر حسناته عنهم.

ومِن اللطف بالناس أن تقضي حاجة العاجز، وتُعين الضعيف، وترحم المسكين،وتُحسن إلى المُسيء وتعلم الجاهل، وتهدي الضال، وتَحْلُم على السفيه، وتصبر على من آذاك، وتمُدَّ يدك بالمعروف، وتبسط لسانك بالنصيحة، وتُؤْثِر غيرك على نفسك، وتصل رحمك، وتُحسن إلى الناس حسب استطاعتك: ﴿۞ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلۡجَنۢبِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخۡتَالٗا فَخُورًا ٣٦﴾[النساء:٣٦].

واعلم يا عبد اللطيف أن اللُّطْفَ وفِعل الخير يثمر لك كل سعادة وخير في الدنيا والآخرة: ﴿وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنۡ خَيۡرٖ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيۡرٗا وَأَعۡظَمَ أَجۡرٗاۚ وَٱسۡتَغۡفِرُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمُۢ ٢٠﴾[المزمل:٢٠].

فكن لطيفا في معاملاتك، لطيفا في دعوتك، لطيفا في تعليمك، لطيفا في إحسانك، لطيفا في بيعك وشرائك، لطيفا مع أهلك، لطيفا مع أرحامك، لطيفا مع جيرانك، لطيفا مع إخوانك، لطيفا مع المؤمنين، لطيفا مع الكافرين، لطيفا مع المعرضين، لطيفا مع المعاندين: ﴿خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ ١٩٩﴾[الأعراف:١٩٩].

فالله لطيف بعباده، وقد أمرك باللطف مع الخلق، فتعبد لله باللطف حيثما كنت تُسعد قلبك، وتُرضي ربك، وتفوز بجنته، وتنال أعظم ثوابه، وتكسب مودة الناس، وتظفر منهم بقَبول نصحك، وطاعة أمرك: ﴿۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤﴾[آل عمران:١٣٣-١٣٤].

فأحسن اللطف بالخلق، والرفق بهم: ﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ٣٣ وَلَا تَسۡتَوِي ٱلۡحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُۚ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ

أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٖ ﴿٣٥﴾﴾[فصلت:٣٣-٣٥].
وَاللُّطْف من أعظم العبادات القلبية التي تكون بين العبد والخلق .
واللطف خُلُق كريم أكرم الله به جميع الأنبياء والمرسلين، وزين الله به أولياءه المؤمنين، وعباده الصادقين :﴿ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرۡحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴿٧١﴾﴾[التوبة:٧١].
واللطف من مقتضيات الإيمان بأسماء الله الحسنى، ومن لوازم الإيمان بأسماء الله اللطيف، الرءوف، الرحمن الرحيم، المحسن، الكريم، العفو، الحليم.
فالمؤمن إذا عرف ربه بصفات الرحمة والرأفة واللطف رَحِم الناس، وأحسن إليهم، ولَطُف بهم: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾[الأنعام: ١٠٢ –١٠٣] .
وإذا عرف العبد ربه المُحسن الكريم سارع إلى التعبد لله بصفة الإحسان إلى الناس، وأكرمهم بما يقدر عليه، وأكرمهم بما يستطيع من هدية أو كلمة طيبة.
وإذا عرف ربه بالعفو والصفح والحِلم عفا عن الناس، وصفح عن زلاتهم، وحَلُم على السفيه منهم، ابتغاء وجه الله، ففاز بمغفرة الله له، ودخوله جنته : ﴿ ۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾[آل عمران:١٣٣-١٣٤].
فكن يا عبد اللطيف لطيفا بنفسك، أعطها حظها مما أباح الله لها، واحملها بلُطف على امتثال أوامر الله، واجتناب نواهيه :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ﴿١٧٢﴾﴾[البقرة:١٧٢].
وقال الله عَجَّل: ﴿وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلۡهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقۡوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا

﴿٩﴾ وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾﴾ [الشمس:٧-١٠].
وَكُنْ لطيفا بأهلك، حَبِّبْهُم إلى ربهم، وعَرِّفْهُم بنِعمه وإحسانه ليُحبوه، وعرفهم بعظمته ليُعظموه، وخُذ بأيديهم بلطف إلى محاسن الأقوال والأعمال والأخلاق: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ﴿٦﴾﴾ [التحريم:٦].
وقال النبي ﷺ: «خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لأهلِهِ وأنا خَيْرُكُمْ لأهلِي». أخرجه الترمذي وابن ماجة[1]
وكن لطيفا بجيرانك، أكرمهم بما تستطيع، وابتسم في وجوههم، وانصحهم بلُطف ولين، ورحمة وشفقة.
قال النبي ﷺ: «ما زالَ جِبريلُ يوصيني بالجارِ حتَّى ظنَنتُ أنَّهُ يورِّثُهُ» متفق عليه [2].
وقال النبي ﷺ: «مَن كان يؤمِنُ بالله و اليوم الآخرِ، فليُكرِمْ جارَه» متفق عليه [3].
وكن لطيفا بكل الخلق، ابتغاء مرضَات الله، عَرِّفْهُم بربهم ليُحبوه، ويُؤمنوا به ويعبدوه وحده لا شريك له، وانصحْ لهم بلطفٍ ورِفقٍ: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴿١٢٥﴾﴾ [النحل:١٢٥].
وَالْطُفْ بما تملك من البهائم والحيوانات، وتفقد طعامها وشرابها وسكنها، فإن الله سائلٌ كُلَّ راع عما استرعاه.
قال النبي ﷺ: «في كُلِّ كَبِدٍ رَطْبَةٍ أجْرٌ» متفق عليه [4].
وقال النبي ﷺ: «إنَّ اللهَ كَتَبَ الإحْسَانَ على كُلِّ شيءٍ، فَإذَا قَتَلْتُمْ فأحْسِنُوا القِتْلَةَ، وإذَا ذَبَحْتُمْ فأحْسِنُوا الذَّبحَ، وَلْيُحِدَّ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ، وَلْيُرِحْ ذَبِيحَتَهُ» أخرجه مسلم [5].

---

(١) صحيح: أخرجه الترمذي برقم (٣٨٩٥) وابن ماجة برقم (١٩٧٧).
(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٠١٤) ومسلم برقم (٢٦٢٤).
(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٠١٩) ومسلم برقم (٤٨).
(٤) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٢٣٦٣) ومسلم برقم (٢٢٤٤).
(٥) أخرجه مسلم برقم (١٩٥٥).

٢ - فقه لطف الله ﷻ

اللطيف اسم من أسماء الله الحسنى، واللطف صفة من صفاته جل جلاله: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾[الأنعام:١٠٢-١٠٣].

الله ﷻ لطيف بعباده، لطيف بجميع خلقه،خلقهم في أحسنِ تقويم، وأكرمهم بالسمع والبصر والعقل، وأعطاهم القُدْرَة على التفكير، ومَنَحَهُم القُدرة على التَّصَوُّر والتخيُّل، وأكرمهم بالعقول التي تستقبل الوحي، وتُمَيِّز بين البدائل، وفطرهم على معرفة ما ينفعهم وما يضرهم : ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾﴾ [النحل:٧٨].

الله لطيف بعباده، سخر لهم ما في السماوات والأرض، وأسبغ عليهم نعمه الظاهرة والباطنة، وأمدهم بأنواع الأرزاق، وأوصل لكل مخلوق رزقه، سواءً كان في البر أو البحر أو الجو : ﴿۞ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦﴾﴾[هود:٦].

الله لطيف بعباده، سخر لهم ما في السماوات والأرض تسخيرين:

تسخير تعريف، ليؤمنوا بالله ويُوحدوه، وتسخير تكريم، ليشكروه على عظيم نعمه وإحسانه :﴿أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾﴾[لقمان:٢٠].

وموجِب تسخير التعريف أن يُؤمنوا به، ويعبدوه وحده لا شريك له،وموجب تسخير التكريم أن يشكروه على نِعمه التي لا تُعَد ولا تُحصى،وهذا مقصود

الرب من خلقه : ﴿مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿١٤٧﴾﴾[النساء:١٤٧].

الله لطيف بعباده، خلق الخَلْق في الدنيا ليَعرفوه، ويؤمنوا به، ويعبدوه وحده لا شريك له، ويشكروه على نِعمه التي لا تُعَد ولا تُحصى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾﴾[الطلاق:١٢].

وأرسل إليهم الرسل، وأنزل عليهم الكتب، ليعرفوا صراطه المستقيم المُوَصل إليه، وإلى رضوانه وجنته، وحذرهم من كل ما سواه: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ ۚ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾﴾ [النحل:٣٦].

الله خلق الخلق ليعبدوه وحده، وتكفل بأرزاقهم وحده: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾﴾[الذاريات:٥٦-٥٨].

الله لطيفٌ بعباده، عرَّفَ خلقه بأسمائه الحسنى، وصفاته العلا، وأفعاله الحميدة، ليعبدوه وحده لا شريك له، ويكبروه ويعظموه، ويحبوه ويُمجدوه، ويحمدوه ويشكروه ويسألوه ويستغفروه، ويخافوه ويرجوه وحده لا شريك له : ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنعام:١٠٢-١٠٣].

الله لطيفٌ بعباده، بيَّن لهم الطريق المُوَصِّل إليه، وهو دينه الحق الذي أكرم الله به عِباده، ليَسعدوا في الدنيا والآخرة :﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟

ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾ [الأنعام:١٥٣].

الله لطيفٌ بعباده، بَيّنَ لهم ما لهم بعد القدوم عليه في الآخرة،فأعد الجنة لمن آمن به وأطاعه، وأعد النار لمن كفر به وعصاه: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٧٢﴾﴾[التوبة:٧٢].

وقال الله ﷻ: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلۡكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ هِيَ حَسۡبُهُمۡۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُۖ وَلَهُمۡ عَذَابٞ مُّقِيمٞ ﴿٦٨﴾﴾[التوبة:٦٨].

الله ﷻ هو الرب اللطيف الذي أكرم بني آدم بأنواع التكريم وفضلهم على سائر المخلوقات بأحسن الفضائل: ﴿۞ وَلَقَدۡ كَرَّمۡنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ وَرَزَقۡنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّمَّنۡ خَلَقۡنَا تَفۡضِيلٗا ﴿٧٠﴾﴾ [الإسراء: ٧٠].

والرب العظيم الذي هذه أسماؤه وصفاته وأفعاله، وهذا ملكه وسلطانه، وهذه قوته وجبروته، وهذه نعمه وإحسانه، وهذا لطفه وبره، وهذه رحمته ورأفته، هو الرب الذي يستحق أن يطاع فلا يُعصى، ويُذكر فلا ينسى، ويشكر فلا يكفر، ويعبد وحده لا شريك له: ﴿هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾[غافر:٦٥].

ولطف الله وبِره وإحسانه إلى خلقه عمَّ به جميع خلقه، من آمن به ومن كفر به، ومن أطاعه ومن عصاه: ﴿ٱللَّهُ لَطِيفُۢ بِعِبَادِهِۦ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡعَزِيزُ ﴿١٩﴾﴾[الشورى:١٩].

فلا إله إلا الله ما أعظم لطفه وبره بخلقه: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنۡهُم مِّن رِّزۡقٖ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطۡعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلۡقُوَّةِ ٱلۡمَتِينُ ﴿٥٨﴾﴾ [الذاريات:٥٦-٥٨].

والرب العظيم الذي هذا كرمه وإحسانه، وهذا لطفه وبره، هو الرب العظيم الذي يجب أن يعبده الناس وحده لا شريك له: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ٢١ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٢٢﴾[البقرة:٢١-٢٢].

ونَفْعُ العبادة عائدٌ على العباد، والله غنيٌ عن العباد وعباداتهم، لأنه هو الغني عن كل ما سواه من جميع الخلق، وجميع الخلق فُقراء إليه في خلقهم وأرزاقهم، وهدايتهم وبقائهم: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ١٥﴾[فاطر:١٥].

وقال سبحانه: ﴿وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفۡسِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦﴾ [العنكبوت:٦].

الله لطيف خبير، لا يخفى عليه شيءٌ في الأرض ولا في السماء، يعلم مثاقيل الجبال، ومكاييل البحار، وعدد ورق الأشجار، وعدد ذرات الرمال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخۡفَىٰ عَلَيۡهِ شَيۡءٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ٥ هُوَ ٱلَّذِي يُصَوِّرُكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡحَامِ كَيۡفَ يَشَآءُۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٦﴾[آل عمران:٥-٦].

الله لطيفٌ بعباده، أكرمهم بالنعم التي لا تعد ولا تحصى، وهو اللطيف الكريم، الذي يضاعف حسناتهم، ويغفر ذنوبهم، ويكفر عنهم سيئاتهم، ويقبل من محْسِنهم، ويعفو عن مُسيئهم، ويحْلُم على سفيههم، ويصبر على أذاهم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةٗ يُضَٰعِفۡهَا وَيُؤۡتِ مِن لَّدُنۡهُ أَجۡرًا عَظِيمٗا ٤٠﴾ [النساء:٤٠].

الله لطيفٌ بعباده، لا يُعجزه شيءٌ، ولا يمتنع عليه شيء، ولا يقف له شيء. ولا يغيب عنه شيء: ﴿سُبۡحَٰنَهُۥۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ٤﴾[الزمر:٤].

هو اللطيف القادر على كل شيء، يُخرج الخير من داخل الشر، ويُخرج اليُسر من جوف العسر، ويُخرج النصر من باطن الهزيمة، ويخرج الأمن من داخل الخوف، ويخرج العزة من باطن الذلة: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝١﴾ [الملك:١].

والله سبحانه هو اللطيف الذي أحاط علمه بالسرائر والخفايا والخبايا، فلا يخفى عليه شيء: ﴿وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا۟ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ۚ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ۝٦١﴾ [يونس:٦١].

هو سبحانه اللطيف بخلقه، الذي يُقيِّض لهم أسباب الصلاح والبِر والخير، ويَلطف بهم في أمورهم من حيث لا يشعرون، ويَعصمهم من الشرور من حيث لا يعلمون، ويَقْسم أرزاقهم بينهم بحسب علمه بمصالحهم: ﴿ٱللَّهُ لَطِيفٌۢ بِعِبَادِهِۦ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ ۝١٩﴾ [الشورى:١٩].

ومِن لُطفه بعباده المؤمنين أن أعطاهم فوق الكِفاية: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ۝٥٣﴾ [النحل:٥٣].

وكَلَّفَهُم بأوامره دون الطاقة، كما قال سبحانه: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ﴾ [البقرة:٢٨٦].

٣- الأسباب المعينة على اللطف

الأول: العلم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله، فمن عرف الله بالرحمة رحم خلقه، ومن عرف الله بالإحسان أحسن إلى خلقه، ومن عرف الله باللُّطف لَطُفَ بعباده، ومن عرف الله بالعفو عفا عن عباده: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾﴾ [محمد:١٩].

الثاني: العلم بفضائل اللطف والرفق بالناس، فمن عرف ثواب ذلك سارع إلى إدخال السرور على الناس، ورحمهم، ولَطُفَ بهم، وحَلُمَ على جاهلهم، وعفا عن مُسيئهم، وأحسن إليهم بأنواع الإحسان: ﴿۞ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ [آل عمران:١٣٣-١٣٤].

الثالث: الاطلاع على سيرة الأنبياء والمُرسلين لمعرفة صفاتهم وأخلاقهم، ورحمتهم للناس، ولُطفهم بهم، واللِّين لهم، والصبر على جفوتهم: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾﴾ [مريم:٤١].

وقال الله ﷻ: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِدْرِيسَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٥٦﴾﴾ [مريم:٥٦].

وقال الله ﷻ: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥٤﴾﴾ [مريم:٥٤].

الرابع: دعاء الله ﷻ أن يرزقه مكارم الأخلاق، ورحمة الناس، واللطف بهم، والشفقة عليهم، واللين لهم، فالله لا يرد سائلاً، ولا يخيب مؤملاً: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾ [البقرة:١٨٦].

وقال الله عز وجل: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [غافر:٦٠].

الخامس : الإكثار من تلاوة القرآن، وتدبر آياته، وما فيه من رحمة الخلق، والإحسان إليهم، والصبر على أذاهم، والحِلم على سُفهائهم، والرفق بهم، والشفقة عليهم، واللين واللطف بهم، كما قال سبحانه : ﴿ ۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤ ﴾[آل عمران:١٣٣-١٣٤].

وقال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ ١٩٩ ﴾[الأعراف:١٩٩].

السادس: لزوم البيئة الإيمانية الصالحة التي تُذكِر العبد بربه، ومعرفة الواجب عليه من الحقوق للآخرين، من الدعوة إلى الله، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والإحسان إلى الناس بالقول والفعل، واجتناب مجالس اللهو والغفلة: ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا ٢٨ ﴾[الكهف:٢٨].

السابع : حضور مجالس الذكر والوعظ، ومجالسة العلماء الربانين، أهل الأخلاق الكريمة، والصفات النبيلة، فالصاحب ساحب: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ١١٩ ﴾[التوبة:١١٩].

وقال الله عز وجل: ﴿ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرۡحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ٧١ ﴾[التوبة:٧١].

٤ - التعبد لله عز وجل بصفة اللطف

الهدف الأول من طلب العلم الإلهي هو معرفة الرب الذي يستحق العبادة بأسمائه وصفاته وأفعاله: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾﴾ [محمد:١٩].

والهدف الثاني هو التعبد لله بهذه الأسماء بعد معرفتها: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [الأعراف:١٨٠].

فنعلم أن الله مؤمن يحب الإيمان، وأهل الإيمان؛ وأن الله محسن يحب الإحسان، وأهل الإحسان، ونتصف بصفة الإحسان.

ونعلم أن الله كريم يحب الكرم، وأهل الكرم، ونتصف بصفة الكرم.

ونعلم أن الله لطيف يحب اللطف بالخلق، وأهل اللطف، ونتصف بصفة اللطف، لأنها من صفات الرب وهكذا: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [الأعراف:١٨٠].

ومن وَفقه الله لمعرفة أسمائه وصفاته وأفعاله، والتعبد لله بموجبها، امتلأ قلبه بالإيمان، وعبد ربه بصفة الإحسان، ونال رضا ربه، وفاز بجنته: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾ [فصلت:٣٠-٣٢].

وإذا عَرف العبد أن ربه له الأسماء الحسنى، والصفات العلا، والأفعال الحميدة التي يحُبُه عباده من أجلها، سارع إلى التعبد لله بها، ليحبه ربه ويُرضى عنه عباده.

وإذا علم المؤمن أن ربه لطيفٌ خبير بكل صغيرة وكبيرة، حاسب نفسه على أقواله وأفعاله، وراقب ربه في حركاته وسكناته: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ ١٢﴾ [الملك:١٢].

وكل شيء مكشوف للطيف الخبير: ﴿لَا يَعۡزُبُ عَنۡهُ مِثۡقَالُ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [سبأ:٣].

وقال الله عز وجل: ﴿وَأَسِرُّواْ قَوۡلَكُمۡ أَوِ ٱجۡهَرُواْ بِهِۦٓۖ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ١٣ أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ١٤﴾ [الملك:١٣-١٤].

فاعرف يا عبد اللطيف ربك اللطيف، وتعبد لله بأسمائه وصفاته على شاكلة العبودية، وامتثل أوامره، واجتنب نواهيه، لتفوز برضاه، وتسعد بعطاياه.

وكن واثقًا بربك الكريم، ومولاك الرحيم، الذي جميع النعم منه: ﴿فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ٩٨ وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ٩٩﴾ [الحجر:٩٨-٩٩].

وكن يا عبد اللطيف بالليل مع اللطيف، واسأله أن يلطف بك في جميع أحوالك، وتلطف بالمسلمين جميعاً، وفي النهار تَلَّطَف مع الناس، والْطُف بهم، وأحسن إليهم: ﴿۞وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤﴾ [آل عمران:١٣٣-١٣٤].

وكن في الليل مع الرحمن، واسأله أن يرحمك، ويرحم إخوانك المؤمنين، وفي النهار كن رحيماً يرحم خلق الله، ويحسن إليهم بالقول والفعل.

وكن في الليل مع الكريم، وأسأله أن يرزقك من فضله، وفي النهار كن كريمًا بمالك ووقتك وأخلاقك وهكذا: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾﴾ [آل عمران: ٧٣-٧٤].

واعلم يا عبد اللطيف أنك كما تحب أن يلطف الله بك في جميع أمورك، فَالْطُف أنت بإخوانك المؤمنين، وخالقهم بخُلُقٍ حسن، وأوصل بِرَّك وإحسانك إلى غيرك بحسب قدرتك؛ واعف عمن ظلمك، وأحسن إلى من أساء إليك، تفوز بمحبة الله لك، وتسعد بمحبة الناس لك: ﴿فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَلَهُۥٓ أَسْلِمُوا۟ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ وَٱلْمُقِيمِى ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الحج: ٣٤-٣٥].

يا عبد اللطيف كن لطيفًا مع جميع الناس، وَسَعْهُم بحُسْن خلقك، وادْعُهُم إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، واصبر على آذاهم وإعراضهم، يحبك الله، وتكسب محبة الناس ومودتهم، وتزول عنك أذيتهم، ويقبلون قولك، ويطيعون أمرك: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾﴾ [فصلت: ٣٣-٣٥].

واشْغِل يا عبد اللطيف قلبك ولسانك وجوارحك بذكر وشكر من لُطْفُه بك ظاهرٌ غير خفي، وبِره بك واصل إليك في حال سرائك وضرائك، وحال طاعتك ومعصيتك: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٢٠٥﴾﴾ [الأعراف: ٢٠٥].

وقال الله ﷻ: ﴿وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلۡ إِلَيۡهِ تَبۡتِيلٗا ٨ رَّبُّ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذۡهُ وَكِيلٗا ٩﴾ [المزمل: ٨-٩].

وأنفقيا عبد الكريم مما رزقك الله من علم ومال، وبر وإحسان، وتلطَّف في إيصال بِرِّك إلى الناس بألطفِ المآخذ، وأحسن المذاهب، بلا منّة ولا أذى، ولا كبر ولا احتقار، ولا شماتةً ولا تعيير: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتۡبِعُونَ مَآ أَنفَقُواْ مَنّٗا وَلَآ أَذٗى لَّهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٢٦٢ ۞ قَوۡلٞ مَّعۡرُوفٞ وَمَغۡفِرَةٌ خَيۡرٞ مِّن صَدَقَةٖ يَتۡبَعُهَآ أَذٗىۗ وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٞ ٢٦٣﴾ [البقرة: ٢٦٢-٢٦٣].

وتلطف يا عبد الحليم في السؤال إذا سألت، وتلطف في الجواب إذا أجبت. فالكلمة الطيبة صدقة، تثمر المحبة والمودة، والتراحم والتقارب: ﴿فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِۖ فَإِذَا عَزَمۡتَ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَوَكِّلِينَ ١٥٩﴾ [آل عمران: ١٥٩].

وإذا عرفت يا عبد اللطيف أن ربك هو اللطيف الحق، فليكن حظك من هذا الاسم الكريم أن تكون لطيفًا في مصالحك بالمبادرة إلى كل عمل صالح، والتحلي بكل خُلقٍ جميلٍ كالأنبياء: ﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ٩٠﴾ [الأنبياء: ٩٠].

وكن لطيفًا بالخلق كلهم على اختلاف طبقاتهم وحاجاتهم.

إن رأيت كافرًا فادعه إلى الله بلطفٍ ولين، وإن رأيت جاهلاً فعلمه بلطف، وإن رأيت عاجزًا فخذ بيده بلطف، وإن رأيت فقيرًا فاقض حاجته بلطف، وإن علمت سنةً فانشرها بلطف، وإن علمت بدعةً فأزلها بلطف، وإن علمت حسنةً من غيرك

فاشكرها، وإن علمت سيئة من غيرك فاسترها :﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ١٩٩﴾[الأعراف:١٩٩].

وتذكر يا عبد اللطيف لُطْفَ الله،وتذكر يا عبد اللطيف لطف رب الناس بالناس،وتذكر أَلْطَفَ الناس بالناس، وأرحم الناس بالناس، وأعبد الناس لرب الناس، محمداًﷺالذي أثنى عليه ربه لكمال خُلُقِه بقوله : ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ٤﴾[القلم:٤].

فاهتد بهديه، وتخلق بأخلاقه، وتأدب بآدابه، وتمسك بدينه، تَكُنْ في الجنة رفيقه: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ٢١﴾[الأحزاب:٢١].

وتقرب يا عبد اللطيف إلى ربك بكل ما يحبه ويرضاه، واجتنب كل ما تخافه وتخشاه، تنل من ربك أعظم ما تتمناه :﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا۟ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ٦٦ وَإِذًا لَّءَاتَيْنَٰهُم مِّن لَّدُنَّآ أَجْرًا عَظِيمًا ٦٧ وَلَهَدَيْنَٰهُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ٦٨ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّۦنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُو۟لَٰٓئِكَ رَفِيقًا ٦٩ ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا ٧٠﴾[النساء:٦٦-٧٠].

وَأَحْسِنْ إلى الناس جميعًا فيما استطعت، واصبر في سبيل ذلك على أذاهم، وعاملهم بما تحب أن يعاملوك به، ولاطفهم بما تستطيع من القول والفعل والخُلق:﴿وَأَنفِقُوا۟ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ۛ وَأَحْسِنُوٓا۟ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ١٩٥﴾[البقرة:١٩٥].

وكل ذلك عبادة يحبها الله، وكل امرئ حسيب نفسه ورهين عمله :﴿فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ ۝٨﴾ [الزلزلة:٧-٨].

وعليك بأحسن الأعمال تعبدًا لله مع الخالق، وتعبدًا لله مع المخلوق : ﴿وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرۡحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ۝٧١﴾[التوبة:٧١].

اللَّهُمَّ آتِ نَفْسِي تَقْوَاهَا، وَزَكِّهَا أَنْتَ خَيرُ مَنْ زَكَّاهَا، أَنْتَ وَلِيُّهَا وَمَوْلَاهَا.

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُك إيمانًا كاملًا، ويقينًا صادقًا، وقلبًا خاشعًا، ولسانًا ذاكرًا.

اللَّهُمَّ يا حَيُّ يا قَيّومُ الطف بنا في جميع أحوالنا، واجعلنا خير عبادك لعبادك في اللطف بهم، والرحمة لهم، يا ذا الجلال والإكرام.

﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ حَسَنَةٗ وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ۝٢٠١﴾ [البقرة:٢٠١].

عبادات القلوب

في ضوء القرآن والسنة

العبادة الثالثة والأربعون

عبادة الرفق

وتشتمل هذه العبادة العظيمة على المباحث الآتية :

الأول : فقه الرفـق بالخـلق.

الثاني : فقه رفـق الله ﷻ.

الثالث : ميادين الرفـق.

الرابع : الأسباب الباعثة على الرفـق.

الخامس : التعبد لله ﷻ بصفة الرفـق.

العبادة الثالثة والأربعون

عبادة الرفـق بالخـلق

١ - فقه الرفـق بالخـلق

الرفق : هو لين الجانب بالقول والفعل، والأخذ بالأسهل والأيسر والأحسن من الأمور، وهو ضد العنف والشدة والغلظة.

الرفق : هو لين الجانب، واللطف في أخذ الأمور بأحسن الوجوه وأيسرها، وأسهلها وأفضلها.

الرفق : عبادة قلبية بين العبد وغيره من الخلق، وأحسن الناس من لزم الرفق في كل الأمور، مع كل الناس.

والله عز وجل رفيق يحب الرفق في الأمور كلها، ومن رفق بخلق الله رفق الله به، ومن رحم الخلق رحمه رب الخلق،ومن أحسن إلى الخلق أحسن إليه رب الخلق، ومن عفا عن الخلق عفا الله عنه، ومن ستر الناس ستره رب الناس، ومن أكرم الناس أكرمه رب الناس، ومن نفع الناس نفعه الله، ومن عامل الخلق بصفة عامله الله بتلك الصفة في الدنيا والآخرة.

فالله يكون للعبد حسب ما يكون العبد لخلقه :﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ سَيُجۡزَوۡنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٨٠﴾[الأعراف:١٨٠].

والرفق من أحسن الصفات التي يحبها الله عز وجل .

قال النبي ﷺ"يا عائشة إن الله رفيق يحب الرفق ". متفق عليه [(١)]

والرفق مقرون بالرحمة، فمن رحم الناس ورفق بهم، ولطف بهم :﴿ فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ

---

(١)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٩٢٧) ومسلم برقم (٢٥٩٣).

﴿وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِۖ فَإِذَا عَزَمۡتَ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَوَكِّلِينَ ١٥٩﴾ [آل عمران:١٥٩].

فالإنسان إذا تعامل مع الناس بالشدة والعنف حرم الخير وخسر محبة الله، ومحبة الناس، وإذا تعامل مع الناس بالرفق واللين، والرحمة والأناة، وسعة الصدر، حصل على خير كثير، وأجر كبير: ﴿۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤﴾ [آل عمران:١٣٣-١٣٤].

وليس الرفق أن تأتي للناس على ما يحبون ويشتهون ويريدون، ولو خالف ذلك أمر الله ورسوله، بل الرفق المشروع أن تسير بالناس حسب أمر الله ورسوله ﷺ، وتسلك أسهل الطرق، وأرفق الطرق بالناس، ولا تشق عليهم، ولا تحملهم ما لا يطيقون ونحو ذلك مما يخالف أمر الله ورسوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

وقَالَ النَّبِيِّ ﷺ: ((اللَّهُمَّ مَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَشَقَّ عَلَيْهِمْ فاشْقُقْ عَلَيْهِ، وَمَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَرَفَقَ بِهِمْ فَارْفُقْ بِهِ))أخرجه مسلم [1].

فالرفق بالناس، والرفق في الأمور، واللين واللطف، والتيسير والتسهيل، من أعظم العبادات القلبية مع الناس، لما تثمره من محبة الله للعبد، ومحبة الناس للعبد، وسماعهم لنصحه، وطاعتهم لأمره.

قَالَ النَّبِيِّ ﷺ: ((مَنْ أُعْطِيَ حَظَّهُ مِنْ الرِّفْقِ، فَقَدْ أُعْطِيَ حَظَّهُ مِنْ الْخَيْرِ، وَمَنْ حُرِمَ حَظَّهُ مِنْ الرِّفْقِ، فَقَدْ حُرِمَ حَظَّهُ مِنْ الْخَيْرِ))أخرجه أحمد والترمذي[2].

والله سبحانه رفيق بعباده، يحب الرفق، وأهل الرفق، ويعطي على الرفق عطاءً لا

---

(١)أخرجه مسلم برقم (١٨٢٨).

(٢)صحيح: أخرجه احمد برقم (٢٧٥٩٣) والترمذي برقم (٢٠١٣).

يعطيه على شيء آخر من الأعمال .

و الله سبحانه هو الرفيق بخلقه، اللطيف بهم، الرحيم بهم، المحسن إليهم .

والرفق صفة من صفاته ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝١٤٣﴾ [البقرة:١٤٣].

وعن عائشة رضي الله عنها: أَن النبيَّ ﷺ قَالَ: ((إِنَّ اللهَّ رَفِيقٌ يحِبُّ الرِّفقَ، وَيُعْطِي على الرِّفق ما لا يُعطي عَلى العُنفِ، وَما لا يُعْطِي عَلى مَا سِوَاهُ)) متفق عليه (١).

والرفق من مقتضيات الإيمان بأسماء الله الحسنى، ومن لوازم الإيمان بأسماء الله الرفيق واللطيف، والرحمن والرحيم، والرءوف والغفور، والعفو والحليم، والكريم والمحسن :﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝١٤٣﴾[البقرة:١٤٣].

فالمؤمن إذا علم أن ربه رفيق بعباده رفق بهم، وإذا عرف أن ربه لطيف رحيم رءوف بعباده لطف بهم، ورفق بهم، ورأف بهم، ورحمهم، وأشفق عليهم .

وإذا عرف أن رب العباد عفو حليم، ومحسن كريم، عفا عن الناس، وحلم على السفيه، وصبر على جهل الجاهل، وأحسن إلى غيره بما يستطيع، وأكرم غيره بالقول والفعل والمال حسب قدرته :﴿ ۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ۝١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ۝١٣٤﴾[آل عمران:١٣٣-١٣٤].

وهذا هو التعبد لله عز وجل بأسمائه الحسنى وصفاته العلا، على شاكلة العبودية.

والله عز وجل يحب أسماءه وصفاته، وأحب عباده إليه من اتصف بصفاته على شاكلة العبودية، فالله مؤمن يحب الإيمان، وأهل الإيمان، والله شكور يحب الشكر وأهل الشكر، والله محسن يحب الإحسان، وأهل الإحسان، والله رفيق يحب الرفق وأهل الرفق وهكذا : ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ سَيُجۡزَوۡنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ۝١٨٠﴾[الأعراف:١٨٠].

والأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام هم أرحم الناس بالناس، وأرفق الناس

---

(١)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٩٢٧) ومسلم برقم (٢٥٩٣).

بالناس، وألطف الناس بالناس، اختارهم الله واصطفاهم بالنبوة، ومكارم الأخلاق: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [التوبة:١٢٨].

وعلى المسلم أن يتعبد لله بالإيمان بهم، والاقتداء بأقوالهم وأعمالهم وأخلاقهم: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْعَالَمِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [الأنعام: ٩٠].

فكن يا عبد الرفيق رفيقًا بنفسك، أعطها حظها مما أباح الله لها، وخذها برفق إلى ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال والأخلاق: ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [الأعراف: ٣١-٣٢].

وقال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾﴾ [الحج:٧٧].

وكن رفيقًا بأهلك، وأقاربك، وجيرانك، وأصدقائك، وأعدائك، رفيقًا في دعوتك، رفيقًا في تعليمك شرع ربك، رفيقًا في تجارتك، رفيقًا في معاملاتك، رفيقًا بالصغير، رفيقًا بالكبير، رفيقًا بالعاجز، رفيقًا بالمريض، رفيقًا بقاطع الأرحام، رفيقًا بمانع الحقوق، رفيقًا بأهل الكبائر والصغائر: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾﴾ [فصلت: ٣٤-٣٦].

وقَالَ النَّبِيِّ ﷺ: ((إِنَّ اللهَ رَفِيقٌ ، وَيُعْطِي على الرِّفق ما لا يُعطي عَلى العُنفِ، وَما لا يُعْطِي عَلى مَا سِوَاهُ)) متفق عليه (١).

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٩٢٧) ومسلم برقم (٢٥٩٣).

٢ - فقه رفق الله عز وجل

الله عز وجل هو الرب الرفيق الرءوف الرحيم بعباده، الرفيق الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلا والأفعال الجميلة، والأقدار الحكيمة: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۝٨﴾ [طه:٨].

هو سبحانه الرب الرفيق بعباده، الرفيق الذي يسهل أمورهم، وييسر أسباب الخير لهم، ويدفع عنهم أسباب الشر برفق: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ۝٢٢ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝٢٣ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٢٤﴾ [الحشر:٢٢-٢٤].

هو جل جلاله الرب الرفيق الحق بأقواله وأفعاله، وفي قضائه وقدره، الرفيق في أوامره وأحكامه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝١٤٣﴾ [البقرة:١٤٣].

هو سبحانه الرفيق الحليم، الذي لا يعجل بعقوبة العصاة، ليتوب من سبقت له العناية بالسعادة، ويظهر كمال حلمه فيمن سبقت له الشقاوة: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ۝٤١﴾ [فاطر:٤١].

هو سبحانه الرفيق الذي خلق جميع الخلائق، وتكفل بأرزاقهم حيثما كانوا، ومن كانوا، المؤمنون والكفار، والأبرار والفجار، وأوصل أرزاقهم إليهم برفق ولطف كميةً ونوعيةً، ومكانًا وزمانًا: ﴿۞ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ۝٦﴾ [هود:٦].

هو سبحانه الرفيق في أفعاله، الذي خلق كل المخلوقات بالتدريج شيئًا فشيئا، مع أنه قادر على خلق جميع المخلوقات دفعةً واحدةً بأمرٍ واحدٍ في لحظةٍ واحدة: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ (٤٩) وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ (٥٠)﴾ [القمر:٤٩-٥٠].

هو سبحانه الرفيق الحكيم القدير الذي يأتي بالليل بعد النهار، ويأتي بالصيف بعد الشتاء،ويأتي بالحر بعد البرد،ويأتي بالعافية بعد المرض، ويأتي بالأمن بعد الخوف،ويأتي بالغنى بعد الفقر، ويأتي بالنصر بعد الهزيمة : ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢٦) تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ (٢٧)﴾[آل عمران:٢٦-٢٧].

وهو الرفيق الذي يصرف الرياح في الجو برفق، ويصرف المياه بين السماء والأرض برفق :﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (٥٧)﴾[الأعراف:٥٧].

وهو سبحانه الرفيق الذي يخرج المواليد من الأرحام برفق،ويخرج الثمار من الأشجار برفق،ويخرج الحبوب من الزروع برفق : ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انْظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٩٩)﴾[الأنعام:٩٩].

وهو الرب الرفيق بعباده، يسر لهم معايشهم في أماكنهم ورفق بهم في أحكامه وأمره ونهيه، فلم يكلفهم إلا بما يطيقون، ولم يحملهم ما لا يستطيعون :﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾[البقرة:٢٨٦].

هو الرفيق الرحيم الذي جعل فعل الأوامر من عباده على قدر الاستطاعة، وأسقط عنهم كثيراً من الأعمال بمجرد المشقة، وخفف عنهم كثيرًا من الأحكام في حال المشقة والحاجة: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾﴾ [البقرة:١٨٥].

كل ذلك فعله الرفيق بعباده، رخصةً لهم، ورحمةً بهم، ورفقًا بهم، لأنه الرب الرفيق اللطيف، الرحمن الرحيم: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾﴾ [البقرة:١٦٣].

ومن رفقه سبحانه إمهال مرتكب الخطيئة، ومقترف الجرم، وعدم معاجلته بالعقوبة، لعله يتوب إلى ربه، وينيب إليه: ﴿وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ۖ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا۟ لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلْعَذَابَ ۚ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُوا۟ مِن دُونِهِۦ مَوْئِلًا ﴿٥٨﴾﴾ [الكهف:٥٨].

ومن رفقه سبحانه أن دينه وشرعه كله رفقٌ ويسر، وهدىً وشفاء، ورحمةٌ وسماحة، وتذكيرٌ وموعظة: ﴿هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٨﴾﴾ [آل عمران:١٣٨].

وقال الله ﷻ: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾﴾ [الإسراء:٨٢].

فسبحان الرب الرفيق الذي وهب الرفق لكل رفيق، وخص أولياءه بأحسن الرفق وأجمله، ما أمر بشيء إلا أعان عليه، وما نهى عن شيء إلا أغنى عنه، وما أباح شيئاً إلا سهل الوصول إليه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾﴾ [البقرة:١٤٣].

وَعَن عَائِشَةُ رضي الله عَنها إِنْ النَّبِيِّ ﷺقال : ((يَا عَائِشَةُ ، إِنَّ اللهَ رَفِيقٌ يحُِبُّ الرِّفْقَ فِي الْأَمْرِ كُلِّهِ)) متفق عليه (١) .

والرب الذي هذه أسماؤه، وصفاته وأفعاله، وهذا رفقه ولطفه، وهذه رحمته ورأفته، هو الرب الذي يستحق أن يطاع فلا يعصى، ويذكر فلا ينسى، ويشكر فلا يكفر، وهو الرب الذي يستحق العبادة وحده لا شريك له :﴿ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾[غافر:٦٥].

وقال الله ﷻ: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ ﴾[الأنعام:١٠٢-١٠٣].

---

(١)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (١٩٢٧) ومسلم برقم (٢٥٩٣).

٣- ميادين الرفق

الأول: الرفق بالنفس، ويكون بأداء ما فرض الله عليها، فيعطيها حظها مما أباح الله لها، ويحملها برفق على امتثال أوامر الله، واجتناب نواهيه، حسب طاقته، و لا يكلفها من الأعمال ما لا تطيق، فتنفر وتقعد عن العمل :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ١٧٢ ﴾ [البقرة:١٧٢].

وَقَالَ النَّبِيِّ ﷺ:((إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلاَّ غَلَبَهُ ، فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا وَأَبْشِرُوا ، وَاسْتَعِينُوا بِالْغَدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ،وَشَيْءٍ مِنَ الدُّلْجَةِ))أخرجه البخاري [١] .

وَقَالَ اللهُ ﷻ: ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ وَٱسۡمَعُواْ وَأَطِيعُواْ وَأَنفِقُواْ خَيۡرٗا لِّأَنفُسِكُمۡۗ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ١٦ ﴾[التغابن:١٦].

الثاني: الرفق بالوالدين، وحسن ملاطفتهما وإكرامهما، وعدم الضجر من خدمتهما، والصبر عليهما، وخفض الجناح لهما، وحسن الطاعة لهما، والدعاء لهما :﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًاۚ إِمَّا يَبۡلُغَنَّ عِندَكَ ٱلۡكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوۡ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفّٖ وَلَا تَنۡهَرۡهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوۡلٗا كَرِيمٗا ٢٣ وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا ٢٤ رَّبُّكُمۡ أَعۡلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمۡۚ إِن تَكُونُواْ صَٰلِحِينَ فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلۡأَوَّٰبِينَ غَفُورٗا ٢٥ ﴾ [الإسراء:٢٣-٢٥].

لثالث: الرفق بالأهل والأولاد، والتلطف في معاملتهم، والعفو عن زلاتهم، والرفق بهم، حتى تسود المحبة والألفة بين أفراد الأسرة :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجِكُمۡ وَأَوۡلَٰدِكُمۡ عَدُوّٗا لَّكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُمۡۚ وَإِن تَعۡفُواْ وَتَصۡفَحُواْ وَتَغۡفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ١٤ ﴾[التغابن:١٤].

---

(١)أخرجه البخاري برقم (٣٩) .

وَقَالَ النَّبِيِّ ﷺ: ((خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ، وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي))أخرجه الترمذي وابن ماجة(١).

الرابع: الرفق بالخدم والمماليك والعمال، والإحسان إليهم، وعدم تكليفهم بما يشق عليهم:

قَالَ النَّبِيِّ ﷺ:((لِلْمَمْلُوكِ طَعَامُهُ، وَكِسْوَتُهُ بِالْمَعْرُوفِ، وَلَا يُكَلَّفُ مِنَ الْعَمَلِ إِلَّا مَا يُطِيقُ))أخرجه مسلم (٢).

الخامس: الرفق واللين بالأقارب والجيران، والأصدقاء والأعداء والفقراء واليتامى ونحوهم: ﴿ ۞ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلۡجَنۢبِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخۡتَالٗا فَخُورًا ٣٦ ﴾[النساء:٣٦].

وَقَالَ النَّبِيِّ ﷺ: ((مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ، فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ، فَلْيُكْرِمْ جارَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ، فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ))متفق عليه (٣).

السادس: الرفق بالناس عامة، المؤمن والكافر، والبر والفاجر، والمطيع والعاصي، ويكون ذاك بلين الجانب لهم، ومعاملتهم بالرفق واللين، والسماحة واليسر، وعدم الغلظة والشدة: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ١٢٥ ﴾[النحل:١٢٥].

وَقَالَ النَّبِيِّ ﷺ:((إِنَّ اللهَ رَفِيقٌ يحِبُّ الرِّفْقَ فِي الْأَمْرِ كُلِّهِ)) متفق عليه(٤).

---

(١)صحيح: أخرجه الترمذي برقم (٣٨٩٥) وابن ماجة برقم (١٩٧٧) .

(٢)أخرجه مسلم برقم (١٦٦٢) .

(٣)متفق عليه، البخاري برقم (٦٤٧٥) ومسلم برقم (٤٧).

(٤)متفق عليه، البخاري برقم (١٩٢٧) ومسلم برقم (٢٥٩٣).

وقال النبي ﷺ:((المؤْمِنُونَ هَيِّنُونَ لَيِّنُونَ، مِثْلُ الجَمَلِ الْأَنِفِ، إِنْ قُدْتَهُ انْقَادَ، وَإِنْ أَنَخْتَهُ عَلَى صَخْرَةٍ اسْتَنَاخَ))أخرجه البيهقي(١).

السابع: الرفق بمن تحت يده من الناس، فكل راعٍ مسؤولٌ عن رعيته، سواءٌ كان حاكمًا أو رئيسًا او مديرًا او طبيبًا أو غيرهم ممن ولاه الله ولايةً، فعليه أن يرفق بمن تحت يده، ويأخذهم بالأيسر والأسهل من الأمور المشروعة، ويقضي حاجاتهم ومصالحهم برفق، ويحب لهم ما يجب لنفسه، ويكره لهم ما يكره لنفسه: ﴿ ۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤ ﴾[آل عمران:١٣٣-١٣٤].

وَقَالَ النَّبِيِّ ﷺ:((مَثَلُ المُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الجَسَدِ الواحد ؛ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالحُمَّى)) متفق عليه (٢)

وَقَالَ النَّبِيِّ ﷺ: ((اللَّهُمَّ مَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَشَقَّ عَلَيْهِمْ فَاشْقُقْ عَلَيْهِ وَمَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَرَفَقَ بِهِمْ فَارْفُقْ بِهِ.))أخرجه مسلم (٣) .

وَقَالَ النَّبِيِّ ﷺ: ((كُلُّكُم راعٍ، وكُلُّكُمْ مسؤولٌ عَنْ رعِيَّتِهِ: الإمامُ راعٍ ومَسْؤُولٌ عَنْ رعِيَّتِهِ، والرَّجُلُ رَاعٍ في أَهلِهِ وَمسؤولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالمرأَةُ راعيةٌ في بيتِ زَوجها وَمسؤولةٌ عَنْ رعِيَّتِها، والخَادِمُ رَاعٍ في مَالِ سَيِّدِهِ وَمَسؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وكُلُّكُم رَاعٍ ومسؤُولٌ عَنْ رعِيَّتِهِ))متفق عليه (٤).

الثامن : الرفق بمن يدعوهم إلى الله، أو يأمرهم بالمعروف، أو ينهاهم عن المنكر، أو يعلمهم شرع الله عز وجل، ويكون ذلك برحمة الناس، ولين الجانب

---

(١)حسن: أخرجه البيهقي برقم (٨١٢٨) .

(٢)متفق عليه، البخاري برقم (٦٠١١) ومسلم برقم (٢٥٨٦).

(٣)أخرجه مسلم برقم (١٨٢٨) .

(٤)متفق عليه، البخاري برقم (٢٥٥٤) ومسلم برقم (١٨٢٩).

لهم والشفقة عليهم، واللطف بهم، والرفق بهم، وإدخال السرور عليهم، ولا يشق عليهم، ولا ينفرهم من الدين بأسلوبه الجاف والغليظ والعنيف.

فالدعوة إلى الله لا تؤثر ما لم تقترن بخلق الرحمة،والرفق واللين، واللطف بالناس، وتعليم شرع الله للناس لا يثمر ما لم يقترن بخلق الرفق، الذي يملك القلوب بالمحبة: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ١٢٥﴾ [النحل:١٢٥].

وقال الله عز وجل: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾[الأنبياء: ١٠٧].

والرفق هو سنة الأنبياء والرسل مع أممهم، فانظر يا عبد الرفيق إلى تلطف إبراهيم ﷺ في دعوته لأبيه، ورفقه به، وحسن خطابه له: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِبۡرَٰهِيمَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيًّا ٤١ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ وَلَا يُغۡنِي عَنكَ شَيۡـٔٗا ٤٢ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدۡ جَآءَنِي مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَمۡ يَأۡتِكَ فَٱتَّبِعۡنِيٓ أَهۡدِكَ صِرَٰطٗا سَوِيّٗا ٤٣ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعۡبُدِ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ عَصِيّٗا ٤٤ يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيۡطَٰنِ وَلِيّٗا ٤٥ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنۡ ءَالِهَتِي يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُۖ لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ لَأَرۡجُمَنَّكَۖ وَٱهۡجُرۡنِي مَلِيّٗا ٤٦ قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيۡكَۖ سَأَسۡتَغۡفِرُ لَكَ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيّٗا ٤٧﴾[مريم: ٤١-٤٧].

وانظر إلى رفق النبي ﷺ في دعوته، وقوة رحمته لأمته، ولينه لهم، ولطفه بهم، حتى ملك قلوبهم فأحبوه، ودخلوا في دينه: ﴿ فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِۖ فَإِذَا عَزَمۡتَ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَوَكِّلِينَ ١٥٩﴾[آل عمران: ١٥٩].

وقال الله ﷻ: ﴿لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ١٢٨﴾[التوبة:١٢٨].

فعلى الداعي إلى الله أن يرحم من يدعو، وينظر إليه بعين الرحمة والرأفة، ويرفق به، ويتلطف معه، ولا يكون عونًا للشيطان على أخيه .

التاسع: الرفق بالكافر والمشرك المسالم، والتلطف معه، والإحسان إليه بالقول والفعل، لعل حسن المعاملة معه تفتح قلبه، فيدخل في الإسلام :﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾﴾[الممتحنة:٨].

العاشر : الرفق بالبهائم والحيوانات والطيور بأنواعها، ويكون ذلك بتوفير الطعام والشراب لها، ودفع الأذى عنها، ومعالجة المريض منها، وتوفير المأوى المناسب لها .

قَالَ النَّبِيِّ ﷺ:((بَيْنمَا رَجُلٌ يَمْشِي بطَرِيقٍ اشْتَدَّ علَيْهِ الْعَطَشُ، فَوجد بِئراً فَنزَلَ فِيهَا فَشَرِبَ، ثُمَّ خَرَجَ فإذا كلْبٌ يلهثُ يَأْكُلُ الثَّرَى مِنَ الْعَطَشِ، فَقَالَ الرَّجُلُ: لَقَدْ بلغَ هَذَا الْكَلْبُ مِنَ العطشِ مِثْلَ الَّذِي كَانَ قَدْ بَلَغَ مِنِّي، فَنزَلَ الْبِئْرَ فملأَ خُفَّه مَاءً ثُمَّ أَمْسَكَه بِفيهِ، حتَّى رقِيَ فَسقَى الْكَلْبَ، فَشَكَرَ اللهُ له فغَفَرَ له. قَالُوا: يَا رسولَ اللهَّ إِنَّ لَنَا في الْبَهَائِم أَجراً؟ فقَالَ: "في كُلِّ كَبِدٍ رَطْبَةٍ أَجْرٌ))متفق عليه [(١)].

وَقَالَ النَّبِيِّ ﷺ:((إِنَّ اللهَّ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ، وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذَّبْحَ ، وَلْيُحِدَّ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ ، وَلْيُرِحْ ذَبِيحَتَهُ)) أخرجه مسلم [(٢)].

فما أعظم خُلق الرفق بالخلق، وما أحسن آثاره، وما أجل ثمراته، وما أعظم أجوره، فالرفق عبادة قلبية، بين المسلم وغيره، يثمر محبة الله، ومحبة الناس، وينمي روح المحبة والتعاون والتآلف بين الناس .

---

(١)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٣٤٦٧)ومسلم برقم (٢٢٤٥) .

(٢)أخرجه مسلم برقم (١٩٥٥) .

والرفق دليل على كمال الإيمان، وحسن الإسلام، وصلاح العبد، وحسن خلقه.

والرفق خلق عظيم موصل إلى الجنة، والرفق خلق جميل يحفظ المجتمع من الغل والعنف، ويحفظه من الفرقة والعدوان.

وبالرفق ينال العبد كل خير، ويحفظ نفسه من كل شر، ويسعد في الدنيا والآخرة: ﴿ ۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤ ﴾[آل عمران:١٣٣-١٣٤].

فاستقم كما أمرت تسعد في الدنيا والآخرة، وتنال من ربك الأجر العظيم: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ٣٠ نَحۡنُ أَوۡلِيَآؤُكُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَشۡتَهِيٓ أَنفُسُكُمۡ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ٣١ نُزُلٗا مِّنۡ غَفُورٖ رَّحِيمٖ ٣٢﴾[فصلت:٣٠-٣٢].

٤ - الأسباب الباعثة على الرفق

الأول : العلم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله .

فمن عرف أن ربه رحيم استرحمه، ورحم خلقه، ومن عرف أن ربه لطيف سأله اللطف، ولطف بخلقه، ومن عرف أن ربه رفيق تعبد له بصفة الرفق، ورفق بالناس وهكذا :﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾[محمد:١٩].

الثاني : العلم بصفات الأنبياء والمرسلين وما هم عليه من الرحمة والحلم، واللطف والرفق بالخلق، فمن عرف ذلك تعبد لله بصفة الرحمة واللطف والرفق واللين مع الناس : ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ ﴾[التوبة:١٢٨].

الثالث : العلم بفضائل الرفق واللطف، واللين والرحمة .

فمن عرف ذلك سارع إلى الإحسان إلى الناس، والرفق بهم، والعفو عنهم، والرحمة لهم، لينال الثواب العظيم من ربه العظيم :﴿ ۞ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ ﴾

[آل عمران:١٣٣-١٣٤].

الرابع : الإكثار من ذكر الله ﷻ، وتدبر آيات القرآن الكريم .

فمن ذكر الله امتلأ قلبه بحب الله وأسمائه وصفاته وكلامه، وأطاع ربه ولم يعصه، وسارع إلى كل ما يحبه الله ويرضاه، من العبادات، وحسن الأخلاق والمعاشرات:﴿ وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ﴿٨﴾ رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا ﴿٩﴾ ﴾[المزمل:٨-٩].

الخامس: دعاء الله ﷻ أن يرزقه صفة الرفق بالناس، والرحمة لهم، والإحسان إليهم :﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾[البقرة:١٨٦].

السادس : لزوم البيئة الإيمانية الصالحة، ومجالس أهل العلم والإيمان، والانقطاع عن جو الغفلة، فالأجواء الإيمانية فيها التراحم والتآلف، والرفق والمحبة : ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴿٢٨﴾﴾[الكهف:٢٨].

وقال الله ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴿١١٩﴾﴾ [التوبة:١١٩].

السابع: معرفة ثمرات الرفق والحلم، والعفو والصفح، واللطف واللين .

فمن عرف ذلك امتلأ قلبه بحب الخير للناس، والرحمة لهم، والرفق بهم :﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ۚ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾﴾[فصلت:٣٣-٣٥].

وقال الله عز وجل :﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾﴾[التوبة:٧١-٧٢].

٥ - التعبد لله ﷻ بصفة الرفق

الله ﷻ رفيق يحب الرفق في الأمر كله، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على ما سواه: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ ٨﴾ [طه:٨].

فتعبد لله بصفة الرفق، وكن يا عبد الرفيق رفيقًا في جميع أمورك، رفيقًا بجميع الخلق المؤمن والكافر، والبر والفاجر، والإنسان والحيوان: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ سَيُجۡزَوۡنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٨٠﴾ [الأعراف:١٨٠].

ورسولنا ﷺ أرفق الناس بالخلق، وأرحم الناس بالناس، وأرأف الناس بالناس، حتى أثنى عليه ربه بكمال أخلاقه بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ ٤﴾ [القلم:٤].

فاقتد يا عبد الله بنبيك ﷺ في أقواله، وأفعاله، وأخلاقه، وشمائله، وتعبد لله بذلك: ﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا ٢١﴾ [الأحزاب:٢١].

ربنا رفيق يحب الرفق، ورسولنا ﷺ إمام أهل الرفق، وديننا كله رفق، ويسر، ورأفة، ورحمة: ﴿فَلِلَّهِ ٱلۡحَمۡدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلۡأَرۡضِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٣٦ وَلَهُ ٱلۡكِبۡرِيَآءُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٣٧﴾ [الجاثية:٣٦-٣٧].

فعليك ياعبد الرفيق بالرفق في جميع أمورك الخاصة والعامة.

كن رفيقًا في عبادتك ومعاملتك، رفيقًا في كلامك ومعاشرتك، رفيقًا مع أهلك وأولادك، رفيقًا مع جيرانك وإخوانك، فإن الرفق زينة الإنسان، والعجلة من الشيطان:

عن عائشة رضي الله عنها أن النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: ((إنَّ الرِّفْقَ لا يَكونُ في شيءٍ إلَّا زانَهُ، ولا يُنْزَعُ مِن شيءٍ إلَّا شانَهُ)) أخرجه مسلم (١).

واعلم أن من أعطي حظه من الرفق فقد أعطي حظه من خيري الدنيا والآخرة.

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٥٩٤).

فاحرص رحمك الله أن تكون رفيقًا بأمورك كلها، رفيقًا مع الناس كلهم، رفيقًا بالقريب والبعيد، رفيقًا بالعدو والصديق،بعيداً عن العجلة والسرعة، بعيدًا عن الشدة والعنف، بعيدًا عن التهور والاندفاع، بعيدًا عن الغضب والانتقام، فالعجلة في الأمور من الشيطان، والرفق صفة الرحمن، وحلية الأنبياء، وأهل الإيمان : ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ ﴾[التوبة:٧١].

وَقَالَ النَّبِيِّ ﷺ:((مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ الواحد ؛ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى)) متفق عليه (١).

يا عبد الرفيق ارفق بنفسك، ولا تحملها ما لا تطيق، ولا تكلفها بعمل لم يأذن به الله، ولا تزد في عملٍ زيادةً تقعدك عن غيره، ولا تخرج عن السنة السمحة إلى الشدة والتكلف :﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُوا۟ مَيْلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾﴾ [النساء:٢٧-٢٨].

فالدين يسرٌ، ولن يشاد الدين أحدٌ إلا غلبه، والزم سنة نبيك ﷺ تسعد في دنياك وأخراك .

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: ((جاءَ ثَلَاثَةُ رَهْطٍ إلى بُيُوتِ أزْوَاجِ النبيِّ ﷺ، يَسْأَلُونَ عن عِبَادَةِ النبيِّ ﷺ، فَلَمَّا أُخْبِرُوا كَأنَّهُمْ تَقَالُّوهَا، فَقالوا: وأَيْنَ نَحْنُ مِنَ النبيِّ ﷺ؟ قدْ غُفِرَ له ما تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِهِ وما تَأَخَّرَ، قالَ أحَدُهُمْ: أمَّا أنَا فإنِّي أُصَلِّي اللَّيْلَ أبَدًا، وقالَ آخَرُ: أنَا أصُومُ الدَّهْرَ ولَا أُفْطِرُ، وقالَ آخَرُ: أنَا أعْتَزِلُ النِّسَاءَ فلا أتَزَوَّجُ أبَدًا، فَجَاءَ رَسولُ اللهِ ﷺ إليهِم، فَقالَ: أنْتُمُ الَّذِينَ قُلتُمْ كَذَا وكَذَا،

---

(١)**متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٦٠١١)ومسلم برقم (٢٥٨٦).

أما واللهَّ إنِّي لَأَخْشَاكُمْ للهَّ وأَتْقَاكُمْ له، لَكِنِّي أَصُومُ وأُفْطِرُ، وأُصَلِّي وأَرْقُدُ، وأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فمَن رَغِبَ عن سُنَّتي فليسَ مِنِّي)) متفق عليه (١).

فارفق يا عبد الرفيق بكل الخلق يرفق بك رب الخلق، وارحم من في الأرض يرحمك من في السماء، وخالق الناس بخلقٍ حسن تلق من ربك أحسن منه : ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾[يونس:٢٦].

وصل من قطعك، وأعط من حرمك، وأعف عمن ظلمك، وأحسن إلى من أساء إليك، ينقلب عدوك صديقًا، ويصير مبغضك محبًا: ﴿ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَـٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾ ﴾[فصلت:٣٣-٣٦].

﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾[الأعراف:٢٣].

اللهم آتِ نَفُوسنا تَقْوَاهَا، وَزَكِّهَا أَنْتَ خَيرُ مَنْ زَكَّاهَا، أَنْتَ وليُّهَا وَموْلَاهَا .

﴿ سُبْحَـٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَـٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾ ﴾[الصافات: ١٨٠-١٨٢].

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٥٠٦٣) ومسلم برقم (١٤٠١) .

عبادات القلوب

في ضوء القرآن والسنة

العبادة الرابعة والأربعون

عبادة جبر الخواطر

وتشتمل هذه العبادة العظيمة على المباحث الآتية :

الأول : فقه جبر الخواطر

الثاني : صورٌ من جبر الخواطر في القرآن والسنة

الثالث : الأسباب المُعينة على جبر الخواطر

الرابع : التعبد لله بجبر خواطر الخلق.

العبادة الرابعة والأربعون

عبادة جبر الخواطر

١ - فقه جبر الخواطر

جبر الخواطر هو رفع همة الشخص، وتطييب قلبه، وتَهوين مصيبته، وإقالة عثرته، والأخذ بيَدَيْه، وإدخال السرور إلى قلبه.

وجبر خاطره يكون بالابتسامة، والكلمة الطيبة، والنصيحة المؤثرة، والهدية القيمة، وتعويضه عن ما فاته مما يحب: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤﴾ [آل عمران: ١٣٣-١٣٤].

جبر الخواطر عبادة بين العبد وغيره من الخلق،وهي من مكارم الأخلاق، وجميل الفِعال التي تُثمر المحبة، وتزيد الألفة والمودة بين الإخوان والأصدقاء.

قال النبي ﷺ: «أَحَبُّ الناسِ إلى الله أنفعُهم للناسِ، وأَحَبُّ الأعمالِ إلى الله عزَّ وجلَّ سرورٌ يُدخِلُه على مسلمٍ، أو يَكَشِفُ عنه كُربةً، أو يقضِي عنه دَيْنًا، أو يَطَرُدُ عنه جوعًا» أخرجه الطبراني(١).

جبر الخواطر من أعظم عِبادات القلوب التي تكون بين الإنسان وغيره من الخلق، لما فيها من تطييب قلب الإنسان، وإدخال السرور على من أصابه همٌّ، أو غمٌّ، أو خوفٌ، أو مرضٌ، أو كارثةٌ، أو خسارة.

جبر الخواطر خُلُقٌ إسلامي عظيم، يدل على شهامة الإنسان، وسُمُوٍّ نفسه، وعظمة قلبه، ورجاحة عقله، وسلامة صدره.

جبر الخواطر عبادة قلبية، يجْبُر فيها الإنسان قُلوبًا مُنكسرةً، ونُفوسًا مُنْهارةً،

---

(١) صحيح: أخرجه الطبراني في الأوسط برقم (٦٠٢٦).

وبُطونًا جائعةً، وأجسادًا مريضةً، وأشخاصًا أَرْوَاحُ أحْبَابِهم أُزْهِقَت، وجارًا أو صديقًا حَلَّت به خسارةٌ أو كارثة.

وكما أن من أعظم العبادات فيما بين العبد وربه الصلاة، والصيام، والحج، والذكر، والدعاء ؛ فكذلك من أعظم العبادات فيما بين العبد والخلق عبادة جبر الخواطر، وإدخال السرور على الناس، لأن ذلك يُثمر محبة الله له، ومحبة الناس له، والفوز بمغفرة الله، ودخولِ جنته : ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤﴾ [آل عمران:١٣٣-١٣٤].

فهذه عبادة، وتلك عبادة، وفي كُلٍّ منهما رضوان رب العالمين، بإخلاص العبادة لله وحده لا شريك له، والإحسان إلى الخلق، وجبر قلوبهم، وإدخال السرور عليهم :﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ٣ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَمَغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ٤﴾ [الأنفال:٢-٤].

فإقامة الصلاة بين العبد وربه، والإنفاق بين العبد وخلقه.

وجبر القلوب المُنْكَسرة من مُقتضيات الإيمان بأسماء الله الحسنى، ومن لوازم وآثار الإيمان بأسماء الله الجبار، الرءوف، الرحيم، العَفُو، الغفور.

فالله جلّ جلاله هو الجبار الذي يَقْصِم ظُهور الطغاة والجبابرة.

وهو الجبار، الرحيم، الودود الذي يجبر قلوب الخلق بما يُطَمْئِنُ قلوبهم، ويُريح نفوسهم، ويُدخل السرور عليهم :﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ١٤٣﴾ [البقرة:١٤٣].

هو الجبار الذي يجْبُرُ الفقير بِالغِنَى، ويجْبُرُ المريض بالشفاء، ويجْبُرُ الخائف بالأمن، ويجْبُرُ أهل الهموم والأحزان بالطمأنينة والسكينة، ويجْبُرُ أهل المصائب

والابتلاء بعظيم الأجور، ودخول دار السرور: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ۗ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [البقرة:١٥٥-١٥٧].

وجبر القلوب المُنْكَسِرة، وإدخال السرور على الناس، أعظم صفات الأنبياء والمرسلين: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [التوبة:١٢٨].

هو سبحانه الجبار الذي جَبَرَ قلب إبراهيم ﷺ، حين صبر على دعوة التوحيد، وألقي في النار من أجلها، فجبر الله قلبه، وجعل في ذريته النبوة والكتاب. كما قال سبحانه: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٢٧﴾﴾ [العنكبوت:٢٧].

ويوسف ﷺ ظُلِمَ وأُوذِيَ من إخوته الذين حسدوه، والمظلوم يحتاج الى جبر خاطر، فماذا قال الله له: ﴿فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَن يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ ۚ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٥﴾﴾ [يوسف:١٥].

فكان هذا الوحي من الله لتثبيت قلبه، وجبر خاطره.

ورسول الله ﷺ وُلِدَ في مكة، ونشأ فيها، ولكن قومه كذبوه وآذوه، فخرج منها إلى المدينة لعله يجِدُ من يَقْبَلُ قوله، ويدخل في دينه.

وهذا الفراق لمكة يحتاج إلى الصبر والمواساة، فأوحى الله إليه بقوله: ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ ۚ قُل رَّبِّي أَعْلَمُ مَن جَاءَ بِالْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٨٥﴾﴾ [القصص:٨٥].

فجبر الجبار خاطر رسوله ﷺ، وأخبره بأنه سَيَرُدُّهُ إلى مكة عزيزاً مُنْتَصِرًا، وهذا ما حصل: ﴿لَّقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ ۖ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ۖ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٢٧﴾﴾ [الفتح:٢٧].

ومن جبر الخواطر ما أوحى الله إلى رسوله ﷺ بقوله: ﴿وَٱلضُّحَىٰ ﴿١﴾ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ﴿٢﴾ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴿٣﴾ وَلَلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لَّكَ مِنَ ٱلۡأُولَىٰ ﴿٤﴾ وَلَسَوۡفَ يُعۡطِيكَ رَبُّكَ فَتَرۡضَىٰٓ ﴿٥﴾﴾ [الضحى: ١-٥].

فأعطاهُ الله حتى رَضِي، وجبر قلبه من كل ما أصابه من الضيق والهم والغم، وأظهر الله دينه على الدين كله، وأقر عينه بدخول الناس في دين الله أفواجا، كما قال سبحانه: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ﴿١﴾ وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ﴿٢﴾ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا ﴿٣﴾﴾ [النصر: ١-٣].

وأعظم الخلق عبوديةً لله هم أهل جبر الخواطر؛ لأنهم يُرْضُون الله برحمة عباده، والإحسان إليهم، والأخذ بأيديهم، ودفع الهم والغم والحزن عنهم: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ [آل عمران: ١٣٣-١٣٤].

فَيَا عبد الجبار عندما يأتيك الخادم بالطعام والشراب، فاجبر خاطره بابتسامة جميلة، أو كلمةٍ طيبةٍ، أو أَقْعِدْه ليأكل معك، ليشعر أنه مثلك.

قال النبي ﷺ: «هم إخوانكم خوَلُكم، جعلَهم الله تحت أيديكم، فمن كان أخوه تحت يده فليُطعِمْه مما يأكلُ، ويُلبِسْه مما يلبَس، ولا تكلِّفوهم ما يغلِبُهم، فإنْ كلَّفتُموهم فأعينُوهم» متفق عليه (١).

وإذا اشتريت يا عبد الجبار من بائعٍ فقير سِلْعَةً زهيدة، فَاجْبُر خاطره بإعطائه أكثر من حقه، وابتسم له يدعو لك، ويُثني عليك؛ لأنك أدخلت السرور على قلبه.

وإذا رأيت صديقك أو زميلك بالعمل لديه معاملاتٍ كثيرة لا يستطيع إنجازها وحده إلا بمشقة، فاجْبُر خاطره، واجلس معه، وساعده في إنجاز عمله؛ فسوف تجد من يُعِينُكَ إذا صِرْت مثله في يومٍ من الأيام، فكما تَدِينُ تُدَان، والله في عَوْنِ

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٣٠) ومسلم برقم (١٦٦١).

العبد ما كان العبد في عون أخيه : ﴿وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلۡقُواْ بِأَيۡدِيكُمۡ إِلَى ٱلتَّهۡلُكَةِ وَأَحۡسِنُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٩٥﴾[البقرة:١٩٥].

وعندما تجد طفلاً صغيراً فقيراً فابتسم في وجهه واهدِه قطعة حلاوة أو حَبَّةً من الفاكهة أو كأسًا من العصير،فسوف يفرح بها كثيرا، لأنك جبرت خاطره، وأدخلت السرور على قلبه.

وعندما تَرَى شخصًا مهمومًا أو يَشْعُرُ بالفشل، فأدخل السرور عليه، وشجعه، وقل له إنه يستطيع أن ينجح في حياته. فسيفرح بذلك، ويَشُدُّ من عَزْمِه ؛ لأنك جبرت بخاطره، وفتحت له أبواب العمل والعزيمة.

وعندما تُفاجئُ زوجك أو صديقك أو جارك بشيءٍ يُحِبُّه من كلمةٍ طيبة، أو هديةٍ قَيِّمَةٍ، فقد جبرت خاطره، وأدخلت السرور على قلبه.

قال النبي ﷺ: « أَحَبُّ الناسِ إلى الله أنفعُهم للناسِ، وأَحَبُّ الأعمالِ إلى الله عزَّ وجلَّ سرورٌ تُدخِلُه على مسلمٍ، تَكشِفُ عنه كُربةً، أو تقضِي عنه دَيْنًا، أو تَطرُدُ عنه جوعًا » أخرجه الطبراني(١).

وكما أن جبر الخواطر عبادة، فكَسْرُ الخواطر خطيئة. فكسر الخواطر، وإهانة الشخص، وذِكْرُ مَسَاوِئِه له، وَقَتْلُ طموحه، يُدَمِّر حياة هذا الشخص، ويحُولها إلى الأسوأ.

فاجْبُر خاطر ابنك، أو أخاك، أو صديقك بما يحبه، وشجعه، وأدخل السرور عليه، واجْبُر بخاطره، واعْطه بعض النصائح، ليُطَوِّر من نفسه، ويحْيَا الأملُ في قلبه، فيحبك، ويُطيع أمرك، ويأخذ بنصحك :﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ٣٣ وَلَا تَسۡتَوِي ٱلۡحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُۚ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ ٣٤ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٖ ٣٥﴾[فصلت:٣٣-٣٥].

---

(١)صحيح: أخرجه الطبراني في الاوسط برقم (٦٠٢٦) .

٢- صورٌ من جبر الخواطر في القرآن والسنة

الله ﷻ هو الجبار الذي يجبر خواطر خلقه، والقرآن كله جبرٌ للخواطر، سواء كان ذلك في العبادات، أو المعاملات، أو الأخلاق، أو الأجور.

فَمِنْ جَبْرِ الخواطر في العبادات في الصلاة، كما قال سبحانه: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾ [الأنفال: ٢-٤].

وقال ﷻ: ﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِهَا خَرُّواْ سُجَّدًا وَسَبَّحُواْ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [السجدة: ١٥-١٧].

وقال الله النبي ﷺ: « إذَا مَرِضَ العَبْدُ، أوْ سَافَرَ، كُتِبَ له مِثْلُ ما كانَ يَعْمَلُ مُقِيمًا صَحِيحًا» أخرجه البخاري [١].

وقال النبي ﷺ: « مَن تَوضأَ، فأَحْسَنَ وضوؤه، ثم خَرَجَ إلى المسجدِ، فوَجَدَ الناسَ قد صَلَّوْا؛ أَعْطاه اللهُ مثلَ أَجْرِ مَن صلَّى وحَضَرَ، لا يَنْقُصُ ذلك مِن أَجْرِه شيئًا » أخرجه أحمد وأبوداود[٢].

وفي الزكاة والصدقات يقول الله عز وجل جابراً لقلوب أهل الزكاة: ﴿ ۞ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦٠﴾ ﴾ [التوبة: ٦٠].

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٢٩٩٦).

(٢) صحيح: أخرجه احمد برقم (٨٩٤٧) وأبو داود برقم (٥٦٤).

وقال الله ﷻ: ﴿ وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ أُوْلُواْ ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينُ فَٱرْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُواْ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٨﴾ ﴾[النساء:٨].

ومن جبر الخواطر في الصوم يقول الله ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ وَأَن تَصُومُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٤﴾ ﴾ [البقرة:١٨٣-١٨٤].

وقال النبي ﷺ: « مَنْ نَسِيَ وَهُوَ صَائِمٌ فَأَكَلَ أَوْ شَرِبَ فَلْيُتِمَّ صَوْمَهُ فَإِنَّمَا أَطْعَمَهُ اللَّهُ وَسَقَاهُ » متفق عليه (١).

وفي الحج، يقول الله ﷻ: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٧﴾ ﴾[آل عمران:٩٧].

وقال النبي ﷺ: « مَنْ حَجَّ للهِ فَلَمْ يَرْفُثْ ، وَلَمْ يَفْسُقْ ، رَجَعَ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ » متفق عليه (٢).

وعن ابن عباس رضي الله عنه أن امرأةٌ رفعت صَبِيًا لها فقالت : يا رسولَ الله ألهذا حجٌ ؟ قال : نعم ولكِ أجرٌ » أخرجه مسلم (٣).

ورفع الله المؤاخذة على الخطأ والنسيان جبراً للخواطر بقوله : «رَبَّنا لا تُؤاخِذنا إِن نَسِينا أَو أَخطَأنا، فقال الله : قد فعَلْتُ» أخرجه مسلم (٤).

وجَبَرَ الله قُلُوب المرضى والمسافرين بأنه يَكْتُبُ لهم أجر ما كانوا يعملونه في حال الصحة والإقامة.

---

(١)**متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٦٦٦٩) ومسلم برقم (١١٥٥).

(٢)**متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (١٥٢١) ومسلم برقم (١٣٥٠).

(٣)**أخرجه** مسلم برقم (١٣٣٦) .

(٤)**أخرجه** مسلم برقم (١٢٦) .

قال النبي ﷺ: «إذَا مَرِضَ العَبْدُ، أوْ سَافَرَ، كُتِبَ له مِثْلُ ما كانَ يَعْمَلُ مُقِيمًا صَحِيحًا» أخرجه البخاري (١).

ومن جبر الخواطر فتح باب التوبة والاستغفار للمسرفين على أنفسهم بالمعاصي: ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ ﴾[الزمر:٥٣].

قال الله ﷻ: ﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾ ﴾[النساء:١١٠].

ومن جبر الخواطر في المعاملات: ﴿ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ ﴾ [آل عمران:١٣٣-١٣٤].

وقال الله ﷻ: ﴿ إِن تُقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٧﴾ ﴾[التغابن:١٧].

وقال النبي ﷺ: « رَحِمَ اللهُ عَبْدًا سَمْحًا إِذَا بَاعَ، سَمْحًا إِذَا اشْتَرَى سَمْحًا إِذَا اقْتَضَى» أخرجه البخاري (٢).

وقال النبي ﷺ: « اتَّقوا النَّار ولو بشِقِّ تمرةٍ فإنْ لم تجِدوا فبكلمةٍ طيِّبةٍ » متفق عليه (٣).

ومن جبر خواطر الكفار لعلهم يؤمنون: ﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِن يَنتَهُوا۟ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِن يَعُودُوا۟ فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ ﴾[الأنفال:٣٨].

ومن جبر الخواطر في الأخلاق جبر خواطر الصابرين كما قال سبحانه: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٢٩٩٦).

(٢) أخرجه البخاري برقم (٢٠٧٦).

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٣٥٩٥) ومسلم برقم (١٠١٦).

﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٥٥ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ١٥٦ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ ١٥٧﴾[البقرة: ١٥٥-١٥٧].

وقال الله ﷻ: ﴿قُلۡ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ لِلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٞۗ وَأَرۡضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌۗ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٖ ١٠﴾[الزمر: ١٠].

ومن جبر الخواطر جبر خواطر أهل الإنفاق في سبيل الله: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُم بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ فَلَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٢٧٤﴾[البقرة: ٢٧٤].

وقال الله ﷻ: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ٢٦١﴾ [البقرة: ٢٦١].

ومن ذلك جبر خواطر أهل العفو والإحسان: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ٤٠﴾[الشورى: ٤٠].

وقال عز وجل: ﴿۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤﴾[آل عمران: ١٣٣-١٣٤].

ومن ذلك جبر خواطر أهل الرحمة والمغفرة، والعفو والصفح: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجِكُمۡ وَأَوۡلَٰدِكُمۡ عَدُوّٗا لَّكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُمۡۚ وَإِن تَعۡفُواْ وَتَصۡفَحُواْ وَتَغۡفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ١٤﴾[التغابن: ١٤].

وقال النبي ﷺ: «وَإِنَّما يَرْحَمُ اللهُ مِنْ عِبادِهِ الرُّحَمَاءَ» متفق عليه (١).

وقال النبي ﷺ: «الراحمون يرحمُهم الرحمنُ. ارحموا من في الأرضِ يرحمْكم من في السماءِ» أخرجه أحمد والترمذي(٢).

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (١٢٨٤) ومسلم برقم (٩٢٣).

(٢) صحيح: أخرجه احمد برقم (٦٤٩٤) والترمذي برقم (١٩٢٤).

ومن ذلك جبر خواطر المرضى والمصابين،ويكون ذلك بالزيارة والدعاء والإهداء، وادخال السرور عليهم.

قال النبي ﷺ: « مَن عادَ مريضًا، أو زارَ أخًا لَهُ في اللهِّ ناداهُ مُنادٍ : أن طِبتَ وطابَ ممشاكَ وتبوَّأتَ مِنَ الجنَّةِ منزلًا » أخرجه أحمد والترمذي(١).

ومن ذلك جبر خواطر أهل الميت، بالصلاة عليه، وتشييع جنازته، وتعزية أهله.

قال النبي ﷺ: « مَنِ اتَّبَعَ جَنَازَةَ مُسْلِمٍ، إيمَانًا واحْتِسَابًا، وكانَ معهُ حتَّى يُصَلَّى عَلَيْهَا ويَفْرُغَ مِن دَفْنِهَا، فإنَّه يَرْجِعُ مِنَ الأجْرِ بقِيرَاطَيْنِ، كُلُّ قِيرَاطٍ مِثْلُ أُحُدٍ، ومَن صَلَّى عَلَيْهَا ثُمَّ رَجَعَ قَبْلَ أنْ تُدْفَنَ، فإنَّه يَرْجِعُ بقِيرَاطٍ » متفق عليه (٢).

ومن ذلك جبرُ خواطر أهل الميت بالميراث الذي يُقْسَم بعد موته بين الرجال والنساء :﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَۚ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ۝٧﴾[النساء:٧].

جبر الخواطر من أعظم العبادات القلبية بين الإنسان وغيره من الخلق.

وجبر الخواطر تمْنَحُ فاعلها ثوابًا عظيمًا من الله ﷻ.

والعبد إذا اهتم بجبر خواطر الضعفاء والفقراء، والمرضى والمصابين، وأصحاب الهموم والغموم، يسخر الله له من يجْبُر خاطره إذا نزل به كربٌ أو شدة.

ومن ساعد أخاه في محِنته سيُرْسِلُ الله له من يُساعده إذا وقع في شدةٍ أو كَرْبٍ أو بَلَاءٍ، لأن الله في عون العبد مادام العبد في عون أخيه، والجزاء من جنس العمل.

قال النبي ﷺ: « مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا نَفَّسَ اللهُّ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ، يَسَّرَ اللهُّ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِما سَتَرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَاللهُّ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ

---

(١)صحيح: أخرجه احمد برقم (٨٣٢٥) والترمذي برقم (٢٠٠٨) .

(٢)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٤٧) ومسلم برقم (٩٤٥).

أَخِيهِ، وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الجَنَّةِ، وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهَّ يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ، وَيَتَدَارَسُونَهُ فِيمَا بَيْنَهُمْ؛ إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَ حَفَّتْهُمُ المَلائِكَة، وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ، وَمَنْ أَبْطَأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ» أخرجه مسلم (١).

إن عبادة جبر الخواطر في وقتها المناسب يَفُوقُ أجرها أجر كثير من العبادات والطاعات.

والنبي ﷺ أعظم الخلق جبرًا للخواطر،فلم يَنْسَ موقف المُطعم بن عدي حين أدخله في جِواره يوم عودته من الطائف إلى مكة حزينًا أسيفا مما لقيه من أهل الطائف،فقال يوم أسرى بدر : « لو كانَ المُطْعِمُ بنُ عَدِيٍّ حَيًّا، ثُمَّ كَلَّمَنِي في هَؤُلَاءِ النَّتْنَى لَتَرَكْتُهُمْ له » أخرجه البخاري (٢).

جبر خواطر الناس، وإدخال السرور عليهم، عبادةٌ من أعظم العبادات،ومن جبر خواطر الناس جبر الله خاطره، وكما تَدين تدان، ومن سار بين الناس جابرًا للخواطر، أدركه الله و أنقذه في جوف المخاطر،ومن فرج هم غيره فرج الله همه.

والله سبحانه هو الملك، العزيز، الجبار، الذي يُجيب السائلين، ويُجيب دعوة المضطرين،ويَكْشِفُ كُرَبَ المكروبين، ويكشف السوء عن المرضى والمصابين والمهمومين : ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الحشر: ٢٢-٢٤].

وقال الله ﷻ: ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾[النمل:٦٢].

---

(١)أخرجه مسلم برقم (٢٦٩٩) .

(٢)أخرجه البخاري برقم (٣١٣٩) .

ومِنْ لُطْفِ الجبار بعباده أنه يَنْزِلُ كل ليلة إلى السماء الدنيا، حين يبقى ثلث الليل الآخر، فيُجيب داعيًا، ويُعطي سائلًا، ويُفرج كربًا، ويَجْبُرُ كَسِيرا، ويُشْفِي مريضا، ويُغِيثُ مَلْهوفا، ويُعافي مبتلى، ويُزيل حزنًا.

قال النبي ﷺ: « يَنْزِلُ رَبُّنا تَبارَكَ وتَعالَى كُلَّ لَيْلةٍ إلى السَّماءِ الدُّنْيا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ، يقولُ: مَن يَدْعُونِي، فأسْتَجِيبَ له؟ مَن يَسْأَلُنِي فأُعْطِيَهُ؟ مَن يَسْتَغْفِرُنِي فأغْفِرَ له؟ »متفق عليه (١).

ومِن جبر الخواطر في القرآن جبر خاطر المرأة عند زواجها بالمهر الذي تأخذه عند فراق بيت أهلها، ودخولها في بيت الزوجية الجديد. كما قال سبحانه: ﴿ وَءَاتُوا۟ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَـٰتِهِنَّ نِحْلَةً ۚ فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَىْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيٓـًٔا مَّرِيٓـًٔا ﴿٤﴾ ﴾ [النساء: ٤].

وكذا جبر خاطر المرأة المطلقة بالمتاع من مالٍ أو حُليٍ أو غيرهما، جبراً لخاطرهَا، وتطييبًا لقلبها المنكسر بالطلاق الذي به فارقت بيت الزوجية: ﴿ وَلِلْمُطَلَّقَـٰتِ مَتَـٰعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٤١﴾ ﴾ [البقرة: ٢٤١].

ومن جبر الخواطر القِصاص من الجاني تطييبًا لقلوب أهل المَجْنِيِّ عليه في قتل العمد: ﴿ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ ۚ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾ [المائدة: ٤٥].

ومن جبر الخواطر إيجَاب الدِّيَةِ على الجاني لأهل المَجْنِيِّ عليه، تطييبًا لقلوبهم، وجَبراً لكسرهم: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا ۚ وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُوا۟ ۚ فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَـٰقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ فَمَن

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (١١٤٥) ومسلم برقم (٧٥٨).

لَمۡ يَجِدۡ فَصِيَامُ شَهۡرَيۡنِ مُتَتَابِعَيۡنِ تَوۡبَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا ﴿٩٢﴾﴾[النساء: ٩٢].

ومِنْ جبر الخواطر اللُّطْفُ بالسائل، وتطييب خاطره بعَطِيَّةٍ أو كلمةٍ طيبةٍ، حتى لا يذوق ذُلَّ النَّهْر، مع ذُلِّ السؤال.

وكذا التَّلَطُّف باليتيم الذي فَقَدَ أباه، والإحسان إليه، وتطيب خاطره، وجبر قلبه المنكسر كما قال سبحانه :﴿فَأَمَّا ٱلۡيَتِيمَ فَلَا تَقۡهَرۡ ﴿٩﴾ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنۡهَرۡ ﴿١٠﴾﴾ [الضحى: ٩-١٠].

ومِن جبر الخواطر الاهتمام بالضُّعَفاء والفقراء،فقد عاتب الله نبيه ﷺ حين أعرض عن الأعمى الذي جاء يسأل، وكان ﷺمشغولاً بدعوة صناديد قريش. فأنزل الله فيه قرآنا يُتْلَى :﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١﴾ أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ﴿٣﴾ أَوۡ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكۡرَىٰٓ ﴿٤﴾ أَمَّا مَنِ ٱسۡتَغۡنَىٰ ﴿٥﴾ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ﴿٦﴾ وَمَا عَلَيۡكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسۡعَىٰ ﴿٨﴾ وَهُوَ يَخۡشَىٰ ﴿٩﴾ فَأَنتَ عَنۡهُ تَلَهَّىٰ ﴿١٠﴾﴾[عبس: ١-١٠].

وكسر القلوب من أعظم المعاصي، وهي من صفات الكفار :﴿أَرَءَيۡتَ ٱلَّذِي يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ﴿١﴾ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِي يَدُعُّ ٱلۡيَتِيمَ ﴿٢﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلۡمِسۡكِينِ ﴿٣﴾﴾[الماعون: ١-٣].

وَتَطْيِيبُ قلوب أهل الإيمان من أعظم العبادات في وقتها المناسب.

عن جابرٍ رضي الله عنه قال : لمَّا قُتِلَ أَبِي جَعَلْتُ أَكْشِفُ الثَّوْبَ عن وجْهِهِ أَبْكِي، ويَنْهَوْنِي عنْه، والنبيُّ ﷺ لا يَنْهاني، فَجعَلَتْ عَمَّتي فاطِمةُ تَبْكِي، فَقالَ النبيُّ ﷺ: «تَبْكِينَ أَوْ لا تَبْكِينَ ما زَالَتِ المَلائِكَةُ تُظِلُّهُ بأَجْنِحَتِها حتَّى رَفَعْتُمُوهُ» متفق عليه (١).

ولجبر الخواطر صور:

فبشاشة الوجه من تطيب الخواطر، وَقَبُول الاعتذار من المخطئ من تطييب الخواطر، وإهداء الهدية من تطييب الخواطر، وقضاء حاجة الفقير والعاجز

---

(١)**متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (١٢٤٤) ومسلم برقم (٢٤٧١).

والأرملة من تطييب الخواطر، والدعاء لصاحب المكارم من تطييب الخواطر؛ لأن ذلك يشجعه على فعل الخير، ويدخل السرور على قلبه.

قال النبي ﷺ« أحبُّ الناسِ إلى الله أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ ، و أحبُّ الأعمالِ إلى الله عزَّ وجلَّ سُرُورٌ يدْخِلُهُ على مسلمٍ ، أوْ يَكْشِفُ عنهُ كُرْبَةً ، أوْ يقْضِي عنهُ دَيْنًا، أوْ تَطْرُدُ عنهُ جُوعًا » أخرجه الطبراني وأبو الشيخ (١).

وتطييب الخواطر يكون للفقراء والأغنياء، والأقوياء والضعفاء، والكبار والصغار، فقد كشفت الريح يومًا عن ساقي ابن مسعود رضي الله عنه فضحك القوم منه، فجبر النبي ﷺخاطره، وأعلى شأنه، وبَيَّنَ مكانته عند ربه فقال « والَّذي نَفْسي بيدِه، لهُما أثقَلُ في الميزانِ مِن أحُدٍ» أخرجه أحمد وأبو داود(٢).

وكان ﷺيجبر خواطر الكبار والصغار من أمته،فقد مات نَغْرٌ لأبي عُمَيْر، أخٌ لأنس ابن مالك، وكان يلعب به. فدخل النبي ﷺيوما فرآه حزيناً. فقال: « ما شأن أبي عُمَيْر حزينا؟» قالوا مات نُغَرُهُ الَّذي كان يَلْعَبُ بهِ يا رسول الله. فقال : « يا أبا عُمَيْر ما فَعَلَ النُّغَيْر؟!» متفق عليه (٣).

ويَدْخُل في جبر الخواطر كل ما يُدخل السرور في قلب العبد،مِثل بشاشة الوجه، والتهنئة في المناسبات، والمُصَافحة، والمُعَانقة عند السلام، والمشاركة في سرورٍ وفرح، أو في بكاءٍ وترح، أو كلمةٍ طيبة، أو دعوة صادقة.

قال النبي ﷺ: « المُؤْمِنَ للمؤمنِ كالبُنْيانِ يشدُّ بَعضُهُ بعضًا » متفق عليه (٤).

إن جبر الخواطر عبادة عظيمة يحُبها الله عز وجل، ويجْزِي عليها بالأجور العظيمة: ﴿ ۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ

---

(١)**صحيح** / أخرجه الطبراني في الاوسط برقم (٦٠٢٦) وأبو الشيخ برقم (٩٧).

(٢)**حسن: أخرجه** احمد برقم (٤٢٠\١).

(٣)**متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٤٩٧١) ومسلم برقم (٢١٥٠).

(٤)**متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٦٠٢٦) ومسلم برقم (٢٥٨٥).

عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾[آل عمران:١٣٣-١٣٤].

فيا عبد الجبار أُجْبُرْ قلوب من عرفت ومن لم تعرف من الخلق، وأدخل السرور على قلوبهم،وَلْيَكُنْ لأهلك من جبر الخواطر أوفر الحظ والنصيب، خاصةً الوالدين، والزوجة، والأولاد، والإخوة، والأخوات، والأعمام والعمات، والأخوال والخالات، وبقية القرابات: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمُۢ ﴿٧٥﴾﴾[الأنفال:٧٥].

وقال النبي ﷺ: « إنَّ اللهَّ عزَّ وجلَّ يقولُ يومَ القِيامَةِ: يا ابْنَ آدَمَ مَرِضْتُ فَلَمْ تَعُدْني، قالَ: يا رَبِّ كيفَ أعُودُكَ؟ وأَنْتَ رَبُّ العالَمِينَ، قالَ: أما عَلِمْتَ أنَّ عَبْدِي فُلانًا مَرِضَ فَلَمْ تَعُدْهُ، أما عَلِمْتَ أنَّكَ لو عُدْتَهُ لَوَجَدْتَنِي عِنْدَهُ؟ يا ابْنَ آدَمَ اسْتَطْعَمْتُكَ فَلَمْ تُطْعِمْنِي، قالَ: يا رَبِّ وكيفَ أُطْعِمُكَ؟ وأَنْتَ رَبُّ العالَمِينَ، قالَ: أما عَلِمْتَ أنَّه اسْتَطْعَمَكَ عَبْدِي فُلانٌ، فَلَمْ تُطْعِمْهُ؟ أما عَلِمْتَ أنَّكَ لو أطْعَمْتَهُ لَوَجَدْتَ ذلكَ عِندِي، يا ابْنَ آدَمَ اسْتَسْقَيْتُكَ، فَلَمْ تَسْقِنِي، قالَ: يا رَبِّ كيفَ أسْقِيكَ؟ وأَنْتَ رَبُّ العالَمِينَ، قالَ: اسْتَسْقاكَ عَبْدِي فُلانٌ فَلَمْ تَسْقِهِ، أما إنَّكَ لو سَقَيْتَهُ وجَدْتَ ذلكَ عِندِي.» أخرجه مسلم [(١)].

جبر الخواطر عبادة من أعظم العبادات بين المسلم وغيره،والمؤمنون أخوة، وهذه الأخوة تقتضي الإحسان، والإحسان أنواعٌ ودرجات.

ومن إحسان المسلم إلى المسلم وغيره تطيب القلوب المنكسرة، وجبر الخواطر المهمومة، وإدخال السرور على النفوس الحزينة، وذلك من أعظم أسباب دخول الجنة، لما يُثْمِره من المحبة والألفة بين الناس، ومواساة الضعفاء، والشفقة على الخلق: ﴿۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾[آل عمران:١٣٣-١٣٤].

---

(١)أخرجه مسلم برقم (٢٥٦٩).

وكان النبي ﷺ أعظم الخلق جبرًا للخواطر في كل مناسبة، سواءً كان ذلك لِفَرْدٍ أو لجماعة، كما جبر خواطر الأنصار عند قسمة غنائم حنين، فصلوات الله وسلامه عليه.

عن عبد الله ابن زيد ابن عاصم قال: لمَّا أَفَاءَ اللهُ على رَسولِهِ ﷺ يومَ حُنَيْنٍ، قَسَمَ في النَّاسِ في المُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ، ولَمْ يُعْطِ الأنْصارَ شيئًا، فَكَأنَّهُمْ وجَدُوا إذْ لَمْ يُصِبْهُمْ ما أصَابَ النَّاسَ، فَخَطَبَهُمْ فَقالَ: «يا مَعْشَرَ الأنْصارِ، ألَمْ أجِدْكُمْ ضُلَّالًا فَهَدَاكُمُ اللهُ بي، وكُنْتُمْ مُتَفَرِّقِينَ فألَّفَكُمُ اللهُ بي، وعَالَةً فأغْنَاكُمُ اللهُ بي، كُلَّما قالَ شيئًا قالوا: اللهُ ورَسولُهُ أمَنُّ، قالَ: ما يَمْنَعُكُمْ أنْ تُجِيبُوا رَسولَ اللهِ ﷺ.

قالَ: كُلَّما قالَ شيئًا، قالوا: اللهُ ورَسولُهُ أمَنُّ، قالَ: لو شِئْتُمْ قُلتُمْ: جِئْتَنَا كَذَا وكَذَا، أتَرْضَوْنَ أنْ يَذْهَبَ النَّاسُ بالشَّاةِ والبَعِيرِ، وتَذْهَبُونَ بالنبيِّ ﷺ إلى رِحَالِكُمْ، لَوْلَا الهِجْرَةُ لَكُنْتُ امْرَأً مِنَ الأنْصارِ، ولو سَلَكَ النَّاسُ وادِيًا وشِعْبًا لَسَلَكْتُ وادِيَ الأنْصارِ وشِعْبَهَا، الأنْصارُ شِعَارٌ والنَّاسُ دِثَارٌ، إنَّكُمْ سَتَلْقَوْنَ بَعْدِي أُثْرَةً، فَاصْبِرُوا حتَّى تَلْقَوْنِي علَى الحَوْضِ» متفق عليه (١).

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٤٣٣٠) ومسلم برقم (١٠٦١).

٣- الأسباب المعينة على جبر الخواطر

الأول : معرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله،فمن عرف أن ربه هو الملك أذعن لأمره، ومن عرف أنه الرحمن استرحمه، وَرَحِمَ خلقه، ومن عرف أنه الجبار سأله أن يجبره، وجبر قلوب المنكسرين من خلقه وهكذا : ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ١٩ ﴾ [محمد:١٩].

الثاني : العلم بصفات الأنبياء والمرسلين للاقتداء بهم في توحيدهم وإيمانهم، وصفاتهم وأخلاقهم : ﴿ لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا ٢١ ﴾[الأحزاب:٢١].

الثالث : العِلْم بفضائل جبر الخواطر، والإحسان إلى الناس، وإدخال السرور عليهم، والعفو عنهم: ﴿ ۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤ ﴾ [آل عمران:١٣٣-١٣٤].

وقال النبي ﷺ: « تبسُّمُكَ في وجْهِ أخيكَ لَكَ صدقةٌ وأمرُكَ بالمعروفِ ونهيُكَ عنِ المنْكرِ صدقةٌ وإرشادك الرجل في أرض الضلال لك صدقة، وبصرك للرجل الرديء البصر لك صدقة، وإماطتك الحجر والشوكة والعظم عن الطريق لك صدقة ، وإفراغك من دلوك في دلو أخيك صدقة» أخرجه الترمذي وابن حبان[1].

الرابع: الإكثار من ذكر الله عز وجل، وتدبر كتابه، وما فيه من جبر الخواطر، والإحسان إلى الناس، وغُفْرَان ذنوبهم، وقبول توبتهم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ٤١ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ٤٢ هُوَ ٱلَّذِي يُصَلِّي عَلَيۡكُمۡ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخۡرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ وَكَانَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَحِيمٗا ٤٣ ﴾[الأحزاب:٤١-٤٣].

---

(١) صحيح: أخرجه الترمذي برقم (١٩٥٦) وابن حبان برقم (٥٢٩) .

وقال الله ﷻ: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٢٩﴾[ص:٢٩].

الخامس: لُزُوم البيئة الإيمانية الذاكرة، وصحبة الأخيار من العلماء والمحسنين، والانقطاع عن البيئة الغافلة: ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا ٢٨﴾[الكهف:٢٨].

السادس: المحافظة على الفرائض، وأداء النوافل بأنواعها في أوقاتها.

قال النبي ﷺ« إنَّ اللهَّ قالَ: مَن عادَى لي ولِيًّا فقَدْ آذَنْتُهُ بالحَرْبِ، وما تَقَرَّبَ إلَيَّ عَبْدِي بشيءٍ أحَبَّ إلَيَّ ممَّا افْتَرَضْتُ عليه، وما يَزالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إلَيَّ بالنَّوافِلِ حتَّى أُحِبَّهُ، فإذا أحْبَبْتُهُ: كُنْتُ سَمْعَهُ الذي يَسْمَعُ به، وبَصَرَهُ الذي يُبْصِرُ به، ويَدَهُ الَّتي يَبْطِشُ بها، ورِجْلَهُ الَّتي يَمْشِي بها، وإنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، ولَئِنِ اسْتَعاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ، وما تَرَدَّدْتُ عن شيءٍ أنا فاعِلُهُ تَرَدُّدِي عن نَفْسِ المُؤْمِنِ، يَكْرَهُ المَوْتَ وأنا أكْرَهُ مَساءَتَهُ. أخرجه البخاري [1].

السابع: دعاء الله عز وجل أن يرزقه مكارم الأخلاق، وجبر خواطر الخلق، والإحسان إليهم، وإدخال السرور عليهم،فالله لا يرد سائلًا، ولا يُخَيِّبُ مؤمِّلًا: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ٦٠﴾[غافر:٦٠].

الثامن: كثرة الاختلاط بالناس في العمل، والأسواق، والمجامع، والمدارس، والمستشفيات، لمعرفة أحوال الفقراء والمحتاجين، والمرضى والمصابين، والضعفاء والعاجزين،فليس راءٍ كمن سَمِع، فعند ذلك تنشأُ في قلب العبد عبادة جبر الخواطر، وحلاوة إدخال السرور على النفوس: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ٢﴾[المائدة:٢].

وقال الله ﷻ: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُم بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ فَلَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٢٧٤﴾[البقرة:٢٧٤].

---

(١)أخرجه البخاري برقم (٦٥٠٢).

٤ - التعبد لله بجبر خواطر الخلق

الله عز وجل هو الجبار الذي يجبر قلوب عباده في كل حال: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الحشر:٢٣].

والأنبياء والمرسلون هم أعلم الناس بربهم، وأحسنهم عبادة له، وأفضلهم أخلاقاً مع خلقه، وأعظمهم جبراً لخواطر الخلق، وأكمَلُهم رحمةً بالعباد: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [التوبة:١٢٨].

والأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام هم أحسن الناس أُسْوة، ولهذا أمرنا الله بالاقتداء بهم بإيمانهم، في أقوالهم، وأعمالهم، وأخلاقهم: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ [الأحزاب:٢١].

وقال عز وجل: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [الأنعام:٩٠].

وإذا علمت أن الجبار الأعلى هو الله عز وجل، فاعلم أن الجبار من الخلق هو الذي يجبر الناس على الاقتداء به في صدقه، وأمانته، وأخلاقه، وآدابه، وكرمه، وآدابه، وإحسانه، وعفته، واستقامته.

وفي مقدمة هؤلاء الأنبياء والرسل، ثم أتباعهم من العلماء الربانين، والأخيار الصادقين: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّۦنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُو۟لَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا ﴿٧٠﴾﴾ [النساء: ٦٩ – ٧٠].

فيا عبد الجبار اسأل ربك الجبار الجابر لجميع خلقه بنعمه وإحسانه، أن يجبر منك كسور الغفلة والتفريط، وكسور العُجْبِ والكِبْر، وكسور الفَخْر وحب الثناء،وكسور الرياء والكذب، وكسور الظلم والحسد، وكسور المعاصي والذنوب، وأن يبدلك منها دوام ذكره وشكره وحسن عبادته، والاستكثار من أنواع الطاعات والعبادات والقُرُبَات التي ينال بها العبد رضا الرحمن، وأعلى الدرجات في الجنان: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾[الأنفال:٢-٤].

يا عبد الجبار اجبر خواطر الخلق، وأحسن إليهم، وأدخل السرور على قلوبهم، واشكر محُسِنهم، وتجاوز عن مُسِيئِهم، وأَقِل عثراتهم، وَأَحِبَّ لإخوانك ما تحبه لنفسك :﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾﴾[الأعراف:١٩٩].

وقال النبي ﷺ ((لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه)) متفق عليه (١).

يا عبد الجبار، صِلْ من قطعك، وَأَعْطِ من حرمك، وَاعْفُ عمن ظلمك، وأحسن الى من أساء إليك،تنقلب عداوته لك الى صداقة، وبغضه إلى محبة : ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾﴾[فصلت:٣٣-٣٥].

يا عبد الجبار كُنْ جابراً للمنكسرين، راحماً للمساكين، هاديًا للضالين، محسنًا إلى المسيئين، رءوفا بالعباد، لطيفًا بالضعفاء، مساعدًا للعاجزين، منفقًا على

---

(١)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (١٣) ومسلم برقم (٤٥) .

الفقراء، شفيقًا على المرضى، مواسيًا للمصابين، حليمًا على الجاهلين :﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ ﴾[الأعراف:١٩٩].

وَاعْلَم يا عبد الجبار أن جَبْرَ الخواطر من أعظم العبادات بين العبد والخَلْق ؛ وهي تُثمر محبة الله لك، ومغفرة الله لك، ومحبة الناس لك، والفوز بالجنة في الآخرة : ﴿ ۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ ﴾[آل عمران:١٣٣-١٣٤].

يا عبد الجبار، الرءوف، الرحيم، أُنْظُرْ كَمْ جَبَرَ الله من قلوبٍ منكسرةٍ، وكم أزال من هموم، وكم فرج من كروب، وكم كشف من كروب، وكم أغاث من مكروب، وكم يسر من عُسْر، وكم أجاب من سائل، وكم شفى من مريض، وكم أغنى من فقير: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦١﴾ ﴾[غافر:٦١].

فتعبد لله باسمه الجبار، واجْبُرْ قلوب المنكسرين، وأدخل السرور على المهمومين والمصابين :﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾ ﴾[الأعراف:١٨٠].

انْظُرْ في حياة نبيك ﷺ، تجده أرحم الناس بالناس، وأَلْطَف الناس بالناس، وأَعْظَم من جبر خواطر الناس،فَلْيَكُنْ لك به أسوة : ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾[الأحزاب:٢١].

اجْبُرْ قلب الحزين بكلمةٍ طيبةٍ، واجبر خاطر المُصاب بحُسن المواساة، واجبر خاطر المظلوم بالانتصار له، والوقوف معه، وانصر أخاك ظالماً أو مظلومًا. واجبر خاطر المظلوم، واجبر خاطر المكلوم بفقد أحد أهله بقولك :﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ ﴾[البقرة:١٥٦].

وقولك ((إنَّ للهِ ما أَخذَ، ولَهُ ما أَعْطَى، وكُلُّ شيءٍ عِنْدَهُ بأَجَلٍ مُسَمًّى، فلتصبر ولتحتسب)) .

وقال النبي ﷺ: « لا تَحْقِرَنَّ مِنَ المَعروفِ شيئًا، ولو أنْ تَلْقَى أخاكَ بوَجْهٍ طَلْقٍ» أخرجه مسلم (١).

وقال النبي ﷺ: «أنَّ للهِ ما أَخذَ، ولَهُ ما أَعْطَى، وكُلُّ شيءٍ عِنْدَهُ بأَجَلٍ مُسَمًّى، فلتصبر وتحتسب ». متفق عليه (٢).

يا عبد الجبار أُجْبُرْ قلب المريض، وقُمْ بزيارته، والدعاء له قائلا له : شفاك الله وعافاك، وكتب لك الأجر وأثابك، وأبشر من ربك بكل خير،فقد وعد الله الصابرين أجراً بغير حساب كما قال سبحانه: ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۗ وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ ۗ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾ ﴾[الزمر:١٠].

واجبر قلب الفقير ، ورَغِّبْهُ في الصبر، وقُلْ له : إن رزقك سيأتيك سوآءٌ كنت في برٍ أو بحر، فلن تموت نفس حتى تستكمل رزقها وأجلها : ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦﴾ ﴾ [هود:٦].

يا عبد الجبار أُجْبُرْ خاطر البهائم والحيوانات، تعاهدها بالسقي والطعام، ولا تحرمها من أولادها، ولا تمنع عنها ما أحل الله لها،ففي كل كبدٍ رطبةٍ أجر.

قال النبي ﷺ: « فِي كُلِّ كَبِدٍ رَطْبَةٍ أَجْرٌ ». متفق عليه (٣).

إن جبر الخواطر المنكسرة من أعظم العبادات التي بين العبد وغيره من الناس. وهي باب عظيم من أبواب الأجر والثواب،فَاجْبُرْ قلوب من استطعت من خلق

---

(١)أخرجه مسلم برقم (٢٦٢٦) .

(٢)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٧٣٧٧) ومسلم برقم (٩٢٣).

(٣)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٣٤٦٧) ومسلم برقم (٢٢٤٥).

الله. وليكن لأهلك من جبر الخواطر أعظم الحظ والنصيب، خاصة الوالدين: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾﴾ [الإسراء:٢٣-٢٤].

وقال النبي ﷺ: « خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لأهله وأنا خَيْرُكُم لأهلي ». أخرجه الترمذي وابن ماجة(١).

إن جبر القلوب عبادة عظيمة يحبها الله، ويجزي عليها أعظم الأجر والثواب، فتعبد لله بها بين خلقه: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [الأعراف:١٨٠].

اللهم اهدنا لأحسن الأقوال والأعمال والأخلاق، لا يهدي لأحسنها إلا أنت، واصرف عنا سيئها، لا يصرفُ عنا سيئها إلا أنت.

اللهم آت نفوسنا تقواها، وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها.

﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأعراف:٢٣].

﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾﴾ [الصافات: ١٨٠-١٨٢].

---

(١) **صحيح**: أخرجه الترمذي برقم (٣٨٩٥) وابن ماجة برقم (١٩٧٧).

عبادات القلوب

في ضوء القرآن والسنة

العبادة الخامسة والأربعون

عبادة محاسـبة النفس

وتشتمل هذه العبادة العظيمة على المباحث الآتية :

الأول: فقه محاسبة النفس.

الثاني: منزلة المحاسبة.

الثالث: أقسام المحاسبة.

الرابع: الأسباب المعينة على محاسبة النفس.

الخامس: كيفية محاسبة النفس في الدنيا.

السادس: أوقات محاسبة النفس.

السابع: ثمرات محاسبة النفس.

العبادة الخامسة والأربعون

عبادة محاسبة النفس

١ – فقه محاسبة النفس

محاسبة النفس هي تذكير النفس بما عملت من الأعمال قبل القدوم على الله ﷻ، لتستقيم على الطاعات، وتبتعد عن المعاصي، وتتوب من الذنوب، وقد أمرنا الله بذلك فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١٨﴾[الحشر:١٨].

المحاسبة عبادة من عبادات القلوب، تكون فيما بين العبد ونفسه.

والمحاسبة من أعمال الصالحين الذين حاسبوا أنفسهم على صغائر ذنوب الجوارح، وحاسبوها على دقائق خطرات القلوب، فما كان من خيرٍ تابعوه، وشكروا الله عليه، وما كان من شرٍّ تابوا منه ورفضوه.

والمحاسبة من مقتضيات الإيمان بأسماء الله الحسنى، ومن لوازم وآثار الإيمان بأسماء الله الحكيم والحَكم، والحاسب والحسيب، والسميع والبصير، والعليم والخبير.

فالله سبحانه هو الحَكم الذي يحكُم بين عباده يوم القيامة، الحكَم الذي يحكم بينهم بالعدل، ويضع الموازين القسط ليوم القيامة،فيزن العبد، ويزن أعماله، ويزن صحائفه، ولا يترك مثقال ذرةٍ إلّا أحصاها: ﴿وَنَضَعُ ٱلۡمَوَٰزِينَ ٱلۡقِسۡطَ لِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَلَا تُظۡلَمُ نَفۡسٞ شَيۡـٔٗاۖ وَإِن كَانَ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٍ أَتَيۡنَا بِهَاۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ٤٧﴾[الأنبياء:٤٧].

ومن علم أن الله سميعٌ لأقواله، عليمٌ بأفعاله، بصيرٌ بأخباره، خبيرٌ بأسراره؛ حاسب نفسه قبل أن يحاسبه ربه يوم القيامة :﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ ﴿٦﴾ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿٨﴾﴾[الزلزلة:٦-٨].

وعلى المسلم الذي يريد النجاة أن تكون له وقفاتٌ دائمة مع نفسه، ليحاسبها،ويصحح مسارها، لاسيما في أواخر عمره، وأكثر الخسائر في الأعمال إنما تزيد وتتراكم من عدم محاسبة النفس في الحياة على ما فعلت،وستندم في يومٍ لا ينفع فيه الندم : ﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ ﴿٥٦﴾ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾﴾ [الزمر:٥٦-٥٧].

والنفس سريعة التقلُّب، ميالةٌ إلى حب الشهوات والمعاصي :﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي ۚ إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي ۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٣﴾﴾[يوسف:٥٣].

إن كل عبدٍ مسلمٍ يرجو لقاء ربه يجب عليه أن يبادر إلى محاسبة نفسه، ويجلس معها جلسات مطوَّلة، لينظر في كل صفحة من صفحات عمره التي مضت؛ ماذا أودع فيها من أعمال :﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾﴾[الحشر:١٨].

المحاسبة أن يتصفَّح الإنسان في ليله ما صدر منه من أفعال في نهاره؛ فإن كان محمودًا شكر ربه على توفيقه له، وأتبعه بمثله، وإن كان مذمومًا استدركه إن أمكن، وانتهى عن مثله في المستقبل، وأكثر من التوبة والاستغفار :﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾﴾[النساء:١١٠].

ومحاسبة النفس من أهمِّ المهمَّات التي يجب على المسلم المداومة عليها، لأن غياب المحاسبة للنفس نذيرُ غرق النفس في بحار الفساد، والشهوات،

والغفلات: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا ٥٩ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ وَلَا يُظۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا ٦٠﴾ [مريم:٥٩-٦٠].

وحين لا يتوقَّع الفرد أو المجتمع أو الأمة حسابًا من ربٍّ قادرٍ قاهرٍ، أو من ولي أمرٍ حاكم، أو من مجتمعٍ ضابط، أو من النفس اللوَّامة؛ فإن الجميع يعيشون كما تعيش البهائم والأنعام بلا حدٍّ ولا قيد، ولا أمرٍ ولا نهي، ولا زِمامٍ و لا خِطام: ﴿وَلَقَدۡ ذَرَأۡنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِۖ لَهُمۡ قُلُوبٞ لَّا يَفۡقَهُونَ بِهَا وَلَهُمۡ أَعۡيُنٞ لَّا يُبۡصِرُونَ بِهَا وَلَهُمۡ ءَاذَانٞ لَّا يَسۡمَعُونَ بِهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلۡأَنۡعَٰمِ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡغَٰفِلُونَ ١٧٩﴾[الأعراف:١٧٩].

فكلّ من لا يرجو حسابًا في الدنيا ولا في الآخرة، سيتقلَّب في أنواع الشهوات والمحرَّمات كالكفار: ﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ لَا يَرۡجُونَ حِسَابٗا ٢٧ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا كِذَّابٗا ٢٨ وَكُلَّ شَيۡءٍ أَحۡصَيۡنَٰهُ كِتَٰبٗا ٢٩ فَذُوقُواْ فَلَن نَّزِيدَكُمۡ إِلَّا عَذَابًا ٣٠﴾ [النبأ:٢٧-٣٠].

وكلّ إنسانٍ سوف يُحاسب يوم القيامة على القليل والكثير من الأعمال التي عملها في الدنيا وإن خفِيَت، وسيُناقش في الحساب عن مثاقيل الذر: ﴿وَنَضَعُ ٱلۡمَوَٰزِينَ ٱلۡقِسۡطَ لِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَلَا تُظۡلَمُ نَفۡسٞ شَيۡـٔٗاۖ وَإِن كَانَ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٍ أَتَيۡنَا بِهَاۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ٤٧﴾[الأنبياء:٤٧].

فمن حاسب نفسه في الدنيا قبل أن يُحاسَب يوم القيامة خفَّ حسابه، وحَسُنَ مُنقلَبه، ومن لم يُحاسِب نفسه دامت حسراته، وطالت في عَرَصات القيامة وقفاته، وقادته إلى النار سيئاته: ﴿وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدۡخِلۡهُ نَارًا خَٰلِدٗا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٞ مُّهِينٞ ١٤﴾[النساء:١٤].

فيا عبد الله حاسب نفسك في الرخاء، قبل حساب الشِّدة يوم القيامة، فكلّ أعمالك محفوظة ومكتوبة: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾﴾ [الإسراء:١٣-١٤].

إنَّ محاسبة النفوس في الدنيا على ما فعلت من أعظم عبادات القلوب؛ لأنها طريق استقامة القلوب، وتزكية النفوس، وهي عبادةٌ بين العبد ونفسهتُثمر الفرح بالطاعات، والشكر على الحسنات، والاستغفار والتوبة من السيئات: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾﴾ [الحشر:١٨].

ومن حاسب نفسه علِم أنه لم يخُلَق عبثًا، ولن يُترك سُدىً، وإنما خُلق لعبادة الله وحده، وحينئذ يجتهد في أنواع العبادات والطاعات، ويبتعد عن جميع المعاصي والسيئات، ويُسرع إلى التوبة من الذنوب، ليفوز بالجنة، وينجو من النار: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [السجدة:١٦-١٧].

٢ - منزلة المحاسبة

محاسبة النفس من أعظم أعمال القلوب، لما فيها من تفقُّد أعمال العبد، وتفقُّد ما فيها من الإخلاص والرياء، والنقص والتقصير، والحسنات والسيئات.

ومن حاسب نفسه قبل أن يُحاسب خَفَّ يوم القيامة حسابه، وسَهُل عند السؤال جوابه، وحَسُن مُنقلبه ومآبه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (١٨)﴾ [الحشر:١٨].

ومن لم يحاسب نفسه في حياته دامت حسراته، وطالت يوم القيامة وقفاته، وتقطّع قلبه من كثرة سيئاته: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا (٢٧) يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا (٢٨) لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا (٢٩)﴾ [الفرقان:٢٧-٢٩].

فحاسب نفسك يا عبد الله قبل الممات، وسارع إلى التوبة إلى الله من كل ذنب فعلته، وسارع إلى كل عمل صالح، وتفقَّد ما عملت قبل أن يصير الحساب إلى غيرك، فإن موقف الحساب بين يدي الجبَّار عظيم: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ (٦٠) أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ (٦١)﴾ [المؤمنون:٦٠-٦١].

وقال الله عز وجل: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ (٤٧)﴾ [الأنبياء:٤٧].

فالبِدار البِدار إلى التوبة والاستغفار قبل فوات الأوان: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا (١١٠)﴾ [النساء:١١٠].

وقال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (٩) وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ (١٠) وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (١١)﴾ [المنافقون:٩-١١].

٣- أقسام المحاسبة

تنقسم محاسبة النفس إلى الأقسام الآتية:

الأول: محاسبة النفس على إخلاص العمل لله، وتطهيره من الشرك والرياء، والعُجب والكِبر: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ٥﴾[البينة:٥].

الثاني: محاسبة النفس على الفرائض،فإن رأى فيها نقصًا تداركه، وإن رأى فيها تأخيرًا قدمه، وإن رأى فيها إحساناً سأل ربه الثبات عليه: ﴿فَإِذَا قَضَيۡتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمۡۚ فَإِذَا ٱطۡمَأۡنَنتُمۡ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَۚ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبٗا مَّوۡقُوتٗا ١٠٣﴾[النساء:١٠٣].

الثالث: محاسبة النفس على النوافل بأنواعها؛ من تطوعات الصلاة، والصيام والصدقات، وغيرها، هل جاء بها كلّها؟ هل قصَّر في بعضها؟ أو تركها بالكلّية؟ فمن قام بذلك فقد حقَّق مُراد الله منه، وفاز بمحبة الله له، ومعيته له.

عن أبي هريرةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهَّ ﷺ: «إِنَّ اللهَّ تَعَالَى قَالَ: منْ عادى لي وَلِيّاً فقدْ آذنتهُ بالحْرْب، وَمَا تقرَّبَ إليَ عبْدِي بشْيءٍ أَحبَّ إِليَ مِمَّا افْتَرَضْت عليْهِ، وَمَا يَزالُ عَبْدِي يتقرَّبُ إِلى بالنَّوافِلِ حَتَّى أُحِبَّه، فَإِذا أَحببْتُه كُنْتُ سمعهُ الَّذي يسْمعُ بِهِ، وبَصره الَّذِي يُبصِرُ بِهِ، ويدَهُ الَّتي يَبْطِش بِهَا، ورِجلَهُ الَّتِي يمْشِي بِهَا، وَإِنْ سأَلنِي أَعْطيْتَه، ولَئِن اسْتَعَاذَني لأُعِيذَّنه، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ المُؤْمِنِ يَكْرَهُ المُوْتَ وَأَنَا أَكْرَه مَسَاءَتَهُ» أخرجه البخاري [(١)].

الرابع: محاسبة النفس على المناهي والمحرمات،فإن كان ارتكب منها شيئًا تداركه بالتوبة والاستغفار، والحسنات الماحية: ﴿فَمَن تَابَ مِنۢ بَعۡدِ ظُلۡمِهِۦ وَأَصۡلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيۡهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ٣٩﴾[المائدة:٣٩].

وقال الله ﷻ: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٦٥٠٢).

﴿ذَٰلِكَ ذِكۡرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ١١٤﴾[هود: ١١٤].

الخامس: محاسبة النفس على الغفلات، وتدارك ذلك بكثرة ذكر الله ﷻ، فمن ذكر الله كثيرًا أطاعه ولم يعصه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ٤١ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ٤٢ هُوَ ٱلَّذِي يُصَلِّي عَلَيۡكُمۡ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخۡرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ وَكَانَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَحِيمٗا ٤٣﴾[الأحزاب: ٤١-٤٣].

السادس: محاسبة النفس على حركات الجوارح، وكلام اللسان، ومشي الرجلين، وبطش اليدين، ونظر العينين، وسماع الأُذنين، فيقول لنفسه ماذا أردتِ بهذا؟ ولمن فعلتيه؟ وعلى أي وجه فعلتيه؟: ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلۡسِنَتُكُمُ ٱلۡكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٞ وَهَٰذَا حَرَامٞ لِّتَفۡتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ لَا يُفۡلِحُونَ ١١٦ مَتَٰعٞ قَلِيلٞ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ١١٧﴾[النحل: ١١٦-١١٧].

وقال الله ﷻ: ﴿وَلَا تَقۡفُ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا ٣٦﴾[الإسراء: ٣٦].

السابع: محاسبة النفس على الأخلاق، فإن كانت حسنةً شكر الله عليها، واستكثر منها، وتخلَّق بين الناس بها: ﴿۞وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤﴾ [آل عمران: ١٣٣-١٣٤].

وإن كانت سيئة أقلع عنها، وتاب إلى الله منها، وأبدلها بأحسن منها: ﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ٣٣ وَلَا تَسۡتَوِي ٱلۡحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُۚ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ ٣٤ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٖ ٣٥﴾[فصلت: ٣٣-٣٥].

الثامن: محاسبة النفس على حسن المتابعة، وأداء الأعمال موافقةً للسنة، خالية من البدَع: ﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ

عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ﴿١١٠﴾ ﴾[الكهف: ١١٠].

التاسع: محاسبة النفس على كل عمل كان ترْكُه أولى من فِعله؛ لأنه أطاع فيه الهوى والنفس والشيطان، ليبادر إلى التوبة منه: ﴿وَمَن يَعۡمَلۡ سُوٓءًا أَوۡ يَظۡلِمۡ نَفۡسَهُۥ ثُمَّ يَسۡتَغۡفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿١١٠﴾ ﴾[النساء: ١١٠].

وقَالَ النَّبِيِّ ﷺ: «إِنَّ الحْلَالَ بَيِّنٌ، والحْرَامَ بَيِّنٌ، وبَيْنَهُمَا مُشْتَبِهَاتٌ لَا يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، فَمَنِ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ فَقَدِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وعِرْضِهِ، ومَنْ وقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وقَعَ فِي الحْرَامِ، كَالرَّاعِي يَرْعَى حَوْلَ الحِمَى، يُوشِكُ أَنْ يَقَعَ فِيهِ، أَلَا وإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى، أَلَا وإِنَّ حِمَى اللهَّ محَارِمُهُ، أَلَا وإِنَّ فِي الجْسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الجْسَدُ كُلُّهُ، وإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الجْسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وهِيَ الْقَلْبُ» متفق عليه (١).

العاشر: محاسبة النفس على الخطرات والإرادات الفاسدة: ﴿يَوۡمَ تَجِدُ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا عَمِلَتۡ مِنۡ خَيۡرٖ مُّحۡضَرٗا وَمَا عَمِلَتۡ مِن سُوٓءٖ تَوَدُّ لَوۡ أَنَّ بَيۡنَهَا وَبَيۡنَهُۥٓ أَمَدَۢا بَعِيدٗاۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥۗ وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلۡعِبَادِ ﴿٣٠﴾ ﴾[آل عمران: ٣٠].

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٥٢) ومسلم برقم (١٥٩٩).

٤ - الأسباب المعينة على محاسبة النفس

الأول: العلم بأن الله هو السميع البصير، العليم الخبير، الرقيب الشهيد، الحافظ المحيط، الذي لا يخفى عليه مثقال ذرة من أعمال العباد، الذي أحاط بكل شيء علمًا، وأحصى كل شيء عددًا: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ١٩﴾ [محمد:١٩].

فمن عرف ذلك خافه واتقاه، وأكثر من التوبة والاستغفار، وبادر إلى محاسبة نفسه على ما قدمت وأخرت: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ٢٨﴾ [فاطر:٢٨].

الثاني: العلم بدقة محاسبة الله للعبد، فكل ما عمله العبد سيراه يوم القيامة، وسيحاسبه ربه على كل ذرةٍ من خيرٍ أو شرٍّ، ثم يجازيه عليها: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا۟ أَعْمَٰلَهُمْ ٦ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ٨﴾ [الزلزلة:٦-٨].

وقال سبحانه: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ٤٧﴾ [الأنبياء:٤٧].

فاعلم أيها العبد أن الله يقبل منك في الدنيا مثقال ذرةٍ من خير، ويوم القيامة لا يُقبل منك ملء الأرض ذهبًا: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ ٱلْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ ٱفْتَدَىٰ بِهِۦٓ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ٩١﴾ [آل عمران:٩١].

الثالث: العلم بأن الله يوم القيامة سيختِم على أفواه العصاة، ثم تنطق أيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون: ﴿ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ٦٥﴾ [يس:٦٥].

الرابع: العلم بأن الله سيوقِف الناس بين الجنَّة و النَّار، ليقتصَّ لبعضهم من بعض المظالم التي كانت بينهم في الدنيا.
قَالَ النبيﷺ: «أَتَدْرُونَ مَا المُفْلِسُ؟ قَالُوا: المُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ! فَقَالَ: إِنَّ المُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ، وَصِيَامٍ، وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ» أخرجه مسلم (١).
الخامس: العلم بمصير من عصى الله ورسوله يوم القيامة، فمن عرف ذلك أقبل على الطاعات، وابتعد من المعاصي: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾﴾[النساء:١٣-١٤].
السادس: صُحبة الأخيار الذين يحاسبون أنفسهم، ويُطْلِعونه على عيوب نفسه، وترك صُحبة الأشرار: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾﴾[الكهف:٢٨].
السابع: حضور مجالس العلم والوعظ والذكر، لأنها تزيد الإيمان، وتُثمر الترقّي في الطاعات، ومحاسبة النفس على المعاصي، وتُثمر حسن الظنّ بالله ﷻ، وإساءة الظن بالنفس: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾[فاطر:٢٨].

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٥٨١).

الثامن: زيارة القبور، والتأمل في أحوال الموتى الذين لا يستطيعون محاسبة أنفسهم، وتدارُكِ ما فاتهم.

قَالَ النَّبِيِّ ﷺ: «أكثِرُوا ذكرَ هادِمِ اللذَّاتِ» أخرجه الترمذي وابن ماجة [1].

التاسع: الإكثار من ذكر الله ﷻ، وتدبُّر كتابه، فمن ذكر الله أحبه وأطاعه ولم يعصه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ٤١ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ٤٢ هُوَ ٱلَّذِي يُصَلِّي عَلَيۡكُمۡ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخۡرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ وَكَانَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَحِيمٗا ٤٣﴾[الأحزاب:٤١-٤٣].

العاشر: البُعد عن أماكن اللهو والغفلة، وعدم مجالسة العصاة والفسّاق، لأن ذلك يغري العبد بالمعاصي والمحرمات ويُنسي العبد محاسبة نفسه: ﴿وَإِذَا رَأَيۡتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيۡرِهِۦۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَلَا تَقۡعُدۡ بَعۡدَ ٱلذِّكۡرَىٰ مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ٦٨﴾[الأنعام:٦٨].

---

(١) صحيح: أخرجه الترمذي برقم (٢٣٠٧) وابن ماجة برقم (٤٢٥٨).

٥ - كيفية محاسبة النفس في الدنيا

يجب على المسلم أن يحاسب نفسه قبل العمل، ويحاسبها كذلك بعد العمل:

الأول: محاسبة النفس قبل العمل:

المؤمن ينبغي له أن يشترط على نفسه قدرًا من الأعمال الصالحة ليؤديها كل يوم، ويلزم نفسهُ بها، ويبدأ بالفرائض والواجبات، ثم النوافل والمستحبات، ويقول لنفسه اعملي الآن فربما تكون هذه الليلة آخر ليلةٍ من حياتك، وهذا دأب الأنبياء والمرسلين: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ (٩٠)﴾[الأنبياء: ٩٠].

كما يجب على المسلم أن يُلجِم نفسه عن شهواتها، ويزجرها عما يُغضب ربها من المعاصي، والمحرَّمات، وذنوب الخلوات، ويقف العبد مع نفسه ويقول لها: يا نفس إن العمر قصير، وعمري هو رأس مالي الذي أتاجر فيه مع ربي، الذي يعطي على الحسنة عشر أمثالها، إلى سبعمائة ضعف،إلى أضعاف كثيرة، إلى أضعاف مضاعفة: ﴿إِن تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ (١٧)﴾[التغابن: ١٧].

ولكرمه جل جلاله يعطي الأجر العظيم بلا عمل من العبد: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا (٤٠)﴾[النساء: ٤٠].

ويذكرها كذلك بأنه لابد من القدوم على الله بما عمل العبد من خيرٍ أو شرٍ، فتوبي إلى الله قبل أن تقفي للحساب يوم القيامة: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (٢٨١)﴾[البقرة: ٢٨١].

ثم قف أيها العبد، واندم على ما مضى من تضييع الأوقات في المعاصي والغفلات، وهب أن الله تعالى بمنّه قد عفى عن السيئات، أليس قد فاتك ثواب

المحسنين الذين استغلّوا تلك الأوقات بأنواع الطاعات :﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ خَيۡرُ ٱلۡبَرِيَّةِ ﴿٧﴾ جَزَآؤُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَشِيَ رَبَّهُۥ ﴿٨﴾﴾[البينة:٧-٨].

فسارعي أيتها النفس إلى فعل الخيرات، لتفوزي بأعلى الدرجات، وكوني مع السابقين المقربين إن استطعتِ، فإن لم تكوني معهم كوني مع الأبرار الذين هم دونهم في الجنّة، وإن لم تدركي منازل الأبرار فليس أمامك بعد الموت إلا الخسارة، ودخول النّار :﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأۡكُلُونَ كَمَا تَأۡكُلُ ٱلۡأَنۡعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثۡوٗى لَّهُمۡ ﴿١٢﴾﴾ [محمد:١٢].

ثم قل لنفسك أن هذا يومٌ جديد، قد أنعم الله به عليّ، ولو فاتني أو توفاني لكنت أتمنى أن أرجع إليه لأعمل فيه صالحاً.

يا نفسُ الزمي الاستقامة، وسارعي إلى الطاعات قبل الممات، ولا تنظري إلى محرم، ولا تسمعي لمحرم، ولا تشتري محرمًا، و لا تفعلي محرمًا من قولٍ أو فعلٍ، فإنك سوف تُسألين عن ذلك كلّه :﴿إِنَّ إِلَيۡنَآ إِيَابَهُمۡ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيۡنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾﴾[الغاشية:٢٥-٢٦].

وَقَالَ اللهﷻ: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسۡـَٔلَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾ [الحجر:٩٢-٩٣].

يا نفس لا تحتقري مسلمًا، وإنما احتقري واستقلي عملك بجانب نعم الله عليكِ.

يا نفس دعي عنك الغيبة والنميمة، والقيل والقال، و اتركي مالا يعنيك، فالله خلق لسانك لذكر الله، وتلاوة القرآن، وتعليم العلم، والدعوة إلى الله، وإصلاح ذات البين :﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾[فصلت:٣٣].

وَقَالَ اللهُ ﷻ: ﴿وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلۡ إِلَيۡهِ تَبۡتِيلٗا ٨ رَّبُّ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذۡهُ وَكِيلٗا ٩﴾ [المزمل:٨-٩].

وقال ﷻ: ﴿كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمۡ تُعَلِّمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمۡ تَدۡرُسُونَ ٧٩﴾ [آل عمران:٧٩].

وتقلَّلي يا نفس من الطعام حتى تلحقي بالكرام، ولا تثقُل عليك الطاعات: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ١٧٢﴾ [البقرة:١٧٢].

هذا كله محاسبة النفس قبل العمل.

الثاني: محاسبة النفس بعد العمل:

فينبغي للعاقل أن يكون له ساعةً عند نومه يحاسب بها نفسه على جميع أقواله وأعماله، وعلى جميع حركاته وسكناته: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١٨﴾ [الحشر:١٨].

فيحاسب العبد نفسه، ويسألها ماذا فعل من الأعمال الصالحة؟ وماذا ترك منها؟ وكم أتم من الأعمال الصالحة التي ألزم نفسه بها في البداية؟، فإن وجد أعمالًا صالحةً فليحمد الله على ذلك، وليفتش فيها؛ هل كانت كلّها خالصةً لله ﷻ؟ وكلّها على السُّنَّة؟ وهل هذا منتهى اجتهاده؟ أم أنه يستطيع الإتيان بأكثر من ذلك؟! .

وهل خلا عمله من الغفلة والرياء، والعجب والكبر، والمَنَّ به على الله، أو على خلقه؟ أو طلب الدنيا ونحو ذلك من الآفات، ومحبطات الأعمال: ﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ١١٠﴾ [الكهف:١١٠].

وإن وجد العبد في أعماله السابقة أنواعاً من المعاصي، فليبادر بالندم على نقصان رأس ماله بدلًا من زيادته، وليسارع إلى التوبة إلى ربه، وليعزم على فعل أعمالٍ صالحة تمحو سيئاته الماضية: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكۡرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ١١٤﴾ [هود: ١١٤].

وليتفكر كيف أغواه الشيطان حتى وقع في تلك المعاصي، وليستعذ بالله منه، ومن شره: ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ٢ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ٣ مِن شَرِّ ٱلۡوَسۡوَاسِ ٱلۡخَنَّاسِ ٤ ٱلَّذِي يُوَسۡوِسُ فِي صُدُورِ ٱلنَّاسِ ٥ مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ٦﴾ [الناس: ١-٦].

وقل يا نفس لِمَا تجرّأتي على المعاصي؟ أما تخافين الله!؟ أتطيقين عذاب الله!؟ أتصبرين على حرّ النّار؟: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ ٦ ٱلَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ٧ فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ٨﴾ [الانفطار: ٦-٨].

وقال الله عز وجل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَوۡفَ نُصۡلِيهِمۡ نَارٗا كُلَّمَا نَضِجَتۡ جُلُودُهُم بَدَّلۡنَٰهُمۡ جُلُودًا غَيۡرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمٗا ٥٦﴾ [النساء: ٥٦].

ثم يحاسب العبد نفسه على ما قاله لسانه، وما فعلته جوارحه، وما خطر على قلبه من الإرادات الفاسدة: ﴿وَلَا تَقۡفُ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا ٣٦﴾ [الإسراء: ٣٦].

وقال الله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلۡسِنَتُكُمُ ٱلۡكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٞ وَهَٰذَا حَرَامٞ لِّتَفۡتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ لَا يُفۡلِحُونَ ١١٦ مَتَٰعٞ قَلِيلٞ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ١١٧﴾ [النحل: ١١٦-١١٧].

فالعاقل يحاسب نفسه، ماذا فعل اليوم؟ وماذا قال اليوم؟ وبماذا تكلم اليوم؟ وفيما انشغل فكره؟ وماذا رأت عينه؟ وماذا سمعت أذنه؟ وأين صرف ماله؟ وماذا فعل في وقته؟ وماذا كسبت يده؟ وأين مشت قدمه، إلى مساجد الله أم إلى

حرمات الله؟ إلى الدعوة إلى الله؛ أم إلى تحقيق مُراد النفس من أنواع الشهوات؟ فما أشد هذا الحساب للنفس، وما أحسنه حين يَصْدق العبد في محاسبة نفسه: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾﴾ [البقرة: ٢٨١].

وقال الله عز وجل: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿١٣٦﴾﴾ [آل عمران: ١٣٣-١٣٦].

٦ - أوقات محاسبة النفس

أوقات محاسبة النفس درجات:

الأولى: أن يحاسب العبد نفسه ليلًا على عمل النهار، ويحاسبها نهارًا على عمل الليل، ماذا فعلت في النهار؟ وماذا فعلت في الليل؟ هل ضاع نهارك في اللهو و اللعب؟ وهل ضاع ليلك في النوم والغفلة؟، وهذه أعلى أنواع المحاسبة .

الثانية: أن يحاسب العبد نفسه في كل يوم وليلة مرة،فإذا أخذ مضجعه ليلًا حاسب نفسه،ماذا فعل في يومه وليلته من الطاعات؟ وماذا فعل من المعاصي؟ .

الثالثة: أن يحاسب العبد نفسه في الأسبوع مرتين الاثنين والخميس،وهما وقت عرض الأعمال على الله ﷻ.

قَالَ النَّبِيِّ ﷺ : «تُعْرَضُ الأَعْمَالُ في كلِّ يَومَ الاثْنَيْنِ، ويَومَ الخَمِيسِ، فيُغْفَرُ لِكُلِّ عَبْدٍ لا يُشْرِكُ باللَّهِ شيئًا، إلَّا رَجُلًا كانَتْ بيْنَهُ وبيْنَ أخِيهِ شَحْناءُ، فيُقالُ: أنْظِرُوا هَذَيْنِ حتَّى يَصْطَلِحا» أخرجه مسلم (١).

فاستحضر يا عبد الله عرض الأعمال على الجبّار، وفتش فيها قبل أن تُعرض على الله العليم القدير.

الرابعة: أن يحاسب العبد نفسه كل شهر مرة،ماذا فعل من الطاعات؟ وماذا فعل من المعاصي؟، ليستدرك نفسه،و يتوب من ذنبه.

الخامسة: المحاسبة كل سَنة مرة،وهذه أدنى أنواع المحاسبة وأقلّها .

وكلما كان العبد بربه أعرف كان منه أخوف، وسارع إلى طاعته، و فرَّ من معصيته، وأكثر من محاسبة نفسه، وأكثر من الاستغفار والتوبة إلى ربه :﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾[فاطر:٢٨].

وقال الله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾﴾[الملك:١٢].

---

(١)أخرجه مسلم برقم (٢٥٦٥) .

٧- ثمـرات محاسبة النفس

الأولى: محاسبة النفس تُطْلع العبد على عيوب نفسه، ونقائصها، وزلّاتها، ومن اطّلع على عيوب نفسه تدارك نفسه، وأزال تلك العيوب، وتاب إلى ربه، واستغفر من ذنبه: ﴿فَمَن تَابَ مِنۢ بَعۡدِ ظُلۡمِهِۦ وَأَصۡلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيۡهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ٣٩﴾[المائدة:٣٩].

الثانية: بمحاسبة العبد نفسه يتعرف على حقوق الله عليه، وعظيم فضله وإحسانه إليه، فيقارن عظمة نِعم الله عليه، وتفريطه في جنب الله ﷻ، فيكون ذلك رادعًا له عن فعل السيئات والمعاصي، والمسارعة إلى الخيرات والفضائل: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤۡتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمۡ وَجِلَةٌ أَنَّهُمۡ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ رَٰجِعُونَ ٦٠ أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَهُمۡ لَهَا سَٰبِقُونَ ٦١﴾[المؤمنون:٦٠-٦١].

الثالثة: كثرة المحاسبة تزكّي النفس، وتطهرها من الذنوب، وتلزمها بفعل ما يحبه الله ويرضاه: ﴿وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا ٧ فَأَلۡهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقۡوَىٰهَا ٨ قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ٩ وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ١٠﴾[الشمس:٧-١٠].

وقال الله ﷻ: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ١٤ وَذَكَرَ ٱسۡمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ١٥﴾[الأعلى:١٤-١٥].

الرابعة: بالمحاسبة الدائمة يعرف المسلم الحقوق الواجبة لله ﷻ، والحقوق الواجبة للناس، فيؤدي هذه وهذه كما وردت شرعًا: ﴿إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ٢٨﴾[فاطر:٢٨].

الخامسة: بالمحاسبة الدائمة يحيا قلب العبد، وينمو فيه الشعور بالمسؤولية، ويزن الأعمال والتصرفات بميزان الشرع، والبعد عن كل ما يخالف الشرع: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ٧﴾[الحشر:٧].

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَن أَحْدَثَ في أَمْرِنَا هذا ما ليسَ مِنه، فَهو رَدٌّ» متفق عليه (١).

السادسة: أن المحاسبة تُثمر كثرة التوبة والاستغفار، فمن حاسب نفسه رأى

---

(١)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٢٦٩٧) ومسلم برقم (١٧١٨).

تقصيره في جنب الله، فبادر بالتوبة من ذنوبه :﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا ﴿٣﴾﴾[النصر:٣].

السابعة: أن المحاسبة تُثمر دخول الجنة، ورؤية وجه الرب، وتحصيل رضوانه:﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾ جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ ﴿٨﴾﴾البينة: ٧ – ٨

الثامنة: المحاسبة تُثمر للعبد خِفَّة الحساب يوم القيامة، ودخول الجنة قبل غيره، لأنه حاسب نفسه في الدنيا فخفَّ عليه الحساب يوم القيامة.

التاسعة: المحاسبة الدائمة تذكر العبد بربه، وأنه قريبٌ منه، مطلعٌ عليه، فيستحي من ربه أن يعصيه وهو يسكن في ملكه، ويأكل من رزقه، ويخاف من عقوبته : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾﴾[الملك:١٢].

العاشرة: المحاسبة تذكّر المسلم بالهدف الذي خُلق من أجله، وهو عبادة الله وحده، وتُعرِّفه أنه لم يخْلَق عبثًا، بل خُلِق لأمر عظيم، وهو عبادة الله وحده:﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾﴾[المؤمنون:١١٥].

وذلك كله يُثمر للعبد الزهد في الدنيا، والحرص على الطاعات، والبعد عن المعاصي، والفوز بالدرجات العلا في الجنة :﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾[الأنفال:٢-٤].

اللهم آتِ نَفوسنا تَقْوَاها، وَزَكِّها أَنْتَ خيرُ مَنْ زَكَّاها، أَنْتَ وليُّها وَموْلاَها .

اللَّهُمَّ اهْدِنا فِيمَنْ هَدَيْتَ، وَعَافِنا فِيمَنْ عَافَيْتَ، وَتوَلَّنا فِيمَنْ توَلَّيْتَ، وَبارِكْ لنا فِيمَا أَعْطَيْتَ، وَقِنا بِرحمَتِكَ شَرَّ مَا قَضَيْتَ، إِنَّكَ تَقْضِي وَلاَ يُقْضى عَلَيْكَ .

﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾﴾ [البقرة:٢٠١].

عبادات القلوب

في ضوء القرآن والسنة

العبادة السادسة والأربعون

عبادة المجاهدة

وتشتمل هذه العبادة العظيمة على المباحث الآتية :

الأول: فقه مجاهدة النفس.

الثاني: أنواع المجاهدة.

الثالث: تفاوت الناس في المجاهدة.

الرابع: الأسباب المعينة على مجاهدة النفس.

الخامس: ثمرات المجاهدة.

العبادة السادسة والأربعون

عبادة المجاهدة

١ - فقه مجاهدة النفس

مجاهدة النفس من العبادات القلبية العظيمة، وهي فطام النفس عن الهوى، لتستقيم على الهدى، وتفوز بدخول الجنة، وتنجو من النار: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾﴾ [النازعات:٤٠-٤١].

وحقيقة المجاهدة حمل النفس على الاستقامة، لتفعل الأوامر الشرعية، وتجتنب المناهي الشرعية، بكمال الحب والتعظيم والذل لله ﷻ: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾﴾ [العنكبوت:٦٩].

ومجاهدة النفس على امتثال أوامر الله من أعظم عبادات القلوب، لما تثمره من حسن الاستقامة، وكثرة التوبة والاستغفار، والترقي في الأعمال الصالحة، والفوز بأعلى الدرجات في الجنة: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال:٢-٤].

ومن زيَّن ظاهره بالمجاهدة زيَّن الله سِرَّه بالمشاهدة، فصار يعبد الله بصفة الإحسان؛ والإحسان أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾﴾ [العنكبوت:٦٩].

ومن أصلح ما بينه وبين الله أصلح الله ما بينه وبين خلقه، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه: ﴿۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ [آل عمران:١٣٣-١٣٤].

والنفوس ميالة إلى حب الشهوات، فلا بد من مجاهدتها، لتستقيم على أوامر الله ﷻ: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ

مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾﴾[الشمس:٩-١٠].
وقال الله ﷻ: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ ٱسۡمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾﴾[الأعلى:١٤-١٥].
ومجاهدة النفس من مقتضيات الإيمان بأسماء الله الحسنى، ومن لوازم وآثار الإيمان بأسماء اللهالقدوس، السلام، الرقيب، الشهيد، العليم، الخبير، فمن سلِم من نجاسات المعاصي، وتطهر من خبث السيئات، وبذل جهده على نفسه بالاستقامة، وعلى غيره بالدعوة، فقد أصبح طيبًا صالحًا لِأَنْ يدخله الله الجنة دار السلام، ودار السلامة من كل شر كما قال الله عن المؤمنين :﴿۞ لَهُمۡ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمۡۖ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٢٧﴾﴾[الأنعام:١٢٧].
وقال الله ﷻ: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ طِبۡتُمۡ فَٱدۡخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴿٧٣﴾ وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي صَدَقَنَا وَعۡدَهُۥ وَأَوۡرَثَنَا ٱلۡأَرۡضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلۡجَنَّةِ حَيۡثُ نَشَآءُۖ فَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ ﴿٧٤﴾﴾[الزمر:٧٣-٧٤].
فيا سعادة من جاهد نفسه، لتستقيم على أوامر الله، وتبتعد عن المعاصي والمنكرات، واجتهدَ على العصاة ليهتدوا، واجتهدَ على الكفار ليؤمنوا:﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٦٩﴾﴾ [العنكبوت:٦٩].
ومجاهدة النفس عبادة بين العبد وربه، ونفعها عائد على من جاهد نفسه لتستقيم على أوامر الله عز وجل: ﴿وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفۡسِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٦﴾﴾[العنكبوت:٦].
والمؤمن يجاهد نفسه على امتثال أوامر الله، واجتناب معاصيه، ليفوز برضوانه وجنته، وينجو من عقابه وعذابه:﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْۤ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾ وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ مِن قَبۡلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيۡكُمۡ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِۚ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعۡتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوۡلَىٰكُمۡۖ فَنِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٧٨﴾﴾[الحج:٧٧-٧٨].

٢ - أنواع المجاهدة

أنواع المجاهدة أربعة:

جهاد النفس .. وجهاد الشيطان .. وجهاد العصاة .. وجهاد الكفار

الأول: جهاد النفس:

وهو أعظم أنواع الجهاد، وهو حمل النفس على فعل الخيرات والطاعات، وزجرها عن فعل المعاصي والمحرمات، ابتغاء مرضات الله: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾﴾ [العنكبوت:٦٩].

ثم مجاهدة النفس على تعلم العلم النافع، وهو العلم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله، والعلم بدينه وشرعه .

ثم مجاهدة النفس على العمل بهذا العلم العظيم، وإقامة الدنيا بشرع الله، ثم مجاهدة النفس في دعوة الخلق إلى هذا الحق الذي جاء به الرسول ﷺ: ﴿ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٢﴾﴾ [إبراهيم:٥٢].

ثم مجاهدة النفس على الصبر على كل ذلك، وتحمّل كل أذىً في سبيل الله، وتحمل كل أذى في سبيل تحقيق ذلك: ﴿وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾﴾ [العصر:١-٣].

فإذا انتصر العبد على نفسه نصره الله على غيره: ﴿إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ۖ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٦٠﴾﴾ [آل عمران: ١٦٠].

والعبودية التي يريدها الله هي عبودية القلب، وعبودية الجوارح تبعٌ لها، وثمرةٌ لها، ودليلٌ عليها، فمن طلب الدنيا والأموال وفق شرع الله ورسوله

ﷺ،واستعمل ذلك فيما يحبه الله ورسوله ﷺ،واستعان بذلك على طاعة الله،فهذا عبدٌ لله لا لهواه، واليد العليا خير من اليد السفلى، وفي كل خير: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (٣٢)﴾[الأعراف:٣٢].

ومن طلب الدنيا وزينتها من الأموال والشهوات، وجمعها على غير هدى من الله، ولم يبالِ أهي من حلالٍ أو حرام، وصرفها فيما يكره الله، فهذا عبدٌ لهواه لا لربه، قد استعبدته الدنيا، وتعلق قلبه بها من دون الله، فهو عبدٌ لهواه لا لمولاه، لأن عبد الدنيا والمال والشهوات لايهوى شيئًا إلا فعله، سواءً كان حلالًا أو حرامًا:﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا (٤٣) أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا (٤٤)﴾ [الفرقان:٤٣-٤٤].

وهوى النفس أعظمُ صنمٍ معبودٍ من دون الله، ومَن وقعت نفسه في هوى شيءٍ وعِشقه فإنه لا يثنيه عن مراده عقوبة الدنيا والآخرة، ولا يثنيه ألم المعصية الذي يجدها في قلبه بعد المعصية، ولا يثنيه عن فعل المعصية ما يصيبه من عقوبةٍ في الدنيا، ولا يثنيه عن فعل المعصية مايُوعظ به من عذاب القبر، ولا نارِ الآخرة، ولا غضب الرب، بل لا يزيدهُ ذلك إلا إقدامًا وحرصًا على الظَفَرِ بحاجته ولو كانت محرمة:﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (٢٣)﴾[الجاثية:٢٣].

وأصول الهوى ثلاثة:

حب الأموال .. وحب النساء .. وحب المناصب

وكل هذه أصنامٌ معبودةٌ من دون الله، إذا تعلق القلب بها من دون الله ﷻ:﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا (٥٩) إِلَّا مَنْ تَابَ

وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ وَلَا يُظۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا ﴿٦٠﴾ جَنَّٰتِ عَدۡنٍ ٱلَّتِي وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلۡغَيۡبِۚ إِنَّهُۥ كَانَ وَعۡدُهُۥ مَأۡتِيّٗا ﴿٦١﴾﴾ [مريم: ٥٩-٦١].

والمحبوسُ من حُبسَ قلبه عن ربه، والمأسور من أسره هواه، والحرّ من استغنى بالله عن غيره، وتعلّق قلبه بالله وحده، ولم يلتفت لأحد سواه: ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجۡعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ﴿٥١﴾﴾ [الذاريات: ٥٠-٥١].

ومن غلبه هواه لم يقدر على الرحيل إلى مولاه، وكيف يرحل وهو مقيدٌ بشهواته.

فانظر يا عبد الله: هل أنت الذي تقود نفسك بشرع الله؟ أم الذي يقودها هواها على غير هدىً من الله؟ فصارت تعبد هواها من دون مولاها: ﴿فَإِن لَّمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَكَ فَٱعۡلَمۡ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهۡوَآءَهُمۡۚ وَمَنۡ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيۡرِ هُدٗى مِّنَ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٠﴾﴾ [القصص: ٥٠].

فاجتهد على نفسك لتكون أحسن الناس توحيدًا، وأصدقهم إيمانًا، وأفضلهم تقوى، وأحسنهم أعمالًا، وأجملهم أخلاقًا.

واستعن بمولاك على ما تريد، وتوكل على من يفعل ما يريد، وفوّض أمرك إلى من بيدهِ مقاليد الأمور: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنعام: ١٠٢-١٠٣].

وقال النبي ﷺ: " اللَّهُمَ آتِ نَفْسِي تَقْوَاهَا، وَزَكِّهَا أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا، أَنْتَ وَلِيُّهَا وَمَوْلَاهَا ". أخرجه مسلم (١).

الثاني: جهاد الشيطان:

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٧٢٢).

الشيطان عدو لجميع بني آدم كما قال الله عنه :﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾﴾[ص: ٨٢-٨٣].

والشيطان يوسوس إلى النفسِ بالشبهات والشهوات، فيوسوس إلى العبد بالشهوات، ويزيّنها في قلبه، والنفس مفطورةٌ على حب الشهوات ابتلاءً من الله، كما قال سبحانه:﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴿١٤﴾﴾[آل عمران: ١٤].

والشهواتُ البهيمية لا يتمّ دفعها إلا بالصبر، وسبيل ذلك أن يقول العبد لنفسه: إنما العمر أيام قليلة، فإذا أصبحت فلا تنتظر المساء، وإذا أمسيت فلا تنتظر الصباح، والشهوات لذة قصيرة تعقبها حسرة طويلة، وصبر ساعة أهون من عذابِ كلِّ ساعة:﴿وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾﴾[البقرة: ٢٨١].

والنفسُ تستجيب لمثل هذا الوعظ والتذكير :﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾﴾[الشمس: ٧-١٠].

وأما مجاهدة وساوس الشيطان في دفع الشبهات،فالشيطان يأتي للعبد فيشكِّكه في الله، وفي رحمة الله، وفي مغفرة الله، ويشككه في الرسول ﷺ، وصِدقه، ويشككه في المؤمنين، وفي إخلاصهم، ويشككه في الوعد والوعيد، والجنة والنار:﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٦﴾﴾[فاطر: ٦].

ولا ينجو العبد من وساوس الشيطان بالشهوات والشبهات إلا بالصبر واليقين، ولا يحصل اليقين إلا بالعلم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله، والعلم بدينه وشرعه،

والعلم بوعده ووعيده: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ١٩﴾ [محمد:١٩].

وبالصبر واليقين ينال العبد الإمامة في الدين: ﴿وَجَعَلۡنَا مِنۡهُمۡ أَئِمَّةٗ يَهۡدُونَ بِأَمۡرِنَا لَمَّا صَبَرُواْۖ وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ٢٤﴾ [السجدة: ٢٤].

وأكثر ما يوسوس الشيطان للمسلم في صلاته، لأن الصلاة صلة بين المسلم وربه، لكن الشيطان لا يوسوس لأهل الكتاب والمشركين في صلاتهم؛ لأن صلاتهم صلة بينهم وبين الشيطان، فلا يقطعها الشيطان عليهم، وهم يتصلون به، ويعبدونه من دون الله: ﴿۞أَلَمۡ أَعۡهَدۡ إِلَيۡكُمۡ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعۡبُدُواْ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ٦٠ وَأَنِ ٱعۡبُدُونِيۚ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ ٦١ وَلَقَدۡ أَضَلَّ مِنكُمۡ جِبِلّٗا كَثِيرًاۖ أَفَلَمۡ تَكُونُواْ تَعۡقِلُونَ ٦٢﴾ [يس:٦٠-٦٢].

والفرق بين وسواس الشيطان، وهوى النفس .

أن الشيطان يريد من العبد أن يكون عاصياً لله بأي نوع من أنواع المعاصي، فهو لا يريد معصيةً بعينها، بل يريد من العبد أن ينزل من الطاعات إلى المعاصي، سواءً كانت معصيةً قلبية أو قولية أو فعلية؛ فإذا جاهدته على ترك معصية معينة ثم تركتها، زيَّن لك معصيةً أخرى، وهكذا ثالثة: ﴿وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيۡطَٰنُ لَهُۥ قَرِينٗا فَسَآءَ قَرِينٗا ٣٨﴾ [النساء:٣٨].

أما معصية النفس،فقد تهوى النفس معصيةً بعينها، وتصرّ عليها، وتعتادها لدرجة أن الشيطان لا يحتاج إلى أن يزين للنفس هذه المعصية، لأن النفس اعتادتها، وتتألم إذا فارقتها: ﴿۞ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٥٣﴾ [يوسف:٥٣].

وأعظم ما يدعو إليه الشيطان سبعة أمورٍ على الترتيب:

الأول: الكفر والشرك والنفاق، فيدعو الإنسان إلى الكفر بالله العظيم، والشرك بالله بفعل ما يَنقض الإسلام، فيدعوه إلى الشرك بالله بتوجيه شيءٍ من العبادة لغير الله، أو يدعوه إلى النفاق، أو الشك في الله، وفي قدرته، أو الاعتراض على قدره: ﴿وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ ۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا ﴿١٢١﴾﴾ [النساء: ١١٩-١٢١].

الثاني: البدعة، فيدعوك الشيطان إذا عجز عنك لتكفر أو تشرك بالله إلى البدعة، بأن تعتقد في صفات الله ما لا يليق به، أو تخترع عبادةً لم يأت بها الشرع، وقلّما يتوب صاحب البدعة، لاعتقاده أنها قُربة يُتقرّب بها إلى الله ﷻ: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾ [النساء: ١١٥].

فإن اعتصمتَ بالكتابِ والسّنّة، وعجز عنك الشيطان دعاك إلى غيرها.

الثالث: أن يدعوك الشيطان إلى فعل الكبائر، مثلاالقتلِ، والزنا، وعقوق الوالدين، وغيرها من الكبائر: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۚ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢١﴾﴾ [النور: ٢١].

فإن لم تفعل ذلك دعاك إلى غيرها.

الرابع: أن يزيِّن لك الشيطان فعل الصغائر، ويزيّنها في قلبك حتى تفعلها، وتُكثِر منها، فإن لم تفعل ذلك أشغلك عن الطاعات بأنواع المباحات.

الخامس: أن يشغلك الشيطان بالمباحات حتى يضيع عليك الأوقات التي هي رأس مالِ الطاعات: ﴿وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [الزخرف: ٣٧].

فإن عجز عنك، وأبطلتَ كيده، فلا تظنّ أنه سيتركك.

السادس: أن يشغلك الشيطان بالعمل المفضول عن العمل الفاضل، فإذا جلست بعد العشاء لطلب العلم أمرك هو بقيام الليل، وقيام الليل أقل من طلب العلم ثوابًا، أو أشغلك بصلاة التطوع عن تعليم الناس أمور دينهم، فإن أيسَ منك أشغلك بغير ذلك.

السابع: أن يؤُزَّ الشيطان عليك مَنْ حولك بأنواع المشاكل، وغرضه من ذلك أن يضيع وقتك، ويوهن عزمك، ويشغل فكرك، ويقطع عليك الطريق إلى ربك .

وهذه هي خطوات الشيطان لجر الناس إلى الكفر وأنواع المعاصي، ثم إلى نار جهنم: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ٢٠٨ ﴾[البقرة:٢٠٨].

وقال الله ﷻ: ﴿ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ إِنَّمَا يَدۡعُواْ حِزۡبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ٦ ﴾[فاطر:٦].

والواجب على المسلم أن يستعيذ بالله من الشيطان الرجيم في بداية كلّ عمل، وأن يستعين بالله، فإن الله يعين العبد عليه، ويجعل كيده ضعيفًا، لأن الله لم يجعل للشيطان سبيلًا على من آمن بالله، وتوكل عليه: ﴿ إِنَّهُۥ لَيۡسَ لَهُۥ سُلۡطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ٩٩ إِنَّمَا سُلۡطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوۡنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشۡرِكُونَ ١٠٠ ﴾[النحل:٩٩-١٠٠].

الثالث: جهاد العصاة، وهو الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر: ﴿ وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ١٠٤ ﴾[آل عمران: ١٠٤].

فتعظ العُصاة، وتُرغبَّهم في الطاعات، وتُبيّن لهم ثوابها، وتحذّرهم من المعاصي، وتبيّن لهم عقوباتها: ﴿ تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ

يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾﴾[النساء:١٣-١٤].

والأمر بالمعروف عبادة، والنهي عن المنكر عبادة .

والنهي عن المنكر يكون بعد الأمر بالمعروف، ومراتب الإنكار ثلاث:

الأولى: الإنكار باليد لمن لك ولاية عليه، فالحاكم له ولاية على رعيته، والأب له ولاية على أولاده، وصاحب الشركة له ولاية على من تحت يده .

قال النبي ﷺ:" كلُّكم راعٍ، وَكُلُّكُمْ مسؤولٌ عنْ رعيَّتِه؛ الإمامُ راعٍ وهو مسؤولٌ عنْرعيَّتِه، والرجلُ راعٍ في أهلِه وهو مسؤولٌ عنْ رعيَّتِه، والمرأةُ راعيةٌ في بيتِ زوجِها وهي مسؤولةٌ عنْ رعيَّتِها، والخادمُ راعٍ في مالِ سيدِه وهو مسؤولٌ عن رعيِّتِه، والرجل راعٍ في مالِ أبيه وهو مسؤولٌ عنْ رعيِّتِه، فكلُّكم راعٍ مسؤولٌ عنْ رعيتِه". متفق عليه (١).

الثانية: الإنكار باللسان حين لا يكون لك ولاية على من تأمرهم وتنصحهم .

قال النبيﷺ:" الدين النصيحة، قلنا لمن يا رسول الله؟ قال لله ولكتابه ولرسوله ولأئمةِ المسلمينَ وعامتِهِم". أخرجه مسلم (٢).

الثالثة: الإنكار بالقلب فقط، وهذه أدنى المراتب إذا كنت لا تستطيع الإنكار باللسان، وهذا أضعف الإيمان.

قال النبي ﷺ:" من رأى منكم منكرًا فليُغيّره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان". أخرجه مسلم (٣).

---

(١)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٢٥٥٤) ومسلم برقم (١٨٢٩).

(٢)أخرجه مسلم برقم (٥٥) .

(٣)أخرجه مسلم برقم (٤٣) .

وعبادة الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، هي سبب خيرية هذه الأمة كما قال سبحانه: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۗ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١١٠﴾﴾ [آل عمران: ١١٠].

والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، أمانٌ لهذه الأمة من العذاب والعقوبات كما قال سبحانه: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ ۚ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾﴾ [آل عمران: ١٠٤-١٠٥].

الرابع: جهاد الكفار

ولجهاد الكفار أربع مراتب:

الأولى: جهاد بالقلب، بأن نُبغضهم بقلوبنا، ونُبغض كفرهم، ولا نَودَّهم، ولا نتشبَّه بهم.

الثانية: جهاد باللّسان، بأن نبيّن لهم محاسن الإسلام وفضائله، وندعوهم إلى الله، حتى يحبوا ربهم ويؤمنوا به، ويعبدوه وحده لا شريك له، كما قال سبحانه: ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ۖ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾﴾ [النحل: ١٢٥].

وهذا أعظم أنواع الجهاد لما فيه من هداية الناس إلى الحق: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [فصلت: ٣٣].

وهو وظيفة الأمة كلها رجالًا ونساءً، كما قال سبحانه: ﴿قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ۖ وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ [يوسف: ١٠٨].

وهو جهاد الأنبياء والرسل كما قال سبحانه: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا (٥١) فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُم بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا (٥٢)﴾ [الفرقان: ٥١-٥٢].

وهو جهاد هذه الأمة كلها إلى يوم القيامة: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٠٤)﴾ [آل عمران: ١٠٤].

الثالثة: الجهاد بالمال لنشر الإسلام، وتأليف القلوب على الإيمان: ﴿لَٰكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ وَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٨٨)﴾ [التوبة: ٨٨].

الرابعة: الجهاد بالنفس، وهو مجاهدة الكفار، لتكون كلمة الله هي العليا، وهو ذِروة سنام الإسلام: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (٧٣)﴾ [التوبة: ٧٣].

وسُئل النبي ﷺ: " أي العمل أفضل؟ قال: إيمان بالله ورسوله، قيل ثم ماذا؟ قال: الجهاد في سبيل الله، قيل ثم ماذا؟ قال: حج مبرور". متفق عليه (١).

وفريضة الجهاد في سبيل الله وهو الغزو لا يسقط عن أحد أبدًا، حتى غير المستطيع لابد أن يَعقِدَ العزم على الغزو في سبيل الله حين يستطيع.

قال النبي ﷺ: " مَن ماتَ ولم يغزُ ولم يحدِّث نَفسَهُ بالغَزوِ ماتَ علَى شُعبةٍ من نفاقٍ". أخرجه مسلم (٢).

فالجهاد في الإسلام نوعان:

الأول: جهادٌ حسنٌ لذاته، وهو بذل الجهد لدعوة الناس إلى الإسلام، وهذا هو الأصل الأول، وهو الجهاد الأكبر، وهو الأفضل لما فيه من هداية الناس إلى الحق: ﴿فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُم بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا (٥٢)﴾ [الفرقان: ٥٢].

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٢٦) ومسلم برقم (٨٣).

(٢) أخرجه مسلم برقم (١٩١٠).

وجهادٌ حسنٌ لغيره، وهو القتال في سبيل الله لإعلاء كلمة الله، وصد عدوان المعتدين: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ ۖ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩٣﴾﴾ [البقرة:١٩٣].

وجهاد الدعوة هو الجهاد الأعظم، فيجب أن يكون له كل الوقت كما قال سبحانه: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِى كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا ﴿٥١﴾ فَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا ﴿٥٢﴾﴾ [الفرقان:٥١-٥٢].

وقال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ [يوسف:١٠٨].

والمقاتل في سبيل الله إذا استشهد فهو حيّ وإن كان مقتولًا كما قال سبحانه: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ ۞ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧١﴾﴾ [آل عمران:١٦٩-١٧١].

فكن يا عبد الله من المجاهدين في سبيل الله لإعلاء كلمة الله، ونشر دين الله في العالم بمالك ونفسك ووقتك: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾﴾ [الحجرات:١٥].

فأصحاب النبي ﷺ سلّموا أجسادهم وقلوبهم لربهم، وبذلوا أنفسهم وأموالهم وأوقاتهم لنشر دين الله، وتركوا بلادهم وأهلهم وشهواتهم، من أجل نصرة دين الله، فرضي الله عنهم وأرضاهم، وسلّم لهم العالم، ونصرهم على من عاداهم: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ [التوبة:١٠٠].

٣- تفاوت الناس في المجاهدة

يتفاوت الناس في مجاهدة النفس حسب إيمانهم،وعلمهم،وتقواهم .

والنفوس ثلاثة أنواع:

النفس المطمئنة .. والنفس الأمارة بالسوء .. والنفس اللّوامة.

الأولى: النفس المطمئنة، وهي النفس التي عرفت الله فأحبته، وآمنت به، واطمأنت بذكره، وأنابت إليه، وعبدته بكمال الحب والتعظيم والذلّ له: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ٢٨ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمۡ وَحُسۡنُ مَـَٔابٖ ٢٩﴾ [الرعد:٢٨-٢٩].

وهذه النفس أحسن الأنفس؛ لأنها تحب الله، وتشتاق إليه، وتخشاه وتتقيه، وتخضع له ولأوامره، وهذه النفس يحبها الله، ويدخلها الجنة يوم القيامة، حيث يقال لها يوم القيامة: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ ٢٧ ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةٗ مَّرۡضِيَّةٗ ٢٨ فَٱدۡخُلِي فِي عِبَٰدِي ٢٩ وَٱدۡخُلِي جَنَّتِي ٣٠﴾ [الفجر:٢٧-٣٠].

الثانية: النفس الأمَّارة بالسوء، وهذه النفس مستقرّ الشرّ والقبائح والرذائل، وصاحبها لا يتوقف عن الفجور في كل وقت: ﴿بَلۡ يُرِيدُ ٱلۡإِنسَٰنُ لِيَفۡجُرَ أَمَامَهُۥ ٥﴾ [القيامة:٥].

وهذه النفس أمّارة بكل شر، وليس لها هَمٌّ إلا قضاء شهواتها، واتباع هواها: ﴿۞ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٥٣﴾ [يوسف:٥٣].

ومثلها النفس الغافلة، التي غفلت عن ربها ودينه واليوم الآخر، فلا تدري لمَ خلقت، ولا إلى أين تصير بعد الموت، وهذه النفس مشغولة بهواها عن عبادة مولاها: ﴿وَلَقَدۡ ذَرَأۡنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِۖ لَهُمۡ قُلُوبٞ لَّا يَفۡقَهُونَ بِهَا وَلَهُمۡ أَعۡيُنٞ لَّا يُبۡصِرُونَ بِهَا وَلَهُمۡ ءَاذَانٞ لَّا يَسۡمَعُونَ بِهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلۡأَنۡعَٰمِ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡغَٰفِلُونَ ١٧٩﴾ [الأعراف:١٧٩].

والنفس الأمارة بالسوء لا تعرف معروفًا، ولا تنكر منكرًا، وهي أقسى من الحجارة، وعلاج قسوة القلبهو رؤية الموتى، وزيارة القبور، والجلوس عند من يحتضر، ورؤية المرضى، ونحوهم من أهلِ الابتلاء.

الثالثة: النفس اللوامة، وهي التي تشعر بالتقصير في حق الله، وتلوم صاحبها على قلة الطاعات، وعلى كثرة المعاصي، وهذه النفس حية، لكنها تحتاج إلى من يذكِّرها بالله واليوم الآخر، حتى تستكثر من الطاعات، وتجتنب المعاصي: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (٧) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا (٨) قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا (٩) وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا (١٠)﴾ [الشمس:٧-١٠].

وقال الله ﷻ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ (١٤) وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ (١٥)﴾ [الأعلى:١٤-١٥].

فيجب على العبد أن يحاسب نفسه كل يوم، ويلومها على التقصير: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (١٨)﴾ [الحشر:١٨].

فنلومها على ما قالت ألسنتُنا من غيبةٍ ونميمة، وظلم وكذب، واستهزاءٍ وسخرية، وسِبَابٍ وفسوق: ﴿لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ (١) وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ (٢)﴾ [القيامة:١-٢].

وقال النبي ﷺ لمعاذ رضي الله عنه: " وهل يُكَّب الناس في النار على وجوههم، أو قال على مناخرهم إلّا حصائد ألسنتهم ". أخرجه أحمد والترمذي(١).

ونلوم أنفسنا ونمنعها من إطلاق البصر في المحرمات، ونمنع أنفسنا من شبهات المكاسب، وظلم الخلق، وأكل الحقوق، وقطع الرحم، فذلك كله مع التكرار ينقل النفس اللوامة إلى أعمال النفس المطمئنة التي يحبها الله: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ (٦٩)﴾ [العنكبوت:٦٩].

---

(١) صحيح: أخرجه احمد برقم (٢٢٠١٦) والترمذي برقم (٢٦١٦).

والإنسان يتقلب في حياته بين هذه الأنفس الثلاث، وهذه الدرجات، حسب الهدى والهوى، وحسب مجاهدته لنفسه، لأن الإيمان يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية، ويكون له إقبالٌ وإدبار، وقوة وضعف، وشِرَةٌ وفترة، وهمةٌ وغفلة: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال: ٢-٤].

وأعظم صنمٌ معبود من دون الله هو هوى النفس: ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٠﴾﴾ [القصص: ٥٠].

وعلامة عبودية القلب للهوى أنه إذا أُعطي ما يهواهُ رضي، وإن مُنِعَ ذلك سخط، فرضاه وسخطه لهواه لا لله مولاه.

أما المؤمن فيحبُّ هدى ربه، ويعمل بموجبه، ويرضى بما يرضى به ربه، ويسخط لما يُسخط ربه، ويحب ما يحبه الله ورسوله، ويبغض ما يبغضه الله ورسوله، ويطيع الله ورسوله، ويعصي نفسه وهواه: ﴿قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾ [آل عمران: ٣٢].

وكلُ ما عُصِيَ اللهّ ورسوله به من الذنوب فسببه الجهل بالله وأوامره، وتقديم الهوى على أوامر الله: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾﴾ [محمد: ١٩].

فكن عبدًا لله الواحد الأحد، ولا تكن عبدًا لهواك، فإن الهوى يهوي بصاحبه في جهنم: ﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾﴾ [النازعات: ٣٧-٤١].

فالنفوس تتفاوت في المجاهدة والأعمال الصالحة بحسب العلم والجهل،

وبحسب الإيمان والكفر، وبحسب اليقين والشك، ومن جاهد فإنما يجاهد لنفسه: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾﴾ [العنكبوت: ٦٩].

والدنيا دارُ الجهد والمجاهدة، ودارُ السباق والمسارعة إلى كل عمل صالح، ابتغاء مرضات الله: ﴿۞ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ [آل عمران: ١٣٣-١٣٤].

فجاهد نفسك على القيام بالعبادة، والدعوة، وتعليم شرع الله، والإحسان إلى خلق الله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ ۚ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ۚ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ ۖ فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴿٧٨﴾﴾ [الحج: ٧٧-٧٨].

٤ - الأسباب المعينة على مجاهدة النفس

الأول: الاستعانة بالله ﷻ، فمن استعان بالله أعانه على امتثالِ أوامره، واجتناب نواهيه: ﴿هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [غافر: ٦٥].

الثاني: دعاء الله ﷻ أن يوفقه لفهم دينه، والعمل بشرعه، والثبات عليه: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾ [البقرة: ١٨٦].

الثالث: معرفة فضائل الأعمال الصالحة فرضها ونفلها، ومعرفة عقوبات المعاصي الكبائر والصغائر: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾﴾ [النساء: ١٣-١٤].

الرابع: الإكثار من ذكر الله ﷻ، فمن أكثر من ذكر الله أحبه، وخافه ورجاه، وأطاعه ولم يعصه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾﴾ [الأحزاب: ٤١-٤٣].

الخامس: تَذَكّر الجنة وما فيها من النعيم لمن أطاع الله ورسوله، وتذكّر النار وما فيها من العذاب لمن عصى الله ورسوله كما قال الله سبحانه عن ثواب المؤمنين: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ

فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٧٢﴾﴾ [التوبة: ٧٢].

وقال الله ﷻ عن وعيد الكفار والمنافقين: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلۡكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ هِيَ حَسۡبُهُمۡۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُۖ وَلَهُمۡ عَذَابٞ مُّقِيمٞ ﴿٦٨﴾﴾ [التوبة: ٦٨].

السادس: تذكر الموت وسكراته، وما بعده من الأهوال والحساب: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ﴿٢٨١﴾﴾ [البقرة: ٢٨١].

السابع: ملازمة البيئات الإيمانية، ومجالس الذكر والوعظ والعلم، فمن لزم ذلك استنار قلبه، وزاد إيمانه، وحسنت عبادته: ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا ﴿٢٨﴾﴾ [الكهف: ٢٨].

الثامن: الانقطاع عن أهل الفسوق والمعاصي والمنكرات، فلحصول الهداية لابد أن أكون مع المؤمنين الذاكرين، وللثبات على الهداية لا بد من الانقطاع عن بيئة العصاة والغافلين: ﴿وَإِذَا رَأَيۡتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيۡرِهِۦۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَلَا تَقۡعُدۡ بَعۡدَ ٱلذِّكۡرَىٰ مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٨﴾﴾ [الأنعام: ٦٨].

التاسع: الحرص على أداء الفرائض في أوقاتها، وأداء النوافل بأنواعها، من صلاة، أو صدقة، أو صيام، أو غيرها من الطاعات والقربات.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:" إنَّ اللهَّ قالَ: مَن عادَى لي ولِيًّا فقَدْ آذَنْتُهُ بالحَرْبِ، وما تَقَرَّبَ إلَيَّ عَبْدِي بشيءٍ أحَبَّ إلَيَّ ممَّا افْتَرَضْتُ عليه، وما يَزالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إلَيَّ بالنَّوافِلِ حتَّى أُحِبَّهُ، فإذا أحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الذي يَسْمَعُ به، وبَصَرَهُ الذي يُبْصِرُ به، ويَدَهُ الَّتي يَبْطِشُ بها، ورِجْلَهُ الَّتي يَمْشِي بها، وإنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، ولَئِنِ اسْتَعاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ، وما تَرَدَّدْتُ عن شيءٍ أنا فاعِلُهُ تَرَدُّدِي عن نَفْسِ المُؤْمِنِ، يَكْرَهُ المَوْتَ وأنا أكْرَهُ مَساءَتَهُ". أخرجه البخاري (١).

العاشر: الإكثار من التوبة والاستغفار في كل وقت، وصِدق التوكل على الله ﷻ: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦۚ قَدۡ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيۡءٖ قَدۡرٗا ۝٣﴾[الطلاق:٢-٣].

الحادي عشر: مطالعة سيرة الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام، وسيرة أتباعهم المؤمنين، وما هم عليه من حسن الاستقامة، وقوة المجاهدة، لنجاهد أنفسنا على سلوك مسلكهم، واتباع طريقتهم: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًاۖ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰلَمِينَ ۝٩٠﴾[الأنعام:٩٠].

الثاني عشر: التّسلّح بسلاح الصبر، فمن صبر على جهاد نفسه وهواه وشيطانه، غلبهم وانتصر عليهم، فيصبر على فعل المأمورات الشرعية، ويصبر على اجتناب المناهي الشرعية، ويصبر على أقدار الله المؤلمة، وتحمُّل الأذى في سبيل الله، وبذلك ينال الأجور العظيمة التي لأحدلها،كما قال سبحانه﴿ قُلۡ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ لِلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٞۗ وَأَرۡضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌۗ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٖ ۝١٠﴾[الزمر: ١٠].

---

(١)أخرجه البخاري برقم (٦٥٠٢).

فهنيئاً لكل مؤمن صابر: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ۗ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [البقرة: ١٥٥-١٥٧].

الثالث عشر: اتخاذ الشيطان عدوًا للإنسان: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿٦﴾﴾ [فاطر: ٦].

الرابع عشر: عدم رضا المسلم عن نفسه، وسوء الظنّ بالنفس مهما اجتهدت في الطاعات: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُولَٰئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ ﴿٦١﴾﴾ [المؤمنون: ٦٠-٦١].

الخامس عشر: الحرص على متابعة النبي ﷺ في أقواله وأعماله وأخلاقه: ﴿فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾﴾ [الأعراف: ١٥٨].

٥ - ثمرات المجاهدة

الأولى: الفوز بمعية الله، والهداية إلى سبيل الله: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٦٩﴾ [العنكبوت:٦٩].

الثانية: الثبات على الحق، فمن جاهد نفسه على امتثال أوامر الله، واجتناب نواهيه؛ ثبته الله أمام الفتن، وحفظه من الزيغ والزلل: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦۚ قَدۡ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيۡءٖ قَدۡرٗا ٣﴾ [الطلاق:٢-٣].

الثالثة: طمأنينة القلب، والرضا عن الرب: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ٢٨ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمۡ وَحُسۡنُ مَـَٔابٖ ٢٩﴾ [الرعد:٢٨-٢٩].

الرابعة: الفوز بمحبة الله لأهل الاستقامة، الذين يحافظون على الفرائض والنوافل في ليلهم ونهارهم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ٥٤﴾ [المائدة: ٥٤].

الخامسة: قهر النفس، وتزكيتها بالأعمال الصالحة، وتطهيرها من الذنوب والمعاصي: ﴿وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا ٧ فَأَلۡهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقۡوَىٰهَا ٨ قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ٩ وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ١٠﴾ [الشمس:٧-١٠].

السادسة: الترقي في درجات الاستقامة، والوصول إلى درجات الصديقين والشهداء والصالحين: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ٦٩ ذَٰلِكَ ٱلۡفَضۡلُ مِنَ ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمٗا ٧٠﴾ [النساء:٦٩-٧٠].

السابعة: الفوز بمعية الله وحفظه وتأييده: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ١٢٨﴾ [النحل:١٢٨].

الثامنة: فِرار الشيطان من المجاهدين في سبيل الله، فمن انتصر على عدوه الداخلي وهي نفسه، نصره الله على عدوه الخارجي وهو الشيطان وأولياؤه: ﴿إِنَّهُۥ لَيۡسَ لَهُۥ سُلۡطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ٩٩ إِنَّمَا سُلۡطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوۡنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشۡرِكُونَ ١٠٠﴾ [النحل: ٩٩-١٠٠].

التاسعة: حصول السعادة للعبد في الدنيا والآخرة: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ٣٠ نَحۡنُ أَوۡلِيَآؤُكُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَشۡتَهِيٓ أَنفُسُكُمۡ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ٣١ نُزُلٗا مِّنۡ غَفُورٖ رَّحِيمٖ ٣٢﴾ [فصلت: ٣٠-٣٢].

العاشرة: الفوز بالجنة، والنجاة من النار، يوم القيامة: ﴿كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوۡنَ أُجُورَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۖ فَمَن زُحۡزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدۡخِلَ ٱلۡجَنَّةَ فَقَدۡ فَازَۗ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ ١٨٥﴾ [آل عمران: ١٨٥].

اللهم اهدنا فيمن هديت، وعافنا فيمن عافيت، وتولنا فيمن توليت، وقنا برحمتك واصرف عنا شر ما قضيت، فإنك تقضي ولا يقضى عليك.

﴿رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٢٣﴾ [الأعراف: ٢٣].

﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ حَسَنَةٗ وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ٢٠١﴾ [البقرة: ٢٠١].

عبادات القلوب

في ضوء القرآن والسنة

العبادة السابعة والأربعون

عبادة التفكر في مخلوقات الله ﷻ

وتشتمل هذه العبادة العظيمة على المباحث الآتية :

الأول : فقه التفكر في مخلوقات الله ﷻ.

الثاني : أنواع التفكر في مخلوقات الله ﷻ.

الثالث : ثمرات التفكر .

الرابع : تفاوت الناس في التفكر.

العبادة السابعة والأربعون

عبادة التفكر في مخلوقات الله ﷻ

١ - فقه التفكر في مخلوقات الله ﷻ

التفكر في مخلوقات الله ﷻ وآياته من أعظم العبادات القلبية التي تزيد الإيمان في القلب، وتثمر تعظيم الرب و محبته، وحمده وشكره، وعبادته بكمال الحب والتعظيم والذل له: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾﴾ [آل عمران: ١٩٠-١٩١].

وعبادة النظر والتفكر هي إعمال العقل في التفكر في عظمة مخلوقات الله، من سماء وأرض، وسهول وجبال، وبحار وأنهار، وجماد ونبات، وإنسان وحيوان.

والتفكر في عظمة آيات الله من ليل ونهار، وحر وبرد، وحياة وموت، وتصريف وتدبير، والتفكر في عظمة الله وسعة رحمته، وعظمة ملكه، وعظمة نعمه، ونحو ذلك من المخلوقات والآيات: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾﴾ [البقرة: ١٦٤].

والنظر والتفكر في آيات الله ومخلوقاته من مقتضيات الإيمان بأسماء الله الحسنى، ومن لوازم الإيمان بأسماء الله العليم، الخبير، الحكيم، الخالق، البارئ، المصور: ﴿قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِى ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾﴾ [يونس: ١٠١].

ومن تفكر في مخلوقات الله ﷻ،وتدبر آيات الله، رأى عظمة قدرة الله، وعظمة ملكه، وعظمة خزائنه، فزاد إيمانه بعظمة من يعبد، وعظُم يقينه، وزاد حبه لربه، فاشتغل بذكر الله، وشكره، وحسن عبادته :﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٨﴾﴾[ق:٦-٨].

وعبادة التفكر من أعظم العبادات القلبية، وثمراتها ليس لها حد، والعبد مأمور بهذه العبادة في كل وقت، في الليل والنهار، في حال الصحة والمرض، في حال القوة والضعف، في حال الشدة والرخاء، في حال الغنى والفقر :﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾﴾[آل عمران: ١٩٠-١٩١].

وكان النَّبيُّ ﷺيقرأ هذه الآيات إلى أخر السورة إذا قام لصلاة التهجد في الليل، ويتلو هذه الآيات العظيمة قبل قيام الليل، لكي يدخل في صلاة التهجد بقلب حاضر خاشع، متفكر في عظمة من يقف بين يديه.

وكان ﷺيقول عنها: « وَيْلٌ لمِن قَرَأَهَا وَلَم يَتَفَكَّرْ فِيهَا » أخرجه ابن حبان [1].

النظر، والتفكر، والتدبر، والخشوع، والخشية، هو روح الصلاة، وجسدها القيام والقعود، والركوع والسجود :﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾﴾[المؤمنون:١-٣].

وركعتان في تفكر خير من قيام ليلة والقلب ساه لاه في أودية أماني الدنيا :﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ﴿٦﴾ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ﴿٧﴾﴾[الماعون:٤-٧].

إن عبادة التفكر في هذا الكون العظيم، وما فيه من أنواع المخلوقات العلوية

---

(١) **صحيح**، أخرجه ابن حبان برقم (٦٢٠) .

والسفلية، الكبيرة والصغيرة، الساكنة والمتحركة، من أعظم عبادات القلوب التي تملأ القلب بالتوحيد والإيمان، وحب الله وتمجيده، والخوف منه، والرجاء له، والطمع في ثوابه، وحمده وشكره، والتوكل عليه، والإنابة إليه، والتسليم لأمره: ﴿قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَا تُغۡنِي ٱلۡأٓيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ ١٠١﴾ [يونس:١٠١].

عبادة التفكر في مخلوقات الله ﷻ هي أعظم وأسهل وأقرب الطرق لمعرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله، فمن تفكر في هذه المخلوقات العظيمة تجاوزها إلى خالقها، ومن نظر في صور المخلوقات المختلفة تجاوزها إلى المصور، ومن تفكر في عظمة إبداع هذه المخلوقات تجاوزها إلى البديع الذي أبدعها، فآمن به، وانقاد لأمره، ووقف ببابه، وعبده وحده لا شريك له، وقام بين يديه بكمال الحب والتعظيم والذل له: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٞ وَلَمۡ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٞۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ١٠١ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ١٠٢ لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ١٠٣﴾[الأنعام:١٠١-١٠٣].

وعبادة النظر و التفكر في مخلوقات الله ﷻ، وآياته العظيمة، تثمر للعبد كمال التوحيد لله، وزيادة الإيمان، وكمال اليقين، والإكثار من ذكر الله وتسبيحه، وحمده وشكره، وحسن عبادته بكمال الحب والتعظيم والذل له: ﴿أَفَلَمۡ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوۡقَهُمۡ كَيۡفَ بَنَيۡنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٖ ٦ وَٱلۡأَرۡضَ مَدَدۡنَٰهَا وَأَلۡقَيۡنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ ٧ تَبۡصِرَةٗ وَذِكۡرَىٰ لِكُلِّ عَبۡدٖ مُّنِيبٖ ٨﴾[ق:٦-٨].

والعقل آلة الفكر والتدبر، كما أن العين آلة البصر، والأذن آلة السمع، واللسان آلة الكلام، والقلب آلة الإيمان والكفر، والتوحيد والشرك، والحب والبغض، والجوارح آلة الأعمال .

فمن أوصله فكره ونظره في مخلوقات الله إلى مولاه، فآمن بالله، واتبع هداه، سار إلى ربه على صراط مستقيم، فوصل إلى رضوان الله و الجنة :﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾﴾[المائدة:١٥-١٦].

ومن لم يستعمل فكره وعقله في التفكر في مخلوقات الله ﷻ، واشتغل بشهوات نفسه عن تحقيق مراد ربه، وعطل ما وهبه الله من عقل وفكر عن النظر في ملكوت الله العظيم، فذلك أضل من الأنعام، ومصيره إلى جهنم في دار القرار : ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾﴾[الأعراف:١٧٩].

وأكثر الخلق غافلون عن عبادة التفكر والنظر في مخلوقات الله ﷻ، والتي أمر الله بها جميع بني آدم بقوله :﴿ قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِى ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾﴾[يونس:١٠١].

فالخلق يدل على الخالق، والصور تدل على المصور، والأرزاق تدل على الرازق، والرحمة تدل على الرحمن، والإحكام يدل على الحكيم... وهكذا .

وأنكر سبحانه على من عطل عبادة النظر والتفكر في مخلوقات الله وآياته بقوله : ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٨﴾﴾[ق:٦-٨].

وقوله سبحانه :﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾ فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ

﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾ إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ﴿٢٣﴾ فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَكْبَرَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾﴾[الغاشية:١٧-٢٦].

وأعظم شيء يزيد الإيمان في القلب؛ هو عبادة التفكر التي تزيد الإيمان، والأعمال الصالحة .

وأعظم شيء في الدين بعد الإيمان هو الدعوة إلى الله التي تزيد مساحة الإسلام، وعدد المسلمين في العالم: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾[فصلت:٣٣].

وقد صرف الشيطان أكثر الخلق عن عبادة النظر والتفكر في مخلوقات الله، التي تزيد الإيمان، إلى إعمال الفكر في الصناعات البشرية التي تُشغل العبد عن عبادة ربه، وفي تطوير الأسلحة التي تُدمر البشرية، وتهلك الحرث والنسل :﴿ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِم ۗ مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ بِلِقَآئِ رَبِّهِمْ لَكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾﴾[الروم:٧-٨].

وصَرف الشيطان كذلك أكثر المسلمين عن الدعوة إلى الله، التي هي أعظم حقوق الله على عباده بعد الإيمان، وأشغلهم بالشهوات البهيمية عن جهد دعوة البشرية إلى الإسلام :﴿وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ ۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا ﴿١٢١﴾﴾[النساء:١١٩-١٢١].

الشيطان عدو لبني آدم، لا يريد أن يزيد إيمانهم، فتزيد أعمالهم الصالحة، ولا يُريد الدعوة إلى الله التي تزيد الذين يعبدون الله وحده لا شريك له .

وقد حذرنا الله عز وجل من الشيطان، وخطواته، ومكره، وكيده فقال :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٠٨﴾﴾[البقرة:٢٠٨].

وقال ﷻ: ﴿۞ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ ٱعْبُدُونِى ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا ۖ أَفَلَمْ تَكُونُوا۟ تَعْقِلُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [يس: ٦٠-٦٢].

إن عبادة النظر والتفكر في مخلوقات الله وآياته من أعظم العبادات القلبية التي تزيد الإيمان في قلب العبد، وإذا زاد الإيمان زادت الأعمال الصالحة، والأقوال الحسنة، وظهرت الأخلاق الكريمة، والعبادات العظيمة، وهذا مراد الله من خلقه.

فمن نظر وتفكر في هذا الكون العظيم علم أن خالقه رب عظيم، و إله رحيم، وملك كريم، له الأسماء الحسنى، والصفات العلا، والأفعال الحميدة: ﴿قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِى ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾﴾ [يونس: ١٠١].

وقال الله ﷻ معرفاً عباده بأسمائه و صفاته وأفعاله: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾ [الحشر: ٢٢-٢٤].

فمن نظر إلى السماء في حُسنها، وجمالها، وسعتها، وعظمتها، وارتفاعها، وثباتها، واستقرارها، عرف أن الذي خلقها رب عظيم، قوي، قادر، حكيم: ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾﴾ [ق: ٦].

وقال الله ﷻ: ﴿ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ ۚ بَنَىٰهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا ﴿٢٨﴾ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا ﴿٢٩﴾﴾ [النازعات: ٢٧-٢٩].

وقال الله ﷻ: ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْي۟دٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾﴾ [الذاريات: ٤٧].

والسماوات السبع العظيمة محيطة بالأرض، وكل سماء مملوءة بالملائكة الذين يسبحون الليل والنهار لا يفترون: ﴿وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَنْ عِندَهُۥ لَا

﴿يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسۡتَحۡسِرُونَ ١٩ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفۡتُرُونَ ٢٠﴾ [الأنبياء:١٩-٢٠].

ومن آيات الله العظيمة خلق الأرض، وما جعل الله فيها من السهول والجبال، والبحار والأنهار، والأقوات والأرزاق، والجمادات والمعادن، والنباتات والحيوانات وغير ذلك من المخلوقات الكبيرة والصغيرة: ﴿وَٱلۡأَرۡضَ مَدَدۡنَٰهَا وَأَلۡقَيۡنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ ٧ تَبۡصِرَةٗ وَذِكۡرَىٰ لِكُلِّ عَبۡدٖ مُّنِيبٖ ٨﴾ [ق:٧-٨].

ويسر الله الأرض لعباده فجعلها لهم ذلولا يمشون في مناكبها، ويأكلون من أرزاقه التي بث فيها، وجعلها قرارا لهم، لا تميد ولا تضطرب بهم، وجعلها كفاتا للخلق أحياءً وأمواتًا: ﴿هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ ذَلُولٗا فَٱمۡشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزۡقِهِۦۖ وَإِلَيۡهِ ٱلنُّشُورُ ١٥﴾ [الملك:١٥].

وقال الله ﷻ: ﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٖ مُّخۡتَلِفًا أَلۡوَٰنُهَاۚ وَمِنَ ٱلۡجِبَالِ جُدَدُۢ بِيضٞ وَحُمۡرٞ مُّخۡتَلِفٌ أَلۡوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٞ ٢٧ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ مُخۡتَلِفٌ أَلۡوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَۗ إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ٢٨﴾ [فاطر:٢٧-٢٨].

والرب العظيم الذي خلق هذه المخلوقات العظيمة، هو الرب الذي يستحق العبادة وحده لا شريك له، ويستحق أن يُطاع فلا يُعصى، ويُذكر فلا يُنسى، ويُشكر ولا يكفر: ﴿۞قُلۡ أَئِنَّكُمۡ لَتَكۡفُرُونَ بِٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡأَرۡضَ فِي يَوۡمَيۡنِ وَتَجۡعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادٗاۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٩ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ مِن فَوۡقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقۡوَٰتَهَا فِيٓ أَرۡبَعَةِ أَيَّامٖ سَوَآءٗ لِّلسَّآئِلِينَ ١٠ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٞ فَقَالَ لَهَا وَلِلۡأَرۡضِ ٱئۡتِيَا طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهٗا قَالَتَآ أَتَيۡنَا طَآئِعِينَ ١١ فَقَضَىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَاتٖ فِي يَوۡمَيۡنِ وَأَوۡحَىٰ فِي كُلِّ سَمَآءٍ أَمۡرَهَاۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفۡظٗاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ١٢﴾ [فصلت:٩-١٢].

فهذا هو الرب العظيم الذي يستحق العبادة وحده لا شريك له :﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ٢١ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٢٢﴾[البقرة:٢١-٢٢].

وَقَالَ الله ﷻعن عظمة خلق هذا الإنسان، وعظمة خلق النباتات والأشجار، والزروع المختلفة :﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّنَ ٱلۡبَعۡثِ فَإِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ مِنۡ عَلَقَةٖ ثُمَّ مِن مُّضۡغَةٖ مُّخَلَّقَةٖ وَغَيۡرِ مُخَلَّقَةٖ لِّنُبَيِّنَ لَكُمۡۚ وَنُقِرُّ فِي ٱلۡأَرۡحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى ثُمَّ نُخۡرِجُكُمۡ طِفۡلٗا ثُمَّ لِتَبۡلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمۡۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرۡذَلِ ٱلۡعُمُرِ لِكَيۡلَا يَعۡلَمَ مِنۢ بَعۡدِ عِلۡمٖ شَيۡـٔٗاۚ وَتَرَى ٱلۡأَرۡضَ هَامِدَةٗ فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡ وَأَنۢبَتَتۡ مِن كُلِّ زَوۡجِۢ بَهِيجٖ ٥ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٦ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٞ لَّا رَيۡبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبۡعَثُ مَن فِي ٱلۡقُبُورِ ٧﴾[الحج:٥-٧].

ثم أنظر وتفكر يا عبد الله فيما على هذه الأرض من أنواع المخلوقات، وأجناس البريات في البر والبحر والجو؛ من عالم الجماد، وعالم النبات، وعالم الحيوان، وعالم الطير، وعالم الإنسان، وعالم الجن، وعالم الملائكة، وعالم الذرات:﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ١٠٢ لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ١٠٣﴾[الأنعام:١٠٢-١٠٣].

ثم انظر وتفكر فيما بين السماء والأرض من المخلوقات العظيمة، من الشمس والقمر، والنجوم والكواكب، والليل والنهار، والذرات والمجرات، والنور والظلام، والحر والبرد، والسحب والرياح :﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيۡلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُۚ لَا تَسۡجُدُواْ لِلشَّمۡسِ وَلَا لِلۡقَمَرِ وَٱسۡجُدُواْۤ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ٣٧﴾[فصلت:٣٧].

وَقَالَ اللهُ عَجَلَّ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۚ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا ۚ كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ﴿٥٨﴾﴾[الأعراف:٥٧-٥٨].

وَقَالَ اللهُ عَجَلَّ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾ لِّنُحْـِۧىَ بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا وَنُسْقِيَهُۥ مِمَّا خَلَقْنَآ أَنْعَٰمًا وَأَنَاسِىَّ كَثِيرًا ﴿٤٩﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَٰهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا۟ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٥٠﴾﴾[الفرقان:٤٨-٥٠].

فسبحان الرب العظيم الذي خلق السموات السبع، والأراضين السبع، وخلق ما بينهما من المخلوقات، وسبحان من خلق الشمس والقمر والليل والنهار، وأجراهما في الكون بقدرته ورحمته وحكمته: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ ۖ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٧٢﴾ وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾﴾[القصص:٧١-٧٣].

إن عبادة النظر والتفكر في مخلوقات الله من أعظم عبادات القلوب التي تزيد الإيمان في القلب، وتُرسخ اليقين، وتثمر خشية الله وتقواه، وعبادته وحده لا شريك له، وتُثمر تعظيمه وتكبيره، وكمال حمده وشكره: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾[فاطر:٢٨].

فالتفكر في مخلوقات الله من أعظم صفات الأنبياء والمرسلين وأتباعهم من المؤمنين: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾﴾ [آل عمران: ١٩٠-١٩١].

ومن تفكر في مخلوقات الله وآياته عَلِمَ عظمة قدرة الله، وكمال حكمته، وواسعه رحمته، وعظمة ملكه: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَاۖ وَأَلۡقَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمۡ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٖۚ وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡجٖ كَرِيمٍ ١٠ هَٰذَا خَلۡقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ١١﴾[لقمان:١٠-١١].

وما في الكون من آيات ومخلوقات، ودلائل وعِبر، وحُجج وبراهين كافٍ لمعرفة الناس بربهم وأسمائه وصفاته وأفعاله؛ ولكن الله لكمال رحمته بخلقه أرسل إليهم الرسل، وأنزل عليهم الكتب، وشرع لهم الشرائع، وزودهم بالأسماع والأبصار والعقول، ليعرفوا ربهم، والدين الذي أكرمهم به، وما لهم بعد القدوم عليه يوم القيامة: ﴿**لَقَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ بَعَثَ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ١٦٤**﴾[آل عمران:١٦٤].

فما أعظم دلائل الوحدانية والربوبية والألوهية في هذا الكون العظيم: ﴿**أَلَمۡ نَجۡعَلِ ٱلۡأَرۡضَ مِهَٰدٗا ٦ وَٱلۡجِبَالَ أَوۡتَادٗا ٧ وَخَلَقۡنَٰكُمۡ أَزۡوَٰجٗا ٨ وَجَعَلۡنَا نَوۡمَكُمۡ سُبَاتٗا ٩ وَجَعَلۡنَا ٱلَّيۡلَ لِبَاسٗا ١٠ وَجَعَلۡنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشٗا ١١ وَبَنَيۡنَا فَوۡقَكُمۡ سَبۡعٗا شِدَادٗا ١٢ وَجَعَلۡنَا سِرَاجٗا وَهَّاجٗا ١٣ وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡمُعۡصِرَٰتِ مَآءٗ ثَجَّاجٗا ١٤ لِّنُخۡرِجَ بِهِۦ حَبّٗا وَنَبَاتٗا ١٥ وَجَنَّٰتٍ أَلۡفَافًا ١٦ إِنَّ يَوۡمَ ٱلۡفَصۡلِ كَانَ مِيقَٰتٗا ١٧**﴾[النبأ:٦-١٧].

٢ - أنواع التفكر في مخلوقات الله ﷻ

الأول: التفكر في عظمة خلق السموات والأرض، وما عليهما، وما بينهما.

فإن عظمة المخلوقات تدل على عظمة خالقها، ومن عرف العظيم عَظمه، ومن عرف الكبير كبره، ومن عرف الغني سأله، ومن عرف الكريم أحبه، ومن عرف الرزاق شكره: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١٩٠﴾ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٩١﴾﴾ [آل عمران: ١٩٠-١٩١].

والتفكر في رفع السموات العظيمة، وإمساك السموات والأرض أن تزولا: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا ۚ وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ ۚ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤١﴾﴾ [فاطر: ٤١].

الثاني: التفكر في تدبير وتصريف الله لما في الكون من مخلوقات عظيمة، وآيات كبيرة كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾﴾ [البقرة: ١٦٤].

الثالث: التفكر فيما بين السماء والأرض من المخلوقات العظيمة في حجمها وحركتها، وقوتها وكثرتها، وتعاقبها وسيرها، من شمس وقمر، ونجوم وكواكب، وهواء ورياح، ونور وظلام، وحر وبرد: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [فصلت: ٣٧].

ومن تفكر في ذلك عرف أن ربه ملك، قادر، حكيم، رحيم، فآمن به، وأحبه،وامتثل أوامره، واجتنب نواهيه : ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأعراف:٥٤].

الرابع: التفكر في بناء السماء، ومَد الأرض، وما في الأرض من السهول والجبال، والبحار والأنهار، وأنواع الأشجار والثمار والزروع :﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٨﴾ وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّٰتٍ وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ ﴿٩﴾ وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ﴿١٠﴾ رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ ۖ وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ ﴿١١﴾﴾[ق:٦-١١].

وقال الله ﷻ: ﴿يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٤﴾﴾[النور:٤٤].

والرب الذي هذه أسماؤه وصفاته وأفعاله هو الرب العظيم الذي يستحق العبادة وحده لا شريك له :﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴿٢﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنْهَٰرًا ۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣﴾ وَفِى ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾﴾[الرعد:٢-٤].

الخامس: التفكر في إنزال الماء من السماء، و ما ينبت به من الزروع والأشجار، وما يخرج بسببه من أنواعالحبوبوالثمار :﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً ۖ لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرْعَ وَٱلزَّيْتُونَ

وَٱلنَّخِيلَ وَٱلْأَعْنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾﴾[النحل:١٠-١١].

السادس: التفكر في عظمة خلق الإنسان ظاهرا و باطنا :﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمْۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾﴾[الذاريات:٢١].

فما أعظم الخالق الذي خلق هذا الإنسان: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾﴾[المؤمنون:١٢-١٦].

السابع: التفكر في الوفاة الكبرى بالموت، والوفاة الصغرى بالنوم :﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَاۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّىۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾﴾ [الزمر:٤٢].

الثامن: التفكر في الحياة الزوجية، وما جعل الله بين الزوجين من المودة والرحمة،والأنس والسكينة : ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةًۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الروم:٢١].

التاسع: التفكر في مخلوقات الله العظيمة في العالم العلوي، والعالم السفلي:﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾﴾[الغاشية:١٧-٢٠].

العاشر: التفكر في عظمة خلق النحل، وما يخرج منه من العسل الشهي، مختلف الألوان والطعوم :﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِي مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ

﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسۡلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلٗاۚ يَخۡرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٞ مُّخۡتَلِفٌ أَلۡوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٞ لِّلنَّاسِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٦٩﴾﴾[النحل:٦٨-٦٩].

الحادي عشر: التفكر في تسخير ما في السموات والأرض وما بينهما لخدمة وإسعاد هذا الإنسان: ﴿أَلَمۡ تَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَأَسۡبَغَ عَلَيۡكُمۡ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةٗ وَبَاطِنَةٗۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَلَا هُدٗى وَلَا كِتَٰبٖ مُّنِيرٖ ﴿٢٠﴾﴾[لقمان:٢٠].

وقال سبحانه: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مِّنۡهُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٣﴾﴾[الجاثية:١٣].

فالله ﷻ سخر هذه المخلوقات للإنسان تسخيرين:

تسخير تعريف لِنؤمن بالله، وتسخير تكريم لِنشكره على إنعامه وإحسانه: ﴿مَّا يَفۡعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمۡ إِن شَكَرۡتُمۡ وَءَامَنتُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمٗا ﴿١٤٧﴾﴾ [النساء:١٤٧].

الثاني عشر: التفكر في بداية الخلق ونهايته وإعادته: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهۡوَنُ عَلَيۡهِۚ وَلَهُ ٱلۡمَثَلُ ٱلۡأَعۡلَىٰ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٢٧﴾﴾[الروم:٢٧].

وقال الله ﷻ: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَآءٍ أَنزَلۡنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخۡتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلۡأَرۡضِ مِمَّا يَأۡكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلۡأَنۡعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلۡأَرۡضُ زُخۡرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتۡ وَظَنَّ أَهۡلُهَآ أَنَّهُمۡ قَٰدِرُونَ عَلَيۡهَآ أَتَىٰهَآ أَمۡرُنَا لَيۡلًا أَوۡ نَهَارٗا فَجَعَلۡنَٰهَا حَصِيدٗا كَأَن لَّمۡ تَغۡنَ بِٱلۡأَمۡسِۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾﴾[يونس:٢٤].

الثالث عشر: التفكر في الدنيا وسرعة زوالها، والتفكر في الآخرة ودوامها: ﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا لَهۡوٞ وَلَعِبٞۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ لَهِيَ ٱلۡحَيَوَانُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ﴿٦٤﴾﴾[العنكبوت:٦٤].

الرابع عشر : التفكر في سوء عاقبة الكفار، وأعداء الرسل الذين أهلكهم الله عز وجل: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [هود:١٠٢].

وقال الله ﷻ عن الكفار الذين كذبوا الرسل، وأصروا على كفرهم: ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [العنكبوت:٤٠].

ومن تفكر في ذلك أيقن بعظمة ربه، وعظمة قدرته، وكمال رحمته، وأطاع ربه، واجتنب ما نهى الله عنه: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال:٢-٤].

الخامس عشر: التفكر في قصص الأنبياء والرسل، وكيف نصرهم الله، ومن آمن بهم، وخذل أعداءهم: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾﴾ [الحج:٤٠-٤١].

وَقَالَ الله ﷻ: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴿٥١﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ ۖ وَلَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٥٢﴾﴾ [غافر:٥١-٥٢].

السادس عشر : التفكر في قيام الساعة، وأهوال يوم القيامة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ

عَمَّآ أَرۡضَعَتۡ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمۡلٍ حَمۡلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٞ ٢﴾[الحج:١-٢].

وقال عز وجل: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ٢٨١﴾[البقرة:٢٨١].

السابع عشر: التفكر في الجنة، وما فيها من أنواع النعيم، والتفكر في النار وما فيها من أنواع العذاب: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنۡهَا مِن ثَمَرَةٖ رِّزۡقٗا قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِي رُزِقۡنَا مِن قَبۡلُۖ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهٗاۖ وَلَهُمۡ فِيهَآ أَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞۖ وَهُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٢٥﴾[البقرة:٢٥].

وقال الله عز وجل عن الكفار: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلۡكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ هِيَ حَسۡبُهُمۡۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُۖ وَلَهُمۡ عَذَابٞ مُّقِيمٞ ٦٨﴾[التوبة:٦٨].

ومن تفكر في هذه وهذه خاف ربه ورجاه، وأطاعه ولم يعصه.

الثامن عشر: التفكر في آيات القرآن الكريم، وما فيها من الإحكام والإتقان، والأخبار الصادقة، والأوامر العادلة: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ أَمۡ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقۡفَالُهَآ ٢٤﴾[محمد:٢٤].

وقال الله عز وجل: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَۚ وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا ٨٢﴾[النساء:٨٢].

وقال الله عز وجل: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٢٩﴾ [ص:٢٩].

التاسع عشر: التفكر في عظمة أسماء الله وصفاته وأفعاله، وعظمة قوته وقدرته، وسعة علمه، وكمال إحاطته، وعظمة ملكه وسلطانه، وكمال غناه وكرمه وإحسانه.

﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ

مَن ذَا ٱلَّذِى يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾﴾[البقرة:٢٥٥].

وقال الله ﷻ: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلۡأَمۡرُ بَيۡنَهُنَّ لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا ﴿١٢﴾﴾[الطلاق:١٢].

وقال الله ﷻ: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦ وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾[الزمر:٦٧].

العشرون: التفكر في سعة رحمة الله، وكمال لطفه بعباده، وجميل إحسانه إلى خلقه، وعظمة حلمه على عباده، وسعة مغفرته وعفوه: ﴿رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا فَٱغۡفِرۡ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ ﴿٧﴾﴾[غافر:٧].

وقال ﷻ: ﴿وَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾﴾[البقرة:١٦٣].

ومن هذه أسماؤه وصفاته وأفعاله، هو وحده الذي يستحق العبادة وحده لا شريك له، ويستحق الحب كله، والتعظيم كله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾[البقرة:٢١-٢٢].

هو سبحانه الرب العظيم الذي يستحق أن يُذكر فلا يُنسى، ويُطاع فلا يُعصى، ويُشكر فلا يُكفر: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٞ وَلَمۡ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٞۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴿١٠١﴾ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾[الأنعام:١٠١-١٠٣].

إن عبادة النظر والتفكر في آيات الله ومخلوقاته من أعظم العبادات القلبية التي

تملأ القلب إيمانًا بالله، وتوحيدًا لله، وحبًا لله، وتعظيمًا لله، وتكبيرًا لله، وذلًا لله، وافتقارًا إلى الله، وتمجيدًا لله، وخوفًا من الله، وحمدًا لله، وشكرًا لله، وثناءً على الله، ورغبة إلى الله: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال: ٢-٤].

و هذا الكون العظيم كله مظهر لأسماء الله الحسنى، وصفاته العلا، وأفعاله الحميدة، ونُعوته الجميلة: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾﴾ [الطلاق: ١٢].

وإذا عرفتم ذلك آمنتم بالله وحده، وعبدتموه وحده لا شريك له.

هو سبحانه الحي بجميع صفات الكمال والجلال والجمال: ﴿هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [غافر: ٦٥].

فلله الحمد على كمال جلاله وجماله، وعظمة خلقه وإبداعه: ﴿فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾﴾ [الجاثية: ٣٦-٣٧].

٣- ثمرات التفكــر

الأولى : التفكر في مخلوقات الله ﷻ يجدد الإيمان في القلب ويزيده، وإذا زاد الإيمان زادت الأعمال الصالحة : ﴿قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِى ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾﴾[يونس:١٠١].

الثانية : التفكر في مخلوقات الله يُثمر محبة الله ﷻ، لأن ثمرة المعرفة المحبة، ومحبة الله هي أصل العبودية وروحها.

فمن تفكر في عظمة ملك الله وسلطانه، وعظمة نعمه وإحسانه، وعظمة رحمته وحِلمه، أحبه وعبده وحده لا شريك له :﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾[يونس:٣].

الثالثة : عبادة التفكر تُثمر للعبد كمال التواضع لربه الملك العزيز الجبار، والذل لِعزته، والتصاغر لكبريائه : ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾[الحشر:٢٣-٢٤].

الرابعة : عبادة التفكر في مخلوقات الله ﷻ تُعرف العبد بأسماء الله الحسنى، وصفاته العلا، وأفعاله الجميلة، وتزيد إيمانه وحبه لله ﷻ: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾﴾[الطلاق:١٢].

الخامسة : عبادة التفكر تطلع العبد على أسرار الله في مخلوقاته، وحكمته في تدبيراته : ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٢﴾﴾[عبس:٢٤-٣٢].

ومن عرف ذلك آمن بالله وحده، وعبده وحده لا شريك له بكمال الحب والتعظيم والذل له .

السادسة : عبادة التفكر في مخلوقات الله تحْمِل العبد على حُسن الظن بالله ﷻ، لمِا يَراه في الكون من مظاهر قدرة الله، والإحسان إلى خلقه، وعظيم إنعامه : ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿٧﴾﴾[غافر:٧].

السابعة : عبادة التفكر في مخلوقات الله العظيمة تملأ قلب المؤمن بالخوف من الله جل جلاله، وعندما يحس العبد برقابة الله له فإنه يبتعد عن المعاصي، ولا يسقط في أنواع الفساد والجرائم : ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُولَٰئِكَ جَزَاؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿١٣٦﴾﴾[آل عمران:١٣٥-١٣٦].

الثامنة : عبادة التفكر في مخلوقات الله العظيمة تملأ قلب المؤمن بعظمة الله وكبريائه، وعظمة ملكه وسلطانه، فيكبر الله، ويخلص له العبادة، ويسارع إلى كل ما يحبه ربه ويرضاه : ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾[الأنفال:٢-٤].

التاسعة: عبادة التفكر في مخلوقات الله تحمل العبد على كثرة التوبة والاستغفار، لمِا يراه العبد من تقصيره في حقوق الله، في مقابل ما أكرمه الله به من أنواع البر والإحسان والتكريم، فيبعثه ذلك على كثرة الاستغفار من جهله بربه، وتقصيره في عبادته :﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦١﴾﴾ [غافر:٦١].

العاشرة : عبادة التفكر في مخلوقات الله تحمل العبد على كثرة الحمد والشكر لمولاه الكريم، لما يراه من تسخير النعم التي لا تُعد ولا تحصى لبني أدم،

المؤمن والكافر، والبر والفاجر، والمطيع والعاصي: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡۚ هَلۡ مِنۡ خَٰلِقٍ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ ٣﴾ [فاطر:٣].

الحادية عشرة: عبادة التفكر في مخلوقات الله تحْمِل العبد على الحياء من الله الذي يتقلب الإنسان في نعمه التي لا تعد ولا تحصى.

فالإنسان يسكن في مُلْك الله، ويتنعم بأنواع نِعمه، ويأكل من رزقه، فلا يليق به أن يعصي ربه في ملكه بنعمه التي أنعم الله بها عليه: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلۡفُلۡكَ لِتَجۡرِيَ فِي ٱلۡبَحۡرِ بِأَمۡرِهِۦۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلۡأَنۡهَٰرَ ٣٢ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ دَآئِبَيۡنِۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ ٣٣ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلۡتُمُوهُۚ وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَظَلُومٞ كَفَّارٞ ٣٤﴾ [إبراهيم:٣٢-٣٤].

الثانية عشرة: عبادة التفكر تُثمر للعبد العلم بعظمة قدرة الله ﷻ، وسعة علمه، وإحاطته بجميع مخلوقاته، ومن عرف ذلك آمن بربه، وخضع لعظمته، وانقاد لأمره: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّۖ يَتَنَزَّلُ ٱلۡأَمۡرُ بَيۡنَهُنَّ لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا ١٢﴾ [الطلاق:١٢].

الثالثة عشرة: التفكر يُثمر عِلم العبد بسِعَة رحمة الله، وسعة إحسانه إلى خلقه، وذلك يحمل العبد على حب الله، وحُسن الظن به، وحمده وشكره على سِعَة رحمته، وإحسانه إلى عبيده: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ٢١ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٢٢﴾ [البقرة:٢١-٢٢].

الرابعة عشرة: عبادة التفكر في مخلوقات الله تُعَرِّفُ العبد على عظمة الرب الذي يعبده، وتعرفه بضعف نفسه، وأنه فقير إلى ربه في كل شيء: ﴿يَٰٓأَيُّهَا

ﭐلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ﴿١٥﴾﴾ [فاطر:١٥].

الخامسة عشرة: التفكر يُثمر استقرار عظمة الله، وكمال قدرته، في قلب من نظر وتفكر في مخلوقات الله العظيمة في العالم العلوي، والعالم السفلي؛ وذلك يُثْمِر إخلاص العبادة لله وحده لا شريك له، وكمال الذل له، والفوز بأعظم ثوابه: ﴿إِنَّمَا يُؤۡمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِهَا خَرُّواْۤ سُجَّدٗاۤ وَسَبَّحُواْ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمۡ عَنِ ٱلۡمَضَاجِعِ يَدۡعُونَ رَبَّهُمۡ خَوۡفٗا وَطَمَعٗا وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [السجدة: ١٥-١٧].

السادسة عشرة: عبادة التفكر في مخلوقات الله ﷻ تُثمر للعبد تفرد رب العالمين بالخلق والتصوير، والتدبير والتصريف، والإنعام والإحسان، وذلك يثمر له الإيمان بالله ومحبته، و إخلاص العبادة له وحده لا شريك له: ﴿قُلۡ مَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أَمَّن يَمۡلِكُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَمَن يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَيُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُۚ فَقُلۡ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلۡحَقُّۖ فَمَاذَا بَعۡدَ ٱلۡحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُۖ فَأَنَّىٰ تُصۡرَفُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [يونس: ٣١-٣٢].

السابعة عشرة: النظر والتفكر في مخلوقات الله يثمر للعبد زيادة الإيمان، وكمال اليقين، لما يراه في ملكوت الله من عظمة الخلق والإبداع، والإتقان والإحكام، وسِعة رحمة الله، وعظمة نعمه وإحسانه، وكمال حِلمه وعفوه.

وإذا عرف العبد ذلك أحب ربه و عظمه وكبره، وحمده وشكره، وبكى من خشيته، وسجد لعظمته، وتصاغر لكبريائه: ﴿إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾ [فاطر: ٢٨].

الثامنة عشرة: عبادة التفكر في مخلوقات الله تحمل العبد على الاستغفار من جهله بربه، وجهله بأسمائه وصفاته وأفعاله.

وكلما زادت معرفة العبد بربه زاد إيمانه، وكثر استغفاره، وحَسُنت عبادته: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ

﴿وَمَثْوَىٰكُمْ ١٩﴾[محمد:١٩].

التاسعة عشرة: عبادة التفكر في مخلوقات الله ترفع درجات العبد، لأنه كلما زاد الإيمان، زادت الأعمال الصالحة، وبحسب قوة الإيمان والأعمال الصالحة ترتفع درجات العبد في الجنة: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ٣ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ٤﴾[الأنفال:٢-٤].

العشرون: عبادة التفكر في مخلوقات الله ﷻ تُثمر للمؤمن حب الله ﷻ، وحب الدعوة إليه، لما له من الأسماء الحسنى، والصفات العلا، والأفعال الحميدة: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ٣٣﴾[فصلت:٣٣].

٤ - تفاوت الناس في التفكر

الناس متفاوتون في عبادة النظر والتفكر، بحسب علمهم، و إيمانهم، وقُدُراتهم.

وبحسب العلم والإيمان تكون قوة الفكر، وقوة العبادة: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ (٩)﴾[الزمر:٩].

ومن كان بالله أعرف كان منه أخوف: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ (٢٨)﴾[فاطر:٢٨].

وبقدر العلم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله، والعلم بعظمة قوته وقدرته، والعلم بعظمة ملكه وسلطانه، والعلم بعظمة نِعمه وإحسانه، والعِلم بوعده ووعيده؛ تكون قوة الإيمان، وكمال اليقين، وقوة الأعمال،وكمال خشية الله وذلك يثمر رضوان الرب،وجزيل الثواب: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٢) الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (٣) أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ (٤)﴾[الأنفال:٢-٤].

فما أعظم دلائل التوحيد والإيمان في هذا الكون المفتوح لِلنَّظر والتفكر والتدبر، فأين من يتعبد لله بهذه العبادة العظيمة التي تثمر حب الله، وتوحيده، وعبادته وحده لا شريك له: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ (٢٠) وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (٢١) وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ (٢٢) وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ (٢٣) وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ

﴿٢٤﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ ۚ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ ﴿٢٥﴾ وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾[الروم: ٢٠-٢٦].

فلا إله إلا الله العظيم، الذي له ملك السموات والأرض وما فيهن وهو على كل شيء قدير: ﴿ قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾ بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِٱلْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾[المؤمنون: ٨٤-٩٠].

ومن تفكر في الخلق والأمر، والتدبير والتصريف، في العالم العلوي والسفلي، أيقن أن خالق تلك المخلوقات هو وحده الذي يستحق العبادة وحده لا شريك له: ﴿ عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ﴿١﴾ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢﴾ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ﴿٣﴾ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا ﴿٦﴾ وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴿٧﴾ وَخَلَقْنَٰكُمْ أَزْوَٰجًا ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴿٩﴾ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ﴿١٠﴾ وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا ﴿١١﴾ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴿١٢﴾ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ﴿١٣﴾ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ مَآءً ثَجَّاجًا ﴿١٤﴾ لِّنُخْرِجَ بِهِۦ حَبًّا وَنَبَاتًا ﴿١٥﴾ وَجَنَّٰتٍ أَلْفَافًا ﴿١٦﴾ إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ كَانَ مِيقَٰتًا ﴿١٧﴾ ﴾[النبأ: ١-١٧].

﴿ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾ ﴾[الصافات: ١٨٠-١٨٢].

اللهم إنا نسألُكَ نُفوسًا مطمئنةً، تُؤْمِنُ بلِقائِكَ، وتَقْنَعُ بعَطائِكَ، وتَرْضَى بقضائِكَ، وَتَصبرُ على بلائِكَ، وَتَشكُر نعمائك.

اللَّهُمَّ إنَّا نَسأَلُك إيمانًا كاملًا، ويقينًا صادقًا، وقلبًا خاشعًا، يا ذَا الجَلَالِ وَالإِكْرَامِ.

عبادات القلوب

في ضوء القرآن والسنة

العبادة الثامنة والأربعون

عبادة تدبر القرآن الكريم

وتشتمل هذه العبادة العظيمة على المباحث الآتية :

الأول: منزلة تدبر القرآن الكريم.

الثاني: فقه تدبر القرآن الكريم.

الثالث: أنواع تدبر القرآن الكريم.

الرابع: دلائل التوحيد والإيمان في القرآن.

الخامس: الأسباب المعينة على تدبر القرآنالكريم.

السادس: ثمرات تدبر القرآن الكريم.

العبادة الثامنة والأربعون
عبادة تدبر القرآن الكريم
١ - منزلة تدبر القرآن الكريم

القرآن العظيمكتاب ربنا العظيم، كتاب العلوم والأخبار، والأحكام والآداب، لاتحُصى فوائده، ولا تنقضي عجائبه، ولاتُستقصى معانيه: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلذِّكۡرِ لَمَّا جَآءَهُمۡۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٞ ﴿٤١﴾ لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ ﴿٤٢﴾ ﴾[فصلت: ٤١ –٤٢] .

ولهذا رغبَّنا من أنزله بقراءته، وسماعه، وتدبر آياته؛ لأن في تدبر القرآن زيادة الإيمان، وحب طاعة الله وعبادته، وفي تدبر القرآن والعمل به امتلاء القلب بالطمأنينة والسكينة، وشفاء الفرد والمجتمع من الأمراض الحسّية والمعنوية، وتلبية حاجات العبد الدُّنيوية والأخروية: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٞ وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارٗا ﴿٨٢﴾ ﴾[الإسراء:٨٢].

ومن عرف فضائل القرآن، وما فيه من الخيرات والبركات، تعبَّد لله بحسن تلاوته، وتدبر آياته، والتفكر في معانيها، وتلهَّف إلى ذلك تلهُّف الظمآن إلى الماء، والمريض إلى الشفاء، والغريق إلى الهواء، والمسجون إلى الحرية والفضاء: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿٢٩﴾ ﴾[ص:٢٩].

ومن أعرض عن القرآن الكريم فلم يؤمن به، ولم يصدق أخباره، ولم يتدبر أياته، ولم يعمل بأحكامه؛ شقيَ في الدنيا والآخرة: ﴿ قَالَ ٱهۡبِطَا مِنۡهَا جَمِيعَۢاۖ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرۡتَنِيٓ أَعۡمَىٰ وَقَدۡ كُنتُ بَصِيرٗا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتۡكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَاۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ ﴾ [طه:١٢٣-١٢٦].

وقال ﷻ: ﴿ وَمَن يُعۡرِضۡ عَن ذِكۡرِ رَبِّهِۦ يَسۡلُكۡهُ عَذَابٗا صَعَدٗا ﴿١٧﴾ ﴾[الجن:١٧].

إن تدبر القرآن الكريم من أعظم عبادات القلوب، لأن القرآن العظيم مفتاح

العلوم والمعارف الإلهية؛ لأنه إخبارٌ عن الخالق جل جلاله، وإخبارٌ عن مخلوقاته العظيمة، وأوامر بما ينفع العبد في دنياه وآخرته، ونواهٍ عما يضرُّ العبد في دنياه وآخرته: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١١٥﴾﴾ [الأنعام: ١١٥].

وبتدبر القرآن العظيم يزيد الإيمان في القلب، ويملأ القلب بحب الله وتعظيمه وتمجيده، وكلما ازداد العبد تدبرًا للقرآن ازداد إيمانًا وإخلاصًا، وعلمًا وعملًا، ونورًا وهدىً، وشفاءً ورحمة: ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾﴾ [المائدة: ١٥-١٦].

وكتاب الله العظيمهو صراطه المستقيم الموصل إلى رضوانه وجنته، والحافظ من عذابه وعقوبته: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾ [الأنعام: ١٥٣].

والقرآن الكريم هو حبل الله المتين الذي من تمسَّك به فاز ونجا من الهلاك والخَسار، ومن أعرض عنه خسِر وشقيَ في الدنيا والآخرة: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ [آل عمران: ١٠٣].

إن تدبر آيات القرآن الكريم، والتفكر في معانيها وأحكامها وأسرارها، هو أعظم مفاتيح العلم الإلهي الذي يُثمر توحيد الله، وصدق الإيمان به، وقوة التوكل عليه، وحُسنِ التعبُّد له بكمال الحب والتعظيم والذلّ له: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال: ٢-٤].

٢ - فقه تدبر القرآن الكريم

إن تدبر القرآن الكريم، والتفكر في غايات القرآن ومقاصده التي يرمي إليها، وعاقبة العامل به، والمخالف له؛ هو أعظم مقاصد القرآن: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾﴾ [الأنعام:١٥٥].

وقد ورد لفظ (تدبر) في كثير من آيات القرآن الكريم، ويُراد منها تدبر هذا القرآن العظيم، والتبصُّر بما فيه من أخبار وأحكام، وقصص ومواعظ، ليعلَم العباد أن الله حكيمٌ في صنعه، عادلٌ في أمره، صادقٌ في أخباره، عليمٌ بخلقه، لايحُابي أحداً لأجل نسبه وعرقه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾ [الحجرات:١٣].

والله ﷻ أنزل القرآن هدىً للناس، ودلّ سبحانه خلقه على جميع أنواع التدبر؛ كالتدبر في معاني ما يُلفظ به من الآيات المتلوَّة، والتدبر في أخبار القرآن الصادقة، وما اشتملت عليه من أسماء الله الحسنى، وصفاته العلا، وأفعاله الحميدة: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾﴾ [ص:٢٩].

ثم التدبر في الأوامر الإلهية الحكيمة؛ وما اشتملت عليه من العدل والإحسان: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١١٥﴾﴾ [الأنعام:١١٥].

ثم التدبر في الزواجر والنواهي؛ وما اشتملت عليه من حفظ العبد من جميع الشرور والآثام،والأضرار والأسقام .

وجميع أوامر الله عز وجل في منتهى الحكمة والرحمة، والعدل والإحسان .

فما أمر الله بشيء إلا أعان عليه، وما نهى عن شيء إلا أغنى عنه، وما أباح شيئاً إلا سهل الوصول إليه، وأوامره أغذيةٌ للقلوب، ونواهيه طاردةٌ للسموم : ﴿كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١﴾﴾ [هود:١].

ثم التدبر في سياسة الإسلام للعالم؛ وما اشتمل عليه من أحكام وأصول تصلح بها أحوال العالم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾﴾ [النحل: ٩٠].

ثم التدبر في حكمة خلق بني آدم، وجعلهم خلفاء الأرض؛ يؤمنون بالله، ويعملون بشرعه، وينشرون دينه في الآفاق: ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ﴿٣﴾﴾ [العصر: ١-٣].

ثم التدبر في أحوال الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام، وما جاؤوا به من الحق والهدى، وكيف نصرهم الله على من عاداهم، وكفر بما جاؤوا به: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ ﴿٥١﴾ يَوۡمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعۡذِرَتُهُمۡۖ وَلَهُمُ ٱللَّعۡنَةُ وَلَهُمۡ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٥٢﴾﴾ [غافر: ٥١-٥٢].

ثم التدبر في أحوال الدنيا، وسرعة زوالها، وكثرة تقلّبها، ثم التدبر في أحوال الآخرة والتزوّد لها بالأعمال الصالحة، كما قال سبحانه: ﴿ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞ وَزِينَةٞ وَتَفَاخُرُۢ بَيۡنَكُمۡ وَتَكَاثُرٞ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِۖ كَمَثَلِ غَيۡثٍ أَعۡجَبَ ٱلۡكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصۡفَرّٗا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمٗاۖ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٞ شَدِيدٞ وَمَغۡفِرَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٞۚ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ ﴿٢٠﴾ سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٢١﴾﴾ [الحديد: ٢٠-٢١].

وقد أنزل الله ﷻ هذا القرآن العظيم على هذه الأمة، وبيّن لهم أن المقصود من إنزاله أن يتدبروا آياته، ويصدقوا أخباره، ويعملوا بأحكامه، ويمتثلوا أوامره، ويجتنبوا نواهيه، ويتعظوا بمواعظه، ويحُلّوا حلاله، ويحرِّموا حرامه، ويتخلّقوا بأخلاقه فقال سبحانه: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿٢٩﴾﴾ [ص: ٢٩].

وأنكر سبحانه على من أعرض عنه ولم يتدبر آياته، فقال: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ

﴿أَمۡ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقۡفَالُهَآ ٢٤﴾[محمد: ٢٤].

وقال ﷻ: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَۚ وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا ٨٢﴾[النساء: ٨٢].

والقرآن الكريم مَنْهَجُ حياة للبشرية إلى يوم القيامة، لهذا تكفل الله بحفظه؛ فهو محفوظ من الزيادة والنقصان، ومحفوظ من التحريف والتبديل، كما قال سبحانه: ﴿إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ٩﴾[الحجر: ٩].

وقراءة القرآن بترتيل يساعد على فَهم القرآن وتدبره، كما قال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ١ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ٢ نِّصۡفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصۡ مِنۡهُ قَلِيلًا ٣ أَوۡ زِدۡ عَلَيۡهِ وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا ٤﴾[المزمل: ١ – ٤].

ومن قرأ القرآن ولم يتدبر آياته، ولم يتأثر به، ولم يؤمن به، ولم يعمل به؛ فهو كالحمار يحمل أسفارًا لا يعلم عنها شيئًا: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ ثُمَّ لَمۡ يَحۡمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلۡحِمَارِ يَحۡمِلُ أَسۡفَارَۢاۚ بِئۡسَ مَثَلُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٥﴾[الجمعة: ٥].

وتدبر القرآن الكريم مفتاح العلوم والمعارف، وبتدبره يزداد الإيمان في القلب، وترسخ شجرته فيه؛ لأن القرآن يعرّف الخلق بالرب المعبود، وماله من الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الحميدة: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۖ هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ٢٢ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلۡمُؤۡمِنُ ٱلۡمُهَيۡمِنُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡجَبَّارُ ٱلۡمُتَكَبِّرُۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٢٣ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡخَٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ ٱلۡمُصَوِّرُۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٢٤﴾[الحشر: ٢٢ – ٢٤] .

ويعرّف الخلق بالطريق الموصل إلى الله، وهو دينه الذي أرسل به رسله، وأنزل به كتبه .

ويعرّفهم بما لهم بعد القدوم عليه في الآخرة؛ الجنّة لمن آمن بالله وأطاعه، والنّار لمن كفر به وعصاه، كما قال سبحانه: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ ۚ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾﴾[النساء:١٣-١٤].

والمسلم بالنسبة للقرآن الكريم يتعبَّد لله بستة أمور:

بتلاوة القرآن الكريم، وتدبر القرآن الكريم، وتفسير القرآن الكريم، والعمل بالقرآن الكريم، وتعليم القرآن الكريم، وإبلاغ القرآن الكريم للبشرية كافة: ﴿هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓا أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَٰبِ ﴿٥٢﴾﴾[إبراهيم:٥٢].

وقال الله عز وجل: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَٰبَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِّى مِن دُونِ اللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾﴾[آل عمران:٧٩].

وقال الله عز وجل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾﴾[فاطر:٢٩-٣٠].

وقال الله عز وجل: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾﴾[محمد:٢٤].

وقال الله تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾﴾[ص:٢٩].

٣- أنواع تدبر القرآن الكريم

تدبر القرآن الكريم من أعظم عبادات القلوب التي يحبها الله، وينتفع بها المؤمن.

وتدبر القرآن الكريم أنواع:

الأول: تدبر القرآن للوقوف على مواعظه، والاعتبار بما فيه من القصص والأخبار، وما اشتمل عليه من الوعد والوعيد، والترغيب والترهيب: ﴿هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ١٣٨﴾ [آل عمران:١٣٨].

الثاني: تدبر القرآن الكريم لاستخراج الأحكام منه؛ سواء كان ذلك فيما يتعلق بالتوحيد والإيمان، أو العبادات، أو المعاملات، أو الأخلاق والسلوك: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ٨٩﴾ [النحل:٨٩].

الثالث: تدبر القرآن العظيم للوقوف على وجوه فصاحته، وبلاغته، وإعجازه، وضروب خطابه، واستخراج اللطائف من آياته: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ٨٨﴾ [الإسراء:٨٨].

الرابع: تدبر القرآن الكريم للتعرّف على ضروب الجدل والمحاجة مع المخالفين، وطرق التأثير على المخاطبين، وسُبل الإقناع التي تضمنها القرآن الكريم: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ٣٣ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ٣٤ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ٣٥﴾ [فصلت:٣٣-٣٥].

الخامس: تدبر القرآن الكريم من أجل الاستغناء به عن غيره؛ سوى السُّنَّة النَّبوية، فإنها شارحة له، ومبينة لمجمله: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ١٥٥﴾ [الأنعام:١٥٥].

وقال النبي ﷺ: "ألا إنِّي أُوتِيتُ القُرآنَ ومِثلَهُ مَعَهُ". أخرجه ابو داود والترمذي(١).

السادس: تدبر القرآن من أجل تليين القلوب به، وتحصيل الخشوع، كما قال سبحانه: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٍ ٢٣﴾[الزمر:٢٣].

السابع: تدبر القرآن العظيم من أجل تصديق أخباره، وامتثال أوامره، واجتناب نواهيه، والاهتداء بهديه: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖۚ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ١٥ يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ١٦﴾[المائدة:١٥-١٦].

الثامن: تدبر القرآن من أجل معرفة صدقُ مَنْ جاء به، وأنه حقٌّ من عند الله ﷻ: ﴿وَٱلَّذِي جَآءَ بِٱلصِّدۡقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ ٣٣﴾[الزمر:٣٣].

التاسع: تدبر القرآن الكريم ليقف المؤمن على ما ورد فيه من العلوم، والأخبار، والقصص، وما ورد فيه من وصف الدنيا، وسرعة زوالها، ومابعدها من الجنة والنار، وصفات المؤمنين، والكافرين، والمنافقين: ﴿وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ ٨٩﴾[النحل:٨٩].

العاشر: تدبر القرآن من أجل معرفة حاجة البشرية إليه، ووجوب إبلاغه للناس كافة، ليؤمنوا بالله، ويعبدوه وحده لا شريك له، ويفوزوا برضوانه وجنته، وينجو من عذابه وعقوبته: ﴿هَٰذَا بَلَٰغٞ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ وَلِيَعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٥٢﴾[إبراهيم:٥٢].

---

(١) صحيح: أخرجه ابو داود برقم (٤٦٠٤) والترمذي برقم (٢٦٦٤).

٤ - دلائل التوحيد والإيمان في القرآن

دلائل توحيد الرب ﷻ لا تُعدّ ولا تحصى، ولا يحيط بها أحد، فهي أكثر من أن تُحصى، وأشهر من كل بَيِّن .

فكل القرآن، بل كل سورة في القرآن، بل كل آية في القرآن، بل كل ذرة في الكون؛ دالةٌ على وحدانية الله ﷻ، شاهدةٌ بعظمته وجلاله وجماله، وجميع آياته ومخلوقاته مبينةٌ لكمال أسمائه وصفاته وأفعاله، ناطقةٌ بعظيم كرمه وإحسانه، مقرِرةٌ لكمال رحمته بعباده، شاهدةٌ بعظمة ملكه و سلطانه، وحسن أحكامه وأخباره وأوامره.

ودلائل التوحيد والإيمان تراها الأبصار والبصائر والعقول مبسوطة في الآيات الكونية، والآيات القرآنية؛ ولما كانت دلائل وحدانية الله لا نهاية لها، ويستحيل على الأبصار والعقول الإحاطة بها، فحسبُنا أن نجمع أصولها، ونشير إلى أمهاتها من الآيات الكونية، والآيات الشرعية من الوحي المُنزَّل، الذي فيه تبيان كل شيء: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ تِبْيَـٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ۝٨٩﴾ [النحل:٨٩].

وأصول دلائل التوحيد والإيمان من كتاب الواحد الأحد مجموعة في سبعة أمور:

الأول: دلائل الخلق والإيجاد، وهذا كثير جداً في القرآن الكريم كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ۝٥٤﴾ [الأعراف:٥٤].

وقال الله ﷻ: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَـٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ۝١٢﴾ [الطلاق:١٢].

الثاني: دلائل التدبير والتصريف في الكون، وهذا مذكور في جميع سور القرآن

الكريم غالباً كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾﴾ [البقرة: ١٦٤].

وقال الله عز وجل: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۗ ٱنظُرُوٓاْ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكُمْ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٩٩﴾﴾ [الأنعام: ٩٩].

الثالث: دلائل صفات جلال الرب كما قال سبحانه: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾﴾ [البقرة: ٢٥٥].

وقال ﷻ: ﴿۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾﴾ [الأنعام: ٥٩].

الرابع: دلائل صفات جمال الرب جل جلاله كما قال سبحانه: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾﴾ [إبراهيم: ٣٢-٣٤].

الخامس: دلائل الإنعام والإحسان كما قال سبحانه: ﴿أَلَمْ تَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ

بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَلَا هُدٗى وَلَا كِتَٰبٖ مُّنِيرٖ ﴿٢٠﴾﴾[لقمان: ٢٠].

السادس: دلائل النظر والتفكر كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ رَبَّنَا مَا خَلَقۡتَ هَٰذَا بَٰطِلٗا سُبۡحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾﴾[آل عمران: ١٩٠-١٩١].

وقال ﷻ: ﴿أَفَلَمۡ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوۡقَهُمۡ كَيۡفَ بَنَيۡنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٖ ﴿٦﴾ وَٱلۡأَرۡضَ مَدَدۡنَٰهَا وَأَلۡقَيۡنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ ﴿٧﴾ تَبۡصِرَةٗ وَذِكۡرَىٰ لِكُلِّ عَبۡدٖ مُّنِيبٖ ﴿٨﴾﴾[ق: ٦-٨].

السابع: دلائل عظمة القرآن والشرع، كما قال سبحانه: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِمِثۡلِ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لَا يَأۡتُونَ بِمِثۡلِهِۦ وَلَوۡ كَانَ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٖ ظَهِيرٗا ﴿٨٨﴾﴾[الإسراء: ٨٨].

وقال الله عز وجل: ﴿وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ ﴿٨٩﴾﴾[النحل: ٨٩].

فلا إله إلا الله ما أعظم أسماءه وصفاته وأفعاله، وما أعظم ملكه وسلطانه: ﴿قُل لِّمَنِ ٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلۡ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبۡعِ وَرَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلۡ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيۡهِ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ فَأَنَّىٰ تُسۡحَرُونَ ﴿٨٩﴾ بَلۡ أَتَيۡنَٰهُم بِٱلۡحَقِّ وَإِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ﴿٩٠﴾﴾[المؤمنون: ٨٤-٩٠].

وقال الله تعالى: ﴿هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾[غافر: ٦٥].

٥ -الأسباب المعينة على تدبر القرآن الكريم

الأول: قَصْدُ تدبر القرآن لمعرفة أسراره وأحكامه ومقاصده، والعمل بموجب ذلك، لأن كثيراً من الناس يقرأ القرآن لتحصيل الأجور فقط، فيقرأ أكثر ليحصل على أجر أكثر من غير فهمٍ ولا تدبر، والله أنزل القرآن لتدبره، والعمل بموجبه: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾﴾[ص:٢٩].

الثاني: تهيئة القلب لتدبر القرآن، وذلك بتخليصه من الصوارف والشواغل التي تصرفه عن الفهم والتدبر والانتفاع: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾﴾[ق:٣٧].

الثالث: أن يَشعُر قارئ القرآن أنه هو المخاطب بهذا القرآن العظيم، وأن عليه أن يفهم معانيه، ويصدق أخباره، ويمتثل أوامره، ويجتنب نواهيه: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾﴾[الحجر:٨٧].

وقال الله ﷻ: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ﴿٤٤﴾﴾[الزخرف:٤٤].

الرابع: أن يُراعي القارئ للقرآن مواضع الفصل، والوقف، والابتداء؛ ليسهل عليه فهم معاني الآيات، واستقلال كل جملة بمعانيها.

الخامس: الترسُّل والترتيل عند القراءة، لأن ذلك أقوى في التدبر، وأسهل لفهم المعاني: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ﴿١﴾ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢﴾ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ﴿٣﴾ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ﴿٤﴾﴾[المزمل:١-٤].

السادس: ترديد الآية الواحدة عدة مرات، لأن ذلك من الإعانة على التدبر، وفهم المعاني، والاتعاظ والخشوع والبكاء، وقد قام النبي ﷺ بآية واحدة في ليلة واحدة يرددها حتى أصبح وهي: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾﴾[المائدة:١١٨].

السابع: قراءة القرآن في صلاة الليل، لأن ناشئة الليل أقرب لفهم القرآن، وتدبره، وفهم معانيه وأسراره؛ لهدوء الليل، وانقطاع الشواغل عن القارئ: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ هِىَ أَشَدُّ وَطْـًٔا وَأَقْوَمُ قِيلًا ۝٦﴾[المزمل:٦].

الثامن: الإنصات والتوجه عند سماع القرآن، وقد أمر الله عباده المؤمنين بالاستماع والإنصات عند سماع القرآن؛ لكي ينتفعوا به، ويتدبروا آياته، ويفهموا معانيه، ويعتبروا بمواعظه: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ۝٢٠٤﴾[الأعراف:٢٠٤].

التاسع: تحسين الصوت عند قراءة القرآن، وتجويده، وترتيله، لأن ذلك يسهل فهم معاني الآيات، وتلذذ القلب بالقراءة، وقد يسَّر الله لعباده فهم ألفاظ القرآن ومعانيه، وفهم أسراره وأحكامه، كما قال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ۝١٧﴾[القمر:١٧].

والفرق بين معرفة الألفاظ والمعاني:

أن الألفاظ قوالب المعاني، والمقصود من معرفة الألفاظ الوصول إلى فهم المعاني للعمل بموجبها، والاعتبار بمواعظها، والتعبد لله بها: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ۝٢٩﴾[ص:٢٩].

العاشر: معرفة أساليب القرآن في أنواع الخطاب، وأنواع الأحكام، والاستعانة بالله على فهم القرآن وتدبره: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلذِّكْرِ لَمَّا جَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ۝٤١ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ۝٤٢﴾ [فصلت:٤١-٤٢].

ومن أساليب القرآن:

ختم الآيات القرآنية بأسماء الله الحسنى، للدلالة على أن الحكم المذكور له تعلق بهذا الاسم المذكور،ومن ذلك اشتمال القرآن على أحسن طرق التعليم

والتربية، وإيصال المعاني إلى القلوب بأيسر طريقٍ وأوضحه، وتوضيح المعاني النافعة بضرب الأمثال المحسوسة، ليسهُل فهمها كما قال سبحانه : ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾﴾[إبراهيم:٢٤-٢٥].

ومن أساليب القرآن العظيمةالوصف الحي للصور المحسوسة؛ فإذا الحوادث والأحوال والقصص والمشاهد شاخصةٌ حاضرة كأنها رأي عين، كمافي وصف الجنة والنار، وكما في قصة موسى مع فرعون وغيرها.

ومن أساليب القرآن، التعريف بالرب، وذكر أسمائه وصفاته وأفعاله؛ ليعرفه الناس ويحبوه، ويكبروه ويعظموه، ويمجدوه ويحمدوه ويشكروه، ويسألوه، ويعبدوه وحده لا شريك له:﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾﴾[محمد:١٩].

ومن أساليب القرآن العظيمالتذكير بالأمر وعظمته، والتشويق للأجر وكثرته، وبيان حاجة الناس إلى ربهم في كل شيء، ليقفوا ببابه، ولا يُذِلُّوا أنفسهم لأحد سواه:﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾﴾[فاطر:١٥].

ومن أساليب القرآن المؤثّرةذكر حياة الأنبياء والمرسلين، للاقتداء بهم في توحيدهم، وإيمانهم، وأخلاقهم، وأعمالهم:﴿وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾﴾[مريم:٤١].

وقال الله عز وجل: ﴿وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ مُوسَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥١﴾﴾ [مريم:٥١].

ومن أساليب القرآن في النهي عن الأقوال والأفعال والصفات السيئة،التبغيض للفعل، أوالتهكّم بأصحابه، أو السخرية منهم، أو ذكر عاقبة من فعله في الدنيا، أو

وصف خسارته في الآخرة، والاعتبار بأحوال الأمم الظالمة، وكيف نزلت بها عقوبة الجبّار فهلكوا، كما قال سبحانه عن الكفار المصرِّين على كفرهم وعنادهم: ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾﴾[العنكبوت:٤٠].

الحادى عشر: دعاء الله ﷻ أن يُفهِّمَهُ أسرار القرآن، ومقاصده، وأحكامه: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾[غافر: ٦٠].

الثاني عشر: التفاعل مع الآيات القرآنية، وحضور القلب بالسؤال، والتعوذ، والاستغفار، والحمد، عند مناسبة ذلك في الآيات: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ [النحل: ٩٨ – ١٠٠] .

٦ - ثمرات تدبر القرآن الكريم

لتدبر القرآن الكريم ثمرات عظيمة:

الأولى: معرفة الله عَزَّ وَجَلَّ بأسمائه وصفاته وأفعاله.

ومن عرف الله آمن به واتقاه، وأطاعه ولم يعصه، وصدَّق أخباره، وامتثل أوامره، واجتنب نواهيه: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾ [النساء: ٨٢].

الثانية: معرفة عظمة ملك الله وسلطانه، وكمال قدرته، وعظمة قوته، وإحاطة علمه بكل شيء في ملكه العظيم.

ومن عرف ذلك آمن بالله وحده، وعظَّمه وكبَّره، ووحَّده، وتوكل عليه، واستعان به، وسلَّم لأمره: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿١٢﴾﴾ [الطلاق: ١٢].

الثالثة: معرفة عظمة نعم الله على عباده، وكمال إحسانه إليهم، ورحمته بهم.

ومن عرف ذلك آمن بالله وأحبه، وحَمِده وشكره، لما يراه من عظمة إنعامه وإحسانه إلى عباده: ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [غافر: ٦٥].

الرابعة: معرفة عظمة الله، وعظمة أوامره الكونية، وعظمة أوامره الشرعية، وعظمة أوامره الجزائية.

ومن عرف ذلك آمن بربه العظيم، وصدق كلامه العظيم، وامتثل أمره العظيم، ونال ثوابه العظيم: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ

ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾[الأعراف:٥٤].

الخامسة: معرفة دار الغرور من دار السرور، ومعرفة الدار الفانية من الدار الباقية، ومعرفة قيمة الإيمان والأعمال الصالحة، والزهد فيما سوى ذلك .

ومن عرف ذلك أقبل على عبادة الله، وسارع إلى كل عمل صالح، وأعرض عن زينة الدنيا الفانية:﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾﴾[العنكبوت:٦٤].

وقال ﷻ:﴿ ۞ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾[آل عمران:١٣٣-١٣٤].

السادسة: معرفة الخالق من المخلوق، ومعرفة الملك من العبيد، ومعرفة الصور من المصوّر، ومعرفة الغني من الفقير .

ومن عرف ذلك آمن بالله وحده، وعظّمه وكبّره، وأحبه، وحمده وشكره، واستغفره، وتجاوز المخلوق إلى الخالق، وتجاوز الصور إلى المصور، وتجاوز العبيد إلى رب العبيد، ووقف بباب الغني، وسأله حوائجه، ولم يقف بباب أحد سواه:﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾﴾[محمد:١٩].

السابعة: معرفة الحق من الباطل، ومعرفة الخير من الشر، ومعرفة الهدى من الضلال، ومعرفة ما يحب الرب مما يكره الرب:﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾﴾[النحل:٨٩].

الثامنة: معرفة كمال رحمة الرب بعباده، حيث يسّر لهم أمور دينهم ودنياهم، ودلّهم على مصالحهم، ورغّبهم فيما ينفعهم في دنياهم وأخراهم، وحذرهم مما يضرهم في دنياهم وأخراهم: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾﴾ [البقرة:١٦٣].

التاسعة: معرفة كمال الرب، وجزيل عطائه وإحسانه، حيث خلق الخلق، وأمدهم بأنواع الأرزاق، وأكرمهم بالدين الذي أرسل به رسله إلى عباده، وأعطى من آمن به وأطاعه على الحسنة عشر أمثالها، إلى سبعمائة ضعف، إلى أضعاف كثيرة، إلى أضعاف مضاعفة، إلى عطاء بغير حساب .

ويعطي سبحانه من لدنه أجراً عظيماً بلا عمل للعبد: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾﴾ [النساء:٤٠].

العاشرة: بتدبر القرآن نعلم أن أصول العلم الإلهي سبعة:

معرفة الرب الذي يستحق العبادة وحده لاشريك له، ومعرفةالقرآن الذي يجب تصديقه، والعمل بموجبه، ومعرفة الرسول الذي يجب اتباعه، والاقتداء به، ومعرفة النفس البشرية،ماذا يريد الله منها، وبماذا يكرمها الله إذا آمنت، وبماذا يعاقبها إذا كفرت، ومعرفة عدو الإنسان وهو الشيطان، ومعرفة حقيقة الدنيا التي نعيش فيها، ومعرفة حقيقة الآخرة التي سوف نصير إليها: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾﴾ [النحل:٨٩].

الحادية عشرة: معرفة وعد الله لمن آمن به وأطاعه، ومعرفة وعيد الله لمن كفر به وعصاه: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾﴾ [التوبة:٧٢].

وقال الله ﷻ: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ هِىَ حَسْبُهُمْ ۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٦٨﴾ ﴾[التوبة:٦٨].

الثانية عشرة: تدبر القرآن، وفهم معانيه ومقاصده؛ يُثمر للعبد توحيد الله، وحلاوة الإيمان، وامتثال أوامر الله، واجتناب نواهيه، وإخلاص العبادة لله وحده لا شريك له: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾ [الأنفال:٢-٤].

الثالثة عشرة: تدبر القرآن عبادة من أعظم العبادات يثمر توحيد الله بذاته وأسمائه، وصفاته وأفعاله، والإكثار من ذكره، وشكره، واستغفاره، والمداومة على حسن عبادته، ونحريك النفس للاستكثار من الأعمال الصالحة، وكل ما يحبه الله ويرضاه، والحذر من المعاصي، وكل ما يسخط الله ويغضبه: ﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [السجدة:١٥-١٧].

الرابعة عشرة: تغير حياة كل من تدبر القرآن، وعرف أسراره، ومقاصده وأحكامه، وانتفع بمواعظه،وترقيهمن الحسن إلى الأحسن، ومن العمل القليل إلى العمل الأكثر، ومن التواني إلى المسارعة في الخيرات: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ ۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٨﴾ ﴾[الزمر:١٧-١٨].

وقال الله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنۡ خَشۡيَةِ رَبِّهِم مُّشۡفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ يُؤۡمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمۡ لَا يُشۡرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤۡتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمۡ وَجِلَةٌ أَنَّهُمۡ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَهُمۡ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴿٦١﴾﴾[المؤمنون:٥٧-٦١].

الخامسة عشرة: تدبر القرآن العظيم يثمر للعبد معرفة أحوال الأمم الماضية للاعتبار بها، ومعرفة أوامر الله في الحاضر ليطبقها، ويعمل بموجبها، ومعرفة أحوال اليوم الآخر، ليستعد ليوم القيامة بكل عمل صالح، ويحافظ عليه، ويحذر كل عمل نهى الله ورسوله عنه؛ ليفوز برضوان الله والجنة، وينجو من غضب الله والنار: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿٢٩﴾﴾[ص:٢٩].

السادسة عشرة: تدبر القرآن يثمر للعبد معرفة حقوق الله على عباده، ومعرفة حقوق العباد بعضهم على بعض: ﴿وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ ﴿٨٩﴾﴾[النحل:٨٩].

السابعة عشرة: تدبر القرآن يثمر للعبد معرفة عظمة القرآن العظيم، واليقين التام بأن العبد مع القرآن حي، وبدونه ميت، وأنه مع القرآن مُبصر، وبدونه أعمى، وأنه مع القرآن مهتدٍ، وبدونه ضال: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيۡتٗا فَأَحۡيَيۡنَٰهُ وَجَعَلۡنَا لَهُۥ نُورٗا يَمۡشِي بِهِۦ فِي ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ لَيۡسَ بِخَارِجٖ مِّنۡهَاۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلۡكَٰفِرِينَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٢٢﴾﴾[الأنعام:١٢٢].

وقال الله عز وجل: ﴿۞ أَفَمَن يَعۡلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ ٱلۡحَقُّ كَمَنۡ هُوَ أَعۡمَىٰٓۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿١٩﴾﴾[الرعد:١٩].

الثامنة عشرة: من تدبر القرآن، وفهم مقاصده وأسراره، وحكمه وأحكامه، اقشعرَّ جلده من هذا القرآن تعظيمًا له، وأثمر له ذلك الخضوع لله، والانقياد لأوامره: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ

يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٍ ﴿٢٣﴾ [الزمر:٢٣].

﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلۡتَ وَٱتَّبَعۡنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكۡتُبۡنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٣﴾﴾ [آل عمران:٥٣].

اللهم اهدنا لأحسن الأعمال والأقوال والأخلاق، لا يهدي لأحسنها إلا أنت، واصرف عنا سيئها، لا يصرف سيئها إلا أنت.

اللهم اجعل القرآن العظيم ربيع قلوبنا، ونور صدورنا، وجلاء أحزاننا، وذهاب همومنا وغمومنا، وسائقنا إلى جناتك جنات النعيم، يا أرحم الراحمين .

عبادات القلوب

في ضوء القرآن والسنة

العبادة التاسعة والأربعون

عبادة ذكر الله ﷻ

وتشتمل هذه العبادة العظيمة على المباحث الآتية :

الأول: فقه ذكر الله ﷻ.

الثاني: أنواع الذكر.

الثالث: الأسباب المعينة على ذكر الله ﷻ.

الرابع: ثمرات ذكر الله ﷻ.

الخامس: أسباب الإعراض عن ذكر الله ﷻ.

السادس: عقوبات الإعراض عن ذكر الله ﷻ.

العبادة التاسعة والأربعون

عبادة ذكر الله ﷻ

١ - فقه ذكر الله ﷻ

ذكر الله ﷻ هو استحضار جلاله، وكبريائه، وعظمته، واستدامة ذكره، وعدم الغفلة عن أوامره وطاعته وعبادته: ﴿وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ۝٨ رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا ۝٩﴾ [المزمل:٨-٩].

وذكر الله ﷻ أنواع.

فيكون بدعائه بأسمائه الحسنى، ويكون بتسبيحه، وتحميده، وتكبيره، وتهليله، وتمجيده، والثناء عليه بأسمائه وصفاتهوأفعاله.

وذكر الله ﷻ شامل لكل عبادة، ظاهر في كل طاعة، ظاهر في اجتناب كل معصية: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ ۝٤١﴾ [آل عمران:٤١].

وذكر الله ﷻ يكون بالقلب واللسان والجوارح، وهذه أعلى درجات الذكر وهي التي أمر الله بها عباده بقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ۝٤١ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۝٤٢ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ۝٤٣﴾ [الأحزاب:٤١-٤٣].

وذكر الله باللسان مجرداً من خشية القلب أضعف أنواع الذكر، ولكن لا ينبغي تركه، لأن قول اللسان مع التكرار يحرك القلب، وينشطه، ويذكره بالله، فيطيع ربه ولا يعصيه: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ۝٢٠٥﴾ [الأعراف:٢٠٥].

(كانَ النبيُّ ﷺ يَذْكُرُ اللهَّ على كُلِّ أحْيَانِهِ)أخرجه مسلم [1].

ومن ذكر الله ﷻ أطاعه ولم يعصه، وامتثل أمره، واجتنب نهيه، وخافه ورجاه .

ومن ذكر الله ذكره، ومن شكر الله شكره :﴿ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾ ﴾[البقرة:١٥٢].

وقال الله عز وجل :﴿ إِن تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٧﴾ ﴾[التغابن:١٧].

وذكر الله ﷻ من أعظم عبادات القلوب، وهو من أعظم ثمرات معرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله، وقد أثنى الله ﷻ على الذاكرين له بقوله:﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١٩٠﴾ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٩١﴾ ﴾[آل عمران:١٩٠-١٩١].

ووعد سبحانه الذاكرين له بالمغفرة، والأجر العظيم، كما قال سبحانه:﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾ ﴾ [الأحزاب:٣٥].

ومن ذكر الله ﷻ في نفسه ذكره الله في نفسه، ومن ذكر الله في ملأ، ذكره الله في ملأ خير منهم.

---

(١)أخرجه مسلم برقم (٣٧٣) .

قال النبي ﷺ: ((قال الله ﷻ: أنا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بي، وأنا معهُ إذا ذَكَرَني، فإنْ ذَكَرَني في نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ في نَفْسِي، وإنْ ذَكَرَني في مَلَإٍ ذَكَرْتُهُ في مَلَإٍ خَيْرٍ منهمْ)) متفق عليه (١).

فذكر الله جل جلاله أعظم عبادات القلوب، والقلوب لا تطمئن أبداً إلا بذكر الله ﷻ، فمن ذكر الله ذكره وحفظه ونصره، وأسعده في الدنيا والآخرة.

قال النبي ﷺ:((سَبَقَ المُفَرِّدُونَ قالوا: وَما المُفَرِّدُونَ؟ يا رَسولَ الله، قالَ: الذَّاكِرُونَ اللهَ كَثِيرًا، وَالذَّاكِرَاتُ)) أخرجه مسلم (٢).

وقد رغّب الله ﷻ في جميع العبادات التي شرعها وأمر بها، ولم يأمر الله في القرآن بالإكثار من عبادة إلا ذكر الله ﷻ، كما قال سبحانه:﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَـٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾﴾[الأحزاب: ٤١ – ٤٣].

فالإكثار من ذكر الله ﷻ تحيا به القلوب الميتة، وتطمئن به القلوب الخائفة، وتنشرح به الصدور المؤمنة :﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ ﴿٢٩﴾﴾[الرعد:٢٨–٢٩].

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٧٤٠٥) ومسلم برقم (٢٦٧٥) .

(٢)أخرجه مسلم، برقم (٢٦٧٦) .

٢ - أنواع الذكر

ذكر الله ﷻ، من حيث الوقت، ينقسم إلى قسمين:

الأول: الذكر المطلق، وهو كل ذكر مشروع في كل زمان ومكان وحال، ولم يقيد بزمن أو مكان أو حال، وذلك كالأذكار المطلقة في الكتاب والسنة: ﴿وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلۡ إِلَيۡهِ تَبۡتِيلٗا ٨ رَّبُّ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذۡهُ وَكِيلٗا ٩﴾ [المزمل:٨-٩].

الثاني: الذكر المقيد، وهو كل ذكر مشروع مقيد بوقت محدد، أو مكان معين، أو حال خاصة، كأذكار الصباح والمساء، والأذكار بعد الصلوات الخمس، والذكر بعد الأذان .

وأنواعه كثيرة تشتمل كل ذكر قاله الرسول ﷺ في وقت معين، أو مكان محدد، أو حال معينة.

وهذا الذكر المقيد مقدم على الذكر المطلق، لأنه مشتمل على إتباع الرسول في كل وقت أو مكان أو حال، ولهذا فإن الإتيان بأذكار ما بعد الصلوات الخمس، وإجابة المؤذن، وغيرها من الأذكار المقيدة، أفضل من الإتيان بغيرها في ذلك الوقت، وإن كان قراءة القرآن، لما في ذلك من التأسي بالرسول ﷺ، وعدم مخالفته: ﴿فَلۡيَحۡذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنۡ أَمۡرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمۡ فِتۡنَةٌ أَوۡ يُصِيبَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ٦٣﴾ [النور:٦٣].

وأفضل أنواع الذكر هو قراءة القرآن، مع التدبر، والعمل بموجبه: ﴿وَهَٰذَا ذِكۡرٞ مُّبَارَكٌ أَنزَلۡنَٰهُۚ أَفَأَنتُمۡ لَهُۥ مُنكِرُونَ ٥٠﴾ [الأنبياء: ٥٠].

ثم أفضل الذكر بعد ذلك قول:((لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وحدَهُ لا شريكَ لَهُ لَهُ الملكُ ولهُ الحمدُ وَهوَ على كل شيءٍ قديرٌ)) متفق عليه (١).

وقال النبي ﷺ: ((الإِيمانُ بِضْعٌ وسَبْعُونَ، أوْ بِضْعٌ وسِتُّونَ شُعْبَةً، فأفْضَلُها قَوْلُ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وأَدْناها إماطَةُ الأذَى عَنِ الطَّرِيقِ، والحَياءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإيمانِ)) متفق عليه (٢).

وذكر الله ﷻ من حيث نوعه ينقسم إلى ثلاثة أنواع:

النوع الأول: ذكر الرب بأسمائه وصفاته وأفعاله، والثناء عليه بها، وتقديسه وتنزيهه عما لا يليق بجلاله، وأفضل هذا النوع أجمعه للثناء على الله وأعمه: ﴿ هُوَ ٱلْحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [غافر:٦٥].

وقال النبي ﷺ:((سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، عَدَدَ خَلْقِهِ وَرِضَا نَفْسِهِ وَزِنَةَ عَرْشِهِ وَمِدَادَ كَلِمَاتِهِ)) أخرجه مسلم (٣).

وقال النبي ﷺ: (أحب الكلام إلى الله أربع، سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، لا يضرك بأيهن بدأت) أخرجه مسلم (٤).

والثناء على الله بأحكام أسمائه وصفاته، كقولنا الله ﷻ يرى جميع الذرات في ملكه، ويسمع جميع الأصوات من جميع عبيده، ويرزق جميع خلقه في جميع ملكه .

وهذا النوع من الذكر ثلاثة أنواع:

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٦٤٠٤) ومسلم برقم (٢٦٩٣) .

(٢) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٩) ومسلم برقم (٣٥).

(٣)**أخرجه** مسلم برقم (٢٧٢٦) .

(٤)**أخرجه** مسلم برقم (٢١٣٧) .

حمد للرب.. وثناءٌ عليه.. وتمجيدٌ له.

فالحمد لله إخبار عن الله بصفات كماله، مع محبته، والرضا به، والتسليم لأمره، فإن كرر المحامد شيئاً بعد شيء كانت ثناءً، وإن كان المدح بصفات الجلال والكبرياء والعظمة كان تمجيداً لله ﷻ: ﴿فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٣٦ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٣٧﴾ [الجاثية:٣٦-٣٧].

وقد جمع الله لعباده هذه الأنواع الثلاثة في سورة الفاتحة: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾ [الفاتحة:٢-٧].

((فإذا قالَ العَبْدُ: {الحَمْدُ للهِ رَبِّ العالمِينَ}، قالَ اللهُ: حَمِدَني عَبْدِي، وإذا قالَ: {الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ}، قالَ اللهُ: أثْنَى عَلَيَّ عَبْدِي، وإذا قالَ: {مالِكِ يومِ الدِّينِ}، قالَ اللهُ: مجَّدَني عَبْدِي)) أخرجه مسلم (١).

النوع الثاني من الذكرذكر آلاء الله، وإنعامه، وإحسانه إلى خلقه، وذكر أنواع فضله على عباده، كما قال الله ﷻ لقوم هود: ﴿أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ ۚ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِى ٱلْخَلْقِ بَصْۜطَةً ۖ فَٱذْكُرُوٓا۟ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝٦٩﴾ [الأعراف:٦٩].

النوع الثالث: ذكر أمر الله ونهيه، ويكون ذلك بذكره أنه هو الرب الذي أخبر بذلك، وأمر بذلك، ونهى عن ذلك، وأعان على ذلك، وأثاب على ذلك، وذكره سبحانه عند أمره، أن نبادر إلى فعله، وذكره عند نهيه أن نهرب منه ونحذره: ﴿وَمَآ

---

(١)أخرجه مسلم برقم (٣٩٥).

﴿ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾﴾ [الحشر:٧].

فإذا اجتمعت هذه الأنواع الثلاثة للذاكر، فذكره أفضل الذكر، وأجلّه وأعظمه، وأكمله، كما قال سبحانه:﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾﴾[الأحزاب:٣٥].

وقال النبي ﷺ:((سَبَقَ المُفَرِّدُونَ قالوا: وَما المُفَرِّدُونَ؟ يا رَسولَ الله، قالَ: الذَّاكِرُونَ اللهَ كَثِيرًا، وَالذَّاكِرَاتُ)) أخرجه مسلم [1].

والذكر أفضل من الدعاء لأن الذكر ثناء على الله بأسمائه، وصفاته، وجميل أوصافه وآلائه، وهذا أعظم أنواع العبودية، لهذا أمر الله بالإكثار منه بقوله : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾﴾[الأحزاب:٤١-٤٣].

أما الدعاء فهو سؤال العبد حاجته من ربه، فأين هذا من ذلك، ولهذا يستحب عند الدعاء أن يبدأ الداعي بحمد الله، والثناء عليه بين يدي حاجته، ثم يسأل حاجته، كما جاء في سورة الفاتحة .

والدعاء يستجاب إذا تقدمه الثناء على الله ﷻ، فإذا انضاف إلى ذلك إخبار العبد بفقره، ومسكنته، وضعفه، واعترافه بذلك، كان أبلغ في الإجابة، وأفضل كما

---

(١)أخرجه مسلم برقم (٢٦٧٦) .

استغاث يونس ﷺ بربه كما قال سبحانه: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٨٨﴾﴾ [الأنبياء: ٨٧-٨٨].

وكما قال سبحانه في أول سورة الفاتحة: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ﴿٥﴾ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧﴾﴾ [الفاتحة: ٢-٧].

وقراءة القرآن أفضل الذكر، وهي أفضل من الذكر، والذكر أفضل من الدعاء، ولكل واحد من الثلاثة مواضع هو أفضل فيها من غيرها، فيوضع كل شيء في موضعه، كما جاء عن الله ورسوله: ﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلۡأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ﴿١٥٨﴾﴾ [الأعراف: ١٥٨].

وقال النبي ﷺ: ((مَن عَمِلَ عَمَلًا ليسَ عليه أمْرُنا فهو رَدٌّ)) أخرجه مسلم (١).

وذكر الله عز وجل على ثلاث مراتب:

فأعلى مراتب الذكر هو ذكر الله بالقلب واللسان، لأنه يورث حياة القلب، ويزرع حب الله فيه، ثم يليه الذكر بالقلب فقط، لأن ذكر القلب هو المقصود، ثم يليه الذكر باللسان فقط، لأن اللسان ينبه القلب لذكر الله عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾﴾ [الأحزاب: ٤١-٤٢].

وأنواع الذكر كثيرة تستغرق جميع أوقات المسلم في يومه وليلته، كأذكار الصباح والمساء التي هي الدرع الواقي للعبد من كل شر وأذى: ﴿وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلۡ إِلَيۡهِ تَبۡتِيلٗا ﴿٨﴾ رَّبُّ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذۡهُ وَكِيلٗا ﴿٩﴾﴾ [المزمل: ٨-٩].

---

(١) أخرجه مسلم برقم (١٧١٨).

ومنها ما هو ذكر مخصوص في أوقات محددة، كالذكر عند دخول الخلاء، والذكر عند الأكل والشرب، وأذكار السفر، وأذكار النوم، وأذكار الأكل والشرب، وغير ذلك من الأذكار التي تدور مع الإنسان، في سائر أوقاته وأحواله.

وكانَ النبيُّ ﷺ يَذْكُرُ اللهَّ علىَ كُلِّ أَحْيَانِهِ. أخرجه مسلم [1].

ومن رحمة الله أن فتح لنا أبواب الذكر في كل وقت ومناسبة، فالصلاة ذكر، وقراءة القرآن ذكر، والتفكر في عظمة الله ذكر، والتفكر في عظمة مُلك الله ذكر، والتفكر في نعم الله الظاهرة والباطنة ذكر، والتسبيح والتحميد، والتهليل والتكبير ذكر لله عز وجل، وهن أيسر الكلام، والباقيات الصالحات غراس الجنة، والصلاة والسلام على النبي ﷺ من الذكر كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ٥٦﴾ [الأحزاب:٥٦].

وكل ما يفضي إلى معرفة الله والتقرب إليه ذكر لله عز وجل.

فالدعاء ذكر، والنصيحة ذكر، والدعوة إلى الله ذكر، والأمر بالمعروف ذكر، والنهي عن المنكر ذكر، وطلب العلم ذكر، وتعليم العلم الإلهي ذكر، وهكذا كل عبادة مشروعة ذكر لله، وكل معاملة مشروعة ذكر لله: ﴿وَٱذۡكُر رَّبَّكَ فِي نَفۡسِكَ تَضَرُّعٗا وَخِيفَةٗ وَدُونَ ٱلۡجَهۡرِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ ٢٠٥﴾ [الأعراف:٢٠٥].

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٣٧٣).

٣- الأسباب المعينة على ذكر الله ﷻ

الأول: العلم بالله، وأسمائه الحسنى، وصفاته العلا، وأفعاله الحميدة .

فمن عرف ربه العظيم، آمن به، وأحبه، ومجّده، وحمده، وشكره، وأكثر منذكرهوالثناء عليه : ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ١٩﴾[محمد:١٩].

الثاني: التفكر في آيات الله ومخلوقاته :﴿إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ١٩٠ ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ رَبَّنَا مَا خَلَقۡتَ هَٰذَا بَٰطِلٗا سُبۡحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ١٩١﴾[آل عمران: ١٩٠-١٩١].

الثالث: تدبر القرآن، والإكثار من تلاوته، وتصديق أخباره، والعمل بأحكامه : ﴿إِنَّمَا يُؤۡمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِهَا خَرُّواْۤ سُجَّدٗاۤ وَسَبَّحُواْ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ۩ ١٥ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمۡ عَنِ ٱلۡمَضَاجِعِ يَدۡعُونَ رَبَّهُمۡ خَوۡفٗا وَطَمَعٗا وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ١٦ فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٧﴾ [السجدة: ١٥-١٧].

الرابع: معرفة نِعم الله على عباده، ومن عرف ربه الغني المنعم على خلقه قام بواجب الشكر له :﴿هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦٥﴾[غافر: ٦٥].

الخامس: معرفة رحمة الله بعباده، المؤمن والكافر، والبر والفاجر، والمطيع والعاصي، ومن عرف ذلك حمد الله، وأكثر من ذكره وشكره :﴿رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا فَٱغۡفِرۡ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ ٧﴾ [غافر: ٧].

السادس: الخوف من الله ﷻ، وشدة انتقامه ممن كفر به، وأعرض عنه، ومن خاف ربه اتقاه، وأطاعه ولم يعصه :﴿۞ نَبِّئۡ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ٤٩ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلۡعَذَابُ ٱلۡأَلِيمُ ٥٠﴾[الحجر: ٤٩-٥٠].

السابع: الطمع في ثواب الله ورحمته، وعفوه وإحسانه، ومن عرف ذلك أكثر من ذكر ربه، ورغب فيما عنده: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾﴾ [فاطر: ٢٩-٣٠].

الثامن: لزوم البيئة الإيمانية الذاكرة، وحضور مجالس العلم والوعظ، والانقطاع عن جو الغفلة والمعاصي: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾﴾ [الكهف: ٢٨].

التاسع: معرفة الأجور العظيمة التي وعد الله بها الذاكرين لله، والمسبحين بحمده، والمستغفرين له: ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾﴾ [الأحزاب: ٣٥].

وقال الله عز وجل: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال: ٢-٤].

العاشر: العلم بأن الله يصلي على أوليائه الذاكرين له: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾﴾ [الأحزاب: ٤١-٤٣].

الحادي عشر: دعاء الله ﷻ أن يعينه على ذكره، وشكره، وحسن عبادته: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾ [البقرة: ١٨٦].

٤ - ثمرات ذكر الله عز وجل

من أعظم ثمرات ذكر الله عز وجل ذكر الله للعبد، ومحبته له، ورضاه عنه: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ (١٥٢)﴾ [البقرة:١٥٢].

وذكر الله عز وجل نعمة كبرى، به تستجلب النعم، وبه تستدفع النقم.

وذكر الله جل جلاله قوت القلوب، وقرة العيون، وسرور النفوس، وروح الحياة، وحياة الأرواح: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ (٢٨) الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ (٢٩)﴾ [الرعد:٢٨-٢٩].

وذكر الله عز وجل يسهل القيام بأنواع الطاعات والعبادات، ويُقوي القلب والبدن، ويُنور الوجه والقلب، ويَملأ القلب بالفرح والسرور.

وذكر الله عز وجل يُرضي الرحمن، ويُثمر محبته للذاكر، وذكره له في الملأ الأعلى.

وذكر الله عز وجل يزيل الهم والغم والحزن عن القلب، ويطرد الشيطان ويقمعه.

وذكر الله عز وجل يكسو الذاكر المهابة، والحلاوة، والنضرة والجمال، ويثمر محبة الله ورسله، ودينه وأوليائه.

وذكر الله عز وجل يثمر أنواع الطاعات والقربات، ويورث مراقبة الله، حتى يدخله في باب الإحسان، فيعبد الله كأنه يراه بصفات جلاله وجمالهوكماله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ (١٢)﴾ [الملك:١٢].

وذكر الله جل جلاله يثمر للعبد الإنابة إلى الله، والرجوع إليه، والتسليم لأمره، والخشية له، والافتقار إليه: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٢) الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (٣) أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ (٤)﴾ [الأنفال:٢-٤].

وذكر الله عز وجل يورث القرب من الله، والأنس به، فعلى قدر ذكر العبد لربه يكون

قربه منه، وذكره له: ﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِي وَلَا تَكۡفُرُونِ ١٥٢﴾ [البقرة:١٥٢].

وذكر الله ﷻ يفتح للعبد أبواباً عظيمة من العلم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله.

ويورث الهيبة لله وإجلاله، وامتثال أوامره، واجتناب نواهيه.

وذكر الله ﷻ يورث محبته، والأنس به، ويزيل الوحشة بين العبد وربه.

وذكر الله ﷻ سبب لنزول الرحمة على من ذكره، ونزول السكينة، وغشيان الرحمة، وحفوف الملائكة للذاكرين.

قال النبي ﷺ: ((لَا يَقْعُدُ قَوْمٌ يَذْكُرُونَ اللهَّ ﷻ إِلَّا حَفَّتْهُمُ المَلَائِكَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَنَزَلَتْ عليهِم السَّكِينَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللهُّ فِيمَن عِنْدَهُ)) أخرجه مسلم (١).

وذكر الله جل جلاله يشغل اللسان عن الغيبة، والنميمة، وقول الفحش، والباطل، ويشغلها بالذكر والدعاء، والتكبير والتسبيح، والاستغفار والشكر.

إن ذكر الله ﷻ سبب لإظلال العبد يوم القيامة بظل عرش الرحمان، يوم لا ظل إلا ظله.

قال النبي ﷺ: ((سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللهُّ في ظِلِّهِ، يومَ لا ظِلَّ إلَّا ظِلُّهُ: إمامٌ عادِلٌ، وشابٌّ نَشأَ فِي عِبادَةِ اللهَّ، ورَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ في المَساجِدِ، ورَجُلانِ تحَابَّا في اللهَّ: اجْتَمعا عليه وتَفرَّقَا عليه، ورَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذاتُ مَنْصِبٍ وجَمالٍ، فَقالَ: إنِّي أخافُ اللهَّ، ورَجُلٌ تَصدَّقَ بِصَدَقَةٍ فأَخْفَاها حتَّى لا تَعْلَمَ شِمالُهُ ما تُنْفِقُ يَمِينُهُ، ورَجُلٌ ذَكَرَ اللهَّ خالِيًا فَفاضَتْ عَيْناهُ.)) متفق عليه (٢).

وذكر الله ﷻ أيسر العبادات، وأجلّها، وأفضلها، وأيسرها، وأعظمها أجراً، لأنه غراس الجنة، وهو متيسر للعبد في جميع الأوقات والأحوال، وفي القلب حاجة وفاقة لا يسدها إلا ذكر الله ﷻ، والافتقار إليه: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٧٠٠).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٦٠) ومسلم برقم (١٠٣١).

ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ﴿١٥﴾﴾ [فاطر:١٥].

وذكر الله ﷻ ينبه القلب من نومه، ويوقظه من رقدته، ويذكره بمولاه الذي خلقه ورزقه وهداه: ﴿وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلۡ إِلَيۡهِ تَبۡتِيلٗا ﴿٨﴾ رَّبُّ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذۡهُ وَكِيلٗا ﴿٩﴾﴾ [المزمل:٨-٩].

وذكر الله ﷻ عبادة قلبية عظيمة، وأجورها عظيمة، فذكر الله يعدل عتق الرقاب، وإنفاق الأموال، والحمل على الخيل، والضرب بالسيف في سبيل الله.

وذكر الله ﷻ رأس الشكر، فما شَكر الله من لم يَذكره، ويُكبره، ويُمجده.

وأكرم الخلق على الله من لا زال لسانُه رطباً بذكر الله ﷻ، وفي القلب فاقة لا يسدها إلا ذكر الله، وفي القلب قسوة لا يذيبها إلا ذكر الله ﷻ، وفي القلب غفلة لا يزيلها إلا ذكر الله، وفي القلب أمراض وشفاؤها بذكر الله، وفي القلب شَعَثٌ لا يَلُمُّه إلا ذكرُ الله ﷻ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴿٢٨﴾﴾ [الرعد:٢٨].

إن ذكر الله ﷻ يثمرُ صَلاة الله وملائكته على الذاكر، ومن صلى الله وملائكته عليه أفلح كل الفلاح، وسعد كل السعادة: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴿٥٦﴾﴾ [الأحزاب:٥٦].

وقال الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ ٱلَّذِي يُصَلِّي عَلَيۡكُمۡ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخۡرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ وَكَانَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَحِيمٗا ﴿٤٣﴾﴾ [الأحزاب:٤١-٤٣].

إن رياض الجنة في الدنيا هي مجالس الذكر، ومجالس الذكر هي مجالس الملائكة، والملائكة لا تَجلس إلا في مجلس يُذكَر الله تعالى فيه.

والله سبحانه يغفر للذاكرين، ويُباهي بهم الملائكة.

وذكر الله ﷻ من أكبر العون على طاعة الله، فإنه يحببها للعبد، ويسهلها عليه، ويجعلها قرة عينه.

وذكر الله ﷻ يُسهل الصعب، ويُيسر العسير، ويهون الشاق، ويُفرج الكرب، فما ذُكر الله ﷻ على صعب إلا هان، ولا على عسير إلا تيسر، ولا على كرب إلا انفرج، ولا على مشقة إلا هانت، ولا على شدة إلا زالت :﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾﴾[البقرة:١٥٢].

إن السهول والجبال،والصحاريوالقفار، تتباهى بمن يذكر الله عليها، وتستبشر بمن يمر عليها من الذاكرين.

وكثرة ذكر الله ﷻ أمان من النفاق، فإن المنافقين لا يذكرون الله إلا قليلاً :﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَىٰ يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾﴾[النساء:١٤٢].

ويحصل للذاكر من اللذة والسرور والأنس بالله ما لا يحصل لغيره من الغافلين، وبالإكثار من ذكر لله تكثير لشهود العبد يوم القيامة.

وذكر الله ﷻ سبب لحضور الملائكة، وسبب لتفرق جميع الشياطين التي تحيط بالإنسان :﴿وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ ﴿٢٠٥﴾﴾[الأعراف:٢٠٥].

٥- أسباب الإعراض عن ذكر الله ﷻ

أعظم أسباب الإعراض عن ذكر الله ﷻ:

الأول: اهتمام الإنسان الزائد بالحياة الدنيا، وما فيها من شهوات وملذات، وملهيات تشغل العبد عن ذكر الله، وامتثال أوامره: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ٩﴾ [المنافقون:٩].

الثاني: اعتقاد بعض الناس أن الإسلام يقتصر على سلوكيات معينة، وعبادات معينة، فيقتصر على ذلك، ويهمل ما سوى ذلك، وهذا فهم خاطئ، فالإسلام دين كامل شامل لجميع أحوال العبد: ﴿قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٦٢ لَا شَرِيكَ لَهُۥۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرۡتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ١٦٣﴾ [الأنعام:١٦٢-١٦٣].

الثالث: طول الأمل، والتسْويف، والغرور بالدنيا، فيؤخر العبد ما يُريد فعله من أوامر الله، ويُؤجل الأعمال يوماً بعد يوم، فينتهي عُمره وهو لم يُقدم شيئاً لآخرته.

الرابع: كثرة الذنوب والمعاصي التي تُؤَثر على قلب المسلم، وتصُده عن ذكر الله ﷻ كما قال سبحانه: ﴿كَلَّاۖ بَلۡۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ١٤﴾ [المطففين:١٤].

الخامس: عدم رؤية نعم الله التي لا تُعد ولا تُحصى، وعدم شُكر الله على ما أنعم به على عباده، من النعم الظاهرة والباطنة، وذلك يؤدي إلى الحرمان منها: ﴿وَإِذۡ تَأَذَّنَ رَبُّكُمۡ لَئِن شَكَرۡتُمۡ لَأَزِيدَنَّكُمۡۖ وَلَئِن كَفَرۡتُمۡ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٞ ٧﴾ [إبراهيم:٧].

السادس: عدم الجلوس في البيئة الإيمانية الذاكرة وكثرة الجلوس في البيئات الغافلة: ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا

تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾﴾ [الكهف:٢٨].

السابع: عدم معرفة الأجور والخيرات المترتبة على أداء الأذكار المشروعة: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾﴾ [الأحزاب: ٣٥].

وصور الإعراض عن ذكر الله كثيرة.

منها البعد عن ذكر الله مكانياً، فيبتعد العبد عن مجالس الذكر والإيمان والوعظ، ويقعد في أماكن الغفلة والمعاصي، والمنكرات.

ومنها الإعراض عن ذكر الله قلبياً، فقد يحضر العبد مجالس الذكر، لكن بجسده دون قلبه، فهو غائب وغافل وإن كان حاضراً.

ومنها الإعراض عن ذكر الله عملياً، فهو مقصر في عبوديته لربه قولاً وفعلاً.

ومنها البعد عن ذكر الله شعورياً، فينسى العبد ذكر ربه، لأنه مشغول بشهواته وملذاته عن ذكر ربه: ﴿وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴿١٧﴾﴾ [الجن:١٧].

٦ - عقوبات الإعراض عن ذكر الله ﷻ

عقوبات من أعرض عن دين الله، وعن ذكره:

العقوبة الأولى: انتقام الله ﷻ ممن أعرض عنه، وعن دينه: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ ۚ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [السجدة:٢٢].

الثانية: الشقاء في الدنيا والآخرة: ﴿قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا ۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾﴾ [طه:١٢٣-١٢٦].

الثالثة: الاتصاف بصفة الظلم، لأن من أعرض عن ربه ودينه فقد ظلم نفسه، وعرّضها لعقوبة الله: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ ۚ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [السجدة:٢٢].

الرابعة: عدم استطاعته أن يفقه شيئاً من الدين، لأن قلبه مغطى بغطاء يمنعه من التدبر والتفكر، وفي أذنيه وقراً لا يستطيع سماع الحق: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِىٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٧﴾﴾ [لقمان:٧].

الخامسة: نزول العذاب الشديد من الله على من أعرض عن دينه: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [هود:١٠٢].

السادسة: اقتران الشيطان بمن أعرض عن دين الله، يزين له الباطل، ويصده عن الحق: ﴿وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيْطَٰنُ لَهُۥ قَرِينًا فَسَآءَ قَرِينًا ﴿٣٨﴾﴾ [النساء:٣٨].

السابعة: الحرمان من دخول الجنة، ودخول النار يوم القيامة: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾﴾ [المائدة:٧٢].

الثامنة: زيادة العذاب يوم القيامة: ﴿وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴿١٧﴾﴾ [الجن:١٧].

وقال ﷻ: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾﴾ [البقرة:٢٠١].

التاسعة: دخول النار يوم القيامة: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَـٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَـٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾﴾ [الأعراف: ١٧٩].

اللهم إنا نسألك الجنة، وما قرب إليها من قول أو عمل، ونعوذ بك من النار، وما قرب إليها من قول أو عمل.

اللهم إنا نسألك إيماناً كاملاً، ويقيناً صادقاً، وقلباً خاشعاً، ولساناً ذاكراً، يا أرحم الراحمين.

﴿سُبْحَـٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَـٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾﴾ [الصافات: ١٨٠-١٨٢].

عبادات القلوب

في ضوء القرآن والسنة

العبادة الخمسون

عبادة دعاء الله عز وجل

وتشتمل هذه العبادة العظيمة على المباحث الآتية :

الأول : فقه الدعاء.

الثاني : أنواع الدعاء.

الثالث : شروط الدعاء.

الرابع: آداب الدعاء.

الخامس : الأسباب المعينة على إجابة الدعاء.

السادس : دعاء الأنبياء في القرآن الكريم.

السابع : ثمرات الدعاء.

العبادة الخمسون

عبادة دعاء الله عز وجل

١ - فقه الدعاء

الدعاء هو إظهار الافتقار إلى الله ﷻ، والتبرؤ من الحول والقوة، والرغبة إلى الله ﷻ.

الدعاء هو استدعاء العبد من ربه العناية، واستمداده منه المعونة.

والدعاء هو العبادة، وهو سمة العبودية، واستشعار الذلة البشرية، وإظهار الفقر والفاقة أمام رب البرية: ﴿هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [غافر: ٦٥].

فالدعاء هو العبادة: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [غافر: ٦٠].

وقال النبي ﷺ: «الدُّعاءُ هو العبادةُ» أخرجه أبو داود والترمذي(١).

والدعاء هو طلب الأدنى من الأعلى على جهة الخضوع والاستكانة.

والدعاء هو الابتهال إلى الله بالسؤال، والرغبة فيما عنده من الخير: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [غافر: ٦٠].

والأدعية المشروعة نوعان:

أحدها: الأوراد والأذكار المشروعة في كل يوم وليلة

وهي الأدعية المشتملة عليتجديد الإيمان، والتذكير بالله ﷻ، وطلب المقاصد والأرزاق، ودفع كيد الكائدين، ومكر الأعداء من شياطين الجن والإنس.

---

(١) صحيح: أخرجه أبو داود برقم (١٤٧٩) والترمذي برقم (٢٩٦٩).

وتشمل أذكار الصباح والمساء، والأذكار المطلقة والمقيدة، وأذكار الأحوال العادية، والأذكار في أحوال الشدة.

الثاني: مناجاة الرب عَزَّ وَجَلَّ.

وهيالأدعية الواردة في الكتاب والسنة، المشتملة عليجوامع الكلم، وأنواع الكلام من طلب التوبة، والاستغفارللرب،والاستعانةبه،والاستغاثةبه،والاعتذار إليه مما سلف من الذنوب،وإظهار الفقر والفاقة بين يديه وإظهار الحب والتعظيم والذل له، والانكسار بين يديه، وطلب ما ينفع من خيري الدنيا والآخرة منه، وطلب النجاة مما يضر في الدنيا والآخرة: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِهَا خَرُّواْ سُجَّدًا وَسَبَّحُواْ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾[السجدة:١٥-١٧].

والدعاء عبادة قلبية عظيمة، والدعاء هو العبادة، والبلسم الشافي من كل داء، وسلاح المؤمن، وسلم وصوله إلى ما يبتغيه من تحصيل مصلحة، أو دفع مفسدة.

والإنسان خلقه الله عَزَّ وَجَلَّ فقيرًا إلى ربه في جميع أحواله، ليقف دائما بباب الملك الغني القادر على كل شيء.

والله وحده غني عن كل ما سواه، وكل عبد محتاج إلى ربه لسد عوزه وفقره، وفاقته وحاجاته، والحصول على الغنى والكفاية من ربه الغني: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾﴾[فاطر:١٥].

فالفقر وصف ذاتي لكل مخلوق، ولا يمكنه الخروج عنه أبداً، رحمة من ربه.

وإذا أراد العبد أن يصل إلى مآربه فلا بد له أن يقف بباب ربه الغني الكريمالذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلا، والأفعال الحميدة، ويسأله من فضله، لأن الله هو الغني الذي لا تنفد خزائنه، الذي ليس لغناه حد: ﴿لِّلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ

وَٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ﴿٢٦﴾﴾ [لقمان:٢٦].

وكل أحد محتاج إلى ربه الغني من الذرة إلى العرش، ومن الملائكة، والأنبياء، والرسل، وسائر الخلق.

ولا يستطيع أحد أن يصل إلى ما يبتغي، أو ينال ما يريد، إلا بدعاء الله ﷻ.

ولهذا أمر الله عباده بسؤاله ودعائه والاستعانة به وحده لا شريك له كما قال سبحانه: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [غافر:٦٠].

وأخبر سبحانه عباده أنه قريب مجيب يجيب دعاء كل من دعاه، ليتوجه الناس إليه في جميع حوائجهم، ولا يقفوا بباب أحد سواه: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لِي وَلۡيُؤۡمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمۡ يَرۡشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾ [البقرة:١٨٦].

وجميع الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام تحصّلوا على ما يريدون بواسطة الدعاء، وصدق التوجه إلى ربهم، فأجاب الله دعاءهم كما قال إبراهيم ﷺ: ﴿رَبِّ ٱجۡعَلۡنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِيۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلۡ دُعَآءِ ﴿٤٠﴾﴾ [إبراهيم:٤٠].

فاستجاب الله دعاءه، وحقق مراده، وجعل في ذريته النبوة والكتاب.

وقال نوح ﷺ: ﴿رَّبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيۡتِيَ مُؤۡمِنٗا وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارَۢا ﴿٢٨﴾﴾ [نوح:٢٨].

وكما استجاب الله دعاء أنبيائه ورسله حين دعوه بصدق وإخلاص، كذلك يستجيب دعاء أتباعهم من المؤمنين، كما قال سبحانه: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبٗا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٨٨﴾﴾ [الأنبياء:٨٧-٨٨].

٢ - أنواع الدعاء

الدعاء نوعان:

الأول : دعاء العبادة ، وهو طلب الأجر والثواب من الله بالأعمال الصالحة كالنطق بالشهادتين، والعمل بموجبهما، وأداء الصلاة والزكاة والصيام والحج وغيرها من العبادات : ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾[غافر: ٦٠].

فالمسلم يتعبد لله بذلك تعظيمًا لربه، وطلبًا لثوابه، وخوفًا من عقابه، وامتثالًا لأمره، واجتناباً لنهيه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾﴾[الحج: ٧٧] .

الثاني: دعاء المسألة، وهو أن يطلب العبد من ربه جلب نفع، أو إزالة ضرر، متوسلًا إليه بأسمائه الحسنى، وصفاته العلا، كأن يقول يا رحمن ارحمني، ياغفار اغفر لي، يارزاق ارزقني، يا شافي اشفني، يا كريم أكرمني كقوله سبحانه: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾﴾ [البقرة: ٢٠١] .

ودعاء العبادة، ودعاء المسألة، متلازمان، وكل واحد يدخل في الآخر، فالمصلي يكبر الله ويدعو، لأنه يرجو رضاه والجنة، ويخاف من سخطه والنار .

ودعاء المسألة والطلب كقولنا: اللهم ارحمني يارحمن،وهودعاء عبادة، لما فيه من تعظيم الرب، وسؤاله له.

فالمصلي والصائم والمتصدق، والحاج والمعتمر، وطالب العلم، والبار بوالديه إنما يريد بذلك التقرب إلى الله، ودخول دار كرامته، فهو داع بلسان الحال والسائل داع بلسان المقال.

وكل عبادة دعاء، وكل دعاء عبادة: ﴿هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [غافر: ٦٥].

وأعظم مقاصد الدين هو تحقيق أعلى درجات العبودية لله ﷻ، بحيث يتوجه المسلم إلى ربه وحده في كل حال، ولا يلتفت إلى غيره أبداً: ﴿فَفِرُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجْعَلُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥١﴾﴾ [الذاريات: ٥٠-٥١].

فلا يسأل دائمًا إلا الله وحده، ولا يستعين إلا به، ولا يتوكل إلا عليه، وهذا روح العبودية التي يريدها الله من العبد: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾﴾ [الذاريات: ٥٦-٥٨].

والمقصود الآخر من الدعاء قضاء حاجات السائلين، وإظهار فضل الله على الداعين، ودفع الآفات والشرور عنهم: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾ [البقرة: ١٨٦].

٣- شروط قبول الدعاء

الأول : الإخلاص، بأن يسأل العبد ربه وحده لا شريك له، بأن يطمع في رضاه وحده، ويرجو ثوابه وحده، ويخاف عقابه وحده : ﴿هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦٥﴾[غافر:٦٥].

الثاني : المتابعة بأن يكون دعاءه حسب ما جاء عن الله ورسوله ﷺ : ﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ١١٠﴾[الكهف:١١٠].

وقال الله عز وجل :﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلۡأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ١٥٨﴾[الأعراف:١٥٨].

الثالث :حضور القلب أثناء الدعاء، فالله لا يستجيب لعبدٍ قلبه ساهٍ لاهٍ غافلٍ عنه: ﴿إِنَّمَا يُؤۡمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِهَا خَرُّواْۤ سُجَّدٗاۤ وَسَبَّحُواْ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ۩ ١٥ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمۡ عَنِ ٱلۡمَضَاجِعِ يَدۡعُونَ رَبَّهُمۡ خَوۡفٗا وَطَمَعٗا وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ١٦ فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٧﴾[السجدة:١٥-١٧] .

الرابع : الثقة بالله ﷻ،وحسن الظن به، واليقين على أن الله قادر على كل شيء، وأنه يقول للشيء كن فيكون، وأنه وحده القادر على قضاء حاجتي، وأنه يحب أن يقضي حاجتي، ويجيب دعوتي: ﴿هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦٥﴾[غافر:٦٥].

ولهذا أمر الله عباده بسؤاله وحده، وأخبر عباده بأنه قريب مجيب لا يرد سائله، ولا يخيب مؤمله: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لِي وَلۡيُؤۡمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمۡ يَرۡشُدُونَ ١٨٦﴾[البقرة:١٨٦].

الخامس: الدعاء، والجزم في الدعاء، فيدعو الداعي ربه وهو موقن بالإجابة، فإن الله لا مكره، وبقطع الرجاء من كل ما سواه: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ٢

﴿وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦۚ قَدۡ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيۡءٖ قَدۡرٗا ۝٣﴾[الطلاق: ٢ – ٣] .

وقال النبي ﷺ: «ادْعُوا اللهَ وأنتمْ مُوقِنُونَ بالإجابةِ ، واعلمُوا أنَّ اللهَ لا يَستجيبُ دُعاءً من قلْبٍ غافِلٍ لَاهٍ» أخرجه الترمذي(١).

وقال ﷺ: «لا يقولُنَّ أحدُكم اللَّهمَّ اغفِر لي إن شِئت اللَّهمَّ ارحَمني إن شِئت ليعزِم المسألَةَ فإنَّه لا مُكرِه لهُ» متفق عليه (٢).

ومقصود الدعاء ليس الإجابة فقط، إنما المقصود الأعظم هو التوجه إلى الله وسؤاله وحده، والتوكل عليه وحده، والاستعانة به وحده في كل حال، لأن الله أمر بالسؤال، ووعد بالإجابة كما قال سبحانه: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ۝٦٠﴾[غافر: ٦٠].

السادس: التضرع والخشوع، والرغبة والرهبة كما قال سبحانه: ﴿ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةًۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ۝٥٥﴾[الأعراف:٥٥].

وقال الله ﷻ عن الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام: ﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ۝٩٠﴾ [الأنبياء: ٩٠].

---

(١) صحيح: أخرجه الترمذي برقم (٣٤٧٩) .

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٣٣٨) ومسلم برقم (٢٦٧٨) .

٤ - آداب الدعاء

للدعاء آداب يجب على المسلم أن يتحلى بها عند دعاء ربه وسؤاله:

منها الثناء على الله ﷻ، ثم الصلاة على النبي ﷺ، ثم طلب حاجاته من ربه، واستشعار عظمة ربه، مع الرغبة والرهبة، وإظهار التذلل والحاجة والافتقار بين يديه، والبكاء أثناء الدعاء، ودعاء الله بأسمائه الحسنى، وصفاته العلا: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ سَيُجۡزَوۡنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٨٠﴾[الأعراف:١٨٠].

والدعاء بأحسن الكلام وجوامعه مما ورد من الأدعية في القرآن والسنة وما يوافقهما، وحضور القلب بين يدي الله، واليقين على الإجابة، وخفض الصوت، والإلحاح في الدعاء، وتكرار الدعاء، والاعتراف بالذنوب والخطايا أمام الله كما قال آدم ﷺ وزوجه: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٢٣﴾[الأعراف:٢٣].

ومن آداب الدعاء:

دعاء الله في حال الرخاء والشدة، والحرص على دعاء الله في الأوقات الفاضلة كثلث الليل الآخر عندما ينزل الرب إلى السماء الدنيا، ودعاء الرب ﷻ في الأحوال الفاضلة كحال السجود في الصلاة، والتوبة إلى الله من جميع الذنوب والمعاصي، والحرص على الوضوء قبل الدعاء، والتوجه إلى القبلة أثناء الدعاء، ورفع اليدين عند الدعاء، والتوسل إلى الله بالأعمال الصالحة كبر الوالدين، والصلاة، والصدقة، والصيام، ونحو ذلك، لتكون العبادة وسيلة للإجابة، والجزم

في الدعاء، وكمال اليأس من كل ما سوى الله: ﴿ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجۡعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ﴿٥١﴾ ﴾[الذاريات: ٥٠ – ٥١].

ومن دعا لنفسه ولغيره، ليكون أكثر ثواباً، فيدعوا لنفسه، ولغيره من الوالدين، والأولاد، والإخوة، والأقارب، والمسلمين والمسلمات، كما قال نوح ﷺ: ﴿ رَّبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيۡتِيَ مُؤۡمِنٗا وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۖ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارَۢا ﴿٢٨﴾ ﴾[نوح:٢٨].

وقال إبراهيم ﷺ: ﴿ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡحِسَابُ ﴿٤١﴾ ﴾ [إبراهيم: ٤١].

ويجتنب الداعي الاعتداء في الدعاء، ويجتنب الدعاء على النفس والأهل والمال، والحذر من أكل الحرام، والبعد عن المعاصي، وعدم استعجال الإجابة، وإخفاء الدعاء، وعدم الجهر به: ﴿ ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةًۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾[الأعراف:٥٥].

وقال النبي ﷺ: ((يُسْتَجابُ لأحَدِكُمْ ما لَمْ يَعْجَلْ، يقولُ: دَعَوْتُ فَلَمْ يُسْتَجَبْ لِي)) متفق عليه (١)

(١)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٣٤٠) ومسلم برقم (٢٧٣٥).

٥ - الأسباب المعينة على إجابة الدعاء

الأول :اليقين على كمال أسماء الله وصفاته، وأفعاله، واليأس من كل ما سواه، وبقدر اليقين تكون الإجابة : ﴿ هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾[غافر:٦٥].

الثاني : الإخلاص في الدعاء، وهو اليقين الجازم بأن الله وحده هو القادر على قضاء الحاجات، وإجابة الدعوات : ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾[غافر: ٦٠].

الثالث : التوبة والاستغفار من الذنوب والمعاصي قبل الدعاء، لأن المعاصي تمنع إجابة الدعاء كما قال نوح لقومه :﴿ فَقُلۡتُ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارٗا ﴿١٠﴾ يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا ﴿١١﴾ وَيُمۡدِدۡكُم بِأَمۡوَٰلٖ وَبَنِينَ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ جَنَّٰتٖ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ أَنۡهَٰرٗا ﴿١٢﴾ مَّا لَكُمۡ لَا تَرۡجُونَ لِلَّهِ وَقَارٗا ﴿١٣﴾ وَقَدۡ خَلَقَكُمۡ أَطۡوَارًا ﴿١٤﴾ ﴾[نوح:١٠-١٤].

الرابع : التضرع والخشية والتذلل بين يدي الله، والرغبة إليه، والرهبة منه، والانكسار بين يديه كما قال سبحانه: ﴿ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةًۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾[الأعراف:٥٥].

الخامس :الإلحاح في الدعاء، وتكراره ثلاثاً، وعدم الضجر والملل من ذلك، فأفضل العبادة انتظار الفرج: ﴿ فَإِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرًا ﴿٥﴾ إِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرٗا ﴿٦﴾ ﴾ [الشرح: ٥ –٦] .

السادس :دعاء الله حال الرخاء، والإكثار منه في وقت اليسر والسعة.

قال النبي ﷺ: «تعرَّفْ إلى اللهِ في الرخاءِ يعرفُكَ في الشدَّةِ» أخرجه أحمد(1).

السابع : التوسل إلى الله بأسمائه الحسنى، وصفاته العلا، كما قال سبحانه: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾[الأعراف:١٨٠].

الثامن : الدعاء بأدعية الكتاب والسنة، وما يوافقهما من الأدعية.

التاسع : استقبال القبلة حال الدعاء، وأن يكون الداعي على طهارة، ورفع اليدين حال الدعاء.

العاشر : افتتاح الدعاء بالثناء على الله ﷻ وحمده، ثم الصلاة والسلام على النبي ﷺ ، ثم يسأل العبد ربه حاجته، كما في سورة الفاتحة : ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧﴾﴾ [الفاتحة:٢-٧].

وقال النبي ﷺ: «إذا صلَّى أحدُكُمْ فَلْيَبْدَأْ بِتَحْمِيدِ اللهِ والثَّناءِ عليهِ ثُمَّ لَيُصَلِّ على النبيِّ ﷺ ثُمَّ لَيَدْعُ بَعْدُ بِما شاءَ» أخرجه الترمذي وأبو داود (2).

الحادي عشر : تحري الأوقات الفاضلة عند الدعاء كوقت السحر، وهو ما قبل الفجر، والثلث الأخير من الليل حين ينزل الرب إلى السماء الدنيا، ومابين الأذان والإقامة، وآخر ساعة من يوم الجمعة، ويوم عرفة : ﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا

---

(١) صحيح: أخرجه احمد، برقم (٢٨٠٣) .

(٢) صحيح: أخرجه الترمذي برقم (٣٤٧٧)، وأبو داود برقم (١٤٨١) .

﴿ ذُكِّرُواْ بِهَا خَرُّواْ سُجَّدًا وَسَبَّحُواْ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [السجدة:١٥-١٧].

الثاني عشر : تحري الأماكن الفاضلة كالمساجد عمومًا، والمسجد الحرام خصوصًا، وعند الطواف بالكعبة، وعند السعي بين الصفا والمروة.

الثالث عشر: من الأحوال التي يستجاب فيها الدعاء، دعاء الله حال السجود في الصلاة،ودعوة المسلم لأخيه بظهر الغيب،ودعوةالمسافر،ودعوة المضطر: ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾[النمل:٦٢].

وعلى المسلم أن يجتهد في الإتيان بأسباب إجابة الدعاء قدر وسعه، ويحذر موانع إجابة الدعاء حسب قدرته.

والله حيي كريم لا يرد سائلًا، ولا يخيب مؤملا :﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ ﴾[البقرة:١٨٦].

وقال النبي ﷺ: «إنَّ ربَّكم حييٌّ كريمٌ يستَحي مَن عبدِه إذا رفعَ يديهِ إليه يدعوهُ أن يردَّهما صفرا» أخرجه ابو داود والترمذي(١) .

(١)صحيح: أخرجه ابو داود برقم (١٤٨٨) والترمذي برقم (٣٥٥٦) .

وقد أمر الله المسلم بالدعاء، ووعد بالإجابة، والله لا يخلف الميعاد :﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ۝٦٠﴾[غافر: ٦٠].

وإجابة الدعاء أنواع:

إما أن يستجيب الله للداعي ويعطيه ما طلب، أو يدفع عنه به شرًا، أو ييسر له ما هو خير منه، أو يدخره له عنده يوم القيامة حيث يكون العبد إليه أحوج .

قال النبي ﷺ: «ما مِن مسلمٍ يدعو بدَعوةٍ ليس فيها إثمٌ ولا قطيعةُ رَحِمٍ إلَّا أعطاه اللهُ بها إحدى ثلاثٍ إمَّا أن يُعَجِّلَ له دَعوتَه وإمَّا أن يدَّخِرَها في الآخرةِ وإمَّا أن يصرِفَ عنه مِنَ السُّوءِ مِثلَها قالوا إذن نُكْثِرَ قال اللهُ أكثَرُ» أخرجه أحمد والبخاري في الأدب المفرد(١).

(١)صحيح: أخرجه احمد برقم (١١١٣٣) والبخاري في الأدب برقم (٧١٠) .

٦- دعاء الأنبياء في القرآن الكريم

الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام هم أعرف الخلق بالله، وأحسنهم عبادة له، وأفضلهم دعاء له، وأصدقهم يقيناً عليه: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [الأنبياء: ٩٠].

ودعاء الله ﷻ من أعظم العبادات القلبية التي كان يدعو بها جميع الأنبياء والرسل فتقضى حوائجهم، وينالون من ربهم ما يريدون، وقد دعوا الله فأجاب دعاءهم.

والأنبياء والرسل قدوةٌ للناس جميعًا، لأنهم أفضل الخلق، فعلينا الاقتداء بهم في توحيدهم، وإيمانهم، ودعائهم، وأخلاقهم: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [الأنعام: ٩٠].

ومن أدعية الأنبياء والرسل في القرآن الكريم دعاء آدم ﷺ وزوجه: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأعراف: ٢٣].

ومن دعاء نوح ﷺ: ﴿رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًۢا ﴿٢٨﴾﴾ [نوح: ٢٨].

ومن دعاء نوح ﷺ: ﴿فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ﴿١٠﴾ فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾ وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾ تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴿١٤﴾﴾ [القمر: ١٠-١٤].

ومن دعاء إبراهيم ﷺ: ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ ﴿٤١﴾﴾ [إبراهيم: ٤١].

ومن دعاء إبراهيم ﷺ: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿٣٧﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِى وَمَا نُعْلِنُ ۗ وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٣٨﴾﴾ [إبراهيم: ٣٧-٣٨].

ومن دعاء موسى ﷺ: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى فَغَفَرَ لَهُۥٓ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦﴾﴾ [القصص: ١٦].

ومن دعاء أيوب ﷺ: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾﴾ [الأنبياء: ٨٣-٨٤].

ومن دعاء يونس ﷺ: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُۨجِي ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾﴾ [الأنبياء: ٨٧-٨٨].

ومن دعاء زكريا ﷺ: ﴿وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [الأنبياء: ٨٩-٩٠].

ومن دعاء داوود ﷺ وجنوده عندما برزوا لقتال جالوت: ﴿وَلَمَّا بَرَزُوا۟ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٥٠﴾ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٥١﴾﴾ [البقرة: ٢٥٠-٢٥١].

ومن دعاء سليمان ﷺ: ﴿قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِيٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾ فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي ٱلْأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾ هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٤٠﴾﴾ [ص: ٣٥-٤٠].

٧- ثمرات الدعاء

للدعاء ثمرات كثيرة، وفضائل عظيمة :

إحداها : أن الدعاء هو العبادة، ومقصود الرب من خلقه عبادته وحده لا شريك له كما قال سبحانه: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾[الذاريات: ٥٦] .

وقال النبي ﷺ: «الدُّعاءُ هو العبادةُ» أخرجه أبو داود والترمذي[١]

الثانية : أن الدعاء طاعة لله، وامتثال لأمره كما قال سبحانه :﴿ هُوَ ٱلْحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾[غافر:٦٥].

الثالثة: بالدعاء السلامة من الكبر: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾[غافر: ٦٠].

الرابعة :الدعاء أكرم شيء على الله، لما فيه من إظهار العبد الذلة والمسكنة، وإظهار الفقر والفاقة، بين يدي ربه العزيز الجبار.

قال ﷺ: «ليسَ شيءٌ أكرمَ علَى الله من الدُّعاءِ» أخرجه أحمد والبخاري في الأدب المفرد[٢].

الخامسة :الدعاء سبب لدفع غضب الله عن العبد.

قال النبي ﷺ: «مَن لم يسألِ اللهَ يغضبْ علَيهِ» أخرجه أحمد والترمذي[٣].

السادسة : الدعاء دليل على صدقالتوكل على الله، وهو اعتماد العبد على ربه في جميع أموره، والتوكل من أعظم مقامات العبودية : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾ ﴾[التغابن:١٣].

---

(١)صحيح: أخرجه أبو داودبرقم (١٤٧٩) والترمذي برقم (٢٩٦٩) .

(٢)صحيح: أخرجه احمد برقم (٨٧٤٨) والترمذي برقم (٣٣٧٠).

(٣)حسن: أخرجه احمد برقم (٩٧١٩) والترمذي برقم (٣٣٧٣).

السابعة : الدعاء سبب لقوة القلب، وعلو الهمة، وذلك أن الداعي يأوي إلى ركن شديد، ينزل به حاجاته، ويستعين به في جميع أموره، وهو ربه الذي بيده مقاليد كل شيء، ولا يلتفت لأحد سواه : ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾[الأنعام:١٠٢-١٠٣].

وكلما قوي طمع العبد في فضل الله ورحمته قويت عبوديته لربه، وتحرر من عبودية ما سواه :﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾[الأنفال:٢-٤].

الثامنة : الدعاء دليل على العزم، والسلامة من العجز، والرغبة في المغفرة والأجر:﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾﴾[السجدة: ١٥].

التاسعة :أن من دعا ربه أجابه، لأن الله كريم لا يرد سائلًا، ولا يخيب مؤملًا، ولا يقطع رجاء من رجاه : ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾[البقرة:١٨٦].

وقال النبي ﷺ:«ما مِن أحدٍ يَدعو بدعاءٍ إلّا آتاه اللهُ ما سألَ أو كفَّ عنه من السُّوءِ مثلَه، ما لم يدْعُ بإثمٍ أو قَطيعةِ رَحمٍ» أخرجه أحمد والترمذي(١).

وقال النبي ﷺ:«ما مِن مسلمٍ يدعو بدَعوةٍ ليس فيها إثمٌ ولا قطيعةُ رَحِمٍ إلّا أعطاه اللهُ بها إحدى ثلاثٍ إمَّا أن يُعَجِّلَ له دَعوتَه وإمَّا أن يدَّخِرَها في الآخرةِ وإمَّا

---

(١)حسن: أخرجه احمد برقم (١٤٨٧٩) والترمذي برقم (٣٣٨١) .

أن يصرِفَ عنه مِنَ السُّوءِ مِثلَها قالوا إذن نُكْثِرَ قال اللهُ أكثَرُ» أخرجه أحمد والبخاري في الأدب المفرد(١).

العاشرة : أن الدعاء سبب لدفع البلاء قبل نزوله، فالله يدفع بالدعاء ما قد قضاه وقدّره على العبد، والدعاء من قدر الله عز وجل.

قال النبي ﷺ:«لا يردُّ القدرَ إلَّا الدُّعاءُ» أخرجه أحمد والترمذي(٢).

الحادية عشرة : أنّ الدعاء سبب لرفع البلاء بعد نزوله، فالدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل : ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾﴾[النمل:٦٢].

الثانية عشرة : الدعاء يفتح للعبد أبواب لذة مناجاة الله ﷻ، فيفتح الله على من يدعوه أبواب معرفته، ومحبته، والذل له، والخضوع له، والتملق بين يديه، ما ينسيه حاجته.

الثالثة عشرة : الدعاء من صفات الأنبياء والمرسلين كما قال الله عنهم : ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾[الأنبياء:٩٠].

والدعاء من صفات أولياء الله المتقين :﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾[الحشر:١٠].

الرابعة عشرة : الدعاء سبب للثبات والنصر على الأعداء، كما قال الله عن طالوت وجنوده :﴿وَلَمَّا بَرَزُوا۟ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا

---

(١)صحيح: أخرجه احمد برقم (١١١٣٣) والبخاري في الأدب برقم (٧١٠) .

(٢)حسن: أخرجه الترمذي برقم (٢١٣٩) .

وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٥٠﴾ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللَّهِ
وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ ۗ وَلَوْلَا
دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ
عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٢٥١﴾﴾ [البقرة: ٢٥٠-٢٥١].

الخامسة عشرة: أن الدعاء مفزع المظلومين، وملجأ المستضعفين، وحصن الخائفين، كما دعا نوح ربه فأجابه: ﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانتَصِرْ ﴿١٠﴾ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَىٰ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾ وَحَمَلْنَاهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴿١٤﴾﴾ [القمر: ١٠-١٤].

السادسة عشرة: الدعاء دليل على صدق الإيمان بالله، والاعتراف له بالربوبية والألوهية والعبودية: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [السجدة: ١٥-١٧].

٨- موانع إجابة الدعاء

الأول: أن يكون الداعي ضعيفًا في نفسه، لضعف يقينه وإيمانه بربه، وضعف قلبه في إقباله على الله.

الثاني : أن يكون الدعاء ضعيفًا في نفسه، لما فيه من الاعتداء

والاعتداء سؤال الله عما لا يجوز سؤاله،كأن يدعو ربه أن يخلده في الدنيا، أو يرزقه الولد بدون نكاح، أو يدعو على نفسه بالموت، أو يدعو بإثم أو محرم أو قطيعة رحم.

قال النبي ﷺ: «لا يَزَالُ يُسْتَجَابُ للعبدِ ما لم يَدْعُ بإثمٍ أو قَطِيعةِ رَحِمٍ» متفق عليه[١]

الثالث : أن يكون في الدعاء سوء أدب مع الله عز وجل، كرفع الصوت بالدعاء، ودعاء الله دعاء المستغني، أو التكلف في اللفظ والانشغال به عن المعنى، أو تكلف البكاء والصياح دون وجوده.

الرابع : الوقوع في شيء من محارم الله مثلاًكل المال الحرام، ودخول الوظائف المحرمة، وكل هذا من أكبر موانع إجابة الدعاء.

قال النبي ﷺ:«يا أيُّها النَّاسُ إنَّ اللهَّ طيِّبٌ لا يقبلُ إلَّا طيِّبًا ، وإنَّ اللهَّ أمرَ المؤمنينَ بما أمرَ بِه المرسلينَ فقالَ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ ﴾[المؤمنون:٥١]وقالَ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ ﴾[البقرة:١٧٢]قالَ وذَكَرَ الرَّجلَ يُطيلُ السَّفرَ أشعثَ أغبرَ يمدُّ يدَه إلى السَّماءِ يا ربِّ يا ربِّ ومطعمُه حرامٌ ومشربُه حرامٌ وملبسُه حرامٌ وغذِّيَ بالحرامِ فأنَّى يستجابُ لذلِك» أخرجه مسلم [٢].

الخامس : استعجال الإجابة، وترك الدعاء .

---

(١)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٥٩٨١) ومسلم برقم (٢٧٣٥).

(٢)أخرجه مسلم برقم (١٠١٥) .

قال النبي ﷺ: «يُسْتَجابُ لأحَدِكُمْ ما لَمْ يَعْجَلْ، يقولُ: دَعَوْتُ فَلَمْ يُسْتَجَبْ لِي» متفق عليه (١).

السادس : تعليق الدعاء، وعدم الجزم به، كأن يقول الداعي: اللهم اغفرلي إن شئت.

قال النبي ﷺ: «لا يقولُ أحدُكم اللَّهمَّ اغفِر لي إن شِئت اللَّهمَّ ارحَمني إن شِئت ليعزِم المسألةَ فإنَّه لا مُكرِه لهُ» متفق عليه (٢).

﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾﴾ [البقرة:٢٠١].

﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٨﴾﴾ [آل عمران:٨].

اللهم آت نفوسنا تقواها،وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها.

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٦٣٤٠١) ومسلم برقم (٢٧٣٥) .

(٢)**متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٦٣٣٨) ومسلم برقم (٢٦٧٨).

عبادات القلوب

في ضوء القرآن والسنة

العبادة الحادية والخمسون

عبادة الأوبة إلى الله ﷻ

وتشتمل هذه العبادة العظيمة على المباحث الآتية :

الأول: فقه الأوبة إلى الله ﷻ.

الثاني: صفات الأوابين..

الثالث: الأسباب المعينة على الأوبة إلى الله ﷻ

الرابع: جزاء الأوابين.

العبادة الحادية والخمسون

عبادة الأَوْبَةِ إلى الله ﷻ

١ - فقه الأَوْبَةِ إلى الله ﷻ

الأوبة: هي الرجوع.

والأوَّاب: هو كثير الرجوع إلى الله، كثير الرجوع إلى طاعة الله، كثير الذكر والتسبيح، دائم العودة والتوبة والرجوع إلى ربه.

الأوَّاب هو الذي كلما أخطأ وأذنب تاب وأناب، ورجع إلى ربه ﷻ: ﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ (٣١) هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ (٣٢) مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ (٣٣)﴾ [ق:٣١-٣٣].

والأوّاب كثير التسبيح كما قال سبحانه عن داود ﷺ: ﴿يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ﴾ [سبأ:١٠].

الأواب الراجع إلى الله التائب إلى ربه، النادم على ذنوبه، كثير الرجوع إلى طاعة مولاه، كثير الطاعة والعبادة؛ الأوَّاب هو الذي يتذكر ذنوبه الماضية ثم يتوب منها فورًا؛ الأوّاب هو الذي إذا ذَكَر ذنبه في الخفاء استغفر منه في الحال .

الأوّاب هو كثير التوبة والرجوع إلى الله؛ الذي يذنب ثم يتوب، ثم يذنب ثم يتوب، وأفضل الأوابين، وأعظم التائبين، وأصدق المنيبين،همالأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام، ثم من آمن بهم من الخلق .

قال الله ﷻ عن داود ﷺ: ﴿اصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ (١٧)﴾ [ص:١٧].

وقال سبحانه عن سليمان ﷺ: ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُودَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ (٣٠)﴾ [ص:٣٠].

وقال سبحانه عن أيوب ﷺ: ﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ (٤٤)﴾ [ص:٤٤].

والأَوْبة هي أعظم صفات المتقين، كما قال سبحانه: ﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ (٣١) هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ (٣٢) مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ

مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾﴾[ق:٣١-٣٣].
وكل بني آدم خطاء، وخير الخطاءين التوابون، والخطّاء كثير الخطأ والزلل، وكثير الوقوع في الذنوب والمعاصي، والعبد لا بد أن يجري عليه ما سبق به القدر من الوقوع في فعل الخطايا والذنوب، لأن ذلك مكتوب على العبد .
قال النبي ﷺ: «إِنَّ اللهَ كَتَبَ على ابْنِ آدمَ حَظَّهُ مِنَ الزِّنا، أدْرَكَ ذلكَ لا مَحالَةَ، فَزِنَا العَيْنِ النَّظَرُ، وزِنَا اللِّسَانِ المَنْطِقُ، والنَّفْسُ تَتَمَنَّى وتَشْتَهِي، والفَرْجُ يُصَدِّقُ ذلكَ أوْ يُكَذِّبُهُ» متفق عليه (١).
فالعبد لا يُؤتى من قِبَل المعصية التي فعلها وإن عَظُمتْ، وإنما يؤتى من ترك التوبة وتأخيرها، والله توّاب رحيم، يحبّ التوّابين الذين يعترفون بخطئهم، ويعودون إلى ربهم تائبين إليه من ذنوبهم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾﴾[البقرة:٢٢٢].
فعلى الإنسان أن يعترف بذنبه عند ربه، ويتوب إليه فورًا، ولا يتمادى في الإصرار على الذنب، وإنما يبادر إلى التوبة إلى ربه: ﴿فَمَن تَابَ مِنۢ بَعْدِ ظُلْمِهِۦ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٩﴾﴾[المائدة:٣٩].
والتوبة واجبة على كل أحد من كل ذنب: ﴿وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١١﴾﴾ [الحجرات:١١].
وقد مدح الله الأنبياء والرسل بكثرة التوبة والأوبة إلى الله ﷻ، كما قال سبحانه عن داود ﷺ: ﴿ٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾﴾[ص:١٧].
وقال عن أيوب ﷺ: ﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ ۗ إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾﴾[ص:٤٤].
والله ﷻ حين يعطي هذه الصفة لأنبيائه ورسله، ويسجلها في كتابه العظيم، فإنما هي دعوة لجميع الأمة للتحلي بهذه الصفة العظيمة؛ التي تثمر رضوان الله، ودخول الجنة، كما قال سبحانه: ﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾ هَٰذَا مَا

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٢٤٣) ومسلم برقم (٢٦٥٧).

﴿تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿٣٢﴾ مَّنْ خَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُلُودِ ﴿٣٤﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾﴾[ق:٣١-٣٥].

والعبد الأواب هو الذي يذنب ثم يستغفر، ثم يذنب فيستغفر ، ثم يذنب فيستغفر؛ لأنه في صراع مع نفسه الضعيفة، ومع عدوه الشيطان الذي يزين له المعاصي: ﴿۞ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾[الزمر:٥٣].

فالأواب عبد عرف ربه العظيم، وكلما أذنب ذنبًا لم يُصرّ على معصيته، وإنما يندم ويستغفر، ويتوب إلى ربه، ويرجع إليه، وهذا ديدنه حتى يفارق الحياة: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾﴾ [النساء:١١٠].

والمؤمن توّاب وأوّاب، كلما كرر الذنب كرر بعده التوبة، وكلما أطاع هواه رجع وآب إلى مولاه: ﴿رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِى نُفُوسِكُمْ ۚ إِن تَكُونُوا۟ صَٰلِحِينَ فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا ﴿٢٥﴾﴾[الإسراء:٢٥].

والفرق بين التوبة، والأوبة، والإنابة:

أن هذه المفردات تشترك في الرجوع إلى الله، وترك المعاصي، وفعل الطاعات، لكن التوبة هي الرجوع عن الذنب، والندم على فعله، خوفًا من عقوبة الله ﷻ.

والأوبة هي الرجوع إلى الله حياءً منه، وطمعًا في ثوابه.

والإنابة هي الرجوع إلى الله بكمال الحب والتعظيم والذلّ له، وإحسان العبادة، ولزوم الاستقامة، تعظيمًا وحبًا للرب جل جلاله، وإذا صدق العبد في توبته صار منيبًا.

والمنيب: هو الراجع عن كل شيء يشغله عن الله، والإنابة درجةٌ أعلى من التوبة، فالمنيب هو الذي يرجع إلى الله في كل حال، ويترك كل ما يشغله عن الله ﷻ، تعظيمًا لربه، وحبًا له، وحياءً منه: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ ﴿٧٥﴾﴾[هود:٧٥].

وجزاء التوابين الأوابين الخلود في نعيم الجنة: ﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿٣٢﴾ مَّنْ خَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾﴾[ق:٣١-٣٣].

٢- صفات الأوّابين

من أظهر صفات الأوابين التي يحْسُنُ بالعبد أن يتحلّى بها ما يلي:

الأولى: أن العبد الأوّاب كلما أذنب ذنبًا صغيرًا كان أو كبيرًا تاب منه، واستغفر ربه، ولم ييأس، ولم يستسلم لوساوس الشيطان.

قال النبيُّ ﷺ فِيما يحْكِي عن رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ: «قالَ الله تبارك وتعالى: أَذْنَبَ عَبْدِي ذَنْبًا، فَقالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي، فَقالَ تَبارَكَ وَتَعالَى: أَذْنَبَ عَبْدِي ذَنْبًا، فَعَلِمَ أَنَّ له رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ، وَيَأْخُذُ بالذَّنْبِ، ثُمَّ عادَ فأذْنَبَ، فَقالَ: أَيْ رَبِّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي، فَقالَ تَبارَكَ وَتَعالَى: أَذْنَبَ عَبْدِي ذَنْبًا، فَعَلِمَ أَنَّ له رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ، وَيَأْخُذُ بالذَّنْبِ، اعْمَلْ ما شِئْتَ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكَ» متفق عليه (١).

وقال النبي ﷺ: «والذي نفسي بيده لو لَمْ تُذْنِبُوا لَذَهَبَ اللهُ بِكُمْ، وَلَجَاءَ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ، فَيَسْتَغْفِرُونَ اللهَ فَيَغْفِرُ لهمْ» أخرجه مسلم (٢).

الثانية: الأوّاب إذا أذنب ذنبًا في خلوته بادر إلى التوبة منه، ولم يظهره لغيره، فالأوّاب الحفيظ الذي يذنب الذنب سرًّا، ثم يتوب منه سرًّا: ﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿٣٢﴾ مَّنْ خَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾﴾ [ق: ٣١-٣٣].

الثالثة: الأوّاب هو الذي كلما تذكر الذنب، استغفر منه فورًا: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾﴾ [آل عمران: ١٣٥].

الرابعة: الأوّاب إلى ربه كلما جلس مجلسًا بادر إلى كفارة المجلس قبل أن يقوم منه، كما قال النبي ﷺ: «مَن جلسَ في مجلسٍ فكَثَرَ فيهِ لَغَطُهُ، فقالَ قبلَ أن يقومَ من مجلسِهِ ذلِكَ: سُبحانَكَ اللَّهمَّ وبحمدِكَ، أشهدُ أن لا إلَهَ إلَّا أنتَ أستغفرُكَ وأتوبُ إليكَ، إلَّا غُفِرَ لَهُ ما كانَ في مجلسِهِ ذلِك» أخرجه أحمد والترمذي (٣).

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٧٥٠٧) ومسلم برقم (٢٧٥٨).

(٢) أخرجه مسلم برقم (٢٧٤٩).

(٣) صحيح/ أخرجه احمد برقم (١٠٤١٥) والترمذي برقم (٣٤٣٣).

الخامسة: الأوّاب إذا رجع من سفره أعلن أوبته إلى ربه، فقد كان النبي ﷺ إذا قدم من سفر قال: «آيبونَ تائبونَ عابدونَ لربِّنا حامِدون» متفق عليه [1].

وكان ﷺ يكرر ذلك حتى يدخل المدينة.

السادسة: المحافظة على صلاة الضحى .

قال النبي ﷺ: لا يحافِظُ علىَ صلاةِ الضُّحى إلَّا أوَّابٌ، وهي صلاةُ الأوَّابينَ ". أخرجه ابن خزيمة [2].

وقال النبي ﷺ: «صلاةُ الأوَّابين إذا رَمِضَتِ الفصالُ» أخرجه مسلم [3].

السابعة: سؤال الله ﷻ أن يجعلك أوّابًا: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾ [البقرة:١٨٦].

الثامنة: الأوّاب هو الذي رجع إلى ربه، واستقام على دينه، وحفظ أوامر الله بالامتثال، وحفظ نواهيه بالاجتناب، وحفظ قلبه وجوارحه عمّا يغضب الله، وحفظ وقته فشغله بالخير وما يرضي الله، وصان جوارحه عما حرم الله، وحفظها بالخير، وما يرضى الله، وحفظ حدود الله: ﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾ هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿٣٢﴾ مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ ﴿٣٣﴾﴾[ق:٣١-٣٣].

التاسعة: خشية الله ﷻ في السر والعلن، كما قال سبحانه عن الأوّاب: ﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾ هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿٣٢﴾ مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ ﴿٣٣﴾﴾[ق:٣١-٣٣].

العاشرة: الإنابة إلى الله ﷻ، والتسليم لأمره والإقبال على طاعته، والحذر من معصيته، كما قال سبحانه: ﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾ هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿٣٢﴾ مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ ﴿٣٣﴾﴾[ق:٣١-٣٣].

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (١٧٩٧) ومسلم برقم (١٣٤٤).

(٢) حسن/ أخرجه ابن خزيمة برقم (١٢٢٤).

(٣) أخرجه مسلم برقم (٧٤٨) .

٣- الأسباب المعينة على الأوبة إلى الله ﷻ

الأول: العلم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله، والعلم بصفات جلاله وجماله؛ فمن عرف الله حقًا أحبه وخافه ورجاه، وأطاعه ولم يعصه، وخشيه واتقاه: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾ [فاطر:٢٨].

الثاني: مجاهدة النفس، وتزكيتها بالأعمال الصالحة، وإلزامها بفعل ما أمر الله ورسوله به، واجتناب ما نهى الله ورسوله عنه: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴿١٠﴾﴾ [الشمس:٧-١٠].

وبالمجاهدة تحصُل الهداية إلى محاسن الأقوال والأعمال والأخلاق : ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾﴾ [العنكبوت:٦٩].

الثالث: إخلاص العمل لله ﷻ؛ فمن أخلص عمله لله يسَّر له الخير، وصرف عنه السوء والشر، وخلّصه مما يضره، كما قال الله عن يوسف ﷺ: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [يوسف:٢٤].

الرابع: تذكُّر رحمة الله التي وسعت كل شيء، وأنه يغفر الذنوب جميعًا .

فمن عرف ربه بذلك آبَ إلى ربه، ورجع إليه، وأناب إليه، ولم يقنط من رحمة الله مهما كانت ذنوبه عظيمة أو كثيرة: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾ [الزمر:٥٣].

وقال الله ﷻ: ﴿نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾﴾ [الحجر:٤٩-٥٠].

الخامس: المواظبة على أداء الفرائض في أوقاتها خاصة الصلوات الخمس، لأنها تذكِّر العبد بالله، وتجدد إيمانه بمولاه، وتعينه على التوبة إلى الله، مع التقرب إلى الله بالنوافل، وكل ذلك يثمر محبة الله للعبد، ومحبة العبد للرب .

قال النبي ﷺ :إنَّ اللهَّ قالَ: «مَن عادَى لي وليًّا فقَدْ آذَنْتُهُ بالحَرْبِ، وما تَقَرَّبَ إلَيَّ

عَبْدِي بشيءٍ أَحَبَّ إليَّ مماَّ افْتَرَضْتُ عليه، وما يَزالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إليَّ بالنَّوافِلِ حتَّى أُحِبَّهُ، فإذا أَحْبَبْتُهُ: كُنْتُ سَمْعَهُ الذي يَسْمَعُ به، وبَصَرَهُ الذي يُبْصِرُ به، ويَدَهُ الَّتي يَبْطِشُ بها، ورِجْلَهُ الَّتي يَمْشِي بها، وإنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، ولَئِنِ اسْتَعاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ» أخرجه البخاري (1).

السادس: المداومة على قراءة القرآن وتدبره، فإن القرآن يهدي للتي هي أقوم: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ تِبْيَـٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾﴾ [النحل: ٨٩].

السابع: المحافظة على أذكار الصباح والمساء، وجميع الأذكار المشروعة؛ لأنها تذكِّر العبد بربه، والإقبال عليه، والأوبة إليه، والتوبة والإنابة إليه: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَـٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّـٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَـٰمِلِينَ ﴿١٣٦﴾﴾ [آل عمران: ١٣٥-١٣٦].

الثامن: الإكثار من التوبة والاستغفار في كل يوم وليلة، فمن تذكَّر ذنوبه ومعاصيه تاب إلى ربه، واستغفر من ذنبه: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾﴾ [النساء: ١١٠].

التاسع: تذكُّر الموت وسكراته وما بعده من الأهوال؛ ومن تذكَّر ذلك تاب إلى ربه، وأقلع عن ذنبه، وأقبل على طاعة مولاه، واجتنب معاصيه.

قال النبي ﷺ: " أكثروا ذِكْرِ هادم اللَّذات ". أخرجه الترمذي وابن ماجة (2).

العاشر: استشعار خطورة الذنوب وعواقبها الوخيمة في الدنيا والآخرة؛ ومن عرف ذلك سارع إلى التوبة إلى الله، والأوبة إليه، وفَعَلَ الطاعات، واجتنب

---

(١) أخرجه البخارية برقم (٦٥٠٢).

(٢) صحيح/ أخرجه الترمذي برقم (٢٣٠٧) وابن ماجة برقم (٤٢٥٨) .

المعاصي: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ ١٢﴾[الملك:١٢].

الحادي عشر: تذكُّر الوعد والوعيد على الطاعات والمعاصي، وتذكُّر الجنّة ونعيمها، والنّار وعذابها؛ فمن تذكَّر ذلك سارع إلى التوبة والإنابة والأوبة إلى ربه الغفور الرحيم، وحرصت نفسه على كل طاعة، وابتعدت عن كل معصية: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ٧٢﴾[التوبة:٧٢].

وقال الله ﷻ عن أهل النار: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلۡكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ هِيَ حَسۡبُهُمۡۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُۖ وَلَهُمۡ عَذَابٞ مُّقِيمٞ ٦٨﴾[التوبة:٦٨].

الثاني عشر: مصاحبة الصالحين والأخيار، والبعد عن قرناء السوء والأشرار، ومواطن الغفلات والمعاصي؛ فالمرء على دين خليله، فلينظر أحدكم من يُخالل: ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا ٢٨﴾[الكهف:٢٨].

الثالث عشر: دعاء الله ﷻ أن يوفقه للتوبة والأوبة والإنابة إلى مولاه، وأن يرزقه الثبات على دينه إلى أن يلقاه، فالقلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلّبها كيف يشاء، ومن دعا الله أجابه: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ٦٠﴾[غافر:٦٠].

وقال الله عز وجل: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لِي وَلۡيُؤۡمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمۡ يَرۡشُدُونَ ١٨٦﴾[البقرة:١٨٦].

٤ - جزاء الأوّابين

قال الله تعالى: ﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿٣٢﴾ مَّنْ خَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُلُودِ ﴿٣٤﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾﴾ [ق: ٣١-٣٥].

وقال الله تعالى: ﴿رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِن تَكُونُوا۟ صَٰلِحِينَ فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا ﴿٢٥﴾﴾ [الإسراء: ٢٥].

وقال ﷻ: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٨﴾﴾ [الزمر: ١٧-١٨].

وقال ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْءَاخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِيٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾ [فصلت: ٣٠-٣٢].

﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٣﴾﴾ [آل عمران: ٥٣].

﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأعراف: ٢٣].

اللهم اهدنا فيمن هديت، وعافنا فيمن عافيت، وتولنا فيمن توليت، وقنا برحمتك واصرف عنا شر ما قضيت، فإنك تقضي ولا يُقضى عليك.

اللهم أعطنا ولا تحرمنا، وزدنا ولا تنقصنا، وأكرمنا ولا تهُنّا، وارفعنا ولا تضعنا.

﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾﴾ [الصافات: ١٨٠-١٨٢].

عبادات القلوب

في ضوء القرآن والسنة

العبادة الثانية والخمسون

عبادة حسن الخلق

وتشتمل هذه العبادة العظيمة على المباحث الآتية :

الأول: فقه حسن الخلق.

الثاني: فضائل الأخلاق الحسنة.

الثالث: أقسام الأخلاق.

الرابع: الأسباب المعينة على تحصيل الأخلاق الحسنة.

الخامس: كيفية التعبد لله بالأخلاق الحسنة.

السادس: أسباب سوء الخلق.

العبادة الثانية والخمسون

عبادة حسن الخلق

١ - فقه حسن الخلق

الأخلاق هي الطبع والسجية التي تصدر عن باطن الإنسان على هيئة سلوك وأدب جميل.

الأخلاق هيئة راسخة في النفس يصدر عنها العديد من الأفعال الحسنة بشكل سهل وميسر، مثل الرحمة والعفو والصدق والمحبة والكرم والإيثار والسماحة والمروءة وغيرها من مكارم الأخلاق.

وحسن الخلق عبادة قلبية عظيمة، والله سبحانه كما فاوت بين الناس في الأجسام،فاوت بينهم في الأخلاق، وكما أن زينة الأشجار بالأزهار والثمار، فكذلك زينة الرجال والنساء بالأخلاق والآداب :﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴿٧﴾ ﴾[الكهف:٧].

وقيمة الإنسان بإيمانه وأخلاقه لا بذاته ولا نسبه، فأبو لهب ذو النسب والحسب سيصلى ناراً ذات لهب، لكفره بالله وإعراضه عن دين الله .

وبلال الحبشي لما آمن بالله أمره النبي ﷺ أن يؤذن فوق ظهر الكعبة عام الفتح، وهو أول الداخلين إلى الجنة لأنه يقود بالنبي ﷺ ناقته.

ومكارم الأخلاق كلها حسنة جميلة محمودة يسعد بها الإنسان في الدنيا والآخرة، وتثمر له محبة الله ﷻ، ومحبة الناس له، ورضوان الرب عليه، ودخول الجنة، كما قال سبحانه:﴿ ۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ ﴾ [آل عمران:١٣٣-١٣٤].

وأصول الأخلاق مع الناس أربعة، وكلها شديدة المرارة على النفس وهي :

أن تصل من قطعك، وتعطي من حرمك، وتعفو عمن ظلمك، وتحسن إلى من

أساء إليك.
وهذه من أعظم صفات الأنبياء والمرسلين، ومن خلالها أحبهم الناس، وآمنوا بماجاؤوهم به ونصروهم على من عاداهم وخالفهم.
إن الأخلاق الحسنة من أعظم عبادات القلوب، وهي التي يراها الناس من المسلم، لأنهم يتعاملون معه، ويرون أخلاقه حيثما كان.
والأخلاق الحسنة تثمر المودة والمحبة كما قال سبحانه: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ (٣٤) وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ (٣٥)﴾ [فصلت:٣٤-٣٥].
والمؤمن حقاً يسعى لأن يكون محبوباً عند الخالق بحسن عبادته، ومحبوباً عند الخلق بحسن خلقه، وأن يكون وجيهاً في الدنيا والآخرة، وأن يحيا حياة طيبة في الدنيا والآخرة، وأن يكون له لسان صدق في الآخرين، كما قال خليل الله إبراهيم ﷺ: ﴿وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ (٨٤) وَاجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ (٨٥)﴾ [الشعراء: ٨٤-٨٥].
ولن يجد الإنسان ذلك كله إلا في الدين الذي أكرم الله به عباده في الدنيا، ويثيبهم عليه في الآخرة بالجنة والرضوان: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ (٣٠) نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ (٣١) نُزُلًا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ (٣٢)﴾ [فصلت:٣٠-٣٢].
والدين كله هو حسن الخلق مع الخالق، والمخلوق.
فالدين ركنان: عبادة الحق، والإحسان إلى الخلق، كما قال سبحانه: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا (٣٦)﴾ [النساء:٣٦].
فحسن الخلق مع الخالق بتوحيد من يستحق التوحيد، وعبادة من يستحق

العبادة، وشكر من يستحق الشكر، وحب من يستحق الحب، وتعظيم من يستحق التعظيم، وهو الله ﷻ: ﴿هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾[غافر:٦٥].

وحسن الخلق مع المخلوق هو بذل الندى، وكف الأذى، والإحسان إلى الورى، وأن تصل من قطعك، وتعطي من حرمك، وتعفو عمن ظلمك، وتحسن إلى من أساء إليك، وهذه ذروة الأخلاق مع الخلق :﴿۞ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾[آل عمران:١٣٣-١٣٤].

وقد جمع الله محاسن الأخلاق في الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام الذين بلغوا رسالة ربهم إلى أممهم، وصبروا على أذى أقوامهم، ونصحوا وجاهدوا في الله حق جهاده :﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ۗ﴾[الأنعام:٩٠].

وقد فرق الله محاسن الأخلاق في الأنبياء والرسل، ثم جمعها في سيد الأنبياء والرسل محمد ﷺ كما قال سبحانه :﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾﴾[القلم:٤].

ثم فرق الله محاسن الأخلاق في أمة سيد الأنبياء كما قال سبحانه: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾﴾[آل عمران:١١٠].

وقال النبي ﷺ:«إنما بُعِثْتُ لأُتمِّمَ صالحَ» وفي روايةٍ«مكارمالأخلاقِ »أخرجه أحمد والبخاري في (الأدب المفرد) (١).

وأحب شيء إلى الله ﷻ التعبد له بأسمائه وصفاته، فتعبد لله يا عبد الله بأسماء ربك وصفاته على حسب قدرتك على شاكلة العبودية :﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾[الأعراف:١٨٠].

فعظم ربك العظيم، وكبر ربك الكبير، واحمد ربك الحميد، واشكر ربك الكريم، واستغفر ربك الغفور، واسأل ربك الغني الوهاب، واستعن بربك

---

(١)صحيح/ أخرجه احمد برقم (٨٩٣٩) والبخاري في الأدب المفرد برقم (٢٧٣) .

القادر، وتوكل على ربك القوي، وتواضع لربك الجبار، وتذلل لربك العزيز: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾ [الحشر: ٢٢-٢٤].

يا عبد الله وحّد ربك الذي يستحق التوحيد، واعبد من يستحق العبادة، وأطع ربك الذي يستحق الطاعة، وكبر من يستحق التكبير، واشكر من يستحق الشكر، واحمد من يستحق الحمد، واسأل من يملك خزائن كل شيء، واستغفر من يقدر على غفران الذنوب كلها، واستعن بمن يقدر على قضاء حوائجك، وادعُ من يجيب من دعاه: ﴿هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [غافر: ٦٥].

وارحم يا عبد الله الخلق أجمعين، واغفر للمخطئين، واصفح عن زلات الجاهلين، واستر عيوب المذنبين، واحلم على السفهاء، وعلّم الجاهلين، وانصر المظلومين، وخذ بيد العاجزين، وأعطِ السائلين، واجبر قلوب المنكسرين، وأكرم الخلق أجمعين، وفرج كرب المكروبين، واصبر على الأذى من الناس أجمعين، وارفق بالخلق أجمعين، وأحسن إلى من أساء إليك، وافعل ذلك كله ابتغاء مرضاة الله، وامتثالاً لأمره، ورغبة في ثوابه، وخوفاً من عقابه: ﴿۞ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ [آل عمران: ١٣٣-١٣٤].

وقال الله ﷻ: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾﴾ [الأعراف: ١٩٩].

وقال النبي ﷺ: «المُسْلِمُ أَخُو المُسْلِمِ لا يَظْلِمُهُ ولَا يُسْلِمُهُ، ومَن كانَ في حَاجَةِ أَخِيهِ كانَ اللَّهُ في حَاجَتِهِ، ومَن فَرَّجَ عن مُسْلِمٍ كُرْبَةً، فَرَّجَ اللَّهُ عنْه كُرْبَةً مِن كُرُبَاتِ يَومِ القِيَامَةِ، ومَن سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ يَومَ القِيَامَةِ» متفق عليه(١).

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٢٤٤٢) ومسلم برقم (٢٥٨٠).

٢ - فضائل الأخلاق الحسنة

الأولى: الأخلاق الحسنة سبب لمحبة الله لعبده كما قال سبحانه: ﴿وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلۡقُواْ بِأَيۡدِيكُمۡ إِلَى ٱلتَّهۡلُكَةِۛ وَأَحۡسِنُوٓاْۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٩٥﴾ [البقرة: ١٩٥].

وقال ﷻ: ﴿وَإِنۡ حَكَمۡتَ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِٱلۡقِسۡطِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ٤٢﴾ [المائدة: ٤٢].

وقال النبي ﷺ لما سئل: من أَحَبُّ عبادِ الله إلى الله تعالى، قال: «أَحسنُهم خُلُقًا» أخرجه أحمد وابن ماجة(١).

الثانية: الأخلاق الحسنة من أسباب محبة الرسول ﷺ للعبد.

قال النبي ﷺ: «إنَّ أحبَّكم إليَّ، وأقربَكم منِّي في الآخرةِ أحاسنُكم أخلاقًا» أخرجه الترمذي(٢)

الثالثة: الأخلاق الحسنة أثقل شيء في ميزان العبد يوم القيامة.

قال النبي ﷺ: «ما مِن شيءٍ أثقلُ في الميزانِ من حُسنِ الخُلُقِ» أخرجه أحمد والترمذي(٣)

الرابعة: الأخلاق الحسنة من أعظم أسباب دخول الجنة.

سُئل رسول الله عن أكثرَ ما يُدخِلُ النَّاسَ الجنَّةَ فقال: «تقوَى اللهِ، وحُسنُ الخُلُقِ» أخرجه أحمد والترمذي(٤)

---

(١) **صحيح/ أخرجه**احمد برقم (١٨٤٥٤) وابن ماجة برقم (٣٤٣٦) .

(٢)**صحيح/ أخرجه**الترمذي برقم (٢٠١٨) .

(٣) **صحيح/ أخرجه**احمد برقم (٢٧٥١٧) والترمذي برقم (٢٠٠٢).

(٤) **صحيح/ أخرجه**احمد برقم (٩٠٨٥) والترمذي برقم (٢٠٠٤) .

الخامسة: محاسن الأخلاق سبب لمغفرة الله للعبد :﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾[آل عمران: ١٣٣ - ١٣٤].

السادسة: الأخلاق الحسنة من أسباب مضاعفة الأجر والثواب.

قال النبي ﷺ: «إِنَّ الرَّجلَ ليُدرِكُ بِحُسنِ خُلقِهِ درجاتُ قائمِ الليلِ، صائمِ النّهارِ »أخرجه أحمد وابو داود(١)

السابعة: الأخلاق الحسنة علامة على كمال الإيمان.

قال النبي ﷺ: «أكملُ المؤمنين إيمانًا أحسنُهم خُلقًا» أخرجه أحمد والترمذي(٢)

الثامنة: الأخلاق الحسنة دليل على اقتداء العبد بأفضل الخلق، وأحسنهم أخلاقاً، وهو النبي ﷺ، الذي قال عنه ربه :﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾﴾ [القلم: ٤].

---

(١) صحيح/ أخرجهابو داود برقم (٤٧٩٨) .

(٢) صحيح/ أخرجهاحمد برقم (٤٦٨٢) والترمذي برقم (١١٦٢) .

٣- أقسام الأخلاق

تنقسم الأخلاق من حيث أصلها إلى قسمين :

الأولى: أخلاق جبلية غريزية فطر الله عليها الإنسان وخلقها فيه.

قال ﷺ لأشج بن عبد القيس : «إن فيك خلتين يحبهما الله الحلم والأناة . قال : يا رسول الله ! أنا أتخلق بهما أم الله جبلني عليهما ؟ قال : بل الله جبلك عليهما . قال: الحمد لله الذي جبلني على خلتين يحبهما الله ورسوله» أخرجه مسلم[١]

الثاني: أخلاق مكتسبة يمكن للعبد تحصيلها بالمجاهدة والتعلم والتعود، ولهذا أرسل الله الرسل لتغيير حياة الناس من الشرك إلى التوحيد، ومن الأخلاق السيئة إلى الأخلاق الحسنة..

قال النبي ﷺ: «إِنَّما العلمُ بالتَّعَلُّم، و إِنَّما الحِلْمُ بِالتَّحَلُّمِ» أخرجه الخطيب في تاريخه[٢]

وقال النبي ﷺ: «النَّاسُ مَعادِنُ كَمَعادِنِ الفِضَّةِ والذَّهَبِ، خِيارُهُمْ في الجاهِلِيَّةِ خِيارُهُمْ في الإسْلامِ إذا فَقُهُوا» متفق عليه[٣]

وجمع النبي ﷺ بينها في قوله : «ومَن يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ اللَّهُ، ومَن يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللَّهُ، ومَن يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللَّهُ، وما أُعْطِيَ أحَدٌ عَطَاءً خَيْرًا وأَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ » متفق عليه[٤]

فالأخلاق الكريمة نوعان :

جبلية ومكتسبة، منها ما يطبع عليها بعض الناس فهذا يحمد الله على ما آتاه الله من مكارم الأخلاق، ومنها ما ينال بالاكتساب والمجاهدة :﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾[العنكبوت:٦٩].

وتنقسم الأخلاق من حيث جهتها إلى قسمين :

---

(١) أخرجه مسلم برقم (١٧) .

(٢) حسن/ أخرجه الخطيب في تاريخه برقم (٩/ ١٢٧) .

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٣٤٩٥) ومسلم برقم (٢٦٣٨) .

(٤) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (١٤٦٩) ومسلم برقم (١٠٥٣).

الأول: حسن الخلق مع الرب، ويكون بتوحيده، وتعظيمه، وتكبيره، وحمده وشكره وخوفه ورجائه، وحبه وتمجيده، والإيمان به، وعبادته وحده لاشريكله: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ١٠٢ لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ١٠٣﴾ [الأنعام:١٠٢-١٠٣].

الثاني: حسن الخُلق مع الخَلق، ويكون ذلك ببذل الندى، وكف الأذى، والإحسان إلى الخلق بأنواع الإحسان، والسماحة والمروءة، والرحمة والرفق بهم، وقضاء حوائجهم، وإعانة الضعيف، ومواساة الفقير، وجبر الكسير، وإعانة المحتاج، والعفو والحلم، والصبر على أذاهم، وأن تصل من قطعك، وتعطي من حرمك، وتعفو عمن ظلمك، وتحسن إلى من أساء إليك، وغير ذلك من مكارم الأخلاق كما قال سبحانه: ﴿خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ ١٩٩﴾ [الأعراف:١٩٩].

حسن الخلق أحسن حلية يتحلى بها المسلم في الدنيا والآخرة.

وحسن الخلق مع الخالق، وحسن الخلق مع الخلق كلاهما عبادة من أعظم عبادات القلوب: ﴿فَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ فَلَهُۥٓ أَسۡلِمُواْۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُخۡبِتِينَ ٣٤ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمۡ وَٱلۡمُقِيمِي ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ٣٥﴾ [الحج:٣٤-٣٥].

وقال الله ﷻ: ﴿۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤﴾ [آل عمران:١٣٣-١٣٤].

وتنقسم الأخلاق من حيث نوعها إلى قسمين:

الأول: الأخلاق المحمودة:

وهي مكارم الأخلاق التي أمر الله ورسوله بها، من الإيمان والصدق، والصبر

والرحمة، والحلم والعفو، وغيرها من محاسن الأخلاق التي تعبّد بها رسول الله ﷺ لربه، وتزين بها بين خلقه، كما قال عنه ربه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾﴾ [القلم: ٤].

وقال الله ﷻ: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾﴾ [آل عمران: ١٥٩].

الثاني: الأخلاق المذمومة:

وهي مساوئ الأخلاق التي نهى الله ورسوله عنها، من الكفر والكذب والشرك، والظلم والغدر، والبغي والعدوان، وسائر الفواحش والمنكرات والآثام: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾﴾ [النحل: ٩٠].

وقد أرسل الله الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام لدعوة الناس إلى توحيد الله وعبادته وحده لاشريك له، وترغيب الناس في التحلي بالأخلاق الحسنة، وتحذيرهم من الأخلاق السيئة التي تضرهم وتضر غيرهم: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾﴾ [الجمعة: ٢].

وقال الله تعالى: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾﴾ [النحل: ٩٠].

٤ - الأسباب المعينة على تحصيل الأخلاق الحسنة

الأول: العلم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله، فمن عرف ذلك حقاً تخلق بتلك الأخلاق الكريمة على شاكلة العبودية: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾﴾ [محمد:١٩].

الثاني: الإكثار من تلاوة وتدبر القرآن الكريم، فالقرآن كله آداب وأخلاق، وكان ﷺ خلقه القرآن، يتأدب بآدابه، ويتخلق بأخلاقه: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾﴾ [النحل:٨٩].

الثالث: إدامة النظر في سيرة وأخلاق الأنبياء والمرسلين، وماهم عليه من حسن الخلق، وكمال الأدب: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ [الأحزاب:٢١].

الرابع: التفكر في الآثار الحسنة المترتبة على حسن الخلق: ﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾﴾ [فصلت:٣٤-٣٥].

الخامس: التفكر في الآثار السيئة المترتبة على سوء الخلق.

قال النبي ﷺ: «أَلا أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ النَّارِ: كُلُّ عُتُلٍّ، جَوّاظٍ مُسْتَكْبِرٍ» متفق عليه(١)

السادس: التواصي بحسن الخلق والصبر على ذلك: ﴿وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾﴾ [العصر:١-٣].

السابع: مصاحبة الأخيار، أهل الأخلاق الحسنة، واعتزال الأشرار، وقرناء السوء: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾﴾ [الكهف:٢٨].

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٤٩١٨) ومسلم برقم (٢٨٥٣).

الثامن: مجالسة أهل الحلم والصدق، والفضل والمروءة، وغيرها من مكارم الأخلاق: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴿١١٩﴾﴾ [التوبة:١١٩].

التاسع: معرفة الأجور العظيمة لأهل مكارم الأخلاق، كما قال سبحانه: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ [آل عمران:١٣٣-١٣٤].

العاشر: النظر في سيرة الصحابة الكرام، والأتقياء والأبرار، وأهل الفضل والإحسان.

الحادي عشر: مجاهدة النفس، وحملها على مكارم الأخلاق: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾﴾ [العنكبوت:٦٩].

الثاني عشر: ترويض النفس، وحملها على التحلي بمكارم الأخلاق: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ﴿١٠﴾﴾ [الشمس:٧-١٠].

الثالث عشر: الإكثار من شكر الله ﷻ على نعمه، وسؤاله المزيد من فضله: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾﴾ [إبراهيم:٧].

الرابع عشر: دعاء الله ﷻ أن يرزقك حسن الخلق.

قال النبي ﷺ: «اللَّهُمَّ اهْدِنِي لأَحْسَنِ الأَخْلَاقِ، لا يَهْدِي لأَحْسَنِهَا إِلَّا أَنْتَ، وَاصْرِفْ عَنِّي سَيِّئَهَا، لا يَصْرِفُ عَنِّي سَيِّئَهَا إِلَّا أَنْتَ» أخرجه مسلم[1]

(١) أخرجه مسلم برقم (٧٧١).

٥ - كيفية التعبد لله بالأخلاق الحسنة

الله جل جلاله هو الملك الحق الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلا، والأفعال الحميدة، والمثل الأعلى، ولهذا وجب على جميع الخلق عبادته لجلاله وجماله وكماله: ﴿هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦٥﴾ [غافر:٦٥].

ومقصود الرب جل جلاله من خلقه تحصيل صفاته، والتعبد لله بها على شاكلة العبودية كما قال سبحانه: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ سَيُجۡزَوۡنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٨٠﴾ [الأعراف:١٨٠].

فالله مؤمن يحب الإيمان، وأهل الإيمان، والله شكور يحب الشكر، وأهل الشكر، والله محسن يحب الإحسان، وأهل الإحسان، والله تواب يحب التوبة، والتائبين، والله كريم يحب الكرم، وأهل الكرم، والله رفيق يحب الرفق، وأهل الرفق، والله رحيم يحب الرحمة، وأهل الرحمة، والله عفو يحب العفو، وأهل العفو، والله سلام يحب السلام، وأهل السلام.. وهكذا.

فالله يحب أسماءه وصفاته، لأنها صفات كمال، وجلال، وجمال، وحسن، وتمجيد، وثناء: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ ٨﴾ [طه:٨].

ويحب من عباده أن يتخلقوا بها، ويتعبدوا لله بها على شاكلة العبودية التي تليق بهم كعبيد لملك الملوك .

وأسماء الله وصفاته لا تنفك عنه أبداً، ولا أول لها ولا آخر، ولا بداية لها ولا نهاية، وهي مطلقة لا حد لها: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۖ هُوَ

ﭐلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلۡمُؤۡمِنُ ٱلۡمُهَيۡمِنُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡجَبَّارُ ٱلۡمُتَكَبِّرُۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡخَٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ ٱلۡمُصَوِّرُۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ ﴾[الحشر: ٢٢ – ٢٤] .

فالله رحمن أبداً، ورحمته لا حد لها، ولا أول لها ولا آخر، ولا بداية لها ولا نهاية، فهو وحده الحي بجميع صفات الكمال والجلال والجمال : ﴿ هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾[غافر: ٦٥].

وليس كمثله شيء في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله : ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴿١١﴾ ﴾[الشورى:١١].

أما صفات الخلق فهي مخلوقة موهوبة محدودة، لها أول، ولها آخر، ولها بداية، ولها نهاية، فالله خلق الإنسان، وخلق صفاته :﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ﴿١٠٢﴾ ﴾[الأنعام:١٠٢].

وقال ﷻ: ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾[الصافات:٩٦].

فالله خالق كل شيء، وخالق صفاته: ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ﴿٦٢﴾ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾[الزمر: ٦٢ – ٦٣] .

٦- أسباب سوء الخلق

الأول: ضعف الإيمان بالله، فمن ضعف إيمانه بربه، قلت أعماله الصالحة، وزادت معاصيه، وساءت أخلاقه :﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾﴾[محمد:١٩].

الثاني: ضعف اليقين على جزاء الآخرة، فمن كان لا يرجو لقاء ربه، ولا يؤمن بالحساب يوم القيامة، اتبع هواه، وانحدرت طباعه، وسفلت أخلاقه كما قال الله عن الكفار:﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾﴾[الفرقان:٤٤].

الثالث: حب الدنيا، والطمع في زيادتها وزخرفها، فكل ذلك يعمي الإنسان عن معالي الأمور، والتعامل مع الناس بأحسن الأخلاق، وكم وقع بين الناس بسبب ذلك من قطيعة وخصومة، وتنافر وشحناء :﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّوا۟ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمْ ۖ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٩﴾ دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ ۚ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾﴾ [يونس:٧-١٠].

الرابع: مصاحبة قرناء السوء، وملازمة أهل الفسوق والعصيان، وحضور مجالس الغفلة والمعاصي، لأن الصاحب ساحب إلى خير أو شر بحسب أخلاقه كما قال سبحانه: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾﴾[الكهف:٢٨].

الخامس: ضعف الرادع عن سوء الخلق، وغياب العقوبة، فمن الناس من لا يردعه عن سيئ الأخلاق إلا العقوبة من حدٍ أو غيره :﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن

تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْاْۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾ وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿١١٣﴾﴾ [هود: ١١٢ – ١١٣].

السادس: متابعة وسائل الإعلام التي تنشر أنواع الفواحش التي تدمر الأخلاق، وتهدم القيم، وتقتل العفاف، وتفسد الرجال والنساء والأطفال وتثير غرائز الأولاد والبنات، وبهذا تتلوث أخلاق المجتمع، ويتحول الناس إلى أخلاق البهائم والسباع والشياطين: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِيٓ أَسْمَٰٓئِهِۦۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [الأعراف: ١٧٩-١٨٠].

وقال الله ﷻ عن الكفار: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾﴾ [الفرقان: ٤٤].

﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةًۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٨﴾﴾ [آل عمران: ٨].

اللهم اهدنا لأحسن الأقوال والأعمال والأخلاق، واصرف عنا سيئها، لا يصرف عنا سيئها إلا أنت.

اللهم آت نفوسنا تقواها، وزكها أنت خير من زكاها أنت وليها ومولاها.

عبادات القلوب

في ضوء القرآن والسنة

العبادة الثالثة والخمسون

عِبَادة سلامةَ الصَّدرِ

وتشتمل هذه العبادة العظيمة على المباحث الآتية :

الأول : فِقهُ سَلامةِ الصَّدرِ.

الثاني : مَنْزِلةُ سَلامةِ الصدرِ.

الثالث: فَضَائلُ سلامةِ الصدر.

الرابع: الأسبابُ المعينةُ على سلامةِ الصدرِ

الخامس : جزاءُ أهل سَلامةِ الَّصدرِ.

العبادة الثالثة والخمسون

عبادة سلامة الصدر

١ - فقه سلامة الصدر

سلامة الصدر هي صفاء القلب، وطيب النفس، وحُسن السريرة .
سلامة الصدر هي نقاء القلب، وخلوه من الغل والحقد والحسد .
سلامة الصدر هي امتلاء القلب بالإيمان واليقين، والبر والتقوى ، والحب والرحمة للخلق، وخلوه من ضد ذلك، وهذا هو الذي ينفع العبد : ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۝٨٨ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ۝٨٩﴾[الشعراء:٨٨-٨٩].
القلب السليمهو الذي لا غش فيه لأحد، ولا غل فيه، ولا حقد فيه، ولا حسد فيه، ولا ضغينة فيه، ولا كراهية فيه، ولا بغضاء فيه لأحد من المسلمين.
القلب السليمهو الذي سَلِمَ من الشرك، والنفاق، والرياء،
والكذب،والغل،والحسد،والظلم،والبغي، والشح، والبخل، والجزع، والكبر،والعجب،وحب الدنيا والرياسة: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٥﴾[البقرة: ٥] .

القلب السليمهو الذي امتلأ بالإيمان والتقوى، ففاض بالخير والبر والإحسان، وتزين بكل خلق حسن، وانطوت سريرته على الصفاء، والنقاء، والسماحة، والبشر، وحب الخير للناس، فهو من نفسه في راحة، والناس منه في سلامة: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّاۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ۝٤﴾ [الأنفال:٢-٤].

وقال الله تعالى: ﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤﴾ [آل عمران: ١٣٣ - ١٣٤].

أما صاحب القلب الخبيث، والخلق الذميم؛ فالناس منه في بلاء، وهو من نفسه في عناء: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡأَغۡلَٰلُ فِيٓ أَعۡنَاقِهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٥﴾ [الرعد: ٥].

وسلامة الصدر من أعظم صفات المؤمنين، فالمؤمن لا يكون إلا سليم الصدر، طاهر القلب، طيب النفس، لأنه راضٍ بقضاء الله وقدره، وعطائه ومنعه، وقسمته وعدله: ﴿ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرۡحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ٧١﴾ [التوبة: ٧١].

وسلامة الصدر خُلق عظيم يثمر حب الخير للناس، وبذل الخير والمعروف والإحسان لهم، وكف السوء والأذى عنهم. من اتصف به عاش سعيداً مطمئنا، مرضياً محبوبًا، يحبه الناس، ويحبه رب الناس: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٦٢ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ٦٣ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ لَا تَبۡدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ٦٤﴾ [يونس: ٦٢-٦٤].

وأفضل الأعمال سلامة الصدر من صفات الشحناء والبغضاء، وغيرها من الصفات السيئة التي تمزق شمل الأمة، وتزرع الرعب، والخوف، والأحقاد، والضغائن، والفرقة بين الناس: ﴿ وَلَا تَسۡتَوِي ٱلۡحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُۚ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ ٣٤ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٖ ٣٥﴾ [فصلت: ٣٤ - ٣٥].

وقَالَ النَّبِيِّ ﷺ: «مَثَلُ المُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الجَسَدِ؛ إِذَا

اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالحُمَّى» متفق عليه(١).

سلامة الصدر من الغل والحقد والحسد يؤلف قلوب الأمة، فتشيع بينهم المحبة والمودة، وتتحقق بينهم الألفة والأخوة، وتزول عنهم العداوة والبغضاء، والشحناء والتقاطع، والغل والحسد، كما حصل للمسلمين في القرن الأول: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ [آل عمران: ١٠٣].

سلامة الصدر من أعظم عبادات القلوبالتي تثمر المحبة والمودة، والألفة بين المؤمنين: ﴿وَإِن يُرِيدُوٓا۟ أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ ٱللَّهُ ۚ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ [الأنفال: ٦٢-٦٣].

و الله ﷻ لا ينظر إلى صور وأجساد العباد، ولكن ينظر إلى قلوبهم وأعمالهم.

قَالَ النَّبِيِّ ﷺ: «إِنَّ اللهَ لا يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ» أخرجه مسلم(٢).

القلب السليم الموصل إلى رضوان الله والجنة هو القلب السالم من الشرك، والكفر، والنفاق، والرياء، والبدع، ومن الغل والحقد والحسد، ومن الشبهات، والشهوات المحرمة، فمن قدم على ربه بهذا القلب السليم سلم من عذابه، وفاز برضوانه وثوابه: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ [الشعراء: ٨٨-٨٩].

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٠١١) ومسلم برقم (٢٥٨٦).

(٢) أخرجه مسلم برقم (٢٥٦٤).

٢ - منزلة سلامة الصدر

سلامة الصدر للناس من النعيم المعجل للعبد في هذه الحياة الدنيا، بل هو جنة العبد في الدنيا، ولذة العيش في الدنيا؛ فسليم الصدر أسعد الناس بحب الله ورضاه، وحب الناس ورضاهم عنه، قلبه أشد بياضًا من ثوبه الأبيض، يحب الخير لغيره كما يحبه لنفسه، ويرى أن لكل أحدٍ عليه حقا، وليس له حق على أحد، يقضي حوائج الناس قبل قضاء حوائجه :

قَالَ النَّبِيِّ ﷺ: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتى يُحِبَّ لأَخِيهِ مَا يُحبُّ لِنَفْسِهِ» متفق عليه(١).

القلب السليم المليء بالإيمان والتقوى، والحب والإيثار هو مصدر العواطف الجميلة، وموجه التصرفات الحسنة، ومحرك الأخلاق العظيمة، فإذا صلح القلب صلحت كل الأعمال والأخلاق، وإذا فسد القلب فسدت كل الأعمال والأخلاق.

قَالَ النَّبِيِّ ﷺ: «ألا وإنَّ في الجَسَدِ مُضْغَةً، إذا صَلَحَتْ، صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ، وإذا فَسَدَتْ، فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ، ألا وهي القَلْبُ» متفق عليه(٢).

والأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام أسلم الخلق صدورا، وأطهرهم قلوبا، وأحسنهم سريرة، وأرحم الناس بالناس، وأنصحهم لأقوامهم كما قَالَ اللهُ سبحانه: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [التوبة: ١٢٨].

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (١٣) ومسلم برقم (٤٥).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٥٢) ومسلم برقم (١٥٩٩).

ونبينا محمد ﷺ قد من الله عليه بانشراح الصدر وسلامة القلب، كما قَالَ الله سبحانه له: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۝٢ الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ ۝٣ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ۝٤﴾ [الشرح:١-٤].

وفي سلامة الصدر اقتداء بسيد الأنبياء والمرسلين ﷺ الذي كان أسلم الناس صدرا، وأطيبهم قلبا، وأحسنهم خلقا، وأصفاهم سريرة، وأرحمهم بالخلق .

لقد أُوذي النبي ﷺ من قريش أشد الأذى، ولما مكنه الله منهم عام الفتح عفا عنهم، ولم ينتقم منهم ،لسلامة صدره، وكمال رحمته، وحبه الخير لكل الخلق : ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ۝١٥٩﴾ [آل عمران:١٥٩].

وقال الله ﷻ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ۝١٠٧﴾ [الأنبياء:١٠٧].

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أنها قالتْ لرَسُولَ اللهُ ﷺ: يَا رَسولَ الله، هلْ أَتى عَلَيْكَ يَوْمٌ كانَ أَشَدَّ مِن يومِ أُحُدٍ؟ فقالَ: «لقَدْ لَقِيتُ مِن قَوْمِكِ وكانَ أَشَدَّ ما لَقِيتُ منهمْ يَومَ العَقَبَةِ، إذْ عَرَضْتُ نَفْسِي علَى ابْنِ عبدِ يَالِيلَ بنِ عبدِ كُلَالٍ فَلَمْ يُجِبْنِي إلى ما أَرَدْتُ، فَانْطَلَقْتُ وأَنَا مَهْمُومٌ علَى وَجْهِي، فَلَمْ أَسْتَفِقْ إلَّا بقَرْنِ الثَّعَالِبِ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَإِذَا أَنَا بسَحَابَةٍ قدْ أَظَلَّتْنِي فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جِبْرِيلُ، فَنَادَانِي، فَقالَ: إنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ، وَما رُدُّوا عَلَيْكَ، وَقَدْ بَعَثَ إلَيْكَ مَلَكَ الجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بما شِئْتَ فيهم، قالَ: فَنَادَانِي مَلَكُ الجِبَالِ وَسَلَّمَ عَلَيَّ، ثُمَّ قالَ: يا مُحَمَّدُ، إنَّ اللَّهَ قدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ، وَأَنَا مَلَكُ الجِبَالِ وَقَدْ بَعَثَنِي رَبُّكَ إلَيْكَ لِتَأْمُرَنِي بأَمْرِكَ، فَما شِئْتَ، إنْ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عليهمُ الأخْشَبَيْنِ، فَقالَ له رَسولُ اللهِ

ﷺ: بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللهُ مِن أَصْلَابِهِمْ مَن يَعْبُدُ اللهَ وَحْدَهُ لا يُشْرِكُ به شيئًا» متفق عليه(١).

وسلامة الصدر من سمات عباد الله الصالحين، وفي مقدمة هؤلاء، أصحاب النَّبِيِّ ﷺ، أبر هذه الأمة قلوبًا، وأعمقها علمًا، وأقلها تكلفًا، فلهم من هذه الصفة أوفر الحظ والنصيب، فقد كانت قلوبهم نقية سليمة، طيبة طاهرة، يرحم بعضهم بعضا، ويحب بعضهم بعضا، ويعطف بعضهم على بعض، ويؤثر بعضهم بعضا كما قال الله سبحانه عنهم: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ [الحشر: ٨ – ١٠].

والمهاجرون والأنصار خير هذه الأُمة، فقد كانوا يعلمون يسيرا، ويؤجرون كثيرا، لسلامة صدورهم، وصدق إيمانهم، وكمال يقينهم، وصفاء قلوبهم، وحسن عِبادتهم رضي الله عنهم ورضوا عنه: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ [التوبة: ١٠٠].

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٣٢٣١) ومسلم برقم (١٧٩٥).

إن عبادة سلامة الصدر من أعظم العبادات القلبية التي تثمر محبة الله، ومحبة الناس،وصفاء القلوب، وتآلفها، دون غل ولا حسد، ولا بغي،ولا كيد، ولا بغض ولا ضغينة، لهذا حذر النبي ﷺمن جميع هذه الأخلاق السيئة التي تدمر الأمة .

فقَالَ ﷺ: «لَا تحَاسَدُوا، وَلَا تَنَاجَشُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَلَا يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ، وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا، المُسْلِمُ أَخُو المُسْلِمِ، لا يَظْلِمُهُ، وَلَا يخْذُلُهُ، وَلَا يَكْذِبُهُ، وَلَا يحْقِرُهُ، التَّقْوَى هَاهُنَا، وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنْ الشَّرِّ أَنْ يحْقِرَ أَخَاهُ المُسْلِمَ، كُلُّ المُسْلِمِ عَلَى المُسْلِمِ حَرَامٌ: دَمُهُ وَمَالُهُ وَعِرْضُهُ» أخرجه مسلم[1].

والتطهر من الغل والحقد والحسد ،عبادة يدعو بها المسلم لنفسه ولإخوانه المؤمنين:﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ١٠﴾ [الحشر:١٠].

وسلامة الصدر من صفات أهل الجنة، ومن تعبد لله بها أسعده الله في الدنيا والآخرة:﴿وَنَزَعۡنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنۡ غِلٍّ إِخۡوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٖ مُّتَقَٰبِلِينَ ٤٧﴾ [الحجر:٤٧].

---

(١)أخرجه مسلم برقم (٢٥٦٤).

٣- فضائل سلامة الصدر

الأولى : سلامة الصدر من أعظم أسباب قبول الأعمال الصالحة، ودخول الجنة.
قَالَ النَّبِيِّ ﷺ: «تُفتَحُ أبوابُ الجنَّةِ يومَ الاثنينِ والخميسِ، فيغفرُ اللهُ عزَّ وجلَّ لِكلِّ عبدٍ لا يُشرِكُ باللهِ شيئًا، إلَّا رجلًا كانَ بينَه وبينَ أخيهِ شحناء، فيقول: أنظِروا هذينِ حتَّى يصطلحا، أنظِروا هذينِ حتَّى يصطلِحا ،أنظِروا هذينِ حتَّى يصطلِحا» أخرجه مسلم[١].

الثانية : أَهلُ سلامة الصدر هم أفضل الناس، وهم صفوة الله المختارة.
فقد سَأل الصحابة رسول اللهِ ﷺ عَنْ أَفْضَلُ النَّاسِ قَالَ النَّبِيِّ ﷺ: «كُلُّ مَخْمُومِ الْقَلْبِ، صَدُوقِ اللِّسَانِ ، قَالُوا صَدُوقُ اللِّسَانِ نَعْرِفُهُ فَمَا مَخْمُومُ الْقَلْبِ، قَالَ: هُوَ التَّقِيُّ النَّقِيُّ لاَ إِثْمَ فِيهِ وَلاَ بَغْيَ، وَلاَ غِلَّ وَلاَ حَسَدَ» أخرجه ابن ماجة[٢].

الثالثة : أَهلُ سلامة الصدر هم أول زمرة تدخل الجنة .
قَالَ النَّبِيِّ ﷺ: «إِنَّ أَوَّلَ زُمْرَةٍ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ عَلَى صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ عَلَى أَشَدِّ كَوْكَبٍ دُرِّيٍّ فِي السَّمَاءِ إِضَاءَةً ، لاَ يَبُولُونَ وَلاَ يَتَغَوَّطُونَ وَلاَ يَتْفِلُونَ وَلاَ يَمْتَخِطُونَ ، أَمْشَاطُهُمُ الذَّهَبُ ، وَرَشْحُهُمُ الْمِسْكُ ، وَمَجَامِرُهُمُ الأَلُوَّةُ الأَنْجُوجُ عُودُ الطِّيبِ، وَأَزْوَاجُهُمُ الْحُورُ الْعِينُ ، عَلَى خَلْقِ رَجُلٍ وَاحِدٍ عَلَى صُورَةِ أَبِيهِمْ آدَمَ ، سِتُّونَ ذِرَاعًا فِي السَّمَاءِ » متفق عليه[٣]..

الرابعة : سلامة الصدر وطهارته من الغل والحقد والحسد من صفات أهل الجنة: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴿٤٧﴾﴾[الحجر:٤٧].

الخامسة : سلامة الصدر تثمر راحة البال، والسلامة من الهموم والغموم والأحزان، واتقاء العداوات .

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٥٦٥).
(٢) صحيح/ أخرجه ابن ماجة برقم (٤٢١٦).
(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٣٢٤٦) ومسلم برقم (٢٨٣٤).

السادسة : سلامة الصدر تثمر المحبة والمودة بين الناس، وتحقق الألفة والأخوة بينهم .

قَالَ النَّبِيِّ ﷺ: «مَثَلُ المُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الجَسَدِ؛ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالحُمَّ» متفق عليه(١).

السابعة : سلامة الصدر من علامات الإيمان .

قَالَ النَّبِيِّ ﷺ: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتى يُحِبَّ لأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ» متفق عليه(٢).

الثامنة : سلامة الصدر من أسباب دخول الجنة يوم القيامة.

قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٩٠﴾ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ﴿٩١﴾﴾[الشعراء:٨٨-٩١].

التاسعة : سلامة الصدر تزيل العيوب، وتقطع أسباب الذنوب.

فمن سلم صدره، وطهر قلبه من الإرادات الفاسدة، والظنون السيئة، عف قلبه ولسانه وجوارحه عن كل قبيح، واشتغل بكل عمل صالح يحبه الله ورسوله: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ ۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴿١١٤﴾﴾[هود:١١٤].

العاشرة : سلامة الصدر تجمع قلب العبد على الخير، والبر، والإحسان، والطاعة، والصلاح، والإصلاح، فلا يجد لذته إلا فيها، و لا تقر عينه إلا بها كما قال سبحانه: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾﴾[التوبة:٧١].

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٠١١) ومسلم برقم (٢٥٨٦).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (١٣) ومسلم برقم (٤٥).

٤ - الأسباب المعينة على سلامة الصدر

الأول : معرفة الرب بأسمائه وصفاته وأفعاله: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾[محمد: ١٩] .

فمن عرف ذلك تعبد لله بأسمائه الحسنى، وصفاته العُلا، وتحلى بأحسن الصفات والأخلاق :﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾ ﴾[الأعراف:١٨٠].

الثاني : الإقبال على كتاب الله ﷻ تلاوة وتدبرا، وتعلما وتعليما.

فالقرآن شفاء لما في الصدور من جميع الأمراض والآفات:﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ ﴾ [يونس:٥٧].

الثالث :النظر في سير الأنبياء والمرسلين، وما هم عليه من سلامة الصدر، وطهارة القلب، وحسن الخلق، وكمال العبودية، وذلك للإقتداء بهم: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾[الأحزاب:٢١].

وَقَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ ﴾[مريم:٤١].

الرابع : دعاء العبد ربه أن يجعل قلبه سليما، من الغل والضغائن والأحقاد: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾ ﴾[الحشر:١٠].

الخامس : العلم بثواب أهل سلامة الصدر ومحاسن الأخلاق في الدنيا والآخرة: ﴿ ۞ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ ﴾[آل عمران:١٣٣-١٣٤].

السادس : العلم بعقوبات أهل مساوئ الأخلاق في الدنيا والآخرة .

قَالَ النَّبِيِّ ﷺ: «أَلا أُخبِرُكُمْ بأَهْلِ الجنَّةِ؟ كُلُّ ضَعِيفٍ مُتَضَعِّفٍ، لو أقْسَمَ علَى اللَّهِ لَأَبَرَّهُ، ألا أُخْبِرُكُمْ بأَهْلِ النَّارِ: كُلُّ عُتُلٍّ، جَوّاظٍمُسْتَكْبِرٍ» متفق عليه(١).

السابع: استشعار الأخوة الإيمانية بين المؤمنين، فمن استشعر ذلك أحب لأخيه ما يحب لنفسه من الخير، وكره له ما يكره لنفسه من الشر:

قَالَ النَّبِيِّ ﷺ: «لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتى يُحِبَّ لأَخِيهِ مَا يُحُبُّ لِنَفْسِهِ» متفق عليه(٢).

الثامن: إخلاص العمل لله، فمن أخلص لله في عبادته، هداه الله سبل رضاه، وحفظه مما يكره مولاه، وخلصه مما يضره في دنياه وأخراه: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾﴾ [البينة: ٥].

وقال الله عز وجل عن يوسف ﷺ: ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [يوسف: ٢٤].

التاسع: مجاهدة النفس، وحملها على التحلي بمكارم الأخلاق: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾﴾ [العنكبوت: ٦٩].

العاشر: لزوم البيئة الإيمانية، ومصاحبة الأخيار، والانقطاع عن مجالس الغفلة والمعاصي والفواحش، فالصاحب ساحب إما إلى خير، وإما إلى شر: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَاۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾﴾ [الكهف: ٢٨].

الحادي عشر: الإكثار من الصدقة، لأن الصدقة تطهر القلب وتزكي النفس بمحاسن الأقوال والأعمال والأخلاق: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٣﴾﴾ [التوبة: ١٠٣].

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٤٩١٨) ومسلم برقم (٢٨٥٣).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (١٣) ومسلم برقم (٤٥).

الثاني عشر : إفشاء السلام بين المسلمين، لأن إفشاء السلام يجلب المحبة والمودة، ويزيل البغضاء والشحناء :

قَالَ النَّبِيِّ ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لا تَدْخُلُوا الجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا ، وَلا تُؤْمِنُوا حَتَّى تحَابُّوا ، أَوَلا أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تحَابَبْتُمْ ؟ أَفْشُوا السَّلامَ بَيْنَكُمْ» أخرجه مسلم(١).

الثالث عشر : ترك كثرة السؤال، وترك تتبع أحوال الناس :

قَالَ النَّبِيِّ ﷺ: «مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ المَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ» أخرجه أحمد والترمذي(٢).

الرابع عشر : عدم الغيبة والنميمة، ليبقى قلب العبد سليما، فلا يغتاب أحدا، ولا يسمع الغيبة من أحد، لأن الغيبة والنميمة توغر الصدور، وتورث الأحقاد، وتسبب القطيعة والفرقة بين الناس : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾ [الحجرات:١٢].

الخامس عشر : السعي في إصلاح القلب، ومداومة علاجه :

قَالَ النَّبِيِّ ﷺ: «أَلاَ وَإِنَّ فِي الجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ. أَلاَ وَهِيَ القَلْبُ» متفق عليه(٣).

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٥٤).

(٢) صحيح/ أخرجه احمد برقم (١٧٣٧) والترمذي برقم (٢٣١٨).

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٥٢) ومسلم برقم (١٥٩٩).

٥ - جزاء سلامة الصدر

قال الله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾﴾ [يونس:٦٢-٦٤].

وقال الله ﷻ: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الحجر:٤٧].

وقال الله ﷻ: ﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿٣٢﴾ مَّنْ خَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ۖ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُلُودِ ﴿٣٤﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾﴾ [ق:٣١-٣٥].

﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٣﴾﴾ [آل عمران:٥٣].

﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٨﴾﴾ [آل عمران:٨].

اللَّهُمَّ آتِ نَفْسِي تَقْوَاهَا، وَزَكِّهَا أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا، أَنْتَ وَلِيُّهَا وَمَوْلَاهَا.

عبادات القلوب

في ضوء القرآن والسنة

العبادة الرابعة والخمسون

عِبَـادة المروءة

وتشتمل هذه العبادة العظيمة على المباحث الآتية :

الأول : فقه المروءة .

الثاني :أقسام المروءة .

الثالث : مراتب المروءة .

الرابع : شروط المروءة .

الخامس :علامات أهل المروءة .

السادس : الأسباب المعينة على تحصيل خلق المروءة .

السابع : ثمرات المروءة .

الثامن :خوارم المروءة.

العبادة الرابعة والخمسون

عبادة المروءة

١ - فقه المروءة

المروءة هي أن يتحلى الإنسان بمحاسن الأخلاق، ويجتنب كل خلق ذميم.

المروءة هي استعمال ما يجمل العبد ويزينه من معالي الأخلاق، وترك ما يدنسه ويشينه من مساوئ الأخلاق.

المروءة هي مجامع مكارم الأخلاق، ومحاسن الأداب، وصيانة النفس عما يوجب ذمها من الأقوال والأفعال والأخلاق الرديئة.

المروءة اجتناب ما يكره الله من الخصال الذميمة، واستعمال ما يحبه الله من الخصال الكريمة.

المروءة أن تصون نفسك عن الأدناس، وكل ما يشينها عند الناس، وتحملها على ما يجمل من مكارم الأخلاق، وتؤدي حقوق الله ﷻ، وحقوق المخلوقين، وحقوق النفس حسب أمر الله ورسوله، وتجتنب كل ما يدنس العرض والشرف من قول أو فعل أو خلق وغير ذلك مما يهبط بالإنسان عن المراتب العالية: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ١٩٩﴾[الأعراف:١٩٩].

المروءة من أعظم العبادات القلبية، وهي خصلة كريمة رفيعة القدر والشأن، لما يترتب على التخلق بها من جمال وجلال، وكمال وإحسان.

المروءة خلق عظيم، وسلوك قويم، وأدب رفيع، لا تكتمل إنسانية العبد إلا بتوفرها في قوله وفعله وسلوكه.

المروءة اسم جامع للمحاسن والفضائل والمكارم كلها.

المروءة هي السمو والرفعة والعلو في الأخلاق والآداب، وأن يعلو الإنسان بنفسه عن أخلاق السفلة والبهائم، والسباع والشياطين، ويرقى إلى أخلاق الملائكة والأنبياء والمرسلين: ﴿۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤﴾ [آل عمران: ١٣٣-١٣٤].

والفرق بين العقل والمروءة:

أن العقل يأمرك بالأنفع والأكمل، والمروءة تأمرك بالأجمل والأحسن.

المروءة صدور الأفعال الجميلة الممدوحة شرعًا وعقلًا وعرفًا، لكافة المخلوقات من إنسانٍ أو حيوانٍ أو طير.

فالمروءة تدفع صاحبها إلى مساعدة الحيوان واللطف به، والإحسان إليه .

قال النبي ﷺ: «بَيْنمَا رَجُلٌ يَمْشِي بطَرِيقٍ اشْتَدَّ علَيْهِ الْعَطَشُ، فَوجد بِئرًا فنزَلَ فِيهَا فَشَرِبَ، ثُمَّ خَرَجَ فإِذا كلْبٌ يلهثُ يَأْكُلُ الثرَى مِنَ الْعَطَشِ، فَقَالَ الرَّجُلُ: لَقَدْ بلَغَ هَذَا الْكَلْبُ مِنَ العطشِ مِثْلَ الَّذِي كَانَ قَدْ بَلَغَ مِنِّي، فَنَزَلَ الْبِئْرَ فملأَ خُفَّه مَاءً ثُمَّ أَمْسَكَه بِفيهِ، حتَّى رقِيَ فَسقَى الْكَلْبَ، فَشَكَرَ اللهُ له فغَفَرَ له. قَالُوا: يَا رسولَ اللهَّ إِنَّ لَنَا في الْبَهَائِم أَجْراً؟ فَقَالَ: في كُلِّ كَبدٍ رَطْبةٍ أَجْرٌ» متفق عليه[١].

وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ «أَنَّ امْرَأَةً بَغِيًّا رَأَتْ كَلْبًا فِي يَوْمٍ حَارٍّ يُطِيفُ بِبِئْرٍ، قَدْ أَدْلَعَ لِسَانَهُ مِنْ الْعَطَشِ، فَنَزَعَتْ لَهُ بِمُوقِهَا فَغُفِرَ لهَا» متفق عليه[٢] .

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٣٤٦٧) ومسلم برقم (٢٢٤٥).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم ( ) ومسلم برقم ( ).

وحقيقة المروءة اتصاف المرء بمحاسن الأخلاق التي فارق بها الحيوان البهيم، والسبع اللئيم، والشيطان الرجيم، فإن في النفس أربع دواعٍ متجاذبة .

أحدها :داعٍ يدعوها الى الاتصاف بأخلاق الحيوان، وهو داعي الشهوة والحرص والطمع .

الثاني : داعٍ يدعوها إلى الاتصاف بأخلاق السباع من الظلم والقسوة والعدوان .

الثالث : داعٍ يدعوها إلى الاتصاف بأخلاق الشياطين من العجب والكبر، والحسد والبغي، والعلو والفساد والإفساد .

الرابع : داعٍ يدعوها إلى الاتصاف بأخلاق الملائكة من البر والإحسان، والنصح والسمع والطاعة .

فحقيقة المروءة إجابة الداعي الرابع، وبغض وهجر واجتناب الدواعي الثلاث الأولى.

وأهم دواعي المروءة علو الهمة، وطلب معالي الأمور، وشرف النفس، والرغبة فيما عند الله من الثواب، والأنبياء أول وأعظم الناس مروءة :﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [الأنبياء: ٩٠].

وقال اله سبحانه: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾[التوبة: ١٢٨] .

٢ - أقسام المروءة

تنقسم المروءة إلى قسمين :

الأول : مروءة الأفعال، وهي استعمال مكارم الأخلاق في كل حال

فمروءة اللسان حلاوته وطيبته، واستعماله فيما يؤلف القلوب، ويثمر المحبة بين الناس: ﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسۡنٗا﴾[البقرة: ٨٣].

ومرؤة الخُلق سعته وبسطه لكل الخلق:﴿خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ ١٩٩﴾[الأعراف: ١٩٩].

ومروءة العين غض البصر وكفه عما لا يعنيه، والنظر في الآيات الكونية، ومحاسن الخلق .

ومروءة الأذن الإصغاء للحديث، والاهتمام به:﴿وَٱلَّذِينَ ٱجۡتَنَبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعۡبُدُوهَا وَأَنَابُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰۚ فَبَشِّرۡ عِبَادِ ١٧ ٱلَّذِينَ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقَوۡلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحۡسَنَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ١٨﴾[الزمر: ١٧ – ١٨].

ومروءة المال صرفه في مواقعه المحمودة، ومروءة الجاه بذله للمحتاج إليه .

ومروءة الإحسان توفيره، وتعجيله، وتيسيره، وستره، وعدم رؤيته، ونسيانه بعد وقوعه .

فهذه وأمثالها مروءة الأفعال :﴿۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤﴾
[آل عمران: ١٣٣ – ١٣٤].

الثاني : مروءة الترك :

مثل ترك الخصام، وترك المعاتبة، وترك المجادلة، وترك المطالبة، وترك المماراة، وترك الاستقصاء في طلب حقك كله، والإغضاء عن الزلات، والتغافل عن العثرات،ونحو ذلك: ﴿ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ ﴾[فصلت: ٣٤ – ٣٥] .

فهذا وهذا كله من المروءة ومكارم الأخلاق، وأهل مكارم الأخلاق هم أصحاب المروءات والنجدات، وأسعد الناس بذلك هم الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام خاصة سيدهم وأفضلهم محمد ﷺ الذي أثنى عليه ربه بقوله :﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾[القلم: ٤] .

وسئل رسول الله ﷺ:«مَن أَكْرَمُ النّاسِ؟ قالَ: «أَتْقاهُمْ» فَقالوا: ليسَ عن هذا نَسْأَلُكَ، قالَ: «فيُوسُفُ نَبِيُّ اللَّهِ، ابنُ نَبِيِّ اللَّهِ، ابْنِ نَبِيِّ اللَّهِ، ابْنِ خَلِيلِ اللَّهِ» قالوا: ليسَ عن هذا نَسْأَلُكَ، قالَ: «فَعَنْ معادِنِ العَرَبِ تَسْأَلُونِ؟ خِيارُهُمْ في الجاهِلِيَّةِ خِيارُهُمْ في الإسْلامِ، إذا فَقُهُوا»متفق عليه(١) .

وقال النبي ﷺ لخديجة في قصة بدء الوحي :«لَقَدْ خَشِيتُ على نَفْسِي»، فقالَتْ خَدِيجَةُ: كَلّا واللَّهِ ما يُخْزِيكَ اللَّهُ أبَدًا، إنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وتَحْمِلُ الكَلَّ، وتَكْسِبُ المَعْدُومَ، وتَقْرِي الضَّيْفَ، وتُعِينُ على نَوائِبِ الحَقِّ»متفق عليه(٢) .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٣٣٨٣) ومسلم برقم (٢٣٧٨).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٩٨٢) ومسلم برقم (١٦٠).

٣- مراتب المروءة

للمروءة ثلاث مراتب .

الأولى : المروءة مع النفس :

ويكون ذلك بحملها على ما يجمل ويزيد من مكارم الأخلاق، وترك ما يدنس ويشين من رديء الأخلاق، ليكون لها ذلك ملكةً تتزين بها في جميع الأحوال والمناسبات: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝١٠﴾ [الشمس:٧-١٠].

الثانية : المروءة مع الخلق :

بأن يستعمل العبد معهم مكارم الأخلاق، ومحاسن الآداب، من الحياء والحلم،والبروالإيثار،والإكرام، والإحسان والعفو والصفح ونحو ذلك من مكارم الأخلاق التي تثمر المحبة والمودة بين الناس :﴿ ۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ۝١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ۝١٣٤﴾[آل عمران: ١٣٣-١٣٤].

الثالثة : المروءة مع الحق سبحانه.

بالاستحياء من نظر الله إليك على حال قد نهاك الله عنها، فأنت عبده تسكن في ملكه، وتأكل من رزقه، وتتقلب في نعمه، فلا يليق بالعبد ان يسكن في ملك خالقه وسيده، ويخالف أمره .

فالمروءة أن تحبه، وتطيعه، وتؤمن به، وتوحده، وتشكره، وتعبده وحده لا شريك له، وهذه أعلى مراتب المروءة .

وعلى العبد ان يسعى لإصلاح عيوب نفسه قدر الإمكان، لأن الله قد اشتراها منه، وأعطاه ثمنها وهو الجنة، كما قال سبحانه :﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾ ﴾ [التوبة:١١١].

وصفات هؤلاء الذين اشتراهم الله أحسن الصفات، وهي عشر صفات:﴿ ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلْءَامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ ﴾[التوبة:١١٢].

فليس من المروءة تسليم المبيع على ما فيه من العيوب وتقاضي الثمن كاملاً .

فليستح العبد من ربه، ولا يخالف أمره في ملكه، وهو يعلم أن الله يراه ويسمعه في جميع أحواله :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾[البقرة:٢١-٢٢].

وقال النبي ﷺ: «الإِيمانُ بضْعٌ وسَبْعُونَ شُعْبَةً، فأفْضَلُها قَوْلُ لا إلَهَ إلَّا اللَّهُ، وأَدْناها إماطَةُ الأذَى عَنِ الطَّرِيقِ، والحَياءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإيمانِ.» متفق عليه[1] .

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٩) ومسلم برقم (٣٥).

٤ -شروط المروءة

شروط المروءة ثلاثة :

الأول : العفة عن المحارم، والعفة عن المآثم

بأن يجتنب العبد كل قولٍ أو فعلٍ أو خلقٍ محرمٍ، تعبدًا لله ﷻ: ﴿فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٣٦﴾ وَٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا۟ هُمْ يَغْفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلْبَغْىُ هُمْ يَنتَصِرُونَ ﴿٣٩﴾ وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ۖ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾﴾ [الشورى: ٣٦ – ٤٠] .

الثاني : النزاهة عن المطامع الدنيوية، والبعد عن مواطن الريبة لئلا يسقط العبد من عين الله وأعين الناس: ﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾﴾ [القصص:٧٧].

الثالث : صيانة النفس عن الحاجة إلى غيرها من الناس، والتوكل على الله وحده.

بالسعي في تحصيل كفايتها، وصيانتها عن تحمل المنن من الناس، لأن المنة تورث ذلة، ولا مروءة مع ذلة: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾﴾ [الطلاق: ٢ – ٣].

٥ - علامات أهل المروءة

لأهل المروءات علامات :

الأولى : أن يكون صاحب المروءة ذا أناة وتؤدة، فلا يبدو في حركاته اضطراب أو عجلة، أو رعونة أو تهور .

الثانية : أن لا يفعل في الخفاء ما يستحي فعله أمام الناس .

الثالثة : أن يضبط العبد نفسه عن هيجان الغضب، أو دهشة الفرح .

الرابعة : أن يجتنب العبد تكليف ضيوفه وزائريه ولو بعمل صغير .

الخامسة : أن يحسن الإصغاء لمن يحدثه من الناس صغيرًا كان أو كبيرًا .

السادسة : أن يكون حافظًا لما يؤتمن عليه من الأسرار، فلا يفشي سر أحد .

السابعة :أن يترفع الإنسان بطوعه واختياره عن كل ما لا يليق به من الأخلاق السيئة، والأقوال الباطلة، والأفعال الشائنة.

الثامنة :ألا تخالف أقوال العبد وأفعاله العادات والتقاليد الحسنة الموافقة للشرع، ولا تخالف أفعاله أقواله .

وغير ذلك من العلامات التي تميز أهل المروءة من غيرهم .

ومن المروءة الإحسان إلى الناس، خاصة الضعفاء والفقراء، والأيتام والأرامل وغيرهم دون انتظار جزاء من أحد: ﴿ ۞ وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٣٧﴾ ﴾[النساء: ٣٦ – ٣٧] .

وقال النبي ﷺ : «السَّاعِي على الأَرْمَلَةِ والمِسْكِينِ، كالمُجاهِدِ في سَبيلِ الله»، وأَحْسِبُهُ قالَ، «وكالْقائِمِ لا يَفْتُرُ، وكالصَّائِمِ لا يُفْطِرُ» متفق عليه[1] .

ومن المروءة بر الوالدين والإحسان إليهما بالقول والفعل: ﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٠٠٧) ومسلم برقم (٢٩٨٢).

﴿تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًاۚ إِمَّا يَبۡلُغَنَّ عِندَكَ ٱلۡكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوۡ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفّٖ وَلَا تَنۡهَرۡهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوۡلٗا كَرِيمٗا ﴿٢٣﴾ وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا ﴿٢٤﴾﴾ [الإسراء: ٢٣ – ٢٤] .

ومن المروءة توقير الكبار، والأكابر من أهل العلم والبر والإحسان .

ومن المروءة رحمة الصغار، والرفق بهم، وتوجيههم إلى معالي الأخلاق، ومحاسن الآداب، ليتدربوا على مكارم الأخلاق .

ومن المروءة إكرام الضيف، ورعاية حرمة القريب، وقضاء حاجة المحتاج .

ومن المروءة حفظ الأهل والأولاد من كل فعل لا يليق بالمسلم والمسلمة، وصونهم عن الأماكن التي تزري بهم، وتحط من قدرهم .

ومن المروءة الإغضاء عن هفوات الإخوان والتغافل عن الزلات، واحتمال عثرات الإخوان، والتغافل عنها، فكل بني آدم خطاء، وخير الخطائين التوابون .

قال النبي ﷺ : «لا يُؤمِنُ أحَدُكُمْ، حتَّى يحِبَّ لأخِيهِ ما يحِبُّ لِنَفْسِهِ.» متفق عليه[1] .

ومن المروءة أن تسامح الناس في الحقوق والواجبات، وأن تصفح عنهم حسب الاستطاعة، كما قال سبحانه : ﴿وَلَا يَأۡتَلِ أُوْلُواْ ٱلۡفَضۡلِ مِنكُمۡ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤۡتُوٓاْ أُوْلِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينَ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَلۡيَعۡفُواْ وَلۡيَصۡفَحُوٓاْۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾ [النور: ٢٢].

ومن المروءة أن تعين العاجز، وتأخذ بيد الضعيف، وتجبر خاطر الكسير، وتنفس كرب المكروب، وتفرج هم المهموم .

ومن المروءة أن تحب للناس ما تحب لنفسك، وتكره لهم ما تكره لنفسك، وتفرح لفرحهم، وتحزن لحزنهم .

قال النبي ﷺ : «مثل المؤمنين في توادهم، وتراحمهم، وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعي له سائر الجسد بالسهر والحمى.» متفق عليه[2] .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (١٣) ومسلم برقم (٤٥).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٠١١) ومسلم برقم (٢٥٨٦).

٦ - الأسباب المعينة على تحصيل خلق المروءة

الأول: قراءة القرآن وتدبره، لمعرفة مكارم الأخلاق التي يحبها الله ﷻ من الصدق، والبر، والإحسان، والإيثار، والرحمة، والحلم، والعفو، والمغفرة، ومعرفة فضائل تلك الصفات وأجورها العظيمة: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾﴾ [النحل:٨٩].

الثاني: النظر في سير الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام، وما هم عليه من مكارم الأخلاق، ومحاسن الأقوال والأعمال والأخلاق، للتأسي بأخلاقهم، والاقتداء بهم: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ ۖ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ ۗ﴾ [الأنعام:٩٠].

وقال ﷻ: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ [الأحزاب:٢١].

الثالث: كثرة مجالسة الضعفاء والمساكين وذوي الحاجات، فإن ذلك مما يرقق القلب ويلينه، ويدعو إلى الرحمة والشفقة والإحسان إلى هؤلاء وغيرهم: ﴿وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ۛ وَأَحْسِنُوا ۛ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾﴾ [البقرة: ١٩٥].

الرابع: معرفة الآثار المترتبة على التحلي بخلق المروءة، والثمار التي يجنيها أهل المروءة في الدنيا قبل الآخرة، ومعرفة عقوبة الله لأهل الأخلاق السيئة والذنوب المهلكة: ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَىٰ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنسَانُ مَا سَعَىٰ ﴿٣٥﴾ وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ ﴿٣٦﴾ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾﴾ [النازعات:٣٤-٤١].

الخامس: مجالسة الأخيار من أهل الإيمان ومكارم الأخلاق، واجتناب مجالس

أهل الفسق والمعاصي : ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾﴾ [الكهف:٢٨].

السادس : دعاء الله ﷻ أن يرزق العبد خلق المروءة، ويعينه على الاتصاف بها : ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [غافر: ٦٠].

وقال النبي ﷺ : «وَاهْدِنِي لأَحْسَنِ الأَخْلَاقِ، لا يَهْدِي لأَحْسَنِهَا إِلَّا أَنْتَ، وَاصْرِفْ عَنِّي سَيِّئَهَا، لا يَصْرِفُ عَنِّي سَيِّئَهَا إِلَّا أَنْتَ» أخرجه مسلم(١).

السابع :معرفة فضائل المروءة، وما أعده الله من الثواب العظيم لأهل المروءة، ومكارم الأخلاق : ﴿۞ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَـٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَـٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ [آل عمران:١٣٣-١٣٤].

الثامن : تذكر الموت، وما بعده من أهوال يوم القيامة، فمن تذكر ذلك حمله على التحلي بالأخلاق الحسنة، واجتناب الأخلاق السيئة.

قال النبي ﷺ : «أكثروا ذكرَ هادمِ اللذاتِ» أخرجه الترمذي وابن ماجة(٢).

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٧٧١).

(٢) صحيح/ أخرجه الترمذي برقم (٢٣٠٧) وابن ماجة برقم (٤٢٥٨).

٧- ثمرات المروءة

الأولى: المروءة خلق عظيم يثمر محبة الله للعبد، ومحبة الخلق له.

الثانية :المروءة تحجز العبد عن الوقوع في مواطن الريبة والرذائل والشبهات، وإن وقع في مثل هذه المواطن حملته على التخلص منها، وسرعة التوبة إلى الله منها : ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿١٣٦﴾ ﴾[آل عمران: ١٣٥-١٣٦].

الثالثة : المروءة تصون النفس عما يشينها، وتحفظها من الوقوع في الأمور الرديئة، وتحميها مما يضرها ويعيبها من مساوئ الأقوال والأعمال والأخلاق .

الرابعة : المروءة تحفظ للعبد أوقاته في كسب الحسنات، وتوفير الحسنات المفعولة عن نقصانها وحبوطها، لأن السيئات تحبط الحسنات أو تنقصها.

الخامسة : المروءة خلق كريم يصون الإيمان عن النقص، فالإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية.

السادسة : المروءة من أعظم سبل نيل المطالب العالية، والآداب الفاضلة والأجور العظيمة : ﴿ ۞ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ ﴾[آل عمران:١٣٣-١٣٤].

السابعة :المروءة تزيد في ماء الوجه، وبهجته، ونضارته، واستنارته، وسروره .

الثامنة : المروءة تحجز العبد عن كل لذة يعقبها ألم، وكل شهوة يعقبها ندم، فهي جنة عن اللذات المحرمة، والشهوات المهلكة، ومن صفات أولياء الله : ﴿ وَٱلَّذِينَ

﴿يَجۡتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُواْ هُمۡ يَغۡفِرُونَ ٣٧﴾[الشورى:٣٧].

التاسعة : المروءة داعية إلى إنصاف المرء جميع الخلق، سواء كان ذلك صديقه أو عدوه، وسواء كان ذلك الشخص مثله أو فوقه أو دونه .

العاشرة : المروءة داعية إلى الرفعة، ومعالي الأمور، والمنافسة في خيري الدنيا والآخرة، وعدم الرضا إلا بالأعلى والأفضل والأحسن : ﴿۞ لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٞۖ وَلَا يَرۡهَقُ وُجُوهَهُمۡ قَتَرٞ وَلَا ذِلَّةٌۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٢٦﴾ [يونس:٢٦].

الحادية عشرة : المروءة تثمر التنافس بين الناس في الرحمة، والحلم، والبر، والإحسان، والإيثار، ومكارم الأخلاق: ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلۡيَتَنَافَسِ ٱلۡمُتَنَٰفِسُونَ ٢٦﴾[المطففين: ٢٦] .

الثانية عشرة : المروءة من أعظم أبواب كسب الأجور العظيمة، والفوز بمغفرة الله، ودخول الجنة: ﴿۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤﴾ [آل عمران:١٣٣-١٣٤].

٨- خوارم المروءة

من خوارمالمروءة :

الأول : الخبل في العقل، فالإنسان سمي مرءًا، ووصف بالمروءة، لأنه لا يتصف بخلاف المروءة إلا الحمقى، ولهذا كان الخبل في العقل سببًا في اقتراف خوارمالمروءة من الأخلاق السيئة، والأفعال المشينة .

الثاني : نقصان الدين، فلا يقدم على الكبائر والفواحش إلا فاسقٌ غير مبالٍ بدينه، قد خرم مروءته لنقصان دينه .

الثالث : قلة الحياء، فقلة الحياء من الله، ومن الناس، تعطي العبد الجسارة على فعل خوارم المروءة .

قال النبي ﷺ : «إنَّ مماَّ أدْرَكَ النَّاسُ مِن كَلامِ النُّبُوَّةِ الأُولَى: إذا لَمْ تَسْتَحِ فاصْنَعْ ما شِئْتَ» أخرجه البخاري(١)

الرابع : مجالسة الأشرار والعصاة، فمن جالسهم صار مثلهم، وتخلق بأخلاقهم، لأن الصاحب ساحب إلى خير أو شر : ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِۦۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ٦٨﴾[الأنعام:٦٨].

الخامس : رؤية النفس، وعدم المبالاة بالناس، فمن أعجب بنفسه فعل ما شاء ولو كان قبيحًا ولم يبال بأحد .

وخوارم المروءة متعددة .

فمن خوارم المروءة ما هو محرم، ومنها ما هو مكروه،

ومنها ما هو مناف للأدب والحشمة، وإن لم يكن مخالفًا للشرع .

---

(١)أخرجه البخاري برقم (٣٤٨٣) .

وهذه بعض خوارم المروءة :

الأول : البول قائما، واعتياده من غير حاجة، والبول على قارعة الطريق المسلوك، والبول في أماكن الجلوس العامة كالحدائق ونحوها.

الثاني :الجشأ أمام الناس، والجشع عند أكل الطعام، كأن يأكل بنهم وشدة وإسراع.

الثالث : استخدام الضيف، وتكليف الزائر بالعمل ولو كان خفيفا.

الرابع : إضحاك الناس بحركاتٍ وأفعالٍ غريبة غير لائقة.

الخامس : أن يقلد شخصا في كلامه ومشيته وحركاته من باب السخرية وإضحاك الناس، كما يفعله الممثلون والمهرجون .

السادس : الرقص والتصفيق والتصفير للرجال، لما في ذلك من الخفة والرعونة والتشبه بالنساء.

السابع : كثرة السؤال، ومد اليد للناس في المجامع من غير حاجة.

الثامن : الجلوس في أماكن الأسافل والأراذل، كالمقاهي والأماكن المشبوهة.

التاسع : التصريح بأقوال وكلمات تستحي النفس من ذكرها بلا حاجة.

العاشر : تكتيف اليدين على الدبر حال القيام، ووضع اليدين على القبل أمام الناس .

الحادي عشر : تذوق الأطعمة والفواكه والخضروات عند الباعة من غير حاجة.

الثاني عشر : كشف العورة، وما جرت فيه العادة أنه عورة، كالظهر والصدر والبطن، وإفشاء الأسرار الزوجية.

الثالث عشر : التزين بلباس يلفت الأنظار، ويسخر منه الناس، كمن يلبس الأحمر الخالص، أو يلبس لباس شهرة.

الرابع عشر : نتف شعر اللحية أو الأنف أو الشارب أو الإبط أمام الناس، لما فيه

من الدناءة والتقزز والاشمئزاز، وسوء الأدب .
الخامس عشر : الإكثار من المزاح بين الناس، لأنه يذهب المروءة، ويسقط الهيبة، فمن كثر ضحكه قلت هيبته، ونقصت مروءته.
السادس عشر : الأكل من موضع يد صاحبك في الطعام . والأكل من غير ما يليه من الصحن أو المائدة .
السابع عشر : مد الرجلين في مجامع الناس،أو النوم بينهم من غير حاجة .
الثامن عشر :إخراج الريح بصوت مع القدرة على ضبط النفس .
التاسع عشر : التكلم بالأعجمية وترك العربية من غير حاجة .
وغير ذلك من خوارم المروءة التي تنافي كمال الأدب، وحسن الخلق .
﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ٢٠١﴾ [البقرة: ٢٠١].
اللهم اهدنا لأحسن الأقوال والأعمال والأخلاق، لا يهدي لأحسنها إلا أنت، واصرف عنا سيئها لا يصرف عنا سيئها إلا أنت، يا ذا الجلال والإكرام .
اللهم آت نفوسنا تقواها، وزكها أنت خير من زكاها أنت وليها ومولاها .

عبادات القلوب

في ضوء القرآن والسنة

العبادة الخامسة والخمسون

عِبَــادة الإيثـــــار

وتشتمل هذه العبادة العظيمة على المباحث الآتية :

الأول: فقه الإيثار.

الثاني: فضائل الإيثار.

الثالث: أقسام الإيثار.

الرابع: درجات الإيثار.

الخامس: الأسباب المعينة على الإيثار.

السادس: ثمرات الإيثار.

العبادة الخامسة والخمسون

عبادة الإيثـــــار

١ - فقه الإيثار

الإيثارهو أن يُقدم الإنسانُ غيره على نفسه في جلب النفع له، ودفع الضر عنه.

الإيثارتقديم الغير على نفسه في الحظوظ الدنيوية، رغبة فيما عند الله من الحظوظ الدينية والدنيوية.

الإيثارهو تفضيل الغير على النفس، وتقديم مصلحته على المصلحة الذاتية.

الإيثارمن أعظم العبادات القلبية، وهو أعلى درجات السخاء، وأكمل أنواع الجود وأعلى مراتب الإحسان.

الإيثارعبادة عظيمة من أعظم عبادات القلوب التي تُورث محبة الله للعبد، ومحبة الخلق لصاحب الإيثار.

الإيثار مرتبة عالية من مراتب البذل والكرم والجود، ومنزلة عظيمة من منازل العطاء والسخاءوالإحسان.

الإيثارخُلق عظيم يُثمر المحبة والمودة، والرحمة والأخوة، ويدل على صفاء القلب، وطيب النفس، وسلامة الصدر .

الإيثاررحمة من الرحمن الرحيم، أسكنها الكريم في قلوب عباده المؤمنين؛ فبذلت وأكرمت وأعطت مالم يعطه الآخرون، وسعت إلى كل خير حين وقف القانعوناقتحم أصحاب الإيثار العقبة، ووصل برّهم إلى القريب والبعيد والمسكين والرقيق: ﴿فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ﴿١١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ أَوْ إِطْعَـٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٥﴾ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴿١٦﴾ ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْمَرْحَمَةِ ﴿١٧﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴿١٨﴾﴾ [البلد:١١ -١٨].

قلوبُ أهل الإيثار رقيقة لينة، حليمة رحيمة، تعطف على المساكين، وتؤثر غيرها

على نفسها، وتدعو للمصابين والمنكوبين، وتمد اليد بالعطاء والإكرام لكل من تراه من الخلق: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٤﴾﴾[البقرة:٢٧٤].

الإيثارهو السعي في بذل الخير والمعروف والإحسان، طمعاً في رحمة الرحمن الرحيم، ومغفرة الغفور الغفار؛ بإجابة دعوة من مكروب أو مهموم أو مغموم أو دعوة مديون معسر، أو دعوة من أرملة، أو دعوة من بائس أو بائسة: ﴿۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾[آل عمران:١٣٣-١٣٤].

الإيثارعبادة قلبية عظيمة تُدخِل السرور على الناس، وتُثمر المحبة والمودة فيما بينهم، وتزيد الحسنات والأجور: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَىْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٩٢﴾﴾[آل عمران:٩٢].

الإيثار خُلق عظيم يدل على سماحة النفس، ومحبة الرب، ورحمة الخلق، وسخاء اليد، وتقديم محبة الله على محبة الأموال التي جُبلت النفوس على حبها وإمساكها.

الإيثار خُلق رفيع يدل على صفاء النفوس، ونقاوتها من الشُح والبخل، وسلامتها من الأنانية، ورغبتها في الإحسان،وقد أثنى الله ﷻ على الأنصار لصدقهم في الإيثار، فقال سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾﴾[الحشر:٩].

الإيثارخُلق نبيل يزرع في النفوس المحبة والمودة ويغرس في القلوب الرحمة والرأفة، وينزع من القلوب البغضاء والكراهية، فالقلوب مجبولة على تعظيم صاحب الإيثار ومحبته، كما أنها مجبولة على بُغض البخيل المستأثر ومقته.

الإيثارعبادة بين المرء وغيره في أمور الحياة والمعاملات، ولا يكون الإيثار في القُربات، بل تعاون وتنافس في الخيرات: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ

عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢﴾ ﴾[المائدة:٢].

فلا إيثار في القربات والعبادات والطاعات؛ لأن كل عبد يريد أن يكون قريباً من ربه، ويسعى أن يكثر من حسناته، ويخفف من سيئاته، كما قال سبحانه عن أوليائه: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴿٦١﴾ ﴾[المؤمنون:٦١].

وقال النبي ﷺ: «لَوْ يَعْلَمُ النَّاسُ ما في النِّدَاءِ وَالصَّفِّ الأوَّلِ، ثُمَّ لَمْ يَجِدُوا إِلَّا أَنْ يَسْتَهِمُوا عليه لَاسْتَهَمُوا، ولو يَعْلَمُونَ ما في التَّهْجِيرِ لَاسْتَبَقُوا إِلَيْهِ، ولو يَعْلَمُونَ ما في العَتَمَةِ وَالصُّبْحِ لَأَتَوْهُما ولو حَبْوًا» متفق عليه(١).

وسيد المؤثرين، وإمام المحسنين، وقائد الأكرمين، هو محمد ﷺ، الذي كان أحسن الناس خَلقاً وخُلقاً، وكان خُلقه القرآن، يتأدب بآدابه، ويحل حلاله، ويحرم حرامه.

وقد كان ﷺ أعظم الناس إيثاراً لغيره، لم يستأثر بشيء دون أصحابه، بل كان يشاركهم في طعامه وشرابه، وربما منع نفسه وأهله، ليعطي السائل والمحروم والمحتاج.

فيجب على المسلم الذي يريد رضوان ربه أن يقتدي بالرسول ﷺ في فكره وفي أقواله وأفعاله وأخلاقه: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾[الأحزاب:٢١].

ثم يليه ﷺ إخوانه من الأنبياء والمرسلين، ثم أصحابه الكرام من المهاجرين والأنصار، ثم من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾ ﴾[التوبة:١٠٠].

وقال النبي ﷺ: «خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ يَجِيءُ أَقْوَامٌ تَسْبِقُ شَهَادَةُ أَحَدِهِمْ يَمِينَهُ، وَيَمِينُهُ شَهَادَتَهُ» متفق عليه(٢).

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٥٩٠) ومسلم برقم (٤٣٧).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٢٦٥٢) ومسلم برقم (٢٥٣٣).

٢ - فضائل الإيثار

قال الله تعالى عن الأنصار: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُو الدَّارَ وَالْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾﴾ [الحشر: ٩].

وقال الله تعالى: ﴿۞ لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْءَاخِرِ وَالْمَلَٰٓئِكَةِ وَالْكِتَٰبِ وَالنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَٰمَىٰ وَالْمَسَٰكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّآئِلِينَ وَفِى الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَوٰةَ وَءَاتَى الزَّكَوٰةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَالصَّٰبِرِينَ فِى الْبَأْسَآءِ وَالضَّرَّآءِ وَحِينَ الْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾﴾ [البقرة: ١٧٧].

وقال الله تعالى: ﴿لَن تَنَالُوا۟ الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٩٢﴾﴾ [آل عمران: ٩٢].

وقال الله تعالى عن الأبرار: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾﴾ [الإنسان: ٨-٩].

و سُئِلَ النبي ﷺ: «أَيُّ الصَّدَقَةِ أَعْظَمُ أَجْرًا؟ قالَ: أَنْ تَصدَّقَ وأَنْتَ صَحِيحٌ شَحِيحٌ تَخْشَى الفَقْرَ، وتَأْمُلُ الغِنَى، ولا تُمْهِلُ حتَّى إذا بَلَغَتِ الحُلْقُومَ، قُلْتَ لِفُلانٍ كَذا، ولِفُلانٍ كَذَا وقدْ كانَ لِفُلانٍ» متفق عليه(١).

وقال النبي ﷺ: «إنَّ الأشْعَرِيِّينَ إذا أرْمَلُوا في الغَزْوِ، أوْ قَلَّ طَعامُ عِيالِهِمْ بالمَدِينَةِ جَمَعُوا ما كانَ عِنْدَهُمْ في ثَوْبٍ واحِدٍ، ثُمَّ اقْتَسَمُوهُ بيْنَهُمْ في إناءٍ واحِدٍ بالسَّوِيَّةِ، فَهُمْ مِنِّي وأنا منهمْ» متفق عليه(٢).

وقال النبي ﷺ: «طعامُ الواحدِ يَكفي الاثنينِ، وطعامُ الاثنينِ يَكفي الأربعةَ وطعامُ الأربعةِ يَكفي الثَّمانيةَ» أخرجه مسلم(٣).

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (١٤١٩) ومسلم برقم (١٠٣٢).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٢٤٨٦) ومسلم برقم (٢٥٠٠).

(٣) أخرجه مسلم برقم (٢٠٥٩).

٣- أقسام الإيثار

ينقسمُ الإيثار إلى قسمين :

الأول: إيثار رضا الله عَجَّلَ على رضا الخلق، وإن عظمت فيه المحن، وأغضب الخلق .

ويكون بتقديم رضا الله على رضا الخلق، وإيثار حب الله على حب غيره، وإيثار خوف الله على خوف غيره، وإيثار رضا الله على رضا نفسه، وإيثار الذل لله على الذل لغيره. وإيثار الطلب من الله على الطلب من غيره، وإيثار الافتقار إلى الله على الافتقار لغيره، وإنزال الفاقات والحاجات به دون غيره :﴿ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾[غافر: ٦٥].

ولهذا النوع من الإيثار علامتان تدلان عليه وهما :

الأولى :أن يفعل العبدُ كل ما يحبه الله ويأمر به حسب استطاعته، وإن كان ما يحبه الله مكروهاً إلى نفسه، ثقيلاً عليها.

الثانية :أن يترك العبدُ كل ما يكرهه الله وينهى عنه، وإن كان المكروه محبوباً للنفس تشتهيه وترغب فيه.

وبهذين الأمرين يكملُ الإيثارُ، ويتم به فلاح العبد وسعادته في الدنيا والآخرة، والمحنة في هذا الإيثار عظيمة والمئونة فيه شديدة وإنه ليسير على من يسره الله عليه :﴿ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٤﴾ ﴾[الجمعة: ٤].

الثاني: إيثار الخلق على النفس، وتقديم مصلحة غيره على مصلحة نفسه، طمعاً في ثواب الله عَجَّلَ.

وشروط هذا النوع من الإيثار :

الأول: ألا تؤثر غيرك بما يجب عليك شرعاً، لأنه يستلزم إسقاط الواجب عليك شرعاً.

الثاني :أن يكون الإيثار بالدنيا لا بالدين.

الثالث : ألا يضيعُ الإيثارُ على المؤثر وقته.

الرابع: ألا يتسبب الإيثار في إفساد حاله.
الخامس: ألا يكون الإيثار سبباً في سد طريق خير على المُؤثر.
السادس: ألا يهضمُ الإيثارُ للمؤثر دينه.
السابع: ألا يمنع الإيثار للمُؤثر ورداً.
فإذا توفرت هذه الشروط كان الإيثار إلى الخلق محموداً.
وإن لم تتوفر هذه الشروط، فالإيثار إلى النفس أولى من الإيثار إلى الغير؛ لأن الإيثار يكون بالدنيا، لا بالوقتِ والدينِ وما يعود على القلب بالصلاح.
وخُلق الإيثار نوعان:
الأول: إيثار فطري غريزي: كالإيثار الذي عند الآباء والأمهات لأولادهم، فإن الباعث عليه فطري في النفوس، ينتج عنه حبُ شديدُ عارم.
والحب أعظم باعث على الإيثار، ولا أقوى من حب الوالدين لأولادهم، ولا أشد رحمة من الأب والأم بأولادهم.
قالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: «جَاءَتْنِي مِسْكِينَةٌ تَحْمِلُ ابْنَتَيْنِ لهَا، فأطْعَمْتُهَا ثَلَاثَ تمَرَاتٍ، فأعْطَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ منهما تمْرَةً، وَرَفَعَتْ إلى فِيهَا تمْرَةً لِتأْكُلَهَا، فَاسْتَطْعَمَتْهَا ابْنَتَاهَا، فَشَقَّتِ التَّمْرَةَ، الَّتي كَانَتْ تُرِيدُ أَنْ تأْكُلَهَا بيْنَهُمَا، فأعْجَبَنِي شَأْنُهَا، فَذَكَرْتُ الذي صَنَعَتْ لِرَسُولِ الله ﷺ، فَقالَ: إنَّ اللَّهَ قدْ أَوْجَبَ لهَا بهَا الجَنَّةَ، أَوْ أَعْتَقَهَا بهَا مِنَ النَّارِ» أخرجه مسلم(1).
الثاني: إيثار إيماني: وهو حب الخير للغير على حساب النفس وملذاتها وشهواتها؛ ابتغاء مرضاة الله، وطمعاً في ثوابه، كما قال الله ﷻ عن الأنصار: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾﴾ [الحشر: ٩].

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٦٣٠).

٤ - درجات الإيثار

للإيثار ثلاث درجات:

الأول: أن تؤثر الخلق على نفسك، وتقدم مصالحهم على مصلحتك، فتُطعمهم وتجوع، وتُسقيهم وتظمأ، وتُقدمهم في الدخول، وتؤثرهم بالمجلس الأحسن، ونحو ذلك من مكارم الأخلاق .

الثاني: أن توثر رضا الله على رضا غيره من الخلق، فتفعل ما فيه مرضاة الله ولو أغضب الخلق، وعظمت فيه المحن، وقلّت به المؤن، وقصر عنه الطول .

وفي أعلى هذه الدرجة الأنبياءُ والمرسلون عليهم الصلاة والسلام.

الثالثة: إيثار الله على إيثارك، بنسبة ذلك الإيثار إلى الله دون نفسك، وأنه هو الذي تفرد بالإيثار لا أنت، فإذا أثرت غيرك بشيء فإن الذي آثره هو الله في الحقيقة لا أنت: ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾[النحل:٥٣].

فإيثارُ الخلقِ على النفسِ يكون بحب الخير للناس، والإحسان إليهم، وتطهير النفس من كل أنانية وكراهية وشحناء، وذلك يثمر الحب والمودة، والأخوة والألفة بين المؤمنين.

قال النبي ﷺ: «مثلُ المؤمنين في تَوادِّهم ، وتَراحُمِهم ، وتعاطُفِهِمْ . مثلُ الجسَدِ إذا اشتكَى منْهُ عضوٌ تداعَى لَهُ سائِرُ الجسَدِ بالسَّهَرِ والحُمَّى» متفق عليه(١).

وإيثارُ الخالقِ على المخلوق أفضل أنواع الإيثار، وأرفعهما قدراً، وأعلاهما منزلةً.

وإيثارُ الله هو إيثار رضاه على رضا غيره، وإيثار حب الله على حب غيره، وإيثارخوفه ورجائه على خوف غيره ورجائه.

والإيثار مع الله أن يفعل العبدُ كل ما يحبه الله ويرضاه ويأمر به، وأن يترك ما يكرهه الله وينهى عنه : ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾ ﴾[الحشر:٧].

وقال النبي ﷺ: «ما نَهَيْتُكُمْ عنْه فَاجْتَنِبُوهُ، وَما أَمَرْتُكُمْ به فَافْعَلُوا منه ما اسْتَطَعْتُمْ» متفق عليه(٢).

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٠١١) ومسلم برقم (٢٥٨٦).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٧٢٨٨) ومسلم برقم (١٣٣٧).

٥- الأسباب المعينة على خلق الإيثار

الأول: الإيمانُ بالله، والسعي إلى مرضاته، والطمع في ثوابه، والخوف من عقابه: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾

[الأنفال:٢-٤].

الثاني: الإكثارُ من تلاوة القرآن، وتدبر آياته، وما فيها من الترغيب في مكارم الأخلاق، وعظيم ثواب أهل الإيمان والإيثار والإحسان: ﴿۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ [آل عمران:١٣٣-١٣٤].

الثالث: النظرُ في سير الأنبياءِ والمرسلين، وماهم عليه من مكارم الأخلاق، ومحاسن الأقوال والأعمال: ﴿إِنَّهُمْ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [الأنبياء:٩٠].

الرابع: تذكر الموت ومابعده من الأهوال، فمن ذكر الموت سارع إلى التوبة إلى ربه، وبادر إلى أنواع الإحسان، من تفريج كرب المكروبين، وستر عورات المحتاجين، وإطعام الفقراء والمساكين.

قال النبي ﷺ: «أكثروا ذكرَ هادمِ اللذاتِ» أخرجه الترمذي وابن ماجة(١).

الخامس: معرفةُ فضائلِ الإيثار، وما يثمره من الثواب العظيم، والأجر الكبير: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٤﴾﴾ [البقرة:٢٧٤].

---

(١) صحيح/ أخرجه الترمذي برقم (٢٣٠٧) وابن ماجة برقم (٤٢٥٨).

السادس: الرغبةُ فيما عند الله من المغفرة والثواب العظيم، فمن يرغب في الفوز بالجنة، والنجاة من النار، فليكن من أهل الإحسان والإيثار، كما قال الله عز وجل عن الأبرار: ﴿إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ يَشۡرَبُونَ مِن كَأۡسٖ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ۝٥ عَيۡنٗا يَشۡرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفۡجِيرٗا ۝٦ يُوفُونَ بِٱلنَّذۡرِ وَيَخَافُونَ يَوۡمٗا كَانَ شَرُّهُۥ مُسۡتَطِيرٗا ۝٧ وَيُطۡعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسۡكِينٗا وَيَتِيمٗا وَأَسِيرًا ۝٨ إِنَّمَا نُطۡعِمُكُمۡ لِوَجۡهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمۡ جَزَآءٗ وَلَا شُكُورًا ۝٩ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوۡمًا عَبُوسٗا قَمۡطَرِيرٗا ۝١٠ فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمِ وَلَقَّىٰهُمۡ نَضۡرَةٗ وَسُرُورٗا ۝١١ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُواْ جَنَّةٗ وَحَرِيرٗا ۝١٢ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِۖ لَا يَرَوۡنَ فِيهَا شَمۡسٗا وَلَا زَمۡهَرِيرٗا ۝١٣﴾[الإنسان: ٥-١٣].

السابع: مصاحبةُ الأخيارِ من أهل البذل والإيثار، والانقطاع عن الأشرار من أهل البخل والشح، والغفلة والمعاصي: ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا ۝٢٨﴾[الكهف: ٢٨].

وقال الله تعالى: ﴿هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ تُدۡعَوۡنَ لِتُنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبۡخَلُۖ وَمَن يَبۡخَلۡ فَإِنَّمَا يَبۡخَلُ عَن نَّفۡسِهِۦۚ وَٱللَّهُ ٱلۡغَنِيُّ وَأَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُۚ وَإِن تَتَوَلَّوۡاْ يَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمۡثَٰلَكُم ۝٣٨﴾[محمد: ٣٨].

الثامن: دعاء الله عز وجل أن يرزق العبد خلق الإيثار ومحاسن الأخلاق: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لِي وَلۡيُؤۡمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمۡ يَرۡشُدُونَ ۝١٨٦﴾[البقرة: ١٨٦].

قال النبي ﷺ: «اللَّهُمَّ اهْدِني لأَحْسَنِ الأَخْلاقِ لا يَهْدِي لأَحْسَنِهَا إِلَّا أَنْتَ، وَاصْرِفْ عَنِّي سَيِّئَهَا لا يَصْرِفُ عَنِّي سَيِّئَهَا إِلَّا أَنْتَ» أخرجه مسلم(١).

(١) أخرجه مسلم برقم (٧٧١).

٦ - ثمرات الإيثار

خُلق الإيثار له ثمرات عظيمة منها :

الأولى: أن الإيثار من أسباب حب الله ﷻ للعبد كما قال سبحانه :﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٩٥﴾[البقرة:١٩٥].

الثانية: إن خُلق الإيثار من أسباب الفلاح في الدنيا والآخرة :﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلۡإِيمَٰنَ مِن قَبۡلِهِمۡ يُحِبُّونَ مَنۡ هَاجَرَ إِلَيۡهِمۡ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمۡ حَاجَةٗ مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤۡثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ وَلَوۡ كَانَ بِهِمۡ خَصَاصَةٞۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ٩﴾[الحشر:٩].

الثالثة: أن التحلي بخُلق الإيثار فيه اقتداء بالأنبياء والمرسلين، خاصة سيدهم وأفضلهم محمد ﷺ، الذي قال الله عنه :﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ ٤﴾[القلم:٤].

الرابعة: أن الإيثار من أسباب الكمال الإيماني

قال النبي ﷺ: «لا يؤْمِنُ أحَدُكم حتى يحِبَّ لأخيه ما يحِبُّ لنفْسِه» متفق عليه[١]

الخامسة: أن صاحب الإيثار يجني ثمار إيثاره في الدنيا قبل الآخرة ،؛وذلك بمحبة الناس له، وثنائهم عليه، وبعد موته بحسن الذكر من الناس، فيكون قد أضاف عمراً آخر إلى عمره .

السادسة: أن الإيثار يُثمر المحبة والمودة والأخوة، ويحقق التعاون والتكافل بين الناس، وفقده يأت بضد ذلك.

السابعة: أن الإيثار جالب للبركة في الطعام والمال والممتلكات.

الثامنة: أن الإيثار من أسباب دخول الجنة، والنجاة من النار:﴿إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ يَشۡرَبُونَ مِن كَأۡسٖ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ٥ عَيۡنٗا يَشۡرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفۡجِيرٗا ٦ يُوفُونَ بِٱلنَّذۡرِ وَيَخَافُونَ يَوۡمٗا كَانَ شَرُّهُۥ مُسۡتَطِيرٗا ٧ وَيُطۡعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسۡكِينٗا وَيَتِيمٗا وَأَسِيرًا ٨ إِنَّمَا نُطۡعِمُكُمۡ لِوَجۡهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمۡ جَزَآءٗ وَلَا شُكُورًا ٩ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوۡمًا عَبُوسٗا قَمۡطَرِيرٗا

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (١٣) ومسلم برقم (٤٥).

﴿فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴿١١﴾ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿١٢﴾﴾ [الإنسان: ٥-١٢].

التاسعة: أن الإيثار تدريب عملي على الإيثار، ومكارم الأخلاق، وفي ذلك انتشار للإيثار بين الناس، فمن آثرته بمجلس أو طعام، فقد حركت فيه خُلُق الإيثار، فآثر غيره، فزاد أجرك وأجره، فمن دل على خير فله مثل أجر فاعله .

العاشرة: الإيثار سبب لمغفرة الله للعبد، وحبه له، ودخول جنته: ﴿وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَـٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَـٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ [آل عمران: ١٣٣-١٣٤].

﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّـٰهِدِينَ ﴿٥٣﴾﴾ [آل عمران: ٥٣].

اللهم أعطنا ولا تحرمنا، وزدنا ولاتنقصنا، وأكرمنا ولا تهنا، وارفعنا ولا تضعنا.. اللهم اهدنا لأحسن الأخلاق والأقوال والأعمال، لايهدي لأحسنها إلا أنت، واصرف عنا سيئها، لا يصرف عنا سيئها إلا أنت.

عبادات القلوب

في ضوء القرآن والسنة

العبادة السادسة والخمسون

عِبَـادة الإنفـاق في سبيل الله

وتشتمل هذه العبادة العظيمة على المباحث الآتية :

الأول: فقه الإنفاق في سبيل الله.

الثاني: أنواع الإنفاق في سبيل الله.

الثالث: آداب الإنفاق في سبيل الله.

الرابع: الأسباب المعينة على الإنفاق في سبيل الله.

الخامس: ثمرات الإنفاق في سبيل الله.

العبادة السادسة والخمسون

عِبَادة الإنفاق في سبيل الله

١ - فقه الإنفاق في سبيل الله

نِعمُ الله ﷻ على عباده كثيرة، لا تعد ولا تحصى، ومن أعظم النعم بعد نعمة الإيمان والعلم، نعمة المال والرزق: ﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ۗ إِنَّ الْإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾﴾ [إبراهيم:٣٤].

و هذاالمالمالُ الله تعالى ابتلى به بعض عباده، لينظر أيشكرونه أم يَكفرونه؟ هل يَصرفونه على هدى ربهم، أم يصرفونه على هواهم؟ هل يُنفقونه في مرضاة الله، أم يُنفقونه فيما يُسخط الله؟: ﴿ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ۖ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَأَنفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾﴾ [الحديد:٧].

الإنفاق في سبيل الله ﷻ من أعظم عبادات القلوب، ومن أعظم أبواب البر والخير والإحسان، ومن أجلِّ القُرب وأبركها وأنفعِها، فما أنفق أحدٌ في سبيل الله إلا رفع الله شأنه، وأعلى مكانه، فهو في سعادة وطمأنينة، ومالُهُ في نمو وزيادة، وحسناته كل يوم في زيادة: ﴿مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ ۗ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾﴾ [البقرة:٢٦١].

وهذه المضاعفة في الأجر تكون بحسب إيمان المُنفق، وإخلاصه، ونفْع نفقته، وانشراح صدره، وسروره بإنفاقه، وطيب المال المنْفَق منه، وثباتُ قلب المنفق عند الإنفاق، كما قال سبحانه: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٦٥﴾﴾ [البقرة:٢٦٥].

والإنفاق في سبيل الله عبادة عظيمة، تطهّر النفس وتزكّيها، وتخلّصها من البخل والشح: ﴿إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ وَٱسْمَعُوا۟ وَأَطِيعُوا۟ وَأَنفِقُوا۟ خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ ۗ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٦﴾ إِن تُقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٧﴾﴾[التغابن:١٦-١٧].

والإنفاق في سبيل الله فيه ثواب عظيم، وأجر كبير: ﴿ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُوا۟ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ۖ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَأَنفَقُوا۟ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾﴾[الحديد:٧].

وقَالَ الله ﷻ: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ۚ وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٤٥﴾﴾[البقرة:٢٤٥].

ومن أنفق مالَه في سبيل الله، زاد مالُه وكثر ثوابه، وأغناه الله من فضله: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٣٩﴾﴾[سبأ:٣٩].

وقَالَ الله ﷻ: ﴿وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٢﴾﴾ [البقرة:٢٧٢].

وقَالَ ﷻ: ﴿إِن تُقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٧﴾﴾[التغابن:١٧].

واليد العليا خير من اليد السفلى، واليد العليا هي اليد المُنفقة، واليد السفلى هي اليد الآخذة.

قَالَ النَّبِيِّ ﷺ: «اليَدُ العُلْيَا خَيْرٌ مِنَ اليَدِ السُّفْلَى، وابْدَأْ بِمَن تَعُولُ، وخَيْرُ الصَّدَقَةِ عن ظَهْرِ غِنًى، ومَن يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ اللَّهُ، ومَن يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللَّهُ» متفق عليه(١).

ومن رحمة الله ﷻ بعباده، وعظيم فضله عليهم، أن شَرعَ لهم من الدين مايُقرّبهم إليه، ويوصلهم إلى مرضاته، ويكون سببًا في مغفرة الذنوب، وزيادةَ الأجور، ودخول الجنّة، والنّجاة من النّار، من الإنفاق في وجوه البر والإحسان، ومواساة

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (١٤٢٧) ومسلم برقم (١٠٣٤).

الفقراء،والمحتاجين، كما قال سبحانه:﴿ ۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤ ﴾ [آل عمران: ١٣٣-١٣٤].

والإنفاق في سبيل الله عبادة عظيمة، تشمل إخراج الزكاة الواجبة، والصدقة المُستحبَّة، والهديَّة والعطيَّة، وتشمل الإنفاق في الجهاد في سبيل الله، والإنفاق في سبيل نشر الإسلام، وتعليم أحكام الدين، والإنفاق على النفس والأهل، والإنفاق على الأقارب، والإنفاق في أعمال البرّ والخير والإحسان، وهذا الإنفاق كله في سبيل الله،وفيه ثوابٌ عظيم من الربّ الكريم: ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُم بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ فَلَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٢٧٤ ﴾[البقرة: ٢٧٤].

واعلم يا عبد الكريمأن كل مال أنفقته في سبيل الله فهو محفوظ لك عند الله، وسيأتيك ويرجع إليك أضعافًا مضاعفة، مقرونًا بمغفرة ذنوبك: ﴿ إِن تُقۡرِضُواْ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا يُضَٰعِفۡهُ لَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ١٧ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ١٨ ﴾[التغابن: ١٧-١٨].

الإنفاق في سبيل الله هو بَذْلُ الخير ابتغاء مرضاة الله، وكلّ ما أمر الله به من الخير فهو من سبيل الله، وكلّ سبيلٍ أُريد به وجه الله وهو بِرّ فهو داخلٌ في سبيل الله كالأوقاف، وحفر الآبار، وبناء المساجد، والمدارس الإسلامية،.. ونحو ذلك من أعمال البر والخير والإحسان: ﴿ ۞ لَّيۡسَ ٱلۡبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ قِبَلَ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلۡكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلۡمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينَ وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلۡمُوفُونَ بِعَهۡدِهِمۡ إِذَا عَٰهَدُواْۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِي ٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلۡبَأۡسِۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ ١٧٧ ﴾[البقرة: ١٧٧].

وسبيل الله ﷻ كل عملٍ صالحٍ سلك به العبد طريق التقرب إلى الله ﷻ؛ بأداء الفرائض والنوافل، وأنواع التطوعات، وأنواع البرّ والإحسان، وأفضل النفقة الإنفاق على الأهل، والإنفاق في سبيل الله، لنشر الحقّ بين الناس: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾﴾ [الحجرات: ١٥].

وَقَالَ النَّبِيِّ ﷺ: " أَفْضَلُ دِينَارٍ يُنْفِقُهُ الرَّجُلُ دِينَارٌ يُنْفِقُهُ عَلَى عِيالِهِ، وَدِينَارٌ يُنْفِقُهُ عَلَى دابَّتِهِ في سبيلِ اللهِّ، ودِينَارٌ يُنْفِقُهُ على أَصْحابه في سَبِيلِ اللهِّ". أخرجه مسلم(١).

فدينارٌ ينفقه الرجل على عياله، وديناران ينشر بهما الحق على دابته، وعلى أصحابه في سبيل الله.

والنفقة على العيال هي أول النفقات، وهي صدقةٌ من الرجل على أهله، وهي أفضل أنواع الإنفاق.

قَالَ النَّبِيِّ ﷺ: «إِنَّ المُسْلِمُ إِذا أَنْفَقَ عَلَى أَهْلِهِ نَفَقَةً وَهُوَ يحْتَسِبُها كَانَتْ لَهُ صَدَقَةً» متفق عليه(٢).

وأي نفقة يبتغي بها المسلم وجه الله فإنه يُؤجَر عليها؛ حتى اللقمة يضعها الرَّجل في فِي امرأته.

قَالَ النَّبِيِّ ﷺ: «ولَسْتَ بنافِقٍ نَفَقَةً تَبْتَغِي بهَا وجْهَ اللهِّ، إِلَّا آجَرَكَ اللهُّ بهَا، حتَّى اللُّقْمَةَ تجْعَلُهَا في فِيامْرَأَتِكَ» متفق عليه(٣).

والإنفاق على القريب المحتاج أفضل من النفقة على البعيد المحتاج.

قَالَ النَّبِيِّ ﷺ: «إِنَّ الصَّدَقَةَ عَلَى المِسْكِينِ صَدَقَةٌ وَعَلَى ذِي الرَّحِمِ ثِنْتَانِ، صَدَقَةٌ وَصِلَةٌ» أخرجه أبو داود والترمذي(٤).

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٩٩٤).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٥٥) ومسلم برقم (١٠٠٢).

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٥٦) ومسلم برقم (١٦٢٨).

(٤) صحيح/ أخرجه الترمذي برقم (٦٥٨) والنسائي برقم (٢٥٨٢).

والله ﷻ ابتلى عباده بما رزقهم من أنواع المال، فمن استعان به على طاعة الله، وأنفقه في سبيل الله، وأبواب البرّ والخير، كان سببًا موصِّلًا للعبد إلى رضوان الله والجنة: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتۡلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ يَرۡجُونَ تِجَٰرَةٗ لَّن تَبُورَ ٢٩ لِيُوَفِّيَهُمۡ أُجُورَهُمۡ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضۡلِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ غَفُورٞ شَكُورٞ ٣٠﴾ [فاطر: ٢٩-٣٠].

ومن استعان بماله على معصية الله، وأنفقه على شهواته المحرمة، واشتغل به عن طاعة الله ﷻ، كان سببًا في غضب الله عليه، واستحقاقه العذاب: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡأَحۡبَارِ وَٱلرُّهۡبَانِ لَيَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۗ وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٖ ٣٤ يَوۡمَ يُحۡمَىٰ عَلَيۡهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكۡوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمۡ وَجُنُوبُهُمۡ وَظُهُورُهُمۡۖ هَٰذَا مَا كَنَزۡتُمۡ لِأَنفُسِكُمۡ فَذُوقُواْ مَا كُنتُمۡ تَكۡنِزُونَ ٣٥﴾ [التوبة: ٣٤-٣٥].

وَقَالَ الله ﷻ عن أنبيائه وأوليائه: ﴿۞ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا ٥٩ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ وَلَا يُظۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا ٦٠﴾ [مريم: ٥٩-٦٠].

والإنفاق في سبيل الله عبادةٌ من أعظم العبادات نفعًا، وأكثرها أجرًا؛ فبها تُستر العورات، وتفرج الكربات، وتدفع الشدائد، وبها يحصل السرور للمنفِق والمنفَق عليه، وتحصل بها مغفرة الذنوب، ودخول الجنة: ﴿۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤﴾ [آل عمران: ١٣٣-١٣٤].

والأصل إخفاء النفقات والصدقات، لينال المنفق أجره كاملًا عليها، ويحفظ كرامة من أنفق عليه: ﴿إِن تُبۡدُواْ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِيَۖ وَإِن تُخۡفُوهَا وَتُؤۡتُوهَا

ﭐلۡفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۚ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمۡۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ﴿٢٧١﴾ [البقرة:٢٧١].

وَقَالَ النَّبِيِّ ﷺ: «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللهُ تَعَالَى فِي ظِلِّهِ يومَ لا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: إِمَامٌ عَدْلٌ، وشَابٌّ نَشَأَ في عِبَادَةِ اللهِ، ورَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ في المَسَاجِدِ، ورَجُلانِ تحَابَّا في اللهِ، اجْتَمعا عليه وتَفرَّقَا عليَه، ورَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وجمَالٍ فَقالَ: إنِّي أَخَافُ اللهَ، ورَجُلٌ تَصدَّقَ بصَدَقَةٍ فأخفَاهَا حتَّى لا تَعْلَمَ شِمَالُهُ ما تُنْفِقُ يَمِينُهُ، ورَجُلٌ ذَكَرَ اللهَ خَالِيًا، فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ» متفق عليه[1].

وعلى المسلم أن يبادر إلى عبادة الإنفاق في وجوه البرّ والخير قبل أن ينزل إليه الموت فجأة، فيندم على تفريطه وتسويفه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴿٩﴾ وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوۡلَآ أَخَّرۡتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠﴾ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَاۚ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴿١١﴾﴾ [المنافقون:٩-١١].

والإنفاق في سبيل الله عبادة عظيمة عامة، يتعبّد المسلم بها لربه سرًا أو جهرًا، بالليل أو النهار، كذكر الله مشروعٌ في كل وقت، والصدقات كذلك مشروعة في كل وقت، وليس للإنفاق في سبيل الله حد أقصى، وإنما هو موكول إلى استطاعة المسلم، ودرجة صلاحه وتقواه، ورغبته فيما عند الله من الثواب: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ وَٱسۡمَعُواْ وَأَطِيعُواْ وَأَنفِقُواْ خَيۡرٗا لِّأَنفُسِكُمۡۗ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿١٦﴾﴾ [التغابن:١٦].

والمال في الأصل مال الله، وأمر سبحانه من يملكه بالتعبّد لله بإنفاقه في سبيل الله، لينال المنفق محبة الله، ومحبة الناس، وينال على ذلك الأجر العظيم: ﴿ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسۡتَخۡلَفِينَ فِيهِۖ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَأَنفَقُواْ لَهُمۡ أَجۡرٞ كَبِيرٞ ﴿٧﴾﴾ [الحديد:٧].

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٦٠) ومسلم برقم (٢٤٢٧).

٢- أنواع الإنفاق في سبيل الله

الإنفاق المشروع نوعان:

الأول: إنفاقٌ واجب:

كالإنفاق على النفس، والزوجة، والأولاد، وأداء الزكاة المفروضة، وقضاء الديون، والإنفاق في سبيل الله، ونحو ذلك من أنواع الإنفاق الواجب: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ وَٱسۡمَعُواْ وَأَطِيعُواْ وَأَنفِقُواْ خَيۡرٗا لِّأَنفُسِكُمۡۗ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ١٦﴾ [التغابن: ١٦].

وقال تعالى: ﴿وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلۡقُواْ بِأَيۡدِيكُمۡ إِلَى ٱلتَّهۡلُكَةِ وَأَحۡسِنُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٩٥﴾ [البقرة: ١٩٥].

الثاني: الإنفاق المستحب:

كصدقة التطوع، والإنفاق في أوجه البرّ المختلفة؛ كالنفقة على اليتامى والأرامل، والفقراء والمساكين، والضعفاء والعاجزين، والتبرّع لمؤسسات البرّ والإغاثة، التي تقوم بالإنفاق على الأفراد والأُسر المحتاجة.

فالدين ركنان: عبادة الحق سبحانه، والإحسان إلى خلقه: ﴿۞ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلۡجَنۢبِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخۡتَالٗا فَخُورًا ٣٦ ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ وَيَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبُخۡلِ وَيَكۡتُمُونَ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦۗ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا ٣٧﴾ [النساء: ٣٦-٣٧].

ومن أعظم أبواب الإنفاق المستحب:

الأول: بناء المساجد، لما في ذلك من الأجور العظيمة، كما قَالَ الله عز وجل: ﴿إِنَّمَا يَعۡمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمۡ يَخۡشَ إِلَّا ٱللَّهَۖ فَعَسَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ ٱلۡمُهۡتَدِينَ ١٨﴾ [التوبة: ١٨].

وَقَالَ النَّبِيِّ ﷺ: «مَنْ بَنَى مسجِداً يَبْتَغِي بِهِ وجهَ الله، بَنَى اللهُ لَهُ مثْلَهُ في الجنَّةِ» متفق عليه(١).

الثاني: بناء المدارس، والمعاهد الإسلامية، وكفالة الدعاة، والأئمة، والمدرّسين الذين يعلِّمون القرآن وشرع الله، وهذا من الجهاد في سبيل الله لإعلاء كلمة الله: ﴿فَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا ﴿٥٢﴾﴾ [الفرقان: ٥٢].

الثالث: كفالة الأيتام ورعايتهم، وتعليمهم أمور دينهم: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴿٥﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴿٦﴾ يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا ﴿٧﴾ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾﴾ [الإنسان: ٥ – ٩].

وقَالَ النَّبِيِّ ﷺ: «كَافِلُ الْيَتِيمِ لَهُ أَوْ لِغَيْرِهِ أَنَا وهُوَ كهَاتَيْنِ فِي الجَنَّةِ» أخرجه مسلم(٢).

الرابع: سَقيُ الماء للإنسان والحيوان والطير: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾﴾ [الحج: ٧٧].

وَقَالَ رَسُولُ اللهَّ ﷺ: «بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي بِطَرِيقٍ اشْتَدَّ عَلَيْهِ الْعَطَشُ، فَوَجَدَ بِئْرًا فَنزَلَ فِيهَا فَشَرِبَ، ثُمَّ خَرَجَ فَإِذَا كَلْبٌ يَلْهَثُ يَأْكُلُ الثَّرَى مِنَ الْعَطَشِ، فَقَالَ الرَّجُلُ لَقَدْ بَلَغَ هَذَا الْكَلْبَ مِنَ الْعَطَشِ مِثْلُ الَّذِي كَانَ بَلَغَ مِنِّي، فَنزَلَ الْبِئْرَ فَمَلَأَ خُفَّهُ مَاءً، ثُمَّ أَمْسَكَهُ بِفِيهِ حَتَّى رَقِيَ، فَسَقَى الْكَلْبَ فَشَكَرَ اللهَُّ لَهُ، فَغَفَرَ لَهُ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهَّ وَإِنَّ لَنَا فِي هَذِهِ الْبَهَائِمِ لَأَجْرًا؟ فَقَالَ: فِي كُلِّ كَبِدٍ رَطْبَةٍ أَجْرٌ» متفق عليه(٣).

الخامس: الإنفاق على المجاهدين في سبيل الله: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾﴾ [الحجرات: ١٥].

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٤٥٠) ومسلم برقم (٥٣٣).

(٢) أخرجه مسلم برقم (٢٩٨٣).

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٣٤٦٧) ومسلم برقم (٢٢٤٥).

السادس: الإنفاق على الأوقاف الإسلامية التي يعود نفعها على المحتاجين من المسلمين، والوقف: صدقةٌ جارية، يستمر أجره في الحياة وبعد الممات:

عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قَالَ: أَنْ عُمَرَ بنَ الخَطَّابِ أصاب أَرْضًا بخَيْبَرَ، فأتى النبيَّ ﷺ يَسْتَأْمِرُهُ فيها، فقال: يا رَسولَ اللهِ، إنِّي أَصَبْتُ أَرْضًا بخَيْبَرَ لَمْ أُصِبْ مالًا قَطُّ أَنْفَسَ عِنْدِي منه، فَما تَأْمُرُ بِهِ؟ قالَ: «إنْ شِئْتَ حَبَسْتَ أَصْلَها، وتَصَدَّقْتَ بها"، قالَ: فَتَصَدَّقَ بها عُمَرُ، أنَّه لا يُباعُ ولا يُوهَبُ ولا يُورَثُ، وتَصَدَّقَ بها في الفُقَراءِ، وفي القُرْبَى وفي الرِّقابِ، وفي سَبيلِ اللهِ، وابْنِ السَّبِيلِ، والضَّيْفِ، لا جُناحَ علَى مَن ولِيَها أنْ يَأْكُلَ مِنْها بالمَعروفِ، ويُطْعِمَ غيرَ مُتَمَوِّلٍ» متفق عليه(١).

السابع: بناء المراكز الصحية لعلاج الفقراء والمساكين، وحفر الآبارلسقي الناس والحيوانات، وإفطار الصائمين، وتوزيع المصاحف، والكتب النافعة، وإطعام الفقراء والمساكين، وكسوة المحتاجين، ونحو ذلك من أعمال البِرّ والخير والإحسان: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۩ ٧٧﴾ [الحج:٧٧].

وَقَالَ اللهُ ﷻ: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِي يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضۡعَافٗا كَثِيرَةٗۚ وَٱللَّهُ يَقۡبِضُ وَيَبۡصُۜطُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ٢٤٥﴾ [البقرة: ٢٤٥].

والإنفاق في سبيل الله عبادة عظيمة، أول ما يَدخُل فيها إنفاق المال في الجهاد في سبيل الله، وفي جهات البِرّ والخير والإحسان، والإنفاق على النفس والأهل، والإنفاق على اليتامى والفقراء والمساكين، وغيرهم من ذوي الحاجات: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ٣ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَمَغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ٤﴾ [الأنفال:٢-٤].

والإنفاق في سبيل الله ﷻ أوسع أنواع العبادات، وأكثرها أجرًا، وأعظمها نفعًا، وتشمل:

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٢٧٣٧) ومسلم برقم (١٦٣٢).

الأول: إنفاق الأموال في سبيل الله في وجوه البِرّ والخير والإحسان ابتغاء مرضاة الله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتۡلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ يَرۡجُونَ تِجَٰرَةٗ لَّن تَبُورَ ٢٩ لِيُوَفِّيَهُمۡ أُجُورَهُمۡ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضۡلِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ غَفُورٞ شَكُورٞ ٣٠﴾ [فاطر:٢٩-٣٠].

الثاني: نشر الإسلام بين الناس، حتى يدخل الإسلام في كل بيت: ﴿وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلۡقُواْ بِأَيۡدِيكُمۡ إِلَى ٱلتَّهۡلُكَةِ وَأَحۡسِنُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٩٥﴾ [البقرة:١٩٥].

الثالث: نشر العلم بين المسلمين؛ فالعالم يُنفق من علمه على الجاهل، ليكون عالماً و معلّمًا لغيره: ﴿كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمۡ تُعَلِّمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمۡ تَدۡرُسُونَ ٧٩﴾ [آل عمران:٧٩].

الرابع: نشر الأخلاق الحسنة بين المسلمين، فمن رزقه الله من محاسن الأخلاق فليصل من قطعه، ويعطي من حرمه، ويعفو عمن ظلمه، ويحسن إلى من أساء إليه، و ينشر مكارم الأخلاق، لتكون الأمة كلها على هذا الخلق العظيم: ﴿۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤﴾ [آل عمران:١٣٣-١٣٤].

وغير ذلك من أبواب الإنفاق النافعة، المستحبة والواجبة: ﴿لَّيۡسَ ٱلۡبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ قِبَلَ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلۡكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلۡمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينَ وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلۡمُوفُونَ بِعَهۡدِهِمۡ إِذَا عَٰهَدُواْۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِي ٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلۡبَأۡسِۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ ١٧٧﴾ [البقرة:١٧٧].

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡعَٰمِلِينَ عَلَيۡهَا وَٱلۡمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمۡ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَٱلۡغَٰرِمِينَ وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِۖ فَرِيضَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٦٠﴾ [التوبة: ٦٠].

٣- آداب الإنفاق في سبيل الله

للإنفاق في سبيل الله آداب:

الأول: الإخلاص: بأن يكون إنفاق المسلم ابتغاء مرضاة الله ﷻ، لا يشوبه شائبة مِن رِياء أو سُمعة، أو تحصيل منفعة، أو دفع مضرّة، أو طلب شهرة، ونحو ذلك مما يحُبط الأجر والثواب: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ٥﴾ [البينة: ٥].

وَقَالَ النَّبِيِّ ﷺ: «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى» متفق عليه[١].

وَقَالَ النَّبِيِّ ﷺ: «إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ رَجُلٌ اسْتُشْهِدَ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا ؟ قَالَ: قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى اسْتُشْهِدْتُ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ لِأَنْ يُقَالَ: جَرِيءٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ، وَعَلَّمَهُ وَقَرَأَ الْقُرْآنَ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا ؟ قَالَ: تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ وَعَلَّمْتُهُ وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ لِيُقَالَ: عَالِمٌ، وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ: هُوَ قَارِئٌ فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ وَسَّعَ اللهُ عَلَيْهِ، وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ كُلِّهِ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: مَا تَرَكْتُ مِنْ سَبِيلٍ تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ فِيهَا إِلَّا أَنْفَقْتُ فِيهَا لَكَ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ فَعَلْتَ لِيُقَالَ: هُوَ جَوَادٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ، ثُمَّ أُلْقِيَ فِي النَّارِ» أخرجه مسلم[٢].

الثاني: الاعتدال في الإنفاق، لأن المال مال الله، وصاحبه أمينٌ عليه، فينفق منه حسب أمر الله ورسوله، ويسلك فيه سبيل الوسط، فلا إسرافٍ ولا تبذير، ولا شُحٍّ ولا بخل، كما وصف الله عباد الرحمن بقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (١) ومسلم برقم (١٩٠٧).

(٢) أخرجه مسلم برقم (١٩٠٥).

﴿يَقْتُرُواْ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾﴾ [الفرقان: ٦٧].

الثالث: اجتناب المنّ والأذى:

والمنّ هو التحدث بما أعطى بين الناس، حتى يبلُغ ذلك الشخص المُعطى، فيتأذّى ويخجل، لأن ذلك يخدش كرامته، ويجرح مشاعره.

الصدقة المقرونة بالمنّ والأذى باطلة غير مقبولةٍ عند الله ﷻ، كما قال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبْطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا ۖ لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّمَّا كَسَبُواْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦٤﴾﴾ [البقرة: ٢٦٤].

والمانّ بعطيته أو صدقته يريد الاستعلاء على الناس، وإذلال من أعطاه بعطيته؛ لهذا لا يكلّمه الله يوم القيامة، ولا ينظر إليه، ولا يُزكيه، وله عذاب أليم.

قَالَ النَّبِيِّ ﷺ: «ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ، قَالَ: فَقَرَأَهَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثَلَاثَ مِرَارًا، قَالَ أَبُو ذَرٍّ: خَابُوا وَخَسِرُوا، مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللهِ؟! قَالَ: الْمُسْبِلُ، وَالْمَنَّانُ، وَالْمُنَفِّقُ سِلْعَتَهُ بِالْحَلِفِ الْكَاذِبِ» أخرجه مسلم[1].

الرابع: الإنفاق من المال الحلال الطيّب المحبوب إلى النفس: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَىْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٩٢﴾﴾ [آل عمران: ٩٢].

وَقَالَ ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ ۖ وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُواْ فِيهِ ۚ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿٢٦٧﴾﴾ [البقرة: ٢٦٧].

الخامس: أن ينفق سرًا وعلانيةً حسب المصلحة؛ فإن كان يريد الاقتداء به فليعلن النفقة، وإلا فليُسِرَّها وهو الأصل: ﴿إِن تُبْدُواْ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِىَ ۖ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا

---

(١) أخرجه مسلم برقم (١٠٦).

﴿تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ٢٧١﴾[البقرة: ٢٧١].

السادس: أن يَشكر الغنيّ ربه على أن جعله منفقًا لا آخذًا، ويعلم أن الله سيعطيه من فضله أكثر مما أنفق: ﴿وَإِذۡ تَأَذَّنَ رَبُّكُمۡ لَئِن شَكَرۡتُمۡ لَأَزِيدَنَّكُمۡۖ وَلَئِن كَفَرۡتُمۡ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٞ ٧﴾[إبراهيم:٧].

وقال الله تعالى: ﴿وَمَآ أَنفَقۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَهُوَ يُخۡلِفُهُۥۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ٣٩﴾ [سبأ: ٣٩] .

وَقَالَ النَّبِيِّ ﷺ: «مَا مِنْ يَوْمٍ يُصبِحُ العِبادُ فِيهِ إِلَّا مَلَكَانِ يَنْزِلانِ، فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خلَفًا، وَيَقُولُ الآخَرُ: اللَّهُمَّ أَعْطِ ممُسِكًا تَلَفًا» متفق عليه(١).

السابع: أن تكون النفقة في موضعها المناسب من أعمال البِرّ والخير والإحسان، وأن يبذُلها المنفق بسخاء نفس، وأن يفرح ويُسَرّ بالنفقة، وينشرح بها صدره، و لا يَمُنّ بها، ولا يذكُرها، ولا يستكثرها، وأن يعلم أن الفضل لله الذي أكرمه بهذا المال لينفق منه: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيۡهِ تَجۡـَٔرُونَ ٥٣﴾[النحل:٥٣].

الثامن: أن يعلم المنفق أن الله ﷻ عندما يقبل الصدقة يربّيها كما يربّي أحدكم فَلُوَّهُ، حتى تكون مثل الجبل أو أعظم .

قَالَ النَّبِيِّ ﷺ: «لا يَتَصَدَّقُ أَحَدٌ بِتَمْرَةٍ مِن كَسْبٍ طَيِّبٍ، إِلَّا أَخَذَهَا اللهُ بِيَمِينِهِ، فيُرَبِّيها كما يُرَبِّي أَحَدُكُمْ فَلُوَّهُ، أَوْ فَصِيلَهُ، حتَّى تَكُونَ مِثْلَ الجَبَلِ أَوْ أَعْظَمَ» متفق عليه(٢).

التاسع: أن يعلم العبد أن الصدقة لا تنقُص المال بل تزِده: ﴿يَمۡحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرۡبِي ٱلصَّدَقَٰتِۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ٢٧٦﴾[البقرة:٢٧٦].

وَقَالَ النَّبِيِّ ﷺ: «مَا نَقَصتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ» أخرجه مسلم(٣).

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (١٤٤٢) ومسلم برقم (١٠١٠).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (١٤١٠) ومسلم برقم (١٠١٤).

(٣) أخرجه مسلم برقم (٢٥٨٨).

٤ - الأسباب المعينة على الإنفاق في سبيل الله ﷻ

الأول: العلم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله.

فمن عرف أن الله كريمٌ أكرم الناس، ومن عرف أن الله محسنٌ أحسن إلى الناس، ومن عرف أن الله رحيمٌ رَحِمَ الناس:

﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾[محمد:١٩].

الثاني: العلم بسيرة الأنبياء والمرسلين، وما هم عليه من حُسن الخلق، والبذل والعطاء، والإحسان والبِرّ، خاصةً سيدهم محمدٌ ﷺ.

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَجْوَدَ النَّاسِ وَكَانَ أَجْوَدُ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ حِينَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ» متفق عليه[1].

الثالث: العلم بفضائل الإنفاق في سبيل الله: ﴿ ۞ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ ﴾ [آل عمران:١٣٣-١٣٤].

وَقَالَ اللهُ ﷻ: ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٤﴾ ﴾[البقرة:٢٧٤].

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٣٢٢٠) ومسلم برقم (٢٣٠٨).

الرابع: دعاء الله ﷻ أن يرزقه فضيلة الإحسان إلى الخلق، والإنفاق في سبيل الله، لأن خزائن كل شيء بيد الله وحده: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾ [البقرة:١٨٦].

الخامس: الإكثار من مخالطة الفقراء، والمساكين، والمحتاجين، ومن رأى أحوال هؤلاء أحسن إليهم، وأنفق عليهم مما أتاه الله، لأن المؤمن يحب لأخيه ما يحب لنفسه: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا ۗ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٢٧٣﴾﴾ [البقرة: ٢٧٣] .

السادس: مجالسة المحسنين، والمنفقين في سبيل الله، والانقطاع عن أهل البخل والشح والغفلة، فالمرء على دين خليله، والصاحب ساحب إلى خيرٍ أو شرٍّ :

﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾﴾ [الكهف:٢٨].

السابع: معرفة ثواب المنفقين في سبيل الله، وعقوبة من أمسك أمواله ولم ينفقها في سبيل الله: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّا۟ئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾﴾ [البقرة:٢٦١].

وقال سبحانه عمّن أمسك أمواله عن الإنفاق: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلۡأَحۡبَارِ وَٱلرُّهۡبَانِ لَيَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۗ وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٖ ﴿٣٤﴾ ﴾[التوبة: ٣٤].

الثامن: تذكُّر الموت، وما بعده من أحوال يوم القيامة، فمن ذكر ذلك سارع في الإنفاق في سبيل الله، وفعل ما يحبه الله ويرضاه: ﴿وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوۡلَآ أَخَّرۡتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠﴾ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَاۚ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴿١١﴾ ﴾ [المنافقون: ١٠-١١].

وَقَالَ النَّبِيِّ ﷺ: «أَكثروا ذِكرَ هادمِ اللَّذَّات» أخرجه الترمذي وابن ماجه(١).

التاسع: مجاهدة النفس، لتقوم بأعمال البرّ والخير والإحسان: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾[العنكبوت: ٦٩].

العاشر: تزكية النفس بالإيمان والتقوى، لتسارع إلى الطاعات، وتحذر المعاصي: ﴿وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلۡهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقۡوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾ ﴾[الشمس: ٧-١٠].

---

(١) صحيح/ أخرجه الترمذي برقم (٢٣٠٧) وابن ماجة برقم (٤٢٥٨).

٥ - ثمرات الإنفاق في سبيل اللـه

الأولى: في الإنفاق في سبيل الله طُهرةٌ للمنفق، وتزكيةٌ لقلبه، وتنميةٌ لماله، وسلامته من الآفات:

قال الله ﷻ: ﴿خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةٗ تُطَهِّرُهُمۡ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيۡهِمۡۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٞ لَّهُمۡۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ١٠٣﴾[التوبة:١٠٣].

الثانية: الأمن في الدنيا والآخرة.

قال الله ﷻ: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُم بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ فَلَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٢٧٤﴾[البقرة:٢٧٤].

الثالثة: مغفرة الذنوب والفوز بالجنّة:﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤﴾

[آل عمران:١٣٣-١٣٤].

الرابعة: الوقاية من عذاب النّار.

قَالَ النَّبِيِّ ﷺ:" اتَّقُوا النَّارَ ولو بشِقَّةِ تمْرَة، فمن لم يجد شقة تمرة فبكلمة طيبة". متفق عليه[1].

الخامسة: تكثير الحسنات، ومضاعفة الأجور:

قال الله ﷻ:﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ٢٦١﴾[البقرة:٢٦١].

السادسة: الحصول على عظيم الأجر والثواب:

قال الله ﷻ: ﴿ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسۡتَخۡلَفِينَ فِيهِۖ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَأَنفَقُواْ لَهُمۡ أَجۡرٞ كَبِيرٞ ٧﴾[الحديد:٧].

السابعة: أنّ الإنفاق سببٌ لزيادة المال، والإمساك سببٌ لتلفه.

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٣٥٩٥) ومسلم برقم (١٠١٦).

قَالَ النَّبِيِّ ﷺ: «مَا مِنْ يَوْمٍ يُصبِحُ العِبادُ فِيهِ إِلَّا مَلَكَانِ يَنْزِلانِ، فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا: للَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلَفًا، وَيَقُولُ الآخَرُ: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُمْسِكًا تَلَفًا» متفق عليه(١).

الثامنة: أن النفقة والصدقة فيها تيسير على العباد، وتفريجٌ لكرباتهم، ومن فعل ذلك يسَّر الله أموره في الدنيا والآخرة.

قَالَ النَّبِيِّ ﷺ: «مَن نفَّسَ عن مُؤمنٍ كُربةً مِن كُرَبِ الدُّنيا، نفَّسَ اللهُ عنه كُربةً مِن كُرَبِ يومِ القِيامةِ، ومَن يسَّرَ على مُعسِرٍ، يَسَّرَ اللهُ عليه في الدُّنيا والآخِرةِ» أخرجه مسلم(٢).

التاسعة: أنّ كل من أنفق في سبيل الله، أخلفَ الله عليه بما أنفق:

قال الله ﷻ: ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ ۚ وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ ۖ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿٣٩﴾﴾[سبأ:٣٩].

وَقَالَ ﷻ في الحديث القدسي: «أَنْفِقْ يَا ابْنَ آدَمَ أُنْفِقْ عَلَيْكَ». متفق عليه(٣).

العاشرة: إن الصدقة لا تنقص المال؛ بل تزيده بركة وكثرة ونماء: ﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ﴾[البقرة: ٢٧٦].

قَالَ النَّبِيِّ ﷺ: «مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ» أخرجه مسلم(٤).

الحادية عشرة: أن النفقة تنفع صاحبها قبل من أنفقَ عليه:

قال الله ﷻ: ﴿۞ لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ۗ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ ۚ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٢﴾﴾[البقرة:٢٧٢].

الثانيةعشرة: الفوز بمحبة الله للمنفق، ومحبة الناس له

لأن النفوس مجبولةٌ على حب من أحسن إليها: ﴿وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (١٤٤٢) ومسلم برقم (١٠١٠).

(٢) أخرجه مسلم برقم (٢٦٩٩).

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٤٦٨٤) ومسلم برقم (٩٩٣).

(٤) أخرجه مسلم برقم (٢٥٨٨).

﴿إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾﴾[البقرة:١٩٥].

الثالثة عشرة: الحصول على رحمة الله:

قال الله ﷻ: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾﴾[الأعراف:٥٦].

الرابعة عشرة: الفوز بمعية الله:

قال الله ﷻ: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾﴾ [العنكبوت:٦٩].

الخامسة عشرة: أنّ الصدقة تُظلُّ العبد من حرِّ الشمس يوم القيامة:

قَالَ النَّبِيِّ ﷺ: «كُلُّ امْرِئٍ فِي ظِلِّ صَدَقَتِهِ حَتَّى يُفْصَلَ بَيْنَ النَّاسِ أَوْ قَالَ: يُحْكَمَ بَيْنَ النَّاسِ» أخرجه أحمد وابن حبان(١).

﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿٢٠١﴾﴾ [البقرة:٢٠١].

﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴿٨﴾﴾ [آل عمران:٨].

اللَّهُمَّ آتِ نُفُوسَنَا تَقْوَاهَا، وَزَكِّهَا أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا، أَنْتَ وَلِيُّهَا وَمَوْلاَهَا.

اللَّهُمَّ أَعْطِنَا وَلَا تحرِمْنَا، وَزِدْنَا وَلَا تَنْقُصْنَا، وَأَكْرِمْنَا وَلَا تُهِنَّا، وَارْفَعْنَا وَلاَ تَضَعْنَا.

اللهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ الجَنَّةَ، وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ، وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ.

---

(١) صحيح/ أخرجه أحمد برقم (١٧٣٣٢) وابن حبان برقم (٣٣١٠).

عبادات القلوب

في ضوء القرآن والسنة

العبادة السابعة والخمسون

عِبَادة الإصلاح بين الناس

وتشتمل هذه العبادة العظيمة على المباحث الآتية :

الأول: فقه الإصلاح بين الناس.

الثاني: فضائل الإصلاح بين الناس.

الثالث: صور الإصلاح بين الناس.

الرابع: شروط الإصلاح بين الناس.

الخامس: الأسباب المعينة على الإصلاح بين الناس.

السادس: ثمرات الإصلاح بين الناس.

العبادة السابعة والخمسون

عِبَادة الإصلاح بين الناس

١ - فقه الإصلاح بين الناس

الإصلاح بين الناس عبادةٌ عظيمة من أعظم عبادات القلوب التي تكون بين العبد وغيره من الناس: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝١﴾ [الأنفال:١].

وإصلاح ذات البين هي إزالة أسباب الخصام والنزاع بين الطرفين بالتسامح والعفو والتراضي.

الإصلاح عبادةٌ عظيمة، وخلقٌ عظيم، به تنتشر المحبة والمودة، وتتحقق الوحدة والألفة، وتزول الأحقاد والضغائن، وتصفو القلوب من كل كراهية وبغضاء، وتزول جميع أسباب الفرقة والعداوة بين الناس، وينال من قام به الأجر العظيم من ربه كما قال سبحانه: ﴿۞ لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ۝١١٤﴾ [النساء:١١٤].

ولعظمة هذه العبادة، وعموم نفعها، أمر الله بها جميع المؤمنين بقوله: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ۝١٠﴾ [الحجرات:١٠].

والإصلاح عبادةٌ جليلة تشمل الإصلاح بين الأشخاص، والأسر، والأقارب، والقبائل، والأزواج، والجيران، والآباء وأولادهم، والإخوة والأخوات،

والشركاء فيما بينهم، والعمال والموظفين وغيرهم، سواء كان ذلك في الأموال أو الدماء، أو الأقوال والأفعال، أو غير ذلك من الأمور التي تسبب الفرقة والخلاف، والشحناء والبغضاء بين الناس: ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾﴾ [النساء:١١٤].

والصلح المشروع بين المسلمين هو الذي يحصل به رضا الله سبحانه، ورضا الخصمين، ويتحقق فيه العدل بين الطرفين، ويكون خالصاً لله عز وجل.

وقد رخّص الشرع بالكذب في الصلح بين الناس، لإزالة الوحشة بين المتخاصمين، وعودة المحبة والألفة بين المختلفين.

قال النبي ﷺ: «ليسَ الكَذَّابُ الذي يُصْلِحُ بيْنَ النَّاسِ، فَيَنْمِي خَيْرًا، أوْ يقولُ خَيْرًا» متفق عليه(١).

ومن فوائد الإصلاح بين الناس سعادة القلوب، وراحة النفوس من الغلّ والحقد، والشحناء والبغضاء، وأن تحلّ الصلة محل القطيعة، وتحلّ المحبة محل الكراهية وتنشأ في النفوس فضيلة العفو والصفح، وتزيد الحسنات، وترفع الدرجات: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ۚ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾﴾ [فصلت: ٣٤ - ٣٥].

ومن أعظم عبادات القلوب، وأعظم صنائع المعروف، الإصلاح بين الناس إذا تقاطعوا، والإصلاح بين الإخوة إذا تهاجروا، والإصلاح بين الجيران إذا تدابروا،

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٣٣) ومسلم برقم (٥٨).

وقطع أسباب الضغائن والشحناء، وقطع أسباب العداوة والبغضاء بين المسلمين: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾﴾ [الحجرات: ١٠].

وقال النبي ﷺ: «لا تَدْخُلونَ الجَنَّةَ حتَّى تُؤْمِنُوا، ولا تُؤْمِنُوا حتَّى تَحابُّوا، أوَلا أدُلُّكُمْ علَى شيءٍ إذا فَعَلْتُمُوهُ تَحابَبْتُمْ؟ أفْشُوا السَّلامَ بيْنَكُمْ» أخرجه مسلم(١)

إن الله ﷻ جمع قلوب المسلمين على الحق، وقطع أسباب الفرقة والتنازع، ليعيش الناس إخوةً مؤمنين، يحب بعضهم بعضًا، ويعين بعضهم بعضًا، ويرحم بعضهم بعضًا: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ [آل عمران: ١٠٣].

إن التنازع بين الناس مفسد للأفراد والأسر، مدمر للأخلاق والقيم، مهلك للشعوب والأمم، سافك للدماء، مبدد للثروات، ممزق للشمل: ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [الأنفال: ٤٦].

والفرقة والخلاف، والخصومة والنزاع، كلها من سعي الشيطان ومَكره وكيده، لأن همّ الشيطان أن يصرف الناس عن عبادة الله ﷻ بنشر الخلاف والنزاع بين الناس، وزرع الأحقاد والضغائن فيما بينهم، وإشغال الناس بالشهوات عن العبادات، وصرف الناس عن المباحات إلى المحرمات، وجر الناس من الصراط

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٥٤).

المستقيم إلى الصراط المعوج: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٦﴾﴾ [فاطر:٦].

وقال النبي ﷺ: «إِنَّ الشَّيْطانَ قدْ أَيِسَ أنْ يَعْبُدَهُ المُصَلُّونَ في جَزِيرَةِ العَرَبِ، ولَكِنْ في التَّحْرِيشِ بيْنَهُمْ» أخرجه مسلم(١).

والشيطان يسعى للتحريش بين المسلمين، وإفساد علاقاتهم، بالخصومات والنزاعات، وإيقاد نار العداوة والبغضاء فيما بينهم، وإشعال نار الحروب والفتن وسوء الظن بين الناس: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [الزخرف: ٣٦ - ٣٧].

ومن كيد الشيطان أنه يصور لبعض المتخاصمين والمتهاجرين أن الصلح هزيمةٌ ومذلة وهو للآخر انتصار وعزة فيزداد الأمر سوءًا وتنقطع حبال المودة والمحبة والرحمة والأخوة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٠٨﴾﴾ [البقرة:٢٠٨].

إن الصلح والإصلاح بين الناس عبادةٌ عظيمة وله فضلٌ عظيم وأجرٌ كبير وخيرٌ كثير: ﴿وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ۖ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾﴾ [الشورى: ٤٠].

فالصلح خير من الهجر والفراق، وخير من النزاع والخصام، وخير من القصاص والانتقام: ﴿وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنۢ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا ۚ وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌ ۗ وَأُحْضِرَتِ ٱلْأَنفُسُ ٱلشُّحَّ ۚ وَإِن تُحْسِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٢٨﴾﴾ [النساء:١٢٨].

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٨١٢).

فالصلح ثمرة الإيمان والأخوة والمحبة، ومصدر الطمأنينة والأمن والاستقرار: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ ۖ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١﴾﴾[الأنفال:١].

إن الاشتغال بالإصلاح بين المتخاصمين أفضل من الاشتغال بنوافل العبادات، لما في الإصلاح بين الناس من المنافع العظيمة الكثيرة.

فالصلح أعظم سبب في وصل أرحام قطّعت، وتواصل إخوان تهاجروا، ونظافة قلوب مما علق بها من أدران الحقد والكراهية .

وبالصلح تعود المحبة والإلفة بين الناس، وتتحقق الأخوة الإيمانية بينهم، ويسعد الجميع بالأمن والطمأنينة والاستقرار، ويتفرغوا لعبادة ربهم، والتعاون على البر والتقوى فيما بينهم :﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾﴾[الحجرات:١٠].

وقال النبي ﷺ: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَفْضَلَ مِنْ دَرَجَةِ الصِّيَامِ وَالصَّلَاةِ وَالصَّدَقَةِ ، قَالُوا : بَلَى ، قَالَ : صَلَاحُ ذَاتِ الْبَيْنِ ، و فَسَادُ ذَاتِ الْبَيْنِ هِيَ الحَالِقَة لَا أَقُولُ تَحْلِقُ الشَّعَرَ ، وَلَكِنْ تَحْلِقُ الدِّينَ» أخرجه أبو داود والترمذي(١).

فساد ذات البين تحلق الدين، لأن النزاع والعناد يؤديان إلى الفجور والعدوان والافتراء والكذب، والغدر وإفشاء الأسرار، وقطع صلة الأرحام، وهذا ما يريده الشيطان من الناس :﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾﴾[المائدة:٩١].

---

(١) صحيح/ أخرجه أبو داود برقم (٤٩١٩) والترمذي برقم (٢٥٠٩).

وقال النبي ﷺ: «أَتَدْرُونَ ما المُفْلِسُ؟ قالوا: المُفْلِسُ فِينا مَن لا دِرْهَمَ له ولا مَتاعَ، فقالَ: إنَّ المُفْلِسَ مِن أُمَّتي يَأْتي يَومَ القِيامَةِ بصَلاةٍ، وصِيامٍ، وزَكاةٍ، ويَأْتي قدْ شَتَمَ هذا، وقَذَفَ هذا، وأَكَلَ مالَ هذا، وسَفَكَ دَمَ هذا، وضَرَبَ هذا، فيُعْطَى هذا مِن حَسَناتِهِ، وهذا مِن حَسَناتِهِ، فإنْ فَنِيَتْ حَسَناتُهُ قَبْلَ أنْ يُقْضَى ما عليه أُخِذَ مِن خَطاياهُمْ فَطُرِحَتْ عليه، ثُمَّ طُرِحَ في النَّارِ» أخرجه مسلم(١).

الإصلاح بين الناس فيه مصالح عظيمة، وهو رأب للصدع، ولم للشعث، وإصلاح لذات البين، وإصلاح للمجتمع كله، وثوابه عظيم لمن ابتغى به وجه الله ﷻ: ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾﴾ [النساء: ١١٤].

والخصومات والنزاعات إنما تكون في أمور الدنيا، لأن النفوس مجبولة على الطمع في ملذات الدنيا وشهواتها، فيقع بسبب ذلك الخصام والنزاع والظلم والعدوان، فيما بين الناس وينصرفون عن طاعة ربهم وعبادته إلى الاشتغال بالشهوات والتنافس فيها، والاستكثار منها: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ ﴿١٤﴾ ۞ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ۚ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿١٥﴾﴾ [آل عمران: ١٤-١٥].

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٥٨١).

٢ - فضائل الإصلاح بين الناس

قال الله تعالى: ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾﴾ [النساء: ١١٤].

وقال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾﴾ [الحجرات: ١٠].

وقال الله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ ۖ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١﴾﴾ [الأنفال: ١].

وقال الله تعالى: ﴿وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِن بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا ۚ وَالصُّلْحُ خَيْرٌ ۗ وَأُحْضِرَتِ الْأَنفُسُ الشُّحَّ ۚ وَإِن تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٢٨﴾﴾ [النساء: ١٢٨].

وقال الله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَانِكُمْ أَن تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٤﴾﴾ [البقرة: ٢٢٤].

وقال النبي ﷺ: «كُلُّ سُلامَى مِنَ النَّاسِ عليه صَدَقَةٌ، كُلَّ يوم تَطْلُعُ فيه الشَّمْسُ، يَعْدِلُ بيْنَ الاِثْنَيْنِ صَدَقَةٌ، ويُعِينُ الرَّجُلَ على دابَّتِهِ فَيَحْمِلُ عليها، أوْ يَرْفَعُ عليها مَتاعَهُ صَدَقَةٌ، والكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ، وكُلُّ خُطْوَةٍ يَخْطُوها إلى الصَّلاةِ صَدَقَةٌ، ويُمِيطُ الأذَى عَنِ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ» متفق عليه(١).

وقال النبي ﷺ: «ألا أُخبِرُكم بأفضلَ من الصَّلاة والصِّيام والصَّدَقة ؟ قُلنا: بَلَى يا رسول الله، قال إِصلاحُ ذاتِ البَيْن ، وإفسادُ ذات البَيْن هي الحَالقةُ لا أقولُ: تحلِق الشَّعرَ، ولكن تحلِق الدِّين» أخرجه أبو داود والترمذي(٢).

والإصلاح بين الناس من هدي المصطفى ﷺ.

عن سهل بن سعد رضي الله عنه «أنَّ أهْلَ قُباءٍ اقْتَتَلُوا حتَّى تَرامَوْا بالحِجارَةِ، فَأُخْبِرَ رَسولُ اللَّهِ ﷺ بذلكَ، فَقالَ: اذْهَبُوا بنا نُصْلِحُ بيْنَهُمْ» أخرجه البخاري(٣).

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٢٩٨٩) ومسلم برقم (١٠٠٩).

(٢) صحيح/ أخرجه أبو داود برقم (٤٩١٩) والترمذي برقم (٢٥٠٩).

(٣) أخرجه البخاري برقم (٢٦٩٣).

٣- صور الإصلاح بين الناس

للإصلاح بين الناس صور كثيرة منها:

الأولى: الإصلاح بين المسلمين المتقاتلين، حقنًا للدماء، وصيانة للأنفس والأعراض والأموال، فإن إراقة الدماء بين المسلمين من أعظم الكبائر: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾﴾ [الحجرات: ٩-١٠].

فكل من سعى في حقن دماء المسلمين في الصلح بينهم، ابتغاء مرضاة الله، فقد حاز المجد والشرف، ونال من ربه أعظم الثواب والأجر: ﴿۞ لَّا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍۭ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾﴾ [النساء: ١١٤].

الثانية: فض الخصومة بين المتنازعين في دَين أو إرث أو وصية أو غير ذلك من الحقوق، فيصلح بينهم بالعدل حسب شرع الله ﷻ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾﴾ [الحجرات: ١٠].

الثالثة: الإصلاح بين الأقارب إذا تهاجروا، فأشد أنواع الخصومة ما يكون بين الأقارب من الخلاف، فتقطع بسببه الأرحام، ويتهاجر الإخوان والأعمام والأخوال ويمكثون متقاطعين سنين عديدة، فمن أصلح بينهم فقد نال شرفًا عظيمًا، وحاز أجرًا كبيرًا، وفاز بمحبة الله له، ومحبة الناس له.

فصلة الرحم عبادة عظيمة فيها أجر وثواب، وقطع صلة الرحم ذنب عظيم له عقاب أليم: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ ﴿٢٣﴾﴾ [محمد: ٢٢-٢٣].

وقال النبي ﷺ: «الرَّحِمُ معلَّقةٌ بالعرشِ تقولُ : مَن وَصَلني وصلَه اللهُ، ومَن قطعني قطعه اللهُ» أخرجه مسلم (١) .

الرابعة: الصلح بين الزوجين المختلفين، وهو من أعظم أنواع الصلح، لأن الصلح بين الزوجين تبنى عليه البيوت، وتترابط به الأسر، وتصلح به أحوال الأبناء والبنات ويتحقق به الأمن والطمأنينة والسعادة الزوجية .

ولهذا ندب الله إليه أهل الخير والإصلاح بقوله : ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُوا۟ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصْلَـٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا ﴿٣٥﴾﴾ [النساء: ٣٥].

وكلما كانت النية طيبة جاءت النتائج طيبة : ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ ۖ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١﴾﴾ [الأنفال: ١].

إن أعظم ما يحبه الشيطان ويسره ويعجبه هو التفريق بين المرء وزوجه، لما يترتب على ذلك من المفاسد العظيمة، بضياع الأبناء والبنات، وفساد البيوت .

قال النبي ﷺ: «إنَّ إبْلِيسَ يَضَعُ عَرْشَهُ على الماءِ، ثُمَّ يَبْعَثُ سَراياهُ، فأدْناهُمْ منه مَنْزِلَةً أعْظَمُهُمْ فِتْنَةً، يَجِيءُ أحَدُهُمْ فيَقولُ: فَعَلْتُ كَذا وكَذا، فيَقولُ: ما صَنَعْتَ شيئًا، قالَ ثُمَّ يَجِيءُ أحَدُهُمْ فيَقولُ: ما تَرَكْتُهُ حتَّى فَرَّقْتُ بيْنَهُ وبيْنَ امْرَأَتِهِ، قالَ: فيُدْنِيهِ منه ويَقولُ: نِعْمَ أنْتَ» أخرجه مسلم (٢).

وينقسم الإصلاح بين الناس إلى أقسام :

الأول : إصلاح بين الأفراد : ﴿وَلَا تَجْعَلُوا۟ ٱللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَـٰنِكُمْ أَن تَبَرُّوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَتُصْلِحُوا۟ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٤﴾﴾ [البقرة: ٢٢٤].

الثاني : إصلاح بين طوائف المؤمنين : ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَـٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٥٥٥) .

(٢) أخرجه مسلم برقم (٢٨١٣) .

﴿فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَا بِٱلۡعَدۡلِ وَأَقۡسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ٩ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَ أَخَوَيۡكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ١٠﴾ [الحجرات:٩-١٠].

الثالث: إصلاحٌ بين أصحاب الحقوق: كالوصايا والأوقاف والمواريث، كما قال سبحانه: ﴿فَمَنۡ خَافَ مِن مُّوصٖ جَنَفًا أَوۡ إِثۡمٗا فَأَصۡلَحَ بَيۡنَهُمۡ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ١٨٢﴾ [البقرة:١٨٢].

الرابع: إصلاح في نطاق الأسرة وبيت الزوجية، كما قال سبحانه: ﴿وَإِنۡ خِفۡتُمۡ شِقَاقَ بَيۡنِهِمَا فَٱبۡعَثُواْ حَكَمٗا مِّنۡ أَهۡلِهِۦ وَحَكَمٗا مِّنۡ أَهۡلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصۡلَٰحٗا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيۡنَهُمَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرٗا ٣٥﴾ [النساء: ٣٥].

وصور الإصلاح بين الناس كثيرةٌ ومتنوعة: كالإصلاح بين الحكام، والإصلاح بين الأمراء، والإصلاح بين الأقارب، والإصلاح بين الجيران، والإصلاح بين الشركاء، والإصلاح بين المؤمنين والكفار، والإصلاح بين أهل العدل وأهل البغي، والإصلاح بين الآباء والأمهات، والإصلاح بين الأزواج والزوجات، والإصلاح بين الأبناء والبنات.

فالإصلاح ميادينه كثيرة، وأجوره عظيمة، فهنيئًا لمن وفقه الله وأعانه للقيام بعبودية الإصلاح بين الناس: ﴿۞لَّا خَيۡرَ فِي كَثِيرٖ مِّن نَّجۡوَىٰهُمۡ إِلَّا مَنۡ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوۡ مَعۡرُوفٍ أَوۡ إِصۡلَٰحِۭ بَيۡنَ ٱلنَّاسِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوۡفَ نُؤۡتِيهِ أَجۡرًا عَظِيمٗا ١١٤﴾ [النساء: ١١٤].

٤ - شروط الإصلاح بين الناس

الأول: الإخلاص في الإصلاح بين الناس :

بأن يكون قصد المصلح بإصلاحه ابتغاء مرضاة الله، لا لطلب الشهرة والرياء، والذكر والاستعلاء، والأهواء الشخصية، والمنافع الدنيوية .

فإذا تحقق الإخلاص حصل التوفيق، وجرى التوافق بين الطرفين بإذن الله، وثبت للمصلح الأجر العظيم من ربه ﷻ : ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾﴾ [النساء: ١١٤].

الثاني: سلوك مسلك السر والنجوى في الإصلاح:

فذلك أقرب للإخلاص، وأحفظ لسمعة الطرفين المتنازعين، وصون أسرارهما أن تفشوا بين الناس، وقطع الطريق على النمامين، ونقلة الكلام الذين يعجبهم أن تسود البغضاء ببن الناس.

الثالث: التسلح بالعلم الشرعي:

فعلى المصلح بين الناس أن يتسلح بالعلم والحكمة، حتى لا يفسد من حيث يريد الإصلاح، وحتى لا يشتت الشمل من حيث يريد جمعه، ويسأل أهل العلم ويشاورهم، ويستعين بمن حول الطرفين من الثقات، ليتبين الظالم من المظلوم، والمخطئ من المصيب : ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۖ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢﴾﴾ [المائدة: ٢].

الرابع: اقتراح ما فيه مصلحة الطرفين:

فيبذل المصلح وسعه في تقريب وجهات النظر بين المتخاصمين، ويقترح أنفع الحلول وأحسنها وأعدلها، مما يحقق مصلحة الطرفين بلا ظلم لأحدها: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾[النحل: ٩٠].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه: قال رسول الله ﷺ: «اشْتَرى رَجُلٌ مِن رَجُلٍ عَقارًا له، فَوَجَدَ الرَّجُلُ الذي اشْتَرى العَقارَ في عَقارِهِ جَرَّةً فيها ذَهَبٌ، فقالَ له الذي اشْتَرى العَقارَ: خُذْ ذَهَبَكَ مِنِّي، إنَّما اشْتَرَيْتُ مِنْكَ الأرْضَ، ولَمْ أبْتَعْ مِنْكَ الذَّهَبَ، وقالَ الذي له الأرْضُ: إنَّما بعْتُكَ الأرْضَ وما فيها، فَتَحاكما إلى رَجُلٍ، فقالَ: الذي تحاكما إلَيْهِ: أَلَكُما ولَدٌ؟ قالَ أحَدُهُما: لي غُلامٌ، وقالَ الآخَرُ: لي جارِيَةٌ، قالَ: أنْكِحُوا الغُلامَ الجارِيَةَ وأَنْفِقُوا على أنْفُسِهِما منه وتَصَدَّقا» متفق عليه(١).

الخامس: أن يختار المصلح بين الناس الكلام الحسن الجميل، والموعظة الحسنة التي تزيد الإيمان، وترغب في فعل الخير والعفو والتسامح، والكلمات الطيبة التي تطيب خواطر الخصمين، وتزيل الأحقاد والضغائن من النفوس: ﴿ وَلَا تَسۡتَوِي ٱلۡحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُۚ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٖ ﴿٣٥﴾ ﴾ [فصلت: ٣٤-٣٥].

السادس: أن يتحرى المصلح بين الناس العدل في صلحه، فلا يميل إلى أحد الخصمين لمنصبه أو لقوته او لإلحاحه وعناده، فيظلم الآخر على حسابه، فيتحول من مصلح إلى ظالم، ومن عادل إلى جائر، لاسيما إذا ارتضاه الخصمان حكمًا بينهما: ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱقۡتَتَلُواْ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَاۖ فَإِنۢ بَغَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٣٤٧٢) ومسلم برقم (١٧٢١).

عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾﴾ [الحجرات: ٩-١٠].

فالشر لا يطفأ بالشر، وإنما يطفأ الشر بالخير، وتدفع الإساءة بالإحسان ويزال الظلم بالعدل: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾﴾ [النحل: ٩٠].

السابع: الموعظة والتذكير بالله عَزَّ وَجَلَّ:

على المصلح أن يختار من الكلام ما يرقق القلوب، ويؤثر في النفوس، ويبين للخصمين حقارة الدنيا، وأنها لا تستحق أن يتعادى الإخوان من أجلها، ولا أن تقطع القرابة بسببها، ويذكرهما بالموت، وما بعده من الأهوال: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾﴾ [النحل: ١٢٥].

وقال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَخُونُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓا۟ أَمَٰنَٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٧﴾ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾﴾ [الأنفال: ٢٧-٢٨].

٥ - الأسباب المعينة على الإصلاح بين الناس

الأول: العلم بأن الله ﷻ أمر بالإصلاح بين الناس: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ ۖ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝١﴾ [الأنفال:١].

الثاني: العلم بأن الله ﷻ رغّب في الإصلاح بين الناس، وأثاب من قام به بالأجر العظيم: ﴿۞ لَّا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَـٰحٍۭ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ۝١١٤﴾ [النساء: ١١٤].

الثالث: تدبر القرآن الكريم، لمعرفة فضائل الإصلاح بين الناس: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ۝١٠﴾ [الحجرات: ١٠].

الرابع: مطالعة سيرة النبي ﷺ، وما قام به من أنواع الإصلاح بين الناس، والاقتداء به، للتعبد لله بهذه العبادة العظيمة: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ۝٢١﴾ [الأحزاب: ٢١].

الخامس: دعاء الله ﷻ أن يرزقه عبودية الإصلاح بين الناس، والله كريم لا يرد سائله، ولا يخيب مؤمله: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ۝١٨٦﴾ [البقرة: ١٨٦].

السادس: استشعار الأخوة الإيمانية بين المؤمنين: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ۝١٠﴾ [الحجرات: ١٠].

وقال النبي ﷺ: «مثلُ المؤمنين في تَوادِّهم، وتَراحُمِهِم، وتعاطُفِهِمْ، مثلُ الجسَدِ إذا اشتكَى منْهُ عضوٌ تدَاعَى لَهُ سائِرُ الجسَدِ بالسَّهَرِ والحُمَّى» متفق عليه(١).

وقال النبي ﷺ: «لا يؤمِنُ أحَدُكم حتى يحُبَّ لأخيه -أو: لجارِه- ما يحُبُّ لنفْسِه» متفق عليه(٢).

السابع: كثرة مخالطة أهل الإصلاح والمروءات والإحسان، والانقطاع عن أهل الظلم والفساد: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾﴾ [الكهف:٢٨].

الثامن: مجاهدة النفس، لتقوم بالإصلاح بين الناس: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾﴾ [العنكبوت:٦٩].

وقال عز وجل: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾﴾ [الشمس:٧-١٠].

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٠١١) ومسلم برقم (٢٥٨٦).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (١٣) ومسلم برقم (٤٥).

٦- ثمرات الإصلاح بين الناس

للإصلاح بين الناس ثمرات كثيرة ومنها:

الأولى: الإصلاح بين الناس يزرع بينهم الصلة مكان القطيعة، ويبث بينهم المحبة والألفة بدل الكراهية، ويقل العداوة إلى صداقة: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ (٣٤) وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ (٣٥)﴾ [فصلت: ٣٤-٣٥].

الثانية: نشر فضائل العفو والتسامح بين الناس: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ (١٣٣) الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (١٣٤)﴾ [آل عمران: ١٣٣-١٣٤].

الثالثة: تحصيل الحسنات الكثيرة، والأجور العظيمة، والدرجات الرفيعة: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا (١١٤)﴾ [النساء: ١١٤].

الرابعة: راحة القلوب من طلب التشفي والانتقام، والظلم والعدوان، والأحقاد والبغضاء: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ (٤٠)﴾ [الشورى: ٤٠].

الخامسة: الفوز بمحبة الله ﷻ: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (٩) إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (١٠)﴾ [الحجرات: ٩-١٠].

السادسة: نيل رحمة الله ﷻ: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (١٠)﴾ [الحجرات: ١٠].

السابعة: إحياء صفة الأخوة والمحبة الإيمانية بين الناس.

قال النبي ﷺ: «مثلُ المؤمنين في تَوادِّهم، وتَراحُمِهم، وتعاطُفِهِمْ مثلُ الجسَدِ

إذا اشتكَى منْهُ عضوٌ تداعَى لَهُ سائِرُ الجسَدِ بالسَّهَرِ والحُمَّى» متفق عليه(١).

الثامنة: الإصلاح بين الناس سبب في وحدة الأمة وترابطها وتعاونها على البر والتقوى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرْكَعُواْ وَٱسْجُدُواْ وَٱعْبُدُواْ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُواْ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾﴾ [الحج:٧٧].

التاسعة: الإصلاح بين الناس يزيل العداوة والبغضاء بين الناس، ويفتح أبواب التعاون على البر والتقوى، والتفرغ لأنواع الطاعات والقربات التي تنفع العبد في دنياه وأخراه: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾﴾ [التوبة:٧١].

العاشرة: الفرح والسرور في الدنيا، فالمصلح بين الناس أسعد الناس قلبًا، لأنه سعى في الخير وجمع القلوب، ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجاته.

الحادية عشرة: في الإصلاح بين الناس قوة الأمة الإسلامية، واتحاد قلوبها، كما قال سبحانه: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [الأنفال:٤٦].

الثانية عشرة: قطع الطريق على المفسدين الذين يسعون في الأرض فسادًا .فبالإصلاح بين الناس تظهر في الأمة الأخلاق الفاضلة من العفو والتسامح، والمحبة والرحمة، ويتحقق لهم الأمن والطمأنينة: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢﴾﴾ [المائدة: ٢].

قال النبي ﷺ: «المؤْمِنَ للمؤمنِ كالبُنْيانِ يشدُّ بَعضُهُ بعضًا» متفق عليه(٢).

﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٣﴾﴾ [آل عمران:٥٣].

﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٨﴾﴾ [آل عمران: ٨].

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٠١١) ومسلم برقم (٢٥٨٦).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٢٤٤٦) ومسلم برقم (٢٥٨٥).

عبادات القلوب

في ضوء القرآن والسنة

العبادة الثامنة والخمسون

عِبَادة الأدب مع الله ﷻ

وتشتمل هذه العبادة العظيمة على المباحث الآتية :

الأول : فقه الأدب مع الله ﷻ.

الثاني : كيفية الأدب مع الله ﷻ.

الثالث : صور الأدب مع الله ﷻ.

الرابع : الأسباب المعينة على حُسن الأدب مع الله ﷻ.

الخامس: ثمرات حُسن الأدب مع الله ﷻ.

العبادة الثامنة والخمسون

عِبَادة الأدب مع الله

١ – فقه الأدب مع الله عز وجل

الأدب مع الله عز وجل هو مقصود الرب من خلقه.

ويكون بكمال توحيده والإيمان به، وحُسن عبادته، بكمال الحب والتعظيم والذُّل له، وكمال الطاعة له، وكمال التسليم لأمره: ﴿فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَلَهُۥٓ أَسْلِمُوا۟ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ وَٱلْمُقِيمِى ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الحج: ٣٤ – ٣٥].

الأدب مع الله عز وجل يكون بإخلاص العبادة لله وحده لا شريك له، واجتناب عبادة ما سواه: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾﴾ [البينة: ٥].

الأدب مع الله عز وجل يكون بتوحيده، والخضوع له، والذل له، والافتقار إليه ظاهرا وباطنا: ﴿هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [غافر: ٦٥].

الأدب مع الله عز وجلهو إجلاله وتعظيمه، وتكبيره وتمجيده، وحمده وشكره، وحبه، والرغبة إليه، والخوف منه، والرجاء له، والتوكل عليه، والإنابة إليه، والافتقار إليه، وعبادته وحده لا شريك له: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ

﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَمَغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال:٢-٤].

الله عز وجلهو الرب العظيم الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلا، والأفعال الحميدة، والأحكام المجيدة: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۖ هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلۡمُؤۡمِنُ ٱلۡمُهَيۡمِنُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡجَبَّارُ ٱلۡمُتَكَبِّرُۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡخَٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ ٱلۡمُصَوِّرُۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾ [الحشر:٢٢-٢٤].

هذا الرب العظيم، والملك الكبير، والإله الرحيم، والغني الكريم، يجب على العباد أن يُكبروه، لأنه وحده الكبير، ويجب عليهم أن يُوحدوه، لأنه وحده الواحد الأحد، ويجب عليهم أن يحُبوه، لجمال ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، ولعظمة نعمه وإحسانه.

ويجب عليهم أن يُعظموه لجلاله وجماله وكماله، وعظمة مُلكه وسلطانه. ويجب عليهم أن يحمدوه ويشكروه على عظمة نعمه التي لا تعد ولا تحصى. ويجب عليهم أيعبدوه وحده لا شريك له لكمال ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [البقرة:٢١-٢٢].

والرب العظيم الذي هذه أسماؤه وصفاته وأفعاله، يجب علينا أن نتأدب معه بتصديق أخباره، وامتثال أوامره، واجتناب نواهيه، مع كمال الحب والتعظيم والذل له، والتصاغر لكبريائه، والخضوع لعزته: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦ وَٱلۡأَرۡضُ

جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾ [الزمر:٦٧].

إن أعظم عبادات القلوب حُسن الأدب مع الله ﷻ.

والإسلام يقوم على أربعة أصول:

عقيدة ..وعبادات.. ومعاملات .. وآداب.

وإذا صحت عقيدة المسلم، صحت عباداته ومعاملاته، وبقي عليه تاج يضعه على رأسه وهو حسن الأدب.

والأدب ثلاثة أقسام:

أدب مع الله، وهو أعظم أنواع الأدب، وأدبمع رسول الله ﷺ، وأدب مع خلق الله.

فإذا كنت أيها الإنسان تتأدب مع والدك، لأنه رباك، وتتأدب مع معلمك لأنه علمك، فأولى من ذلك كله أن تتأدب مع ربك العظيم، الذي خلقك ورزقك،ورباكوهداك، وأطعمك وسقاك.

فأدب القلب مع الله يكون بتوحيده، والإيمان به، وإجلاله وتعظيمه، وحبه وتمجيده، وحمده وشكره، والخوف منه، والرجاء له، والرغبة إليه، والخضوع له، والتسليم لأمره، ولافتقار إليه، والتوكل عليه، وعدم الالتفات لأحد سواه: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال:٢-٤].

وأدب اللسان مع الله ﷻ أن يكبر الله، ويوحده، ويمجده، ويحمده، ويسأله، ويدعوه، ويُسبحه، ويُقدسه، ويستغفره، ويتوب إليه، ويدعو الناس إليه، ويعلم شرعه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ۝٤١ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ۝٤٢ هُوَ ٱلَّذِي يُصَلِّي عَلَيۡكُمۡ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخۡرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ وَكَانَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَحِيمٗا ۝٤٣﴾[الأحزاب:٤١-٤٣].

وقال الله ﷻ: ﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ۝٣٣﴾[فصلت:٣٣].

وقال الله ﷻ: ﴿كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمۡ تُعَلِّمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمۡ تَدۡرُسُونَ ۝٧٩﴾ [آل عمران:٧٩].

ومن أدب اللسان أن لا يقول شيئا يُنافي تعظيم الله، وأن لا ينسب إليه نقصا كالعجز والعيب، والظلم والجور، وأن لا يصف الله إلا بما وصف به نفسه، أو وصفه به رسوله، وأن لا يقول على الله إلا الحق: ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلۡسِنَتُكُمُ ٱلۡكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٞ وَهَٰذَا حَرَامٞ لِّتَفۡتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ لَا يُفۡلِحُونَ ۝١١٦ مَتَٰعٞ قَلِيلٞ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ۝١١٧﴾[النحل:١١٦-١١٧].

وقال الله ﷻ: ﴿قُلۡ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلۡإِثۡمَ وَٱلۡبَغۡيَ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَأَن تُشۡرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ سُلۡطَٰنٗا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ۝٣٣﴾[الأعراف:٣٣].

فهذه بعض آداب اللسان مع الرب عز وجلأن يُكبره ويُمجده،ويحَمده، ويشكر، ويدعو إليه، ويُعلم شرعه، ولا يقول عليه إلا الحق.

وأدب العين مع الله أن ينظر بها الى الآيات الكونية التي تُثمر تعظيم الله وتكبيره، وحبه وتمجيده، وحمده وشكره، وتوحيده والإيمان به، وعبادته وحده لا شريك

له: ﴿قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَا تُغۡنِى ٱلۡأٓيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ ١٠١﴾[يونس:١٠١].

وقال الله ﷻ: ﴿أَفَلَمۡ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوۡقَهُمۡ كَيۡفَ بَنَيۡنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٖ ٦ وَٱلۡأَرۡضَ مَدَدۡنَٰهَا وَأَلۡقَيۡنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ ٧ تَبۡصِرَةٗ وَذِكۡرَىٰ لِكُلِّ عَبۡدٖ مُّنِيبٖ ٨﴾[ق:٦-٨].

وينظر كذلك بعينه لكتاب ربه العظيم، الذي فيه تِبيان كل شيء، وفيه مفاتيح العلم الإلهي، من بيان أسماء الله وصفاته وأفعاله، وأحكامه، ووعده ووعيده: ﴿وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ ٨٩﴾[النحل:٨٩].

وأدب الأذن مع الله ﷻ أن تسمع القرآن العظيم، والذكر والمواعظ، والدروس النافعة التي تزيد الإيمان، وتُقوي التوحيد، وتُثمر حُب الله وتمجيده وإخلاص العبادة له وحده لا شريك له: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱجۡتَنَبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعۡبُدُوهَا وَأَنَابُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰۚ فَبَشِّرۡ عِبَادِ ١٧ ٱلَّذِينَ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقَوۡلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحۡسَنَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ١٨﴾[الزمر:١٧-١٨].

ولا يسمع العبد بأذنه اللغو والإثم، والغيبة والنميمة، وكل ما يورث الشك في الدين، أو يُثير الغرائز المحرمة: ﴿وَلَا تَقۡفُ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا ٣٦﴾[الإسراء:٣٦].

وأدب العقل مع الله أن يُفكر فيما يحُبه الله ويرضاه ليفعله ويتفكر في عظمة الآيات الكونية، ويتدبر الآيات القرآنية، ويتفكر في كل ما ينفعه ويُسعده في دنياه وأخراه من أمور الدين ويفعله، ويتفكر في كل ما يضره في دينه ودنياه وآخرته ويحذره: ﴿إِنَّ فِى خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلۡفُلۡكِ ٱلَّتِى تَجۡرِى

فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾﴾[البقرة:١٦٤].

وأدب اليدين والرجلين مع الله أن يستعملها في كل ما يحبه الله ويرضاه.

إن الأدب مع الله ﷻ عبادة قلبية عظيمة، تقتضي توحيد الله، وتعظيمه، وامتثال أوامره، واجتناب نواهيه، والحب له، والحياء منه، والشكر له، والتسليم لأمره،والإخباتله، والإنكسار بين يديه:﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ۗ فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَلَهُۥٓ أَسْلِمُوا۟ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ وَٱلْمُقِيمِى ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾[الحج:٣٤-٣٥].

والأدب مع الله ﷻ من مقتضيات الإيمان بأسماء الله الحسنى؛ ومن لوازم الإيمان بأسماء الله الرب، الملك، القوي، العزيز، الجبار وغيرها من أسماء الجلال؛ والإيمان بأسماء الله الرزاق، الكريم، التواب، الرحيم المحسن وغيرها من أسماء الجمال :﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾[الأعراف:١٨٠].

فمن عرف الملك تأدب معه، وسأله حوائجه، ولم يلتفت إلى غيره.

ومن عرف الرزاق وقف ببابه وحده، وسأله من فضله :﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾﴾[الحشر:٢٢-٢٣].

وحُسن الأدب مع الله عَجَلَّأعلى مراتب العبودية، وأعظم وأجل وأزكى مراتب الأدب، فما تأدب متأدب بأحسن من أدبه مع ربه وخالقه ورازقه، وما أساء امرؤ الأدب بأشنع من إساءة الأدب مع ربه وسيده ومالكه: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [الزمر: ٦٧].

ولا يستقيم لأحد الأدب مع الله تعالى إلا بثلاثة شروط:

الأول: معرفته بأسمائه وصفاته وأفعاله: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾﴾ [محمد: ١٩].

فمن عرف الله حقاً أحسن الأدب معه حقا، : ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [السجدة: ١٥-١٧].

الثاني: معرفة دينه وشرعه، ومعرفة ما يحب وما يكره، والعمل بموجب ذلك.

فمن عرف ذلك آمن بالله واتقاه، وأحسن الأدب معه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾﴾ [الملك: ١٢].

الثالث: نفسٌ مستعدة لينة، قابلة لقبول الحق علمًا وعملاً، وسلوكا وأدبا: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال: ٢-٤].

٢ - كيفية الأدب مع الله ﷻ

حُسن الأدب مع الله ﷻ يكون بما يلي :

الأول : صيانة معاملة الله أن يشوبها نقيصة.

فنؤدي عبادة الصلاة والصوم والزكاة والحج وغيرها أداءً كاملا في ظاهرها وباطنها : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ ١٢﴾ [الملك:١٢].

وغض البصر عن المحرمات، ونتحرى الحلال، ونجتنب المحرمات، ولا يأخذ الإنسان ما ليس له.

فمن كمال الأدب مع الله في عباداتك ومعاملاتك أن لا يشوبها نقص أو تقصير أو غفلة،فأداؤها فرض عليك، لكن أن تُؤديها أداءً كاملا أدب.

فالأدب أن تُؤدي كل شيء أمرك الله به كاملا كما أمرك الله كالأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام : ﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ٩٠﴾ [الأنبياء: ٩٠].

الثاني : أن تصون قلبك أن يلتفت إلى غير الله. وأن تُؤدي العبادات والمعاملات بجوارحك أداءً كاملا كما أمرك الله : ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ٣ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَمَغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ٤﴾ [الأنفال: ٢-٤].

الثالث: صيانة الإرادة من التعلق بما يمقتك الله عليه.

فلا ننوي إلا الخير، ولا ننوي إلا ما يحُبه الله ويرضاه.

فطهر إرادتك مما يُغضب ربك، وطهر قلبك من غير الله، وطهر أدائك للعبادات والمعاملات من أن يشوبها غفلة أو نقيصة، تكون في أعلى مقامات الأدب مع الله، وتنال أجره العظيم : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ ١٢﴾ [الملك: ١٢].

٣- صور الأدب مع الله عز وجل

حُسن الأدب مع الله جل جلاله يكون بتلقي أخباره بالتصديق واليقين، وتلقي أحكامه بالتسليم والتنفيذ: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ٢٨٥﴾ [البقرة:٢٨٥].

ومن الأدب مع الله تلقي أقداره بالصبر، والرضا، ثم الحمد والشكر: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ يَهۡدِ قَلۡبَهُۥۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ١١﴾ [التغابن:١١].

ومن الأدب مع الله عز وجل إجلال كل ما ينسب إليه كملائكته وكتبه ورسله، وتعظيم شعائره، وبيوته، ومعالم دينه: ﴿ذَٰلِكَۖ وَمَن يُعَظِّمۡ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقۡوَى ٱلۡقُلُوبِ ٣٢﴾ [الحج:٣٢].

ومن الأدب مع الله إحسان عبادته، والإكثار من ذكره وشكره، وتكبيره وتمجيده، وتسبيحه وتقديسه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ٤١ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ٤٢﴾ [الأحزاب:٤١-٤٢].

ومن الأدب مع الله التصديق بكل ما أخبر الله به من أمور الغيب، ومن ذلك عالم البرزخ، وما يجري في القبور من النعيم أو العذاب، وما يجري في عرصات القيامة من البعث والحساب، والصراط والميزان، والجنة والنار: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ لَيَجۡمَعَنَّكُمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا رَيۡبَ فِيهِۗ وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثٗا ٨٧﴾ [النساء:٨٧].

ومن الأدب مع الله عز وجل حُسن الخُلق مع الخالق عز وجل، بتلقي أخباره بالتصديق، وأحكامه بالتطبيق: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤۡمِنٖ وَلَا مُؤۡمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمۡرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُ مِنۡ أَمۡرِهِمۡۗ وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلٗا مُّبِينٗا ٣٦﴾ [الأحزاب:٣٦].

ومن الأدب مع الله عز وجل التوجه إلى الله وحده بالدعاء، والدعاء هو إظهار غاية التذلل والافتقار إلى الله وحده: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ

يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [غافر: ٦٠].

ومن الأدب مع الله ﷻ لُبسُ أحسن الثياب عند القيام بين يدي الله في الصلاة.

فالله ﷻ أحق مَن تجمل له العباد، والله يُحب أن يرى أثر نعمته على عباده.

قال ﷺ: «إن الله جميل يحب الجمال» أخرجه مسلم(١).

والتجمل عبادة بين يدي الخالق، وبين الناس: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ﴿٣١﴾﴾ [الأعراف: ٣١].

ومن الأدب مع الله ﷻ الخشوع بين يديه في الصلاة، إجلالا لله، وتعظيما له، لما له من صفات الجلال والجمال والكمال: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ ﴿٢﴾﴾ [المؤمنون: ١-٢].

ومن الأدب مع الله عدم استقبال بيت الله أو استدباره عند قضاء الحاجة.

فالكعبة بيت الله في الأرض، وقبلة المسلمين في كل مكان، فلا تُستقبل ولا تُستدبر بغائط أو بول: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمۡ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيۡرٞ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ﴾ [الحج: ٣٠].

ومن الأدب مع الله وضع اليد اليمنى على اليد اليسرى أثناء القيام بين يدي الله في الصلاة، تعظيما لله العزيز الجبار، وإعلان التسليم له ظاهرا وباطنا: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمۡ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقۡوَى ٱلۡقُلُوبِ ﴿٣٢﴾﴾ [الحج: ٣٢].

ومن الأدب مع الله ﷻ الخشية له، والخوف منه، وإظهار الهيبة لله، تعظيما لشأنه وتصاغرا لكبريائه: ﴿إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾ [فاطر: ٢٨].

ومن الأدب مع الله ﷻ تعظيم أسماء الله الحسنى عند سماعها، أو قراءتها، أو كتابتها: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ ﴿٨﴾﴾ [طه: ٨].

فإذا ورد اسم الله تعالى كالعزيز والجبار وغيرهما من الأسماء الحسنى أتبعناه بالتعظيم مثل تعالى، أو سبحانه، أو عز وجل، أو ﷻ، أو تبارك، ونحو ذلك من

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٩١).

ألفاظ التعظيم: ﴿سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوّٗا كَبِيرٗا ٤٣﴾ [الإسراء:٤٣].

ومن الأدب مع الله ﷻ الإكثار من حمد الله وشُكره على نعمه التي لا تُعد ولا تُحصى، والشكر لله يكون بالقلب خُضوعا واستكانة، وباللسان ثناءً واعترافًا، وبالجوارح طاعة وانقيادًا: ﴿ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ١٣﴾ [سبأ:١٣].

أما الحمد لله فيكون بالثناء على الله بالجميل على جهة التعظيم. كما قال سبحانه: ﴿وَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي لَمۡ يَتَّخِذۡ وَلَدٗا وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٞ فِي ٱلۡمُلۡكِ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ وَلِيّٞ مِّنَ ٱلذُّلِّۖ وَكَبِّرۡهُ تَكۡبِيرَۢا ١١١﴾ [الإسراء:١١١].

ومن الأدب مع الله عز وجلأن تعبد الله بصفة الإحسان.

فتعبد الله ﷻ كأنك تراه بصفات جلاله وصفات جماله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ ١٢﴾ [الملك:١٢].

ومن الأدب مع الله سبحانه الإكثار من ذكره في المجالس والمواعظ، والدروس والخطب، تعظيما لشأنه، وإظهارا لجلاله، وتصاغرا لكبريائه، حتى تمتلئ القلوب بحبه وتعظيمه، فتُسارع إلى طاعته، وتبتعد عن معصيته: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ٤١ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ٤٢﴾ [الأحزاب:٤١-٤٢].

وقال الله ﷻ: ﴿وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلۡ إِلَيۡهِ تَبۡتِيلٗا ٨﴾ [المزمل:٨].

ومن الأدب مع الله عز وجل طاعة رسوله محمد ﷺ في كل ما جاء به من ربه ﷻ: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ٧﴾ [الحشر:٧].

ومن الأدب مع الله ﷻ حُب رسله وأوليائه، وإكرام عباده المؤمنين، والإحسان إليهم بأنواع الإحسان، والرحمة لهم، والرفق بهم، والشفقة عليهم، والرأفة بهم: ﴿وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرۡحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ٧١﴾ [التوبة:٧١].

وقال النبي ﷺ: « لا يؤْمِنُ أحَدُكم حتى يحُبَّ لأخيه ». متفق عليه(1).

ومن الأدب مع الله تعالى مراقبة الله تعالى في الغيب والشهادة، وفي السر والعلانية: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ ١٢﴾ [الملك: ١٢].

وقال النبي ﷺ: «الإحْسانُ أنْ تَعبُدَ اللهَّ كَأنَّكَ تَراهُ، فإنْ لَمْ تَكُنْ تَراهُ فإنَّه يَراكَ». متفق عليه(2).

ومن الأدب مع الله ﷻ نِسبَة الخير كله إلى الله وحده، ونفي الشر عنه ورد الفضل كله إليه وترك نسبة الشر والضر إليه، وإن كان هو خالقهما، تأدبا مع الله ﷻ كما قال إبراهيم ﷺ: ﴿وَإِذَا مَرِضۡتُ فَهُوَ يَشۡفِينِ ٨٠﴾ [الشعراء: ٨٠].

وكما أخبر الله عن أيوب ﷺ بقوله: ﴿۞وَأَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ٨٣﴾ [الأنبياء: ٨٣].

ومن الأدب مع الله ﷻ تعظيم شعائره وحرماته. فيُعظم ما عظمه الله من أشخاص، أو زمان أو مكان، أو أقوال أو أعمال: ﴿ذَٰلِكَۖ وَمَن يُعَظِّمۡ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقۡوَى ٱلۡقُلُوبِ ٣٢﴾ [الحج: ٣٢].

ويُراعي ما يجب له من أدب وحُرْمَة، تأدبا مع الله عز وجل.

فيتأدب مع الأنبياء والرسل الأدب اللائق بهم وبمنزلتهم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجۡهَرُواْ لَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ كَجَهۡرِ بَعۡضِكُمۡ لِبَعۡضٍ أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ ٢﴾ [الحجرات: ٢].

ويتأدب مع أهل العِلم والفضل، ويُقدِّرهم قَدْرَهم، ويتأدب مع المؤمنين، ويتأدب مع والديه، ويحُسن إليهما: ﴿۞وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًاۚ﴾ [الإسراء: ٢٣].

ويتأدب مع الأزمنة المُعَظَّمة، ومواسم العبادة كالأشهر الحُرُم، ويوم عرفة، وليلة القدر وغيرها من الأزمنة الفاضلة، فيُسارع فيها إلى أنواع الطاعات والقربات

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (١٣) ومسلم برقم (٤٥).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٤٧٧٧) ومسلم برقم (١٠).

المشروعة، ويبتعد عن المعاصي والمُحرمات: ﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثۡنَا عَشَرَ شَهۡرًا فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوۡمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ مِنۡهَآ أَرۡبَعَةٌ حُرُمٌۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُۚ فَلَا تَظۡلِمُواْ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمۡۚ﴾[التوبة:٣٦].

ويتأدب مع الأماكن المُعظمة كالمسجد الحرام، ومسجد النبي ﷺ، وبيوت الله ومساجده في كل مكان: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمۡ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيۡرٞ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦۗ﴾[الحج:٣٠].

وقال الله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمۡ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقۡوَى ٱلۡقُلُوبِ ٣٢﴾[الحج:٣٢].

ومن الأدب مع الله ﷻ التسليم لأمره، وقبول جميع أخباره وآياته وأحكامه، والعمل بموجبها: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا ٦٥﴾[النساء:٦٥].

ومن أعظم الأدب مع الله عز وجلتوحيده، وإخلاص العبادة له وحده لا شريك له. وأعظم سوء الأدب مع الله هو الإشراك به، وعبادة ما سواه من الخلق: ﴿قُلۡ أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَأۡمُرُوٓنِّيٓ أَعۡبُدُ أَيُّهَا ٱلۡجَٰهِلُونَ ٦٤ وَلَقَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٦٥ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعۡبُدۡ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ٦٦﴾[الزمر:٦٤-٦٦].

أن الأدب مع الله أصل كل أدب.

والأدب هو اجتماع خِصال الخير في العبد، والأخذ بمكارم الأخلاق، واستعمال ما يُحمد من الأقوال والأفعال، والأخلاق والآداب.

والأدب مع الله هو حُسن الانقياد لله، بإيقاع كل حركة وسكون على مقتضى تعظيم الله وإجلاله والذل له، وحُبه والحياء منه، وذلك يشمل القلب واللسان والجوارح.

وأدب القلب هو الأصل والأساس لغيره، ومقتضاه أن يتوجه القلب إلى الله وحده بالتعظيم لله، والحب له، والخوف منه، والرغبة إليه، والتوكل عليه، والاستعانة به: ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ٥٠ وَلَا تَجۡعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ٥١﴾[الذاريات:٥٠-٥١].

٤ - الأسباب المعينة على حُسن الأدب مع الله ﷻ

الأول : العلم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله: :﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾[محمد:١٩].

فمن عرف الله بصفات جلاله وجماله، أحبه وعظمه، وأحسن الأدب معه. فحُسن الأدب مع العظيم أن يُعظم، ومع الكبير أن يُكبر، ومع الغني أن يُسأل، ومع الكريم أن يُشكر، ومع الرحمن أن يسترحم، ومن الرحيم أن يرحم، ومع الغفور أن يغفر، ومع الغفار أن يُستغفر.

الثاني: معرفة النبي ﷺ، وشمائله، وكمال أدبه مع ربه في جميع أحواله، ومكارم أخلاقه التي مَلَكَ بها قلوب الخلق، فأحبوه وآمنوا به وأطاعوه :﴿فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ ﴾[الأعراف:١٥٨].

وقال الله تعالى :﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ ﴾[التوبة:١٢٨].

الثالث : الاستعانة بالله العظيم على تحصيل مكارم الأخلاق، وحُسن الأدب مع الله ﷻ، فكل نعمة وخير من الله وحده :﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾[النحل:٥٣].

الرابع : مجاهدة النفس على تحصيل عبادة حُسن الأدب مع الله ﷻ : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾[العنكبوت:٦٩].

الخامس: معرفة فضائل حُسن الأدب مع الله ﷻ، وحُسن الأدب مع خلقه ومعرفة الأجور العظيمة على حُسن الأدب، ومكارم الأخلاق :﴿ ۞ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ ﴾[آل عمران:١٣٣-١٣٤].

السادس: مصاحبة الأخيار، والجلوس في مجالس الإيمان مع المتقين، والانقطاع عن مجالس اللهو والغفلة والمعاصي: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾﴾ [الكهف:٢٨].

السابع: دعاء الله ﷻ أن يرزقك كمال الأدب مع الله عز وجل، ومع رسوله، ومع خلقه. فالله كريم لا يرد سائلا، ولا يخيب مؤملا: ﴿هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [غافر:٦٥].

الثامن: الإكثار من تلاوة القرآن، وتدبر آياته لمعرفة أسماء الله وصفاته وأفعاله، ومعرفة عظمة جلاله وجماله، فمن عرف ذلك أحسن الأدب مع ربه، وذل لعزته وخضع لجبروته: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾﴾ [البقرة:٢٥٥].

٥ - ثمرات حُسن الأدب مع الله ﷻ

الأولى: الفوز بمغفرة الله ونيل ثوابه الكبير.

قال الله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ ١٢﴾[الملك:١٢].

الثانية: رضوان الرب ﷻ.

قال الله ﷻ: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ٧٢﴾[التوبة:٧٢].

الثالثة: الأمن في الدنيا والآخرة.

قال الله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ٣٠ نَحۡنُ أَوۡلِيَآؤُكُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَشۡتَهِيٓ أَنفُسُكُمۡ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ٣١ نُزُلٗا مِّنۡ غَفُورٖ رَّحِيمٖ ٣٢﴾[فصلت:٣٠-٣٢].

الرابعة: البُشرى بدخول الجنة.

قال الله ﷻ: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنۡهَا مِن ثَمَرَةٖ رِّزۡقٗا قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِي رُزِقۡنَا مِن قَبۡلُۖ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهٗاۖ وَلَهُمۡ فِيهَآ أَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞۖ وَهُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٢٥﴾[البقرة:٢٥].

الخامسة: الفوز بالجنة، والنجاة من النار.

قال الله ﷻ: ﴿كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوۡنَ أُجُورَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۖ فَمَن زُحۡزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدۡخِلَ ٱلۡجَنَّةَ فَقَدۡ فَازَۗ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ ١٨٥﴾ [آل عمران:١٨٥].

السادسة: الخلود في نعيم الجنة.

قال الله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ خَيۡرُ ٱلۡبَرِيَّةِ ۝٧ جَزَآؤُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَشِيَ رَبَّهُۥ ۝٨﴾ [البينة:٧-٨].

السابعة: الأُنْسُ واللذة بأنواع النعيم الذي لا يعلمه إلا الله، ففي الجنة ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر.

قال الله ﷻ: ﴿فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ۝١٧﴾ [السجدة:١٧].

الثامنة: رؤية الرب يوم القيامة: ﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ ۝٢٣﴾ [القيامة: ٢٢ – ٢٣].

التاسعة: القرب من الرب في الجنة: ﴿إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَنَهَرٖ ۝٥٤ فِي مَقۡعَدِ صِدۡقٍ عِندَ مَلِيكٖ مُّقۡتَدِرِۭ ۝٥٥﴾ [القمر: ٥٤ – ٥٥].

العاشرة: سلام الملائكة على أهل الجنة: ﴿وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَدۡخُلُونَ عَلَيۡهِم مِّن كُلِّ بَابٖ ۝٢٣ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم بِمَا صَبَرۡتُمۡۚ فَنِعۡمَ عُقۡبَى ٱلدَّارِ ۝٢٤﴾ [الرعد: ٢٣ – ٢٤].

﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلۡتَ وَٱتَّبَعۡنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكۡتُبۡنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ۝٥٣﴾ [آل عمران:٥٣].

اللَّهُمَّ إنَّا نسْأَلُكَ الجنَّةَ وما قَرَّبَ إليْهَا مِنْ قولٍ أَوْ عَمَلٍ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَولٍ أَوْ عَمَلٍ.

اللَّهُمَّ إنَّا نَسْأَلُك إيمانًا كاملًا، ويقينًا صادقًا، وقلبًا خاشعًا، ولسانًا ذاكرًا وَحلالًا طيبًا ونسأَلُكَ بالفَوْز بالجَنَّة والنجاةَ من النار.

عبادات القلوب

في ضوء القرآن والسنة

العبادة التاسعة والخمسون

عِبَـادة الأدب مع رسول الله ﷺ

وتشتمل هذه العبادة العظيمة على المباحث الآتية :

الأول : حسن أدب الأنبياء والمرسلين

الثاني : دعاء الأنبياء والمرسلين في القرآن الكريم

الثالث : فقه الأدب مع رسول الله ﷺ

الرابع : أنواع الأدب مع رسول الله ﷺ

الخامس : أصول الأدب الكامل مع الرسول ﷺ.

العبادة التاسعة والخمسون

عِبَادة الأدب مع رسول الله ﷺ

١ - حسن أدب الأنبياء والمرسلين

الله ﷻ اجتبى الأنبياء واصطفاهم، وأرسلهم إلى خلقه، وجعلهم سفراء إلى عباده في الأرض، يأمرونهم بالإيمان بالله، وتوحيده، وعبادة الله وحده لا شريك له: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ ۚ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ (٣٦)﴾ [النحل:٣٦].

والأنبياء والرسل أحسن الناس أخلاقًا، وأحسنهم أدبًا، وأحسنهم أقوالًا، وأحسنهم أفعالًا، وأعظمهم حبًا لله، وتعظيمًا له، وخوفًا منه، ورجاءً له، وتوكلًا عليه، واستعانةً به، وحياءً منه، وخشيةً له، وعبادةً له: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ (٩٠)﴾ [الأنبياء:٩٠].

والأنبياء والرسل هم أكثر الخلق ذِكرًا لله ﷻ، وأكثرهم حمدًا له، وأكثرهم استغفارًا له، وأشدهم حياءً منه، ورهبةً منه، ورغبةً إليه؛ لأنهم أعرف الخلق بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله، وأعلمهم بما يحِب ربهم وما يكره، وأعرفهم بدينه وشرعه، ووعده ووعيده: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ مِن ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا ۚ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَٰنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا ۩ (٥٨)﴾ [مريم:٥٨].

والأنبياء والرسل دائماً في محراب العبودية، يحْمَدُون ربهم تارة، ويُمَجِّدُونَه تارة، ويكبرونه تارة، ويشكرونه تارة، ويُثْنُونَ عليه تارة، ويَسْتَغْفرونه تارة، ويسألونه تارة، ويتوبون إليه تارة، ويسترحمونه تارة، ويعتذرون إليه تارة: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًاۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [الأنعام: ٩٠].

والأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام أرحم الناس بالخلق، وألطف الناس معاملةً، وأشد الناس حياءً، وأعظمهم رأفةً بالناس، ورفقًا بهم، وإحسانًا إليهم، ورغبةً في هدايتهم، وصبرًا على أذاهم: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [التوبة: ١٢٨].

وجميع أنبياء الله ورسله قاموا بالدعوة إلى الله، وتعليم شرعه، والإحسان إلى خلقه: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾﴾ [الجمعة: ٢].

فيجب علينا الإيمان بهم، وتصديقهم، والاقتداء بهم في توحيدهم، وإيمانهم، وأخلاقهم، وإبلاغهم دين الله عز وجل: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَاۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾﴾ [البقرة: ٢٨٥].

٢ - دعاء الأنبياء والمرسلين في القرآن الكريم

الأنبياء والمرسلون أحسنُ الناس دعاءً لربهم. وقد أجاب الله دعاءهم، لصدق إيمانهم، وكمال توحيدهم، وقوة يقينهم، وكمال ثقتهم بالله، وحُسن أدبهم، وعُلو أخلاقهم.

ومن أدب الأنبياء والرسل في الدعاء والتضرع بين يدي الله ﷻ:

دعاء آدم ﷺ حين قال: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأعراف:٢٣].

ومن دعاء نوح ﷺ: ﴿رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًۢا ﴿٢٨﴾﴾ [نوح:٢٨].

ومن دعاء إبراهيم ﷺ: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِۦمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِۦمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾﴾ [البقرة:١٢٨-١٢٩].

وقد أجاب الله دعاءه ﷺ، فجعل الله مكة بلدًا آمنًا، وجعل من نَسْله ﷺ سيد الأولين والآخرين محمد ﷺ.

ومن دعاء لوط ﷺ: ﴿رَبِّ نَجِّنِى وَأَهْلِى مِمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٩﴾﴾ [الشعراء:١٦٩].

ومن دعاء يوسف ﷺ: ﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِىِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠١﴾﴾ [يوسف:١٠١].

ومن دعاء شعيب ﷺ: ﴿وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيۡءٍ عِلۡمًاۚ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلۡنَاۚ رَبَّنَا ٱفۡتَحۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَ قَوۡمِنَا بِٱلۡحَقِّ وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡفَٰتِحِينَ ٨٩﴾ [الأعراف:٨٩].

ومن دعاء موسى ﷺ: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمۡتُ نَفۡسِي فَٱغۡفِرۡ لِي فَغَفَرَ لَهُۥٓۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ١٦﴾ [القصص:١٦].

ومن دعائه ﷺ: ﴿قَالَ رَبِّ ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي ٢٥ وَيَسِّرۡ لِيٓ أَمۡرِي ٢٦ وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةٗ مِّن لِّسَانِي ٢٧ يَفۡقَهُواْ قَوۡلِي ٢٨ وَٱجۡعَل لِّي وَزِيرٗا مِّنۡ أَهۡلِي ٢٩ هَٰرُونَ أَخِي ٣٠ ٱشۡدُدۡ بِهِۦٓ أَزۡرِي ٣١ وَأَشۡرِكۡهُ فِيٓ أَمۡرِي ٣٢ كَيۡ نُسَبِّحَكَ كَثِيرٗا ٣٣ وَنَذۡكُرَكَ كَثِيرًا ٣٤ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرٗا ٣٥ قَالَ قَدۡ أُوتِيتَ سُؤۡلَكَ يَٰمُوسَىٰ ٣٦﴾ [طه:٣٥-٣٦].

ومن دعاء أيوب ﷺ: ﴿۞وَأَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ٨٣ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ فَكَشَفۡنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرّٖۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ أَهۡلَهُۥ وَمِثۡلَهُم مَّعَهُمۡ رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَا وَذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰبِدِينَ ٨٤﴾ [الأنبياء:٨٣-٨٤].

ومن دعاء يونس ﷺ: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبٗا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٨٧ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٨٨﴾ [الأنبياء:٨٨].

ومن دعاء زكريا ﷺ: ﴿وَزَكَرِيَّآ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرۡنِي فَرۡدٗا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡوَٰرِثِينَ ٨٩ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَوَهَبۡنَا لَهُۥ يَحۡيَىٰ وَأَصۡلَحۡنَا لَهُۥ زَوۡجَهُۥٓۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ٩٠﴾ [الأنبياء:٨٩-٩٠].

ومن دعاء سليمان ﷺ: ﴿قَالَ رَبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَهَبۡ لِي مُلۡكٗا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِيٓۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ ٣٥ فَسَخَّرۡنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجۡرِي بِأَمۡرِهِۦ رُخَآءً حَيۡثُ أَصَابَ ٣٦ وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٖ وَغَوَّاصٖ ٣٧ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي ٱلۡأَصۡفَادِ ٣٨ هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمۡنُنۡ أَوۡ أَمۡسِكۡ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ٣٩ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلۡفَىٰ وَحُسۡنَ مَـَٔابٖ ٤٠﴾ [ص:٣٥-٤٠].

ومن دعاء عيسى ﷺ: ﴿قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ ۖ وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١٤﴾ قَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ ۖ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّىٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١١٥﴾﴾ [المائدة: ١١٤-١١٥].

ومن دعائه ﷺ قوله: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾﴾ [المائدة: ١١٨].

ومن دعاء النبي ﷺ: ﴿وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِى مُخْرَجَ صِدْقٍ وَٱجْعَل لِّى مِن لَّدُنكَ سُلْطَٰنًا نَّصِيرًا ﴿٨٠﴾﴾ [الإسراء: ٨٠].

ومن دعائه ﷺ: ﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾﴾ [المؤمنون: ٩٧-٩٨].

وغيرُ ذلك من الأدعية التي جاءت في القرآن، ودعا بها الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [الأنبياء: ٩٠].

٣- فقه الأدب مع رسول الله ﷺ

زينةُ المرء وجماله في حسن خُلقه، وكمال آدابه، والأدب مع رسول الله ﷺ هو أعلى مراتب الأدب، بعد الأدب مع الله جل جلاله ؛ لأن رسول الله ﷺ أعظم الخُلْقِ حُقًّا على الخَلْق: ﴿فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَـٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾﴾[الأعراف: ١٥٨].

والأدب مع الرسول ﷺ يتمثل في أربعة أمور :

تصديقه فيما أخبر .. وطاعته فيما أمر .. واجتناب ما نهى عنه وزجر ..وأن لا نعبد الله إلا بما شرع.

قال الله ﷻ : ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾﴾[الحشر:٧].

وليس الأدب مع رسول الله ﷺ مجُرد كلمات وقصائد ومدائح خالية من الاتباع والعمل :﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾﴾[آل عمران: ٣١].

كمال الأدب مع رسول الله ﷺ لا يكون إلا بمحبة صادقة له، محبةً تستوجب اتباعه في كل ما أمر، واجتناب كل ما نهى عنه وزجر، واتخاذه أُسْوَةً في الظاهر والباطن، وقدوةً في القول والعمل، وفي الأخلاق والآداب :﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ [الأحزاب:٢١].

والأدبُ مع رسول الله ﷺ هو أعلى وأفضل مراتب الأدب بعد الأدب مع الله ﷻ؛ لأن حقُّ النبي ﷺ على الناس أعظم من كل حق، لأن الله هداهم به من الضلال إلى الهدى، واسْتنقذهم به من النار، وأخرجهم به من ظلمات الكفر إلى

نور الإيمان: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖۚ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ١٥ يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ١٦﴾ [المائدة: ١٥-١٦].

وقال ﷻ: ﴿لَقَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ بَعَثَ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ١٦٤﴾ [آل عمران: ١٦٤].

الأدب هو الدين كله، والمُلْتَزِم بهذا الدين عقيدةً وشريعةً وأخلاقًا هو المُؤَدَّبُ حَقِيقَةً.

والأدب مع الله ﷻ هو الأصل لما وراءه من أَدَبٍ مع الرسول مُحَمَّدٍ ﷺ، وأدبٍ مع الخلق.

ولكي يكون المسلم مؤدبًا مع الرسول ﷺ، لابد له من تحقيق الاعتقاد الصحيح فيه بالإيمان به، وتحقيق المحبة الصادقة له، وتحقيق الاتباع الصحيح له: ﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلۡأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ١٥٨﴾ [الأعراف: ١٥٨].

الإسلام كله آداب

أدب مع الله، وأدب مع الرسل، وأدب مع الملائكة، وأدب مع الخلق، وأدب مع النفس: ﴿فَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ فَلَهُۥٓ أَسۡلِمُواْۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُخۡبِتِينَ ٣٤ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمۡ وَٱلۡمُقِيمِي ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ٣٥﴾ [الحج: ٣٤-٣٥].

وقال الله: ﴿ ۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ١٣٥ أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغۡفِرَةٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَجَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ ١٣٦ ﴾ [آل عمران: ١٣٣-١٣٦].

وقال ﷻ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ ١٢ ﴾ [الملك:١٢].

حُسن الأدب مع رسول الله ﷺ عبادة قلبية، يتقرب بها العبد إلى ربه. فَيُصَدِّقُ النبي ﷺ فيما أخبر، ويطيعه فيما أمر، ويجتنب ما نهى عنه وزجر، ولا يعبد الله إلا بما شرع، ويحبه أعظم من حبه لنفسه وولده ووالده والناس أجمعين، ويوقره لأنه رسول رب العالمين الذي أرسله الله رحمة للعالمين، فبلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وجاهد في الله حق جهاده، وصبر على ما أصابه ابتغاء مرضاة الله، حتى أتاه اليقين، فصلوات الله وسلامه عليه: ﴿ هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ٢ ﴾ [الجمعة: ٢].

ومن كمال الأدب من النبي ﷺ كثرة الصلاة والسلام عليه كلما ذكره أو ذُكر عنده كما قال سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ٥٦ ﴾ [الأحزاب: ٥٦].

٤ - أنواع الأدب مع رسول الله ﷺ

الأدب مع رسول الله ﷺ ثلاثة أنواع :

أدب قلبي .. وأدب قولي .. وأدب عملي.

الأول:الأدبالقلبي مع النبي ﷺ .

ويكون بالإيمان بالرسول ﷺ، وتصديقه في كل ما جاء به عن ربه، وحبه، وتعظيمه، وتوقيره، ومطابقة ذلك باللسان بأن يشهد أن محمداً رسول الله.

ومن ذلك اعتقاد تفضيله ﷺ على كل أحد من الخلق، لما خصّه الله به من مكارم الأخلاق، ومحاسن الآداب كما قال سبحانه عنه:﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ [القلم:٤].

وقال النبي ﷺ : «أنا سَيِّدُ ولَدِ آدَمَ يومَ القِيامَةِ، وأَوَّلُ مَن يَنْشَقُّ عنه القَبْرُ، وأَوَّلُ شافِعٍ وأَوَّلُ مُشَفَّعٍ». أخرجه مسلم(١)

ومن ذلك استشعار هيبته ﷺ، وجلالة قدره، وعظيم شأنه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُواْ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٢﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٣﴾ ﴾[الحجرات:٢-٣].

ومن الأدب معه ﷺ استحضار محاسنه، وفضائله ومكانته، ومنزلته، وكل ما يجلب حبه وإجلاله، وتوقيره، وتعزيره :﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا

(١)أخرجه مسلم برقم (٢٢٧٨).

﴿لِّتُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ٩﴾ [الفتح:٨-٩].

ومن الأدب القلبي: محبة النبي ﷺ محبة تامة، تظهر آثارها على الجوارح بالطاعة والإتباع: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظٗا ٨٠﴾ [النساء:٨٠].

وقال ﷻ: ﴿قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٣١﴾ [آل عمران:٣١].

ومحبة النبي ﷺ من الإيمان، فلا يتم إيمان أحد، إلا إذا كان النبي ﷺ أحب إليه من نفسه وولده والناس أجمعين.

قال النبي ﷺ: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ، حتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِن وَلَدِهِ ووَالِدِهِ والنَّاسِ أَجْمَعِينَ» متفق عليه(١).

وقال عمر رضي الله عنه: «يا رَسولَ اللَّهِ، لَأَنْتَ أَحَبُّ إلَيَّ مِن كُلِّ شيءٍ إلَّا مِن نَفْسِي، فَقالَ النبيُّ ﷺ: لَا، والذي نَفْسِي بيَدِهِ، حتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إلَيْكَ مِن نَفْسِكَ. فَقالَ له عُمَرُ: فإنَّه الآنَ، واللَّهِ لَأَنْتَ أَحَبُّ إلَيَّ مِن نَفْسِي، فَقالَ النبيُّ ﷺ: الآنَ يا عُمَرُ» أخرجه البخاري(٢).

فكل نفع حاصل للناس جاء عن طريق الرسول ﷺ، فاستحق أن يكون حَظُّهُ من المحبة أوفر من غيره من الخلق، لأن النفع العظيم الحاصل منه أكثر من

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (١٥) ومسلم برقم (٤٤).

(٢) أخرجه البخاري برقم (٦٦٣٢).

غيره: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [التوبة:١٢٨].

فلا يكون المؤمن مؤمناً حتى يقدّم محبة النبي على محبة جميع الخلق.

ومحبة الرسول ﷺ تابعة لمحبة مُرْسِلِه، والمحبة الصادقة تقتضي المتابعة والموافقة في حب المحبوبات، وبُغض المكروهات: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [التوبة:٢٤].

فمن أحب الله ورسوله محبة صادقة، أوجب له ذلك أن يحُب بقلبه كل ما يحبه الله ورسوله، ويكره ما يكرهه الله ورسوله، ويرضى بما يرضى به الله ورسوله، ويسخط مما يسخط الله ورسوله منه، وأن يعمل بجوارحه بمقتضى هذا الحب والبغض: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾﴾ [آل عمران:٣١].

وقال النبي ﷺ: «ثَلاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلاوَةَ الإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ المَرْءَ لاَ يُحِبُّهُ إِلاَّ للهِ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ» متفق عليه(١).

ولما كان القلب هو مَلك الجوارح، والجوارح جنوده، ومنقادة لأمره، فمتى كان حب النبي ﷺ وتعظيمه مستقراً في قلب العبد، فإن آثار ذلك ستظهر على الجوارح قطعًا، وحينئذ سترى اللسان ينطق بمدحه ﷺ، والثناء عليه، والصلاة والسلام عليه،

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (١٦) ومسلم برقم (٤٣).

وذكر محاسنه، وترى سائر الجوارح ممتثلةً لأمره، مجتنبةً لنهيه، متتبعةً لشرعه، مؤديةً لما له من الحق والتكريم، وكمال الطاعة: ﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلۡأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ١٥٨﴾ [الأعراف:١٥٨].

وقال النبي ﷺ: «ألا وإنَّ في الجَسَدِ مُضْغَةً، إذا صَلَحَتْ، صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ، وإذا فَسَدَتْ، فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ، ألا وهي القَلْبُ» متفق عليه(١).

الثاني: الأدب القولي مع النبي ﷺ.

وهو أن يتأدب المؤمن في أقواله معه، فلا يتقدم بين يدي النبي ﷺ بأمر ولا نهي، ولا إذن، ولا تصرف حتى يأمر هو، وينهى، ويأذن: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ١﴾ [الحجرات:١].

والتقدُّم بين بدي سنته ﷺ بعد وفاته كالتقدم بين يديه في حياته كلاهما محرم.

ومن أدب القول معه ﷺ أن لا تُرْفَع الأصوات فوق صوته،لأن ذلك سبب لحُبُوطِ الأعمال، وكذا لا تُرفع الآراء والأفكار فوق سنته وما جاء به: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجۡهَرُواْ لَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ كَجَهۡرِ بَعۡضِكُمۡ لِبَعۡضٍ أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ ٢ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصۡوَٰتَهُمۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمۡتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ لِلتَّقۡوَىٰۚ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٌ عَظِيمٌ ٣ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلۡحُجُرَٰتِ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ٤﴾ [الحجرات:٢-٤].

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٥٢) ومسلم برقم (١٥٩٩).

ومن أدب القول معه ﷺ أن لا يجعل دعاءه كدعاء غيره. فلا يدعى باسمه كما يدعى غيره، بل يُقال: يا رسول الله، يا نبي الله: ﴿لَّا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضًا﴾[النور:٦٣].

بل يناديه كما ناداه ربه بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾﴾[الأحزاب:٤٥-٤٦].

وقال ﷻ: ﴿۞ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾[المائدة:٦٧].

ومن أدب القول مع النبي ﷺ الإكثار من الصلاة والسلام عليه، امتثالاً لأمر من أرسله: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ ۚ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾﴾[الأحزاب:٥٦].

وقال النبي ﷺ: «مَن صَلَّى عَلَيَّ واحدة صَلَّى اللهُ عليه عَشْرًا» أخرجه مسلم[1].

ومن أدب القول معه ﷺ أن لا يترك قوله لرأي أحد، ولا يعارض نصه بعقل أحد، ولا يوقف قبول ما جاء به على موافقة أحد؛ لأن هذا من سوء الأدب معه ﷺ.

قال النبي ﷺ: «لا أُلْفِيَنَّ أَحَدَكُمْ مُتَّكِئًا عَلَى أَرِيكَتِهِ يَأْتِيهِ الأَمْرُ مِنْ أَمْرِى مِمَّا أَمَرْتُ بِهِ أَوْ نَهَيْتُ عَنْهُ، فَيَقُولُ لا نَدْرِى مَا وَجَدْنَا فِي كِتَابِ اللهِ اتَّبَعْنَاهُ» أخرجه أحمد والترمذي[2].

الثالث: الأدب العملي مع النبي ﷺ

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٤٠٨).

(٢) صحيح، أخرجه احمد برقم (٢٣٣٢٣) والترمذي برقم (٢٧١١).

وهو أن تنقاد الجوارح لتعمل بكل ما جاء به ﷺ، فمن أحبه ﷺ انبعثت جوارحه بطاعته وإتباعه، واتخاذه قدوة وأسوة في أقواله وأعماله وأخلاقه: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ [الأحزاب: ٢١].

وقال الله ﷻ: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾﴾ [الحشر: ٧].

وقد أوجب الله ﷻ على هذه الأمة طاعة رسولها ﷺ في كل ما أمر به، وفي كل ما نهى عنه، وتصديقه في كل ما أخبر به فقال ﷻ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَـٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾﴾ [النساء: ٥٩].

وقال سبحانه: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾﴾ [الحشر: ٧].

وقال ﷻ: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾﴾ [آل عمران: ٣١].

٥ - أصول الأدب الكامل مع رسول الله ﷺ

الأول: الإيمان به ﷺ، وأن الله أرسله بالحق كافة للناس إلى يوم القيامة .

قال الله ﷻ : ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ ۖ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ ﴾ [الأعراف: ١٥٨].

الثاني: كمال الانقياد والطاعة للنبي ﷺ

قال الله ﷻ: ﴿ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ ۖ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [آل عمران: ٣٢].

وقال الله ﷻ: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ ﴾ [النساء: ٦٥].

الثالث: تصديق النبي ﷺ في كل ما أخبر به، لأنه وحي من الله ﷻ

قال الله ﷻ: ﴿ وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ ﴾ [النجم: ١-٤].

الرابع: اتباع النبي ﷺ وطاعته في كل ما جاء به من ربه من الأقوال، والأفعال، والأخلاق، والآداب.

قال الله ﷻ: ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣١﴾ ﴾ [آل عمران: ٣١].

وقال النبي ﷺ : « كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ إِلَّا مَن أَبَى، قالوا : يا رَسُولَ اللهِ، وَمَن يَأْبَى؟ قالَ : مَن أَطَاعَنِي دَخَلَ الجَنَّةَ، وَمَن عَصَانِي فقَدْ أَبَى » أخرجه البخاري(١).

الخامس: اجتناب كل ما نهى عنه النبي ﷺ

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٧٢٨٠) .

قال الله ﷻ: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾﴾ [الحشر: ٧].

وقال النبي ﷺ: «مَا نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ فَاجْتَنِبُوهُ وَمَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ» متفق عليه(١).

فقد أوجب الله على جميع الناس طاعة الرسول ﷺ في كل ما أمر به، واجتناب كل ما نهى عنه، وحذرهم من مخالفة أمره ودينه كما قال سبحانه: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ [النور: ٦٣].

وقال الله ﷻ: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾ [النساء: ١١٥].

السادس: تقديم قول النبي ﷺ على أقوال جميع الناس

قال الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١﴾﴾ [الحجرات: ١].

السابع: محبة النبي ﷺ أكثر من محبة النفس، والأولاد، والوالدين، والناس أجمعين.

قال النبي ﷺ: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ، حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِن وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ». متفق عليه(٢).

الثامن: التسليم لحُكْم النبي ﷺ، والانقياد له، والرضا به

قال الله ﷻ: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [النساء: ٦٥].

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٧٢٨٨) ومسلم برقم (١٣٣٧).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم ( ) ومسلم برقم (٤٤).

التاسع: اتخاذ النبي ﷺ قدوة حسنة في نيته وفكره، وفي توحيده وإيمانه، وفي أقواله الحسنة، وفي أعماله الصالحة، وفي أخلاقه الكريمة، وفي آدابه العالية.

قال الله ﷻ: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْأَخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ۝٢١﴾ [الأحزاب: ٢١].

العاشر: نشر دينه ﷺ في مشارق الأرض ومغاربها، والدفاع عن سنته، وتعليم الناس ما جاء به من الأحكام، ومحاسن الأخلاق

قال الله ﷻ: ﴿هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ۝٥٢﴾ [إبراهيم: ٥٢].

وقال الله ﷻ: ﴿كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ۝٧٩﴾ [آل عمران: ٧٩].

وقال النبي ﷺ: « بلغوا عني ولو آية... الى النار ». أخرجه البخاري [1].

﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ۝٥٣﴾ [آل عمران: ٥٣].

﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلْأَخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ۝٢٠١﴾ [البقرة: ٢٠١].

اللهم اهدنا فيمن هديت، وعافنا فيمن عافيت، وتولنا فيمن توليت، وقنا برحمتك واصرف عنا شر ما قضيت.

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٣٤٦١).

عبادات القلوب

في ضوء القرآن والسنة

العبادة الستون

عِبَادة الأدب مع الخلق

وتشتمل هذه العبادة العظيمة على المباحث الآتية :

الأول: أنواع الأدب.

الثاني: فقه الأدب مع الخلق.

الثالث: مظاهر الأدب مع الخلق.

الرابع: الأسباب المعينة على حُسن الأدب مع الخلق.

الخامس: ثمرات الأدب مع الخلق.

العبادة الستون

عِبَادة الأدب مع الخلق

١ - أنواع الأدب

الأدب أربعة أنواع:

أدبٌ مع الله عز وجل..وأدبٌ مع رسول الله ﷺ.. وأدبٌ مع خلق الله .. وأدبٌ مع النفس:

الأول:أدبٌ مع الله عز وجل:

وهذا الأدب هو أعلى مراتب الأدب، وهو أصل لجميع أنواع الأدب، فهو رأس الأمر وعموده وأساسه؛ والأدب مع الله ﷻله ثلاثة أركان:

الأول: صيانة معاملَتِه أن يشوبها بنقيصة.

الثاني: صيانة قلبه أن يلتفت إلى غير الله عز وجل.

الثالث: صيانة إرادة العبد أن تتعلق بما يَمقُته الله عليه من إرادة الشر والسوء والظلم، ونحو ذلك: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾[الأنفال:٢-٤] .

ثانيًا:الأدب مع رسول الله ﷺ:

ورأس الأدب معه ﷺالإيمان به، والتسليم له، والانقياد لأمره، والحب له، وتلقِّي أخباره بالقبول والتصديق، وتلقي أوامره بالقبول والتطبيق، وعدم معارضة ما جاء به بالعقل أو الشَّك، أو تقديم آراء الرجال عليه .

فكمال الأدب معه ﷺ أن نوحّده بالتحكيم والتسليم، والانقياد والإذعان

والاتباع، كما وحّدنا الله ﷻ بالعبادة، والخضوع، والذلّ، والإنابة، والتفويض، والتوكل: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [النساء: ٦٥].

الثالث: الأدب مع الخلق:

والخلق أقسامهم كثيرة، ولابد للعبد أن يتأدَّب مع كل واحد منهم بما أمره به الشرع، ويعامله بما يليق به، سواء كان من الملائكة، أو الرسل، أو عامة الناس.

فالأدب مع الملائكة يكون بالإيمان بهم، ومحبتهم وموالاتهم، والثناء عليهم وإكرامهم، لأنهم رسل الله إلى خلقه يدبرون أمره، ويستغفرون للمؤمنين: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿٧﴾﴾ [غافر: ٧].

ومن الأدب مع الملائكة البعد عن الذنوب والمعاصي، والروائح الكريهة؛ لأن الملائكة حاضرون معنا، ويتأذّون مما يتأذّى منه بنو آدم.

ومن الأدب معهم الامتناع عن كل ما يمنع قرب الملائكة، أو دخولهم بيوتنا، أو حضورهم مجالسنا، من صور ذوات الأرواح، من الناس أو الحيوانات، وكذلك الكلب أو الجرس: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَاتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾﴾ [الانفطار: ١٠-١٢].

وقال النبي ﷺ: "لَا تَدْخُلُ المَلَائِكَةُ بَيْتًا فيه كَلْبٌ وَلَا صُورَةٌ". متفق عليه[1].

والأدب مع الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام، يكون بالإيمان بهم وتصديقهم، ومحبتهم والثناء عليهم، والاقتداء بهم في توحيدهم وإيمانهم، وأخلاقهم وآدابهم، وعبادتهم ومعاملاتهم: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ [الأحزاب: ٢١].

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٣٣٢٢) ومسلم برقم (٢١٠٦).

وقال ﷻ لنبيه ﷺ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًاۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ ۝٩٠﴾[الأنعام: ٩٠].

أما الأدب مع الناس:

فالناس متفاوتون في الإيمان والكفر، ومتفاوتون في التقوى والفجور، ومتفاوتون في القرب والبعد، ومتفاوتون في العلم والجهل؛ فيعامل كل واحد من هؤلاء بما يليق به مع اختلاف مراتبهم.

فهناك آدابٌ للتعامل مع الوالدين، وآدابٌ مع ذوي الأرحام، وآدابٌ مع الجيران، وآدابٌ مع العلماء الربانيين، وآدابٌ مع الصالحين، وآدابٌ مع العصاة، وآدابٌ مع ولاة الأمر، وآدابٌ مع المؤمنين، وآدابٌ مع المشركين، وآدابٌ مع المخالفين من أهل البدع، وآدابٌ مع الضيوف، وآدابٌ مع السائلين، وآدابٌ مع الأغنياء، وآدابٌ مع المرضى، وغير ذلك مما جاءت به الشريعة.

وهناك آدابٌ بين الراعي والرعيّة، وآدابٌ بين المدرس وطلابه، وآدابٌ بين المدير وموظفيه، وآدابٌ بين الزوجين، وآدابٌ مع الأولاد، وآدابٌ مع اليتامى والمساكين وغيرهم.

وكل هذه الآداب الإسلامية قائمةٌ على العدل والإحسان، والرحمة والمحبة، واللطف والرفق، والحلم والصبر، والعفو ومكارم الأخلاق، ومحاسن الآداب: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ۝٩٠﴾[النحل: ٩٠].

وكل هذه عباداتٌ فيها أجرٌ عظيم من الرب، سواءٌ كانت بين العبد وربه، كعبادة الله وحده لا شريك له، أوكانت بين العبد والخلق من مكارم الأخلاق، ومحاسن الآداب: ﴿۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًاۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ۝٢٣ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا

﴿٢٤﴾ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ ۚ إِن تَكُونُوا۟ صَٰلِحِينَ فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا
﴿٢٥﴾ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟
إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴿٢٧﴾﴾ [الإسراء: ٢٣-٢٧].

وقال الله عز وجل: ﴿۞ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾﴾ [النساء: ٣٦].

وقال عز وجل: ﴿۞ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ [آل عمران: ١٣٣-١٣٤].

الرابع: الأدب مع النفس:

ويكون بتزكيتها بالإيمان والأعمال الصالحة، وتدريبها على أنواع الطاعات، ومكارم الأخلاق، ومحاسن الآداب، وحثّها على التوبة و الاستغفار، والخشية والإنابة، وحملها على طاعة الله ورسوله، ومنعها مما يُغضب الله ورسوله: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾﴾ [الشمس: ٧-١٠].

وقال عز وجل: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾﴾ [الأعلى: ١٤-١٥].

ومن أدب الإنسان مع نفسه بإعطاؤها حظوظها مما فطرها الله عليه من المآكل والمشارب، والملبس والمركب، والمسكن والمنكح: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [الأعراف: ٣٢].

ومن أدب الإنسان مع نفسه اِلزامها بالحقوق والواجبات التي أمرها الله بها، سواءً كانت من العبادات أو المعاملات: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا

﴿رَزَقۡنَٰكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ١٧٢﴾ [البقرة:١٧٢].

فهذه أنواع الأدب:

أدبٌ مع الله، وأدبٌ مع رسله، وأدبٌ مع خلقه، وأدبٌ مع النفس .

والآداب والأخلاق زينة المرء بين يدي ربه، وبين يدي خلقه، فالدين ركنان:

الأول: عبادة الحق سبحانه بامتثال أوامره، واجتناب نواهيه: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ﴾ [النساء:٣٦].

الثاني: الإحسان إلى الخلق بأنواع الإحسان والخير والبِرّ، كما قال سبحانه: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤﴾ [آل عمران:١٣٣-١٣٤].

وأعظم الإحسان إلى الناس دعوتهم إلى الله، ليؤمنوا به، ويعبدوه وحده لا شريك له، لينالوا رضاه ومحبته، ويسعدوا في دنياهم وأخراهم؛ وبهذا أرسل الله رسله وأنزل كتبه إلى خلقه: ﴿قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ١٥ يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ١٦﴾ [المائدة:١٥-١٦].

وقال الله عز وجل: ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ فَمِنۡهُم مَّنۡ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنۡهُم مَّنۡ حَقَّتۡ عَلَيۡهِ ٱلضَّلَٰلَةُۚ فَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ٣٦﴾ [النحل:٣٦].

٢ - فقه الأدب مع الخلق

الأدب هو استعمال ما يُحمد قولًا وفعلًا، وخُلقًا وسلوكًا، وحسن الأدب ثمرة الإيمان وحسن الخلق

الأدب جمال العبد في ظاهره وباطنه، جماله في أخلاقه، جماله في حسن كلامه، جماله في معاملته، وجماله في هيئة لباسه: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ ٢٦﴾ [الأعراف:٢٦].

والناس متفاوتون في الأدب بحسب إيمانهم وأخلاقهم، فالله ﷻقسمَ عليهم الأخلاق والآداب، كما قسمَ عليهم الأموال والأرزاق :﴿أَهُمۡ يَقۡسِمُونَ رَحۡمَتَ رَبِّكَۚ نَحۡنُ قَسَمۡنَا بَيۡنَهُم مَّعِيشَتَهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ وَرَفَعۡنَا بَعۡضَهُمۡ فَوۡقَ بَعۡضٖ دَرَجَٰتٖ لِّيَتَّخِذَ بَعۡضُهُم بَعۡضٗا سُخۡرِيّٗاۗ وَرَحۡمَتُ رَبِّكَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ ٣٢﴾[الزخرف:٣٢].

وأحسن الخلق أدبًا هم الأنبياء والرسل، وأعظم الأنبياء والرسل خُلقًا وأدبًا هو سيد الخلق أجمعين محمد ﷺالذي أثنى عليه ربه بقوله:﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ ٤﴾[القلم:٤].

وكان ﷺخُلقه القرآن، يتأدّب بآدابه، ويحُلّ حلاله، ويحُرّم حرامه، ويصدّق أخباره، ويعمل بأحكامه، ويمتثل أوامره، ويجتنب نواهيه .

وقد امتنَّ الله ﷻعلى هذه الأمة ببعثة رسوله ﷺإليها، فقال:﴿لَقَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ بَعَثَ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ١٦٤﴾[آل عمران:١٦٤].

وأثنيااللهعز وجلعلى نفسه ببعثة سيد الخلق إلى هذه الأمة، فقال: ﴿هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ٢﴾[الجمعة:٢].

الأدب: هو اجتماع خصال الخير في الإنسان.

والأدب ملكةٌ عظيمة تعصِم من قامت به عما يشينه، وتحمله على التحلّي بكل فضيلة، والأخلاق والأدب تاج كل مسلم، وزينة كل مؤمن، ولباس كل تقيّ .

بالأخلاق والآداب ترتفع منارات الدين، وتتسع مساحته، ويكثر دخول الناس فيه، وتتحقق به الألفة والمودة بين الناس: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾﴾ [آل عمران: ١٥٩].

بالأخلاق والآداب يتميز الإنسان عن الحيوان البهيم، وعن السباع، وعن أخلاق الشياطين، ويرقى إلى حياة الأنبياء والمرسلين، والملائكة المقرَّبين، وينجو من عذاب الجحيم، ويفوز بجنات النعيم: ﴿۞ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ [آل عمران: ١٣٣-١٣٤].

بالإيمان والأخلاق والآداب تكون الأمة كالجسد الواحد؛ يحب الواحد لأخيه ما يحب لنفسه، ويكره له ما يكره لنفسه.

قال النبي ﷺ: «مثلُ المؤمنين في تَوادِّهم، وتَراحُمِهم، وتعاطُفِهِمْ مثلُ الجسَدِ إذا اشتكَى منْهُ عضوٌ تداعَى لَهُ سائِرُ الجسَدِ بالسَّهَرِ والحُمَّى» متفق عليه(١).

والقرآن العظيم كتاب التوحيد والإيمان، وكتاب الأخبار الصادقة، وكتاب الأوامر والنواهي، وكتاب الأخلاق والآداب: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾﴾ [النحل: ٨٩].

الأخلاق والآداب حصنٌ عظيم يحفظ الأمة من الشرور والفواحش والمنكرات، ومن الفرقة والخلاف، والبغي والعدوان.

وبالأخلاق والآداب تكفُّ النفوس عن رعونتها، وتبتعد القلوب عن شرورها،

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٠١١) ومسلم برقم (٢٥٨٦).

وتبتعد عن رديء الأخلاق.
الأدب: هو مجالسة الخَلق على بساط الصدق، وحسن الظنِّ.
وكلما عظم أدب المرء كلما ازداد قدره، وعلا شأنه، وارتفع مقامه؛ فتأدّب يا عبد الله بأدب دينك العظيم، والبس لباس الإيمان والتقوى، فما ستر العيوب مثل جميل الأدب، وحُسن الخُلق.
والأدب: كنزُ الفضائل، وكما تحتاج الأبدان إلى قوتها، تحتاج العقول إلى آدابها، والأدب هبةٌ ربانية، وزينةٌ أخلاقية، وفضيلة إنسانية.
الأدب يرفع قدرَ صاحبه، فمن حَسُنَ أدبه زاد شرفه وإن كان وضيعًا، وذاعَ صيته وإن كان خاملًا، وساد وإن كان غريبًا، وكثرت حوائج الناس إليه وإن كان فقيرًا.
ومن شرف الأدب أن أهله متبوعون، والناس تحت راياتهم جالسون، ويعطف ربك بهم قلوبًا لا تقطعها الأرحام، وتجتمع بهم قلوبًا لا تأتلف بالغلبة، وتُبذَل دونهم مُهجُ النفوس: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا ٩٦﴾[مريم:٩٦].
ومن شرفِ حسن الأدب أنه يتشعّب منه العزّ والمجد والشرف، فيشرُف صاحب الأدب وإن كان دَنيًا، ويعزُّ صاحبه وإن كان مَهينًا، ويقرُب صاحبه وإن كان قصيًا، ويَنبُل صاحبه وإن كان حقيرًا.
والفضلُ بالعقل، وحسن الخلق والأدب؛ لا بالأصل والحسب والنسب، والمحروم من لا أدب له، والفقير من لا أدب له، والغريب من لا أدب له.
ومن حسن الأدب المروءة والإيثار، وأن تصل من قطعك، وتعطي من حرمك، وتعفو عمّن ظلمك، وتحسن إلى من أساء إليك، وتصبر على من آذاك، وتشكر كل من أحسن إليك: ﴿۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤﴾[آل عمران:١٣٣-١٣٤].

٣- مظاهر الأدب مع الخلق

الأول: التعاون على البرِّ والتقوى، وعدم التعاون على الإثم والعدوان:

قال الله ﷻ: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢﴾﴾ [المائدة: ٢].

الثاني: المحبة والتراحم بين الناس.

قال النبي ﷺ: «لا يؤْمِنُ أَحَدُكم حتى يحِبَّ لأخيه ما يحِبُّ لنفْسِه» متفق عليه(١).

وقال النبي ﷺ: «مثَلُ المؤمنين في تَوادِّهم، وتَرَاحُمِهم، وتعاطُفِهِمْ مثَلُ الجسَدِ إذا اشتكَى منْهُ عضوٌ تداعَى لَهُ سائِرُ الجسَدِ بالسَّهَرِ والحُمَّى» متفق عليه(٢).

الثالث: الإحسان إلى الخلق بأنواع الإحسان:

قال الله ﷻ: ﴿۞ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ [آل عمران: ١٣٣-١٣٤].

الرابع: الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة:

قال الله ﷻ: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾﴾ [النحل: ١٢٥].

الخامس: الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، بالرفق واللين:

قال الله ﷻ: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ [آل عمران: ١٠٤].

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (١٣) ومسلم برقم (٤٥).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٠١١) ومسلم برقم (٢٥٨٦).

السادس: النصيحة لكل مسلم.

قال النبي ﷺ: «الدِّينُ النَّصِيحَةُ. قُلْنا: لمَنْ؟ قالَ: للهِ ولِكِتابِهِ ولِرَسولِهِ ولأَئِمَّةِ المُسْلِمِينَ وعامَّتِهِمْ» أخرجه مسلم [1].

السابع: إفشاء السلام:

قال الله ﷻ: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَسِيبًا ﴿٨٦﴾﴾ [النساء: ٨٦].

وقال النبي ﷺ: « لا تَدْخُلُوا الجَنَّةَ حتَّى تُؤْمِنُوا، ولا تُؤْمِنُوا حتَّى تَحابُّوا، أوَلا أدُلُّكُمْ علَى شيءٍ إذا فَعَلْتُمُوهُ تَحابَبْتُمْ؟ أفْشُوا السَّلامَ بيْنَكُمْ » أخرجه مسلم [2].

ثامنًا: أخذ الزينة عند كل مسجد:

قال الله ﷻ: ﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ خُذُوا۟ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾﴾ [الأعراف: ٣١].

التاسع: ترك فضول النظر، وترك فضول السمع، لأن التنصُّت على من يتحدث بصوتٍ منخفض فضولٌ كريه، وسوء أدب، والنظر إلى ما لا يعنيك سوء أدب:

قال الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ۖ وَلَا تَجَسَّسُوا۟ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾ [الحجرات: ١٢].

وقال النبي ﷺ: «من حُسنِ إسلامِ المرءِ تركُه ما لا يَعْنيه» أخرجه الترمذي وابن ماجة [3].

العاشر: اعتدال الصوت أثناء الحديث بين الخفض والرفع؛ ليسمع القريب، ولا

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٥٥).

(٢) أخرجه مسلم برقم (٥٤).

(٣) صحيح/ أخرجه الترمذي برقم (٢٣١٨) وابن ماجة برقم (٣٩٧٦).

ينزعج النائم، كما قال لقمان لابنه: ﴿وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴿١٩﴾﴾ [لقمان: ١٩].

الحادى عشر: وضع القمامة في مكانها المُعَدِّ لها، وعدم رمي المخلّفات من أوراق أو مناديل، أو علب فارغة، ونحوها من نافذة المنزل أو السيارة، لما في ذلك من سوء الأدب مع الناس، ونشر الأقذار في الطرق العامة.

قال النبي ﷺ: «إِيَّاكُمْ وَالجُلُوسَ في الطُّرُقَاتِ، فقالوا يا رَسُول اللهّ: ما لَنَا مِنْ مجَالِسُنَا بُدٌّ نَتَحَدَّثُ فِيهَا، قالَ: فَإِذَا أَبَيْتُمْ إِلَّا المَجَالِسَ، فأَعْطُوا الطَّرِيقَ حَقَّهَا، قالوا: وَما حَقُّ الطَّرِيقِ؟ قالَ: غَضُّ البَصَرِ، وَكَفُّ الأذَى، وَرَدُّ السَّلَامِ، وَالأَمْرُ بالمَعروفِ، وَالنَّهْيُ عَنِ المُنْكَرِ» متفق عليه[١].

الثني عشر: المحافظة على نظافة الأماكن العامة:

كالحدائق والمنتزهات والطرق العامة، وعدم التبوّل أوالتغوّط فيها؛ لما في ذلك من سوء الأدب، وتنجيس الطرق والأماكن العامة.

قال الرسول ﷺ: «اتَّقُوا اللَّعَّانَيْنِ، قالوا: وَما اللَّعَّانَانِ يا رَسُولَ اللهِ؟ قالَ: الذي يَتَخَلَّى في طَرِيقِ النَّاسِ، أَوْ في ظِلِّهِمْ» أخرجه مسلم[٢].

ثلاثة عشر: حسن قيادة السيارة في الطرق والأماكن العامة، والسير بهدوء حسب نظام المرور، وعدم سدّ الطريق على الناس، لما فيه من تعطيل مصالح الناس:

قال الله ﷻ: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢﴾﴾ [المائدة: ٢].

وقال النبي ﷺ: «لا ضررَ ولا ضِرارَ» أخرجه ابن ماجة[٣].

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٢٤٦٥) ومسلم برقم (٢١٢١).

(٢) أخرجه مسلم برقم (٢٦٩).

(٣) حسن/ أخرجه ابن ماجة برقم (١٩٠٩).

الرابع عشر: قيام الموظف في الدوائر والمصالح الحكومية، أو غيرها، بواجب خدمة الناس بروح طيبة، واحتساب الأجر بإتقان عمله، والصبر على أذى الناس، لأنه في عبادة، ومصالح الناس بين يديه، فليَرفق بهم، ولا يشقّ عليهم، ولا يعطّل معاملاتهم ومصالحهم.

قال النبي ﷺ: «اللهم مَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَشَقَّ عَلَيْهِمْ فاشْقُقْ عَلَيْهِ، وَمَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَرَفَقَ بِهِمْ فَارْفُقْ بِهِ» أخرجه مسلم (١).

الخمس عشر: من حسن الأدب مع الناس التَّبَسُّم في وجوههم، وإظهار السرور في خدمتهم، وعدم التجهُّم والعبوس في وجوه الناس، لأن ذلك من سوء الأدب، عن عبد الله بن الحارث رضي الله عنه، أنه قال: ما رأيتُ أحدًا أكثرَ تبسُّمًا من رسولِ اللهِ ﷺ. أخرجه الترمذي (٢).

وعن جرير بن عبد الله قال: ما حَجَبَنِي النبيُّ ﷺ مُنْذُ أسْلَمْتُ، ولَا رَآني إلَّا تبَسَّمَ في وجهي. أخرجه البخاري (٣).

السادس عشر: السماحة في البيع والشراء وسائر المعاملات، قال النبي ﷺ: «رَحِمَ اللهُ رَجُلًا سَمْحًا إذا باعَ، وإذا اشْتَرَى، وإذا اقْتَضَى» أخرجه البخاري (٤).

السابع عشر: العفو والصفح عن الزلّات:

قال الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ ۚ وَإِن تَعْفُواْ وَتَصْفَحُواْ وَتَغْفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾﴾ [التغابن: ١٤].

---

(١) أخرجه مسلم برقم (١٨٢٨).

(٢) صحيح/ أخرجه الترمذي برقم (٣٦٤١).

(٣) أخرجه البخاري برقم (٣٠٣٥).

(٤) أخرجه البخاري برقم (٢٠٧٦).

الثامن عشر: عيادة المريض، وتشميت العاطس، وإجابة الدعوة وشهود جنازة المسلم.

قال النبي ﷺ: «حَقُّ المسلِمِ على المسلِمِ ستٌ: إذا لقيتَهُ فَسلِّمْ عَلَيهِ، وإذا دَعاكَ فأجِبْهُ، وإذا استنصَحَكَ فانصَحْ لهُ، وإذا عَطسَ فَحَمِدَ اللهَ فَشَمِّتْهُ، و إذا مَرِضَ فَعُدْهُ، وإذا ماتَ فاتْبَعْهُ» أخرجه مسلم (١).

التاسع عشر: رحمة الصغير، وإجلال الكبير، واحترام العلماء وتوقيرهم، لما يحملونه من العلم الإلهي.

قال النبي ﷺ: « ليسَ منَّا من لمَ يَرحَمْ صغيرَنا، و يعرِفْ حَقَّ كَبيرِنا ». أخرجه أبو داود والترمذي (٢).

العشرون: بر الوالدين، والإحسان إليهما، والإحسان إلى الأقارب واليتامى والمساكين والجيران، وأمثالهم:

قال الله ﷻ: ﴿ ۞ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾ ﴾ [النساء: ٣٦].

الحادي والعشرون: انظار المعسر حتى يجد، وأفضل من ذلك إسقاط الدَيْن عنه:

قال الله ﷻ: ﴿ وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ۚ وَأَن تَصَدَّقُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٨٠﴾ ﴾ [البقرة: ٢٨٠].

وغير ذلك من الآداب الإسلامية التي شرعها الله، وهي تزيد على ألف أدب، كما جاء في القرآن والسُّنَّة.

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢١٦٢).

(٢) صحيح/ أخرجه أبو داود برقم (٤٩٤٣) والترمذي برقم (١٩٢٠).

٤ - الأسباب المعينة على حسن الأدب مع الخُلق

الأول: العلم بفضائل حُسن الخُلق والأدب مع الناس

قال النبي ﷺ: «مَا مِنْ شَيءٍ أَثْقَلُ في ميزَانِ المؤمن يَومَ القِيامة مِنْ خلق حسنٍ » أخرجه أحمد والترمذي(١).

وقال النبي ﷺ: «إن المؤمنَ لَيُدْرِكُ بحُسْنِ خُلُقِه درجةَ الصائمِ القائم» أخرجه أبو داود(٢).

الثاني: معرفة الأجور العظيمة على حُسن الخُلُق، وحسن الأدب مع الخلْق: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤﴾ [آل عمران:١٣٣-١٣٤].

وقال النبي ﷺ: «من نفَّسَ عن مؤمنٍ كربةً من كُرَبِ الدنيا نفَّسَ اللهُ عنه كُربةً من كُرَبِ يومِ القيامة، ومن يسَّر على مُعسِرٍ ، يسَّر اللهُ عليه في الدنيا والآخرةِ ، ومن ستر مسلمًا ستره اللهُ في الدنيا والآخرة، واللهُ في عَونِ العبدِ ما كان العبدُ في عَوْنِ أخيه، ومن سلك طريقًا يلتمسُ فيه علمًا سهَّل اللهُ لَهُ بهِ طريقًا إلى الجنَّةِ» أخرجه مسلم(٣).

الثالث: حسن الظنّ بالناس، واستحضار أن الخطأ من طبيعة البشر، فكل بني آدم خطاء، وخير الخطاءين التوّابون، فاصبر على الأذى، وعامل كل إنسان حسب طبعه: ﴿خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ ١٩٩﴾ [الأعراف:١٩٩].

الرابع: العلم بسيرة الأنبياء والمرسلين؛ وما هم عليه من حسن الخلق والأدب مع الناس، والصبر على آذاهم، والعفو عنهم، وإنزال الناس منازلهم: ﴿لَقَدۡ

---

(١) صحيح/ أخرجهأحمد برقم (٢٧٥١٧) والترمذي برقم (٢٠٠٢) .

(٢) صحيح/ أخرجهأبو داودبرقم (٤٧٩٨) .

(٣) أخرجه مسلم برقم (٢٦٩٩) .

جَآءَكُمْ رَسُولٞ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴿١٢٨﴾﴾[التوبة:١٢٨].

الخامس: دعاء الله ﷻ أن يرزقك مكارم الأخلاق ومحاسن الآداب، لأن خزائن كل شيء عنده: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾﴾[النحل:٥٣].

وقال النبي ﷺ: «اللَّهمَّ اهدني لأحسنِ الأخلاقِ لا يَهدني لأحسنِها إلَّا أنتَ، واصْرِفْ عنِّي سيِّئَها لا يصرفُ سيئَها إلا أنتَ» أخرجه مسلم(١).

السادس: المحافظة على الفرائض، والتقرّب إلى الله بالنوافل.

وقال رسول الله ﷺ: «إنَّ اللهَ قالَ: مَن عادَى لي وليًّا فقَدْ آذَنْتُهُ بالحَرْبِ، وما تقَرَّبَ إليَّ عَبْدِي بشيءٍ أحَبَّ إليَّ ممَّا افْتَرَضْتُ عليه، وما يَزالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إلَيَّ بالنَّوافِلِ حتَّى أُحِبَّهُ، فإذا أحْبَبْتُهُ: كُنْتُ سَمْعَهُ الذي يَسْمَعُ به، وبَصَرَهُ الذي يُبْصِرُ به، ويَدَهُ الَّتي يَبْطِشُ بها، ورِجْلَهُ الَّتي يَمْشِي بها، وإنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، ولَئِنِ اسْتَعاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ، وما تَرَدَّدْتُ عن شيءٍ أنا فاعِلُهُ تَرَدُّدِي عن نَفْسِ المُؤْمِنِ، يَكْرَهُ المَوْتَ وأنا أكْرَهُ مَساءَتَهُ» أخرجه البخاري(٢).

السابع: معاملة الناس حسب ظاهرهم، وأن نَكِل سرائرهم إلى الله، ولا نشتغل بالبحث عن مقاصدهم ونيّاتهم التي أخفاها الله عنا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٞۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتٗا فَكَرِهْتُمُوهُۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٞ رَّحِيمٞ ﴿١٢﴾﴾ [الحجرات: ١٢].

الثامن: الإعراض عن الجاهلين، وسفه السفهاء، بالحلم والصبر، وحسن الرد كما قال سبحانه عن المؤمنين: ﴿وَإِذَا سَمِعُواْ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُواْ عَنْهُ وَقَالُواْ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٧٧١).

(٢) أخرجه البخاري برقم (٦٥٠٢).

﴿وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِى ٱلْجَٰهِلِينَ ۝٥٥﴾ [القصص:٥٥].

التاسع: مجالسة الأخيار والصالحين، والعلماء الربانيين، للتخلّق بأخلاقهم، والتأدّب بآدابهم، وهجر مجالسة الأشرار والفساق، وأهل الغفلة: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ۝٢٨﴾ [الكهف:٢٨].

العاشر: تذكُّر عواقب سوء الأدب، وما يجرّه من الغيبة والنميمة، وما يسببه من الفرقة والخلاف، والنزاع والشقاق، والتقاطع والتدابر: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُوا۟ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ ۖ وَلَا تَلْمِزُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلْأَلْقَٰبِ ۖ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ ۚ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۝١١﴾ [الحجرات:١١].

الحادي عشر: استشعار الأخوّة الإسلامية، والمحبّة الإيمانية؛ فمن تذكَّر ذلك أحسن الأدب مع إخوانه المؤمنين، ولَطُفَ بهم: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ۝١٠﴾ [الحجرات:١٠].

وقال النبي ﷺ: «لا يؤمِنُ أحدُكم حتى يحِبَّ لأخيه ما يحِبُّ لنفْسِه» متفق عليه(١).

الثاني عشر: قراءة القرآن وتدبره، لمعرفة مكارم الأخلاق، وفضلها وثوابها، ومعرفة صفات الأنبياء والمرسلين، ومعرفة ما أكرمهم الله به من حُسن الأخلاق والآداب: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ۝٨٩﴾ [النحل:٨٩].

الثالث عشر: الاستعانة بالله في تحصيل مكارم الأخلاق، ومحاسن الآداب: ﴿هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٦٥﴾ [غافر:٦٥].

---

(١) متفق عليه/ أخرجه البخاري برقم (١٣) ومسلم برقم (٤٥).

٥- ثمرات الأدب مع الخلق

قال الله تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤﴾ [آل عمران:١٣٣-١٣٤].

وقال الله عز وجل: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ٣ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَمَغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ٤﴾ [الأنفال:٢-٤].

وسُئِلَ رسولُ الله ﷺ عن أكْثرِ ما يُدخِلُ الناسَ الجَنَّةَ؟ فقال: «تَقوى الله، وحُسنُ الخُلُقِ ، وسُئِلَ عن أكْثرِ ما يُدخِلُ الناسَ النارَ؟ فقال: الفَمُ والفَرْجُ» أخرجه أحمد والترمذي(١).

﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ حَسَنَةٗ وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ٢٠١﴾ [البقرة:٢٠١].

اللهم إنا نسألك الجنة، وما قرّب إليها من قول أو عمل، ونعوذ بك من النار، وما قرب إليها من قول أو عمل.

اللهم آت نفوسنا تقواها، وزكها أنت خير من زكاها أنت وليها ومولاها.

---

(١) صحيح/ أخرجه أحمد برقم (٩٦٩٤) والترمذي برقم (٢٠٠٤).

عبادات القلوب

في ضوء القرآن والسنة

العبادة الحادية والستون

عِبَادة العـــدل

وتشتمل هذه العبادة العظيمة على المباحث الآتية :

الأول: فقه العدل.

الثاني: أقسام العدل.

الثالث: صور العدل بين الناس.

الرابع: الأسباب المعينة على العدل .

الخامس: ثمرات العدل.

العبادة الحادية والستون

عِبَادة العـــدل

١ - فقـه العدل

العدل: هو القصد في الأمور، وهو ضد الجَوْر والظلم.

العدل: هو الاستقامة على الحق، بامتثال أوامر الله، واجتناب نواهيه: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾ [الأنعام:١٥٣].

العدل: هو استعمال الأمور الشرعية في مواضيعها، وأوقاتها، ومقاديرها، من غير إفراطٍ ولا تفريط، ولا تقديمٍ ولا تأخير.

العدل: هو إعطاء الحق لأهله وافيًا، وعدم زيادته أو نقصانه على حساب الغير: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾﴾ [النساء:٥٨].

والعدالة: ملَكةٌ تحمل صاحبها على الفضائل، والاستقامة والعدل، والتوسط في الأمور من غير إفراطٍ ولا تفريط.

العدل: عبادة من أعظم عبادات القلوب، سواء كان في الغضب أو الرضا، وسواءً كان مع القريب أو البعيد، أو العدو أو الصديق: ﴿وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُوا۟ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۖ وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُوا۟ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾﴾ [الأنعام:١٥٢].

وبالعدل قامت السماوات والأرض، فعلى من وَليَ من أمر المسلمين شيئًا أن يحكم بينهم بالعدل، ولا يؤثر أحدًا على أحدٍ لقرابةٍ أو مصلحةٍ.

قالَ النبي ﷺ: «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللهُ في ظِلِّهِ يَوْمَ لا ظِلَّ إلَّا ظِلُّهُ: إمامٌ عادِلٌ، وشابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ اللهِ تَعالى، ورَجُلٌ ذَكَرَ اللهَ في خَلاءٍ فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ، ورَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ في المَسجِدِ، ورَجُلانِ تَحَابَّا في اللهِ: اجتَمَعا عَلَيهِ، وتَفَرَّقَا عَلَيهِ، ورَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ إِلَى نَفْسِهَا فَقَالَ: إِنِّي أَخافُ اللهَ، ورَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاها، حتَّى لا تَعْلَمَ شِمالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ» متفق عليه(١).

والعدل: هو الحقّ الذي يجب العمل به، والحُكمُ به .

والعدل: هو الحق الذي أرسل الله به رسله، وأنزل به كتبه: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ [الحديد:٢٥].

وأعدل العدل هو التوحيد، وأظلم الظلم هو الشرك بالله ﷻ: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ۝١٣﴾ [لقمان:١٣].

وسُئل النبي ﷺ: «أيُّ الذنْبِ أكبر عند الله قالَ: أنْ تجْعلَ للهِ نِدًا وهو خلَقَك» متفق عليه(٢) .

والعدل: من أعظم صفات العبد، والذي يُفسد العدل هو الهوى، لأن الهوى يميل بالإنسان عن الحق إلى الباطل، وعن العدل إلى الظلم: ﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ۚ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ۝٢٦﴾ [ص:٢٦].

العدل: خلقٌ كريم، وصفةٌ عظيمةٌ تحبها النفوس، وتبعث الأمل لدى المظلومين، وبالعدل تستقيم الحياة، ويَسعدُ الناس، ويصل إلى كل ذي حقٍ حقه، وبه تُساس الرعيّة، وتُصان الحقوق، وتُحفظ كرامة الأمة: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٦٠) ومسلم برقم (١٠٣١) .
(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٨٦١) ومسلم برقم (٨٦) .

إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا ﴿٥٨﴾﴾[النساء:٥٨].

والعدل: صفة من صفات الرب ﷻ، وهو من مقتضيات أسماء الله الحسنى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةٗ يُضَٰعِفۡهَا وَيُؤۡتِ مِن لَّدُنۡهُ أَجۡرًا عَظِيمٗا ﴿٤٠﴾﴾[النساء:٤٠].

والله ﷻ يُحبّ العدل، وأهل العدل، كما قال سبحانه: ﴿وَإِنۡ حَكَمۡتَ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِٱلۡقِسۡطِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ﴿٤٢﴾﴾[المائدة:٤٢].

وأهل العدل يوم القيامة في أرفع المنازل، وأحسن المجالس .

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ الْمُقْسِطِينَ عِنْدَ اللهِ عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ ، عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ ﷻ، وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ، الَّذِينَ يَعْدِلُونَ فِي حُكْمِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ وَمَا وَلُوا» أخرجه مسلم[1].

العدل: هو عُدَّةُ المُلك، وأساس السياسة في الأوطان، وسبيل الأمن والاستقرار والطمأنينة بين الناس.

العدل: خُلق العظماء، وصفة الأنبياء، وخُلق الأتقياء، ودأب الصالحين وطريق الفلاح للمؤمنين في الدنيا والآخرة.

العدل: من أعظم صفات الأنبياء والمرسلين، وأعظمهم نصيبًا وقدرًا منه سيّد الأولين والآخرين، وخاتم الرسل أجمعين، محمد ﷺ الذي أثنى عليه ربه بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ ﴿٤﴾﴾[القلم:٤].

فالعدل خُلقٌ من أخلاقه، وصفةٌ من صفاته .

عَدَلَ ﷺ في تعامله مع ربه ﷻ، وعَدَلَ في تعامله مع نفسه، وعَدَلَ في تعامله مع الناس من مسلمٍ وكافرٍ، ومن قريبٍ أو بعيدٍ، ومن موافقٍ أو مخالفٍ، ومن مسالمٍ

---

(١) أخرجه مسلم برقم (١٨٢٧) .

أو مكابرٍ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعۡدِلُواْۚ ٱعۡدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ٨﴾[المائدة:٨].

وقال الله تعالى: ﴿لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلَنَا بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلۡنَا مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلۡقِسۡطِ﴾[الحديد: ٢٥] .

العدل: به صلاح البلاد والعباد، وليس شيءٌ أسرع في خراب الأرض، ولا أفسد لنفوس الخلق، من الظلم والجوْر، ولهذا نهى الله خلقه عن الظلم بقوله في الحديث القدسي: «يا عِبَادِي إنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ على نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بيْنَكُمْ محُرَّمًا، فلا تَظَالمُوا» أخرجه مسلم[1].

وقد فطر الله النفوس على حب العدل، وحب من يحكم به

وقد قام دين الإسلام على الصدق والعدل؛ فأخبار القرآن كلها صدق، وأحكامه كلها عدلٌ، لا ظلم فيها ولا جوْر: ﴿وَتَمَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدۡقٗا وَعَدۡلٗاۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ١١٥﴾[الأنعام:١١٥].

والعدل: من أعظم عبادات القلوب التي يحبها الله ﷻ، ولمحبة الله للعدل أرسل به رسله إلى عباده، وأمر به رسوله ﷺ بقوله: ﴿فَلِذَٰلِكَ فَٱدۡعُۖ وَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَۖ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡۖ وَقُلۡ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٖۖ وَأُمِرۡتُ لِأَعۡدِلَ بَيۡنَكُمُۖ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمۡۖ لَنَآ أَعۡمَٰلُنَا وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡۖ لَا حُجَّةَ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمُۖ ٱللَّهُ يَجۡمَعُ بَيۡنَنَاۖ وَإِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ١٥﴾[الشورى:١٥].

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٥٧٧) .

وأمر الله بالعدل جميع خلقه بقوله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾﴾ [النحل: ٩٠].

والعدل: عبادة من عبادات القلوب تدخل في كل عبادة ومعاملة وخُلق.

العدل: عبادة عظيمة بين العبد وربه بإخلاص العبادة لله وحده: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾﴾ [البينة: ٥].

العدل عبادة عظيمة بين الحاكم ورعيته، بين المسلم وغيره، بين الزوج وزوجه، بين الرجل وأولاده، بين الجار وجاره، بين المرء وأقاربه، بين المسلم والكافر، بين الصديق والعدو: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾﴾ [المائدة: ٨].

فالعدل: عبادة قلبية واجبة على كل أحد، وفي كل حال، وفي كل أمر، حتى في القول والكلام: ﴿وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُوا۟﴾ [الأنعام: ١٥٢].

العدل: عبادة جامعةٌ لمحاسن الأقوال والأعمال، والأخلاق والآداب، ولهذا أمر الله به جميع عباده، وأرسل به رسله إلى خَلقه، ونهى عن ضده من الظلم والجور والبغي، فقال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾﴾ [النحل: ٩٠].

فأقم يا عبد الله عبادة العدل فيما بينك وبين الله بإخلاص العبادة لله وحده لا شريك له، وأقم عبادة العدل على نفسك بحملها على امتثال أوامر الله، وكفِّها

عما حرم الله، لتفوز بالجنة وتنجو من النار: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾﴾ [الشمس:٧-١٠].

وأقم عبادة العدل فيما بينك وبين الناس، وارضَ لهم ما ترضى لنفسك، واكره لهم ما تكره لنفسك، يحبك الله، ويحبك الناس، وتفوز بالجنة، وتنجو من النار: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ ۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ۙ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٩﴾﴾ [المائدة:٨-٩].

فإذا فعلت ذلك يا عبد الله فأبشر بحب الله لك، وإذا أحبك الله أسعدك في الدنيا والآخرة: ﴿وَإِنْ حَكَمْتَ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٤٢﴾﴾ [المائدة:٤٢].

٢ - أقسام العدل

العدل ينقسم إلى قسمين:

أحدهما: عدلٌ مطلقٌ يقتضي العقل حُسنُه:

مثل الإحسان إلى من أحسنَ إليك، وكفِّ الأذى عمن كفَّ أذاه عنك.

الثاني: عدلٌ يعرف كونه عدلٌ بالشرع:

كالعدل في القصاص، والحدود، والبيوع، وسائر المعاملات وهذا العدل هو الذي أمر الله به بقوله: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٩٠ ﴾ [النحل: ٩٠].

فالعدل: هو المساواة في المكافأة، إن خيرًا فخير، وإن شرًا فشر.

والإحسان: أن يقابل العبد الخير بأكثر منه، ويقابل الشر بأقل منه.

والإحسان أفضل من العدل، لأنه عدلٌ وزيادة: ﴿مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشۡرُ أَمۡثَالِهَاۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجۡزَىٰٓ إِلَّا مِثۡلَهَا وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ١٦٠﴾ [الأنعام: ١٦٠].

والعدل يكون في الأقوال والأفعال والأموال.

وجهات العدل ثلاث:

الأولى: العدل مع الله ﷻ:

وهو ألّا تصرف شيئاً من حقه إلى عبيده، وحق الله على عباده إفراده بالعبادة وحده لا شريك له، كما قال سبحانه: ﴿ ۞ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ ﴾ [النساء: ٣٦].

وعَن معاذ رضي الله عنهقال: «كُنْتُ رِدْفَ رَسولِ الله ﷺعلَى حِمارٍ، يُقالُ له: عُفَيْرٌ: فقالَ: يا مُعاذُ، أتَدْرِي ما حَقُّ اللهِ علَى العِبادِ؟ وما حَقُّ العِبادِ على

اللهِ؟.فقُلتُ: اللهُ ورَسولُهُ أعْلَمُ، قالَ: فإنَّ حَقَّ الله على العِبادِ أنْ يَعْبُدُوه، ولا يُشْرِكُوا به شيئًا، وحَقَّ العِبادِ على الله أنْ لا يُعَذِّبَ مَن لا يُشْرِكُ به شيئًا، فقُلتُ: يا رَسولَ الله، أفَلا أُبَشِّرُ النَّاسَ، فقالَ: لا تُبَشِّرْهُمْ فيَتَّكِلُوا» متفق عليه[1].

فالتوحيد أعدل العدل، وأحسن المحاسن.

والشرك أظلم الظلم، وأقبح القبائح، لأنه صرف للعبادة لغير مستحقها، ولهذا لا يغفره الله يوم القيامة لمن مات عليه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾﴾ [النساء:٤٨].

الثانية: العدل مع النفس:

ويكون بحملها على طاعة الله ورسوله، وكفِّها عن معصية الله ورسوله، وحملها على المصالح، وكفِّها عن المفاسد، ومن حملها على غير ذلك فهو ظالمٌ لها: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾﴾ [الشمس:٧-١٠].

فالعدل: أن تحمل نفسك على الحق، وتزجرها عن الباطل من قول أو فعل أو خُلُق، لتفوز برضا الله، وتنجو من عذاب الله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾﴾ [التحريم:٦].

العدل مع النفس أن تعطيها حظوظها مما أباحه الله لها، وتطالبها بأداء الحقوق الواجبة عليها من عبادة الله وحده، والإحسان إلى خلقه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾﴾ [البقرة:١٧٢].

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٧٣٧٣) ومسلم (٣٠).

وقال الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْۤ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۩ ٧٧﴾ [الحج:٧٧].

الثالثة: العدل مع الناس كافة:

المؤمن والكافر، والصديق والعدو، والموافق والمخالف، والقريب والبعيد، لأن العدل قامت به السموات والأرض، وهو من أعظم أسباب الأمن والاستقرار، والسكينة والطُمأنينة، وبه يسعد الناس في الدنيا والآخرة، وبضده من الظلم والجور يشقى الناس في الدنيا والآخرة، ولهذا أمر الله به جميع خلقه، وأرسل به جميع رسله: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٩٠﴾ [النحل:٩٠].

وأعظم أنواع العدل بين الناس، عدل الوالي مع رعيته، لمِا في ذلك من عموم النفع للبلاد والعباد، ولمِا في ضده من عموم الجور والظلم والضرر للبلاد والعباد: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدُۢ بِمَا نَسُواْ يَوۡمَ ٱلۡحِسَابِ ٢٦﴾ [ص:٢٦].

٣-صور العدل بين الناس

العدل مع الناس له صور كثيرة أهمها:

الأولى: عدل الوالي:

وهو أعظم أنواع العدل، وأكثرها نفعًا، وأعظمها أجرًا، لما فيه من المصالح العظيمة العامة، فبالعدل يستتب الأمن في البلاد، وتحفظ الحقوق والحدود، وتحصل الطمأنينة في النفوس، ويأمن الناس على أنفسهم، وأعراضهم وأموالهم، ويشعروا بالطمأنينة والأمن والاستقرار: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٦﴾﴾[ص:٢٦].

والوالي: هو من ولّاه الله أمور الناس، وابتلاه بهذه الولاية؛ لينظر هل يعدل أو يظلم؟، وينظر هل يتّبع هواه أم يتبع هدى ربه؟، سواء كان الإمام الأعظم أو الوزراء، أو الأمراء، أو المدراء، أو غيرهم من أصحاب الشأن كالأب في بيته، والمعلم في فصله، والمسئول في عمله.

والوالي العادل أول السبعة الذين يظلّهم الله في ظلّه يوم القيامة يوم لا ظل إلا ظله.

قال النبي ﷺ: «سبعةٌ يُظِلُّهم اللهُ في ظلِّه يومَ لا ظلَّ إلَّا ظِلُّه: إمامٌ عادل» متفق عليه(١).

وكل راعٍ مسئول عن رعيته، ومبتلىً بمن تحت يده؛ هل عدلَ فيهم أو ظلمهم؟ هل أحسن إليهم أو أساء إليهم؟ هل أعطاهم حقوقهم أو منعهم حقوقهم؟ هل أكرمهم أم أهانهم؟: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾﴾[النساء:٥٨].

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٦٠) ومسلم (٢٤٢٧).

وقال النبي ﷺ: «أَلَا كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُم مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، فَالْأَمِيرُ الَّذِي عَلَى النَّاسِ رَاعٍ، وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ، وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُمْ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ عَلَى بَيْتِ بَعْلِهَا وَوَلَدِهِ، وَهِيَ مَسْئُولَةٌ عَنْهُمْ، وَالْعَبْدُ رَاعٍ عَلَى مَالِ سَيِّدِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُ، أَلَا فَكُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ» متفق عليه(١).

فهنيئًا لمن قام بعبودية هذه الولاية، فحقق العدل، واجتنب الظلم، وبُشراه بأحسن المجالس في الجنة، وأرفع الدرجات، ومحبة الرحمن، ومحبة الناس.

قال النبي ﷺ: «إِنَّ الْمُقْسِطِينَ عِنْدَ اللهِ عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ ﷻ وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ، الَّذِينَ يَعْدِلُونَ فِي حُكْمِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ وَمَا وَلُوا» أخرجه مسلم(٢).

وقال النبي ﷺ: «أَهْلُ الْجَنَّةِ ثَلَاثَةٌ: ذُو سُلْطَانٍ مُقْسِطٌ، مُتَصَدِّقٌ، مُوَفَّقٌ، وَرَجُلٌ رَحِيمٌ رَقِيقُ الْقَلْبِ لِكُلِّ ذِي قُرْبَى وَمُسْلِمٍ، وَعَفِيفٌ مُتَعَفِّفٌ ذُو عِيَالٍ» أخرجه مسلم(٣).

الثانية: العدل في الحكم بين الناس:

سواء كان من يحكم بينهم قاضيًا، أو كان صاحب منصب، أو كان مصلحًا بين الناس، وذلك بإعطاء كل ذي حق حقه بالعدل: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا ٥٨﴾ [النساء:٥٨].

الثالثة: العدل مع الزوجة، والعدل بين الزوجات:

وذلك بأن يعامل الرجل زوجته بالعدل؛ سواء في النفقة، أو السكن، أو المبيت.

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٢٥٥٤) ومسلم (١٨٢٩).

(٢) أخرجه مسلم (١٨٢٧).

(٣) أخرجه مسلم (٢٨٦٥).

وإن كان معه أكثر من واحدة، أعطى كل واحدة منهن حقها بالسَّوِيَّة مع غيرها: ﴿وَإِنۡ حَكَمۡتَ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِٱلۡقِسۡطِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ۝٤٢﴾ [المائدة: ٤٢].

أما الميل القلبي إلىإحدى الزوجات دون الأخرى، فهذا لا يَدخل في عدم العدل، لأن الزوج لا يملكه، كما قال سبحانه: ﴿وَلَن تَسۡتَطِيعُوٓاْ أَن تَعۡدِلُواْ بَيۡنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوۡ حَرَصۡتُمۡۖ فَلَا تَمِيلُواْ كُلَّ ٱلۡمَيۡلِ فَتَذَرُوهَا كَٱلۡمُعَلَّقَةِۚ وَإِن تُصۡلِحُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ۝١٢٩﴾ [النساء: ١٢٩].

الرابعة: العدل بين الأولاد في التبرّع المَحْض:

أما النفقة فيعطي الأب كل ولدٍ ما يسد حاجته؛ فيعطي الكبير ما لا يعطي الصغير، ويعطي المريض ما لا يعطي الصحيح، أما التبرّع المَحْض فلا بد من المساواة بين الأولاد من البنين والبنات، لأن التفضيل في العطيّة ظلم وجور.

عن النعمان بن بشير قال: أعطاني أبي عطية، فقالت عمرة بنت رواحة: لا أرضيحتى تُشهد رسول الله ﷺ، فأتى رسول الله ﷺ، فقال: أني أعطيت ابني من عمرة بنت رواحة عطية، فأمرتني أن أشهدك يا رسول الله، قال: «أَعطيتَ سائر ولدك مثل هذا؟ قال: لا، قال: فاتقوا الله واعدلوا بين أولادكم، قال فرجع» متفق عليه(١).

فإذا أعطى الوالد أولاده فالعدل أن تكون العطية حسب قسمة الميراث، للذكر مثل حظ الأنثيين، لأنه لا أعدل من قسمة الله ﷻ.

والولد الذي يعمل مع والده في التجارة يُعطَى مثل أجرة مثله، والأم كالأب في وجوب العدل بين الأولاد في العطية.

وعلى الوالد أن يعدل بين أولاده في العطية، سواء كان أحدهم بارًا أو عاقًا، قطعًا لدابر الخلاف والشقاق بينهم، وغير ذلك مما يسبب قطيعة الرحم.

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٢٥٨٧) ومسلم (١٦٢٣).

وإذا جارَ الوالد، وفاضل بين أولاده في العطية، فتوبته أن يرد ما فاضل به بين أولاده، أو يعطي البقية مثل ما أعطى من فضَّله بالعطاء، أو يسترضي المحرومين بحيث يكون رضاهم عن طيب نفسٍ، لا رضى حياءٍ ومهابةٍ ومجاملة.

الخامسة: العدل مع الأعداء والمخالفين: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعۡدِلُواْۚ ٱعۡدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴿٨﴾﴾ [المائدة:٨].

السادسة: العدل في الكيْلِ والميزان: ﴿وَلَا تَقۡرَبُواْ مَالَ ٱلۡيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ حَتَّىٰ يَبۡلُغَ أَشُدَّهُۥۚ وَأَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ وَٱلۡمِيزَانَ بِٱلۡقِسۡطِۖ لَا نُكَلِّفُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۖ وَإِذَا قُلۡتُمۡ فَٱعۡدِلُواْ وَلَوۡ كَانَ ذَا قُرۡبَىٰۖ وَبِعَهۡدِ ٱللَّهِ أَوۡفُواْۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾﴾ [الأنعام: ١٥٢].

ويجب العدل في الأخذ والعطاء عند البيع والشراء، وقد توعَّد الله من لم يعدل بقوله: ﴿وَيۡلٞ لِّلۡمُطَفِّفِينَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكۡتَالُواْ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسۡتَوۡفُونَ ﴿٢﴾ وَإِذَا كَالُوهُمۡ أَو وَّزَنُوهُمۡ يُخۡسِرُونَ ﴿٣﴾ أَلَا يَظُنُّ أُوْلَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبۡعُوثُونَ ﴿٤﴾ لِيَوۡمٍ عَظِيمٖ ﴿٥﴾ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٦﴾﴾ [المطففين: ١-٦].

السابعة: العدل في القول:

فلا يقول إلا حقًا، ولا يشهدُ زورًا، ولا يتكلم بباطل: ﴿وَإِذَا قُلۡتُمۡ فَٱعۡدِلُواْ وَلَوۡ كَانَ ذَا قُرۡبَىٰۖ وَبِعَهۡدِ ٱللَّهِ أَوۡفُواْۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾﴾ [الأنعام: ١٥٢].

الثامنة: العدل في المعاملات:

فيعطي الواجب عليه، ولا يمنع الحق الذي عليه، ولا يأخذ كاملًا، ويعطي ناقصًا: ﴿وَأَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ إِذَا كِلۡتُمۡ وَزِنُواْ بِٱلۡقِسۡطَاسِ ٱلۡمُسۡتَقِيمِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلٗا ﴿٣٥﴾﴾ [الإسراء: ٣٥].

٤ - الأسباب المعينة على العدل

الأول: العلم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله.

فمن عَرف الله حقًا، أطاعه ولم يعصه، وعدل ولم يظلم عباده: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾﴾ [محمد:١٩].

الثاني: معرفة فضائل العدل وثمراته في الدنيا والآخرة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١].

وقال ﷻ: ﴿وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾﴾ [الحجرات:٩].

وقال النبي ﷺ: «إن المقسطين على منابرَ من نورٍ عن يمينِ الرحمنِ، وكِلتا يدَيهِ يمِين، الذين يَعْدِلُون في حِكمِهِم وأهلِيهم وما وَلُوا» أخرجه مسلم[١].

الثالث: دعاء الله ﷻ أن يرزقه صفة العدل، لأن خزائن كل شيءٍ عند الله وحده: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾ [البقرة:١٨٦].

الرابع: العلم بعقوبات أهلِ الظُّلم والجور في الدنيا والآخرة: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [هود:١٠٢].

وقال الله ﷻ: ﴿وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا ﴿١٩﴾﴾ [الفرقان:١٩].

---

(١) أخرجه مسلم (١٨٢٧).

الخامس: مصاحبة الأخيار، ولزوم البيئة الصالحة التي تُذَكِّر بالله، وتُحَبِّب إلى العبد العدل والإحسان والفضائل، والانقطاع عن أهل الظلم والعدوان: ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا ٢٨﴾[الكهف:٢٨].

السادس: مجاهدة النفس لتتخلَّق بمكارم الأخلاق، ومحاسن الآداب:﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٦٩﴾[العنكبوت:٦٩].

السابع: تدبر القرآن لمعرفة حُبِّ الله للعدل، وأهل العدل، وثناؤه عليهم:﴿۞إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا ٥٨﴾[النساء:٥٨].

وقال الله ﷻ:﴿وَإِنۡ حَكَمۡتَ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِٱلۡقِسۡطِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ٤٢﴾ [المائدة:٤٢].

الثامن: الاكثار من ذكر الله عز وجل .
فمن ذكر الله أطاعه ولم يعصه، وأخذ بالعدل، وابتعد عن الظلم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ٤١ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ٤٢ هُوَ ٱلَّذِي يُصَلِّي عَلَيۡكُمۡ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخۡرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ وَكَانَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَحِيمٗا ٤٣﴾ [الأحزاب: ٤١ – ٤٣] .

٥ - ثمرات العدل

الأولى: العدل: هو الحق الذي أرسل الله به رسله، وأنزل به كتبه، فلا سعادة للناس في الدنيا والآخرة إلا بإقامة العدل، والعمل بالحق: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ [الحديد:٢٥].

الثانية: بالعدل يَستتِبُّ الأمن في البلاد، وتحصل الطمأنينة في النفوس، ويشعر الناس بالاستقرار في الحياة: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الأنعام:٨٢].

الثالثة: العدل من أعظم أسباب حصول الخير والبركة في البلاد، إذا كان قائمًا بين الوالي والرعية: ﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ۚ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ﴿٢٦﴾﴾ [ص:٢٦].

الرابعة: أن العدل سببٌ لمحبة الله للعبد، كما قال سبحانه: ﴿وَأَقْسِطُوا ۖ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾﴾ [الحجرات:٩].

الخامسة: بالعدل يدوم المُلك، ويستقر الحاكم في حكمه، لأنها لا تستقيم حياة الناس إلا بالعدل، ولهذا أمر الله به بقوله: ﴿۞ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾﴾ [النحل:٩٠].

السادسة: بالعدل يحصل الوئام بين الحاكم والمحكوم، وتسود المحبة بين الناس، ويطمئن الناس على أنفسهم وأموالهم، وحقوقهم وأعراضهم.

السابعة: العدل يُشيعُ الحب بين الناس، وبين الحاكم والمحكوم: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ۚ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾﴾ [النساء: ٥٨].

الثامنة: العدل يحفظ الحقوق، ويمنع الظالم من ظلمه، والطمَّاع عن جشعه، ويحمي الحقوق والأملاك، والنفوس والأعراض.

التاسعة: العدل يوفر الأمن والأمان لكل الناس، ويحمي الفقير والضعيف من الظلم والعدوان: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ۖ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ ۚ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٥﴾﴾ [الحديد: ٢٥].

العاشرة: أن العدل من أعظم أسباب دخول الجنة، والقرب من الله ﷻ: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٥٥﴾﴾ [القمر: ٥٤ - ٥٥].

قال النبي ﷺ: «إن المقسطين عند الله تعالى على منابرَ من نورٍ، على يمينِ الرحمنِ، الذين يعدلون في حكمِهم وأَهليهم وما وَلُوا» أخرجه مسلم[1].

﴿رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٥٣﴾﴾ [آل عمران: ٥٣].

﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ﴿٨﴾﴾ [آل عمران: ٨].

اللهم أرنا الحق حقًا، وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلًا، وارزقنا اجتنابه.

---

(١) أخرجه مسلم (١٨٢٧).

عبادات القلوب

في ضوء القرآن والسنة

العبادة الثانية والستون

عِبَـادة صلة الأرحــــام

وتشتمل هذه العبادة العظيمة على المباحث الآتية :

الأول: فقه صلة الأرحام .

الثاني : درجات صلة الأرحام.

الثالث: كيفية صلة الأرحام.

الرابع : الوسائل المعينة على صلة الأرحام.

الخامس : ثمرات صلة الأرحام.

السادس : أسباب قطيعة الأرحام.

السابع : عقوبات قطع صلة الأرحام.

العبادة الثانية والستون

عِبَادة صلة الأرحــــام

١ -فقه صلة الأرحام

الأرحام هم الأقارب من جهة الأب، ومن جهة الأم.

الآباء والأمهات، والأجداد والجدات، أرحام، وهؤلاء هم الأصول.

والأولاد وأولادهم من ذكور وإناث أرحام، وأولاد البنات كلهم أرحام.

وهؤلاء هم الفروع.

والإخوة والأخوات وأولادهم أرحام، والأعمام والعمات وأولادهم أرحام.

والأخوال والخالات وأولادهم أرحام، وهؤلاء هم الحواشى.

فالأرحام أصول، وفروع، وحواشى .

وجميع هؤلاء أرحام داخلون فى قوله ﷻ: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمُۢ ٧٥﴾[الأنفال:٧٥].

وداخلون فى قول النبى ﷺ: « مَن أَحَبَّ أنْ يُبسَطَ له فى رزقِه، ويُنسَأَ له فى أجَلِه، فلْيصِلْ رحِمَه» متفق عليه(١).

وداخلون فى قول النبى ﷺ: « لا يَدْخُل الجنة قاطع » متفق عليه(٢).

أما أقارب الزوجة، فهم أصهار وليسوا بأرحام. وكذلك أقارب الزوج بالنسبة إلى الزوجة أصهار وليسوا بأرحام.

فالأرحام هم الأقارب من جهة الأب، ومن جهة الأم.

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٢٠٦٧) ومسلم (٢٥٥٧) .

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٥٩٨٤) ومسلم (٢٥٥٦) .

أما أقارب الزوج، وأقارب الزوجة، فهم أصهار، وليسوا بأرحام.

والإحسان إلى الأصهار أمر مشروع، وفيه ثواب؛ ولكنهم ليسوا كالأرحام الذين تجب صلتهم، وتحرم قطيعتهم.

وصلة الرحم ليس لها حد محدود، فتكون بالكلام الطيب معهم، ومواساة الفقير منهم، وبُداءتهم بالسلام، ورد السلام عليهم، وإعانتهم على الخير، وعيادة مريضهم، وشهود جنائزهم، كل ذلك من صلة الرحم المأمور بها شرعاً.

وكذلك قطيعة الرحم ليس لها حد محدود، فجفاء الأرحام نوع من القطيعة، وعدم الإنفاق على فقيرهم، وعدم الإحسان إليه، نوع من القطيعة، وعدم الشفاعة لمظلومهم حتى ينتصر نوع من القطيعة، وعدم زيارتهم نوع من القطيعة.

فالصلة أمر عرفي، والقطيعة أمر عرفي، فما تعارف عليه الناس أنه صلة، فهو صلة.

وما تعارف عليه الناس أنه قطيعة، فهو قطيعة، وقد أمر الله ﷻ بصلة الرحم، ونهى عن قطيعة الرحم، كما قال سبحانه: ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ ﴿٢٣﴾ ﴾ [محمد: ٢٢ – ٢٣].

وليس الواصل بالمُكافئ، الذي إذا وصله الأقارب وصلهم. وإنما الواصل، الذي إذا قُطِعَت رحمه وَصَلَهَا.

قال النبي ﷺ: «ليسَ الواصِلُ بالمُكافِئِ، وإنما الواصِلُ الذي إذا قُطِعَتْ رَحِمُهُ وصَلَها» أخرجه البخاري (١).

وصلة الأرحام تكون بما جرى به العُرْف، واتبعه الناس من الأمور المحمودة

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٥٩٩١).

الطيبة فيما بينهم.

فتارة، تكون الصلة بالمال، وتارة تكون بالخدمة، وتارة تكون بالهدية، وتارة تكون بالزيارة ونحو ذلك؛ لأنه لم يُبَيَّن فى القرآن والسنة نوعها، ولا جنسها، ولا مقدارها. فيرجع فى ذلك إلى العرف.

وصلة الرحم من واجبات الإيمان.

قال النبى ﷺ: «مَن كان يؤمِنُ بالله واليَوم الآخِرِ فلْيَصِلْ رَحِمَه» أخرجه البخاري[1].

وصلة الرحم هى الإحسان إلى الأقارب، وإيصال ما أمكن من الخير إليهم، ودفع ما أمكن من الشر عنهم، كما قال سبحانه: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢﴾﴾ [المائدة:٢].

هنيئا لمن وَصَلَ رحمه من الأقارب، وبُشراه بالجنة، ومعية الله له، وسروره وفرحه بالدنيا والآخرة، وحب الناس له، ودعاؤهم له.

وليحذر المسلم من قطيعة الرحم، لأنها سبب للعنة الله له، وحرمانه من الجنة: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ ﴿٢٣﴾﴾ [محمد:٢٢-٢٣].

ومن كان بينه وبين أحد أقاربه عداوة أو شَحْنَاء، فليبادر بالصلة، وليعف وليصفح، ابتغاء مرضات الله، لينال من ربه أعظم الثواب: ﴿وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ۖ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾﴾ [الشورى:٤٠].

وقد فعل إخوة يوسف ﷺ معه ما فعلوا من الإساءة، ولما اعتذروا إليه، قَبِلَ عُذرهم، وصفَحَ عنهم، ولم يُوَبِّخهم. بل دعا لهم، وسأل الله المغفرة لهم: ﴿قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ ۖ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٩٢﴾﴾ [يوسف:٩٢].

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٦١٣٣).

وصلة الرحم، من أعظم عبادات القلوب، التى تؤلف القلوب، وتجمع الأقارب على المحبة والألفة والمودة، والتعاون على البر والتقوى.

وقَطْعُ صلة الرحم من أعظم أسبابها حُبُّ الدنيا، والطمع فى الأموال والأشياء، والحسد.

وتحريش الشيطان بين الناس رجالًا ونساءً من أعظم أسباب القطيعة، حتى تقع بينهم الخصومات، والنزاعات، والعداوة، والبغضاء، ويحصل بينهم التقاطع، والتدابر، والتلاعن: ﴿وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيْطَـٰنُ لَهُۥ قَرِينًا فَسَآءَ قَرِينًا ۝٣٨﴾ [النساء:٣٨].

وقد حذرنا الله ﷻ من نزغات الشيطان، وكيده، ومكره، وعداوته لبنى آدم، فقال: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَـٰبِ ٱلسَّعِيرِ ۝٦﴾ [فاطر:٦].

وقال ﷻ: ﴿وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ كَانَ لِلْإِنسَـٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا ۝٥٣﴾ [الإسراء:٥٣].

وحذر النبى ﷺ من الشيطان بقوله: «إِنَّ الشَّيْطَانَ قدْ أيِسَ أنْ يَعْبُدَهُ المُصَلُّونَ فى جَزِيرَةِ العَرَبِ، ولَكِنْ فى التَّحْرِيش بيْنَهُمْ» أخرجه مسلم (١).

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٨١٢).

٢- درجات صلة الأرحام

الأرحام على ثلاث درجات :

الأصول كالآباء والأمهات وإن علوا، والفروع كالأبناء والبنات وإن نزلوا، وهؤلاء هم أحق الناس بصلة الرحم.

ثم يليهم الحواشى من الإخوة والأخوات وأولادهم، والأعمام والعمات وأولادهم، والأخوال والخالات وأولادهم الأقرب فالأقرب.

والصلة بالمال واجبة حسب الطاقة، لأن الله ﷻ يقول: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا ۚ سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴿٧﴾﴾ [الطلاق:٧].

فإذا استطاع المسلم أن يصِل الأب والأم وصلهما، ولا يلزمه صِلة الأولاد والإخوة إذا عَجِز .

وإذا استطاع صِلة الآباء والأمهات والأولاد، ولكن عجز عن صِلة الإخوة والأخوات سقط عنه ذلك .

وإذا استطاع صلة الإخوة والأخوات وعجز عن صلة أولادهم سقط عنه ذلك .

وإذا استطاع صلة الأعمام والعمات وعجز عن صلة أولادهم سقط عنه ذلك .

وإذا استطاع صلة الأخوال والخالات وعجز عن صلة أولادهم سقط عنه ذلك.

وهكذا يُقدم في الصلة الأقرب فالأقرب من الأصول، والفروع، والحواشي: ﴿ ۞ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ

ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٣٧﴾﴾[النساء:٣٦-٣٧].

فأولى الناس بالصلة هم أولوا الأرحام، الأقرب فالأقرب :﴿ يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ ۖ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٢١٥﴾﴾[البقرة:٢١٥].

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: «يا رسول الله، من أحق الناس بحسن صحابتى؟ -يعنى: صحبتى، قال: أمك، قال: ثم من؟ قال: أمك، قال: ثم من؟ قال: أمك، قال: ثم من؟ قال: أبوك» متفق عليه(١).

وفى رواية: يا رسول الله، من أحق بحسن الصحبة؟، قال: « أمك، ثم أمك، ثم أمك، ثم أباك، ثم أدناك أدناك » أخرجه مسلم(٢).

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٥٩٧١) ومسلم (٢٥٤٨) .

(٢) أخرجه مسلم برقم(٢٥٤٨) .

٣- كيفية صلة الأرحام

صلة الأرحامعبادة عظيمة تكون فيما بين المسلم وأقاربه.

وتحصل صلة الرحم بطرق متعددةمنها:

تبادل الزيارات فيما بين الأقارب، وتفقد أحوال بعضهم بعضًا،وإصلاح ذات بينهم عند الاختلاف، وبذل المعروف لهم، ورد الأذى والسوء عنهم، ومشاركتهم الأفراح والأحزان، واحترام الكبير منهم، والعطف على الصغير منهم، ومساعدة المحتاج منهم بالمال والجاه.

والبشاشة فى وجوههم، وبداءتهم بالسلام، ورد السلام عليهم، وتبادل الهدايا معهم، وعيادة المرضى منهم، وشهود جنائزهم، والصلاة عليهم، والدعاء لهم، وشكر مُحْسِنهم، والتجاوز عن مُسِيئِهم، والأخذ بيد من تعثر منهم، وحضور مناسباتهم، وتشجيع المتفوق منهم، وقضاء حوائجهم، والسعى فى إيصال الخير لهم.

وتعهدهم بالنصح والتوجيه، والسؤال عنهم، وإنزالهم منازلهم، وصِلة القاطع منهم، ودعوتهم إلى الحق، وأمرهم بالمعروف، ونهيهم عن المنكر، وإجابة دعوتهم، وسلامة الصدر نحوهم: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلَىٰ بِبَعۡضٖ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمُۢ ﴿٧٥﴾﴾ [الأنفال:٧٥].

وقال الله ﷻ: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾﴾ [النساء:١].

وقال ﷻ: ﴿۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ [آل عمران:١٣٣-١٣٤].

٤ - الوسائل المعينة على صلة الأرحام

الأولى : العلم بثمرات وعواقب صلة الرحم.

فمن عرف ذلك، أسرع إلى التعبد لله بصلة الرحم، والإحسان إلى أقاربه : ﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ ﴿٢٠﴾ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢١﴾ وَٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٢﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾﴾ [الرعد:١٩-٢٤].

الثانية : العلم بعواقب قطيعة الرحم، وما تسببه من همٍّ، وغمٍّ، وحسرةٍ، ونَدَامةٍ وذلك مما يُعين على البُعد عن القطيعة، والحذر منها: ﴿وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٢٥﴾﴾ [الرعد:٢٥].

الثالثة : الاستعانة بالله ﷻ، وسؤاله أن يرزقه التعبد له بصلة الرحم. فالله قريب مجيب، لا يرد سائلًا ولا يخيب مُؤَمِّلًا: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾ [البقرة:١٨٦].

الرابعة : مُقابلة إساءة الأقارب بالإحسان إليهم، فإن ذلك يُثمر المحبة، والألفة، والمودة، ويحُوِّل البُغض إلى محبة، ويقلب العدو إلى صديق: ﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾﴾ [فصلت:٣٤-٣٥].

الخامسة : قَبول أعذار الأقارب والأرحام إذا أخطاؤا، والصفح والعفو عنهم إذا أساؤوا، ونِسْيان معايبهم وزلاتهم : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ ۚ وَإِن تَعْفُوا۟ وَتَصْفَحُوا۟ وَتَغْفِرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ

﴿غَفُورٌ رَّحِيمٌ ١٤﴾[التغابن:١٤].

السادسة : اجتناب الشِّدة فى عِتَابهم، وتحمل عتابهم، وحملهم على أحسن المحامل، والتواضع ولَيْنِ الجانب لهم، وخدمتهم بالنفس والجاه والمال: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ١٥٩﴾ [آل عمران:١٥٩].

السابعة : ترك المِنَّة عليهم، وعدم إيذائهم بقول أو فعل : ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُو۟لُوا۟ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓا۟ أُو۟لِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ٢٢﴾[النور:٢٢].

الثامنة : الاعتدال فى المزح مع الأقارب، وتجنب المِزَاح مع من لا يحتمله، لأن ذلك يُوغِر الصدور، ويسبب القطيعة بينهم.

التاسعة : بُدَاءتهم بالسلام، والمبادرة بالهدية إن حصل خلافٌ مع الأقارب، فالهدية تجلب المحبة والمودة، وتُكَذِّب سوء الظن، وتَسُلُّ سخائم القلوب.

وكَانَ رَسُولُ اللهَّ ﷺ يقْبَلُ الهْدِيَّةَ، ويُثِيبُ علَيْهَا .أخرجه البخاري(١).

وقال النبى ﷺ: « لا تَدْخُلونَ الجَنَّةَ حتَّى تُؤْمِنُوا، ولا تُؤْمِنُوا حتَّى تَحابُّوا، أوَلا أدُلُّكُمْ علَى شىءٍ إذا فَعَلْتُمُوهُ تَحابَبْتُمْ؟ أفْشُوا السَّلامَ بيْنَكُمْ» أخرجه مسلم(٢).

العاشرة : الحرص على دعوة الأقارب للمناسبات، والولائم، والاجتماعات ؛ لأن ذلك يذكر بالقرابة، ويجُسد المحبة والأخوة بين الأرحام.

الحادية عشرة : التغاضى والتغافل عن العثرات والزلات ؛ لأن ذلك يُعين على استبقاء المحبة، والمودة، وعلى وَئْدِ النفرة والعداوة.

الثانية عشرة : تذكر الموت وما بعده من الحساب والجزاء، فمن تذكر ذلك سارع إلى صلة أرحامه، واجتنب قطعها.

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٢٥٨٥) .

(٢) أخرجه مسلم برقم(٥٤) .

قال النبى ﷺ: « أكثروا ذكر هادم اللَّذات » أخرجه الترمذي وابن ماجة(١).

الثالثة عشرة : الإكثار من مُجالسة الأخيار، ومجالسة أهل الصلة والمروءة، والانقطاع عن أهل البخل والغفلة والقطيعة : ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾﴾[الكهف:٢٨].

الرابعة عشرة : مجاهدة النفس، وحملها على ما أمر الله ورسوله به من صلة الرحم، والإحسان إلى الأقارب : ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾﴾[العنكبوت:٦٩].

الخامسة عشرة : مقابلة إساءة الأقارب بالعفو عنهم، والإحسان إليهم: ﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾﴾ [فصلت: ٣٤ – ٣٥].

وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رجلا قال : يا رسول الله، إنَّ لى قَرابَةً أَصِلُهُمْ وَيَقْطَعُونى، وَأُحْسِنُ إِلَيْهم وَيُسِيئُونَ إلىَّ، وأَحْلُمُ عنهُمْ وَيجْهَلُونَ علىَّ، فَقالَ : «لَئِنْ كُنْتَ كَمَا قُلْتَ فَكَأَنَّمَا تُسِفُّهُمُ المَلَّ، وَلا يَزَالُ معكَ مِنَ اللهِ ظَهيرٌ عَلَيْهم مَا دُمْتَ عَلَى ذَلكَ» أخرجه مسلم(٢).

---

(١) صحيح/ أخرجه الترمذي برقم (٢٣٠٧) وابن ماجة برقم (٤٢٥٨) .

(٢) أخرجه مسلم برقم (٢٥٥٨) .

٥ - ثمرات صلة الأرحام

لصلة الأرحام ثمرات كثيرة منها :

الأولى : أن صلة الرحم سبب في زيادة الرزق، وطول العمر.

قال النبى ﷺ: « مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُبْسَطَ له فِى رِزْقِهِ، وأَنْ يُنْسَأَ لَهُ فِى أَثَرِهِ، فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ» متفق عليه[١].

الثانية : أن صلة الرحم تُدخل المؤمن الجنة، وتبعده عن النار.

قال أعرابى يا رسول الله : أَخْبِرْنى بِمَا يُقَرِّبُنِى مِنَ الجَنَّةِ، وَيُبَاعِدُنى مِنَ النَّارِ، فقَالَ النبى ﷺ: «تَعْبُدُ اللهَّ ولَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِى الزَّكَاةَ، وَتَصِلُ رحمك» متفق عليه[٢].

الثالثة : أن صلة الرحم إحدى علامات الإيمان بالله واليوم الآخر.

قال النبي ﷺ« من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه » أخرجه البخاري[٣].

الرابعة : أن صلة الرحم تجلب صلة الله للوَاصِلِ رَحِمَه.

قال رسول الله ﷺ: « إِنَّ اللهَّ تَعَالى خَلَقَ الخَلْقَ حَتَّى إِذَا فَرَغَ مِنْهُمْ قَامَتِ الرَّحِمُ، فَقَالَتْ: هَذَا مقَامُ الْعَائِذِ بِكَ مِنَ الْقَطِيعَةِ، قَالَ: نَعَمْ، أَمَا تَرْضَيْنَ أَنْ أَصِلَ مَنْ وَصَلَكِ، وَأَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكِ؟ قَالَتْ: بَلَى، قال: فذَلِكَ لَكِ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهَّ ﷺ :اقرؤوا إِنْ شِئْتُمْ :﴿ **فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟**

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٢٠٦٧) ومسلم برقم (٢٥٥٧).

(٢)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (١٣٩٦) ومسلم برقم (١٣).

(٣) أخرجه البخاري برقم (٦١٣٨) .

أَرۡحَامَكُمۡ ﴿٢٢﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمۡ وَأَعۡمَىٰٓ أَبۡصَٰرَهُمۡ ﴿٢٣﴾ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ أَمۡ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقۡفَالُهَآ ﴿٢٤﴾﴾ [محمد: ٢٢-٢٤]. متفق عليه[١]

الخامسة : أن صلة الرحم طاعة لله عَزَّوَجَلَّ؛ لأنها وصل بما أمر الله به أن يوصل، كما أثنى الله على الواصلين بقوله: ﴿۞ أَفَمَن يَعۡلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ ٱلۡحَقُّ كَمَنۡ هُوَ أَعۡمَىٰٓۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلۡمِيثَٰقَ ﴿٢٠﴾ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلۡحِسَابِ ﴿٢١﴾﴾ [الرعد: ١٩-٢١].

السادسة : أن صلة الرحم من أعظم أسباب حصول المحبة، والألفة بين الأقارب، وحصول الرحمة والبرِّ بينهم.

قال النبي ﷺ: « لا تَدْخُلُونَ الجَنَّةَ حتَّى تُؤْمِنُوا، ولا تُؤْمِنُوا حتَّى تَحَابُّوا، أَوَلا أَدُلُّكُمْ علَى شيءٍ إذا فَعَلْتُمُوهُ تَحابَبْتُمْ؟ أَفْشُوا السَّلامَ بيْنَكُمْ» أخرجه مسلم[٢].

السابعة : أن صلة الأرحام ترفع مقام الواصل الذي وصل أرحامه، فيُجِلُّوه، ويُكرموه، ويعزوه، ويُسودوه: ﴿وَأَن تَعۡفُوٓاْ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۚ وَلَا تَنسَوُاْ ٱلۡفَضۡلَ بَيۡنَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٧﴾﴾ [البقرة: ٢٣٧].

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٤٨٣٠) ومسلم برقم (٢٥٥٤) .

(٢) أخرجه مسلم برقم (٥٤) .

٦ - أسباب قطيعة الأرحام

الأول : ضعف الإيمان والتقوى.

فمن ضعف إيمانه، وقَلَّت تقواه، لم يبالى بقَطْع ما أمر الله به أن يوصل، ولم يطمع بثواب الصلة، ولم يخشى عاقبة القطيعة :﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾[فاطر:٢٨].

الثانى : الجهل بعواقب القطيعة العاجلة، والآجلة مما يسبب عدم المبالاة بها.

كما أن الجهل بفضائل صلة الرحم العاجلة والآجلة يقصر عنها، ولا يبعث إليها.

قال النبى ﷺ: «من يريد الله به خيرا يفقه فى الدين »متفق عليه(١).

الثالث : العِتاب الدائم الشديد.

فبعض الناس إذا زاره أحد أقاربه بعد طول انقطاع، أمطر عليه وابلًا من اللوم، والعتاب، والتقريع على تقصيره فى حقه، فتحصل النفرة من المجىء خوفًا من لومه، وتقريعه، وشدة عتابه:﴿ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾﴾[فصلت: ٣٤ – ٣٥] .

الرابع : قلة الاهتمام بالزائرين من أقاربه، وعدم احترامهم وتوقيرهم، وعدم سؤاله عن أحوالهم، مما يقلل رغبتهم فى زيارته.

الخامس : كثرة الاشتغال بأمور الدنيا، واللهث وراء شهواتها، والسعى فى جَمْع حُطامها، فلا يجد هذا وقتًا يصل به قرابته، ويتودد إليهم، ويجلس معهم.

السادس:الشح والبُخل بالمال،فمن الناس من إذا رزقه الله مالًا أوجاهاً، يتهرب من أقاربه ،خوفا من استدانتهم منه،أو طلب الشفاعة منه،أوطلب سداد دينهم منه.

السابع : قلة تحمل أذى الأقارب، وعدم الصبر عليهم إذا حصلت منهم هفوة أو جفوة، أو زلة أو عثرة: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾﴾[الزمر: ١٠] .

الثامن : تأخير قسمة الحقوق المشتركة كالميراث والوصايا ونحوها مما يسبب قطيعة الرحم .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٧١) ومسلم برقم (١٠٣٧).

التاسع : الحسد بين الإخوة، والأولاد، والأعمام، والأخوال.
فالحسد معجون فى كل إنسان، لكن الكريم يُخفيه، واللئيم يبديه، وذلك مما يسبب قطيعة الرحم فيما بين الأقارب: ﴿أَمۡ يَحۡسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦۖ فَقَدۡ ءَاتَيۡنَآ ءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَءَاتَيۡنَٰهُم مُّلۡكًا عَظِيمٗا ٥٤ فَمِنۡهُم مَّنۡ ءَامَنَ بِهِۦ وَمِنۡهُم مَّن صَدَّ عَنۡهُۚ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا ٥٥﴾[النساء: ٥٤ – ٥٥].
العاشر : قلة حضور مجالس الذكر والوعظ التى تذكر بالله، والإحسان إلى الوالدين والأقارب : ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا ٢٨﴾[الكهف:٢٨].
الحادى عشر : التكلف الزائد فى الولائم، فعندما تُقيم وَليمةً لأقاربك فَوْقَ طَاقَتِك، تكره صلة الرحم، وحضور مناسباتهم.
الثانى عشر : الكِبر والعجب ورؤية النفس، فمن الناس من إذا بلغ منزلة رفيعة، وكان من التجار ، ترفع عن زيارة أقاربه وصلتهم لأنه يعتقد بأنه الأولى أن يُزار.
الثالث عشر : وقوع بعض حالات الطلاق بين الأقارب، فيبقى فى النفوس مِنْ ذلك شيء يقطع بسببه العبد صلة الرحم.
الرابع عشر : سوء الظن بين الأقارب، فبعضُ الأقارب يريد حاجة فلا يستطيع قريبه تَلْبيَتَها له، فَيُسىء الظن به، وينفر منه، ويقطع الصلة بينه وبينه.
الخامس عشر : الشراكات التى فشلت فى المعاملات المالية، فقد يكون هذا اشترى من هذا شيئًا، فظن أنه غشه، أو ماطل في السداد ونحو ذلك.
فعلى المسلم أن يتجاوز هذه الأمور التي تسبب قطيعة الرحم، ويبادر إلى صلة رحمه لينال رضوان ربه، ويفوز بالجنة: ﴿وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلۡحِسَابِ ٢١ وَٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ رَبِّهِمۡ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ وَيَدۡرَءُونَ بِٱلۡحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عُقۡبَى ٱلدَّارِ ٢٢ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَأَزۡوَٰجِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَدۡخُلُونَ عَلَيۡهِم مِّن كُلِّ بَابٖ ٢٣ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم بِمَا صَبَرۡتُمۡۚ فَنِعۡمَ عُقۡبَى ٱلدَّارِ ٢٤﴾[الرعد:٢١-٢٤].

٧- عقوبات قطع صلة الأرحام

الأولى : أن قاطع الرحم ملعون في كتاب الله عز وجل، كما قال سبحانه: ﴿ **فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ ﴿٢٣﴾ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴿٢٤﴾** ﴾[محمد:٢٢-٢٤].

الثانية : أن قاطع الرحم من الفاسقين الخاسرين، كما قال سبحانه :﴿ **وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ ﴿٢٦﴾ الَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٢٧﴾** ﴾[البقرة:٢٦-٢٧].

الثالثة : أن قطع صلة الرحم قطع للوصل مع الله عَزَّ وَجَلَّ.

قال النبى ﷺ: « الرَّحِمُ مَعَلَّقَةٌ بِالعَرْشِ تَقُولُ : مَنْ وَصَلَنِى وَصَلَهُ اللهُّ، وَمَن قَطَعَنى قَطَعَهُ اللهُّ » أخرجه مسلم (١).

الرابعة : أن قطع صلة الرحم سبب فى الحرمان من دخول الجنة.

قال النبى ﷺ: « لا يدخل الجنة قاطع » متفق عليه (٢).

الخامسة : أن قاطع الرحم تُعجل له العقوبة فى الدنيا مع عقوبة الآخرة.

قال النبى ﷺ: « ما من ذنب أجدرُ أن يعجِّل اللهُ لصاحبه العقوبةَ فى الدنيا، مع ما يدِّخر له فى الآخرةِ مثل البغى وقطيعةِ الرحم» أخرجه أبو داود والترمذي (٣).

السادسة : أن قاطع الرحم لا يُرفع له عمل، ولا يَقْبَلُ الله منه.

قال النبى ﷺ: « تُفْتَحُ أبْوابُ الجَنَّةِ يَومَ الإِثْنَيْنِ، ويَومَ الخَمِيس، فيُغْفَرُ لِكُلِّ عَبْدٍ لا يُشْرِكُ باللهَّ شيئًا، إلَّا رَجُلًا كانَتْ بيْنَهُ وبيْنَ أخِيهِ شَحْناءُ، فيُقالُ : أنْظِرُوا هَذَيْنِ حتَّى يَصْطَلِحا، أنْظِرُوا هَذَيْن حتَّى يَصْطَلِحا، أنْظِرُوا هَذَيْن حتَّى يَصْطَلِحا » أخرجه مسلم (٤).

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٥٥٥).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٥٩٨٤) ومسلم برقم (٢٥٥٦).

(٣) صحيح/ أخرجه ابو داود برقم (٤٩٠٢) والترمذي برقم (٢٥١١).

(٤)أخرجه مسلم برقم (٢٥٦٥).

عبادات القلوب

في ضوء القرآن والسنة

العبادة الثالثة والستون

عِبَادة العــلم

وتشتمل هذه العبادة العظيمة على المباحث الآتية :

الأول: فقه العلم الإلهي.

الثاني : أمهات العلم الإلهي.

الثالث: فضائل العلم الإلهي.

الرابع : أقسام العلوم الشرعية.

الخامس: أقسام العلماء.

السادس : الأسباب المعينة على تعلم العِلم وتعليمه.

السابع : ثمرات العلم الشرعي.

العبادة الثالثة والستون

عبادة العلم

١ -فقه العلم الإلهي

العلم الإلهي هو العلم بالله، وأسمائه، وصفاته، وأفعاله، والعلم بدينه وشرعه، والعلم بأوامره ونواهيه، والعلم بوعده ووعيده، والعلم بثوابه وعقابه. ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ١٩﴾[محمد:١٩].

وهذا العلم الإلهي هو أصل العلوم، وأفضلها، وأزكاها، وأوجبها، وأكملها.

وقد بينه الله ﷻ في كتابه العظيم بقوله :﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ٨٩﴾[النحل:٨٩].

وقد أرسل الله جميع أنبيائه ورسله بهذا العلم العظيم، ليعبد الناس ربهم وحده لا شريك له، ويتركوا عبادة ما سواه، كما قال سبحانه :﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ ۚ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٣٦﴾ [النحل:٣٦].

وقد أرسل الله عز وجل رسله وأنبياءه عليهم الصلاة والسلام إلى خلقه لتحقيق خمسة مقاصد :

الأول : التعريف بالله، وأسمائه، وصفاته، وأفعاله، وبيان أن الله وحده هو المستحق للعبادة دون سواه:﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ﴾[النحل:٣٦].

وقال الله عز وجل: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ١٩﴾[محمد: ١٩] .

الثاني : بيان الطريق الموصل إلى الله

وهو الدين الذي شرف الله به بني آدم على من سواهم : ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾﴾ [الجمعة: ٢].

الثالث : بيان حال الناس بعد قدومهم على ربهم يوم القيامة : ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَآ أَنَا۠ لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٩﴾ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٥٠﴾ وَٱلَّذِينَ سَعَوْا۟ فِىٓ ءَايَـٰتِنَا مُعَـٰجِزِينَ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥١﴾﴾ [الحج: ٤٩-٥١].

الرابع : رحمة الخلق : ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

الخامس : إقامة الحجة على الناس، كما قال سبحانه : ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾﴾ [النساء: ١٦٥].

ولن يعبد الله حقاً إلا من عرفه حقا بأسمائه، وصفاته، وأفعاله.

فمن عرف ربه العظيم آمن به، ووحده، وكبره، ومجده، وأحبه، وأطاعه، وحمده، وشكره، وتوكل عليه، ولم يلتفت لأحد سواه، وعبده وحده لا شريك له : ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَـٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾﴾ [الطلاق: ١٢].

وإذا عرفتم ذلك آمنتم بالله وحده، وعبدتموه وحده لا شريك له.

وخير الناس، وأعظمهم قدرا، وأكثرهم أجرا، وأعظمهم شكرا، هم من تعلم القرآن وعلمه، وعمل بموجبه : ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَـٰكِن كُونُوا۟ رَبَّـٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَـٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [آل عمران: ٧٩].

وقال النبي ﷺ: «خيرُكُم مَن تعلَّمَ القرآنَ وعلَّمَهُ» أخرجه البخاري[١].

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٥٠٢٧).

ومن أراد الله به خيراً زينه بالعلم الإلهي، وفقهه في الدين، ورزقه علم الكتاب والسنة، وأعانه على طلب هذا العلم، والعمل بموجبه، وتعليمه لإخوانه المسلمين.

قال النبي ﷺ: «مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ» متفق عليه(١).

وفي هذا العلم الإلهي غذاء القلوب، وراحة النفوس، وزينة الجوارح.

وقد رفع الله منازل علماء الشريعة، وجعل لهم القدر الرفيع في الدنيا والآخرة؛ لأن كل واحد منهم قائم مقام النبي ﷺ في تبليغ دين الله لعباده: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾﴾ [المجادلة:١١].

والأنبياء، والرسل عليهم الصلاة والسلام، والعلماء الربانيون، هم أتقى الخلق لله، وأعظمهم خشية له، وأنصح الخلق للخلق: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [التوبة:١٢٨].

وقال الله ﷻ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾ [فاطر:٢٨].

وعلى قدر العلم بالله، وأسمائه، وصفاته، وأفعاله، تكون الخشية لله ﷻ.

عَنْ أَنَسٍ، أَنَّ نَفَرًا مِن أَصْحَابِ النبيِّ ﷺ سَأَلُوا أَزْوَاجَ النبيِّ ﷺ عن عَمَلِهِ في السِّرِّ؟ فَقالَ بَعْضُهُمْ: لا أَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، وَقالَ بَعْضُهُمْ: لا آكُلُ اللَّحْمَ، وَقالَ بَعْضُهُمْ: لا أَنَامُ علَى فِرَاشٍ، فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عليه. فَقالَ: «ما بَالُ أَقْوَامٍ قالوا كَذَا وَكَذَا؟ لَكِنِّي أُصَلِّي وَأَنَامُ، وَأَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فمَن رَغِبَ عن سُنَّتي فليسَ مِنِّي» متفق عليه(٢)

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٧١) ومسلم برقم (١٠٣٧).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٥٠٦٣) ومسلم برقم (١٤٠١).

والعلم الذي يسعد به صاحبه في الدنيا والآخرة هو العلم الشرعي الذي يورث العمل الصالح، تصديقاً للأخبار وفِعْلًا للواجبات والمستحبات، وتركًا للمنهيات والمحرمات ؛ مع إقبالٍ على الرب، وحُبِّ الله، وتعظيمِ الله ؛ مع إحسانٍ إلى الخلق، وتَوَاُضعٍ لهم : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾[الأنفال: ٢ – ٤] .

وقال الله ﷻ: ﴿كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾ [آل عمران:٧٩].

فهذا هو العلم المحمود الذي جاءت به الشريعة: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾ [محمد: ١٩] .

أما العلم المجرد من العمل، الذي لم يظهر أثره على صاحبه، بل هو يعمل بخلافه، فهو علم مذموم، وهو وبال على صاحبه، وحجة عليه.

وقد استعاذ النبي ﷺ من هذا العلم المذموم بقوله: «اللَّهُمَّ إنِّي أَعُوذُ بكَ مِن عِلْمٍ لا يَنْفَعُ، وَمِنْ قَلْبٍ لا يَخْشَعُ، وَمِنْ نَفْسٍ لا تَشْبَعُ، وَمِنْ دَعْوَةٍ لا يُسْتَجَابُ لهَا» أخرجه مسلم[١].

فالعلم الإلهي يُطْلَبُ لا لذاته، بل لأنه وسيلة إلى زيادة الإيمان، والعمل الصالح الذي أمر الله به عباده، ورضيه لهم.

فإذا لم يُورِث العلم التقوى، والعمل الصالح، لم ينتفع به صاحبه :﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾ ﴾[الصف:٢ –٣].

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٧٢٢).

وأصول العلم الإلهي سبعة :

معرفة الرب الذي نعبد .. ومعرفة القرآن الذي نتبع .. ومعرفة الرسول الذي نقتدي به .. ومعرفة النفس البشرية ماذا تريد من الله، وماذا يريد الله منها .. ومعرفة عدو الإنسان وهو الشيطان .. ومعرفة الدنيا التي نعيش فيها .. ومعرفة الآخرة التي سوف نصير إليها: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾ [فاطر: ٢٨].

فمن عرف هذه العلوم السبعة، أصلح الله قلبه وقالبه، وأسعده في الدنيا والآخرة، ورضي الله عنه وأرضاه، وأدخله جنته: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾ [فصلت: ٣٠-٣٢].

٢ - أمهات العلم الإلهي

أمهات العلم الإلهي ثلاث :

معرفة الرب .. ومعرفة النفس .. ومعرفة الدين.

الأولى : معرفة الرب.

وتكون بمعرفة الله وأسمائه وصفاته وأفعاله، ومعرفة آياته ومخلوقاته، ومعرفة عظمة مُلكه وسلطانه، ومعرفة عظمة نعمه وإحسانه.

ويتم ذلك بالنظر في الآيات الكونية، والآيات القرآنية :﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِى ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾[يونس:١٠١].

وقال الله ﷻ:﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ ﴾[النساء:٨٢].

الثانية : معرفة النفس، وتكون عن طريق الرب الذي خلقها، وصورها :﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾ ﴾[الشمس:٧-١٠].

وقال الله تعالى: ﴿ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾[الذاريات: ٢١] .

الثالثة : معرفة الدين. وتكون بمعرفة أخباره، وأحكامه بواسطة الرسل الذين بعثهم الله إلى عباده، ليعبدوا الله وحده لا شريك له، ويجتنبوا عبادة ما سواه :

﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ ۚ فَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾[النحل:٣٦].

فإذا عرف الإنسان ربه بالعلم، عرف نفسه بالجهل، وإذا عرف ربه بالقوة، عرف نفسه بالضعف، وإذا عرف ربه بالقدرة، عرف نفسه بالعجز، وإذا عرف ربه بالغنى، عرف نفسه بالفقر، وإذا عرف ربه بالعزة، عرف نفسه بالذلة، وإذا عرف ربه بالعدل، عرف نفسه بالظلم.

وإذا عرف العبد ربه بصفات الجلال والجمال والكمال، وعرف نفسه بصفات العجز والضعف، والفقر والحاجة، آمن بالله ﷻ، واتبع شرعه، وسلم لأمره، وامتثل أمره، واجتنب نهيه، وخضع لربه بقلبه وقالبه، مع كمال الحب، والتعظيم والذل له: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ١٩﴾[محمد:١٩].

وإذا عرف العبد بعد معرفة ربه ونفسه دينه الحق آمن به، وصدق أخباره، وطبق أحكامه، وامتثل أوامره، واجتنب نواهيه، واهتدى بهداه، لأنه أعظم نعمة أنعم الله بها على عباده: ﴿قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ١٥ يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ١٦﴾[المائدة:١٥-١٦].

فلله الحمد والشكر، أن أكرمنا بالدين الكامل، والنعم السابغة، والثواب العظيم، والنعيم الدائم: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ فَمَنِ ٱضۡطُرَّ فِي مَخۡمَصَةٍ غَيۡرَ مُتَجَانِفٖ لِّإِثۡمٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٣﴾ [المائدة:٣].

والرب العظيم، الذي هذه أسماؤه، وصفاته، وأفعاله، وهذا ملكه العظيم، وهذه نعمه التي لا تعد ولا تُحصى، وهذا دينه الحق الذي أرسل به رسله، هو الرب الذي يستحق أن يُطاع فلا يُعصى، ويُذكر فلا يُنسى، ويُشكر فلا يُكفر، ويُعبد وحده لا شريك له: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ١٠٢ لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ١٠٣﴾[الأنعام:١٠٢-١٠٣].

وأعظم حاجات البشر معرفة الحق، والعمل به، وحاجة الناس إليه أعظم من حاجتهم إلى الطعام والشراب. ولا سعادة أبدا لأهل الأرض جميعا إلا باتباع الرُّسل، لأنهم رحمة من الله لعباده، ووسائط بينه وبين خلقه في أمره ونهيه،ودينه

وشرعه : ﴿ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُواْ ۖ قُل لَّا تَمُنُّواْ عَلَيَّ إِسْلَٰمَكُم ۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾ ﴾[الحجرات:١٧].

وقال الله ﷻ: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾ ﴾[آل عمران: ١٦٤].

وعلى العبد أن يعلم أنه يتقلب بين ثلاثحالات :

الأولى: نِعَمٌ من الله تترادف عليه، وواجبه فيها الحمد، والشكر، والاستعانة بها على عبادة الله ﷻ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾ ﴾[البقرة:١٧٢].

الثانية: ذنوب اقترفها العبد،فواجبه فيها الاستغفار، والتوبة :﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾ ﴾[النور:٣١].

وقال عز وجل: ﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾ ﴾[النساء: ١١٠] .

الثالثة: مصائب يبتليه الله بها، فواجبه فيها الصبر :﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾[البقرة:١٥٥-١٥٧].

فمن قام بواجب هذه الثلاث، فقد أكمل العبودية لله، ونال السعادة في الدنيا والآخرة :﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾ [الأنفال:٢-٤].

٣- فضائل العلم الإلهي

قال الله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا ۚ وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾ ﴾ [فاطر: ٢٧ – ٢٨].

وقال ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا۟ فِى ٱلْمَجَٰلِسِ فَٱفْسَحُوا۟ يَفْسَحِ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُوا۟ فَٱنشُزُوا۟ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾ ﴾ [المجادلة: ١١].

وقال ﷻ: ﴿ كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾ [آل عمران: ٧٩].

وقال الله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ ﴾ [الجمعة: ٢].

وقال ﷻ: ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾ ﴾ [الزمر: ٩].

وقال النبي ﷺ: « مَثَلُ ما بَعَثَنِي اللهُ به مِنَ الهُدَى والعِلْمِ، كَمَثَلِ الغَيْثِ الكَثِيرِ أصابَ أرْضًا، فَكانَ مِنْها نَقِيَّةٌ، قَبِلَتِ الماءَ، فأنْبَتَتِ الكَلَأَ والعُشْبَ الكَثِيرَ، وكانَتْ مِنْها أجادِبُ، أمْسَكَتِ الماءَ، فَنَفَعَ اللهُ بها النَّاسَ، فَشَرِبُوا وسَقَوْا وزَرَعُوا، وأَصابَتْ مِنْها طائِفَةً أُخْرَى، إنَّما هي قِيعانٌ لا تُمْسِكُ ماءً ولا تُنْبِتُ كَلَأً، فَذلكَ مَثَلُ مَن فَقُهَ في دِينِ اللَّهِ، ونَفَعَهُ ما بَعَثَنِي اللهُ به فَعَلِمَ وعَلَّمَ، ومَثَلُ مَن لَمْ يَرْفَعْ بذلكَ رَأْسًا، ولَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللهِ الذي أُرْسِلْتُ بهِ» متفق عليه(١).

وقال النبي ﷺ: « لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله مالا فسلطه على هلكته في

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٧٩) ومسلم برقم (٢٢٨٢).

الحق، ورجل آتاه الله حكمة فهو يقضي بها ويعلمها» متفق عليه[١].

وقال ﷺ: « مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ، وَاللهُ الْمُعْطِي وَأَنَا الْقَاسِمُ، وَلاَ تَزَالُ هَذِهِ الأُمَّةُ ظَاهِرِينَ عَلَى مَنْ خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ ظَاهِرُونَ » متفق عليه[٢].

وعن عثمان رضي الله عنه عن النبي ﷺقال : « خَيْرُكُمْ مَن تَعَلَّمَ القُرْآنَ وعَلَّمَهُ» أخرجه البخاري [٣].

وقال النبي ﷺ: « مَن سلَكَ طريقًا يلتَمِسُ فيهِ علمًا، سَهَّلَ اللهُ لَهُ بِهِ طريقًا إلى الجنَّةِ» أخرجه مسلم[٤].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺقال : « مَن دعا إلى هُدًى كان له مِن الأجرِ مِثْلُ أجورِ مَن تبِعهُ لا ينقُصُ ذلك مِن أجورِهم شيئًا، ومَن دعا إلى ضلالةٍ كان عليه مِن الإثمِ مِثْلُ آثامِ مَن تبِعهُ لا ينقُصُ ذلك مِن آثامِهم شيئًا» أخرجه مسلم[٥].

---

(١) **متفق عليه، أخرجه البخاري** برقم (٧٣) ومسلم برقم (٨١٦).

(٢) **متفق عليه، أخرجه البخاري** برقم (٧١) ومسلم برقم (١٠٣٧).

(٣) **أخرجه البخاري** برقم (٥٠٢٧) .

(٤) **أخرجه مسلم** برقم (٢٦٩٩) .

(٥) **أخرجه مسلم** برقم (٢٦٧٤) .

٤ - أقسام العلوم الشرعية

تنقسم العلوم الشرعية إلى ثلاثة أقسام :

الأول : علم العقيدة الإسلامية، ومداره على العلم بالله، وأسمائه، وصفاته، وأفعاله، وما يُعتقد من أركان الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره : ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾[محمد:١٩].

الثاني: علم أحكام الشريعة، من الأمر، والنهي، والحلال، والحرام، والفرض، والسنة، والجائز، والممنوع :﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾ ﴾[الحشر:٧].

وقال النبي ﷺ: « مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ » متفق عليه[١].

الثالث : علم الجزاء على الأعمال بالعدل والإحسان.

وهو جزاء المرء على أفعاله في الدنيا والآخرة، وهو عِلْمُ الوعد والوعيد كما قال سبحانه عن المؤمنين والكافرين :﴿ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾ ﴾[النساء:١٣-١٤].

وما يجازي الله به عباده دائر بين العدل والإحسان، العدل مع الكفار، والإحسان مع المؤمنين :﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾ ﴾[النساء:٤٠].

وقال الله ﷻ:﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦٠﴾ ﴾[الأنعام:١٦٠].

وينقسم العلم الإلهي إلى ظاهر وباطن:

فظاهر العلم ما يُعْرَف من دراسة أبواب الدين، وأحكام الشريعة، في جميع

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٧١) ومسلم برقم (١٠٣٧).

أبواب الفقه من المسائل والفضائل، وقراءة كتبه، وإتقان تحصيله.
وباطن العلم ما يقوم في قلب طالب العلم من اليقين، والبصيرة في الدين، وزيادة الإيمان، وكمال التقوى، وخشية الله ﷻ؛ حتى يجعل الله له فرقانا يفرق به بين الحق والباطل، ويميز به بين الهدى والضلال، ويفرق به بين الرُّشد والغي: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا وَيُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ٢٩﴾[الأنفال:٢٩].
وقال الله ﷻ: ﴿إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ٢٨﴾ [فاطر:٢٨].
وهذا العلم النافع من ثمرات معرفة الله ﷻ بأسمائه، وصفاته، وأفعاله، وخشيته، والإنابة إليه، وصدق الرغبة إليه، وحُسن التوكل عليه، والقيام بأمره، وتعظيم شرعه، والحب له، والخوف منه، والرجاء له: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ٣ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَمَغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ٤﴾[الأنفال:٢-٤].
فهؤلاء هم أهل العلم الإلهي النافع، الذي يُثمر خشية الله، وتقواه، والقنوت بين يديه، وكمال العبودية له: ﴿أَمَّنۡ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ سَاجِدٗا وَقَآئِمٗا يَحۡذَرُ ٱلۡأٓخِرَةَ وَيَرۡجُواْ رَحۡمَةَ رَبِّهِۦۗ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٩﴾ [الزمر:٩].
فأهل العلم النافع هم أهل خشية الله، كما قال سبحانه: ﴿إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ٢٨﴾[فاطر:٢٨].
والمؤمن حقا يحرص على الجمع بين هاذين العلمين النافعين:
العلم الظاهر، وهو علم الأحكام، والعلم الباطن، وهو علم الإيمان واليقين، وخشية الله ﷻ، وأن يكون باطنُ العلم هو الأصل الذي يُبنى عليه تعلم العلم الظاهر.

ومَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي هذا وهذا، في علم الباطن، وعلم الظاهر.

وقال الله ﷻ: ﴿كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [آل عمران:٧٩].

وقال النبي ﷺ: « مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ » متفق عليه(١).

بفقهه فقه القلوب، وفقه الجوارح.

وتنقسم العلوم بالنسبة للإنسان إلى قسمين:

الأول: العلوم الممنوحة من الله عز وجل.

وهي كل علم ينفع العبد في الدنيا والآخرة كالعلم بالإيمان، والأعمال الصالحة، وأمور الكسب والمعاش، ومعرفة ما يضره في الدنيا والآخرة كالكفر، والشرك، والمعاصي، والمحرمات: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾﴾ [النحل:٨٩].

فلله الحمد والمِنَّة، أن خلق الإنسان في أحسن تقويم، وعلمه ما لم يعلم، وعلمه البيان، وأقدره على ما ينفعه، وأثابه على كل عمل صالح: ﴿فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾﴾ [الجاثية:٣٦-٣٧].

الثاني: العلوم الممنوعة.

وهي كل علم طواه الله عن البشر، ومنعهم من معرفته، مما ليس من شأنهم، ولا حاجة لهم فيه، ولا مصلحة لهم فيه، ولا نشأتهم قابلة له كعلم الغيب، والعلم بكل ما كان وما يكون وما سيكون، والعلم بما في قلوب الناس، والعلم بعدد المخلوقات، وعدد الذرات، والجمادات، والنباتات، وعدد النجوم، وعدد الأنفاس، وعدد الكلمات، ووقت قيام الساعة، ووقت نزول الغيث، وغير ذلك مما حجب العليم الخبير علمه عن الناس، واختص بعلمه عالم الغيب والشهادة: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٧١) ومسلم برقم (١٠٣٧).

نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿٣٤﴾﴾ [لقمان: ٣٤].

وقال الله ﷻ: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾﴾ [الأنعام: ٥٩].

وتنقسم العلوم باعتبار مصدرها إلى قسمين:

القسم الأول: العلوم الشرعية.

وهي كل ما استُفيد من الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾﴾ [الجمعة: ٢].

والعلوم الشرعية تنقسم إلى قسمين:

الأول: علم يتعلق بالقلوب، ويسمى فقه القلوب.

وهو علم الإيمان، والتوحيد، وحب الله، وتكبيره، وتعظيمه، والتوكل عليه، وخوفه، ورجائه، ونحو ذلك. وهذا هو الأصل الأول: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾﴾ [محمد: ١٩].

الثاني: علم المسائل والأحكام، كالعلم بأنواع العبادات، وكيفيتها كالوضوء والصلاة، والزكاة والصيام، والحج ونحوها، ويسمى هذا، علم الجوارح، والأول علم القلوب. وكلاهما لازم لقبول الأعمال الصالحة: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف: ١١٠].

وقال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال: ٢-٤].

القسم الثاني : العلوم الإنسانية.

وهي كل ما سوى العلوم الشرعية، وهي ثلاثة أقسام :

الأول : علم محمود، وهو كل ما ترتبط به مصالح العباد في الدنيا كعلم الطب، وعلم الحساب، وعلم الزراعة، وعلم التجارة، وعلم الصناعة، وغير ذلك من العلوم النافعة التي تُسهِّل على الناس حياتهم، وتيسر أمورهم.

فهذا العلم تعلمه فرض كفاية، إذا قام به من يكفي، سقط الوجوب عن الآخرين.

الثاني : علم مباح كالعلم بالأشعار، وتواريخ الأخبار والأحداث.

الثالث : علم مذموم، وهو كل ما يُفسد البلاد والعباد والأخلاق، كعلم السحر، والكهانة، والشعوذة،وما لا نفع فيه، وغير ذلك مما نهى الله ورسوله عنه : ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ۝٧﴾ [الحشر:٧].

والعلم الشرعي له شعبتان :

الأولى : علم الفضائل، وهو العلم الذي يولِّد الشوق والرغبة لامتثال أوامر الله ﷻ، والرغبة في الطاعات، والحذر من المعاصي، وهو من الإيمان، ونتعلمه قبل العلم بالأحكام والمسائل، وبه نعرف قيمة الأعمال، فتنشط النفوس للعمل الصالح، والازدياد منه كما قال سبحانه :﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ۝١٠٧ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ۝١٠٨﴾[الكهف:١٠٧-١٠٨].

الثانية: علم المسائل، وهي الأحكام الشرعية العملية التي يتعلمها العباد، ويعملون بها، وتعليمها للناس، كأحكام الطهارة، والصلاة، والزكاة، والصيام، والمعاملات ونحوها.

والقصد من معرفتها التعبد لله بها :﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۝١١﴾[المجادلة:١١].

وقال النبي ﷺ: « طلبُ العلمِ فريضةٌ على كلِّ مسلمٍ »أخرجه ابن ماجة والبزار [١].

---

(١) صحيح/ أخرجه ابن ماجة برقم (٢٢٤) والبزار برقم (٦٧٤٦).

٥ -أقسام العلماء

العلماء ثلاثة أقسام :

الأول : عالم مِلَّة، وهو العالم بالكتاب والسنة، وهذا هو العالم الرباني الذي يجب التعلم منه، والأخذ عنه :﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾[فاطر:٢٨].

الثاني : عالم أُمَّة، وهو الذي ينظر ما يُحب العامة، فيُفتي به وإن كان خلاف الحق عنده.

وهذا علمه وبال عليه، وسوف يُحاسب عليه :﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًاۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴿١٨٧﴾ لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا۟ بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا۟ فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨٨﴾﴾ [آل عمران:١٨٧-١٨٨].

الثالث: عالم دولة، وهو الذي ينظر ماذا يريد حاكم الدولة فيُفتي به وإن كان خلاف الحق.

وهذا علمه وبال عليه، وسوف يُحاسب عليه :﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَبَيَّنُوا۟ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾﴾[البقرة:١٥٩-١٦٠].

وعلماء المِلَّة هم العلماء الربانيون، وهم صفوة الأمة، لأنهم يقومون بأعمال النبوة، فهم ورثوا عن النبي ﷺ العلم والعمل، وآثار الصلاح، والفلاح، والاستقامة ظاهرة عليهم، ولهم سَمْتٌ وَوَقَارٌ يُعرفون به بين الناس :﴿وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ

﴿فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمْ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴿١٨﴾﴾
[الزمر:١٧-١٨].

وقال الله عز وجل: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَـٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْـَٔاخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴿٩﴾﴾[الزمر:٩].

علماء المِلَّة يُخالطون الخاصة والعامة طلبا للإصلاح، ويَبْذُلون النُصح للولاة من قلوبهم، مع التلطف في النصح، مع الثناء على مواطن الخير في حكام الناس، لأنهم يعلمون أن هذا مظنة قَبول الحق منهم: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُوْلَـٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾﴾[التوبة: ٧١].

فتارةً يُقبلُ نُصحهم، فيفرحون بذلك، ويشكرون ربهم على ذلك.

وتارةً لا يُقبل نُصحهم، فيصبرون ويعلمون أنه لا يجب عليهم أكثر من الأمر بالمعروف، والنهي عن المُنكر، وقد بدلوا وُسعهم في ذلك: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾
[آل عمران: ١٠٤].

وقال النبي ﷺ: «الدِّينُ النَّصِيحَةُ. قُلْنا: لمَنْ؟ قالَ: للهِ ولِكِتابِهِ ولِرَسولِهِ ولأَئِمَّةِ المُسْلِمِينَ وعامَّتِهِمْ» أخرجه مسلم[1].

علماء المِلَّة يتولون الوِلايات الشرعية، طلبًا لتحصيل المصالح وتكثيرها، ودرءاً للمفاسد وتقليلها، يبتغون بذلك مرضات الله ﷻ، فينفع الله بهم، ويكتب على أيديهم الخير الكثير، ويَدْرأُ بهم شرورا عظيمةً عن الأمة.

(١) أخرجه مسلم برقم (٥٥).

فهم يعملون بالحق، ويقيمون الأمة على الحق، ويتوكلون على ربهم، ويصبرون على ما قدر الله عليهم، لأنهم يتعبدون بذلك لربهم: ﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ ﴿٢٠﴾ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢١﴾ وَٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٢﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾﴾ [الرعد:١٩-٢٤].

علماء المِلَّة أبَرُّ الناس قلوبًا، وأشدُّهم خشيةً لله، وأحسنهم رحمةً، يُدارون الخواص والعوام، ولا يُداهنونهم على حساب الدين.

فالمداري فقيه، يتلطف بالشخص حتى يحُب الحق، ويعمل به، ويكره الباطل ويحذره.

أما المداهن فيتلطف بالشخص، ولا يُكدِّره، حتى لو أدى ذلك إلى إقراره على باطله، وتركه على هواه: ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١٧﴾﴾ [النحل:١١٦-١١٧].

وعلماء المِلَّة، بشرٌ يخطئون ويصيبون، فكل بني آدم خطاء، وخير الخطائين التوابون، وحسبهم أنهم مجتهدون، قائمون بالحق، وهم غير معصومين، لكن حسبهم أنهم أفضل أهل زمانهم، وصفوة مجتمعهم.

وهم متفاوتون في العلم، والعمل، والفقه، والفهم، وعلى قدر صدقهم مع ربهم، يجعل لهم ربهم المحبة في قلوب الخلق، والذكر الحسن فيما بينهم: ﴿أَمَّنْ هُوَ

﴿قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ سَاجِدٗا وَقَآئِمٗا يَحۡذَرُ ٱلۡأٓخِرَةَ وَيَرۡجُواْ رَحۡمَةَ رَبِّهِۦۗ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٩﴾[الزمر:٩].

وينقسم العلماء من حيث العلم الإلهي إلى ثلاثة أقسام :

الأول : عالم بالله، وأسمائه، وصفاته، وأفعاله. وعالم بأحكام دينه وشرعه، وثوابه وعقابه .

فهذا في أعلى الدرجات، وأرفع المنازل، وهذا، هو سبيل الأنبياء والصديقين.

وعلامة هذا العالم الرباني أنه دائمُ الذكر لربه، فهو مُعَظِّمٌ لربه، مُكبرٌ له، محُبٌّ له، مستحٍ منه، خائف منه، راجٍ له، متوكلٌ عليه، منيبٍ إليه، مطيعٍ لله ولرسوله، معلمٌ لشرعه، داعٍ إليه : ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ٣ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَمَغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ٤﴾[الأنفال:٢-٤].

الثاني : عالم بالله، غير عالم بأمر الله كما يجب

فهذا قد استولت معرفة الله على قلبه، فهو يرى عظمة الله، وجلاله، وجماله.

فهو دائم التعبد لله بالذكر، والتسبيح والحمد، والاستغفار، والتوبة، قد شغله ذلك عن التفرغ لتعلم الأحكام إلا ما لابد منه.

فهذا، على خير عظيم، لكنه دون الأول في العلم، والعمل، والمنزلة، والأجر.

الثالث : عالم بأوامر الله غير عالم بالله كما يجب.

وهذا هو الذي عرف الحلال، والحرام، والأركان، والواجبات، والسنن، والمباحات، لكنه لا يعرف أسرار جلال الله، وعظمته، وجماله، وحقوقه على عباده، فهذا على خير، لكنه دون الأول والثاني.

وأحسن هؤلاء الثلاثة عبودية لله، وطاعة له، هو العالم بالله، العالم بأحكامه، لأن علمه يورث محبة الله، وتعظيمه، وخشيته، والعمل بشرعه: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾ [فاطر:٢٨].

وقال ﷻ: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [السجدة:١٥-١٧].

ويجب على المسلمين طاعة الله، وطاعة رسوله، وطاعة أولي الأمر منهم، كما قال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾﴾ [النساء:٥٩].

وأولو الأمر هم الأمراء المتقون، والعلماء الربانيون، فهؤلاء هم المجاهدون في سبيل الله، الأمراء المتقون بأيديهم، والعلماء الربانيون بألسنتهم.

والأمراء المتقون يرجعون إلى العلماء الربانيين فيما أشكل عليهم: ﴿وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٣﴾﴾ [النساء:٨٣].

٦ - الأسباب المعينة على تعلم العِلم وتعليمه

الأول : العلم بفضائل العلم والعلماء، فمن عرف ذلك سارع إلى طلب العلم، والعمل به، وتعليمه للناس: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَـٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾﴾ [المجادلة: ١١].

وقال الله ﷻ: ﴿كُونُوا۟ رَبَّـٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَـٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [آل عمران: ٧٩].

وقال النبي ﷺ: «مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ» متفق عليه(١).

وقال ﷺ: «خيرُكُم مَن تعلَّمَ القرآنَ وعلَّمَهُ» أخرجه البخاري(٢).

الثاني: العلم بسيرة الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام، وأن الله فضلهم على الناس بالنبوة والعلم والحكمة. وهم قدوة للناس في كل ما أرسلهم الله به: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ [الأحزاب: ٢١].

وقال الله ﷻ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾﴾ [الجمعة: ٢].

الثالث : لزوم مجالس الإيمان، والعلم، والذكر، والانقطاع عن مجالس اللهو، والغفلة، والمعاصي: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾﴾ [الكهف: ٢٨].

الرابع : مجاهدة النفس، لتتعلم العلوم الشرعية، وتَعْمَل بها، وتُعَلِّمُهَا للناس: ﴿وَٱلَّذِينَ جَـٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾﴾ [العنكبوت: ٦٩].

الخامس : دعاء الله ﷻ أن يرزقه العِلْم النافع، والعمل الصالح، وتعليم الناس مما علمه الله: ﴿فَتَعَـٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۗ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٧١) ومسلم برقم (١٠٣٧).

(٢) أخرجه البخاري برقم (٥٠٢٧).

وَحْيُهُۥ ۖ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴿١١٤﴾ [طه: ١١٤].

والله كريم لا يرد سائلًا، ولا يُخَيِّبُ مؤملًا، وقد أمر الله عباد بالدعاء، ووعدنا بالإجابة، فقال سبحانه: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾ [البقرة: ١٨٦].

السادس: لزوم تقوى الله، والمحافظة على الفرائض، والاستكثار من النوافل: ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٨٢﴾﴾ [البقرة: ٢٨٢].

وقال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾﴾ [الأنفال: ٢٩].

السابع: إشعار النفس أنه لا يُمكن الإيمان بالله إلا بالعِلْم بالله، ولا تُمكِنُ طاعته وعبادته إلا بالعلم بأحكامه وأوامره، ولا يُمكن ترك معصيته إلا بالعلم بما نهى عنه: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾ [فاطر: ٢٨].

الثامن: الإكثار من ذِكْر الله ﷻ.

فمن ذكر الله آمن به، وكبره، وأحبه، وعبده، وتقرب إليه بما يُحبه ويرضاه، وأطاعه، ولم يعصه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾﴾ [الأحزاب: ٤١ - ٤٣].

التاسع: العلم بزينة العلم والعلم بقُبْح الجهل.

فمن عرف ذلك سارع إلى معرفة الله، ومعرفة أحكامه، والعمل بموجب ذلك: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾﴾ [محمد: ١٩].

العاشر: العلم بمكانة العلماء، وعظيم منزلتهم، وقدرهم عند ربهم: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾﴾ [المجادلة: ١١].

وقال الله ﷻ: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾﴾ [الزمر: ٩].

٧- ثمرات العلم الشرعي

للعلم الشرعي ثمرات عظيمة منها:

الأولى: طاعة الله ورسوله في طلب العلم: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾[الأحزاب: ٧١].

ومن أطاع الله ورسوله أسعده الله في الدنيا والآخرة: ﴿كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمۡ تُعَلِّمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمۡ تَدۡرُسُونَ ٧٩﴾[آل عمران:٧٩].

الثانية: العلم يرفع منزلة صاحبه عند الله ﷻ: ﴿يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ١١﴾[المجادلة: ١١].

الثالثة: أن العلماء هم أعظم الناس شهادةً لله بالوحدانية: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ١٨﴾[آل عمران:١٨].

الرابعة: أن طلب العلم سبيل إلى الجنة.

قال النبي ﷺ: « مَن سلكَ طريقًا يلتَمِسُ فيهِ علمًا، سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ بِهِ طريقًا إلى الجنَّةِ» أخرجه مسلم(١).

الخامسة: أن العلم يورث صاحبه خشية الله ﷻ: ﴿إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ٢٨﴾[فاطر:٢٨].

السادسة: أن العلم ميراث الأنبياء والمُرسلين عليهم الصلاة والسلام.

قال النبي ﷺ: « من سلك طريقا إن العلماء ورثة الأنبياء، إن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهما، وأورثوا العلم، فمن أخذه؛ أخذ بحظ وافر» أخرجه ابو داود والترمذي(٢).

السابعة: أن الملائكة تحضر مجالس الذكر والعلم، وتغشى من حضرها رحمة الله، وتنزل عليهم السكينة، ويذكرهم الله فيمن عنده.

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٦٩٩).

(٢) صحيح/ أخرجه أبو داود برقم (٣٦٤١) والترمذي برقم (٢٦٨٢).

قال النبي ﷺ: «لَا يَقْعُدُ قَوْمٌ يَذْكُرُونَ اللهَ ﷻ إِلَّا حَفَّتْهُمُ المَلَائِكَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَنَزَلَتْ عليهم السَّكِينَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَن عِنْدَهُ» أخرجه مسلم(١).

الثامنة : أن العلم يُكْسِبُ صاحبه نضارة في الوجه.

قال النبي ﷺ: « نَضَّرَ اللهُ امرأً سمِعَ منَّا شيئًا فبلَّغَهُ كما سمِعَهُ ، فرُبَّ مُبَلَّغٍ أوْعَى من سامِعٍ » أخرجه أحمد والترمذي (٢).

التاسعة : أن العلم الشرعي أشرف وأنفع موروث.

قال النبي ﷺ: « إِذَا مَاتَ الإِنْسَانُ انْقَطَعَ عنه عَمَلُهُ إِلَّا مِن ثَلَاثَةٍ: إِلَّا مِن صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو له» أخرجه مسلم(٣).

العاشرة : أن أهل السماوات والأرض يدعون بالخير للعلماء.

قال النبي ﷺ: « إن الله وملائكته وأهل السموات والأرضين، حتى النملة في جحرها، وحتى الحوت، ليصلون على معلم الناس الخير» أخرجه الترمذي والطبراني(٤).

الحادية عشرة : أن العلماء أحياءٌ في قلوب الناس، يذكرون علمهم، ويهتدون بعلمهم، ويدعون لهم.

الثاني عشرة : طلب العلم الشرعي يُساعد المسلم على معرفة حق الله، وحق رسوله، وحقوق خلقه، فيؤدي تلك الحقوق، ويفوز بأجرها: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ ﴿١٢﴾﴾[الملك: ١٢].

الثالثة عشرة : أن العلم مُهذب للنفوس، يُربي صاحبه على اكتساب الفضائل والآداب: ﴿إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾[فاطر: ٢٨].

الرابعة عشرة : أن العلم يزيد الشريف شرفا، ويَبْلُغُ بالعبد منازل الأحرار.

الخامسة عشرة : أن الناس يُبعثون يوم القيامة على ما ماتوا عليه، ويُبعث العالم

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٧٠٠) .

(٢)صحيح/ أخرجه احمد برقم (٤١٥٧) والترمذي برقم (٢٦٥٧).

(٣) أخرجه مسلم برقم (١٦٣١) .

(٤) صحيح/ أخرجه الترمذي برقم (٢٦٨٥) والطبراني برقم (٧٩١١).

عالما، والجاهل جاهلا.

السادسة عشرة : أن العلم نورٌ للبصيرة، يُبصرُ به المرء حقائق الأمور : ﴿ **أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ** (٤٦) ﴾[الحج:٤٦].

السابعة عشرة : أن طلب العلم أفضلُ الجهاد، وهو أفضل من الجهاد بالسِّنَان، لأن العلم جهاد بالحجة والبيان، وهو جهاد الأئمة والدعاة والعلماء كما قال سبحانه: ﴿ **فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُم بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا** (٥٢) ﴾[الفرقان:٥٢].

الثامنة عشرة : أن العلم والفقه في الدين، أعظمُ نِعْمة من الله ﷻ على العبد.

قال النبي ﷺ: « مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ » متفق عليه(١).

التاسعة عشرة : بالعلم تحيا القلوب وتستنير، فيعبد المسلم ربه على بصيرة : ﴿ **أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ** (١٩) ﴾

[الرعد:١٩].

العشرون : طلب العلم خير من الدنيا وما فيها، لأن نفع العلم ماضٍ الى يوم القيامة: ﴿ **فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ** (١٩) ﴾[محمد:١٩].

﴿ **رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ** (٥٣) ﴾

[آل عمران:٥٣].

﴿ **رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ** (٨) ﴾

[آل عمران:٨].

اللَّهُمَّ عَلِّمْنَا مَا يَنْفَعُنَا، وَانْفَعْنَا بِمَا عَلَّمْتَنَا، إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيم
اللَّهُمَّ آتِ نُفُوسَنَا تَقْوَاهَا، وَزَكِّهَا أَنْتَ خَيرُ مَنْ زَكَّاهَا، أَنْتَ وَلِيُّهَا وَمَوْلَاهَا.

---

(١)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٧١) ومسلم برقم (١٠٣٧) .

عبادات القلوب

في ضوء القرآن والسنة

العبادة الرابعة والستون

عِبَادة الدعــوة إلى الله

وتشتمل هذه العبادة العظيمة على المباحث الآتية :

الأول: فقه الدعوة إلى الله.

الثاني : القرآن الكريم كتاب الدعوة إلى الله.

الثالث: فضائل الدعوة إلى الله.

الرابع : حكم الدعوة إلى الله.

الخامس : وظيفة هذه الأمة الدعوة إلى الله.

السادس : عقوبة ترك الدعوة إلى الله.

العبادة الرابعة والستون

عِبَادة الدعــوة إلى الله

١ -فقـه الدعوة إلى الله

الإسلام هو الدين الكامل، الذي أكرم الله به البشرية. وهو أكبر نعمة أنعم الله بها على عباده: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة:٣] .

فالله ﷻ خلق هذا الكون العظيم ليدل على عظمته، وقدرته، وكمال علمه، وإحاطته، وكمال أسمائه، وصفاته، وأفعاله، ليُعبد الله وحده لا شريك له : ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾﴾[الطلاق:١٢].

وكل مخلوق من مخلوقات الله، بل كل ذرة في الكون، شاهدةٌ بوحدانية الله، ومتصاغرة لكبريائة،وذليلة لعزته، ومُستجيبةٌ لمشيئته، ومُسرعةٌ إلى إرادته، وناطقةٌ بعظمته، ومُسَبِّحَةٌ بحمده :﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾﴾[الإسراء:٤٤].

وجعل سبحانه لكل مخلوق في هذا الكون العظيم سنة يَسِيرُ عليها، وبها يتحقق مُرادُ الله منه، فلكل شيء سنةٌ لا تتبدل، ولا تتقدم، ولا تتأخر، إلا بأمر الله :﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾[الفتح:٢٣].

فالشمس لها سنة، والقمر له سُنة، والليل له سنة، والنهار له سنة، والجماد له سنة، والنبات له سنة، والحيوان له سنة، والرياح لها سنة، والمياه لها سنة، وهكذا: ﴿وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ

﴿٣٨﴾ وَٱلۡقَمَرَ قَدَّرۡنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلۡعُرۡجُونِ ٱلۡقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ وَكُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [يس:٣٨-٤٠].

والإنسان مخلوقٌ من مخلوقات الله ﷻ، محتاج إلى سنة يسير عليها في جميع أحواله، ليسعد في الدنيا والآخرة.

وهذه السنة هي الدين الذي أكرمه الله به، ورضيه له، ولا يَقْبَلُ منه غيرُه، وسعادته وشقاوته مرتبطة بمدى تمسكه به، أو إعراضه عنه، وهو أحْوج شيء إليه، وهو مخُتار في قَبوله أو رده.

وقد بينه الله له، ودعاه للدخول فيه، ورغَّبَهُ في العمل به، وحذره من مخُالفته: ﴿وَقُلِ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡۚ إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمۡ سُرَادِقُهَاۚ وَإِن يَسۡتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٖ كَٱلۡمُهۡلِ يَشۡوِي ٱلۡوُجُوهَۚ بِئۡسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتۡ مُرۡتَفَقًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجۡرَ مَنۡ أَحۡسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾﴾ [الكهف:٢٩-٣٠].

ولما خلق الله الإنسان، سخَّرَ له ما في السماوات وما في الأرض، وأسبغ عليه نِعمه الظاهرة والباطنة، وأنزل عليه الكتب، وأرسل إليه الرُّسُل، وزَوَّدَهُ بآلات العلم والمعرفة كالسمع والبصر والعقل، وشرفه بعبادة الله وحده لا شريك له، واجتناب عبادة ما سِواه: ﴿أَلَمۡ تَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَأَسۡبَغَ عَلَيۡكُمۡ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةٗ وَبَاطِنَةٗۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَلَا هُدٗى وَلَا كِتَٰبٖ مُّنِيرٖ ﴿٢٠﴾﴾ [لقمان:٢٠].

ومن رحمة الله أنه بعث في كل أمة رسولا: ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ فَمِنۡهُم مَّنۡ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنۡهُم مَّنۡ حَقَّتۡ عَلَيۡهِ ٱلضَّلَٰلَةُۚ فَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾﴾ [النحل:٣٦].

وقد امتن الله ﷻ على عباده بِنِعَمٍ كثيرةٍ لا تعد ولا تحُصى، أعظمها نعمةُ الإيجاد، ونعمةُ الإمْداد، ونعمةُ الهداية.

وأعظم هذه النِّعَم وأجَلُّها نِعمةُ الإسلام، الذي رضيه ديناً للبشرية،، وأرسل الله به محمدا ﷺ إلى الناس كافة كما قال سبحانه: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ فَمَنِ ٱضۡطُرَّ فِي مَخۡمَصَةٍ غَيۡرَ مُتَجَانِفٖ لِّإِثۡمٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٣﴾[المائدة:٣].

والإسلام هو الدين الحق، الذي أرسل الله به جميع أنبيائه ورُسله إلى خلقه، كما قال سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُ ﴾آل عمران: ١٩﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُ ﴾[آل عمران: ١٩] .

والله ﷻ هو الملك الحق الذي يفعلُ في ملكه ما يشاء بقدرته،فجعل سبحانه نور الشمس للعَالَمَ كله، وجعل الهواء للعالم كله، وجعل السُّحُب تُنزل الغيثَ في العالم كله، وجعل نبات الأرض قوتًا للعالم كله، وجعل الإسلام دينًا للعالم كله، وجعل القرآن كتابًا للعالم كله، وجعل محمدًا ﷺ رسولًا للعالم كله، وجعل الكعبة قبلةً للعالم كله، وجعل هذه الأمة خير أمةٍ وداعيةٍ للعالم كله.

والإسلام هدًى ورحمةً للعالمين، امتن الله به على خلقه أجمعين، وأرسل به سَيِّدُ المُرسلين وخاتم النبيين، وشرَّفَ أمته بالدعوة إليه إلى يوم الدين :﴿ هَٰذَا بَلَٰغٞ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ وَلِيَعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٥٢﴾[إبراهيم:٥٢].

والله ﷻ خلق الجِنَّ والإنس ليعبدوه وحده لا شريك له، كما قال سبحانه :﴿ وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ٥٦ مَآ أُرِيدُ مِنۡهُم مِّن رِّزۡقٖ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطۡعِمُونِ ٥٧ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلۡقُوَّةِ ٱلۡمَتِينُ ٥٨﴾[الذاريات:٥٦-٥٨].

وأرسل الله ﷻ رسوله محمدًا ﷺ نذيرًا للعالمين، ورحمةً لهم إلى يوم الدين، كما قال سبحانه :﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡفُرۡقَانَ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦ لِيَكُونَ لِلۡعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ١﴾ [الفرقان:١].

وقال الله ﷻ:﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾[الأنبياء:١٠٧].

وجعل سبحانه هذه الأمة خير أمة أخرجت للناس، تؤمن بالله، وتعبد الله، وتدعو

إلى دين الله، وتُعَلِّمُ شرع الله :﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ١١٠ ﴾[آل عمران: ١١٠].

وحقيقة الدعوة إلى الله هي وتعريفُ الناس بالله وأسمائه، وصفاته، وأفعاله، وخزائنه، ووعده، ووعيده، وتعريفهم بنِعَمِه وإحسانه، وتعريفهم بدينه وشرعه، وتعريفهم بثوابه وعقابه.

فَنُعَرِّف الناس بالله وأسمائه، وصفاته، وأفعاله لِيُعظموه، ويُكبروه، ويوحدوه، ويؤمنوا به .

ونعرفهم بعلمه وقُدرته، ليخافوه ويهابوه، ونعرفهم بخزائنه، ليسألوه، ويدعوه وحده، ونعرفهم بوعده، ليُسارعوا إلى طاعته، ونعرفهم بوعيده، ليبتعدوا عن معصيته، ونعرفهم بنعمه وإحسانه، ليشكروه ويحمدوه: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ٢٢ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ٢٣ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ٢٤ ﴾[الحشر: ٢٢ – ٢٤] .

ونعرفهم بدينه وشرعه، ليعبدوه وحده، بما شرع رسوله ﷺ،مع كمال الحب والتعظيم والذل لله ﷻ : ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ٣٣ ﴾[فصلت:٣٣].

وبهذا، يمتلئ القلب بالإيمان، والتوحيد، وتنقاد الجوارح لِلطَّاعَة والعبادة، مع كمال الحب، والتعظيم، والذل لله ﷻ.

وأصل الدعوة للداعي تركيزا، ليزيد إيمانه، وتحسُنُ أعماله وأخلاقه، كما قال سبحانه :﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ٦٩ ﴾ [العنكبوت:٦٩].

والدعوة كذلك لغير الداعي تذكيرًا له بالفطرة التي فطر الله عليها ذرية آدم حين خلقهم وأشهدهم على أنفسهم، كما قال سبحانه: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَـٰذَا غَـٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾﴾ [الأعراف:١٧٢].

فالداعي يُذكِّر الناس بهذا العهد، ليعبدوا ربهم الذي شهدوا له بالوحدانية والربوبية من قبل، كما قال سبحانه: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾ إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ﴿٢٣﴾ فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَكْبَرَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾﴾ [الغاشية:٢١-٢٦].

ومن رحمة الله ﷻ بعباده أنه كلما ضَعُف الإيمان، ووقع الناس في الشرك، أرسل الله إليهم رسولا يدعوهم إلى التوحيد، وعبادة الله وحده لا شريك له، واجتناب عبادة ما سواه: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّـٰغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَـٰلَةُ ۚ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾﴾ [النحل: ٣٦].

وكان كلُّ رسولٍ يُبعث إلى قومه خاصةً، حتى ختم الله النبوة والرسالة بخاتم الأنبياء، وسيد المرسلين، نبينا محمدٍ ﷺ.

فاصطفى الله رسوله محمدًا ﷺ بالنبوة والرسالة، وأرسله بالهدى ودين الحق إلى الناس كافة، إلى يوم القيامة: ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَـٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾﴾ [الأعراف: ١٥٨].

فبلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وجاهد في الله حق جهاده، وترك الأمة على البيضاء ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا هالك: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا

مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴿٢﴾ [الجمعة:٢].

فصلوات الله وسلامه على رسول رب العلمين، وخاتم النبيين محمد ﷺ: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٖ مِّن رِّجَالِكُمۡ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٗا ﴿٤٠﴾ [الأحزاب:٤٠].

فهو سيد الأنبياء والرسل ﷺ، وأمته خير الأمم وأفضلها: ﴿كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِۗ﴾ [آل عمران: ١١٠].

وقد ختم الله الأنبياء والرسل ببعثة محمدٍ ﷺ، وختم الأمم بهذه الأمة، وأعطاها وظيفة الأنبياء والرسل وهي الدعوة إلى الله في مشارق الأرض ومغاربها، إلى أن تقوم الساعة. ولهذا كانت أفضل الأمم في الدنيا والآخرة وأكثر أهل الجنة.

ولعظمة هذا العمل، وشرف هذه الوظيفة، وثقل هذه المسؤولية، فقد ربى الله هذه الأمة عليه من أول يوم كما ربى الأنبياء، واصطفى هذه الأمة واجتباها لذلك من بين الأمم، وتوج هذه الأمة من أجل القيام بالدعوة إلى الله بأربعة تيجان فاقت بها من سِواها من الأمم السابقة:

الأول: تاج الخيرية: ﴿كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِۗ وَلَوۡ ءَامَنَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۚ مِّنۡهُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَأَكۡثَرُهُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾ [آل عمران: ١١٠].

الثاني: تاج الاجتباء: ﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ مِن قَبۡلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيۡكُمۡ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِۚ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعۡتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوۡلَىٰكُمۡۖ فَنِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٧٨﴾ [الحج:٧٨].

الثالثوالرابع: تاج الوسطية، وتاج الشهادة على الناس يوم القيامة، كما قال

سبحانه: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗاۗ﴾[البقرة:١٤٣].

وأفضل قرون هذه الأمة هو القرن الذي عاش فيه النبي ﷺوأصحابه رضي الله عنهم، الذين كانت في حياتهم أعظم الصفات، يجمعها ست صفات، جعلتهم خير القرون وهي: الإيمان، وعبادة الله وحده، والدعوة إلى الله، والتعلم والتعليم، والجهاد في سبيل الله، ومكارم الأخلاق.

ولما أعطى الله ﷻهذه الأمة هذا الدين، وأكرمها بوظيفة الأنبياء والرسل وهي الدعوة إلى الله، فقد أبقى لها من البلاد والعباد والزمان ما يكون ميدانًا لدعوتها في مشارق الأرض ومغاربها إلى أن تقوم الساعة: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١٠٠﴾ [التوبة:١٠٠].

وقال الله عز وجل: ﴿كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِۗ وَلَوۡ ءَامَنَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۚ مِّنۡهُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَأَكۡثَرُهُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ١١٠﴾[آل عمران: ١١٠].

٢ - القرآن الكريم كتاب الدعوة إلى الله

أنزل الله القرآن الكريم تبيانا لكل شيء، كما قال سبحانه: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ (٨٩)﴾[النحل:٨٩].

فالقرآن العظيم كتاب التوحيد والإيمان، وكتاب الدعوة إلى الله، وكتاب الهداية، وكتاب العلوم النافعة، وكتاب الأجر والثواب.

فالقرآن العظيم كتاب التوحيد والإيمان، فقد ذكر الله فيه براهين التوحيد، ودلائل الوحدانية، وأركان الإيمان، وصفات المؤمنين، وثمرات ذلك في الدنيا والآخرة.

وبين الله في القرآن قصص الأنبياء والرسل في مجال الدعوة إلى الله، لنقتدي بهم، وكشف لنا أخطاء الأمم السابقة، وحذرنا من الوقوع فيها، كما في سورة البقرة، وآل عمران، والأعراف، والشعراء، ويونس، وهود، وإبراهيم، ويوسف، والأنبياء، وغيرها من السور: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (١١١)﴾[يوسف:١١١].

والقرآن الكريم كتاب الهداية، كما قال سبحانه: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ (١٥) يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (١٦)﴾[المائدة:١٥-١٦].

والقرآن الكريم كتاب العلوم والأحكام، كما قال سبحانه: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ (٨٩)﴾[النحل:٨٩].

والقرآن العظيم كتاب الأجر والثواب، فقراءة الحرف منه بحسنة، والحسنة بعشر حسنات.

قال رسول الله ﷺ «من قرأ حرفًا من كتاب الله فله به حسنةٌ، والحسنةُ بعشر أمثالها

لا أقولُ (الم) حرفٌ ولكنْ (ألفٌ) حرفٌ و(لامٌ) حرفٌ و(ميمٌ) حرفٌ » أخرجه الترمذي والبيهقي[1].

فإذا قمنا بالدعوة إلى الله نزلت الهداية، وإذا نزلت الهداية جاءت الرغبة فى العمل بالأحكام وقراءة القرآن .

وأعظم مقاصد القرآن الكريم تعلم التوحيد والإيمان، وإخلاص العبادة لله ﷻ، ومعرفة صفات المؤمنين، وتعلم الدعوة إلى الله، والاقتداء بالأنبياء والرسل فى الإيمان، وصدق اليقين، وحُسن الخُلُق، والقيام بالدعوة إلى الله، والاهتداء بما فى القرآن الكريم من أعظم العلوم، وهو معرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله، ومعرفة قُدرة الله وعظمته، وسِعة عِلمه، وعموم إحاطته، وسعة رحمته ومغفرته، ومعرفة نعمه وإحسانه :﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾[محمد:١٩].

والله ﷻ ذكر أحكام الشريعة كلها مجُملة فى القرآن الكريم، وفصلها النبى ﷺ فيسنته ؛ ولكنه سبحانه فصل جُهد الدعوة إلى الله فى القرآن الكريم تفصيلا شافيًّا، كافيًّا، كاملًا، وبينها النبى ﷺ فى سيرته.

فالقرآن لم يُفصِّل عبادات الأنبياء، لا حج آدم ﷺ، ولا صلاة إبراهيم ﷺ، ولا صيام داوود ﷺ، لكنه أخبر بها إجمالا .

والله سبحانه لم يُبين قصة عابدٍ واحدٍ فى القرآن، ولكنه بين فى القرآن بالتفصيل : دعوة الأنبياء والرسل إلى الله ﷻ، وما حصل لهم من الأذى والتكذيب، وبين صبرهم ورحمتهم لأممهم، وبين كيف نصرهم الله، وخذل أعداءهم، ودعانا للاقتداء بهم، لأن هذه الأمة مبعوثة بالدعوة إلى الله، وقدوتها الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وفى مقدمتهم نبينا محمد ﷺ، كما قال سبحانه :﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾[الأحزاب:٢١].

---

(١) صحيح/ أخرجه الترمذي برقم (٢٩١٠) والبيهقي برقم (١٩٨٣).

٣-فضائل الدعوة إلى الله

قال الله تعالى ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾﴾ [فصلت: ٣٣ - ٣٤].

وقال الله ﷻ: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾﴾ [آل عمران: ١٠٤-١٠٥].

وقال ﷻ: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾﴾ [آل عمران: ١١٠].

وقال ﷻ: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾﴾ [النحل: ١٢٥].

وقال النبي ﷺ: «مَن دعا إلى هُدًى كان له مِن الأجر مِثْل أجور مَن تبعهُ لا ينقُصُ ذلك مِن أجورهم شيئًا، ومَن دعا إلى ضلالةٍ كان عليه مِن الإثم مِثْل آثام مَن تبعهُ لا ينقُصُ ذلك مِن آثامِهم شيئًا» اخرجه مسلم(١).

وعن سهل ابن سعد رضى الله عنه أن رسول الله ﷺقال لعلى ابن أبى طالب رضى الله عنه يوم خيبر: «انْفُذْ على رِسْلِكَ حتّى تنْزلَ بساحَتِهِمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إلى الإسْلَام، وأَخْبرْهُمْ بما يجِبُ عليهم مِن حَقِّ اللهَّ فِيهِ، فَوَاللهَّ لَأَنْ يَهْدِيَ اللهُّ بك رَجُلًا واحِدًا، خَيْرٌ لكَ مِن أنْ يَكونَ لكَ حُمْرُ النَّعَم» متفق عليه(٢).

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٦٧٤).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٤٢١٠) ومسلم برقم (٢٤٠٦).

٤- حكم الدعوة إلى الله ﷻ

الله ﷻ أكرم هذه الأمة بأن جعل أعمارها قليلة، وأجورها مُضاعفة، وذنوبها مغفورة، وعيوبها مستورة وذلك من أجل قيامها بأعمال الأنبياء من الدعوة إلى الله، وعبادة الله وحده لا شريك له.

والله ﷻ اختار هذه الأمة، واجتباها من بين سائر الأمم، وكرمها وشرفها بهذا الدين والدعوة إليه إلى يوم القيامة﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۗ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾[آل عمران: ١١٠].

فالدعوة إلى الله واجبة على كل مسلم ومسلمة. كل بحسب علمه وقدرته. والدعوة إلى الله مسؤولية الأمة جميعا، وحاجة الأمة لها، بها يزيد الإيمان، ويهتدي الناسُ بإذن الله ﷻ : ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾[العنكبوت:٦٩].

وقال الله ﷻ: ﴿ قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ۖ وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾[يوسف:١٠٨].

وهذا النص عام، مطلق فى الزمان ليلًا ونهارًا، ومطلق فى المكان شمالًا وجنوبًا وشرقًا وغربًا، ومطلق فى الجنس العرب والعجم.

ومطلق فى النوع الرجال والنساء، ومطلق فى السن الكبار والصغار. ومطلق فى اللون الابيض والأسود. ومطلق فى الطبقات السادة، والعبيد، والأغنياء، والفقراء.

ومطلق فى الأحوال، المقيم والمسافر، والمطلق والسجين، والصحيح والمريض.

فالدعوة لهؤلاء واجبة لأنهم من الناس، وهذا الدين لكل الناس، والدعوة من هؤلاء إذا أسلموا واجبة، لأنهم من أمة محمد ﷺ، خير أمة أُخرجت

للناس: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾[النحل:١٢٥].

وقال الله ﷻ: ﴿ هَٰذَا بَلَٰغٞ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ وَلِيَعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿٥٢﴾ ﴾[إبراهيم:٥٢].

وقال ﷻ: ﴿ وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾[آل عمران:١٠٤].

وقال النبي ﷺ يوم النحر في حجة الوداع مخاطبًا جميع من آمن به من أصحابه عربًا وعجمًا، رجالًا ونساءً، أبيضهم وأسودهم، غنيهم وفقيرهم، سادتهم ومماليكهم: «لِيُبَلِّغ الشَّاهِدُ الغَائِبَ، فإِنَّ الشَّاهِدَ عَسَى أَنْ يُبَلِّغَ مَن هو أَوْعَى له منه» متفق عليه(١).

وعن عبد الله ابن عمرو رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: « بلِّغوا عني ولو آية، وحدِّثوا عن بني إسرائيل ولا حرَج، ومَن كذب عليَّ متعمِّدًا فليتبوَّأْ مقعدَه من النار» أخرجه البخاري (٢).

وببذل الجُهد لإعلاء كلمة الله ونشرها، تحصل لنا الهداية، ولغيرنا من الناس، كما قال سبحانه: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾ [العنكبوت:٦٩].

فالدعوة إلى الله واجبة على كل أحد من الرجال والنساء، كل بحسب علمه وقدرته، والمسلمون قسمان:

الأول: عالم يُبين الحق بنفسه، ويدعو الناس إلى اتباعه كما قال مؤمنُ آل فرعون. ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِيٓ ءَامَنَ يَٰقَوۡمِ ٱتَّبِعُونِ أَهۡدِكُمۡ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٣٨﴾ يَٰقَوۡمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا مَتَٰعٞ وَإِنَّ ٱلۡأٓخِرَةَ هِيَ دَارُ ٱلۡقَرَارِ ﴿٣٩﴾ مَنۡ عَمِلَ سَيِّئَةٗ فَلَا يُجۡزَىٰٓ إِلَّا

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٧) ومسلم برقم (١٦٧٩).

(٢) أخرجه البخاري برقم (٣٤٦١).

مِثْلَهَاۖ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ يُرۡزَقُونَ فِيهَا بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴿٤٠﴾ [غافر: ٣٨-٤٠].

الثاني : مسلم لكنه غير عالم، فهذا يأمر الناس، ويدعوهم إلى اتباع الرُّسل والعلماء الربانيين، كما قال الله تعالى عن صاحب ياسين :﴿ وَجَآءَ مِنۡ أَقۡصَا ٱلۡمَدِينَةِ رَجُلٞ يَسۡعَىٰ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱتَّبِعُواْ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿٢٠﴾ ٱتَّبِعُواْ مَن لَّا يَسۡـَٔلُكُمۡ أَجۡرٗا وَهُم مُّهۡتَدُونَ ﴿٢١﴾ [يس: ٢٠-٢١].

فالكل يقوم بالدعوة إلى الله، لِيُعْبد الله وحده لا شريك له، ويُطاع فى مُلكه وحده لا شريك له، العالم يُبين الحق بنفسه، وغير العالم يُرشد الناس إلى اتباعالرسلوالعلماء الذين هم أعرف الخلق بالله، وتلك هى التجارة الرابحة بلا ريب، وبهذا وهذا، يظهر الحق فى العالم، ويزهق الباطل فيالعالم ، كما يريد الله ﷻ: ﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ﴿٣٣﴾ [التوبة: ٣٣].

وقال الله ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ﴿١٠﴾ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿١١﴾ [الصف: ١٠-١١].

الدعوة إلى الله هى وظيفة هذه الأمة كلها، وهى أُمُّ الأعمال الصالحة كلها، وهى أوجب الواجبات بعد التوحيد والعبادة، فإذا قامت الدعوة إلى الله، وُلِد المؤمنون، والمصلون، والصائمون، والعابدون، والمتقون، والمحسنون، وغيرهم، ودخل الناس فى دين الله أفواجا، وخرجوا من الدنيا إلى الجنة .

وإذا تُركت الدعوة إلى الله خرج الناس من الدين أفواجا، وكثُر الكُفر والخبث،وظهرالكافرون، والملحدون، والفاسقون، والظالمون، والكاذبون، والمفسدون، والمجرمون، وخرج الناس من الدنيا إلى النار.

أما الفتاوى فى مسائل الأحكام، فمن علم حُكمًا أفتى به، ومن جهله دل المُستفتي على العُلماء الذين اختصهم الله بمزيد من العلم والفقه، والفهم،

والحفظ، والدال على الخير كفاعله.
فالدعوة إلى الله تُنتج المهتدين، والتعليم يُنتج المفتين، لكنه لخواص الأمة، وكل منهما مطلوب، شرعا، الدعوة من عموم المسلمين، والإفتاء من خواص المسلمين وهم العلماء.
والدعوة إلى الله أيسر شيء، فهي تذكير بمسائل الإيمان البينة، وتوضيح الواضحات: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾ إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ﴿٢٣﴾ فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَكْبَرَ ﴿٢٤﴾﴾[الغاشية:٢١-٢٤].
فالدعوة إلى الله، والأمر بالمعروف، والنهى عن المُنكر، واجب الأمة كلها، كل أحد بحسب عِلمه وقدرته وبصيرته، وقد قام بها أصحاب النبى ﷺ من أول يوم قبل نُزُول أحكام الصلاة والزكاة، والصيام والحج وغيرها.
وهذه الأمة مزاجُها التضحيات، والجُهد لإعلاء كلمة الله، ونشر الإسلام فى مشارق الأرض ومغاربها إلى قيام الساعة: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾[يوسف:١٠٨].
وقال الله ﷻ: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾﴾[التوبة:٧١].
وقال النبى ﷺ: « بلِّغُوا عَنِّى وَلَوْ آيَة » أخرجه البخاري [(١)].
والخطاب عام لجميع الأمة من الرجال والنساء، وشرف للرجال والنساء.
والدعوة إلى الله تكون بطريقين:
الأول: طريق اللين.
وهو الدعوة إلى الله بالحكمة، والموعظة الحسنة، وإيضاح الأدلة والبراهين بأحسن أسلوب وألطفه، وهذا هو الطريق المطلوب، المشروع بدايةً ونهايةً مع

---
(١) أخرجه البخاري برقم (٣٤٦١).

جميع الخلق: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ (١٢٥)﴾ [النحل: ١٢٥].

الثانى : طريق القوة، والشدة، والجهاد فى سبيل الله ضد المستكبرين، المُعاندين، والظالمين.

فإذا لم يستجب الكُفَّار للدعوة باللين، تعين طريق القوة بالجهاد فى سبيل الله، حتى تُفتَح البلاد، ويُعْبَد الله وحده، وتُقَام حدوده، وتزول الفتن، ويكون الدين كله لله فى مُلْكِه.

ثم من شاء من الأفراد فليؤمن، ومن شاء فليكفر، فلا إكراه فى الدين .

والجهاد فى سبيل الله ﷻ لا يكون إلا بعد إقامة الحجة على الناس بالدعوة إلى الله، ليكون الدين كله لله : ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ (١٩٣)﴾ [البقرة:١٩٣].

وقال الله ﷻ: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٢٥٦)﴾ [البقرة:٢٥٦].

وقال النبى ﷺ : « أُمِرْتُ أَن أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَن لا إِلهَ إِلاَّ اللهَّ، وأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهَّ، ويُقِيمُوا الصَّلاةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكاةَ، فَإِذا فَعَلوا ذلكَ، عَصَمُوا مِنِّى دِمَاءَهُمْ وأَمْوَالَهم إِلاَّ بحَقِّ الإِسلام، وحِسابُهُمْ عَلى اللهَّ» متفق عليه(١).

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٢٥) ومسلم برقم (٢٢).

٥ - وظيفة هذه الأمة الدعوة إلى الله ﷻ

الله ﷻ شرف هذه الأمة كالأنبياء والرسل بالدعوة إلى الله. فقال ﷻ: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ [آل عمران: ١٠٤].

فهذه الدنيا كالجسد، وروحها الدين، وروح الدين الدعوة إلى الله، وروح الدعوة التضحية بكل شيء من أجل الدين، وروح التضحية بذل المحبوب، وترك المحبوب من أجل الدين، وروح البذل والترك الهجرة والنُّصرة من أجل إعلاء كلمة الله ﷻ كما فعل النبي ﷺ وأصحابه: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوا وَّنَصَرُوا أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٧٤﴾﴾ [الأنفال: ٧٤].

ولإحياء الدين كله فى العالم كله لابد من الهجرة والنصرة، لينتشر الدين فى العالم كله، كما فى القرن الأول، فالمهاجرون تركوا كل شىء من أجل الدين، والأنصار قد بذلوا كل شىء من أجل الدين، فجاءت الثالثة، وهى قيام الدين، ورضوان الله عنهم،ورِضْوَانهم عن ربهم، كما قال سبحانه :﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ [التوبة: ١٠٠].

وحقيقة المُجاهدة لإعلاء كلمة الله، وإبلاغ دينه فى مشارق الأرض ومغاربها، تكون بإتمام العمل، والتضحية بكل شىء من أجله، والاستقامة عليه حتى الممات، كما استقام عليه الأنبياء والرسل وأصحاب محمدٍ ﷺ.

وبذل الجُهْدِ لإعلاء كلمة الله يكون بما يلي :

أن كل مسلم عليه جهد على نفسه بالاستقامة، وحُسن العبادة، وجهد على غيره بالدعوة، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر: ﴿فَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطۡغَوۡاْۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ١١٢﴾ [هود: ١١٢].

وبذل الجهد لإعلاء كلمة الله ﷻ يكون بثلاثة أمور:

الأول: جهد على الكافر لعله يهتدي، كما قال سبحانه: ﴿أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۚ بَلۡ هُوَ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوۡمٗا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٖ مِّن قَبۡلِكَ لَعَلَّهُمۡ يَهۡتَدُونَ ٣﴾ [السجدة: ٣].

الثاني: جهد على العاصي ليكون مطيعًا، وعلى الجاهل ليكون عالمًا، وعلى الغافل ليكون ذاكرًا، كما قال سبحانه: ﴿وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ١٠٤﴾ [آل عمران: ١٠٤].

الثالث: جهد على الصالح ليكون مُصْلِحًا، وعلى الذاكر ليكون مُذكرًا، وعلى العالم ليكون مُعَلِّمًا، كما قال سبحانه: ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ٣﴾ [العصر: ١-٣].

وقال ﷻ: ﴿فَذَكِّرۡ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٞ ٢١﴾ [الغاشية: ٢١].

وقال ﷻ: ﴿كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمۡ تُعَلِّمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمۡ تَدۡرُسُونَ ٧٩﴾ [آل عمران: ٧٩].

والله ﷻ رحيم بعباده، اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم، ووعدهم على ذلك الجنة كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقۡتُلُونَ وَيُقۡتَلُونَۖ وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقّٗا فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ وَٱلۡقُرۡءَانِۚ وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِۚ فَٱسۡتَبۡشِرُواْ بِبَيۡعِكُمُ ٱلَّذِي بَايَعۡتُم بِهِۦۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١١١﴾ [التوبة: ١١١].

فعلى المسلم أن يَقْضِي أوقاته على الكيفية التي قضاها رسول الله ﷺ وأصحابه.
فيُؤدي فرائض الله ﷻ، ويمتثل لأمر ربه في كل حال من أحواله كل يوم، عند الوضوء، وعند الأكل، وعند النوم، وعند الصلاة، وفي سائر أحواله.
ويصرف جزءً يسيرا من وقته في أمور الكسب والمَعاش.
وجُلَّ وقته يدعو الناس إلى الله، كي يعبدوا الله وحده لا شريك له، ويوحدوه.
فإذا فرغ أو لم يتيسر له من يدعوه، تزود من العِلم أو عَلَّم غيره من المسلمين أحكام الدين.
فإذا فرغ أو لم يتيسر له من يُعلمه أو يتعلم منه، اشتغل بخدمة إخوانه المسلمين، وقضاء حاجاتهم، والتعاون على البرِّ والتقوى.
فإذا فرغ أو لم يتيسر له أن يقوم بذلك، اشتغل بنوافل العبادات كالسنن المطلقة، وتلاوة القرآن، والأذكار، ونحوها من القُرَب، والأعمال الصالحة، وهكذا يُقدم ما نفعه عام للناس في كل حال: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾﴾ [التوبة:٧١].
وقد وعد الله من قام بذلك بالفوز العظيم: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾﴾ [التوبة:٧٢].

٦ - عقوبة ترك الدعوة إلى الله ﷻ

كان في القَرن الأول الذين رضي الله عنهم ورضوا عنه، حقيقة الإيمان،وحقيقة العبادة، وحقيقة الدعوة، والتضحية بكل شيء من أجل إعلاء كلمة الله، وحياة البساطة. وأول ما خرج من حياة الأمة جُهْد الدعوة إلى الله، ثم التضحية، ثم حياة البساطة، وبقيت صورة العبادة.

وقد اجتهد الأعداء على هذه الصفات حتى أخرجوها من حياة الأمة، فانقلب الحال، وصار الجُهْدُ والتضحية للدنيا، وصار الإنسان يسعى ليعيش بالرفاهية، وصار المجتمع يَسْتَنْكِر فاحشة الزنا، والربا، وشُرب الخمور ؛ ولا يستنكر ترك الدعوة إلى الله، وخروجها من حياة الأمة.

وكانت العبادة والدعوة إلى الله في زمان النبي ﷺوأصحابه على كل الأمة، ثم صارت العبادة في الأمة، والدعوة على بعض أفراد الأمة، فَقَلَّ الدُّعَاة، فَحَلَّت بالأمة المصائب، والعقوبات، وكثر الخبث.

ولا يصلُحُ آخر هذه الأمة إلا بما صَلَحَ به أولها، وعُقوبة ترك الأوامر، وفِعْل النواهي، تكون على المذنب ومن تابعه أو سكت عنه.

أما عُقوبة ترك الدعوة إلى الله فتكون باستبدالهم بغيرهم كما قال سبحانه :﴿وَإِن تَتَوَلَّوۡاْ يَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمۡثَٰلَكُم ٣٨﴾[محمد:٣٨].

وتَارِك الدعوة إلى الله، وكَاتِمُ البينات والهُدى، مَلْعُون بنص القرآن، إن لم يتب، كما قال سبحانه :﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ

لِلنَّاسِ فِي ٱلْكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَبَيَّنُواْ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾﴾[البقرة:١٥٩-١٦٠].

تابوا من بعد ما ظلموا، وأصلحوا ما أفسدوا، وبينوا ما كتموا.

واللسان مَعُونُ الذِّكْرِ والدُّعاء، والدعوة والتعليم، والجوارح ماعون الطاعات والإنفاق.

وقد توعد الله مانع الماعون بقوله سبحانه: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ﴿٦﴾ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ﴿٧﴾﴾[الماعون:٤-٧].

وقد لعن الله بني إسرائيل لما كفروا بالملة، ونقضوا العهد، وتركوا الدعوة إلى الله، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، واستبدلهم الله بهذه الأمة التي هي خير أمة أخرجت للناس: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾ تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي ٱلْعَذَابِ هُمْ خَٰلِدُونَ ﴿٨٠﴾﴾[المائدة:٧٨-٨٠].

وقال الله عَزَّ وَجَلَّ عن هذه الأمة: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾﴾[آل عمران:١١٠].

والواجب على المسلم أن يَمتثِل جميع أوامر الله، ويجتنب جميع نواهيه.

فالصلاة أمْرُ الله، والزكاة أمْرُ الله، والصوم أمْرُ الله، وهذه أوامر يجب امتثالها، وكذلك الدعوة إلى الله هي أمر الله، كما قال سبحانه: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ

بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴿١٢٥﴾﴾ [النحل:١٢٥].

وقال ﷻ: ﴿وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ [آل عمران:١٠٤].

فيجب على الأمة امتثال أمر الله في هذا وفي هذا، وإلا فلهم الخزي في الدنيا، والعذاب في الأخرة: ﴿أَفَتُؤۡمِنُونَ بِبَعۡضِ ٱلۡكِتَٰبِ وَتَكۡفُرُونَ بِبَعۡضٖۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفۡعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمۡ إِلَّا خِزۡيٞ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلۡعَذَابِۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ﴿٨٥﴾﴾ [البقرة:٨٥].

﴿رَبَّنَا هَبۡ لَنَا مِنۡ أَزۡوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعۡيُنٖ وَٱجۡعَلۡنَا لِلۡمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾﴾ [الفرقان:٧٤].

﴿رَبَّنَا لَا تُزِغۡ قُلُوبَنَا بَعۡدَ إِذۡ هَدَيۡتَنَا وَهَبۡ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةًۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ ﴿٨﴾﴾ [آل عمران:٨].

اللَّهُمَّ آتِ نُفُوسَنَا تَقْوَاهَا، وَزَكِّهَا أَنْتَ خيرُ مَنْ زَكَّاهَا، أَنْتَ وليُّهَا وَموْلاَهَا.

اللهم أرنا الحق حقا، وارزقنا إتباعه، وأرنا الباطل باطلا، وارزقنا اجتنابه.

عبادات القلوب

في ضوء القرآن والسنة

العبادة الخامسة والستون

عِبَـادة الإحســـــان

وتشتمل هذه العبادة العظيمة على المباحث الآتية :

الأول: فقه الإحسان.

الثاني : منزلة الإحسان.

الثالث: فضائل الإحسان .

الرابع : أقسام الإحسان.

الخامس : كيفية الإحسان.

السادس : صور الإحسان.

السابع : الأسباب المعينة على الإحسان.

العبادة الخامسة والستون

عِبَادة الإحســــان

١ -فقه الإحسان

الإحسان مأخوذ من الحُسن، الذي هو الجمال والبهاء لكل ما يصدر عن العبد من خَطراتٍ وأقوالٍ وأفعالٍ وأخلاق.

الإحسان في الشرع: أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك.

قال النبي ﷺ لجبريل عندما سأله عن الإحسان: «الإحسان أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فإِنْ لمَ ْتَكُنْ تَرَاهُ فإِنَّه يَرَاكَ» متفق عليه[1].

والإحسان أعظم عبوديات القلب، سواءٌ كان فيما بين العبد وربه بحُسن عبادته، أو فيما بين العبد والخَلْق بحُسن الخُلُق.

ولهذا، أمر الله به جميع الخَلق بقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾﴾[النحل:٩٠].

وقال ﷻ: ﴿وَأَحْسِنُوٓا۟ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾﴾[البقرة:١٩٥].

والإحسان عبادة عظيمة، وهو الذي خلقنا الله من أجله، كما قال سبحانه: ﴿تَبَـٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾﴾[الملك:١ -٢].

ومن أحسنَ عبادة الله، وأحسن إلى خلق الله، كافأه الله بأحسن من عمله، كما قال سبحانه: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿٢٦﴾﴾[يونس:٢٦].

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٥٠) ومسلم برقم (٩).

وأهلُ الإحسان أهل مَعِيَّة الله ﷻ : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ۝١٢٨﴾[النحل:١٢٨].

وأهل الإحسان أهل محبة الله، كما قال سبحانه :﴿وَأَحْسِنُوٓا۟ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ۝١٩٥﴾[البقرة:١٩٥].

وأهل الإحسان أهل رحمة الله، كما قال سبحانه :﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ۝٥٦﴾[الأعراف:٥٦].

والإحسان خُلُق عظيم يدخل في جميع الأقوال، والأعمال، وجميع العبادات، والمعاملات، وجميع الآداب والأخلاق.

والقلوب مجبولة على حُبِّ من أحسن إليها، وعلى بُغْضِ من أساء إليها. ولا أحد أعظم إحسانا إلى الخلق من الله ﷻ.

فهو الذي خلقهم، ورزقهم، وملأ لهم هذا الكون العظيم بنِعَمِه التي لا تُعد ولا تحصى، وسخر لهم ما في السماوات وما في الأرض، فليعبدوه وحده لا شريك له :﴿أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ۝٢٠﴾ [لقمان:٢٠].

وهو سبحانه المُحسن الذي أحسن إلى عباده بأنواع الإحسان، فخلقهم في أحسن تقويم، وأكرمهم بالسمع، والبصر، والعقل، وهداهم إلى الدين الحق، وأرسل إليهم الرُّسُل، وأنزل عليهم الكتب، وأكرمهم بأنواع الكرامات، ليؤمنوا بربهم الذي خلقهم، ويشكروه على نِعمه التي لا تُعد ولا تحصى، ويعبدوه وحده لا شريك له، ليسعدوا في الدنيا والآخرة :﴿ ۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ۝٧٠﴾[الإسراء:٧٠].

ومن رأى هذا الإحسان العظيم من الرب الكريم، آمن به، وأخلص له العبادة وحده لا شريك له: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ٢١ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٢٢﴾[البقرة:٢١-٢٢].

وجزاء الخلق يوم القيامة حسب الإحسان أو الإساءة، فمن أحسن العمل في الدنيا، فاز بأحسنِ مطلوب ومرغوب، وهو الجنة ورِضوانُ الله ﷻ.

ومن أساء العمل في الدنيا، باء بالنار وسخط الجبار: ﴿لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٞۖ وَلَا يَرۡهَقُ وُجُوهَهُمۡ قَتَرٞ وَلَا ذِلَّةٌۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٢٦ وَٱلَّذِينَ كَسَبُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ جَزَآءُ سَيِّئَةِۭ بِمِثۡلِهَا وَتَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞۖ مَّا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنۡ عَاصِمٖۖ كَأَنَّمَآ أُغۡشِيَتۡ وُجُوهُهُمۡ قِطَعٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِ مُظۡلِمًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٢٧﴾[يونس:٢٦-٢٧].الإحسان أن يَعْبُد المسلم ربه في الدنيا على وجه المُشاهدة والمُراقبة، كأنه يراه بقلبه وينظر إليه حال عبادته بأسمائه، وصفات جلاله وجماله.

الإحسان هو فعل الحسنات، والحسنات هي فِعل الواجبات والمستحبات، وترك المُحرمات والمكروهات، ابتغاء مرضات الله، مع كمال الحب والتعظيم والذل لله ﷻ: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ٣ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَمَغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ٤﴾ [الأنفال:٢-٤].

والإسلام مبنيٌّ على أمرين عظيمين:

إخلاص العمل لله، وإحسان العمل، كما قال سبحانه: ﴿وَمَن يُسۡلِمۡ وَجۡهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ ٢٢﴾ [لقمان:٢٢].

والإحسان عبادة تدخل في كل عبادة، ومعاملة، وفي كل قول وفعل، وفي كل

دعوة وتعليم، وفي كل تجارة أو صناعة أو زراعة، كما قال سبحانه: ﴿وَأَحْسِنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ١٩٥﴾ [البقرة:١٩٥].

وقال النبي ﷺ: «إنَّ الله كتب الإحْسَان على كلِّ شيء، فإذا قتلتم فأحسنوا القِتْلَة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذَّبح، وليُحِدَّ أحدكم شَفْرَتَه، فَلْيُرِحْ ذبيحته» أخرجه مسلم [1].

والله سبحانه هو المُحسن، الذي أمرك بالإحسان، لأنه يحُبك، فأحسن عبادته، وأحسن إلى خلقه كما أحسن الله إليك: ﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْأَخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ٧٧﴾ [القصص:٧٧].

الإحسان هو الإتقان، والإتيان بالمطلوب شرعا، على الوجه الأكمل والأحسن والأفضل.

الإحسان بذل المعروف لعباد الله وكف الأذى عنهم.

الإحسان ضد الإساءة، وهو فعل ما هو حسن وجميل، وترك ما هو سيئ وقبيح: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ٩٠﴾ [النحل:٩٠].

الإحسان خُلُقٌ عظيم، وأدب جميل، وعبادة من أحسن العبادات، بل هي أحسن العبادات.

بالإحسان تشتري الحب، وتخطب الوُد، وتكسب النفوس، وتُهيمن على القلوب، وتتحقق المحبة والمودة، وتزول العداوة والبغضاء: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ٣٣ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ٣٤ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ٣٥﴾ [فصلت:٣٣-٣٥].

---

(١) أخرجه مسلم برقم (١٩٥٥).

المُحسن لا يُؤدي أحدا، فإن آداه أحد عفا وصبر، وإذا عامل الناس عاملهم بالفضل والإحسان، فيعطيهم وإن حرموه، ويصلهم وإن قطعوه، ويعفو عنهم وإن ظلموا، ويحسن إليهم وإن أساؤوا إليه: ﴿۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤﴾ [آل عمران:١٣٣-١٣٤].

والمُحسن اسم من أسماء الله ﷻ، والإحسان من أعظم صفاته وأفعاله.

والإحسان صفة من أعظم صفات الله سبحانه، فهو سبحانه المحسن في خلقه، المحسن إلى خلقه، المحسن الذي خَلَقَ الخَلْقَ فأحسنه وجمله وصوره وأبدعه على غير مثالٍ سابق: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ١١٧﴾ [البقرة:١١٧].

وقال ﷻ: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ قَرَارٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَصَوَّرَكُمۡ فَأَحۡسَنَ صُوَرَكُمۡ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦٤ هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦٥﴾ [غافر:٦٤-٦٥].

وقال ﷻ عن نفسه: ﴿ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ٦ ٱلَّذِيٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥۖ وَبَدَأَ خَلۡقَ ٱلۡإِنسَٰنِ مِن طِينٖ ٧ ثُمَّ جَعَلَ نَسۡلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٖ مِّن مَّآءٖ مَّهِينٖ ٨﴾ [السجدة:٦-٨].

وهو سبحانه المُحسن، الذي أنعم على عباده بأنواع النِّعم التي لا تُعدُّ ولا تُحصى، وعَمَّ بها المؤمن والكافر، والبر والفاجر: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلۡفُلۡكَ لِتَجۡرِيَ فِي ٱلۡبَحۡرِ بِأَمۡرِهِۦۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلۡأَنۡهَٰرَ ٣٢ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ دَآئِبَيۡنِۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ ٣٣ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلۡتُمُوهُۚ وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَظَلُومٞ كَفَّارٞ ٣٤﴾ [إبراهيم:٣٢-٣٤].

٢ - منزلة الإحسان

الإحسان أعلى مراتب الدين، وأعظم مقامات العبودية.

فالدين ثلاث مراتب:

الإسلام، ثم الإيمان، ثم الإحسان الذى هو أعلى مقامات العبودية.

فكل محسن مؤمن، وكل مؤمن مسلم، وليس كل مسلم مؤمن، وليس كل مؤمن محسن.

فالإحسان أعظم مراتب الدين وأعلاها، وأفضلها، لأن الإسلام هو الأعمال الظاهرة، والإيمان هو الأعمال الباطنة، والإحسان هو تحسين الظاهر والباطن معا.

والإحسان هو ثمرة الخشية، والخوف، والهيبة، والتعظيم، والحب لله عز وجل.

وأهل الإحسان هم أهل الصفوة الخُلَّص من عباد الله المؤمنين، وهم درجات متفاوتة فى الإحسان، بحسب قوة إيمانهم، وقوة استحضار قُرب الرب عز وجل، ومراقبته، ومحبته، وخشيته، ورؤية كمال رحمته وإحسانه: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾ [فاطر:٢٨].

وقال جبريل للنبي ﷺ: « فأخبرني عن الإحسان، قال ﷺ« :الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك». متفق عليه[(١)].

والإحسان مشتق من الحُسن الذي هو الجمال والبهاء لكل ما يصدر عن العبد من نيات، وأقوال، وأعمال، وأخلاق.

ومقصود الرب من خلقه وصولهم إلى مرتبة الإحسان في كل شيء، كما قال سبحانه: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾﴾ [الملك:١-٢].

وقال الله عز وجل: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴿٧﴾﴾ [الكهف:٧].

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٥٠) ومسلم برقم (٩).

وقد خلق الله جميع المخلوقات على أحسن صورة، وخلق النباتات، والأزهار، والثمار على أحسن صورة، تنبيها للعباد، وتذكيرا لهم بمحاسن الأقوال والأعمال والأخلاق: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۝٧﴾ [الكهف:٧].

وقد فطر الله القلوب على حب الحُسن والإحسان، وكره ضد ذلك من القبح والقبائح، والخبائث.

والإحسان هو طريق الوصول إلى محبة الله، ورحمته، ومعيته، ورؤيته، وجنته: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝١١٢﴾ [البقرة:١١٢].

وقال الله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ۝١٢٨﴾ [النحل:١٢٨].

وقال ﷻ: ﴿وَأَحْسِنُوٓا۟ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ۝١٩٥﴾ [البقرة:١٩٥].

والإحسان فى العبادة، أن تعبد الله كأنك تراه بصفات جلاله، وصفات جماله، وصفات كماله، فإن لم تكن تراه فإنه يراك.

فتعبد الله كأنك تراه، وتشاهده، بعظمة جلاله، وعظمة كبريائه، وعظمة جماله، وإحسانه، ناظرا إلى عزة الربوبية، وذلة العبودية، فتتصاغر لكبريائه، وتسجد لعظمته، وتسارع إلى امتثال أوامره، وتستغفره من تقصيرك، وتستحيى من معاملتك له، راجيا ثوابه، خائفا من عقابه: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ۝٦٠ أُو۟لَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ۝٦١﴾ [المؤمنون:٦٠-٦١].

وهذه أعلى درجات الإحسان.

فإن لم تصل إلى هذه الدرجة، فاعبد ربك بمقام الخوف والمراقبة، فإنه يراك إن تحركت، ويسمعك إن تكلمت، ويعلم بما في قلبك، سواء أعلنت أو أسررت، وسواء كنت في ظلمة الليل، أو في ضوء النهار، وسواء كنت في الخلوة أو مع

الناس :﴿وَأَسِرُّواْ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُواْ بِهِۦٓۖ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٣﴾ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾﴾[الملك:١٣-١٤].

والإحسان فى الإسلام هو إتقان العمل على أكمل وجه، ليكون حسنًا مقبولًا عند الله عز وجل.

وحُسن العمل يكون بأمرين : إخلاص لله ﷻ.. وفعله كما جاء عن النبى ﷺ، مع كمال الحب والتعظيم والذل لله ﷻ : ﴿۞ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٢٢﴾﴾[لقمان:٢٢].

ومن أحسن أعماله فى الدنيا، أحسن الله إليه فى الجنة يوم القيامة :﴿ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴿٦٠﴾﴾[الرحمن:٦٠].

وأحسن إليه ربه بأحسن من عمله :﴿۞ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٦﴾﴾[يونس:٢٦].

والله سبحانه محسن يحب الإحسان، وأهل الإحسان، أحسن كل شىء خلقه، وأحسن إلى جميع خلقه بأنواع الإحسان :﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾﴾[النحل:٥٣].

هو الذي خلق كل مخلوق، فأحسنه، وجمَّله، وأبدعه :﴿ ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦﴾ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾﴾[السجدة:٦-٧].

فأَحْسِنْ رَحِمَكَ الله كما أحسن الله إليك، أحسن فى عبادة ربك، وأحسن إلى خلقه، وأحسن إلى نفسك :﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَاۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾﴾[القصص:٧٧].

٣-فضائل الإحسان

الأولى: أن الله عز وجل يحب المحسنين، كما قال سبحانه: ﴿وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلۡقُواْ بِأَيۡدِيكُمۡ إِلَى ٱلتَّهۡلُكَةِ وَأَحۡسِنُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٩٥﴾ [البقرة: ١٩٥].

الثانية : الفوز برحمة الله، كما قال سبحانه : ﴿إِنَّ رَحۡمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٥٦﴾ [الأعراف:٥٦].

الثالثة : أن المحسن فى معية الله، كما قال سبحانه : ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٦٩﴾ [العنكبوت:٦٩].

الرابعة : أن الإحسان يقلب العدو إلى صديق، كما قال سبحانه : ﴿وَلَا تَسۡتَوِي ٱلۡحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُۚ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ ٣٤ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٖ ٣٥﴾ [فصلت:٣٤-٣٥].

الخامسة : أن الإحسان صفة من صفات الله ﷻ : ﴿ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ٦ ٱلَّذِيٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥۖ وَبَدَأَ خَلۡقَ ٱلۡإِنسَٰنِ مِن طِينٖ ٧﴾ [السجدة:٦-٧].

وقد أمر الله ﷻ أن نتعبد له بأسمائه، وصفاته على شاكلة العبودية: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ سَيُجۡزَوۡنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٨٠﴾ [الأعراف:١٨٠].

السادسة : أن المحسن يكسب محبة الله، ومحبة الناس، كما قال الله عز وجل عن المؤمنين : ﴿فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنۡيَا وَحُسۡنَ ثَوَابِ ٱلۡأٓخِرَةِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٤٨﴾ [آل عمران:١٤٨].

السابعة : الإحسان إلى الناس وسيلة لإزالة ما فى النفوس من الحسد، والكدر، وسوء الظن، وسوء الفهم، وسوء المعاملة .

الثامنة : الإحسان إلى الناس سبب لانشراح الصدر، وراحة النفس، فالمحسن الكريم أشرح الناس صدرا، وأطيبهم نفسا، وأسعدهم قلبا، وأكثرهم ثواباً: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٦﴾﴾[يونس: ٢٦].

التاسعة : أن الإحسان سبب لمغفرة الله، ودخول الجنة : ﴿ ۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾[آل عمران: ١٣٣ - ١٣٤].

العاشرة : الإحسان سبب لنيل الأجر العظيم، والأمن في الدنيا والآخرة.

﴿ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٢﴾﴾[البقرة: ١١٢].

٤ - أقسام الإحسان

ينقسم الإحسان إلى ثلاثة أقسام :

الأول : الإحسان في حق الله. وهو الإحسان في عبادة الله.

وهو أن تعبد الله وحده لا شريك له بصفة الإحسان، ناظرا إلى عزة الربوبية، وذلة العبودية ؛ فتعبد الله كأنك تراه بصفات جلاله وجماله وكماله.

فتراه عند وقوفك بين يديه في الصلاة، ربًّا عظيمًا، كبيرًا، حيًّا، قيومًا، قويًّا، عزيزًا، قادرًا، قاهرًا، يرى كل شيء، ويسمع كل شيء ويعلم بكل شيء :﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾[الأنفال:٢-٤].

وتراه رباً، رحمانًا، رحيمًا، لطيفًا، رفيقًا، محسنًا، كريمًا، عفوًّا، غفورًا، وترى نفسك عبدًا، ضعيفًا، عاجزًا، فقيرًا، محتاجًا، ذليلًا، فتعبد الله كأنك تراه بصفات جلاله وجماله وكماله :﴿ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾[غافر:٦٥].

قال النبي ﷺ: « الإحسان أنْ تَعْبُدَ اللهَّ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فإنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فإنَّه يَرَاكَ» متفق عليه[١].

هذه، أعلى مراتب الإحسان، وأحسن مقامات العبد بين يدى ربه، وثمرتها وعلامتها الخشوع، والخشية، والذل، والانكسار بين يدى الله، وكثرة الحمد، والشكر له، وكثرة التوبة، والاستغفار، وشدة الحياء من الله :﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾[فاطر:٢٨].

فالإحسان فى حق الله يكون بتوحيده، وصدق الإيمان به، وحسن عبادته، وذلك ثمرة العلم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله، فمن عرف الله حقًا، عبده كأنه يراه،وأحسن ولم يسيء، وأطاع ربه ولم يعصه :﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٥٠) ومسلم برقم (٩).

لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ﴿١٩﴾﴾[محمد:١٩].

فالإحسان فى عبادة الله، له مرتبتان :

الأولى : أن يعبد المسلم ربه كأنه يراه بصفة جلاله وجماله وكماله، عبادة رغبةٍ وطلب وشوقٍ. وهذه الدرجة من الإحسان هى الأكمل.

الثانية : إن لم يصل العبد إلى الدرجة الأولى، فالدرجة الثانية أن يعبد الله عبادة هرب وخوفٍ من عذابه، لأنه سبحانه يراك إن كنت لا تراه، كما قال النبى ﷺ : « الإِحْسَانُ أَنْ تَعْبُدَ اللهَّ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فإِنَّه يَرَاكَ» متفق عليه(١).

الثاني : الإحسان في حق النفس.

ويكون ذلك بحملها على طاعة الله ﷻ، وكفها عن معصيته، ومجاهدة النفس على فعل الخيرات، وترك المنكرات، والتوسط في التعبدات، فلا إفراط ولا تفريط:﴿وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلۡهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقۡوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾﴾[الشمس:٧-١٠].

وقال ﷻ:﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٦٩﴾﴾ [العنكبوت:٦٩].

الثالث : الإحسان فى حق الغير.

ويكون ببذل الندى، وكف الأذى، وإرادة الخير للناس، ونفعهم بالمقدور عليه بالجاه والمال، والعفو عن زلَّاتهم، والإحسان إليهم بأنواع الإحسان.

والإحسان إلى الغير عبادة من عبادات القلوب، تثمر كل خير للمُحْسِنِ والمُحْسَنةِ والمُحْسَنِ إليه :﴿ ۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ [آل عمران:١٣٣-١٣٤].

والدين ركنان: عبادة الحق، والإحسان إلى الخلق، كما قال سبحانه :

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٥٠) ومسلم برقم (٩).

﴿ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلۡجَنۢبِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخۡتَالٗا فَخُورًا ﴿٣٦﴾ ﴾[النساء: ٣٦] .

فليبْشِرْ كل من أحسن في حق الله، وأحسن في حق نفسه، وأحسن إلى خَلْقِ الله بحُبِّ الله له، وَحُبِّ الناس له، ودُخُول الجنة، والخُلُود فيها، والتنعم فيها بأنواع النعيم : ﴿ لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٞۖ وَلَا يَرۡهَقُ وُجُوهَهُمۡ قَتَرٞ وَلَا ذِلَّةٌۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾[يونس:٢٦].

وأعظم درجات الإحسان، الإحسانُ فى عبادة الله، ثم إحسان المسلم إلى نفسه وأهله، وقرابته، ثم الإحسان إلى كافة الخلق.

وينقسم الإحسان إلى قسمين :

الأول : إحسان فى عبادة الله.

وهو أن تُؤدي كل عبادة خالصةً لله ﷻ، تامةً شروطها وأركانها، وواجباتها وسننها، مقرونةً بكمال الحب والتعظيم والذل لله ﷻ : ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ﴿٥﴾ ﴾[البينة:٥].

الثانى : إحسان إلى عبادِ الله، وهو قسمان :

الأول: القيام بما يجب عليك للخلق بحسب ما توجه عليك من الحقوق .

كالقيام ببرِّ الوالدين، وصلة الأرحام، والإنصاف فى المعاملات بإعطاء كل ما وجب عليك من الحقوق كما تأخذ حقك وافيا.

قال الله ﷻ: ﴿ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلۡجَنۢبِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخۡتَالٗا فَخُورًا ﴿٣٦﴾ ﴾

[النساء:٣٦].

وقال النبي ﷺ: « إنَّ الله كتب الإحْسَان على كلِّ شيء، فإذا قتلتم فأحسنوا القِتْلَة،

وإذا ذبحتم فأحسنوا الذَّبح، وليُحِدَّ أحدكم شَفْرَتَه، فَلْيُرِحْ ذبيحته» أخرجه مسلم [١].
فالإحسان عبادةٌ واجبةٌ فى كل شىء من الأعمال، لكن إحسانَ كل شىء يكون بحسبه. فالإحسان فى الإتيان بالواجبات الظاهرة والباطنة، الإتيان بها على وجه الكمال بشروطها وأركانها، وواجباتها وسننها من صلاةٍ، أو صيام، أو حجٍّ، أو عمرةٍ أو غيرها.
قال النبي ﷺ: « ما مِنَ امْرِئٍ مُسْلِمٍ تَحْضُرُهُ صَلاةٌ مَكْتُوبَةٌ فيُحْسِنُ وُضُوءَها وخُشُوعَها ورُكُوعَها، إلَّا كانَتْ كَفَّارَةً لِما قَبْلَها مِنَ الذُّنُوبِ، ما لَمْ يُؤْتِ كَبِيرَةً وذلكَ الدَّهْرَ كُلَّهُ» أخرجه مسلم [٢].
والإحسان فى تَرْكِ المُحرمات الانتهاء عنها، وترك ظاهرها وباطنها: ﴿وَذَرُواْ ظَٰهِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَبَاطِنَهُۥٓۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡسِبُونَ ٱلۡإِثۡمَ سَيُجۡزَوۡنَ بِمَا كَانُواْ يَقۡتَرِفُونَ ﴿١٢٠﴾﴾ [الأنعام: ١٢٠].
وقال النبى ﷺ: « ما نَهَيْتُكُمْ عنه فَاجْتَنِبُوهُ، وَما أَمَرْتُكُمْ به، فَأْتُوا منه ما اسْتَطَعْتُمْ» متفق عليه [٣].
والإحسان الواجب فى معاملة الخلق ومُعاشرتهم، القيام بما أوجب الله من تلك الحقوق: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾﴾[النحل: ٩٠].
والإحسان الواجب فى ولاية الخلق، القيام بواجب الوالى نحو رعيته: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةً فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدُۢ بِمَا نَسُواْ يَوۡمَ ٱلۡحِسَابِ ﴿٢٦﴾﴾[ص:٢٦].
وأما الإحسان في الصبر على المقدورات، فيصبر المؤمن على الابتلاء من غير تسخط، ولا جزع، لينال أجر الصابرين: ﴿وَلَنَبۡلُوَنَّكُم بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلۡخَوۡفِ وَٱلۡجُوعِ وَنَقۡصٖ

---

(١) أخرجه مسلم برقم (١٩٥٥).
(٢) أخرجه مسلم برقم (٢٢٨).
(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٧٢٨٨) ومسلم برقم (١٣٣٧).

مِّنَ ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ ﴿١٥٧﴾﴾[البقرة:١٥٥-١٥٧].

وقال ﷻ: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴿١٠﴾﴾[الزمر:١٠].

ويرضى العبدُ بما قدر الله عليه، لأن اختيار الله له أحسن من اختيارهلنفسه: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ يَهۡدِ قَلۡبَهُۥۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴿١١﴾﴾ [التغابن:١١].

ويحمدُ الله على صِغَرِ المصيبة، وأنه يستحق أكثر منها، لولا رحمة الله، فيحمد ربه على ما حصل له، لينال أجر الشاكرين: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوۡلَىٰنَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴿٥١﴾﴾[التوبة:٥١].

والإحسان في قتلِ ما يجوز قتله من الناس والبهائم، إزهاقُ روحه على أسرع الوُجوه، وأسهلها، لئلَّا يتعذب طويلا.

قال النبي ﷺ: «إنَّ الله كتب الإحْسَان على كلِّ شيء، فإذا قتلتم فأحسنوا القِتْلَة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذِّبح، وليُحِدَّ أحدكم شَفْرَتَه، فَلْيُرِحْ ذبيحته» أخرجه مسلم (١).

الثاني: إحسان مستحب.

وهو كل ما يُدْخِل السرور على الخلق، ويُزِيلُ عنهم ما يكرهون، من نفع بَدَنى أو مَالى أو عِلْمِى، أو تَوْجِيه لخَيْر دِينِى، أو مَصلحة دنيوية وغير ذلك من المنافع.

فكل ذلك صدقة وإحسان إلى الخلق، ثوابه الجنة: ﴿۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ [آل عمران:١٣٣-١٣٤].

---

(١)أخرجه مسلم برقم (١٩٥٥).

٥ - كيفية الإحسان

الإحسانُ عبادةٌ قلبيةٌ عظيمةٌ، تدخُلُ فى كل شىء من أمور الدين والدنيا.

فيشمل الإحسانُ فى العبادات، والإحسان فى المعاملات، والإحسان فى المعاشرات، والإحسان إلى الحيوانات، والإحسان فى العمل.

فالإحسان فى باب العبادات:

أن يؤدِّيَ المسلم كل عبادة من وضوء، أو صلاةٍ، أو زكاةٍ، أو صيام، أو حجٍّ، أو غيرها أداءً صحيحا باستكمال شروطها وأركانها، واستيفاء سننها وآدابها. وهذا لا يتم للعبد، إلا إذا عبد الله كأنه يراه ويُشاهده، أو على الأقل يشعر أن الله مطَّلِعٌ عليه وناظرٌ إليه، فيخاف من عقوبته.

قال النبي ﷺ: « الإحسان أنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فإنْ لمْ تَكُنْ تَرَاهُ فإنَّه يَرَاكَ» متفق عليه[1].

وأما الإحسان في باب المعاملات :

فأعظمه الإحسان إلى الوالدين. ويكون بحُسن البرِّ بهما، وطاعتهما في غير معصيةِ الله، وإيصال الخير إليهما، وكف الأذى عنهما، والدعاء والاستغفار لهما، وإنفاذ عهدهما، وإكرام صديقهما :﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾﴾[الإسراء:٢٣-٢٤].

والإحسان إلى الأقارب يكون ببرهم، ورحمتهم، والعطف عليهم، وفِعْل ما يَجْمُل معهم، وترك الإساءة إليهم.

والإحسان إلى اليتامى يكون بحُسْنِ رعايتهم، والمحافظة على أموالهم، وصيانة حقوقهم، وتربيتهم بالحُسنى.

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٥٠) و مسلم برقم (٩) .

والإحسان إلى المساكين يكون بالرِّفق بهم، وسَدِّ جوعهم، وسَتْرِ عَوْراتهم، وعَدَم احتقارهم، وعَدَم الإساءة إليهم، وإيصال النفع إليهم بحسب الاستطاعة.
والإحسان إلى ابن السبيل يكون بقضاء حاجته، وصِيانةِ كرامته، وهدايته إن ظَلَّ الطريق.
والإحسان إلى الخادم والعامِلِ يكون بإيتائه أجره قبل أن يجَفَّ عرقه، وبصون كرامته، واحترام شخصيته، وعدم إلزامه بما لا يلزمه، وعدم تكليفه بما لا يُطيق.
والإحسان إلى عموم الناس يكون بالابتسامة فى وجوههم، ولُطْفِ القَوْلِ لهم، وإفشاء السلام بيتهم، وإيصَالِ النَّفْع إليهم، وكفِّ الأذى عنهم، والإحسان إلى مسيئهم، وشكر محُسِنِهم، وإرشاد ضالِّهم، وتعليم جاهلهم، ومُساعدة المحتاج منهم.
والإحسان إلى الحيوان يكون بتفقد طعامه وشرابه، بإطعامه إن جاع، وسقيه إن عطش، ومُداواته إن مرِضَ، وعدم تكليفه فوق طاقته، والرفق به إن عَمِل، وإراحته إن تعب.
والإحسان فى الأعمال البدنية يكون بإجادة العمل، وإتقانه، وعدم الغِش فيه.
قال الله تعالى :﴿ وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔاۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾﴾[النساء:٣٦].
وقال النبي ﷺ: « إِنّ اللهَّ تَعَالى يحُبّ إِذَا عَمِلَ أَحَدُكُمْ عَملاً أَنْ يُتْقِنَهُ » أخرجه أبو يعلى(١).

(١) حسن/ أخرجهأبو يعلى برقم(٤٣٨٦).

٦- صور الإحسان

للإحسان صُوَرٌ كثيرةٌ :

الأولى : الإحسان فى عبادة الله ﷻ.

فأعظم شىء على المُسلم أن يُحسنه ويُتقنه هو عبادته لربه ﷻ، بأن يأتى بها على الوجه المشروع بلا زيادة ولا نُقصان، ويحُسن كل قولٍ أو عملٍ يتقرب به إلى ربه ﷻ، ويُخلص عبادته لله وحده لا شريك له :﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف: ١١٠].

والطريق إلى هذا الإحسان :« أنْ تَعْبُدَ اللهَّ كَأنَّكَ تَراهُ، فإنْ لمْ تَكُنْ تَراهُ فإنَّه يَراكَ » متفق عليه(١).

الإحسان في عبادة الله أن تُؤديها كما أمرك الله، وكما بينها لك رسول الله ﷺ.

تُؤديها تامة كاملة بأركانها وواجباتها، وسننها ومستحباتها، وتؤديها في أوقاتها إن كان لها وقت محدد كالصلاة، والزكاة، والصيام، والحج، وأمثالها من العبادات.

وتؤديها خالصةً لله ﷻ، بكمال الحب، والتعظيم، والذل لله ﷻ : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾[الأنفال: ٢-٤].

الثانية : الإحسان في الأقوال، كما قال سبحانه :﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة: ٨٣].

وقال ﷻ: ﴿ وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُواْ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾[الإسراء: ٥٣].

وأحسنُ شيء في الأقوال، هو الدعوة إلى الله ﷻ بالتي هي أحسن :﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾[فصلت: ٣٣].

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٥٠) و مسلم برقم (٩) .

الثالثة : الإحسان في الأفعال، كما قال سبحانه : ﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤ ﴾ [آل عمران: ١٣٣-١٣٤].

الرابعة : الإحسان إلى النفس بإعطائها حظوظها مما أحل الله لها، وحملها على امتثال أوامر الله، وكفها عما حرم الله : ﴿ وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا ٧ فَأَلۡهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقۡوَىٰهَا ٨ قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ٩ وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ١٠ ﴾ [الشمس: ٧-١٠].

الخامسة : الإحسان إلى خلق الله، وهو أنواع :

الأول: الإحسان إلى الوالدين:

وهو أعلى درجات الإحسان للناس، كما قال سبحانه: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًاۚ ﴾ [الإسراء: ٢٣].

الثاني: الإحسان إلى الأقارب، والأيتام، والمساكين، والجيران، وغيرهم من ذوي الحاجات: ﴿ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلۡجَنۢبِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخۡتَالٗا فَخُورًا ٣٦ ﴾ [النساء: ٣٦].

الثالث: الإحسان إلى الكفار بدعوتهم إلى الله بالحِكْمة والموعظة الحسنة، والتخلق معهم بالأخلاق الحسنة، ليكون ذلك سبيلا إلى قبولهم ما ندعو إليه: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ١٢٥ ﴾ [النحل: ١٢٥].

الرابع: الإحسان في الجِدال، كما قال سبحانه : ﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ﴾ [العنكبوت: ٤٦].

الخامس: الإحسان إلى من أساء إليك بقول، أو فعل: ﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾﴾ [فصلت: ٣٤-٣٥].

السادس: الإحسان إلى الحيوان بإرواء ظمئه، وسد جوعه، وعدم إيذائه، وعدم إخافته، وعدم الحمل عليه أكثر من طاقته.

قال النبي ﷺ: «في كُلِّ كَبِدٍ رطبَةٍ أجرٌ» متفق عليه(١).

وقال النبي ﷺ: «عُذِّبَتِ امْرَأَةٌ في هِرَّةٍ سَجَنَتْها حتَّى ماتَتْ، فَدَخَلَتْ فيها النَّارَ، لا هي أطْعَمَتْها ولا سَقَتْها، إذْ حَبَسَتْها، ولا هي تَرَكَتْها تَأْكُلُ مِن خَشاشِ الأرْضِ» متفق عليه(٢).

السابع: الإحسان إلى الحيوان عند ذبحه، بحدِّ الشفرة، وإراحة الذبيحة، وعدم إبراز السكين له إلا عند الذبح.

قال النبي ﷺ: «إنَّ الله كتب الإحْسَان على كلِّ شيء، فإذا قتلتم فأحسنوا القِتْلَة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذَّبح، وليُحِدَّ أحدكم شَفْرَتَه، فَلْيُرِحْ ذبيحته» أخرجه مسلم(٣).

الثامن: الإحسان في إتقان العمل على أحسن وجه.

قال النبي ﷺ: «إنَّ الله يحِبُّ إذا عمِلَ أحدُكمْ عملًا أنْ يُتقِنَهُ» أخرجه أبو يعلى(٤).

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٣٤٦٧) و مسلم برقم (٢٢٤٥).

(٢) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٣٤٨٢) و مسلم برقم (٢٢٤٢).

(٣)أخرجه مسلم برقم (١٩٥٥).

(٤)**حسن**/ أخرجه أبو يعلى برقم (٤٣٨٦).

٧- الأسباب المعينة على الإحسان

الأول : العلم بالله وأسمائه، وصفاته، وأفعاله.

فمن عَلِم أن الله ﷻ هو المُحسن، وأن الإحسان صفة من أعظم صفاته، أحسن عبادة ربه، وأحسن إلى نفسه، وأحسن إلى غيره من الخلق : ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴿١٩﴾﴾ [محمد:١٩].

الثاني : العلم بفضائل الإحسان، وما يُثمره من محبة الله للمحسنين، وحُب الناس لهم، ومغفرة الله لهم، وعظيم ثوابه لهم : ﴿۞ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ [آل عمران:١٣٣-١٣٤].

الثالث : النظر في سيرة الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام، وما هم عليه من مكارم الأخلاق، ومحاسن الآداب والأفعال والأخلاق : ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [الأنبياء:٩٠].

الرابع : مجاهدة النفس، لتتخلق بصفة الإحسان في عبادة الله، والإحسان إلى خلق الله : ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾﴾ [العنكبوت:٦٩].

الخامس : دعاء الله ﷻ أن يرزق العبد التعبد لله بصفة الإحسان ومحاسن الأقوال، والأفعال، والأخلاق.

قال النبي ﷺ: «اللَّهمَّ اهْدِني لأَحْسَنِ الأخْلَاقِ لا يَهْدِي لأَحْسَنِهَا إِلَّا أَنْتَ، وَاصْرِفْ عَنِّي سَيِّئَهَا لا يَصْرِفُ عَنِّي سَيِّئَهَا إِلَّا أَنْتَ» أخرجه مسلم (١).

(١) أخرجه مسلم برقم (٧٧١).

السادس: العلم بأن الإحسان من أعظم أسباب رحمة الله للعبد، كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾﴾ [الأعراف:٥٦].

السابع : المحافظة على الفرائض بأنواعها، والتقرب إلى الله بأنواع النوافل.

فمن حافظ على ذلك، أحبه الله. ومن أحبه الله، أكرمه الله بأنواع الكرامات في الدنيا والآخرة.

قال رسول الله ﷺ: « إِنَّ اللهَّ تَعَالَى قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتهُ بِالحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِليَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِليَّ مِمَّا افْتَرَضْتهُ عَلَيْهِ، وَلا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِليَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْت سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَلَئِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ، وما ترددت عن شيء أنا فاعله كترددي عن نفس المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته » أخرجه البخاري[1].

الثامن : العلم بثواب المحسنين في الدنيا والآخرة، والعلم بعقوبة المسيئين في الدنيا والآخرة، فمن عرف ذلك أحسن ولم يُسيء، وأطاع ربه ولم يعصه : ﴿۞ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٦﴾ وَٱلَّذِينَ كَسَبُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ جَزَآءُ سَيِّئَةٍۭ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۖ مَّا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ۖ كَأَنَّمَآ أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مُظْلِمًا ۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [يونس:٢٦-٢٧].

التاسع: الإكثار من ذكر الله ﷻ في كل وقت.

فمن ذكر الله أطاعه ولم يعصه، وأحسن ولم يُسيء : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾﴾ [الأحزاب:٤١-٤٣].

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٦٥٠٢) .

العاشر : تلاوة القرآن، وتدبر آياته، لمعرفة مكارم الأخلاق، ومحاسن الأفعال، التي أثنى الله على أهلها، ووعدهم بالثواب العظيم عليها : ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٠﴾ وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِ ۖ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا ﴿١١﴾﴾[الإسراء:٩-١١].

الحادي عشر : مُصاحبة الأخيار من أهل الإيمان والإحسان، والبُعْد عن صحبة الأشرار، لأن الصاحب صاحب إلى خير أو شر : ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾﴾ [الكهف:٢٨].

الثاني عشر : الإكثار من ذكر الموت، وما بعده من الحساب والجزاء، والجنة والنار، فمن ذكر ذلك خاف ربه واتقاه، وأحسن عبادته، وأحسن إلى خلقه، وأطاع الله ولم يعصه.

قال النبي ﷺ: « أكثروا من ذكر هادم اللَّذات» أخرجه الترمذي وابن ماجة [(١)].

﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾[الأعراف:٢٣].

اللَّهُمَّ آتِ نُفُوسَنا تَقْوَاهَا، وَزَكِّهَا أَنْتَ خَيرُ مَنْ زَكَّاهَا، أَنْتَ وليُّهَا وَموْلاَهَا.

اللَّهُمَّ اهْدِنَا لِأَحْسَنِ الأَقْوَال وَالأعْمَال وَالأخْلاَق، لَا يَهْدي لِأَحْسَنِهَا إِلَّا أَنْت، وَاصْرِف عَنَّا سَيِّئَهَا، لَا يَصْرِفُ عَنَّا سَيِّئَهَا إِلَّا أَنْت،

سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ.

---

(١) **صحيح**/ أخرجه الترمذي برقم (٢٣٠٧) و ابن ماجة برقم (٤٢٥٨) .

عبادات القلوب

في ضوء القرآن والسنة

القسم الثاني : عبادات التروك

وتشتمل هذه العبادات العظيمة على المباحث الآتية :

الأول : أقسام العبادات

الثاني : فقه عبادات التروك

الثالث :أقسام عبادات التروك

الرابع : أنواع عبادات التروك

الخامس : الأسباب المعينة على ترك المنهيات والمحرمات.

١ - أقسام العبادات

تنقسم العبادات في الإسلام إلى قسمين :

القسم الأول: عبادات الأفعال.

وهي نوعان :

الأول: عبادات قلبية:

كتوحيد الله، والإيمان بالله، وحب الله، وتكبير الله، والخوف من الله، والرجاء لله، والتوكل على الله،... وغيرها من العبادات القلبية.

النوع الثاني عبادات بدنية:

كالوضوء، والصلاة، والصوم، والحج،... وغيرها من أنواع العبادات البدنية، وقد ذكر الله العبادات القلبية والبدنية بقوله: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾[الأنفال:٢-٤].

القسم الثاني : عبادات التروك .

وهي التعبد لله بترك كل شيء نهى الله عنه كترك الشرك، والكِبْرِ، وترك الزنى، والربا،... ونحو ذلك من عبادات القلوب والجوارح: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ۚ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾﴾[البقرة:٢٥٦].

وقال الله ﷻ: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ ۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمْ أُوْلُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٨﴾﴾[الزمر:١٧-١٨].

فالمؤمن يتعبد لربه بفعل المأمورات، واجتناب المنْهِيات. وله أجرٌ من ربه على هذا، وعلى هذا: ﴿فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾﴾[الجاثية: ٣٦].

٢ - فقه عبادات التروك

عبادات التروك هي أن يترك العبد كل شيء نهى الله عنه من الاعتقادات الباطلة، والأقوال السيئة، والأفعال المحرمة، والأخلاق المذمومة، تعبدًا لله ﷻ؛ لأن الله نهى عنها، وحذر منها، فيأخذ الأجر من ربه على الترك، كما يأخذ الأجر على فعل العبادات المأمور بها شرعًا، كما قال سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى فَبَشِّرْ عِبَادِ (١٧) الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ (١٨)﴾ [الزمر: ١٧-١٨].

وقال ﷻ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (٩٠)﴾ [النحل: ٩٠].

وقال ﷻ: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (٧)﴾ [الحشر: ٧].

وقال ﷻ: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [النساء: ٣٦].

وقال النبي ﷺ: «ما نَهَيْتُكُمْ عنه فَاجْتَنِبُوهُ، وَما أَمَرْتُكُمْ به فَأْتُوا منه ما اسْتَطَعْتُمْ» متفق عليه(١).

ففعل الأوامر عبادةٌ لله عز وجل، وترك المناهي عبادةٌ لله ﷻ.

والله سبحانه كريمٌ، رحيمٌ بعباده. يُحِبُّ الخير لهم، فيعطيهم الأجور العظيمة على فعل الأوامر التي تنفعهم في دينهم ودنياهم، وأخراهم كالأمر بإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، والصوم، والحج، وصلة الرحم، والتحلي بمكارم الأخلاق، كما قال سبحانه: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٢) الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (٣) أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ (٤)﴾ [الأنفال: ٢-٤].

---

(١) متفق عليه / أخرجه البخاري برقم (٧٢٨٨) ومسلم برقم (١٣٣٧).

ويعطيهم كذلك الأجر والثواب على ترك الكبائر، والمحرمات، والفواحش، والمعاصي، كما قال سبحانه :﴿إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾﴾[النساء:٣١].

وقال الله ﷻ:﴿وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمْ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٨﴾﴾[الزمر:١٧-١٨].

فكل مسلم يأخذُ من ربه الأجر والثواب من جهتين :

الأولى : يأخذُ الأجر على فعل الأوامر الشرعية، التي أمر الله ورسوله بها، كما قال سبحانه:﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرْكَعُواْ وَٱسْجُدُواْ وَٱعْبُدُواْ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُواْ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾﴾[الحج: ٧٧] .

الثانية : يأخذُ الأجر على ترك المناهي التي نهى الله ورسوله عنها:﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾﴾[الفرقان: ٦٨ – ٧٠].

فلله الحمد والشكر على عطائه الكريم، وإحسان الرب إلى خلقه بأنواع الإحسان، حتى يوصلهم بذلك إلى أعالي الجنان :﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُواْ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦١﴾﴾[غافر: ٦١].

٣- أقسام عبادات التروك

عبادات التروك أربعة أقسام :

الأول : تروك الاعتقادات كترك الكفرِ، والشرك، والنفاقِ، والرياء،.. ونحو ذلك.

الثاني : تروك الأقوال كترك السب، واللعن، وشهادة الزور،... ونحو ذلك.

الثالث : تروك الأفعال كترك الزنى، وترك شُرب الخمر،... ونحو ذلك.

الرابع : تروك الأخلاق كترك الكِبْرِ، والحَسَدِ، والظلم،... ونحو ذلك.

فكما يؤجر العبد ويثاب على عبادات الأفعال، فكذلك يؤجرُ ويثاب على عبادات التروك، كما قال سبحانه : ﴿وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ ۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمْ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٨﴾﴾[الزمر:١٧-١٨].

فالأعمال بالنيات، فمن فعل شيئًا من العبادات ابتغاء مرضات الله، فله أجره عند ربه على فعل تلك العبادات :﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿١٠٨﴾﴾[الكهف:١٠٧-١٠٨].

ومن ترك المناهي والمحرمات ابتغاء مرضات الله، فله أجره عند ربه على ذلك الترك :﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ۚ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾﴾[البقرة:٢٥٦].

ولِقَبُولِ العمل في الأفعال والتروك، لابد من النية، بأن يكون الفعل أو الترك ابتغاء مرضات الله ﷻ : ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾﴾[البينة:٥].

وقال النبي ﷺ: «إِنَّمَا الأعْمَالُ بالنِّيَّةِ، ولِكُلِّ امْرِئٍ ما نَوى، فمَن كَانَتْ هِجْرَتُهُ إلى اللَّهَ ورَسولِهِ فَهِجْرَتُهُ إلى اللهَّ ورَسولِهِ، ومَن كَانَتْ هِجْرَتُهُ لِدُنْيا يُصِيبُهَا أوِ امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا، فَهِجْرَتُهُ إلى ما هَاجَرَ إلَيْهِ» متفق عليه(١).

---

(١) **متفق عليه** / أخرجه البخاري برقم (١) ومسلم برقم (١٩٠٧).

فالنية روح كل عمل، والنية تجارة العلماء. وتعددها في العمل الواحد يزيد الأجر والثواب.

فمن دخل المسجد مثلًا ثم صلى ركعتين، ونوى بهما ركعتي الوضوء، وتحية المسجد، وراتبة الظهر، فله أجر ما نوى، ومن نوى ترك الكفر والشرك وسائر المعاصي، لأن الله نهى عن ذلك، فله أجر جميع تلك التروك.

ومن نوى فعل أنواع الطاعات والقربات والعبادات التي أمر الله ورسوله بها، فله أجر ذلك كله ؛ لكن لابد في الأفعال من قَرْنِ النية بالفعل، كما أنه لابد في التروك من قرن النية بالترك، وبذلك تكون كل منها عبادةً لله ﷻ: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾[الكهف: ١١٠].

وعبادات التروك تدخل في جميع أبواب الشريعة.

فتدخل في أبواب الاعتقاد كترك الكفر، والشرك، والنفاق، والبدع،.. وغيرها، وتدخل في أبواب العبادات كالطهارة، والصلاة، والصيام، والزكاة، والحج،.. وغيرها من العبادات .

وتدخل في أبواب المعاملات كالبيع، والشراء، والنكاح، والطلاق، والأطعمة، والأشربة،وغيرها، وتدخل في أبواب الأخلاق والآداب كترك الظلم، والحسد، والبغي، والعُدْوَان، والكذب، والخيانة، والغدر،ونحوها، وتدخل في آداب الأكل، والشرب، واللباس،وغيرها .

فالدين كله قائمٌ على تصديق الأخبار، وامتثال الأوامر، واجتناب المناهي، وفي كلٍ من الفعل والترك أجرٌ من رب العالمين :﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴿٦١﴾﴾[المؤمنون:٥٧-٦١].

٤ - أنواع عبادات التروك

أمهات عبادات التروك التي يؤجر العبد على تركها، لأن الله ﷻ نهى عنها، وحذر منها هي ترك الكفر، والشرك، والشك، وترك النفاق، وترك الرياء، وترك الكبر، وترك العجب، وترك اليأس من رَوْحِ الله، وترك القنوط من رحمة الله، وترك سوء الظن بالله، وترك سوء الظن بالمسلمين، وترك موالاة الكفار، وترك بُغْضِ الإسلام والمسلمين، وترك جحود نعم الله، وترك تعظيم غير الله، وترك التشاؤم والتطير، وترك الحسد، وترك الإصرار على المعاصي .

وترك حكم الجاهلية، وترك حَمِيَّةِ الجاهلية، وترك ظن الجاهلية، وترك تبرج الجاهلية، وترك المحرمات، وترك المعاصي، وترك الإلحاد في أسماء الله وصفاته، وترك الرضا بغير حكم الله، وترك التحاكم إلى غير شريعة الله، وترك الأمن من مكر الله، وترك التسخط على أقدار الله، وترك الاعتراض على أقدار الله، وترك العُجْبِ بالعمل .

وترك اتباع الهوى والغي والضلال، وترك البَطَرِ والطغيان، وترك الحقد والغل، وترك المَنِّ والتكبر، وترك نُكْرَانِ الجميل، وترك الغرور، وترك الظلم، وترك الكذب، وترك الغضب، وترك القسوة، وترك المكر والكيد بالباطل .

وترك الطمع، وترك الشُّحِّ، وترك العُدْوان على الخلق، وترك طول الأمل، وترك الكسل، وترك الجزع، وترك اليأس، وترك الحُزن على ما فات، وترك اعتقاد النفع والضر في السحرة أو الأموات، وترك تصديق الكهان والعرافين والمشعوذين، وترك الخوف من غير الله، وترك التوكل على غير الله،... وأمثال ذلك من أنواع التروك.

وكل هذه التروك عبادات قلبية، يؤجر المسلم على تركها، وينال أعظم الثواب على تركها والبعد عنها :﴿وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ ۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٨﴾﴾[الزمر:١٧-١٨].

وقال الله ﷻ:﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴿٦١﴾﴾[المؤمنون:٥٧-٦١].

وقال النبي ﷺ« إنَّما الأعمالُ بالنِّيَّاتِ وإنَّما لِكلِّ امرئٍ ما نوى» متفق عليه(١).

فأعظم عبادات التروك ترك الكفر بالله، وترك الشرك بالله، وترك النفاق، وترك الإلحاد، وترك توجيه العبادة إلى غير الله، وترك البدع ما ظهر منها وما بطن.

فيجب التعبد لله بترك ذلك كله، والإيمان بالله وحده، وعبادته وحده لا شريك :﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ۚ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾﴾[البقرة:٢٥٦].

وقال ﷻ:﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾[النساء:١١٥].

وَمِنْ ذلك ترك الشك في الله، أو في الرسل، أو في الكتب، أو في يوم القيامة .

ومن ذلك، ترك الريبة أو التردد في أوامر الله، أو البعث، والجزاء، وترك الإعراض عن دين الله، وترك عدم الانقياد لحكم الله ورسوله، وترك جحود أوامر الله ونواهيه، أو عدم قبولها، أو عدم الإذعان لها، وترك الكبر والاستكبار، كما

---

(١)**متفق عليه** / أخرجه البخاري برقم (١) ومسلم برقم (١٩٠٧) .

قال سبحانه :﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾[البقرة:٣٤].

ومن ذلك ترك العجب بالعمل، ورؤية النفس، وعدم التكبر به على الخلق، والمن به على الخالق :﴿ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا۟ ۖ قُل لَّا تَمُنُّوا۟ عَلَىَّ إِسْلَٰمَكُم ۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾ ﴾[الحجرات:١٧].

ومن ذلك ترك الرياء، وهو طلب مدح الناس على فعل الطاعات، وهو مناقضٌ للإخلاص، ومحبطٌ للعمل :﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا۟ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾ ﴾[النساء:١٤٢].

ومن ذلك ترك اليأس من رَوْحِ الله، واليأس هو قطع الرجاء والأمل في الله، وذلك كفر، كما قال سبحانه :﴿ وَلَا تَا۟يْـَٔسُوا۟ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يَا۟يْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾[يوسف:٨٧].

وَمَنْ ضَعُفَ إيمانه بالله أعرض عن الطاعة عند النِّعْمَة، وأصابه اليأس من فرج الله عند المصيبة :﴿ وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ ۖ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ يَـُٔوسًا ﴿٨٣﴾ ﴾[الإسراء:٨٣].

وهذه حال الكفار، كما قال الله عن الكافر :﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَٰهَا مِنْهُ إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٌ كَفُورٌ ﴿٩﴾ ﴾[هود:٩].

وسبب اليأس من رَوْحِ الله هو الشيطان، الذي يُزَيِّنُ المعصية لأتباعه في البداية، فإن أطاعوه ذَكَّرَهُمْ بعقاب الله، وأَيَّسَهُمْ من رحمة الله، وأنه لا يَقْبَلُ العُصَاةَ أمثالهم، فَيُبْغِضُونَ الله، وَيُبْغِضُونَ فِعْلَهُ وقضاءه. فكفرُوا بالرحمٰن، وأصبحوا عُبَّادًا لشيطان، واستمروا على معاصيهم، لأنه انقطع رجاؤهم بالرحمٰن.

ومن ذلك ترك القنوط من رحمة الله، والقنوط من رحمة الله هو اليأس من قدرة الله على تفريج الكربات، وهذا هو الضلال، والجهل بقدرة الله: ﴿ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴿٥٦﴾ ﴾ [الحجر:٥٦].

فالكافر والجاهل إذا أصابه الضر من مرضٍ، أو مصيبةٍ، أو تعبٍ، أو قِلَّةِ رزق، فإنه ييأس من فرج الله، ويقنط من رحمة الله: ﴿ لَّا يَسْـَٔمُ ٱلْإِنسَٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٌ قَنُوطٌ ﴿٤٩﴾ ﴾ [فصلت:٤٩].

وسبب قُنُوطِ العبد من رحمة الله، هو وقوع العبد في أنواع المعاصي، وما يتبعها من عقوبة السيئات، فيجد البَلَاءُ قلبًا هزيلًا قد أضعفته سيئات المعاصي، فلم يستطع للمعاصي دفعا، ولا على البلاء صبرا، فيقنط من رحمة الله: ﴿ وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا۟ بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ [الروم:٣٦].

وعلاج القنوط من رحمة الله هو التوبة الى الله من الذنوب مهما عَظُمَت وكَثُرَت، والصبر على البلاء: ﴿ ۞ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ ﴾ [الزمر:٥٣].

وقال الله ﷻ: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾ [البقرة:١٥٥-١٥٧].

ومن عبادات التروك ترك سوء الظن بالله، وسوء الظن بالله هو ظن الجاهلية، كما قال سبحانه: ﴿ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ۖ ﴾ [آل عمران:١٥٤].

وسوء الظن بالله أن يظن الإنسان أن الله لا ينصر أولياءه، أو الشك في حِكْمَة الله البالغة، أو الشك في إكرامه للصالحين يوم القيامة، أو الشك في وعده ووعيده، ونِسْبَةُ الشريك لله، فيدعونه مع الله في ظنهم أن فيه القدرة على تدبير الأمور مع الله، وعِلْم ما لا يعلمه إلا الله، ونحو ذلك مما يظنه الكفار والمنافقون: ﴿وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٦﴾﴾ [الفتح:٦].

ومن ذلك ترك سوء الظن بالمسلمين. وسوء الظن بالمسلمين يُوَلِّد الغيبة والنميمة، والتحسس والتجسس، والتباغض والتحاسد، والتدابر والتقاطع والتقاتل. فهذه ثمان آفات يُوَلِّدُها سوء الظن بالناس: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ۖ وَلَا تَجَسَّسُوا۟ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾ [الحجرات:١٢-١٣].

ومن عبادات التروك ترك موالاة الكفار، فتجب البراءة من الشرك والمشركين، وتجب عداوتهم وبغضهم، لشركهم بالله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾﴾ [المائدة:٥١].

فمن تولى بقلبه الكفار أخذ حكمهم، وأصبح منهم، وأصبح مثلهم في كفرهم وشركهم، لأن من تشبه بقوم فهو منهم.

ومن عبادات التروك ترك بُغْضِ الإسلام والمسلمين، أو بغض شيء مما شرعه الله ورسوله، كما يجب ترك حب الكفار لأجل كفرهم، لأن ذلك مناقض لحب الله، ورسوله، ودينه، وأوليائه.

ومن عبادات التروك ترك جحود النعمة ونسبتها إلى غير المنعم بها، فنسبة النعم إلى المنعم سبحانه أول منازل العبودية، ومن لم يشكر نعمة الله فقد جحد نعمته، كما قال الله عن الكفار: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٣﴾﴾ [النحل:٨٣].

ومن عبادات التروك ترك تعظيم غير الله، فَيَحْرُمُ على العبد تعظيم المخلوق، ورفعه عن حد العبودية، كالحلف بالآباء أو الشيوخ، أو بأي مخلوقٍ من المخاليق.

قال النبي ﷺ: «مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ الله فَقَدْ كفر أو أَشْرَكَ» أخرجه أحمد والترمذي(١).

فالتعظيم من عبادات القلوب، فيجب أن يصرف لله وحده، ومن صرفه لغير الله من مخلوقٍ حيٍ أو ميت، فقد كفر بالله، وأشرك معه غيره فيما يجب له وحده من التوحيد والتعظيم: ﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾﴾ [الشعراء:٢١٣].

ومن عبادات التروك، ترك التشاؤم والتطير.

قال النبي ﷺ «لَا عَدْوَى وَلَا طِيَرَةَ، وَيُعْجِبُنِي الفَأْلُ قالوا: وَما الفَأْلُ؟ قالَ: كَلِمَةٌ طَيِّبَةٌ» متفق عليه(٢).

ومن عبادات التروك ترك حسد الخلق على النعم الدنيوية والأخروية.

---

(١) **صحيح** / أخرجه أحمد برقم (٦٠٧٢) والترمذي برقم (١٥٣٥).

(٢) **متفق عليه** / أخرجه البخاري برقم (٥٧٥٦) ومسلم برقم (٢٢٢٤).

والحسد: تمني زوال نعمة الله عن المحسود: ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۖ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُ ۚ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا ﴿٥٥﴾ ﴾[النساء: ٥٤-٥٥].

والحسد كفرٌ، لما فيه من الاعتراض على قَدَرِ الله وَقِسْمَتِه، والحسد على نعمة الإيمان والطاعة لله كفر، لأنه تمني زوال الإيمان عن المحسود، وحصول الكفر بدلًا منه، وهو يدل على كراهية الحاسد للإيمان والمؤمنين: ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٩﴾ ﴾[البقرة: ١٠٩].

أما الحسد على الدنيا وزخارفها، وتمني زوال تلك النعم عن المحسود، فمحرم.

وسببه مرض القلب، وضعف إيمانه، وفقد حب الخير للمسلمين.

أما حسد الغبطة، فهو أن لا يتمنى العبد زوال النعمة عن الغير، وإنما يتمنى حصول مثلها لنفسه، حتى ينال الفضل مثله، وهذا مشروع.

قال النبي ﷺ «لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٍ آتَاه اللهُ مالًا فسلَّطه على هلَكَتِه في الحقِّ، ورَجُلٌ آتَاهُ اللهُ الحِكْمَةَ فَهو يَقْضِي بهَا ويُعَلِّمُهَا» متفق عليه[1].

ومن عبادات التروك ترك الإصرار على المعاصي، والإصرار هو عدم الندم على فعل المعصية، والعزم على العودة إلى المعصية متى قَدِرَ عليها: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ

---

(١) **متفق عليه** / أخرجه البخاري برقم (٧٣) ومسلم برقم (٨١٦).

﴿وَجَنَّٰتٌ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ ١٣٦﴾ [آل عمران:١٣٥-١٣٦].

والفرق بين الإباء والإصرار، أن الإباء هو رد الأمر على الآمر، كما فعل إبليس، والاستكبار عن امتثال أوامر الله، كما فعل إبليس: ﴿وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ أَبَىٰ وَٱسۡتَكۡبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٣٤﴾ [البقرة:٣٤].

فالإباء كفرٌ بالله، أما الإصرار على المعاصي فليس بكفر؛ لأن المُصِرَّ يُقِر بأن ما فعله ذنب، لكنه يأتيه لغلبة الشهوة على قلبه، وحبه لشهوة أكثر من خوفه من الله، فأصر على الشهوة، واقترف الذنب.

والمُصِرُّ على الذنب حتى الممات، تحت مشيئة الله، إن شاء الله عذبه بقدر ذنوبه، وإن شاء غفر له: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ١١٦﴾ [النساء:١١٦].

ومن عبادات التروك ترك الإلحاد في أسماء الله وصفاته: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ سَيُجۡزَوۡنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٨٠﴾ [الأعراف:١٨٠].

والإلحاد في أسماء الله هو صرفها عن معانيها.

ومن تروك العبادات ترك الأمن من مكر الله: ﴿أَفَأَمِنُواْ مَكۡرَ ٱللَّهِۚ فَلَا يَأۡمَنُ مَكۡرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ٩٩﴾ [الأعراف:٩٩].

ومن ذلك ترك الاعتراض على أقدار الله، والتسليم لأمره: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا ٦٥﴾ [النساء:٦٥].

ومن ذلك ترك اتباع الهوى: ﴿وَأَمَّا مَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفۡسَ عَنِ ٱلۡهَوَىٰ ٤٠ فَإِنَّ ٱلۡجَنَّةَ هِيَ ٱلۡمَأۡوَىٰ ٤١﴾ [النازعات:٤٠-٤١].

ومن ذلك ترك طول الأمل، والاستعداد للآخرة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ ٥﴾[فاطر:٥].

ومن تروك العبادات ترك قرناء السوء: ﴿وَإِذَا رَأَيۡتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيۡرِهِۦۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَلَا تَقۡعُدۡ بَعۡدَ ٱلذِّكۡرَىٰ مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ٦٨﴾[الأنعام:٦٨].

ومن ذلك ترك تعصب الجاهلية، وحمية الجاهلية، كمن يتعصب لجماعةٍ معينة قبل أن يعرف أنهم على الحق، أو ينحاز لأهل بلده، وإن كانوا على غير دينه، أو يتعصب لمذهبه أو شيخه، ولا يُبَالِي بمن خالفه ولو كان معه الدليل.

﴿أَفَحُكۡمَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ يَبۡغُونَۚ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكۡمٗا لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ٥٠﴾[المائدة: ٥٠].

٥- الأسباب المعينة على ترك المنهيات والمحرمات

الأول: العلم بالله وأسمائه، وصفاته، وأفعاله.

فمن عرف ربه حقا، آمن به، واتقاه، وأطاعه، ولم يعصه: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ١٩﴾ [محمد:١٩].

الثاني: الخوف من الله جلَّ جلاله.

فمن عرف الله حقًا، خَافَهُ حقا. فأطاع أمره، واجتنب نهيه: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ١٧٥﴾ [آل عمران:١٧٥].

وفعل الأوامر، واجتناب المناهي من أعظم عبوديات القلب: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ١٥ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ١٦ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ١٧﴾ [السجدة:١٥-١٧].

الثالث: علم العبد بِقُبْحِ المعاصي

وأن الله إنما حرمها ونهى عنها، صيانةً للعبد من الرذائل والدنايا، وحمايةً للعبد مما يضره في الدنيا والآخرة: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ٩٠﴾ [النحل:٩٠].

الرابع: الحياء من الله عَزَّ وَجَلَّ.

إن الله سبحانه يرى كل مخلوقٍ من خلقه، وينظر إليه وهو يطيعه أو يعصيه.

فليستحِ العبد من ربه الذي خلقه، وأدر عليه نعمه، أن يعصيه بنعمه التي لا تعد ولا تحصى: ﴿وَأَسِرُّوا۟ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُوا۟ بِهِۦٓ ۖ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ١٣ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ١٤﴾ [الملك:١٣-١٤].

الخامس : العلم بأن الذنوب تزيل النعم.

فما أذنب عبدٌ ذنبًا إلا زالت عنه نعمةٌ من نعم الله ﷻ، وإنَّ العبد ليُحرَم الرِّزقَ بالذنب يصيبه، ومن يعمل سوءاً يجز به: ﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾﴾ [النساء:١٢٣].

السادس : محبة الله ﷻ.

فكل محِبٍّ لمن يحب مطيع. فمن أحب الله أطاعه ولم يعصه. وكلما قوي إيمان العبد، قويت محبته لله ﷻ، فأسرع إلى طاعته، وحَذِرَ من معصيته :﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾﴾[محمد:١٩].

السابع : شرَفُ النفس وأَنَفتُها أن تختار الأسباب التي تحطُّ وتضع من قدرها، وتقرنها بالسَّفَلَة، الذين أشغلهم الشيطان بمعصية الله ومخالفة أوامره : ﴿۞ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ ٱعْبُدُونِى ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا ۖ أَفَلَمْ تَكُونُوا۟ تَعْقِلُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [يس:٦٠-٦٢].

الثامن : عِلْمُ العبد بأن من عصى الله فهو جاهلٌ بالله، وبحق الله، وجاهلٌ بعقوبة معصيته،ومن عرف الله حقًا أطاعه ولم يعصه : ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾[الزمر:٦٧].

التاسع : العلم بسوء عاقبة المعصية في الدنيا والآخرة.

فالمعاصي تُميتُ القلب، فلا يشعر بما ينفعه أو يضره، وتجعل العبد أسيرًا في يد أعدائه، وتضعفه، فلا يبقى له سلطانٌ على جوارحه.

والمعاصي تزيل الأمن والطمأنينة من القلب، فأخوف الناس أشدهم إساءةً،

وأكثرهم معصيةً :﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾﴾[النساء:١٤].

العاشر : اجتناب فُضُولِ الطعام، والشراب، والمنام، والكلام.

فالمعاصي إنما تنشأ من هذه الفضلات.

فإن النفس تطلب الاستكثار من الشهوات، فيضيق عليها المباح، فتتعداه إلى الحرام، والنفس لا تقعد فارغة، إن لم تشغلها بما ينفعها، شغلتك بما يضرها:﴿ ۞ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِىٓ ۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٣﴾﴾[يوسف:٥٣].

الحادي عشر : تذكر الموت، وما بعده من الأهوال.

فمن تذكر ذلك سارع إلى طاعة ربه، وابتعد عن معصيته.

قال النبي ﷺ: «أَكْثِرُوا ذِكْرَ هَادِمِ اللَّذَّاتِ» أخرجه الترمذي وابن ماجة(١).

الثاني عشر : علم العبد أن اللذة الموجودة في بعض المعاصي، بمنزلة طعام لذيذ، لكنه مسمومٌ يهلك من أكله، فللذُّنُوب آثارٌ قبيحة، مرارتها تزيد على حلاوتها أضعافًا مضاعفةً.

الثالث عشر : علمُ العبد أن الذنوب لها عقوبةٌ من الله عز وجل، لكن قد يتأخر وقوعها استدراجًا من الله ﷻ،فكلما أحدثوا ذنبًا أحدث اللهُ لهم نعمة ليزدادوا إثما :﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ ۚ إِنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِثْمًا ۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٧٨﴾﴾[آل عمران:١٧٨].

الرابع عشر : العلمُ بأن حلاوة الذنوب لا تزيل الهموم، وإنما تُغَيِّبُهَا فترة، لتعود أشد ما تكون في العاجل والآجل : ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾﴾[طه:١٢٤-١٢٦].

---

(١)**صحيح** / أخرجه الترمذي برقم (٢٣٠٧) وابن ماجة برقم (٤٢٥٨).

الخامس عشر: علم العبد أن ترك المعاصي له ثمراتٌ كثيرةٌ في الدنيا والآخرة. فبترك الذنوب والمعاصي تكون المروءة، وصون العرض، وحفظ الجاه، وصيانة المال، وإصلاح المعاش، ومحبة الخلق، وراحة البدن، وطيب النفس، وسلامة القلب، والأمن من مخاوف الفساد، والأمن من مخاوف الفُسَّاقِ والفُجَّارِ، وقلة الهم والغم والحزن، وعِزُّ النفس، وتيسير الأمور، والسلامة من العقوبة: ﴿ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾﴾ [الطلاق: ٢-٣].

السادس عشر: مجاهدة النفس، وحملها على فعل الطاعات، واجتناب المعاصي، ابتغاء مرضات الله: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾﴾ [العنكبوت: ٦٩].

السابع عشر: العلم بفضائل الطاعات، وعقوبة المعاصي.

فمن عرف ذلك سارع إلى طاعة الله، واجتنب معصية الله: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾﴾ [النساء: ١٣-١٤].

الثامن عشر: العلم بسيرة الأنبياء والمرسلين، وماهم عليه من حُسن الطاعة، والعبادة، وكمال الإيمان، والتقوى، واجتناب المعاصي: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [الأنبياء: ٩٠].

التاسع عشر: دعاء الله ﷻ أن يرزقه كمال الإيمان والتقوى.

فمن رزقه الله ذلك سارع إلى فعل الطاعات، واجتناب المعاصي، حبًا لله، وخوفًا

من عقابه، وطلبًا لمرضاته، ورجاءً لثوابه: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾ [البقرة:١٨٦].

العشرون: لزوم بيئة الإيمان، وحضور مجالس العلم، والوعظ، والذكر، والانقطاع عن أهل الغفلة والمعاصي: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾﴾ [الكهف:٢٨].

﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٣﴾﴾ [آل عمران:٥٣].

﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٨﴾﴾ [آل عمران:٨].

اللَّهُمَّ اهْدِنَا فِيمَنْ هَدَيْت، وَعَافِنَا فِيمَنْ عَافَيْت، وَتَوَلَّنَا فِيمَنْ تَوَلَّيْت، وَقِنَا بِرَحْمَتِك، وَاصْرِفْ عَنَّا شَرَّ مَا قَضَيْت.

سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ.

عبادات القلوب

في ضوء القرآن والسنة

القسم الثاني : عبادات التروك

العبادة الأولى

تروك الإعتقاد

العبادة الأولى

تروك الاعتقاد

العبادات في الإسلام تنقسم إلى قسمين :

الأول: عبادات الأفعال القلبية والبدنية .

وهي التعبد لله بفعل كل شيء أمر الله ﷻ به كتوحيد الله، والإيمان به، والخوف منه، والتوكل عليه، والصلاة والصيام ونحو ذلك من العباداتالفعلية.

الثاني: عبادات التروك القلبية والبدنية .

وهي التعبد لله بترك كل شيء نهى الله عنه كترك الكفر والشرك وترك الزنى والربا ونحو ذلك من عبادات التروك .

وعبادات التروك أربعة أقسام:

الأول: تروك الاعتقاد كترك الكفر والشرك، والنفاق والرياء ونحو ذلك .

الثاني: تروك الأقوال كترك السب واللعن، وشهادة الزور ونحو ذلك.

الثالث: تروك الأفعال كترك الزنى، وترك شرب الخمر ونحو ذلك.

الرابع: تروك الأخلاق كترك الكبر والحسد، والبغي والظلم ونحو ذلك.

فكما يؤجر العبد ويثاب على عبادات الأفعال، فكذلك يثاب ويؤجر على عبادات التروك، كما قال سبحانه :﴿وَٱلَّذِينَ ٱجۡتَنَبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعۡبُدُوهَا وَأَنَابُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰۚ فَبَشِّرۡ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقَوۡلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحۡسَنَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿١٨﴾﴾[الزمر:١٧ -١٨].

فجميع الأعمال بالنيات، فمن فعل شيئًا من العبادات ابتغاء مرضاة، الله فله أجره عند ربه على فعل تلك العبادات، ومن ترك المناهي والمحرمات ابتغاء مرضاة

الله،فله أجره عند ربه على ذلك الترك: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ٢٥٦﴾[البقرة:٢٥٦].

ولقبول العمل في الأفعال والتروك لابد من النية بأن يكون الفعل أو الترك ابتغاء مرضاة الله ﷻ: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ٥﴾[البينة:٥].

وقال النبي ﷺ: «إنَّما الأعمالُ بالنِّيَّةِ، وإنَّما لِكُلِّ امرئٍ ما نوى» متفق عليه(١).

وتروك الاعتقاد كثيرة ومن أعظمها ما يلي:

الأول: ترك الكفر بالله:

وهو أعظم التروك التي يجب على المؤمن تركها، لأن الكفر ضد الإيمان و لا بد مع الإيمان بالله من الكفر بالطاغوت: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ٢٥٦﴾[البقرة:٢٥٦].

فالإيمان هو أصل العبادات كلها، وترك الكفر من لوازم الإيمان، وكما أن الإيمان عبادة فيها أجر من الله، فكذلك ترك الكفر عبادة فيها أجر من الله: ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ فَمِنۡهُم مَّنۡ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنۡهُم مَّنۡ حَقَّتۡ عَلَيۡهِ ٱلضَّلَٰلَةُۚ فَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ٣٦﴾[النحل:٣٦].

وقال ﷻ: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱجۡتَنَبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعۡبُدُوهَا وَأَنَابُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰۚ فَبَشِّرۡ عِبَادِ ١٧ ٱلَّذِينَ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقَوۡلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحۡسَنَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ١٨﴾[الزمر:١٧-١٨].

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (١) ومسلم برقم (١٩٠٧).

فلله الحمد على إعطاء الأجر على الإيمان، وإعطاء الأجر على ترك الكفر: ﴿فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾﴾ [الجاثية:٣٦-٣٧].

الثاني: ترك الشرك بالله ﷻ:

فالتوحيد عبادة فيها أجر، وترك الشرك عبادة فيها أجر، وترك الشرك من لوازم التوحيد، فلا توحيد مع الشرك: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾﴾ [المائدة:٧٢].

والشرك محبط لجميع الأعمال: ﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [الزمر:٦٥-٦٦].

وقال النبي ﷺ: «قال اللهُ تعالَى: أنا أغْنَى الشُّركاءِ عنِ الشِّركِ، مَنْ عمِلَ عملًا أشركَ فيه معِيَ غيري تركتُهُ وشِركَهُ» أخرجه مسلم(١).

فالتوحيد أحسن المحاسن، وأعدل العدل، والشرك أقبح القبائح، وأعظم الظلم: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾﴾ [لقمان:١٣].

ومن صفات عباد الله المتقين تحقيق التوحيد، واجتناب الشرك: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴿٦١﴾﴾ [المؤمنون:٥٧-٦١].

الثالث: ترك النفاق:

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٩٨٥).

والنفاق هو إظهار الإسلام، وإبطان الكفر، ومن مات على النفاق، ولم يتب منه فهو مخلد في النار:﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِٱللَّهِ وَأَخْلَصُوا۟ دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَسَوْفَ يُؤْتِ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٤٦﴾﴾[النساء: ١٤٥ –١٤٦].

فالإيمان عبادة فيها أجر وثواب، وترك النفاق عبادة فيها أجر وثواب .

فسبحان الرب الكريم الذي يعطي الأجر على الإيمان، ويعطي الأجر على ترك النفاق:﴿هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾[غافر: ٦٥].

الرابع: ترك الرياء :

والرياء ضد الإخلاص، وإخلاص العمل لله عبادة، وترك الرياء عبادة، والله كريم يعطي الأجر على الفعل وعلى الترك :﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف: ١١٠].

وقد حذر الله من الرياء في كتابه بقوله :﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ﴿٦﴾ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ﴿٧﴾﴾ [الماعون: ٤ –٧].

والرياء نوع من أنواع الشرك والنفاق والكذب، وإذا دخل في عملٍ أفسده :﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا۟ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾﴾[النساء:١٤٢].

وقال النبي ﷺ:«مَنْ سَمَّعَ سَمَّعَ اللهُ بِهِ، وَمَنْ يُرَائِي يُرَائِي اللهُ بِهِ» متفق عليه(١).

الخامس: ترك الإلحاد :

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٤٩٩) ومسلم برقم (٢٩٨٧).

والإلحاد نفي وجود خالق لهذا الكون العظيم، والإيمان إثبات خالقٍ وإلهٍ وربٍ لهذا الكون العظيم: ﴿ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ قَالُوا إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ ﴾ [إبراهيم: ١٠].

فالإيمان بالله عبادة، وترك الإلحاد عبادة، وللعبد أجر وثواب على الإيمان بالله،وعلى ترك الإلحاد، وقد توعّد الله الملحدين بالنار كما قال سبحانه: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا ۗ أَفَمَن يُلْقَىٰ فِي النَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۚ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ ۖ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤٠﴾ ﴾ [فصلت: ٤٠].

والإلحاد في أسماء الله وصفاته من أعظم أنواع الإلحاد التي تنافي كمال الرب عز وجل: ﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾ ﴾ [الأعراف: ١٨٠].

والإلحاد هو الكفر بالله، وإنكار وجوده، وتكذيب رسله وكتبه، نعوذ بالله من ذلك.

السادس: ترك الغلو في الدين:

والغلو مجاوزة الحد المشروع في الدين، سواءً كان في الاعتقاد أو القول أو الفعل، وهو التشدد في الدين،والتنطع والتكلف بما لم يأت به الشرع، وهو ضد التيسير، وقد نهى الله عن الغلو في الدين بقوله: ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴿٧٧﴾ ﴾ [المائدة: ٧٧].

وقال الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ٨٧ وَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلٗا طَيِّبٗاۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِيٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤۡمِنُونَ ٨٨﴾ [المائدة: ٨٧-٨٨].

وقال النبي ﷺ: «إِيَّاكم والغُلوَّ في الدِّينِ، فإِنَّهُ أَهْلَكَ من كانَ قبلَكُمُ الغلوُّ في الدِّينِ» أخرجه النسائي وابن ماجة(١).

فمن استقام على أوامر الله بلا زيادة أو نقص، فهذا عمله مقبول، ومن جاوز حدود الله وأحكامه، فقد غلا في الدين، ووقع في المحذور.

قال النبي ﷺ: «هَلَكَ المتَنَطِّعُونَ قالَهَا ثَلاثًا» أخرجه مسلم (٢).

فالاستقامة على أوامر الله عبادة، وترك الغلو في الدين عبادة، والله سبحانه يعطي الأجر على هذا وهذا: ﴿فَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطۡغَوۡاْۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ١١٢ وَلَا تَرۡكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنۡ أَوۡلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ١١٣﴾ [هود: ١١٢-١١٣].

السابع: ترك سوء الظن:

فحسن الظن عبادة، وترك سوء الظن عبادة، والعبد يثاب من ربه على حسن الظن، وعلى ترك سوء الظن، وسوء الظن بالله من أعظم الذنوب، بل هو كفر بالله ﷻ، وسبب لغضبه ولعنه وعقابه: ﴿وَيُعَذِّبَ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ وَٱلۡمُشۡرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوۡءِۚ عَلَيۡهِمۡ دَآئِرَةُ ٱلسَّوۡءِۖ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ وَلَعَنَهُمۡ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرٗا ٦﴾ [الفتح: ٦].

الثامن: ترك البدع بأنواعها:

---

(١) صحيح / خرجه النسائي برقم (٣٠٥٧) وابن ماجة برقم (٣٠٢٩).

(٢) أخرجه مسلم برقم (٢٦٧٠).

فالبدعة خلاف السنة، والعمل بالسنة عبادة، وترك البدعة عبادة، والعبد يثاب من ربه على العمل بالسنة، وعلى ترك البدعة، وقد ذمَّ الله البدع بأنواعها بقوله : ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ١١٥﴾[النساء:١١٥].

وقال النبي ﷺ: «مَن أَحْدَثَ في أَمْرِنَا هذا ما ليسَ فِيهِ، فَهو رَدٌّ» متفق عليه(١).

التاسع: ترك الاستعانة بغير الله ﷻ فيما لا يقدر عليه إلا الله.

فالاستعانة بالله عبادة، وترك الاستعانة بغير الله عبادة ،والعبد يثاب من ربه على هذه وهذه : ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ٣ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ٤ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ٥﴾[الفاتحة:٢-٥].

فإذا سألت فاسأل الله وحده، وإذا استعنت فاستعن بالله وحده، لأنه هو القادر على كل شيء الغني الذي خزائنه وسعت كل شيء : ﴿هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦٥﴾[غافر:٦٥].

العاشر: ترك التعظيم لغير الله :

فالتعظيم لله عبادة، وترك التعظيم لغير الله عبادة : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ١ قُمۡ فَأَنذِرۡ ٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ ٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ ٤ وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ ٥ وَلَا تَمۡنُن تَسۡتَكۡثِرُ ٦ وَلِرَبِّكَ فَٱصۡبِرۡ ٧﴾ [المدثر:١-٧].

فالله عز وجلهو العظيم الذي يستحق التعظيم، لكمال ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، وعظمة ملكه وسلطانه، وعظمة نعمه وإحسانه، وكل ما سوى الله عبيد له، أذلة بين يديه : ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ

(١)متفق عليه، أخرجهالبخاري برقم (٢٦٩٧) ومسلم برقم (١٧١٨) .

﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾﴾[البقرة:٢٥٥].

والعبد يثاب من ربه على تعظيمه لربه، وتكبيره وتمجيده له، ويثاب على ترك التعظيم لغير الله من المخاليق: ﴿هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾[غافر:٦٥].

الحادي عشر: ترك الحب لغير الله:

فحب الله هو روح العبودية، وحب غير الله حبًا يستلزم الذل له، والخضوع له، شركٌ بالله عز وجل: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ﴾[البقرة:١٦٥].

والعبد يثاب من ربه على حب الله عز وجل، وعلى ترك الحب لغير الله عز وجل من المخاليق: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٥٦﴾﴾[المائدة:٥٤-٥٦].

الثاني عشر: ترك الخوف من غير الله عز وجل:

فالخوف من الله عز وجلعبادة من أعظم العبادات، وترك الخوف من غير الله عبادة، والعبد يثاب على هذا وهذا من ربه الكريم: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾﴾[آل عمران:١٧٥].

الثالث عشر: ترك التوكل على غير الله:

فالتوكل على الله ﷻ عبادة، وترك التوكل على غير الله عبادة، والله يعطي الأجر لمن توكل عليه، واجتنب التوكل على غيره: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ١٣﴾ [التغابن:١٣].

ومن توكل على الله كفاه وأغناه عما سواه: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦۚ قَدۡ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيۡءٖ قَدۡرٗا ٣﴾ [الطلاق:٢-٣].

الرابع عشر: ترك الخشية من غير الله:

فخشية الله عبادة، وترك الخشية من غير الله عبادة: ﴿فَلَا تَخۡشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخۡشَوۡنِ وَلَا تَشۡتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنٗا قَلِيلٗاۚ وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ٤٤﴾ [المائدة:٤٤].

وقال ﷻ: ﴿أَتَخۡشَوۡنَهُمۡۚ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخۡشَوۡهُ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ١٣﴾ [التوبة:١٣].

وقال ﷻ: ﴿إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ٢٨﴾ [فاطر:٢٨].

الخامس عشر: ترك دعاء غير الله ﷻ:

فدعاء الله ﷻ عبادة من العبادات، وترك دعاء غير الله عبادة، والمسلم يثاب على دعاء الله، وعلى ترك دعاء غير الله: ﴿هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦٥﴾ [غافر:٦٥].

وكل من دعا غير الله خاب وخسر: ﴿فَلَا تَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُعَذَّبِينَ ٢١٣﴾ [الشعراء:٢١٣].

ومن دعا الله وحده أجابه، وفاز برضوانه وجنته: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لِي وَلۡيُؤۡمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمۡ يَرۡشُدُونَ ١٨٦﴾ [البقرة:١٨٦].

السادس عشر: ترك الاستغاثة بغير الله:

فالاستغاثة بالله عبادة، وترك الاستغاثة بغير الله عبادة، ومن استغاث بالله وحده أغاثه، ومن استغاث بغير الله خذله الله من جهته :﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾﴾[الأنفال:٩].

وقال ﷻ: ﴿لَّا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴿٢٢﴾﴾[الإسراء:٢٢].

السابع عشر: ترك الذل لغير الله ﷻ:

فالذل لله ﷻ عبادة، وترك الذل لغير الله عبادة.

فالله هو العزيز الذي يجب على العباد الذل له، وكل ما سواه عبيد له، أذلة بينيديه: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿١﴾﴾ [الجمعة:١].

فالله وحده هو العزيز، وكل ما سواه ذليل لعزته، متصاغر لكبريائه :﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ الذُّلِّ ۖ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا ﴿١١١﴾﴾ [الإسراء:١١١].

هو سبحانه العزيز الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الحميدة :﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ۖ هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾ [الحشر:٢٢-٢٤].

الثامن عشر: ترك الاستعاذة بغير الله :

فالاستعاذة بالله عبادة مأمورٌ بها كما قال سبحانه:﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ ۚ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾﴾[الأعراف:٢٠٠].

وترك الاستعاذة بغير الله عبادة، لأن كل ما سوى الله ليس بيده شيء، وإنما الأمر كله لله :﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ٦﴾[الجن:٦].

فكل من تعلق بغير الله عُذِّب به: ﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ٢١٣﴾[الشعراء:٢١٣].

التاسع عشر: ترك الحلف بغير الله ﷻ:

فالحلف بالله عبادة، وترك الحلف بغير الله عبادة، لأن الحلف بالله تعظيم لله، وهو مستحق لذلك لعظمته وجلاله، وجماله وكماله، وكل ما سواه سبحانه عبيد له، فقراء إليه:﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ١٥﴾ [فاطر:١٥].

فمن حلف بالله فله ثوابٌ من ربه، ومن ترك الحلف بغير الله فله ثوابٌ من ربه، ومن حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك.

قال النبي ﷺ:«مَنْ حَلَفَ بِغَيرِ الله فَقَدْ كَفَرَ أو أَشْرَكَ»أخرجه أحمد والترمذي[1]

ومن حلف بغير الله كالأصنام فكفارته أن يأت بعده بكلمة التوحيد بصدق وإخلاص(لا إله إلا الله).

قال النبي ﷺ:«مَنْ حَلَفَ فَقَالَ فِي حَلِفِهِ بِاللاَّتِ وَالْعُزَّى. فَلْيَقُلْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ»متفق عليه [2]

العشرون: ترك الاستهزاء بالله، أو رسله، أو كتبه، أو شعائره:

فالإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر كل ذلك من أركان الإيمان، ومن استهزأ بشيء من ذلك فقد كفر، كما قال سبحانه عن المنافقين:﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ

---

(١) صحيح/ أخرجهأحمد برقم (٦٠٧٢) والترمذي برقم (١٥٣٥) .

(٢)متفق عليه، أخرجهالبخاري برقم (٦٢٧٤) ومسلم برقم (١٦٤٧) .

وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَـٰنِكُمْ ۚ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةًۢ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾﴾[التوبة:٦٥-٦٦].

والمؤمن يثاب على الإيمان بالله وتعظيمه، ويثاب على ترك الاستهزاء بالله ورسوله ودينه :﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَـٰبِقُونَ ﴿٦١﴾﴾[المؤمنون:٥٧-٦١].

الحادي والعشرون: ترك تعلم السحر وتعليمه، وترك الذهاب إلى السحرة والكهان والعرافين، لأن ذلك كفر لما فيه من ادعاء علم الغيب الذي لا يعلمه إلا الله :﴿وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَـٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَـٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَـٰنُ وَلَـٰكِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ﴾[البقرة:١٠٢].

وقال النبي ﷺ:«مَن أتى كاهنًا فصَدَّقَه بما يقولُ، فقد كَفَرَ بما أُنْزِلَ على محمَّدٍ ﷺ» أخرجه أبو داود(١).

فالفقه في الدين عبادةٌ فيها ثوابٌ من الله، وترك تعلم السحر وتعليمه عبادةٌ فيها ثوابٌ من الله :﴿وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّـٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ ۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴿١٨﴾﴾[الزمر:١٧-١٨].

الثاني والعشرون: ترك الطواف على القبور :

فالطواف بالكعبة عبادة، وترك الطواف على القبور أو الأشجار أو الأصنام عبادة، والطواف على القبور شرك بالله، فالطواف عبادة شرعها الله بالكعبة فقط كما قال سبحانه :﴿ثُمَّ لْيَقْضُوا۟ تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا۟ نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا۟ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴿٢٩﴾﴾[الحج:٢٩].

---

(١) صحيح/ أخرجه أبو داود برقم (٣٩٠٤).

وكل طوافٍ بما سوى الكعبة فهو شركٌ و باطلٌ ومردودٌ على صاحبه :﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾ ﴾[النساء: ١١٥].

وقال النبي ﷺ: «مَن أحْدَثَ في أمْرِنا هذا ما ليسَ منه فَهو رَدٌّ» متفق عليه[1].

الثالث والعشرون: ترك اتباع الهوى :

فاتباع هدى الله ﷻ عبادة، وترك اتباع الهوى عبادة، وهوى النفس أعظم صنم معبود من دون الله ﷻ : ﴿ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلۡجَحِيمَ هِيَ ٱلۡمَأۡوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفۡسَ عَنِ ٱلۡهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلۡجَنَّةَ هِيَ ٱلۡمَأۡوَىٰ ﴿٤١﴾ ﴾ [النازعات: ٣٧ – ٤١] .

وكل من أعرض عن اتباع هدى الله فقد اتبع هواه، وعبده من دون الله :﴿ فَإِن لَّمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَكَ فَٱعۡلَمۡ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهۡوَآءَهُمۡۚ وَمَنۡ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيۡرِ هُدٗى مِّنَ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٠﴾ ﴾[القصص: ٥٠].

وصاحب الهوى عبدٌ لهواه لا لربه، حيثما سارت به مراكبه سار، وحيثما توجهت به ركائبه توجه، فمن أضل ممن ترك هدى ربه واتبع هوى نفسه: ﴿ أَفَرَءَيۡتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلۡمٖ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمۡعِهِۦ وَقَلۡبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةٗ فَمَن يَهۡدِيهِ مِنۢ بَعۡدِ ٱللَّهِۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾[الجاثية: ٢٣].

الرابع والعشرون: من تروك الاعتقاد: ترك الفخر بالأحساب، والطعن في الأنساب، وترك الاستسقاء بالنجوم، وترك النياحة على الميت .

فهذه كلها من أمر الجاهلية التي حرمها الإسلام :﴿ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ﴿٤٩﴾ أَفَحُكۡمَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ يَبۡغُونَۚ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكۡمٗا لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾[المائدة: ٤٩-٥٠].

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٢٦٩٧) ومسلم برقم (١٧١٨) .

وقال النبي ﷺ: «أَرْبَعٌ في أُمَّتي مِن أمْرِ الجاهِلِيَّةِ، لا يَتْرُكُونَهُنَّ: الفَخْرُ في الأحْسابِ، والطَّعْنُ في الأنْسابِ، والاسْتِسْقاءُ بالنُّجُومِ، والنِّياحَةُ» أخرجه مسلم[1].

فترك كل ذلك عبادةٌ يتقرب بها العبد إلى ربه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴿٦١﴾﴾ [المؤمنون: ٥٧-٦١].

الخامس والعشون: ترك سب الله ورسوله ودينه:

فمن أثنى على الله ورسوله ودينه فهو في عبادة، ومن ترك سب الله ورسوله ودينه فهو في عبادة، وسب الله أو رسوله أو دينه من أعظم الكبائر، وأشد المنكرات، ومن أعظم نواقض الإسلام، ومن أسباب الردة عن الإسلام، وذلك كله من الكفر بالله ﷻ: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ۚ﴾ [التوبة: ٦٥-٦٦].

السادس والعشرون: ترك عبادة الأصنام والأوثان:

فعبادة الله وحده لا شريك له هي روح العبودية، ومقصود الرب من خلقه إخلاص العبادة له وحده لا شريك له كما قال سبحانه: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾﴾ [البينة: ٥].

وترك عبادة الأصنام والأوثان عبادة، وهي من لوازم إخلاص العبادة لله وحده: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ ۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٨﴾﴾ [الزمر: ١٧-١٨].

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٩٣٤).

فللمسلم ثواب على عبادة الله وحده، وله ثواب على اجتناب عبادة الأصنام والأوثان: ﴿ فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ ﴿٣٠﴾ حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾ ﴾ [الحج: ٣٠ – ٣٢].

السابع والعشرون: ترك الحكم بغير شريعة الله:

فالحكم بشريعة الله عز وجل عبادة، وترك الحكم بغير شريعة الله عبادة، والمسلم يثاب على الحكم بما أنزل الله، ويثاب على ترك الحكم بغير ما أنزل الله: ﴿ وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ﴿٤٩﴾ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾ [المائدة: ٤٩ – ٥٠].

والحكم بغير ما أنزل الله كفر، وظلم، وفسق، فمن عرف حكم الله، وحكم بغير ما أنزل الله، واتبع هواه، فقد كفر: ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ [المائدة: ٤٤].

وحكم الله أحسن الأحكام وأعدلها: ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا۟ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۖ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٩﴾ هَٰذَا بَصَٰٓئِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾ [الجاثية: ١٨ – ٢٠].

الثامن والعشرون: ترك مظاهرة المشركين، ومعاونتهم على المسلمين:

فمعاونة الكفار على المسلمين ردة، كما قال سبحانه: ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ ﴾ [المائدة: ٥١].

فتعاون المسلمين مع المسلمين على البر والتقوى عبادة،وترك مظاهرة المشركين وإعانتهم على المسلمين عبادة، ومظاهرة المسلمين للكفار كفر وردة : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡ كَٰفِرِينَ ﴿١٠٠﴾ وَكَيۡفَ تَكۡفُرُونَ وَأَنتُمۡ تُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمۡ رَسُولُهُۥۗ وَمَن يَعۡتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدۡ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿١٠١﴾ ﴾[آل عمران: ١٠٠-١٠١].

التاسع والعشرون: ترك النظر في البروج لمعرفة ما سيقع في المستقبل

فمن ترك ذلك ولم يعبأ به فهو في عبادة، لأن الاستدلال بالأبراج على أمور غيبية ستحصل للإنسان من ادعاء علم الغيب، وعلم الغيب لا يعلمه إلا الله وحده :﴿ قُل لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ وَمَا يَشۡعُرُونَ أَيَّانَ يُبۡعَثُونَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱدَّٰرَكَ عِلۡمُهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ بَلۡ هُمۡ فِي شَكّٖ مِّنۡهَاۖ بَلۡ هُم مِّنۡهَا عَمُونَ ﴿٦٦﴾ ﴾[النمل: ٦٥-٦٦].

وقال الله عز وجل: ﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۚ وَمَا تَسۡقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعۡلَمُهَا وَلَا حَبَّةٖ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡأَرۡضِ وَلَا رَطۡبٖ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ﴿٥٩﴾ ﴾[الأنعام: ٥٩].

وقال النبي ﷺ: «مِنِ اقتبسَ عِلمًا منَ النُّجوم، اقتبسَ شعبةً منَ السِّحرِ زادَ ما زادَ» أخرجه احمد وأبو داود (١)

الثلاثون: ترك الذبح لغير الله :

فمن ذبح وذكر اسم الله عند الذبح فهو في عبادة، ومن ترك الذبح لغير الله فهو في عبادة، ومن ذبح لغير الله فقد أشرك بالله :﴿ قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرۡتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ﴾[الأنعام: ١٦٢-١٦٣].

فالذبح لغير الله شرك، سواء كان عند القبور، أو عند غيرها، إذا نوى التقرب به إلى المخلوق، أو الجن، أو الأصنام، أو الأولياء، لأن نسك الذبح عبادة لا

---

(١) صحيح/ أخرجه أحمد برقم (٢٨٤٠) وأبو دادو برقم (٣٩٠٥) .

تصرف إلا لله وحده :﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ ٢﴾ [الكوثر:١-٢].

فالذي يذبح لغير الله كالذي يصلي لغير الله، كالذي يسجد لغير الله ،هذا كله من الشرك :﴿وَلَقَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٦٥ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعۡبُدۡ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ٦٦﴾[الزمر: ٦٥ – ٦٦].

الحادي والثلاثون: ترك الكبر والاستكبار عن الحق:

فكما أن التواضع عبادة لله ﷻ، فكذلك ترك الكبر والاستكبار عن الحق عبادة، وقد ذم الله المستكبرين عن عبادته بقوله :﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ٦٠﴾[غافر: ٦٠].

والله سبحانه هو وحده الذي تكبر عن صفات النقص والعيب، وما لا يليق به من صفات المخلوقين، وتمجد بأسمائه الحسنى، وصفاته العلى، وأفعاله الكبرى : ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۖ هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ٢٢ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلۡمُؤۡمِنُ ٱلۡمُهَيۡمِنُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡجَبَّارُ ٱلۡمُتَكَبِّرُۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٢٣ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡخَٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ ٱلۡمُصَوِّرُۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٢٤﴾ [الحشر: ٢٢-٢٤].

والله ﷻ هو الكبير المتكبر، وهو لا يحب المستكبرين من خلقه :﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡتَكۡبِرِينَ ٢٣﴾[النحل:٢٣].

وكل من استكبر عن قبول الحق لم ينفعه إيمانه، كما فعل إبليس، بل هو كافر كما قال سبحانه :﴿وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ أَبَىٰ وَٱسۡتَكۡبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٣٤﴾[البقرة: ٣٤].

ومن استكبر عن قبول الحق فمصيره إلى النار: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [غافر: ٦٠].

وقال النبي ﷺ: قال الله ﷻ: «العظمةُ إزاري، والكبرياءُ ردائي، فمَن نازعَني واحدًا منهُما، ألقَيتهُ في النَّارِ» أخرجه مسلم وابن ماجة (١).

والمستكبر لا يدخل الجنة.

قال النبي ﷺ: «لا يدخلُ الجنَّةَ من كانَ في قلبِه مثقالُ ذرَّةٍ مِن كِبرٍ» أخرجه مسلم (٢).

الثاني والثلاثون: من تروك الاعتقاد: ترك العجب والفخر والخيلاء.

فمن ترك ذلك امتثالًا لأمر الله فهو في عبادة، والله يحبه: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾﴾ [لقمان: ١٨].

وقال النبي ﷺ: «بَيْنَمَا رَجُلٌ يَتَبَخْتَرُ يَمْشِي فِي بُرْدَيْهِ قَدْ أَعْجَبَتْهُ نَفْسُهُ فَخَسَفَ اللهُ بِهِ الأَرْضَ فَهُوَ يَتَجَلْجَلُ فِيهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ» متفق عليه (٣).

وقال النبي ﷺ: «إنَّ اللهَ أَوْحَى إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا حتى لا يَفْخَرَ أحدٌ على أَحَد» أخرجه مسلم (٤).

الثالث والثلاثون: ترك اليأس من روح الله:

واليأس هو قطع الرجاء والأمل بالله، وذلك من الكفر بالله ﷻ، كما قال سبحانه: ﴿يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴿٨٧﴾﴾ [يوسف: ٨٧].

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٦٢٠) وأبن ماجة برقم (٤١٧٥).
(٢) أخرجه مسلم برقم (٩١).
(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٥٧٨٩) ومسلم برقم (٢٠٨٨).
(٤) أخرجه مسلم برقم (٢٨٥٦).

وإذا ضعف إيمان العبد بالله، أعرض عن الطاعة عند النعمة، وأصابه اليأس من الفرج عند المصيبة: ﴿وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ ۖ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ يَـُٔوسًا ﴿٨٣﴾﴾[الإسراء:٨٣].

وهذه حال الكافر كما قال سبحانه: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَٰهَا مِنْهُ إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٌ كَفُورٌ ﴿٩﴾﴾[هود:٩].

وسبب اليأس هو الشيطان الذي يزين للعبد المعصية، ثم ييئسه من رحمة الله بعد وقوعه فيها، فيزداد إثمًا بعد إثم، وإساءةً بعد إساءة.

الرابع والثلاثون: من تروك الاعتقاد: ترك القنوط من رحمة الله:

والقنوط من رحمة الله هو اليأس من قدرة الله على تفريج الكربات، وهذا من أعظم الضلال والجهل بأسماء الله وصفاته وقدرته: ﴿قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴿٥٦﴾﴾[الحجر:٥٦].

فالكافر والجاهل إذا أصابه الضر من مصيبة أو مرض ييأس من فرج الله، ويقنط من رحمة الله: ﴿لَّا يَسْـَٔمُ ٱلْإِنسَٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٌ قَنُوطٌ ﴿٤٩﴾﴾[فصلت:٤٩].

وسبب القنوط من رحمة الله هو الشيطان الذي يوقع العبد في أنواع المعاصي، ثم يقنطه من رحمة الله بعد فعلها: ﴿وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا۟ بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴿٣٦﴾﴾[الروم: ٣٦].

وعلاج القنوط من رحمة الله هو التوبة إلى الله مهما كانت الذنوب: ﴿۞ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾[الزمر:٥٣].

الخامس والثلاثون: ترك موالاة الكفار:

فتجب البراءة من الكفار والمشركين، وتجب عداوتهم وبغضهم، لكفرهم بالله وَجَلَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٥١﴾[المائدة:٥١].

فمن تولى الكفار والمشركين أخذ حكمهم، وأصبح مثلهم في كفرهم وشركهم

السادس والثلاثون: ترك التشاؤم والتطير :

فمن ترك ذلك، لأن الله نهى عنه فهو في عبادة يؤجر عليها .

قال النبي ﷺ: «لا عَدوى ولا طِيَرةَ وأُحِبُّ الفأْلَ، قالوا يا رَسولَ اللهِ: وما الفَأْلُ ؟ قالَ : الكلِمةُ الطَّيِّبةُ» أخرجه أبو داود(١).

السابع والثلاثون: ترك الأمن من مكر الله :

فمن ترك ذلك، لأن الله نهى عنه، فهو في عبادة يؤجر عليها :﴿أَفَأَمِنُواْ مَكۡرَ ٱللَّهِۚ فَلَا يَأۡمَنُ مَكۡرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ٩٩﴾[الأعراف:٩٩].

الثامن والثلاثون: ترك بغض الإسلام والمسلمين، أو بغض شيء من الدين:

فمن ترك ذلك فهو في عبادة يؤجر عليها من ربه: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا ٦٥﴾[النساء: ٦٥].

التاسع والثلاثون: ترك حسد الخلق على النعم الدنيوية والأخروية :

والحسد تمني زوال نعمة الله عن المحسود، والحسد كفر، لما فيه من الاعتراض على قدر الله وقسمته :﴿أَمۡ يَحۡسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦۖ فَقَدۡ ءَاتَيۡنَآ ءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَءَاتَيۡنَٰهُم مُّلۡكًا عَظِيمٗا ٥٤ فَمِنۡهُم مَّنۡ ءَامَنَ بِهِۦ وَمِنۡهُم مَّن صَدَّ عَنۡهُۚ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا ٥٥﴾[النساء: ٥٤-٥٥].

---

(١) أخرجه ابو داود برقم (٣٩١٦) وأصله في الصحيحين.

وقد أمر الله ﷻ رسوله محمدًا ﷺ أن يستعيذ بالله من الحسد، كما قال سبحانه: ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ ١ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ٢ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ٣ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِي ٱلۡعُقَدِ ٤ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ٥﴾ [الفلق: ١-٥].

فمن رضي بقسمة الله على عباده فهو في عبادة، ومن ترك الحسد، لأن الله ﷻ نهى عنه، فهو في عبادة يؤجر عليها.

الأربعون: ترك طول الأمل في الدنيا:

فمن ترك ذلك، لأن الله نهى عنه، فهو في عبادة يؤجر عليها: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ ٥ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ إِنَّمَا يَدۡعُواْ حِزۡبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ٦﴾ [فاطر: ٥-٦].

ومن تروك الاعتقاد:

ترك وصف الله بغير ما وصف الله به نفسه، أو وصفه به رسوله، وترك تعليق التمائم على الرقاب والسيارات، وترك التبرك بالأحجار والأشجار، وترك الذهاب إلى الكهان والعرافين... وغير ذلك من عبادات التروك القلبية.

فمن ترك ذلك، ابتغاء مرضاة الله ﷻ، فهو في عبادة يؤجر عليها: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ٧﴾ [الحشر: ٧].

﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلۡتَ وَٱتَّبَعۡنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكۡتُبۡنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ٥٣﴾ [آل عمران: ٥٣].

﴿رَبَّنَا لَا تُزِغۡ قُلُوبَنَا بَعۡدَ إِذۡ هَدَيۡتَنَا وَهَبۡ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةًۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ ٨﴾ [آل عمران: ٨].

اللهم آت نفوسنا تقواها، وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها.

عبادات القلوب

في ضوء القرآن والسنة

القسم الثاني : عبادات التروك

العبادة الثانية

تروك الأقوال

وتشتمل هذه العبادة العظيمة على المباحث الآتية :

١ - ترك القول على الله بلا علم

٢ - ترك التألّي على الله عز وجل

٣- ترك شهادة الزور

٤ - ترك السَّب والشتم واللعن

٥ - ترك اللغو في الكلام

٦ - ترك القذف

٧- ترك إشاعة الفاحشة

٨- ترك السخرية والاستهزاء بالناس

٩- ترك الغيبة والنميمة

١٠- ترك الكذب

١١- ترك القيل والقال في المجالس

١٢- ترك الإحداث في الدين

١٣- ترك كثرة السؤال عما لا يعني ولا ينفع

١٤- ترك الدعوة إلى الضلال

١٥- ترك المراء والجدال

١٦- ترك سبِّ الدهر

١٧- : ترك إفشاء السرّ

١٨- ترك الخوض في الباطل

١٩- ترك فضول الكلام

٢٠- ترك الغناء

٢١- ترك الافتراء والبهتان

٢٢- ترك الشماتة بالناس

القسم الثاني من عبادات التروك

تروك الأقوال

العبادات الشرعية تنقسم إلى قسمين:

القسم الأول: عبادات الأفعال؛ وهي نوعان:

الأول: عبادات قلبية:

كتوحيد الله، والإيمان به، وحبِّ الله، والتوكل عليه، وغيرها من العبادات القلبية.

الثاني: عبادات بدنية:

كالوضوء والصلاة، والصوم، والحج، وغيرها من أنواع العبادات، وقد جمع الله هذه وهذه في قوله سبحانه: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾[الأنفال:٢-٤].

القسم الثاني: عبادات التروك:

وهي التعبد لله بترك كل شيءٍ نهى الله عنه؛ كترك الكفر والشرك، والكبر والحسد، وترك الزنا والربا،... ونحو ذلك، كما قال سبحانه: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ۚ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾﴾[البقرة:٢٥٦].

وعبادات التروك تنقسم إلى أربعة أقسام:

الأول: تروك الاعتقاد: كترك الكفر والشرك، والنفاق والرياء.

الثاني: تروك الأقوال: كترك السَّبِ واللعن، وشهادة الزور، ونحو ذلك.

الثالث: تروك الأفعال: كترك الزنا، وترك شرب الخمر، ونحو ذلك.

الرابع: تروك الأخلاق: كترك الكِبر والحسد، والظلم والبغي، ونحو ذلك.

فكما يُؤجر العبد ويُثاب على عبادات الأفعال، كذلك يُؤجر ويُثاب على عبادات التروك، كما قال سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ ۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٨﴾﴾ [الزمر:١٧-١٨].

فالأعمال بالنيات؛ فمن فعل شيئًا ابتغاء مرضات الله، فله أجره عند ربه على فعل تلك العبادات، كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿١٠٨﴾﴾ [الكهف:١٠٧-١٠٨].

ومن ترك المناهي والمحرمات ابتغاء مرضاة الله، فله أجره عند ربه على ذلك الترك: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [السجدة: ١٥ – ١٧].

ولقبول العمل في الأفعال والتروك لا بد من النّية؛ بأن يكون الفعل أو الترك ابتغاء مرضاة الله، كما قال سبحانه: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾﴾ [البينة: ٥].

وقال النبي ﷺ: " إنَّما الأعمالُ بالنِّيَّات، وإنَّما لِكُلِّ امرئٍ ما نوى ". متفق عليه(١).

والقلوب محل الإيمان والكفر، ومحل الحب والبغض، ومحل التصديق والتكذيب، وقلب المؤمن يُصدِّق ويتيقَّن، ويأمر وينهى، واللسان والجوارح عبيدٌ له، منقادةٌ له، تنفذ ما أمرها به القلب من خيرٍ أو شرٍّ، من قولٍ أو فعلٍ، من

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (١) ومسلم برقم (١٩٠٧) .

طاعةٍ أو معصيةٍ، فإن كان القلب صالحًا صلحت معه الجوارح، وإن كان القلب فاسدًا فسدت معه الجوارح: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾[الأنفال:٢-٤].

وقال النبي ﷺ:" ألا وإنَّ في الجسَدِ مُضْغَةً، إذا صَلَحَتْ، صَلَحَ الجسَدُ كُلُّهُ، وإذا فَسَدَتْ، فَسَدَ الجسَدُ كُلُّهُ، ألا وهي القَلْبُ ". متفق عليه(١).

وعبادات الأقوال في الشريعة كثيرةٌ جدًا، فكل ذكرٍ أو قولٍ أمر الله به فهو من عبادات الأقوال:﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾﴾[الأحزاب:٤١-٤٢].

وقال ﷻ:﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾[الأحزاب: ٧٠-٧١].

وتروكات الأقوال في الشريعة كثيرةٌ جدًا، فكل قولٍ نهى الله عنه فتركه عبادة لله ﷻ: ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١٧﴾﴾ [النحل:١١٦-١١٧].

ومن تروكات الأقوال التي نهى الله ورسوله عنها مايلي:

الأول: ترك القول على الله بلا علم:

فمن ترك القول على الله بلا علم فهو في عبادة، لأن القول على الله بلا علم من أعظم الذنوب التي حرّمها الله، كما قال سبحانه:﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ

---

(١)متفق عليه، أخرجهالبخاري برقم (٥٢) ومسلم برقم (١٥٩٩) .

﴿مِنۡهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلۡإِثۡمَ وَٱلۡبَغۡيَ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَأَن تُشۡرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ سُلۡطَٰنٗا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٣٣﴾[الأعراف:٣٣].

والقول على الله بغير علم هو أعظم الكذب؛ الذي توعَّد الله صاحبه بالعذاب الأليم، لما فيه من الجرأة على الله بالكذب والافتراء:﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلۡسِنَتُكُمُ ٱلۡكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٞ وَهَٰذَا حَرَامٞ لِّتَفۡتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ لَا يُفۡلِحُونَ ١١٦ مَتَٰعٞ قَلِيلٞ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ١١٧﴾[النحل:١١٦-١١٧].

والعبد إذا قال على الله الحق الذي أنزله فهو مأجور؛ لأنه بلّغ عن الله الحق الذي أمره بإبلاغه، وإذا ترك القول على الله بغير علم فهو مأجور؛ لأنه سكت عن الباطل الذي يجب السكوت عنه.

والقول على الله بغير علم ذنبٌ عظيمٌ كالشرك بالله؛ بل هو أعظم من الشرك، لما فيه من الشرك، والعلّو، والافتراء، والكذب:﴿فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ وَكَذَّبَ بِٱلصِّدۡقِ إِذۡ جَآءَهُۥٓۚ أَلَيۡسَ فِي جَهَنَّمَ مَثۡوٗى لِّلۡكَٰفِرِينَ ٣٢﴾[الزمر:٣٢].

الثاني: ترك التألّي على الله عز وجل:

فالإقسام على الله أن يفعل كذا أو كذا جرأةٌ على الله، ونقصٌ في التوحيد، وضعفٌ في الإيمان، لأن ذلك مما لا يعلمه إلا الله وحده لا شريك له، فلا يجوز للمسلم أن يقول لأخيه المسلم العاصي: والله لن يغفر الله لك، أو لن يُدخلك الجنة أبدًا، أو والله إنك ستدخل النار لما في ذلك من القول على الله بغير علم، ولما فيه من حجر رحمة الله الواسعة .

قال النبي ﷺ: «أَنَّ رَجُلًا قالَ: واللهَّ لا يَغْفِرُ اللهُّ لِفُلانٍ، وإنَّ اللهَّ تَعالَى قالَ: مَن ذا الذي يَتَأَلَّى عَلَيَّ أنْ لا أغْفِرَ لِفُلانٍ، فإنِّي قدْ غَفَرْتُ لِفُلانٍ، وأَحْبَطْتُ عَمَلَكَ» أخرجه مسلم (١).

فمن ترك التألّي على الله لأن الله نهى عن ذلك، فهو في عبادة يؤجر عليها.

الثالث: ترك شهادة الزور:

فشهادة الزور من أعظم الكبائر، لما فيها من ظلم للمشهود عليه بالزور، فالواجب على المسلم الحذر من شهادة الزور، ومن ترك شهادة الزور امتثالًا لأمر الله، فهو في عبادة، ومن أطاع الله في أمره ونهيه فهو في عبادة، والله يقول: ﴿فَٱجۡتَنِبُواْ ٱلرِّجۡسَ مِنَ ٱلۡأَوۡثَٰنِ وَٱجۡتَنِبُواْ قَوۡلَ ٱلزُّورِ ٣٠ حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيۡرَ مُشۡرِكِينَ بِهِۦۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخۡطَفُهُ ٱلطَّيۡرُ أَوۡ تَهۡوِي بِهِ ٱلرِّيحُ فِي مَكَانٖ سَحِيقٖ ٣١﴾ [الحج: ٣٠-٣١].

وقال النبي ﷺ: «أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكَبائِرِ؟ ثَلاثًا، قَالُوا: بَلَى يا رَسُولَ اللهَّ، قالَ: الإِشْراكُ بِاللهَّ، وَعُقُوقُ الْوالِدَيْنِ، وَجلَسَ وَكانَ مُتَّكِئًا، فَقالَ: أَلا وَقَولُ الزُّورِ قَالَ: فَمَا زَالَ يُكَرِّرُها، حَتَّى قُلْنا: لَيتَهُ سَكَتَ» متفق عليه (٢).

فعلى المسلم أن يترك شهادة الزور ولا يشهد إلا بالحق فقط: ﴿وَلَا يَمۡلِكُ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلۡحَقِّ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ٨٦﴾ [الزخرف: ٨٦].

الرابع: ترك السَّب والشتم واللعن:

فمن ترك ذلك امتثالًا لأمر الله ورسوله، فهو في عبادة، فالسَّب والشتم واللعن من منكرات الأقوال التي حرمها الله ورسوله، كما قال سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٦٢١) .

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٢٦٥٤) ومسلم برقم (٨٧) .

﴿يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾﴾ [الأحزاب:٥٨].

وقال النَّبيّ ﷺ: «سِبَابُ المُسْلِمِ فُسُوقٌ وَقِتالُهُ كُفْرٌ» متفق عليه(١).

والسَّب والشتم واللعن يورث الأحقاد والضغائن، والعداوة والبغضاء، وذلك من كبائر الذنوب، والمسلم مأمور بالقول الحسَن الذي يؤلِّف القلوب، ويجمع الشمل: ﴿وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿٥٣﴾﴾ [الإسراء:٥٣].

ومن أعظم السَّب أن يلعن الرجل والديه، واللعن أشد حُرمةً من السَّب .

قال النبي ﷺ: «إِنَّ مِنْ أَكْبَرِ الْكَبَائِرِ أَنْ يَلْعَنَ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ ..فيسبأمه» متفق عليه(٢).

ولعن المسلم كقتله في الإثم .

قال النبي ﷺ: «ومن لعن مؤمنا فهو كقتله» متفق عليه(٣).

فليس المؤمن بالطَّعَّان ولا باللعَّان، ولا بالفاحش ولا بالبذيء، ومن ترك ذلك ابتغاء مرضاة الله فله أجرٌ من ربه، كما أن له أجر على إحسان القول والعمل: ﴿۞ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ [آل عمران:١٣٣-١٣٤].

وقال ﷻ: ﴿وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة:٨٣].

الخامس: ترك اللغو في الكلام:

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٤٨) ومسلم برقم (٦٤) .

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٥٩٧٣) ومسلم برقم (٩٠) .

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٠٤٧) ومسلم برقم (١١٠) .

واللغو ما لا فائدة فيه من الكلام، واللغو كله من الكلام الباطل الذي أمرنا الله بالابتعاد عنه، ومن صفات المؤمنين: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۝٢ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝٣﴾ [المؤمنون: ١-٣].

ومن صفات عباد الله: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا۟ بِٱللَّغْوِ مَرُّوا۟ كِرَامًا ۝٧٢﴾ [الفرقان: ٧٢].

والواجب على المسلم حفظ أوقاته بذكر الله، وتعلم العلم الإلهي، والعمل بموجب ذلك، والبعد عن اللغو وما لا فائدة منه: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١٦٢ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ۝١٦٣﴾ [الأنعام: ١٦٢-١٦٣].

وقال النبي ﷺ: «مَا مِنْ قَوْمٍ يَقومونَ منْ مَجْلسٍ لا يَذكُرُون الله تَعالَى فِيهِ إلاَّ قَاموا عَنْ مِثلِ جيفَةِ حِمَارٍ وكانَ لَهُمْ حَسْرَةً» أخرجه أبو داود والنسائي[1].

السادس: ترك القذف:

والقذف بالزنا ذنبٌ عظيم، بل هو إحدى السبع الموبقات المهلكات.

قال النبي ﷺ: «اجْتَنِبُوا السَّبْعَ المُوبِقاتِ، قيل يا رَسولَ اللهِّ: وما هُنَّ؟ قالَ: الشِّرْكُ باللهَّ، والسِّحْرُ، وقَتْلُ النَّفْسِ الَّتي حَرَّمَ اللهُّ إلَّا بالحَقِّ، وأَكْلُ مالِ اليَتِيمِ، وأَكْلُ الرِّبَا، والتَّوَلِّي يَومَ الزَّحْفِ، وقَذْفُ المُحْصَناتِ الغافِلاتِ المُؤْمِناتِ» متفق عليه[2].

ومن قذف امرأة محصنة حرة عفيفة فهو ملعون في الدنيا والآخرة، وله عذابٌ عظيم، كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ لُعِنُوا۟ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝٢٣ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝٢٤﴾ [النور: ٢٣-٢٤].

---

(١) صحيح، أخرجه أبو داود برقم (٤٨٥٥) والنسائي برقم (١٠٢٤١).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٢٧٦٦) ومسلم برقم (٨٩).

وعلى القاذف حد القذف في الدنيا، كما قال سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ثُمَّ لَمۡ يَأۡتُواْ بِأَرۡبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجۡلِدُوهُمۡ ثَمَٰنِينَ جَلۡدَةٗ وَلَا تَقۡبَلُواْ لَهُمۡ شَهَٰدَةً أَبَدٗاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ٤ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ وَأَصۡلَحُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٥﴾[النور: ٤-٥].

فمن قذف امرأة بالزنا؛ إن أتى ببيّنة وهي أربعة شهود، أقيم على المرأة حد الزنا، وإن لم يأت ببيّنة أقيم على القاذف حد القذف وهو ثمانون جلدة.

والقذف بالزنا: كبيرة من كبائر الذنوب، فيجب على المسلم أن يطهر لسانه منها، وأن يحترم أعراض المسلمين، ولا يخوض فيها.

قال النبي ﷺ: «مَن كان يُؤمِنُ باللهِ واليومِ الآخرِ، فليَقُلْ خيرًا، أو لِيَصْمُتْ» متفق عليه[1].

السابع: ترك إشاعة الفاحشة:

والفاحشة ما عَظُمَ قُبْحُه من الأقوال والأفعال، وقد توعَّد الله من أحب إشاعة الفاحشة بين المؤمنين بالعذاب الأليم، كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلۡفَٰحِشَةُ فِي ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ١٩﴾[النور: ١٩].

وإشاعة الفاحشة في الذين آمنوا يكون بنشر الأفلام الخبيثة، والصور الداعرة، وإغراء الرجال بالنساء، لإيقاعهم في الرذيلة، فمن فعل ذلك فهو آثم، ومن أحب ذلك فهو آثم، ومن ترك إشاعة الفاحشة، لأن ربه نهاه عن ذلك، فهو مثابٌ ومأجور، والواجب على المسلم أن يحفظ لسانه عن الخنا والفواحش، وأن يسعى لنشر الفضائل بين الناس، وأن يكُفّ لسانه عن الوقوع في أعراض

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٤٧٥) ومسلم برقم (٤٧) .

المسلمين، ويشغل لسانه بذكر الله، والدعوة إليه، وتعليم شرعه: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [فصلت:٣٣].

وقال النبي ﷺ: «مَن كان يُؤمِنُ باللهِ واليومِ الآخرِ، فليَقُلْ خيرًا، أوليَصْمُتْ» متفق عليه(١).

الثامن: ترك السخرية والاستهزاء بالناس:

فالسخرية والاستهزاء بالناس ظلم قبيح من الإنسان لأخيه، وعدوان على كرامته، وإيذاء لنفسه وقلبه، وقد نهى الله المسلمين عن ذلك، كما قال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُوا۟ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ ۖ وَلَا تَلْمِزُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلْأَلْقَٰبِ ۖ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ ۚ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١١﴾﴾ [الحجرات:١١].

فيحرُم على المسلم الاستهزاء والسخرية بإخوانه المؤمنين، سواء في خَلقهم أو خُلقهم، أو بسبب تمسُّكهم بدينهم، وذلك من صفات المنافقين: ﴿ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ ۙ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٩﴾﴾ [التوبة:٧٩].

وأعظم أنواع السخرية والاستهزاء الاستهزاء بالله ورسله ودينه، وذلك كفرٌ بالله ﷻ، كما قال الله عز وجل عن المنافقين: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ۚ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةًۢ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [التوبة:٦٥-٦٦].

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٤٧٥) ومسلم برقم (٤٧).

فالاستهزاء والسخرية بالناس من كبائر الذنوب، وترك الاستهزاء والسخرية بالناس امتثالًا لنهي الله عن ذلك عبادة من العبادات، يُؤجَر عليها العبد: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ﴿٤﴾﴾[المؤمنون:١-٤].

التاسع: ترك الغيبة والنميمة:

فالغيبة ذِكرُ مساوئ الإنسان التي فيه في غيبته، والبُهتان أن تقول في أخيك ما ليس فيه، والنميمة نقل الكلام السيئ بين الناس، فهي غيبة ونميمة، وقد نهى الله عباده عن الغيبة والنميمة لما فيهما من تمزيق أواصر الأخوّة والمحبة بين المؤمنينفقال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ ۖ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾[الحجرات:١٢-١٣].

وقد حذّر النبي ﷺ من الغيبة بقوله: «أَتَدْرُونَ مَا الغِيبةُ؟ قَالُوا: اللهَّ ورسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِما يكْرَهُ،قِيل: أَفرأَيْت إنْ كَانَ في أَخِي مَا أَقُولُ؟ قَالَ:إنْ كانَ فِيهِ مَا تقُولُ فَقَدِ اغْتَبْته، وإنْ لَمْ يكُن فِيهِ مَا تَقُولُ فَقَدْ بهتَّهُ» أخرجه مسلم(١).

وحذّر النبي ﷺ من النميمة بعدة أحاديث منها:

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: مَرَّ رَسُولُ اللهَّ عَلَى قَبْرَيْنِ فَقَالَ: «إِنَّهُمَالَيُعَذَّبَانِ وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ، أَمَّا أَحَدُهُمَا فَكَانَ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ، وَأَمَّا الآخَرُ فَكَانَ لا يَسْتَتِرُ مِنَ الْبَوْلِ، ثُمَّ دَعَا بِعَسِيبٍ رَطْبٍ فَشَقَّهُ اثْنَيْنِ فَغَرَسَ عَلَى هَذَا وَاحِدًا وَعَلَى هَذَا وَاحِدًا، ثُمَّ قَالَ: لَعَلَّهُ يُخَفَّفُ عَنْهُمَا مالم ييبسا» متفق عليه(٢).

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٥٨٩) .

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٢١٦) ومسلم برقم (٢٩٢) .

فمن ترك الغيبة والنميمة، لأن الشرع نهى عنهما، فقد أطاع الله ورسوله، وتعبّد لله بهذا الترك: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾[الأحزاب:٧١].

العاشر: ترك الكذب:

فكما أن الصدق يهدي إلى البِرّ، والبِرّ يهدي إلى الجنة، فكذلك الكذب يهدي إلى الفجور، والفجور يهدي إلى النار.

قال النبي ﷺ: «إِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى البِرِّ، وَإِنَّ البِرَّ يَهْدِي إِلَى الجَنَّةِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَصْدُقُ حَتَّى يَكُونَ صِدِّيقًا. وَإِنَّ الكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الفُجُورِ، وَإِنَّ الفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَكْذِبُ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ كَذَّابًا» متفق عليه(١).

الكذب من كبائر الذنوب وأقبح القبائح، وأعظم الكذب الكذب على الله، ثم الكذب على رسوله، كما قال سبحانه: ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١٧﴾﴾[النحل:١١٦-١١٧].

والكذب من صفات المنافقين.

وقال النبي ﷺ: «آيةُ المُنافِقِ ثلاثٌ: إذا حدَّثَ كذَبَ، وإذا وعَدَ أخلَفَ، وإذا اؤْتُمِنَ خان» متفق عليه(٢).

فيجب على المسلم أن يحفظ لسانه، ولا يقول إلا صدقاً، لينال من ربه الأجر على الصدق، ويحذر الكذب، لما فيه من عظيم الإثم.

قال النبي ﷺ: «كَفَى بالمَرْءِ كَذِبًا أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ» أخرجه مسلم(٣).

الحادي عشر: ترك القيل والقال في المجالس:

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٥٧٤٣) ومسلم برقم (٢٦٠٧).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٣٣) ومسلم برقم (٥٩).

(٣) أخرجه مسلم برقم (٤).

فالمجالس فرصة للازدياد من الخير، وتعلّم العلم، والانتفاع بالمواعظ، ومن اشتغل في المجالس بالقيل والقال، والأحاديث التي لا زِمام لها ولا خِطام فهو آثم؛ لأن ذلك من إضاعة الأوقات فيما يضرّ ولا ينفع، ولهذا نهى الله عن القيل والقال في المجالس بقوله: ﴿ لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍۭ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾ ﴾[النساء: ١١٤].

وقال النبي ﷺ: «إِنَّ اللهَّ كَرِهَ لَكُمْ ثَلَاثًا: قِيلَ وَقَالَ، وإِضَاعَةَ المَالِ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ» متفق عليه[١].

والقيل والقال: هو الكلام فيما لا يعني، وإذاعة أخبار الناس بلا تثبُّت ولا تحفُّظ، فمن ترك ذلك ابتغاء مرضاة الله، فهو في عبادة، وإن شغل وقته بذكرٍ أو موعظةٍ فهو في عبادة أخرى.

قال النبي ﷺ: «مَن كان يُؤمِنُ باللهِ واليومِ الآخرِ، فليَقُلْ خيْرًا، أو لِيَصْمُتْ» متفق عليه[٢].

الثاني عشر: ترك الإحداث بالدين.

فالعمل بالدين كما جاء عن الله ورسوله عبادة، والإحداث في الدين مما لم يشرعه الله ورسوله بدعةٌ مردودةٌ: ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾ ﴾ [النساء: ١١٥].

وقال النبي ﷺ: «مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ» أخرجه مسلم[٣].

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (١٤٧٧) ومسلم برقم (٥٩٣) .

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٤٧٥) ومسلم برقم (٤٧) .

(٣) أخرجه مسلم برقم (١٧١٨) .

وقال النبي ﷺ: «مَن أَحْدَثَ في أَمْرِنَا هذا ما ليسَ منهُ، فَهو رَدٌّ» متفق عليه[1].

فمن ترك الإحداثَ في الدين، امتثالًا لنهي الله ورسوله عنه، فله أجر وثواب على هذا الترك، كما أن له أجر وثواب على العمل بالدين .

فسبحان الله الكريم الذي يعطي الأجور العظيمة على فعل الأوامر الشرعية، ويعطي الأجر العظيم على ترك المناهي الشرعية: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنۡ خَشۡيَةِ رَبِّهِم مُّشۡفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ يُؤۡمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمۡ لَا يُشۡرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤۡتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمۡ وَجِلَةٌ أَنَّهُمۡ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَهُمۡ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴿٦١﴾﴾ [المؤمنون:٥٧-٦١].

الثالث عشر: ترك كثرة السؤال عما لا يعني ولا ينفع

مثل السؤال عن المسائل التي يندر وقوعها، والسؤال عن المسائل العويصة التي لاتنفع المسلمين، وكثرة السؤال عن أخبار الناس، وأحداث الزمان، والسؤال عن خصوصيات الإنسان التي يكره أن يطَّلِع الناس عليها، والسؤال عما لا يعنيه و لا شأن له به، وسؤال الناس أموالهم تكثّرًا، فكل ذلك من الأمور المذمومة التي نهى الإسلام عنها.

قال النبي ﷺ: «إنَّ اللهَّ كَرِهَ لَكُمْ ثَلاثًا: قيلَ وَقالَ، وإِضاعَةَ المَالِ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ» متفق عليه[2].

وقال ﷺ: «مَن سَأَلَ النَّاسَ أمْوالَهُمْ تَكَثُّرًا، فإنَّما يَسْأَلُ جَمْرًا فَلْيَسْتَقِلَّ، أوْ لِيَسْتَكْثِرْ» أخرجه مسلم[3].

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٢٦٩٧) ومسلم برقم (١٧١٨).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (١٤٧٧) ومسلم برقم (٥٩٣).

(٣) أخرجه مسلم برقم (١٠٤١).

والعبد إذا ترك كل ذلك امتثالًا لأمر الله، فهو في عبادة يؤجر عليها، والله سبحانه يعطي الأجر على فعل الأوامر، وعلى ترك المناهي: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾﴾ [الحشر:٧].

الرابع عشر: ترك الدعوة إلى الضلال:

فالدعوة إلى الهدى عبادة مأمور بها، وفيها ثواب عظيم، وترك الدعوة إلى الضلال عبادة فيها ثواب عظيم، والدعوة إلى الضلال جريمة فيها إثم عظيم؛ لما فيها من مضادة الله ورسوله: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾ [النساء:١١٥].

وقال النبي ﷺ لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه يوم خيبر: «فو الله لأنْ يهْدِيَ اللهُ بِكَ رجُلًا واحِدًا خَيْرٌ لكَ من حُمْرِ النَّعم» متفق عليه(١).

وقال النبي ﷺ: «مَنْ دَعَا إلى هُدًى كان لهُ مِنَ الأَجْرِ مِثْلُ أجورِ مَنْ تَبِعهُ لا يَنقُصُ ذلك مِنْ أجُورِهِم شيئًا، ومَنْ دَعَا إِلَى ضَلالَةٍ كان عليه مِنَ الإثمِ مثلُ آثامِ مَنْ تَبِعهُ لا يَنْقُصُ ذلك مِنْ آثامِهِم شيئًا» أخرجه مسلم(٢).

وكل مسلم مأمور بالدعوة إلى الحق، وترك الدعوة إلى الباطل، وله أجر على فعل هذا، وترك هذا: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ [آل عمران:١٠٤].

الخامس عشر: ترك المراء والجدال:

وقد ذمّ الله المراء والجدال، كما قال سبحانه: ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٧﴾﴾ [البقرة:١٩٧].

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٤٢١٠) ومسلم برقم (٢٤٠٦).

(٢) أخرجه مسلم برقم (٢٦٧٤).

والجدل: هو المِراء والمُلاحات حتى تغضب أخاك أو صاحبك، والمراء والجدل من فضول الكلام الذي قد يؤدي إلى التكفير والتفسيق، والتشَّفي من الآخرين، ويؤدي إلى إنكار الحق ورده، ويؤدي إلى الكذب والتطاول والتراشق بالألسنة بين الأصحاب، ولهذا نهى الله ورسوله عنه، كما قال سبحانه: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيُشۡهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلۡبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلۡخِصَامِ ٢٠٤ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُفۡسِدَ فِيهَا وَيُهۡلِكَ ٱلۡحَرۡثَ وَٱلنَّسۡلَۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَسَادَ ٢٠٥ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتۡهُ ٱلۡعِزَّةُ بِٱلۡإِثۡمِۚ فَحَسۡبُهُۥ جَهَنَّمُۖ وَلَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ٢٠٦﴾[البقرة: ٢٠٤-٢٠٦].

وقال النبي ﷺ: «إِنَّ أَبْغَضَ الرِّجَالِ إلى اللهِ الأَلَدُّ الخَصِمُ» متفق عليه(١).

فمن ترك المراء والجدل والخصومة امتثالًا لأمر الله، أثابه الله على تركه، وشغل أوقاته بما ينفعه ويسعده في دنياه وأخراه.

والجدال من صفات الكفار فعلى المسلم الحذر منه: ﴿مَا يُجَٰدِلُ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَا يَغۡرُرۡكَ تَقَلُّبُهُمۡ فِي ٱلۡبِلَٰدِ ٤﴾[غافر: ٤].

السادس عشر: ترك سبِّ الدهر:

فسبُّ الدهر أذية لله، وإغضاب لله، لأن الدهر بأيامه ولياليه مخلوقٌ ليس بيده شيء، فالأمر كله بيد الله وحده؛ فمن سَبَّ الدهر فقد سَبَّ الله الذي خلقه ودبَّره، فالأيام والليالي ليس في يدهما عطاء ولا منع، ولا شدة ولا رخاء، ولا خير ولا شر، بل هما آيتان من آيات الله سخرهما الله لعباده: ﴿وَمِن رَّحۡمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسۡكُنُواْ فِيهِ وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ٧٣﴾[القصص: ٧٣].

فمن سبَّ الدهرَ فهو آثم، ومن ترك سبَّ الدهرِ فهو مثاب من ربه.

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٢٤٥٧) ومسلم برقم (٢٦٦٨).

قال النبي ﷺ: «قال الله ﷻ: يُؤذيني ابن آدم؛ يسبُّ الدهر، وأنا الدهر، أُقلِّب الليل والنَّهار» متفق عليه(١).

فالواجب على المسلم عند المصائب ألا يسبَّ الدهر، بل يقول: قدّر الله وما شاء فعل، وإنا لله وإنا إليه راجعون كما قال سبحانه: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [البقرة: ١٥٥-١٥٧].

السابع عشر: ترك إفشاء السرّ:

فإفشاء الأسرار محرم، لأن الأسرار من الأمانات والعهود التي يجب المحافظة عليها، ومن أفشى السر فقد خان الأمانة، ونقص العهد، سواء أفشى أسرار المسلمين إلى الكفار، أو أفشى الأسرار التي بينه وبين زوجته، أو غير ذلك مما أؤتمن عليه: ﴿وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴿٣٤﴾﴾ [الإسراء: ٣٤].

وإذا كان الحفاظ على السِّرّ أمرًا واجبًا، فإن إفشاء السِّرّ حرام يجب على العبد التوبة منه فورًا: ﴿وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِىُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِۦ وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُۥ وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍ ۖ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتْ مَنْ أَنۢبَأَكَ هَٰذَا ۖ قَالَ نَبَّأَنِىَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿٣﴾ إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ۖ وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ﴿٤﴾﴾ [التحريم: ٣-٤].

وقال النبي ﷺ: «إِنَّ مِنْ أَشَرِّ النَّاسِ عِنْدَ اللهِ مَنْزِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ: الرَّجُلُ يُفْضِي إِلَى امْرَأَتِهِ، وتُفْضِي إِلَيْهِ، ثم يَنْشُرُ سِرَّهَا» أخرجه مسلم(٢).

وإفشاء الأسرار من علامات المنافقين.

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٧٤٩١) ومسلم برقم (٢٢٤٦).

(٢) أخرجه مسلم برقم (١٤٣٧).

قال النبي ﷺ: «أَرْبَعٌ مَن كُنَّ فيه كانَ مُنَافِقًا خَالِصًا، ومَن كَانَتْ فيه خَصْلَةٌ منهنَّ كَانَتْ فيه خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حتَّى يَدَعَهَا: إذَا اؤْتمِنَ خَانَ، وإذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وإذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وإذَا خَاصَمَ فَجَرَ» متفق عليه(١).

الثامن عشر: ترك الخوض في الباطل:

فالعمل بالحق عبادة، وترك الخوض في الباطل عبادة؛ لما فيه من صيانة العبد عن الآثام، ولهذا حذرنا الله ﷻ من مجالسة من يخوضون في الباطل بقوله: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٨﴾﴾ [الأنعام: ٦٨].

فالخوض في الباطل من أعظم آفات اللسان، والخوض في الباطل محرم، وهو كل كلامٍ ينشأ عنه تحريك الشهوات، وإثارة الغرائز، أو الغيبة والنميمة، أو الطعن في الناس، وحكايات البدع، والمذاهب الفاسدة، وترديد الشائعات، وإثارة الشبهات ونحو ذلك من صور الباطل التي نهى الله عنها بقوله: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُواْ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾﴾ [النساء: ١٤٠].

فالكلام في نشر الحق عبادة، وترك الخوض في الباطل عبادة .

فعلى المسلم أن يحفظ لسانه، ولا يتكلم إلا بميزان الشرع، وما فيه مصلحة، وإلّا فليسكت فهو أسلم له .

قال النبي ﷺ: «مَن كان يُؤمِنُ باللهِ واليومِ الآخرِ، فليَقُلْ خيرًا، أو لِيَصْمُتْ» متفق عليه(٢).

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٢٤٥٩) ومسلم برقم (٥٨) .

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٤٧٥) ومسلم برقم (٤٨) .

وقال النبي ﷺ: «إن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله لا يلقي لها بالا يرفعه الله بها درجات، وإن إن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقي لها بالا يهوي بها في جهنم» أخرجه البخاري[1].

التاسع عشر: ترك فضول الكلام:

وفضول الكلام: هو الكلام فيما لا يعني ولا ينفع، كإهدار الأوقات في حكايات وأحوال لا فائدة فيها، ولا حاجة إليها، فالخوض فيما لا يعني العبد مذموم، وكذا إضاعة الأوقات فيما لا يعني مذموم، فالواجب على العبد حفظ الأوقات بالكلام عما فيه مصلحة للناس، وترك فضول الكلام: ﴿۞ لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾﴾ [النساء: ١١٤].

ومن حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه، والاشتغال بما ينفعه من الكلام الطيب، والقول الحسن من ذكر الله، والدعوة إليه، وتعليم شرعه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾﴾ [الأحزاب: ٤٢].

وقال ﷻ: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [فصلت: ٣٣].

وقال ﷻ: ﴿كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [آل عمران: ٧٩].

العشرون: ترك الغناء:

فالغناء وسماع الأغاني كل ذلك محرم ومنكر، وذلك من أسباب مرض القلوب وقسوتها، وصدها عن ذكر الله، وعن الصلاة: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٦٤٧٨).

ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا ۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٦﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِىٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٧﴾﴾ [لقمان:٦-٧].

وإذا اقترن الغناء بآلات اللهو كالمعازف والعود والموسيقى، صار التحريم أشد، والذنب أعظم، والعقاب أكبر.

قال النبي ﷺ: «لَيَكونَنَّ مِن أُمَّتي أقْوامٌ، يَسْتَحِلُّونَ الحِرَ والحَرِيرَ، والخَمْرَ والمَعازِفَ» أخرجه البخاري معلقاً(١).

ومن ترك الغناء وسماعه فهو في عبادة، كما أن من قرأ القرآن وسمعه فهو في عبادة، ومن اشتغل بالغناء أو سماعه فهو آثم.

فاللهم أرنا الحق حقًا، وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلًا، وارزقنا اجتنابه.

الحادي والعشرون: ترك الفخر بالأحساب، وترك الطعن في الأنساب، وترك الاستسقاء بالنجوم، وترك النياحة على الميت.

فمن ترك ذلك كله ابتغاء مرضاة الله، وخوفًا من عقابه، ورغبةً في ثوابه، فهو في عبادة يؤجر عليها: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾﴾ [الحشر:٧].

وقال النبي ﷺ: «أَرْبَعٌ في أُمَّتي مِن أمْرِ الجاهِلِيَّةِ، لا يَتْرُكُونَهُنَّ: الفَخْرُ في الأحْسابِ، والطَّعْنُ في الأنْسابِ، والاسْتِسْقاءُ بالنُّجُومِ، والنِّياحَةُ» أخرجه مسلم(٢).

الثاني والعشرون: ترك الافتراء والبهتان:

فمن ترك ذلك، لأن الله نهى عنه، فهو في عبادة يؤجر عليها، كما أن من افترى أو بهت أحدًا فهو آثم مستحقٌ للعقوبة: ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ

---

(١) أخرجه البخاري معلقا برقم (٥٥٩٠).

(٢) أخرجه مسلم برقم (٩٣٤).

﴿هَٰذَا حَلَٰلٞ وَهَٰذَا حَرَامٞ لِّتَفۡتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ لَا يُفۡلِحُونَ ١١٦ مَتَٰعٞ قَلِيلٞ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ١١٧﴾[النحل:١١٦-١١٧].

الثالث والعشرون: ترك الشماتة بالناس:

فمن ترك الشماتة بالناس، لأن الدين نهى عن ذلك، فهو في عبادة، كما أن من اشتغل بالشماتة والسخرية والاستهزاء، فهو آثم مستحق للعقوبة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ١١﴾[الحجرات:١١].

ومن تروك الأقوال التي يتعبّد المسلم لربه بتركها:

ترك الثرثرة، والتّشدُّق في الكلام، وترك الكلام فيما يُسخط الله، ونحو ذلك من تروك الأقوال التي نهى الله عنها، فمن ترك ذلك كله تعبُّدًا لله، لأن الله نهى عنه، فهو في عبادة يؤجر عليها، كما وصف الله أولياءه بقوله: ﴿فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيۡءٖ فَمَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ٣٦ وَٱلَّذِينَ يَجۡتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُواْ هُمۡ يَغۡفِرُونَ ٣٧ وَٱلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِرَبِّهِمۡ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمۡرُهُمۡ شُورَىٰ بَيۡنَهُمۡ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ٣٨﴾[الشورى:٣٦-٣٨].

﴿رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٢٣﴾[الأعراف:٢٣].

﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ حَسَنَةٗ وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ٢٠١﴾ [البقرة:٢٠١].

﴿رَّبَّنَا عَلَيۡكَ تَوَكَّلۡنَا وَإِلَيۡكَ أَنَبۡنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ٤﴾[الممتحنة:٤].

﴿رَبَّنَا لَا تَجۡعَلۡنَا فِتۡنَةٗ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ وَٱغۡفِرۡ لَنَا رَبَّنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٥﴾[الممتحنة:٥].

اللهم اهدنا فيمن هديت، وعافنا فيمن عافيت، وتولنا فيمن توليت، وقنا برحمتك شر ما قضيت، فإنك تقضي ولا يُقضى عليك.

عبادات القلوب

في ضوء القرآن والسنة

القسم الثاني : عبادات التروك

العبادة الثالثة

تروك الأفعال

وتشتمل هذه العبادة العظيمة على المباحث الآتية :

الأولى : ترك دعاء غير الله ﷻ.

الثانية: ترك قتل النفس بغير حق.

الثالثة: ترك الزنا.

الرابعة: وترك اللواط.

الخامسة : ترك الانتحار

السادسة : ترك الظلم والعدوان

السابعة : ترك الفواحش والمنكرات

الثامنة : ترك الربا

التاسعة : من تروك الأفعال ترك السرقة والاختلاس، والانتهاب والغصب

العاشرة : ترك الغش

الحادية عشرة : ترك الرشوة

الثانية عشرة : ترك قطع الطريق

الثالثة عشرة : ترك الحكم بغير ما أنزل الله:

الرابعة عشرة : ترك كتمان العلم:

الخامسة عشرة : ترك عبادة الأصنام

السادسة عشرة : ترك نقض العهد

السابعة عشرة : ترك الذبح لغير الله

الثامنة عشرة : ترك الاستغاثة بغير الله

التاسعة عشرة : ترك الاستعاذة بغير الله

العشرون : ترك أكل المحرمات

الحادية والعشرون : ترك سوء الظن، وترك التجسس، وترك الغيبة والنميمة

الثانية والعشرون: ترك التبرك بالمخلوقين من الأشجار، والأحجار، والأشخاص

الثالثة والعشرون : ترك الإفراط والتفريط، والغلو في الدين

الرابعة والعشرون : ترك عقوق الوالدين

الخامسة والعشرون : ترك قطع صلة الأرحام

السادسة والعشرون : ترك الغلول

السابعة والعشرون : ترك شرب الخمر، وترك الميسر والقمار

الثامنة والعشرون : ترك تغيير منار الأرض ومعالمها

التاسعة والعشرون : ترك إسبال الثياب، وترك لبس الحرير والذهب للرجال

الثلاثون : ترك الأكل والشرب في آنية الذهب والفضة

الحادية والثلاثون : ترك التطفيف في الكيل والوزن

الثانية والثلاثون : ترك تصوير ذوات الأرواح

الثالثة والثلاثون : ترك الإلحاد في الحرم

الرابعة والثلاثون : ترك أذى الناس:

الخامسة والثلاثون : ترك الغدر بالناس

السادسة والثلاثون : ترك الإسراف

السابعة والثلاثون : ترك التبذير

الثامنة والثلاثون : ترك إطلاق البصر في المحرمات

التاسعة والثلاثون : ترك سماع الغناء

الأربعون : ترك التعسير والتنفير

الحادية والأربعون: ترك الخبائث من الأقوال والأفعال، والنجاسات والمحرمات

الثانية والأربعون: ترك بيع وشراء المحرمات .

الثالثة والأربعون : ترك أكل أموال الناس بالباطل .

الرابعة والأربعون : ترك أكل أموال اليتامى .

الخامسة والأربعون : ترك الفسق والفجور والفساد .

السادسة والأربعون : ترك الطغيان والعدوان والعلو في الأرض .

السابعة والأربعون : ترك التولي يوم الزحف .

الثامنة والأربعون : ترك الاحتكار.

التاسعة والأربعون :ترك اليأس والقنوط .

الخمسون : ترك القسوة والغلظة .

الحادية والخمسون : ترك كفران النعم .

الثانية والخمسون : ترك نشر الشائعات .

الثالثة والخمسون : من تروك الأفعال ترك تعذيب الحيوان .

الرابعة والخمسون : ترك الأكل بالشمال، وترك الأخذ والعطاء بالشمال .

الخامسة والخمسون : ترك نكاح المتعة، ونكاح الشغار، وغيرهما من الأنكحة المحرمة .

القسم الثالث من عبادات التروك

تروك الأفعال

وعبادات التروك هي أن يتعبد المسلم لربه بترك كل ما نهى الله ورسوله عنه من الاعتقادات الباطلة، والأقوال السيئة، والأفعال المحرمة، والأخلاق المذمومة، تعبدًا لله ﷻ، لأن الله نهى عنها، وحذّر منها، فيأخذ الأجر من ربه على الترك، كما يأخذ الأجر على فعل العبادات المأمور بها شرعًا، كما قال سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱجۡتَنَبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعۡبُدُوهَا وَأَنَابُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰۚ فَبَشِّرۡ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقَوۡلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحۡسَنَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿١٨﴾﴾ [الزمر:١٧-١٨].

وقال النبي ﷺ: «مَا نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ فَاجْتَنِبُوهُ، وَمَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ» متفق عليه[1].

ففعل الأوامر عبادةٌ لله ﷻ، وترك المناهي عبادةٌ لله ﷻ، والله سبحانه يحب الخير لعباده، فيعطيهم الأجور العظيمة على فعل الأوامر التي تنفعهم في دينهم ودنياهم وأخراهم، كالأمر بإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، والصوم، والحج، وصلة الرحم، والتحلي بمكارم الأخلاق، كما قال سبحانه: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَمَغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال:٢-٤].

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٧٢٨٨) و مسلم برقم (١٣٣٧).

ويعطيهم كذلك الأجر والثواب على ترك الكبائر والمحرمات، والفواحش والمعاصي، كما قال سبحانه: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾﴾ [النساء:٣١].

فكل مسلم يأخذ من ربه الأجر والثواب من جهتين:

الأولى: يأخذ الأجر على فعل الأوامر التي أمر الله ورسوله بها.

الثانية: يأخذ الأجر على ترك المناهي التي نهى الله ورسوله عنها.

فلله الحمد والشكر على عطاء الكريم ﷻ، وإحسان الرب إلى خلقه بأنواع الإحسان، حتى يوصلهم بذلك إلى أعالي الجنان: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾﴾ [البقرة:٢٤٣].

والأعمال بالنيات فمن فعل شيئًا من العبادات، ابتغاء مرضاة الله ﷻ، فله أجره عند ربه على فعل تلك العبادات كالصلاة والصوم والزكاة ونحو ذلك: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّـٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَـٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿١٠٨﴾﴾ [الكهف:١٠٧-١٠٨].

ومن ترك المناهي والمحرمات، ابتغاء مرضاة الله، فله أجره عند ربه على ذلك الترك: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ۚ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّـٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾﴾ [البقرة:٢٥٦].

ولقبول العمل في الأفعال والتروك لا بد من النية، بأن يكون الفعل أو الترك ابتغاء مرضاة الله: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾﴾ [البينة:٥].

وقال النبي ﷺ: «إِنَّما الأعمالُ بالنِّيَّةِ، وإنَّما لِكُلِّ امرِئٍ ما نَوَى» متفق عليه(١).

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (١) ومسلم برقم (١٩٠٧).

وتروك الأفعال في الشريعة كثيرة، وأعظم تروك الأفعال التي يتعبد المؤمن لربه بتركها، وينال الثواب على تركها ما يلي:

الأولى: ترك دعاء غير الله ﷻ.

الثانية: وترك قتل النفس بغير حق.

الثالثة: وترك الزنا.

الرابعة: وترك اللواط.

كما قال سبحانه في وصف عباد الرحمن: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقۡتُلُونَ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَلَا يَزۡنُونَۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ يَلۡقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفۡ لَهُ ٱلۡعَذَابُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَيَخۡلُدۡ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٖۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾﴾ [الفرقان: ٧٠].

وقال الله ﷻ: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ فَإِنَّهُمۡ غَيۡرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنِ ٱبۡتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡعَادُونَ ﴿٧﴾﴾ [المؤمنون: ٥-٧].

فمن ترك هذه الأمور الأربعة، ابتغاء مرضاة الله، لأن الله نهى عنها، فهو مأجور، كما أن من فعلها فهو آثم: ﴿فَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطۡغَوۡاْۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ﴿١١٢﴾﴾ [هود: ١١٢].

الخامسة: ترك الانتحار:

فقتل النفوس بغير حق من الكبائر، ومن ترك الانتحار خوفًا من الله، وابتغاء مرضاته، فهو مأجوٌر على تركه، كما أنه آثمٌ لو فعله.

قال النبي ﷺ: «مَن تَرَدَّى مِن جبَلٍ فَقتَلَ نَفسَهُ، فَهو في نَارِ جهَنَّمَ يَتَرَدَّى فيه خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا، وَمَن تحَسَّى سُمًّا فَقتَلَ نَفْسَهُ، فَسُمُّهُ في يَدِهِ يَتَحَسَّاهُ في نَارِ جهَنَّمَ

خَالِدًا مخُلَّدًا فِيهَا أَبَدًا، وَمَن قَتَلَ نَفْسَهُ بِحَدِيدَةٍ، فَحَدِيدَتُهُ في يَدِهِ يجَأُ بِهَا في بَطْنِهِ في نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مخُلَّدًا فِيهَا أَبَدًا» متفق عليه[1].

السادسة : ترك الظلم والعدوان:

فمن ترك ذلك خوفًا من الله، واجتنابًا لنهيه، وابتغاء مرضاته، فهو في عبادةٍ يؤجر عليها، لأن الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى.

وقال النبي ﷺ: «إنَّما الأعمالُ بالنِّيَّةِ، وإنَّما لِكُلِّ امرئٍ ما نوَى» متفق عليه[2].

فالظلم جناية كبيرة، وعقوبته كبيرة كما قال سبحانه: ﴿وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا ﴿١٩﴾﴾ [الفرقان:١٩].

ومن أعظم الظلم الشرك بالله ﷻ، كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾﴾ [لقمان:١٣].

السابعة : ترك الفواحش والمنكرات خوفًا من الله، واجتنابًا لنهيه، وابتغاء مرضاته، وطلبًا لثوابه، فهو في عبادةٍ يؤجر عليها، كما قال سبحانه في وصف أوليائه: ﴿وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [الشورى:٣٧].

الثامنة : ترك الربا:

فلا يأخذه ولا يدفعه خوفًا من الله، واجتنابًا لنهيه، ورغبة في ثوابه، وابتغاء مرضاته، فمن ترك ذاك، فهو في عبادةٍ يؤجر عليها: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ۖ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾﴾ [البقرة:٢٧٨-٢٧٩].

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٥٧٧٨) ومسلم برقم (١٠٩).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (١) ومسلم برقم (١٩٠٧).

التاسعة : من تروك الأفعال ترك السرقة والاختلاس، والانتهاب والغصب:

فمن ترك ذلك امتثالًا لأمر الله، واجتنابًا لنهيه، وطلبًا لمرضاته، وابتغاءً لثوابه، فهو في عبادةٍ، وله أجرٌ من ربه، كما أن من فعل ذلك فهو آثمٌ مستحقٌ للعقوبة: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءَۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾﴾[المائدة:٣٨].

العاشرة : ترك الغش:

فمن تركه لأن الإسلام نهى عنه، فهو في عبادةٍ يؤجر عليها، كما أن من غش الخلق فهو آثم، ومن غش فقد نفى عنه رسول الله ﷺالإيمان بقوله :«مَنْ غَشَّ فَلَيْسَ مِنَّا»أخرجه مسلم (١).

الحادية عشرة : ترك الرشوة :

ترك أخذ الرشوة، وترك إعطاء الرشوة، عبادة يؤجر عليها العبد، كما أن أخذ الرشوة، وإعطاء الرشوة، ذنب عظيم، صاحبه ملعون على لسان نبي اللهمحمدﷺ.

عن أبي هرير رضي الله عنه:«لَعَنَ رَسُولُ اللهِّ ﷺ الرَّاشِي وَالمُرْتَشِي»أخرجه أبو داود والترمذي (٢).

الثانية عشرة : ترك قطع الطريق :

وقطع الطريق على الناس كبيرةٌ من كبائر الذنوب، ومن ترك قطع الطريق، لأن الله نهى عن ذلك، ورغبةً في ثواب الله، وخوفًا من عقابه، فهو في عبادةٍ يؤجر عليها، كما أن قاطع الطريق مرتكبٌ لجريمةٍ سوف يحاسب عليها في الدنيا والآخرة، كما قال سبحانه :﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ

---

(١) أخرجه مسلم برقم (١٠٢) .

(٢) صحيح/ أخرجه أبو داودبرقم (٣٥٨٠) والترمذي برقم (١٣٣٧) .

فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِن قَبۡلِ أَن تَقۡدِرُواْ عَلَيۡهِمۡۖ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٣٤﴾﴾ [المائدة:٣٣-٣٤].

الثالثة عشرة : ترك الحكم بغير ما أنزل الله:

فمن ترك الحكم بغير ما أنزل الله، لأن الله نهى عن الحكم بغير ما أنزل، فهو في عبادةٍ يؤجر عليها، كما أن من حكم بغير ما أنزل الله فهو كافرٌ أو ظالمٌ أو فاسقٌ،بحسب نيته كما قال سبحانه :﴿وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾﴾[المائدة:٤٤].

وقال ﷻ: ﴿وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴿٤٧﴾﴾[المائدة:٤٧].

وقال ﷻ: ﴿وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [المائدة:٤٥].

الرابعة عشرة : ترك كتمان العلم:

فكاتم العلم عن الناس ملعون، وناشر العلم بين الناس مأجور: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصۡلَحُواْ وَبَيَّنُواْ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيۡهِمۡ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾﴾[البقرة:١٥٩-١٦٠].

فكما أن نشر العلم عبادة، فكذلك ترك كتمان العلم عبادة .

الخامسة عشرة : ترك عبادة الأصنام :

فمن ترك عبادة الأصنام، وعبد الله وحده، لأن الله أمر بعبادته وحده، ونهى عن عبادة ما سواه فهو مأجور :﴿وَٱلَّذِينَ ٱجۡتَنَبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعۡبُدُوهَا وَأَنَابُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰۚ

﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٨﴾﴾[الزمر:١٧-١٨].

السادسة عشرة: ترك نقض العهد:

فمن وفّى بالعقود والعهود فهو في عبادةٍ يؤجر عليها، ومن نقض العهود والعقود فهو آثمٌ مستحقٌ للعقوبة، ومن ترك نقض العهد، لأن الله نهى عن ذلك، فهو في عبادةٍ يؤجر عليها: ﴿وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٢٥﴾﴾[الرعد:٢٥].

وقال الله عز وجل: ﴿وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴿٣٤﴾﴾[الإسراء:٣٤].

السابعة عشرة: ترك الذبح لغير الله:

فمن ذبح لغير الله فهو مشرك، ومن ذبح لله فهو في عبادةٍ يؤجر عليها، ومن ترك الذبح لغير الله، فهو في عبادةٍ ينال عليها الأجر من ربه: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ [الأنعام:١٦٢-١٦٣].

الثامنة عشرة: ترك الاستغاثة بغير الله:

فمن استغاث بالله فهو في عبادةٍ يؤجر عليها، ومن استغاث بغير الله فهو مشرك، ومن ترك الاستغاثة بغير الله فهو في عبادة: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾﴾[الأنفال:٩].

التاسعة عشرة: ترك الاستعاذة بغير الله:

فالاستعاذة بالله عَجَلَّ من كل شر عبادة من العبادات، والاستعاذة بغير الله شرك، وترك الاستعاذة بغير الله عبادةٌ لله عَجَلَّ: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾﴾[الأعراف:٢٠٠].

وكل من استغاث بغير الله خذل من جهته :﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٞ مِّنَ ٱلۡإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٖ مِّنَ ٱلۡجِنِّ فَزَادُوهُمۡ رَهَقٗا ٦﴾[الجن:٦].

العشرون : ترك أكل المحرمات .

كالميتة، والدم المسفوح، ولحم الخنزير، وما لم يذكر اسم الله عليه ،فمن ترك أكل هذه المحرمات وأمثالها، لأن الله نهى عنها، وخوفًا من عقابه ورغبة في ثوابه، فهو في عبادةٍ يؤجر عليها، كما أن من أكلها فهو آثمٌ مخالفٌ لأمر الله ﷻ : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ١٧٢ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحۡمَ ٱلۡخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيۡرِ ٱللَّهِۖ فَمَنِ ٱضۡطُرَّ غَيۡرَ بَاغٖ وَلَا عَادٖ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ١٧٣﴾[البقرة:١٧٢-١٧٣].

الحادية والعشرون : ترك سوء الظن، وترك التجسس، وترك الغيبة والنميمة

فمن ترك ذلك تعبدًا لله ﷻ، واجتنب ذلك، لأن الله نهى عنه، فهو في عبادةٍ يؤجر عليها :﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمۡ أَن يَأۡكُلَ لَحۡمَ أَخِيهِ مَيۡتٗا فَكَرِهۡتُمُوهُۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٞ رَّحِيمٞ ١٢ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ١٣﴾[الحجرات:١٢-١٣].

الثانية والعشرون : ترك التبرك بالمخلوقين من الأشجار والأحجار والأشخاص:

فمن ترك ذلك تعبدًا لله لأن الله، نهى عنه، فهو في عبادةٍ يؤجر عليها :﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ٥٠ وَلَا تَجۡعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ٥١﴾ [الذاريات:٥٠-٥١].

الثالثة والعشرون من تروك الأفعال: ترك الإفراط والتفريط، والغلو في الدين:

فمن امتثل أوامر الله كما جاءت من غير إفراط ولا تفريط، فهو في عبادةٍ يؤجر عليها، ومن زاد فيها، أو نقص منها، ففعله مردودٌ عليه، ومن ترك الإفراط

والتفريط ابتغاء مرضاة الله، وخوفًا من عقابه، وإجلالًا لعظمته، فهو في عبادةٍ يؤجر عليها: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾﴾ [الفرقان: ٦٧].

وقال الله ﷻ: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴿٧٧﴾﴾ [المائدة: ٧٧].

الرابعة والعشرون: ترك عقوق الوالدين:

فبر الوالدين والإحسان إليهما من أعظم عبادات القلوب، وعقوق الوالدين والإساءة إليهما من أعظم الذنوب والكبائر، وترك عقوق الوالدين، لأن الله أمر ببرهما، ونهى عن عقوقهما، عبادةٌ يؤجر عليها العبد من ربه: ﴿۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴿٢٤﴾﴾ [الإسراء: ٢٣-٢٤].

الخامسة والعشرون: ترك قطع صلة الأرحام:

والأرحام هم الأقارب من جهة الأب، ومن جهة الأم، وهم أصول، وفروع، وحواشي، كالآباء والأمهات، والأبناء والبنات، والإخوة والأخوات، والأعمام والعمات، والأخوال والخالات، وأبناؤهم.

فصلة الأرحام عبادةٌ يتقرب بها العبد إلى ربه، لأن الله ﷻ أمر بها، وقطع صلة الأرحام ذنب عظيم يعاقب عليه العبد، وترك قطع صلة الأرحام عبادةٌ يؤجر عليها العبد من ربه: ﴿۞ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿١٩﴾ الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ الْمِيثَاقَ ﴿٢٠﴾ وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ ﴿٢١﴾﴾ [الرعد: ١٩-٢١].

وقال الله ﷻ: ﴿فَهَلۡ عَسَيۡتُمۡ إِن تَوَلَّيۡتُمۡ أَن تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرۡحَامَكُمۡ ٢٢ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمۡ وَأَعۡمَىٰٓ أَبۡصَٰرَهُمۡ ٢٣ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ أَمۡ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقۡفَالُهَآ ٢٤﴾[محمد:٢٢-٢٤].

السادسة والعشرون : ترك الغلول

سواء كان من الغنائم، أو بيت المال، أو أموال الأمة، فالغلول من ذلك ذنبٌ يعاقب عليه العبد، وترك الغلول عبادةٌ يؤجر عليها العبد: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّۚ وَمَن يَغۡلُلۡ يَأۡتِ بِمَا غَلَّ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ١٦١﴾[آل عمران:١٦١].

فسبحان الرب الكريم الذي يعطي على فعل الخير أجرًا، ويعطي على ترك الشر أجرًا : ﴿وَٱلَّذِينَ ٱجۡتَنَبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعۡبُدُوهَا وَأَنَابُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰۚ فَبَشِّرۡ عِبَادِ ١٧ ٱلَّذِينَ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقَوۡلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحۡسَنَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ١٨﴾[الزمر:١٧-١٨].

السابعة والعشرون : ترك شرب الخمر، وترك الميسر والقمار :

فمن ترك ذلك، لأن الله نهى عنه رغبةً في ثوابه، وخوفًا من عقابه، فهو في عبادةٍ يؤجر عليها : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٩٠ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ فِي ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِ وَيَصُدَّكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ ٩١ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَٱحۡذَرُواْۚ فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ٩٢﴾[المائدة:٩٠-٩٢].

الثامنة والعشرون : ترك تغيير منار الأرض ومعالمها :

فمن ترك ذلك، لأن الله نهى عن ذلك، فهو مأجور، كما أن من غيّر منار الأرض فهو ملعون.

قال النبي ﷺ: «لَعَنَ اللهُ مَن لَعَنَ وَالِدَيهُ، وَلَعَنَ اللهُ مَن ذَبَحَ لِغَيرِ اللهِ، وَلَعَنَ اللهُ مَن

آوَى مُحْدِثًا، ولعنَ اللهُ من غيَّرَ مَنارَ الأرضِ» متفق عليه[1].

التاسعة والعشرون: ترك إسبال الثياب، وترك لبس الحرير والذهب للرجال:

ومن لبس ذلك فهو آثم، ومن ترك لبس ذلك، لأن الله نهى عنه، وتركه ابتغاء مرضاة الله، وطمعًا في ثوابه، فهو في عبادةٍ يؤجر عليها.

قال النبي ﷺ: «مَا أَسْفَلَ مِنَ الْكَعْبَيْنِ مِنَ الإِزارِ فَفِي النَّارِ» أخرجه البخاري[2].

وقال النبي ﷺ: «لا تلْبَسوا الحريرَ، فإنَّ مَنْ لَبِسَهُ في الدنيا لم يلبسْهُ في الآخرَةِ» متفق عليه[3].

وعن علي رضي الله عنه قال: «أنَّ النَّبيَّ ﷺ أخذَ حريرًا فجعلَهُ في يمينِهِ، وأخذَ ذَهَبًا فجعلَهُ في شِمالِهِ، ثمَّ قالَ: إنَّ هذينِ حرامٌ على ذُكورِ أمَّتي» أخرجه أبو داود والنسائي[4].

الثلاثون: ترك الأكل والشرب في آنية الذهب والفضة:

فمن ترك ذلك لأن الله نهى عنه فهو في عبادةٍ يؤجر عليها.

قال النبي ﷺ: «لا تَلْبَسُوا الحَرِيرَ ولَا الدِّيبَاجَ، ولَا تَشْرَبُوا في آنِيَةِ الذَّهَبِ والفِضَّةِ، ولَا تَأْكُلُوا في صِحَافِهَا، فإنَّهَا لهمْ في الدُّنْيَا، ولَنَا في الآخِرَةِ» متفق عليه[5].

الحادية والثلاثون: ترك التطفيف في الكيل والوزن:

فمن ترك ذلك ابتغاء مرضاة الله، وامتثالًا لأمره، واجتنابًا لنهيه، فهو في عبادةٍ يؤجر عليها، كما أن من طفف في الكيل والوزن فهو آثمٌ، مستحقٌ للعقوبة: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴿٢﴾ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴿٣﴾ أَلَا يَظُنُّ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ﴿٤﴾ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ

---

(١) أخرجه مسلم برقم (١٩٧٨).

(٢) أخرجه البخاري برقم (٥٧٨٧).

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٥٨٣٤) ومسلم برقم (٢٠٦٩).

(٤) صحيح/ أخرجه أبو داود برقم (٤٠٥٧) والنسائي برقم (٥١٤٤).

(٥) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٥٤٢٦) ومسلم برقم (٢٠٦٧).

ﭐلۡعَٰلَمِينَ ﴿٦﴾ ﴾[المطففين: ١-٦].

الثانية والثلاثون: ترك تصوير ذوات الأرواح:

فمن ترك ذلك، لأن الشرع نهى عنه، فهو مأجور، كما أن من فعل ذلك، فهو آثمٌ وملعون.

قال النبي ﷺ: «إنَّ أشدَّ النَّاسِ عذابًا عندَ اللهَّ المصوِّرونَ» متفق عليه(١).

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: «قَدِمَ رَسولُ اللهَّ ﷺ مِن سَفَرٍ، وقدْ سَتَرْتُ بقِرَامٍ لي على سَهْوَةٍ لي فِيهَا تمَاثِيلُ، فَلَمَّا رَآهُ رَسولُ اللهَّ ﷺ هَتَكَهُ وقالَ: أَشَدُّ النَّاسِ عَذَابًا يَومَ القِيَامَةِ الَّذِينَ يُضَاهُونَ بخَلْقِ اللهَّ، قالَتْ: فَجَعَلْنَاهُ وِسَادَةً أَوْ وِسَادَتَيْنِ» متفق عليه(٢).

وقال النبي ﷺ: «إنَّ الَّذينَ يصنَعونَ هذهِ الصُّوَرَ يُعذَّبونَ يومَ القيامةِ فيُقالُ لهُم: أحيوا ما خَلَقتُمْ» متفق عليه(٣).

الثالثة والثلاثون: ترك الإلحاد في الحرم:

فمن ألحد في الحرم فهو ظالمٌ وآثم، والإلحاد الميل عن الحق بالكفر أو ارتكاب المناهي، ومن ترك الإلحاد في الحرم، لأن الله نهى عن ذلك، فهو في عبادةٍ يؤجر عليها: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ ٱلَّذِي جَعَلۡنَٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلۡعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلۡبَادِۚ وَمَن يُرِدۡ فِيهِ بِإِلۡحَادِۭ بِظُلۡمٖ نُّذِقۡهُ مِنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ﴿٢٥﴾﴾ [الحج: ٢٥].

الرابعة والثلاثون: ترك أذى الناس:

فالإحسان إلى المؤمنين عبادة، والإساءة إليهم جناية، وترك أذاهم، لأن الله نهى عن ذلك عبادةٌ يؤجر عليها العبد، كما أن من آذاهم فهو مذنبٌ ذنبًا يعاقب عليه: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ بِغَيۡرِ مَا ٱكۡتَسَبُواْ فَقَدِ ٱحۡتَمَلُواْ

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٥٩٥٠) ومسلم برقم (٢١٠٩).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٥٩٥٤) ومسلم برقم (٢١٠٧).

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٢١٠٥) ومسلم برقم (٢١٠٨).

﴿بُهۡتَٰنٗا وَإِثۡمٗا مُّبِينٗا ٥٨﴾[الأحزاب:٥٨].

الخامسة والثلاثون: ترك الغدر بالناس:

فالغدر بالناس جنايةٌ وجريمة،والغدر أخس الجرائم، وهو ضد الوفاء بالعهد الذي أمر الله بالوفاء به، والغدر نقض العهد في لحظةٍ لم تكن متوقعة ولا منتظرة، وترك الغدر، لأن الله نهى عنه عبادةٌ يؤجر عليها العبد، كما أن الغدر جناية يعاقب عليها العبد :﴿وَأَوۡفُواْ بِٱلۡعَهۡدِۖ إِنَّ ٱلۡعَهۡدَ كَانَ مَسۡـُٔولٗا ٣٤﴾[الإسراء:٣٤].

وقال النبي ﷺ: «لِكُلِّ غادِرٍ لِواءٌ يومَ القِيامَةِ، يُقالُ: هذِه غَدْرَةُ فُلانٍ» متفق عليه[1].

السادسة والثلاثون: ترك الإسراف

الإسراف هو صرف الشيء فيما ينبغي، زائداً على ما ينبغي .

سواء كان في الأكل،أوالشرب، أو اللباس، أو السكن، أو المركب ونحو ذلك .

فالإسراف محرم، وترك الإسراف امتثالًا لأمر الله،لأنه الله نهى عنه، عبادةٌ يؤجر عليها العبد، كما أن الإسراف ذنبٌ يعاقب عليه العبد :﴿۞يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ٣١﴾[الأعراف:٣١].

السابعة والثلاثون: ترك التبذير:

التبذير هو صرف الشيء فيما لا ينبغي .

فالتبذير محرم، ومن ترك التبذير لأن نهى الله عنه، فهو في عبادةٍ يؤجر عليها، كما أن التبذير جناية يعاقب عليها العبد :﴿وَءَاتِ ذَا ٱلۡقُرۡبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلۡمِسۡكِينَ وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرۡ تَبۡذِيرًا ٢٦ إِنَّ ٱلۡمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخۡوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِۖ وَكَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورٗا ٢٧﴾[الإسراء:٢٦-٢٧].

الثامنة والثلاثون: ترك إطلاق البصر في المحرمات

كالنساء الأجنبيات بالنسبة للرجل، والرجال الأجانب بالنسبة للمرأة:

فمن غضّ بصره عما حرّم الله عليه، فهو في عبادةٍ يؤجر عليها ،كما أن من أطلق

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٣١٨٦) ومسلم برقم (١٧٣٦) .

بصره فيما حرّم الله عليه فهو آثم : ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُواْ فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ﴾[النور: ٣٠-٣١].

التاسعة والثلاثون : ترك سماع الغناء :

فمن ترك ذلك، ابتغاء مرضاة الله، وخوفًا من عقابه، فهو في عبادةٍ يؤجر عليها، كما أن من سمع الغناء والمزامير فهو آثمٌ، كما قال سبحانه :﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٦﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِىٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٧﴾﴾[لقمان:٦-٧].

وقال النبي ﷺ:«لَيكونَنَّ مِن أُمَّتي أقْوامٌ، يَسْتَحِلُّونَ الحِرَ والحَرِيرَ، والخَمْرَ والمَعازِفَ» أخرجه البخاري معلقاً(١).

الأربعون : ترك التعسير والتنفير:

فمن ترك ذلك، لأن الرسول ﷺنهى عنهما، فهو في عبادةٍ يثاب عليها، كما أن من عسّر أو نفّر فهو آثمٌ مستحقٌ للعقوبة .

قال النبي ﷺ: «يَسِّرُوا وَلاَ تُعَسِّرُوا، وَبَشِّرُوا وَلاَ تُنَفِّرُوا» متفق عليه(٢).

الحادية والأربعون: ترك الخبائث من الأقوال والأفعال، والنجاسات والمحرمات:

فمن ترك ذلك، لأن الله نهى عن ذلك، فهو في عبادةٍ يؤجر عليها، كما أن من فعل ذلك فهو آثمٌ مستحقٌ للعقوبة :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ ۖ وَلَا تَيَمَّمُوا۟ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم

(١) أخرجه البخاري برقم (٥٥٩٠) .

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٩) ومسلم برقم (١٧٣٤) .

﴿بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغۡمِضُواْ فِيهِۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ٢٦٧﴾[البقرة:٢٦٧].

وكَانَ النَّبِيُّ ﷺإِذَا دَخَلَ الخلاءَ قَالَ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِن الخبُثِ وَالخبَائِثِ» متفق عليه(١).

الثانية والأربعون: ترك بيع وشراء المحرمات:

فمن ترك ذلك، لأن الله نهى عن ذلك، فهو في عبادةٍ يؤجر عليها ،كما ان من فعل ذلك فهو آثمٌ مستحقٌ للعقوبة : ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ٧﴾[الحشر:٧].

الثالثة والأربعون : ترك أكل أموال الناس بالباطل :

فمن ترك ذلك لأن الله نهى عن ذلك فهو في عبادةٍ يؤجر عليها ،كما أن من فعل ذلك فهو آثمٌ مستحقٌ للعقوبة : ﴿وَلَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ وَتُدۡلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلۡحُكَّامِ لِتَأۡكُلُواْ فَرِيقًا مِّنۡ أَمۡوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلۡإِثۡمِ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ١٨٨﴾[البقرة:١٨٨].

وقال النبي ﷺ: «إنَّ دِماءَكُم، وأمْوالَكم وأعراضَكُم حرامٌ عَلَيْكُم كَحُرْمة يومِكُم هَذَا، في شهرِكُمْ هَذَا، في بلَدِكُم هَذَا» متفق عليه(٢).

الرابعة والأربعون : ترك أكل أموال اليتامى:

فمن ترك أكل أموال اليتامى، لأن الله نهى عن ذلك، فهو في عبادةٍ يؤجر عليها، كما أن من أكل أموالهم آثمٌ مستحقٌ للعقوبة :﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ظُلۡمًا إِنَّمَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ نَارٗاۖ وَسَيَصۡلَوۡنَ سَعِيرٗا ١٠﴾[النساء:١٠].

الخامسة والأربعون : ترك الفسق والفجور والفساد:

فمن ترك ذلك، لأن الله نهى عن ذلك، فهو في عبادةٍ يؤجر عليها، كما أن من فعل ذلك، فهو آثمٌ مستحقٌ للعقوبة :﴿وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ وَلَا تَبۡغِ ٱلۡفَسَادَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ إِنَّ

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (١٤٢) ومسلم برقم (٣٧٥) .

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٤٤٠٦) ومسلم برقم (١٦٧٩) .

ﭐللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾ ﴾[القصص:٧٧].

وقال ﷻ: ﴿وَلَا تُفْسِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًاۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾[الأعراف:٥٦].

وقال الله تعالى: ﴿ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾[البقرة: ٥٩].

السادسة والأربعون : ترك الطغيان والعدوان، والعلو في الأرض :

فمن ترك ذلك، لأن الله نهى عنه، فهو في عبادةٍ يؤجر عليها، كما أن من فعل ذلك فهو مجرمٌ مستحقٌ للعقوبة :﴿ فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْاْۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾ وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿١١٣﴾ ﴾[هود:١١٢-١١٣].

السابعة والأربعون : ترك التولي يوم الزحف:

فمن ترك ذلك، لأن الله نهى عن ذلك، فهو في عبادةٍ يؤجر عليها، كما أن من تولى يوم الزحف، فهو آثمٌ مستحقٌ للعقوبة :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ ﴿١٥﴾ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٦﴾ ﴾[الأنفال:١٥-١٦]

الثامنة والأربعون : ترك الاحتكار:

والاحتكار هو احتكار السلع وحبسها حتى يرتفع سعرها ثم يبيعها على الناس بغلاء، فمن ترك ذلك، لأن النبي ﷺ نهى عنه، فهو في عبادةٍ يؤجر عليها، كما أن من احتكر فهو آثمٌ ومخطئٌ ومستحقٌ للعقوبة .

قال النبي ﷺ: «مَنِ احْتَكَرَ فَهو خاطِئٌ» أخرجه مسلم(١).

---

(١) أخرجه مسلم برقم (١٦٠٥) .

التاسعة والأربعون :ترك اليأس والقنوط:

فمن ترك ذلك، لأن الله نهى عن اليأس والقنوط، فهو في عبادةٍ يثاب عليها، كما أن اليأس والقنوط صاحبه آثم :﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾[الزمر:٥٣].

واليأس والقنوط من صفات الكفار، كما قال سبحانه عن يعقوب أنه قال لأولاده:﴿يَٰبَنِيَّ ٱذْهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيْـَٔسُواْ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾﴾[يوسف:٨٧].

وقال ﷻ: ﴿وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴿٥٦﴾﴾[الحجر:٥٦].

الخمسون : ترك القسوة والغلظة :

فمن ترك ذلك، لأن الله نهى عن ذلك، فهو في عبادةٍ يؤجر عليها، كما أن صاحب القسوة والغلظة آثمٌ مستحقٌ للعقوبة :﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٢﴾﴾[الزمر:٢٢].

الحادية والخمسون : ترك كفران النعم:

فشكر النعم واجب، وكفران النعم محرم، وترك كفران النعم، لأن الله نهى عنه عبادةٌ يؤجر عليها العبد، كما أن كفران النعم ذنب عظيم يعاقب عليه العبد :﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّواْ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ ﴿٢٨﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَاۖ وَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ ﴿٢٩﴾﴾[إبراهيم:٢٨-٢٩].

الثانية والخمسون : ترك نشر الشائعات والفواحش:

فنشر الشائعات فتنةٌ عظيمةٌ تفتك بالأمة، وتفرق الجمع، ومن ترك ذلك، لأن الله نهى عنه، فهو في عبادةٍ يؤجر عليها، كما أن إشاعة أسرار المسلمين، وإشاعة الأكاذيب من أخطر الفتن على الأمة، وصاحبها آثمٌ مستحقٌ للعقوبة، فالفتنة أشد من القتل، وأكبر من القتل، لعظيم خطرها وعموم ضررها: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِي ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا

تَعۡلَمُونَ ﴿١٩﴾ [النور:١٩].

الثالثة والخمسون: من تروك الأفعال ترك تعذيب الحيوان

سواءً كان بالضرب أو الجوع أو الإحراق أو الإغراق أو سوء الذبح ونحو ذلك:

فمن ترك ذلك، لأن الله نهى عن ذلك، فهو في عبادةٍ يؤجر عليها، كما أن من فعل ذلك فهو آثمٌ مستحقٌ للعقوبة: ﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ﴿١٩٠﴾﴾ [البقرة:١٩٠].

وقال النبي ﷺ: «إِنَّ اللهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ، وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذِّبْحَةَ، وَلْيُحِدَّ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ، وَلْيُرِحْ ذَبِيحَتَهُ» أخرجه مسلم(١).

الرابعة والخمسون: ترك الأكل بالشمال، وترك الأخذ والعطاء بالشمال:

فمن ترك ذلك، لأن رسول الله ﷺ نهى عن ذلك، فهو عبادةٍ يؤجر عليها، كما أن من فعل ذلك فهو آثمٌ متشبهٌ بالشيطان.

قالت عائشة رضي الله عنها: «كانَ النبيُّ ﷺ يُعْجِبُهُ التَّيَمُّنُ، في تَنَعُّلِهِ، وتَرَجُّلِهِ، وطُهُورِهِ، وفي شَأْنِهِ كُلِّهِ» متفق عليه(٢).

وقال النبي ﷺ: «إِذَا أَكَلَ أَحَدُكُمْ فَلْيَأْكُلْ بِيَمِينِهِ، وَإِذَا شَرِبَ فَلْيَشْرَبْ بِيَمِينِهِ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَأْكُلُ بِشِمَالِهِ، وَيَشْرَبُ بِشِمَالِهِ» أخرجه مسلم(٣).

الخامسة والخمسون: ترك نكاح المتعة، ونكاح الشغار وغيرهما من الأنكحة المحرمة:

ونكاح المتعة هو أن يتزوج المرأة إلى مدةٍ محدودة،وترك نكاح الشغار، وهو أن يزوج الرجل ابنته أو أخته على أن يزوجه الآخر ابنته أو أخته،وترك نكاح المحلل، وهو أن يتزوج الرجل المطلقة ليحللها لزوجها الذي طلقها ثلاثاً، ثم يطلقها.

---

(١) أخرجه مسلم برقم (١٩٥٥).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (١٦٨) ومسلم برقم (٢٦٨).

(٣)أخرجه مسلم برقم (٢٠٢٠).

وقد «لعنَ رسولُ اللهِ ﷺ المحلِّلَ، والمحلَّلَ لَهُ» أخرجه الترمذي وأبو داود[1].

عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ الله عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ نهى عنِ الشِّغَارِ. قال مالِكٌ: والشِّغارُ أنْ يَقولَ: «أَنكِحْني ابنتَكَ، وأُنكِحُكَ ابنَتي» متفق عليه[2].

فمن ترك ذلك كله، لأن الشرع حرمه، فهو في عبادةٍ يؤجر عليها، كما أن من فعل ذلك فهو آثمٌ مستحقٌ للعقوبة: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٢٩﴾﴾ [البقرة:٢٢٩].

وقال ﷻ: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾﴾ [الحشر:٧].

وتروك الأفعال عبادةٌ عظيمةٌ تدخل في جميع أبواب الفقه من العبادات، والمعاملات، والمعاشرات، والآداب، والأخلاق.

فهذه بعض تروك الأفعال التي نهى الله ورسوله عنها، فمن تركها تعبدًا لله، لأن الله نهى عنها، فهو في عبادةٍ يؤجر عليها ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾﴾ [النساء:١٣-١٤].

﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأعراف:٢٣].

﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٨﴾﴾ [آل عمران:٨].

سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا أَنْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ.

---

(١) صحيح/ أخرجه الترمذي برقم (١١١٩) وأبو داود برقم (٢٠٧٦).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٥١١٢) ومسلم برقم (١٤١٥).

عبادات القلوب

في ضوء القرآن والسنة

القسم الثاني : عبادات التروك

العبادة الرابعة

تروك الأخلاق

وتشتمل هذه العبادة العظيمة على المباحث الآتية :

الأولى : ترك الإساءة إلى النفس أو الخلق.

الثانية : ترك الإسراف والتبذير.

الثالثة : ترك الافتراء، والإفك، والبهتان.

الرابعة :ترك إفشاء الأسرار العامة والخاصة

الخامسة : ترك الانتقام.

السادسة : ترك البخل، والشح.

السابعة : ترك البغض والكراهية.

الثامنة :ترك الجبن.

التاسعة :ترك الجزع والحزن.

العاشرة :ترك الجفاء.

الحادية عشرة : ترك الحسد.

الثانية عشرةمن تروك الأخلاق : ترك الحقد، والغل.

الثالثة عشرة :ترك الخبث.

الرابعة عشرة : ترك الخداع.

الخامسة عشرة : ترك الخذلان.

السادسة عشرة :ترك الخيانة.

السابعة عشرة :ترك الذُّل للخلق.

الثامنة عشرة: ترك السخرية والاستهزاء بالناس.

التاسعة عشرة : ترك السفه والحُمق.

العشرون : ترك سوء الظن.

الحادية والعشرون: ترك الشماتة بالناس.

الثانية والعشرون: ترك الطمع.

الثالثة والعشرون : ترك الظلم.

الرابعة والعشرون : ترك العجب.

الخامسة والعشرون : ترك العدوان.

السادسة والعشرون: ترك الغدر.

السابعة والعشرون : ترك الغش.

الثامنة والعشرون :ترك الغضب.

التاسعة والعشرون: ترك الغيبة والنميمة.

الثلاثون : ترك الفتور والكسل والوهن.

الحادية والثلاثون : ترك الفجور.

الثانية والثلاثون : ترك الفحش والبذاء.

الثالثة والثلاثون : ترك القسوة والغِلْظَة والفظاظة.

الرابعة والثلاثون: ترك الكبر.

الخامسة والثلاثون: ترك الكذب.

السادسة والثلاثون : ترك المكر والكيد.

السابعة والثلاثون :تركنقض العهد.

الثامنة والثلاثون: ترك اليأس والقنوط.

التاسعة والثلاثون : ترك اللعن والسب والشتم.

الأربعون: ترك الفخر والغرور.

القسم الرابع من عبادات التروك

تروك الأخلاق

عبادات التروك هي أن يترك العبد كل ما نهى الله ورسوله عنه، من الاعتقادات الباطلة، والأقوال السيئة، والأفعال المحرمة، والأخلاق المذمومة ؛ تعبدًا لله ﷻ، لأن الله نهى عنها، وحذر منها.

فيأخذ المسلم الأجر من ربه على الترك، كما يأخذ الأجر على فعل العبادات المأمور بها شرعًا، كما قال سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ ۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ۚ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿١٨﴾﴾ [الزمر:١٧-١٨].

وقال ﷻ: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۖ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٧﴾﴾ [الحشر:٧].

وقال النبى ﷺ: «ما نهيتكم عنه فاجتنبوه، وما أمرتكم به فأتوا منه ما استطعتم» متفق عليه (١).

وتنقسم عبادات التروك إلى أربعة أقسام :

الأول : تروك الاعتقاد : كترك الكفر، والشرك، وترك النفاق، والرياء ونحو ذلك.

الثانى : تروك الأقوال : كترك السب، واللعن، وشهادة الزور، ونحو ذلك.

الثالث : تروك الأفعال : كترك الزنى، وترك شرب الخمر، ونحو ذلك.

الرابع: تروك الأخلاق : كترك الكبر، والظلم، وترك الحسد والبغى، ونحو ذلك.

وتنقسم الأخلاق فى الإسلام إلى قسمين :

الأول : الأخلاق المحمودة.

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٧٢٨٨) ومسلم برقم (١٣٣٧) .

وهي كل خُلقٍ حسن أمر الله به أو رغب فيه أو أثنى على أهله، كما قال سبحانه: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤﴾[آل عمران:١٣٣-١٣٤].

الثاني: الأخلاق المذمومة.

وهى كل خلق سيئ نهى الله عنه أو حذر منه أو ذم أهله، كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٩٠﴾[النحل:٩٠].

والله ﷻ كريمٌ، يعطى الأجر على التعبد لله بالأخلاق المحمودة. ويُعطى كذلك الأجر، على التعبد لله بترك الأخلاق المذمومة.

ومدار ذلك كله على النية فى الفعل والترك: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱجۡتَنَبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعۡبُدُوهَا وَأَنَابُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰۚ فَبَشِّرۡ عِبَادِ ١٧ ٱلَّذِينَ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقَوۡلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحۡسَنَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ١٨﴾[الزمر:١٧-١٨].

وقال النبى ﷺ: «إِنَّمَا الأَعْمَالُ بالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى». متفق عليه(١).

وتروك الأخلاق التى يتعبد المسلم لله بتركها، كثيرة ومنها :

الأولى : ترك الإساءة إلى النفس أو الخلق.

والإساءة ضد الإحسان، فمن ترك الإساءة تعبدًا لله، لأن الله نهى عن الإساءة، فهو فى عبادة يؤجر عليها، كما أن الإساءة ذنب عظيم، يعاقب عليه المسىء : ﴿إِنۡ أَحۡسَنتُمۡ أَحۡسَنتُمۡ لِأَنفُسِكُمۡۖ وَإِنۡ أَسَأۡتُمۡ فَلَهَاۚ﴾[الإسراء:٧].

وقال الله ﷻ: ﴿مَّنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا فَلِنَفۡسِهِۦۖ وَمَنۡ أَسَآءَ فَعَلَيۡهَاۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ ٤٦﴾[فصلت:٤٦].

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (١) ومسلم برقم (١٩٠٧).

الثانية : ترك الإسرافوالتبذير، والترف.

والإسراف صرف الشيء فيما ينبغى، زائدًا على ما ينبغى.

والتبذير : صرف الشيء فيما لا ينبغى، والترف هوالتوسع فى التنعم بشهوات الدنيا وملذاتها، وكل ذلك محرمٌ نهى الله ورسوله عنه.

فمن ترك الإسراف، والتبذير، والترف لأن الله نهى عن ذلك، فهو فى عبادةٌ يؤجر عليها، كما أن صاحب الإسراف، والتبذير، والترف آثمٌ مستحقٌ للعقوبة: ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ٣١ ﴾[الأعراف:٣١].

وقال ﷻ: ﴿ وَءَاتِ ذَا ٱلۡقُرۡبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلۡمِسۡكِينَ وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرۡ تَبۡذِيرًا ٢٦ إِنَّ ٱلۡمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخۡوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِۖ وَكَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورٗا ٢٧ ﴾[الإسراء:٢٦-٢٧].

وقال ﷻ: ﴿ فَلَوۡلَا كَانَ مِنَ ٱلۡقُرُونِ مِن قَبۡلِكُمۡ أُوْلُواْ بَقِيَّةٖ يَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡفَسَادِ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا قَلِيلٗا مِّمَّنۡ أَنجَيۡنَا مِنۡهُمۡۗ وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَآ أُتۡرِفُواْ فِيهِ وَكَانُواْ مُجۡرِمِينَ ١١٦ ﴾[هود:١١٦].

الثالثة : ترك الافتراء، والإفك، والبهتان.

والافتراء هو أعظم الكذب، وهو اختراع أمرِ لا أصل له.

والبهتان هو أفحش الكذب. وهو أن تقذف أحدًا بذنب هو منه بريء.

والإفك أشد الكذب. وهو أن ترمى أخاك بذنب هو منه بريء.

وقد نهى الله عن ذلك كله. فمن ترك الافتراء، والإفك، والبهتان تعبدًا لله لأن الله نهى عن جميع ذلك، فهو فى عبادة يؤجر عليها. كما أن صاحب الافتراء، والإفك، والبهتان آثمٌ مستحقٌ للعقوبة : ﴿ وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوۡ كَذَّبَ بِٱلۡحَقِّ لَمَّا جَآءَهُۥٓۚ أَلَيۡسَ فِي جَهَنَّمَ مَثۡوٗى لِّلۡكَٰفِرِينَ ٦٨ ﴾[العنكبوت:٦٨].

وقال ﷻ: ﴿ وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١٧﴾ ﴾[النحل:١١٦-١١٧].

وقال ﷻ: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾ ﴾[الأحزاب:٥٨].

وقال ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ ۚ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾ لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾ ﴾[النور:١١-١٢].

الرابعة: ترك إفشاء الأسرار العامة والخاصة كالأسرار الزوجية وغيرها.

وإفشاء السر هو تعمد الإخبار بسر شخص ائتمنك عليه.

فمن ترك إفشاء السر الذى أئتمن عليه، فهو فى عبادةٍ يؤجر عليها. كما أن من أفشى هذا السر، فهو آثمٌ، قد خان الأمانة: ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٣﴾ ﴾[النساء:٨٣].

وقال النبى ﷺ: « إن من أشر الناس عند الله منزلةً يوم القيامة الرجل يفضى إلى امرأته وتفضى إليه ثم ينشر سرها » أخرجه مسلم (١).

الخامسة : ترك الانتقام.

والانتقام هو إنزال العقوبة بالغير مع الاعتداء، وشدة الكراهية.

فمن ترك ذلك، لأن الله نهى عنه، فهو فى عبادةٍ، يؤجر عليها، كما أن من انتقم، ولم يغفر لمن آذاه، خسر صفة الكِرام، كما قال سبحانه عن أوليائه: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا۟ هُمْ يَغْفِرُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾[الشورى:٣٧].

---

(١) أخرجه مسلم برقم (١٤٣٧).

وعن عائشة رضى الله عنها، أنَّها قالت : « ما خُيِّر رسول الله ﷺ بين أمرين إلَّا أختار أيسرهما، ما لم يكن إثمًا، فإن كان إثمًا كان أبعد النَّاس منه، وما انتقم رسول الله ﷺ لنفسه، إلا أن تُنتَهك حُرْمَة الله فينتقم لله بها» متفق عليه(١).

السادسة : ترك البخل، والشح.

والبخل هو منع الواجب والمستحب من ماله، وحبسه عن أهله.

والشح هو البخل بما يملك، والحرص على ما ليس له، فهو بخلٌ وزيادة.

فمن ترك البخل والشح، لأن الله نهى عنهما، فهو فى عبادة يؤجر عليها، كما أن صاحب البخل والشح مذمومٌ، مستحقٌ للعقوبة : ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٨٠﴾﴾[آل عمران:١٨٠].

وقال ﷻ: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾﴾[الحشر:٩].

السابعة : ترك البغض والكراهية.

فالمؤمن يحب لأخيه ما يحب لنفسه، ويكره له ما يكره لنفسه.

فمن ترك البغض والكراهية لإخوانه المؤمنين، فهو فى عبادة يؤجر عليها، كما أن من أحبهم فهو فى عبادة، ومن أبغضهم وكرههم فهو آثم، لأن المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا.

والبغض والكراهية من صفات إبليس التى يُفرق بها شمل الأمة : ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾﴾[المائدة:٩١].

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٣٥٦٠) ومسلم برقم (٢٣٢٧) .

وقال النبى ﷺ: «إياكم والظنَّ فإنَّ الظن أكذَبُ الحديثِ ولا تحَسَّسُوا ولا تجَسَّسُوا ولا تحَاسَدُوا ولا تبَاغَضُوا ولا تَدابَرُوا وكونوا عبادَ الله إخوانًا» متفق عليه[1].

الثامنة : ترك الجبن.

والجبن ضد الشجاعة، والجبن هو الخوف مما لا ينبغي أن يُخاف منه.

فمن ترك الجبن، ووثب على الأعداء فهو في عبادةٍ يؤجر عليها، كما أن الجبن آفةٌ توجب الفرار من مواجهة العدو، والفرار من الكبائر :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحۡفٗا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلۡأَدۡبَارَ ﴿١٥﴾ وَمَن يُوَلِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفٗا لِّقِتَالٍ أَوۡ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٖ فَقَدۡ بَآءَ بِغَضَبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأۡوَىٰهُ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿١٦﴾ ﴾[الأنفال:١٥-١٦].

التاسعة :ترك الجزع والخوف.

والجزع حزنٌ يصرف الإنسان عما هو بصدده.

فمن ترك الجزع، لأنه منهيٌ عنه، فهو في عبادةٍ يؤجر عليها، كما أن صاحب الجزع مذموم :﴿ ۞ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعٗا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلۡخَيۡرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا ٱلۡمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ ٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَاتِهِمۡ دَآئِمُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾[المعارج:١٩ -٢٣].

وقال الله تعالى:﴿وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ ﴾ [آل عمران: ١٣٩] .

العاشرة : ترك الجفاء.

والجفاء هو الغِلظة للعشرة، وسوء المعاملة، وترك الرفق فى الأمور.

فمن ترك الجفاء تعبدًا لله، فهو فى عبادةٍ يؤجر عليها. والجفاء مذموم لأنه يقطع أواصر المودة والمحبة بين الناس، ويُوَلِّد التنافر بينهم.

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٥١٤٣) ومسلم برقم (٢٥٦٣) .

قال النبى ﷺ: «الحياء من الإيمان، والإيمان فى الجنة، والبذاء من الجفاء والجفاء فى النار» أخرجه أحمد والترمذي[1].

الحادية عشرة : ترك الحسد.

والحسد تمنى زوال النعمة عن غيره إليه.

والحسد مذموم لما فيه من الاعتراض على قسمة الله، فمن ترك الحسد، لأن الله ﷻ نهى عنه، فهو فى عبادةٍ يؤجر عليها ؛ كما أن الحسد ذنبٌ عظيمٌ، حذر الله ورسوله منه. وهو من صفات الكفار، كما قال سبحانه :﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٩﴾ ﴾[البقرة:١٠٩].

وقال الله ﷻ:﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴿١﴾ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ﴿٤﴾ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾ ﴾ [الفلق:١ –٥].

وقال النبى ﷺ : « لا تباغضوا، ولا تحاسدوا، ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانا ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاثة أيام» متفق عليه[2].

الثانية عشرة من تروك الأخلاق : ترك الحقد، والغل.

والحقد هو إضمار الشر للجانى إذا لم يتمكن من الانتقام منه حتى يقدر عليه. فمن ترك الحقد، لأن الله نهى عنه، فهو فى عبادةٍ يؤجر عليها، كما أن صاحب الحقد مذموم، لأن الحقد أصل الشر. وهو حملٌ ثقيلٌ يُتْعِبُ حامله، ويَشقى به صاحبه، ويفسد وقته عليه.

والحقد هو الغل. ولهذا، طهر الله منه صدور أهل الجنة، كما قال سبحانه :

---

(١) صحيح/ أخرجه أحمد برقم (١٠٥١٩) والترمذي برقم (٢٠٠٩) .

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٠٦٥) ومسلم برقم (٢٥٥٩) .

﴿وَنَزَعۡنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنۡ غِلٍّ إِخۡوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٖ مُّتَقَٰبِلِينَ ٤٧﴾[الحجر:٤٧].

الثالثة عشرة :ترك الخُبث.

والخبث هو إضمار الشر للغير، وإظهار الخير له.

فمن ترك الخُبث تعبدًا لله، لأن الله نهى عنه، فهو فى عبادةٍ يؤجر عليها، كما أن صاحب الخبث مذموم، لأن الخبث سببٌ لبذاءة اللسان والفُحش، وسببٌ للحسد، وسببٌ للشر والأذى والعداوة بين الناس :﴿قُل لَّا يَسۡتَوِي ٱلۡخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ وَلَوۡ أَعۡجَبَكَ كَثۡرَةُ ٱلۡخَبِيثِۚ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ١٠٠﴾ [المائدة: ١٠٠].

وقال النبي ﷺ: «لا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ : خَبُثَتْ نَفْسِي، وَلَكِنْ لِيَقُلْ : لَقِسَتْ نَفْسِي» متفق عليه(١).

وقال النبي ﷺ: «يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم إذا هو نام ثلاثَ عُقَدٍ، يضرب كل عقدة مكانها، عليك ليل طويل فارقُدْ، فإن استيقظ فذكر الله انحلت عقدة، فإن توضأ انحلت عقدة، فإن صلى انحلت عُقَدُه كلها، فأصبح نشيطًا طيب النفس، وإلا أصبح خبيث النفس كسلان» متفق عليه(٢).

الرابعة عشرة : ترك الخداع.

والخداع إظهار الخير، مع إبطان الشر، حتى يحُصِّل مقصود .

فمن ترك الخداع، لأن الله نهى عنه، فهو فى عبادةٍ يؤجر عليها، كما أن صاحب الخداع مذمومٌ وآثم، لأن الخداع صفة من صفات المنافقين، وسببٌ من أسباب الفرقة والعداوة بين المسلمين، وسببٌ لأكل أموال المسلمين بالباطل، ونزع الثقة بين المسلمين، ولأنه يُوَلِّدُ البغضاء والشحناء بين الناس :﴿إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمۡ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦١٨٠) ومسلم برقم (٢٢٥٠) .

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (١١٤٢) ومسلم برقم (٧٧٦) .

قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾ ﴾[النساء: ١٤٢].

وقال الله ﷻ: ﴿وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخۡدَعُوكَ فَإِنَّ حَسۡبَكَ ٱللَّهُۚ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَيَّدَكَ بِنَصۡرِهِۦ وَبِٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٦٢﴾ ﴾[الأنفال: ٦٢].

الخامسة عشرة : ترك الخذلان.

والخذلان ترك نصرة أخيك وعونه .

فمن ترك الخذلان، لأنه مَنْهِيٌّ عنه، فهو فى عبادة يؤجر عليها، كما أن من خذل مظلومًا فهو آثم أشد الإثم، كمن يقدر على نصرة أخيه فلم ينصره ولم يدفع عنه عدوه، ومن يقدر على نصح أخيه عن ضلالةٍ فلم ينصحه.

قال النبى ﷺ: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا» متفق عليه(١).

ومن آثار الخذلان : انتشار الأنانية، وحب الذات، وانعدام الشهامة، وعدم نصرة المظلوم، وعدم إغاثة المكروب، وانقطاع عُرَى الأخوة والمحبة بين المسلمين.

والخذلان سببٌ من أسباب هزيمة الأمة، وهو عارٌ على صاحبه: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴿٢﴾ ﴾ [المائدة: ٢].

وقال النبى ﷺ: « المسلمُ أخو المسلم لا يَظْلِمْه، ولا يَخْذُلْه، ولا يَحْقِرْه ، بحَسْب امرِئ مِن الشرِّ أن يحْقِرَ أخاه المسلمَ »أخرجه مسلم(٢).

وقال النبى ﷺ: «انْصُرْ أَخَاكَ ظَالمِاً أَوْ مَظْلُومًا، قَالُوا : يَا رَسُولَ اللهِ، هَذَا نَنْصُرُهُ مَظْلُومًا، فَكَيْفَ نَنْصُرُهُ ظَالمِاً ؟ قَالَ : تَأْخُذُ فَوْقَ يَدَيْهِ » أخرجه البخاري (٣).

السادسة عشرة : ترك الخيانة.

والخيانة عمل مَنْ اؤتمن على شيء بضد ما اؤتمن لأجله، بدون علم صاحب

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٢٤٤٦) ومسلم برقم (٢٥٨٥) .

(٢) أخرجه مسلم برقم (٢٥٦٤) .

(٣) أخرجه البخاري برقم (٢٤٤٤) .

الأمانة، فمن ترك الخيانة، لأن الله نهى عنها، فهو فى عبادة يؤجر عليها.
وكما أن أداء الأمانة عبادة يثاب عليها، فكذلك الخيانة ذنب عظيم يعاقب عليه الخائن، لأن الخيانة نقض للعهد. وهى من صفات المنافقين واليهود، ومن أسوء ما يبطن الإنسان، وهى سبب لفقدان الثقة بين الناس، وتفكك أواصر المحبة والتعاون بين الخلق، وسببٌ لمهانة وذل صاحبها: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمۡ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾[الأنفال:٢٧].
وقال ﷻ: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا ﴿٥٨﴾ ﴾[النساء:٥٨].
وقال النبى ﷺ: « أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْ النِّفَاقِ حَتَّى يَدَعَهَا: إِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ، وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ » متفق عليه(١).

السابعة عشرة: ترك الذُّل للخلق.

والذل العجز والضعف عن المقاومة.
فمن ترك الذُّل للخلق تعبدًا لله، لأن الله نهى عنه، فهو فى عبادة يؤجر عليها، كما أن التذلل لغير الله مذموم، لما فيه من الذلة، والهوان، والضعف.
أما الذل لله، والمؤمنين، والوالدين فمحمود: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾[المائدة:٥٤].
وقال ﷻ: ﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًاۚ إِمَّا يَبۡلُغَنَّ عِندَكَ ٱلۡكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوۡ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفّٖ وَلَا تَنۡهَرۡهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوۡلٗا كَرِيمٗا ﴿٢٣﴾ وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا ﴿٢٤﴾ ﴾ [الإسراء:٢٣-٢٤].

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٢٤٥٩) ومسلم برقم (٥٨).

الثامنة عشرة: ترك السخرية والاستهزاء بالناس.

والسخرية هى الاستهانة، والتحقير، وذكر العيوب، والنقائص، على وجه يُضْحَكُ منه بالقول أو الفعل.

والاستهزاء هو السخرية بالإنسان من غير أن يسبق منه فعل يستهزئ به من أجله، وكل ذلك محرم.

فمن ترك السخرية والاستهزاء تعبدًا لله، لأن الله نهى عنهما، فهو فى عبادةٍ يؤجر عليها، كما أن من سَخِرَ واستهزأ بالناس، فهو آثمٌ، مستحق للعقوبة، لأن السخرية والاستهزاء بالناس تولد الرغبة فى الانتقام، وتَبْذُر بذور العداوة والبغضاء بين الناس، وتأكل حسنات العبد، وتسبب غضب الرب.

وهى من صفات الكفار والمنافقين: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ١١﴾ [الحجرات: ١١].

وقال ﷻ: ﴿يَحۡذَرُ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيۡهِمۡ سُورَةٞ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِي قُلُوبِهِمۡۚ قُلِ ٱسۡتَهۡزِءُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ مُخۡرِجٞ مَّا تَحۡذَرُونَ ٦٤ وَلَئِن سَأَلۡتَهُمۡ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلۡعَبُۚ قُلۡ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمۡ تَسۡتَهۡزِءُونَ ٦٥ لَا تَعۡتَذِرُواْ قَدۡ كَفَرۡتُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡۚ إِن نَّعۡفُ عَن طَآئِفَةٖ مِّنكُمۡ نُعَذِّبۡ طَآئِفَةَۢ بِأَنَّهُمۡ كَانُواْ مُجۡرِمِينَ ٦٦﴾ [التوبة: ٦٤-٦٦].

وقال الله ﷻ عن المنافقين: ﴿ٱلَّذِينَ يَلۡمِزُونَ ٱلۡمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهۡدَهُمۡ فَيَسۡخَرُونَ مِنۡهُمۡ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنۡهُمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ٧٩﴾ [التوبة: ٧٩].

التاسعة عشرة: ترك السفه والحُمق.

والسفه هو سرعة الغضب، والطيش من أيسر الأمور، وإظهار السب الفاحش،

وسرعة البطش بالمخالف، وهو ضد الحِلم، وغاية الجهل.
أما الحمق فهو وضع الشيء في غير موضعه، مع العلم بقبحه.
والأحمق من يعمل ما يضره مع علمه بقبحه، وكلاهما محرم.
فمن ترك السفه والحمق، لأن الله نهى عنهما، فهو فى عبادة يؤجر عليها، كما أن السفه والحمق صفتان مذمومتان، لأنهما من خوارم المروءة. والسفيه بذيء اللسان، يقع دائمًا فى الغيبة وأعراض الناس، والسفيه سريع الانفعال، كثير التدخل فى شؤن الناس.
والأحمق عدو نفسه، لما يسببه من الضرر على نفسه، والأحمق غير مَرضى العمل، ولا محمود الأمر: ﴿قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓا۟ أَوْلَٰدَهُمْ سَفَهًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا۟ مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ٱفْتِرَآءً عَلَى ٱللَّهِ ۚ قَدْ ضَلُّوا۟ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ ﴿١٤٠﴾﴾ [الأنعام: ١٤٠].
وقال ﷻ: ﴿وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَٰمًا وَٱرْزُقُوهُمْ فِيهَا وَٱكْسُوهُمْ وَقُولُوا۟ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٥﴾﴾[النساء: ٥].
العشرون: ترك سوء الظن.
وسوء الظن هو عدم الثقة بمن هو لها أهل، وامتلاءُ القلب بالظنون السيئة بالناس حتى يَطْفَح على اللسان والجوارح في كل مناسبة.
فمن ترك سوء الظن تعبدًا لله ﷻ، لأن الله نهى عنه، فهو في عبادةٍ يؤجر عليها.
وسوء الظن بالله أعظم الذنوب، بعد الشرك بالله: ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن يَصْبِرُوا۟ فَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ۖ وَإِن يَسْتَعْتِبُوا۟ فَمَا هُم مِّنَ ٱلْمُعْتَبِينَ ﴿٢٤﴾﴾[فصلت: ٢٢-٢٤].
وسوء الظن بالله، وبالمؤمنين، من صفات الكفار والمنافقين، وعقوبته أشد العقوبات، كما قال سبحانه: ﴿وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ

﴿وَٱلْمُشْرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٦﴾﴾[الفتح:٦].

وقال النبى ﷺ: «إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث »متفق عليه(١).

وسوء الظن آفةٌ عظيمة، فهى سببٌ للوقوع فى الشرك والبدع والظلال، وسببٌ للخسارة، والوقوع فى غضب الله ولعنته، وسببٌ فى كثرة الأحقاد والتهم والعداوة والفرقة بين الناس، ومن أساء الظن أساء العمل :﴿وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾[فصلت:٢٣].

الحادية والعشرونمن تروك الأخلاق : ترك الشماتة بالناس.

والشماتة هى الفرح والسرور بالشر الواصل إلى من تُعاديه ويعاديك، كما قال هارون لأخيه موسى :﴿قَالَ ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِى وَكَادُوا۟ يَقْتُلُونَنِى فَلَا تُشْمِتْ بِىَ ٱلْأَعْدَآءَ وَلَا تَجْعَلْنِى مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٥٠﴾﴾[الأعراف:١٥٠].

وكان النبى ﷺ«يتعوَّذُ بالله مِنْ سُوء الْقَضَاءِ، وَمن دَرَكِ الشَّقَاءِ، وَمِن شَماتَةِ الأَعْدَاءِ، و مِنْ جَهْدِ الْبَلاءِ» متفق عليه(٢).

والشماتة بالتعيير بالذنب، أعظم من الذنب، لما فيها من تزكية النفس، وذم الغير.

والشماتة تؤدي إلى قساوة القلب. وتثمر الحسد والعداوة والبغضاء بين الناس.

فمن ترك الشماتة بالمؤمنين، لأن الله نهى عنها فهو فى عبادة، يؤجر عليها. كما أن الشامت بهم آثم، ومستحق للعقوبة.

الثانية والعشرون: ترك الطمع.

والطمعنزوع النفس إلى الشىء شهوةً له.

والطمع ذلٌ ينشأ من الحرص والبطالة، والجهل بحكمة البارىِ فى قسمة الأرزاق.

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٥١٤٣) ومسلم برقم (٢٥٦٣).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٣٤٧) ومسلم برقم (٢٧٠٧).

قال النبي ﷺ: «ما ذِئبانِ جائعانِ أُرْسِلا في غنَم، بأفسدَ لهَا من حِرص المَرءِ علَى المالِ والشَّرَفِ لدينِهِ» أخرجه أحمد والترمذي (١)

ومن ترك الطمع في الأموال والأشياء والمناصب تعبدًا لله، لأن الله نهى عن ذلك، فهو في عبادةٍ يؤجر عليها، كما أن الطمع في مغفرة الله، وكرم الله، ودخول الجنة طمعٌ محمود.

أما الطمع في شهوات الدنيا وملذاتها فهو مذموم، لأنه يشغل عن عبادة الله، ويؤدي إلى غياب فضيلة البذل والإيثار والإحسان بين الناس، وهو دليلٌ على ضعف الثقة بالله، وسوء الظن بالله، ويمحق البركة في المال.

وهو سبب خسران العبد في الدنيا والآخرة، وسبب للعداوة والكراهية بين الناس ولهذا نهى الله عنه بقولة: ﴿ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ ﴾[الحجر: ٨٨] .

والطمع من صفات الكفار واليهود :﴿ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ۚ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ مِنَ ٱلْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾[البقرة:٩٦].

الثالثة والعشرون : ترك الظلم.

والظلم هو التعدي من الحق إلى الباطل، ومجاوزة الحد المشروع، والتصرف في مُلْك الغير بغير إذنه، وأعظم الظلم الشرك بالله ﷻ، لأنه وضعٌ للعبادة في غير موضعها، وصرفها لغير مستحقها :﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ ﴾[لقمان:١٣].

فمن ترك الظلم، لأن الله ﷻ نهى عنه، فهو في عبادة يؤجر عليها :﴿ وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ ۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ

(١) صحيح/ أخرجه احمد برقم (١٥٧٩٤) والترمذي برقم (٢٣٧٦) .

أَحۡسَنَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿١٨﴾﴾[الزمر:١٧-١٨].

وقد نزه الله نفسه عن الظلم، وحرمه على نفسه، وحذر عباده منه :﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةٗ يُضَٰعِفۡهَا وَيُؤۡتِ مِن لَّدُنۡهُ أَجۡرًا عَظِيمٗا ﴿٤٠﴾﴾[النساء:٤٠].

وقال ﷻفى الحديث القدسى : «يا عبادى إنى حرمت الظلم على نفسى، وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا » أخرجه مسلم (١).

وقال النبى ﷺ: «مَن ظَلَمَ قِيدَ شِبْرٍ مِن الأرض طُوِّقَهُ مِن سَبْع أَرَاضِينَ» متفق عليه (٢).

والظلم ذنب عظيم، وصاحبه محرومٌ من الهداية والفلاح، ومستحقٌ للعنة، والظلم سببٌ لزوال الأمن، وسببٌ للبلاء والعقوبة، ودخول النار يوم القيامة.

﴿يَوۡمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعۡذِرَتُهُمۡۖ وَلَهُمُ ٱللَّعۡنَةُ وَلَهُمۡ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٥٢﴾﴾[غافر:٥٢].

الرابعة والعشرون : ترك العجب.

والعجب هو رؤية النفس، والاغترار بما يملك الإنسان، والتطاول به على الناس، والاستكبار به عليهم.

والعجب بالنفس كبيرة من كبائر الذنوب التى توجب غضب الله ومقته وعذابه فى الدنيا والآخرة، سواء كان العجب للعلم، أو الذكاء، أو القوة، أو الشجاعة، أو الجمال، أو الرئاسة، أو العبادة، أو أعمال الخير، أو كان العجب بالمال، أو بكثرة الأولاد، والأتباع، وغير ذلك مما يدخل العجب فى النفس، فكل ذلك محرمٌ نهى الله عنه بقوله :﴿فَلَا تُعۡجِبۡكَ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُمۡۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَتَزۡهَقَ أَنفُسُهُمۡ وَهُمۡ كَٰفِرُونَ ﴿٥٥﴾﴾[التوبة:٥٥].

والعجب آفة ينشأ عنها أفة أعظم منها، وهى الكبر والاستكبار .

فمن ترك هذا العجب تعبدًا لله، لأن الله نهى عنه، وحذر منه، فهو فى عبادة يؤجر عليها، كما أن العجب كبيرةٌ يعاقب الله عليها :﴿وَلَا تُصَعِّرۡ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمۡشِ فِي

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٥٧٧) .

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٣١٩٥) ومسلم برقم (١٦١٢) .

﴿ٱلْأَرْضِ مَرَحًاۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾﴾[لقمان:١٨].

وقال النبي ﷺ: «بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي فِي حُلَّةٍ، تُعْجِبُهُ نَفْسُهُ، مُرَجِّلٌ جُمَّتَهُ، إِذْ خَسَفَ اللهُ بِهِ، فَهُوَ يَتَجَلْجَلُ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ» متفق عليه(١).

العجب ذنب عظيم يدعو العبد إلى الكبر والتيه، وازدراء الناس، ويدعو إلى استعظام أعماله، والمن على الله بفعلها، والفتور عن العبادة، لظنه أنه قد فاز واستغنى، وهو سبب لخذلان الأمة إذا أعجبوا بأنفسهم: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍۙ وَيَوْمَ حُنَيْنٍۙ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦﴾﴾[التوبة:٢٥-٢٦].

الخامسة والعشرون: ترك العدوان.

والعدوان هو مجاوزة الحد بقولٍ أو فعل أو حالٍ بإيذاء الغير، والإضرار بهم.

وقد نهى الله عن العدوان بأنواعه، فقال سبحانه: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢﴾﴾[المائدة:٢].

والعُدْوان جناية عظيمة، وهو من كبائر الذنوب، سواء كان قتلًا للنفوس، أو إيذاءً لها، أو أكلًا لأموال الناس بالباطل، أو سبًا أو شتمًا للناس، أو عدوانًا على الأعراض بقذفٍ أو زنى، أو عُدوانًا في الدعاء ونحو ذلك.

والعدوان ذنب عظيم، وسببٌ للعقوبة في الدنيا والآخرة، وسببٌ لدخول النار. والمعتدي بعيدٌ عن محبة الله، والقرب منه: ﴿ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةًۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾﴾[الأعراف:٥٥].

فمن ترك العدوان بأنواعه تعبدًا لله، لأن الله نهى عنه، فهو في عبادة يؤجر عليها.

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٥٧٨٩) ومسلم برقم (٢٠٨٨).

كما أن من اعتدى، فهو مجرم يستحق للعقوبة فى الدنيا والآخرة :﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾﴾[النساء: ١٤].

السادسة والعشرون: ترك الغدر.

والغدر نقض العهد، وترك الوفاء به، فى لحظةٍ لم تكن متوقعة ولا منتظرة. والغدر من صفات المنافقين والكفار :﴿وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٢٥﴾﴾[الرعد: ٢٥].

فالوفاء بالعهود عبادة، وترك الغدر، لأن الله نهى عنه عبادة، كما أن الغدر جنايةٌ يعاقب الله عليها الغادر:﴿وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴿٣٤﴾﴾[الإسراء: ٣٤].

وقال النبى ﷺ: « لكل غادر لواء يوم القيامة، يقال هذه غدرة فلان » متفق عليه[١].

وقال النبى ﷺ: «قَالَ اللهُ : ثَلاثَةٌ أَنَا خَصْمُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، رَجُلٌ أَعْطَى بِى ثُمَّ غَدَرَ، وَرَجُلٌ بَاعَ حُرًّا فَأَكَلَ ثَمَنَهُ، وَرَجُلٌ اسْتَأْجَرَ أَجِيرًا فَاسْتَوْفَى مِنْهُ وَلَمْ يُعْطِهِ أَجْرَهُ» أخرجه البخاري[٢].

وأعظم الغدر نقض العهد الذي أخذه الله على بنى آدم حين استخرجهم من ظهره، وأشهدهم على أنفسهم، كما قال سبحانه:﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ ۖ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾﴾[الأعراف: ١٧٢ – ١٧٣] .

ونقض العهد المأخوذ على بني آدم من النظر في أدلة وحدانية الله المبسوطة في الكون :﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٣١٨٦) ومسلم برقم (١٧٣٦) .

(٢) أخرجه البخاري برقم (٢٢٢٧) .

﴿٦﴾ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٨﴾﴾ [ق:٦-٨].

ونقض العهد الذي وصى الله به خلقه من فعل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال، والأفعال، والأخلاق، وترك ما لا يحبه ولا يرضاه من الأقوال والأفعال والأخلاق: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾﴾ [الحشر:٧].

وقال الله تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًۢا ﴿٧٣﴾﴾ [الأحزاب: ٧٢ -٧٣].

السابعة والعشرون: ترك الغش.

والغش هو خلط الرديء بالجيد، وخداع المشتري ليأخذ السلعة.

قال النبي ﷺ: «مَنْ غَشَّ، فَلَيْسَ مِنِّي» أخرجه مسلم (١).

والغش سواء كان في الأقوال، أو الأفعال، أو المعاملات، كله محرم لما فيه من أكل أموال الناس بالباطل، وإيغار الصدور، والفرقة بين الناس، والظلم لهم، سواء كان في البيع والشراء، أو في المعاملات والعقود.

وأعظم الغش، غش الراعي للرعيه، وغش الرعية للراعي: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾﴾ [النساء: ٥٨].

وقال النبي ﷺ: «ما من عبد يسترعيه الله رعية يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته إلا حرم الله عليه الجنة» متفق عليه (٢).

---

(١) أخرجه مسلم برقم (١٠٢) .

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٧١٥١) ومسلم برقم (١٤٢) .

ومن الغش ترك تعليم الناس أمور دينهم، وعدم النصيحة لهم، وترك الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وعدم الوفاء بالعهود: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ٧٨ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ٧٩ تَرَىٰ كَثِيرٗا مِّنۡهُمۡ يَتَوَلَّوۡنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ لَبِئۡسَ مَا قَدَّمَتۡ لَهُمۡ أَنفُسُهُمۡ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ وَفِي ٱلۡعَذَابِ هُمۡ خَٰلِدُونَ ٨٠﴾[المائدة:٧٨-٨٠].

فمن ترك الغش بأنواعه، لأن الله نهى عنه، فهو فى عبادة يؤجر عليها، كما أن من غش فهو ظالم، وآثم، ومستحق للعقوبة.

قال النبى ﷺ: «مَنْ غَشَّ، فَلَيْسَ مِنِّى» أخرجه مسلم (١).

الثامنة والعشرون: ترك الغضب.

والغضب هو غليان دم القلب لطلب الانتقام.

والغضب محرم، لما يؤول إليه من الانتقام، والإساءة، والظلم، والعدوان.

فمن ترك الغضب تعبدًا لله، لأن الله نهى عنه، فهو فى عبادةٌ يؤجر عليها، كما أن الغضب صفةٌ سيئة، يستحق صاحبها العقوبة.

قال النبى ﷺلرجل سأله الوصية، فقال: «لا تغضب»، فردد مرارًا، قال: «لا تغضب». أخرجه البخاري (٢).

وقد مدح الله المؤمنين بأنهم إذا غضبوا فإنهم يغفرون: ﴿وَٱلَّذِينَ يَجۡتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُواْ هُمۡ يَغۡفِرُونَ ٣٧﴾[الشورى:٣٧].

التاسعة والعشرون: ترك الغيبة والنميمة.

والغيبة هى ذكرك أخاك فى غيبته بما يكره.

والنميمة نقل الكلام بين الناس للإيقاع بينهم. وكلاهما محرم.

---

(١) أخرجه مسلم برقم (١٠٢).

(٢) أخرجه البخاري برقم (٥٧٦٥).

فالغيبة تزيد فى سيئات العبد، وتأكل حسناته، وهى أربى الربا، لما فيها من كثرة الآثام. ولهذا، نهى الله ﷻ عنها بقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمۡ أَن يَأۡكُلَ لَحۡمَ أَخِيهِ مَيۡتٗا فَكَرِهۡتُمُوهُۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٞ رَّحِيمٞ ١٢﴾ [الحجرات: ١٢].

وقال النبى ﷺ: «أتدرون ما الغِيبة؟»، قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «ذكرك أخاك بما يكره»، قيل: أفرأيت إن كان فى أخى ما أقول؟ قال: «إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه فقد بهَتَّه» أخرجه مسلم (١).

وقال النبى ﷺ بمنى يوم النحر: «إنَّ دِماءَكُم، وأمْوالَكم وأعْراضَكُم حرامٌ عَلَيْكُم كَحُرْمة يومِكُم هَذَا، فى شهرِكُمْ هَذَا، فى بلَدِكُم هَذَا، ألا هَلْ بلَّغْت» متفق عليه (٢).

فمن ترك الغيبة والنميمة تعبدًا لله، لأن الله حرم ذلك، فهو فى عبادةٍ يؤجر عليها، كما أن المغتاب آثمٌ، مستحق للعقوبة، مفلس من الحسنات يوم القيامة.

قال النبى ﷺ: «أتَدْرُونَ ما المُفْلِسُ؟ قالوا: المُفْلِسُ فِينا مَن لا دِرْهَمَ له ولا مَتاعَ، فقالَ: «إنَّ المُفْلِسَ مِن أُمَّتى يَأْتى يَومَ القِيامَةِ بصَلاةٍ، وصِيام، وزَكاةٍ، ويَأْتى قدْ شَتَمَ هذا، وقَذَفَ هذا، وأَكَلَ مالَ هذا، وسَفَكَ دَمَ هذا، وضَرَبَ هذا، فيُعْطَى هذا مِن حَسَناتِهِ، وهذا مِن حَسَناتِهِ، فإنْ فَنِيَتْ حَسَناتُهُ قَبْلَ أنْ يُقْضَى ما عليه أُخِذَ مِن خَطاياهُمْ فَطُرِحَتْ عليه، ثُمَّ طُرِحَ فى النَّارِ» أخرجه مسلم (٣).

الثلاثون: ترك الفتور والكسل والوهن.

والوهن ضعف العمل الصالح بسبب حب الدنيا، وكراهية الموت.

والفتور هو الكسل والتراخى والتباطؤ عن فعل الطاعات، وهو من صفات المنافقين، كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمۡ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٥٨٩).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٤٤٠٦) ومسلم برقم (١٦٧٦).

(٣) أخرجه مسلم برقم (٢٥٨١).

ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا۟ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾ ﴾[النساء:١٤٢].
وقال النبي ﷺ: «اللَّهُمَّ إنِّي أعوذُ بكَ مِن الكَسل والهَرَم، والمأثم والمَغرم» متفق عليه(١).

فالفتور، والكسل، والوهن، صفاتٌ مذمومة، لأنها تؤدي إلى التثاقل عن أداء العبادات، وتؤدي إلى ترك بعض الفرائض، وكثير من المستحبات، وتفوت كثيرًا من المصالح الدينية والدنيوية، وصاحبها يكون قدوة لغيره في الفتور والكسل.
فمن ترك الفتور والكسل والوهن تعبدًا لله، لأن الله نهى عن ذلك، فهو في عبادةٍ يؤجر عليها، كما أن من فتر وكسل عن الطاعات، فهو آثمٌ مستحق للعقوبة، كما قال الله عز وجل لموسى ﷺ: ﴿ ٱذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَٰتِى وَلَا تَنِيَا فِى ذِكْرِى ﴿٤٢﴾ ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ ﴿٤٥﴾ قَالَ لَا تَخَافَآ ۖ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾ ﴾[طه:٤٢-٤٦].

الحادية والثلاثون: ترك الفجور.

والفجور هو الميل عن الحق إلى الباطل، والانبعاث إلى التوسع فى المعاصى.
وقد ذم الله أهل الفجور بقوله: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴿٣٩﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿٤٠﴾ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿٤١﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَفَرَةُ ٱلْفَجَرَةُ ﴿٤٢﴾ ﴾[عبس: ٣٨ – ٤٢].
وتوعد الله ﷻ الفجار بالنار، كما قال سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ﴿١٤﴾ ﴾[الانفطار:١٣-١٤].

فالفجور من الصفات السيئة الموصلة إلى النار، والفجور دليلٌ على خسة النفس، وعلامة من علامات الدناءة والانحطاط الأخلاقى، وهو سببٌ لحصول العداوة، والشحناء، والبغضاء، بين الناس.
فمن ترك الفجور وتعبد لله بتركه، لأن الله نهى عنه، فهو في عبادةٍ يؤجر عليها،كما

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٣٧٥) ومسلم برقم (٥٨٩).

أن الفاجر مذنب مستحق للعقوبة.

قال النبى ﷺ: «إِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إلى البرِّ، وإِنَّ البرَّ يَهْدِي إلى الجَنَّةِ، وإِنَّ الرَّجُلَ لَيَصْدُقُ حتَّى يَكونَ صِدِّيقًا. وإِنَّ الكَذِبَ يَهْدِي إلى الفُجُورِ، وإِنَّ الفُجُورَ يَهْدِي إلى النَّارِ، وإِنَّ الرَّجُلَ لَيَكْذِبُ حتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهَّ كَذّابًا» متفق عليه[1].

الثانية والثلاثون : ترك الفحش والبذاء.

والفحش ما عَظُمَ قُبْحُهَ من الأقوال، والأعمال، والأفعال، والأخلاق.

والبذاء هو التعبير عن الأمور المستقبحة بالعبارات الصريحة.

والفحش والبذاءة كلاهما محرم، فليس المؤمن بالطعان ولا اللعان، ولا الفاحش ولا البذيء.

والفاحش والبذيء يتحاشاه الناس، خوفًا من شر لسانه.

والفحش والبذاءة من علامات النفاق، وصاحبه مكروه عند الناس، مبغوض عند الله، وعند الناس.

قال النبى ﷺ :«إِنَّ شَرَّ النَّاس مَنْزِلَةً عِنْدَ اللهَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ تُرِك اتِّقَاءَ فُحْشِهِ»متفق عليه[2].

وعن أُمِّ المؤمنين عائشة رضى الله عنها قالت : أنه استأذن على النَّبى ﷺ رجل فقال ﷺ: «أذنوا له، بئس أخو العشيرة أو ابن العشيرة فلما دخل ألان له الكلام. قلت : يا رسول الله، قلت الذى قلت، ثم ألنت له الكلام. قال : أى، قال أى عائشة إِنَّ شرَّ الناس من تركه الناس أو ودعه الناس، اتقاء فحشه» متفق عليه[3].

فمن ترك الفُحش والبذاءة لأن الله نهى عنهما، فهو فى عبادة يؤجر عليها، كما أن الفحش والبذاءة خلقٌ ذميم، وصاحبه مستحق للعقوبة.

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٥٧٤٣) ومسلم برقم (٢٦٠٧) .

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٠٣٢) ومسلم برقم (٢٥٩١) .

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٠٥٤) ومسلم برقم (٢٥٩١) .

الثالثة والثلاثون: ترك القسوة والغِلْظَة والفظاظة.

والقسوة هى ذهاب اللين من القلب، وعدم الرحمة، وعدم المبالاة بما يلحق الغير من الألم والأذى والضرر.

والغِلظة قسوة القلب، وقلة إشفاقه على الغير.

والفظاظة هى خشونة الكلام، وغِلْظُ الجانب.

وكل هذه الصفات مَنْهِىٌّ عنها، فمن ترك القسوة والغلظة والفظاظة تعبدًا لله، لأن الله نهى عنها، فهو فى عبادة يؤجر عليها، كما أن من تخلق بذلك فهو آثم، مستحق للعقوبة: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾﴾[آل عمران: ١٥٩].

وقال الله ﷻ: ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَـٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَـٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٢﴾﴾[الزمر: ٢٢].

وقال النبى ﷺ: «ألا وإنَّ فى القسوة وغلظ القلوب فى الفدادين حيث يطلع قرنا ربيعة ومضر» متفق عليه(١).

والقسوة والغِلْظَة والفظاظة صفات ذميمة، تؤدي إلى نسيان ذكر الله، وتحريف الكلم عن مواضعه، ونزول المصائب والنقم، واستحقاق لعنة الله، وسخطه، وعقابه: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَـٰقَهُمْ لَعَنَّـٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَـٰسِيَةً ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ۙ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ ۚ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣﴾﴾[المائدة: ١٣].

الرابعة والثلاثونمن تروك الأخلاق: ترك الكبر.

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٣٣٠٢) ومسلم برقم (٥١).

والكبر هو بطر الحق، وغمط الناس باستعظام العبد نفسه، واحتقار الناس، والترفع على من يجب التواضع له.

والكبر ذنب إبليس، كما قال سبحانه ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾[البقرة:٣٤].

والكبر سبب للصرف عن دين الله ﷻ : ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِىَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلْغَىِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ ﴿١٤٦﴾ ﴾[الأعراف:١٤٦].

والكِبْر سبب للخلود فى النار، كما قال سبحانه :﴿ وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا فَٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾[الأحقاف:٢٠].

والكبر سبب للحرمان من دخول الجنة.

قال النبى ﷺ: «لا يدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال ذرة من كبر. قال رجل : إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنًا ونعله حسنة؟، قال : إن الله جميل يحب الجمال، الكبر بَطَر الحق وغمْط الناس » أخرجه مسلم (١).

فمن ترك الكبر تعبدًا لله، لأن الله نهى عنه، وحذر منه، فهو فى عبادةٍ يؤجر عليها.

كما أن المتكبر آثم، بل كافرٌ لرد الحق، واحتقار الناس. وهذه من صفات إبليس.

وإبليس وجنوده وأتباعه كلهم فى النار :﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾[غافر:٦٠].

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٩١) .

والكبر بأنواعه كله مذموم، سواء كان بالعلم، أو العمل، أو العبادة، أو التكبر بالحسب والنسب، أو التفاخر بالذكاء،أوالجمال، أو القوة، أوالشجاعة، أو كثرة المال، أو كثرة الأصحاب، أو كثرة الأنصار، كل ذلك خُلُقٌ مذموم، محرم. وصاحبه مستحق للعقوبة.

ومن علامات المتكبر، أنه يحب قِيَام الناس له، أو بين يديه، وأن لا يمشي إلا ومعه غيره يمشي خلفه، ولا يزور من دونه، وأن يستنكف من جلوس غيره بالقرب منه، وأن لا يتعاطى بيده شغلًا في بيته، وأن يستنكف من زيارة المرضى والمعلولين، وأن لا يحمل متاعه إلى بيته، وغير ذلك من صفات المتكبرين: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ۝٧ يَسْمَعُ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝٨﴾ [الجاثية:٧-٨].

الخامسة والثلاثون من تروك الأخلاق: ترك الكذب.

والكذب هو الإخبار بالشيء على خلاف ما هو عليه، سواءً كان عمدًا أو خطأً. وأعظم الكذب الكذبُ على الله، وعلى رسوله، وعلى دينه، ثم الكذب على الناس، ثم الكذب على الحيوان.

والكذب من قبائح الذنوب، وفواحش العيوب، يذهب بالمروءة، ويعرض صاحبه للإهانة.

والكذب يقلب الحق باطلًا، ويقلب الباطل حقا، والكذب يهدي إلى الفجور، والفجور يهدي إلى النار، والكذب من علامات النفاق: ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ۝١١٦ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝١١٧﴾ [النحل:١١٦-١١٧].

وقال الله ﷻ: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ۝٢٢١ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ۝٢٢٢﴾ [الشعراء:٢٢١-٢٢٢].

وقال النبي ﷺ: «إِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إلى البِرِّ، وإِنَّ البِرَّ يَهْدِي إلى الجَنَّةِ، وإِنَّ الرَّجُلَ لَيَصْدُقُ حتَّى يُكْتَبَ صِدِّيقًا، وإِنَّ الكَذِبَ يَهْدِي إلى الفُجُورِ، وإِنَّ الفُجُورَ يَهْدِي إلى النَّارِ، وإِنَّ الرَّجُلَ لَيَكْذِبُ حتَّى يُكْتَبَكَ كَذَّابًا» متفق عليه(١)

وقال النبى ﷺ: «آية المنافق ثلاث إذا حدّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان» متفق عليه(٢).

فمن ترك الكذب تعبدًا لله، لأن الله حرمه، ونهى عنه، فهو فى عبادة يؤجر بها، كما أن الكذب ذنب عظيمٌ موجب للعقوبة واللعنة: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰٓ إِلَى ٱلْإِسْلَـٰمِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٧﴾﴾ [الصف: ٧].

السادسة والثلاثون: ترك المكر والكيد.

والمكر هو إيصال المكروه إلى الإنسان من حيث لا يشعر.

والكيد إرادة مَضَرَّة الغير خُفْيَة.

والمكر منه ما هو محمود، وهو ما قُصِدَ به الخير، ومنه ما هو مذموم، وهو المكر السيئ الذي يُقْصد به الشر: ﴿وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٠﴾ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَـٰهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥١﴾﴾ [النمل: ٥٠-٥١].

وقال الله ﷻ: ﴿وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ لَئِن جَآءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى ٱلْأُمَمِ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤٢﴾ ٱسْتِكْبَارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَكْرَ ٱلسَّيِّئِ ۚ وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ ۚ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَ ۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا ﴿٤٣﴾﴾ [فاطر: ٤٢-٤٣].

والكيد قسمان:

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٠٩٤) ومسلم برقم (٢٦٠٧).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٣٣) ومسلم برقم (٥٩).

محمود، وهو ما قصد به الخير، ومذموم، وهو ما قُصِدَ به الشر، كما قال الله عن الكفار: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا (١٥) وَأَكِيدُ كَيْدًا (١٦) فَمَهِّلِ ٱلْكَٰفِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًۢا (١٧)﴾ [الطارق:١٥-١٧].

فمن ترك المكر السيئ، والكيد السيئ، لأن الله نهى عن ذلك، فهو فى عبادة يؤجر عليها، كما أن صاحب المكر السيئ مذموم مستحق للعقوبة.

وأعظم من كاد البشرية هو الشيطان، ولكن كيده ضعيف، لأنه لا يتعدى الوسوسة: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ فَقَٰتِلُوٓا۟ أَوْلِيَآءَ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا (٧٦)﴾ [النساء:٧٦].

السابعة والثلاثون: نقض العهد.

ونقض العهد هو عدم الوفاء بما أعلن الإنسان الالتزام به.

ونقض العهد كبيرة من كبائر الذنوب: ﴿وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ (٢٥)﴾ [الرعد: ٢٥].

وقد أمر الله المؤمنين بالوفاء بالعهود، وحرم عليهم نقضها: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَوْفُوا۟ بِٱلْعُقُودِ ۚ﴾ [المائدة:١].

وقال الله ﷻ: ﴿وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا (٣٤)﴾ [الإسراء:٣٤].

وأعظم نقض للعهود نقض العهد مع الله بالكفر به، وهو موجبٌ لخسارة العبد فى الدنيا والآخرة، وموجبٌ للعنة الله. وأعظم من نقض العهود من الخلق هم اليهود الذين قال الله عنهم: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ۙ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ ۚ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ (١٣)﴾ [المائدة:١٣].

فمن نقض العهد فقد ارتكب إثمًا عظيما، ومن ترك نقض العهد تعبدًا لله، لأن الله نهى عن ذلك، فهو فى عبادة يؤجر عليها.

الثامنة والثلاثون: ترك اليأس والقنوط.

واليأس انقطاع الطمع فى رحمة الله، والقنوط اليأس من رحمة الله. واليأس والقنوط من رحمة الله من كبائر الذنوب التى نهى الله عباده عنها بقوله: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾ [الزمر:٥٣].

وقال الله ﷻ: ﴿لَّا يَسْـَٔمُ ٱلْإِنسَٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٌ قَنُوطٌ ﴿٤٩﴾﴾ [فصلت:٤٩].

وقال النبى ﷺ: «لو يعلمُ المؤمنُ ما عند الله من العقوبة، ما طَمِع بجَنَّتِهِ أحدٌ، ولو يَعلمُ الكافرُ ما عند الله من الرَّحمة، ما قَنَطَ من جَنَّتِهِ أحدٌ» أخرجه مسلم[1].

واليأس والقنوط من صفات الكفار، كما قالت الملائكة لإبراهيم ﷺ: ﴿قَالُوا۟ بَشَّرْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْقَٰنِطِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴿٥٦﴾﴾ [الحجر:٥٥-٥٦].

وقال يعقوب: ﴿يَٰبَنِىَّ ٱذْهَبُوا۟ فَتَحَسَّسُوا۟ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَا۟يْـَٔسُوا۟ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يَا۟يْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾﴾ [يوسف:٨٧].

واليأس والقنوط من رحمة الله فيهما تكذيب لله ورسوله، وسوء أدب مع الله. وهما سببٌ فى الوقوع فى الكفر والهلاك والضلال، والاستمرار فى فعل الذنوب والمعاصى، والكسل والفتور عن فعل الطاعات، وسببٌ للحرمان من رحمة الله ومغفرته.

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٧٥٥).

فمن ترك اليأس والقنوط من رحمة الله، تعبدًا لله لأن الله نهى عنهما، فهو فى عبادةٍ يؤجر عليها، كما أن من أَيس وقنط من رحمة الله فهو كافرٌ، مستحقٌ للعقوبة.

وَصور اليأس والقنوط التى نهى الله عنها كثيرةٌ منها :

اليأس والقنوط من رحمة الله، ومن مغفرة الله، ومن توبة الله على العبد العاصى، واليأس والقنوط من زوال الشدائد، وتفريج الكرب، والتغيير للأفضل، واليأس من نصر الإسلام، وارتفاع الذل والمهانة عن المسلمين.

وقد نهى الله عباده عن كل ذلك بقوله :﴿ قُلْ يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ ﴾[الزمر:٥٣].

التاسعة والثلاثون : ترك اللعن والسب والشتم.

واللعن هو الطرد والإبعاد من رحمة الله وثوابه إلى ناره وعقابه.

والسب والشتم هو قذف الإنسان غيره بالكلام السيئ الجارح.

وقد نهى الله ﷻ عباده عن السب والشتم واللعن، فقال :﴿ وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾[الأنعام:١٠٨].

وقال النبى ﷺ: «من لعن مؤمنا فهو كقتله، ومن قذف مؤمنا بكفر فهو كقتله» متفق عليه(١).

وقال النبى ﷺ: «لاَ يَنْبَغِى لِصِدِّيقٍ أَنْ يَكُونَ لَعَّانًا» أخرجه مسلم(٢).

وقال النبي ﷺ: «لا يكونُ اللَّعّانون، شُفَعاءَ ولا شُهَدَاء يَومَ القِيامَةِ» أخرجه مسلم(٣).

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٠٤٧) ومسلم برقم (١١٠).

(٢)أخرجه مسلم برقم (٢٥٩٧).

(٣)أخرجه مسلم برقم (٢٥٩٨).

فمن ترك اللعن والسب والشتم تعبدًا لله، لأن الله نهى عن ذلك، فهو فى عبادةٍ يؤجر عليها، كما أن صاحب اللعن والسب والشتم آثمٌ مستحق للعقوبة.

ولا يجوز للمسلم لعن الشخص بعينه، لأنه يمكن أن يتوب إلى الله، لكن يجوز اللعن بالوصف كالكفر، والكذب، والظلم، كما قال سبحانه: ﴿فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾﴾[البقرة:٨٩].

وقال سبحانه: ﴿أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٨﴾﴾[هود:١٨].

وقال ﷻ: ﴿ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦١﴾﴾[آل عمران:٦١].

وقال النبى ﷺ: « لَعَنَ الله الْواصِلَةَ وَالمُسْتوصِلَةَ، والْوَاشِمَةَ والمُستَوشِمة» متفق عليه(١).

الأربعون من تروك الأخلاق : ترك الفخر والغرور.

والفخر هو أن يفتخر الإنسان بما يملك من علم، أو مالٍ، أو جاه، أو قدرة، مع الاحتقار لغيره، وهو درجة من درجات الكبر.

والغرور أن يغتر الإنسان بما يملك من مالٍ، أو جمالٍ، أو علم، أو جاهٍ، ورؤية نفسه فوق غيره.

والفخر صفة مذمومة، وهو من صفات أهل الجاهلية.

قال النبى ﷺ: «أربع فى أمتى من أمر الجاهلية لا يتركونهن : الفخر فى الأحساب، والطعن فى الأنساب، والاستسقاء بالنجوم، والنياحة » أخرجه مسلم(٢).

والغرور صفة مذمومة، وهو من صفات أهل الجاهلية: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا۟ ۖ قُل لَّا تَمُنُّوا۟ عَلَىَّ إِسْلَٰمَكُم ۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾﴾ [الحجرات:١٧].

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٥٩٣٣) ومسلم برقم (٢١٢٢) .

(٢)أخرجه مسلم برقم (٩٣٤) .

فمن ترك الفخر والغرور تعبدًا لله، لأن الله نهى عِبادهُ عن ذلك، فهو فى عبادةٍ يؤجر عليها، كما أن الفخر والغرور من الصفات المذمومة التي نهى الله عنها.

ومن صفات المؤمنين التواضع، والخوف، والوجل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴿٦١﴾﴾ [المؤمنون:٥٧-٦١].

﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٨﴾﴾ [آل عمران:٨].

اللهم اهدنا لأحسن الأقوال، والأعمال، والأخلاق، لا يهدي لأحسنها إلا أنت، ولا يصرف عنا سيئها إلا أنت.

اللهم آت نفوسنا تقواها، وزكاها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها.

فهرس الموضوعات

الموضوع **الصفحة**

المقدمة.. ٥

القسم الأول

عبادات الأفعال

١ - عبادة توحيد الله عزَّ وجل: وتشتمل على ما يلي: ٢٨
الأوَّل: تعريف التَّوحيد. ٢٨
الثَّاني: منزلة التَّوحيد. ٢٩
الثَّالث: فضائل التَّوحيد. ٣٢
الرَّابع: أقسام التَّوحيد... ٣٤
الخامس: أركان التَّوحيد... ٣٧
السَّادس: ثمرات التَّوحيد.. ٣٩
السَّابع: الأسباب المعِينة على تحقيق التَّوحيد................................... ٤١
الثَّامن: جزاء أهلِ التَّوحيد.. ٤٣
٢ - عبادة الإيمان بالله عز وجل: وتشتمل على ما يلي:......................... ٤٦
الأول : تعريف الإيمان ٤٦

الموضوع **الصفحة**

الثاني : ما يتضمنه الإيمان بالله عز وجل ٤٨

الثالث : الأسباب المعينة على الإيمان بالله عز وجل ٥١

الرابع : درجات الإيمان ٥٣

الخامس : فضائل الإيمان بالله عز وجل ٥٧

السادس : ثمرات الإيمان بالله عز وجل ٥٧

السابع : جزاء أهل الإيمان ٥٨

٣ - عبادة تعظيم الله جل جلاله: وتشتمل على ما يلي: ٦٢

الأول : منزلة تعظيم الرب جل جلاله ٦٢

الثاني : فضائل تعظيم الله جل جلاله ٦٨

الثالث : مظاهر عظمة الله جل جلاله ٦٩

الرابع : الأسباب المعينة على تعظيم الرب جل جلاله ٨٠

الخامس: جزاء تعظيم الرب جل جلاله ٨٢

٤ - عبادة حب الله عز وجل: وتشتمل على ما يلي: ٨٤

الأول : منزلة حب الله عز وجل ٨٤

الثاني : أنواع المحبة ٨٧

الثالث : الأسباب الجالبة لحب الله عز وجل ٩٠

الرابع : علامات حب العبد لربه ٩١

الموضوع **الصفحة**

الخامس : علامات حب الله للعبد.. ٩٥

السادس : الذين يحبهم الله عز وجل... ١٠٠

السابع : ثمرات حب العبد لربه.. ١٠٣

٥ - عبادة الخوف من الله جل جلاله: وتشتمل على ما يلي:............١٠٦

الأول: منزلة الخوف من الله عز وجل.. ١٠٦

الثاني: أقسام الخوف ١١١

الثالث: الأسباب الجالبة لخوف الله عز وجل.................................. ١١٣

الرابع: أنواع الخوف من الله عز وجل.. ١١٥

الخامس: ثمرات الخوف من الله عز وجل... ١٢٠

السادس: جزاء الخوف من الله عز وجل.. ١٢٣

٦ - عبادة الرجاء: وتشتمل على ما يلي:...١٢٦

الأول: منزلة الرجاء.. ١٢٦

الثاني: شروط الرجاء... ١٢٩

الثالث: أنواع الرجاء.. ١٣١

الرابع: وقت الرجاء.. ١٣٣

الخامس: أقسام الناس في الرجاء... ١٣٤

السادس: الأسباب المعينة على قوة الرجاء.. ١٣٧

الموضوع	الصفحة
السابع: علامات صدق الرجاء	١٤٣
الثامن: جزاء أهل الرجاء	١٤٤
٧- عبادة الصدق: وتشتمل على ما يلي:	١٤٦
الاول: منزلة الصدق	١٤٦
الثاني: فضائل الصدق	١٤٩
الثالث: صفات الصادقين	١٥١
الرابع: أنواع الصدق	١٥٢
الخامس: مراتب الصدق	١٥٩
السادس: ثمرات الصدق	١٦٠
٨- عبادة الإخلاص: وتشتمل على ما يلي:	١٦٤
الأول: منزلة الإخلاص لله عز وجل	١٦٤
الثاني: تفاوت الناس في الإخلاص	١٦٧
الثالث: مفسدات الإخلاص	١٦٩
الرابع: الأسباب المعينة على تحقيق الإخلاص	١٧٣
الخامس: علامات المخلصين	١٧٤
السادس: ثمرات الإخلاص	١٧٦
السابع: جزاء أهل الإخلاص	١٧٨

الموضوع	الصفحة
٩ - عبادة الرضا: وتشتمل على ما يلي:	**١٨٠**
الأول: منزلة الرضا	١٨٠
الثاني: بم يكون الرضا عن الله عز وجل	١٨٢
الثالث: أركان الرضا	١٨٥
الرابع: أقسام الرضا	١٨٨
الخامس: الأسباب التي تعين على الرضا	١٩١
السادس: ثمرات الرضا	١٩٢
السابع: جزاء أهل الرضا	١٩٦
١٠ - عبادة التوكل على الله عز وجل: وتشتمل على ما يلي:	**١٩٨**
الأول : فقه التوكل على الله عز وجل	١٩٨
الثاني :منزلة عبادة التوكل	٢٠١
الثالث :أنواع التوكل	٢٠٣
الرابع : كيف تنشأ عبادة التوكل في القلب ؟	٢٠٤
الخامس : تفاوت الناس في التوكل	٢١٥
السادس : التوكل سلاح الأنبياء والمؤمنين	٢١٨
السابع : الأسباب المعينة على التوكل	٢٢٢
الثامن : جزاء أهل التوكل	٢٢٦

الموضوع **الصفحة**

١١ - عبادة التوبة إلى الله عز وجل: وتشتمل على ما يلي:............ ٢٢٨

الأول: منزلة التوبة إلى الله عز وجل ٢٢٨

الثاني: حكم التوبة ٢٣١

الثالث: فضائل التوبة إلى الله عز وجل........................... ٢٣٩

الرابع: الأسباب المعينة على التوبة ٢٤١

الخامس: أنواع التوبة.. ٢٤٢

السادس: أقسام التائبين إلى الله عز وجل.......................... ٢٤٤

السابع: خطر المعاصي على العبد............................... ٢٤٦

الثامن: خطر التسويف بالتوبة.................................. ٢٤٩

التاسع: علاج الإصرار على المعاصي............................. ٢٥٢

العاشر: أسباب سوء الخاتمة................................... ٢٥٣

الحادي عشر: جزاء التائبين.................................... ٢٥٦

١٢ - عبادة تقوى الله عز وجل: وتشتمل على ما يلي:................ ٢٥٨

الأول : فقه التَّقوى... ٢٥٨

الثَّاني : منزلة التَّقوى.. ٢٦١

الثَّالث : ما الَّذي يتَّقيه المسلم في حياته............................ ٢٦٤

الرَّابع : فضائل التَّقوى....................................... ٢٦٥

الموضوع **الصفحة**

الخامس : الأسباب المُعِينة على تحقيق التَّقوى.................. ٢٦٧

السَّادس : تفاوت النَّاس في التَّقوى.................. ٢٧٠

السَّابع : صفات المتَّقين.................. ٢٧٣

الثَّامن : جزاء المتَّقين.................. ٢٧٤

١٣ - عبادة الصبر : وتشتمل على ما يلي:.................. ٢٧٨

الأول : منزلة الصبر.................. ٢٧٨

الثاني : شروط الصبر.................. ٢٨٠

الثالث : أنواع الصبر.................. ٢٨٢

الرابع : الأسباب المعينة على الصبر.................. ٢٨٧

الخامس : أنواع الابتلاء.................. ٢٩٣

السادس : فوائد المصائب.................. ٣٩٤

السابع : تفاوت الناس في الصبر.................. ٢٩٩

الثامن : ثمرات الصبر.................. ٣٠٣

١٤ - عبادة الحمد والشكر : وتشتمل على ما يلي:.................. ٣٠٦

الأول :فقه الحمد والشكر.................. ٣٠٦

الثاني: منزلة الحمد والشكر.................. ٣١٠

الثالث: فضائل الحمد والشكر.................. ٣١٤

الموضوع	الصفحة
الرابع: أركان الحمد والشكر	٣١٨
الخامس: الأسباب المعينة عليالحمدوالشكر	٣٢٠
السادس: تفاوت الناس في الحمد والشكر	٣٢٥
السابع :جزاء أهل الحمد والشكر	٣٢٧
١٥ - عبادة حسن الظن بالله عز وجل: وتشتمل على ما يلي:	٣٣٢
الأول: منزلة حسن الظن بالله ﷻ	٣٣٢
الثاني: أنواع الظن بالله ﷻ	٣٣٤
الثالث: الأسباب المعينة على حسن الظن بالله ﷻ	٣٣٧
الرابع: علامات حسن الظن بالله ﷻ	٣٣٨
الخامس: مقامات حسن الظن بالله ﷻ	٣٤١
السادس: جزاء حسن الظن بالله ﷻ	٣٤٣
١٦ - عباد الإخبات إلى الله : وتشتمل على ما يلي:	٣٥٠
الأول: فقه الإخبات إلى الله عز وجل	٣٥٠
الثاني: منزلة الإخبات إلى الله عز وجل	٣٥٤
الثالث: فضائل الإخبات إلى الله عز وجل	٣٥٦
الرابع: علامات المخبتين	٣٥٨
الخامس: درجات الإخبات	٣٦٠

الموضوع	الصفحة
السادس: الأسباب المعينة على الإخبات لله عز وجل	٣٦٢
السابع: جزاء المخبتين	٣٦٤
١٧ - **عبادة الذل لله عز وجل: وتشتمل على ما يلي:**	٣٦٦
الأول: فقه الذل لله عز وجل	٣٦٦
الثاني: منزلة الذل لله عز وجل	٣٧١
الثالث: أنواع الذل لله عز وجل	٣٧٤
الرابع: الوسائل المعينة على الذل لله عز وجل	٣٧٥
الخامس: علامات الذل لله عز وجل	٣٧٧
السادس: ثمرات الذل لله عز وجل	٣٨٠
١٨ - **عبادة الاستعانة بالله عز وجل: وتشتمل على ما يلي:**	٣٨٢
الأول: فقه الاستعانة بالله جل جلاله	٣٨٢
الثاني: منزلة الاستعانة بالله جل جلاله	٣٨٨
الثالث: أنواع الاستعانة	٣٩٠
الرابع: الأسباب المعينة على الاستعانة بالله عز وجل	٣٩٢
الخامس: أقسام الناس في الاستعانة	٣٩٤
السادس: جزاء أهل العبادة والاستعانة بالله جل	٣٩٧
١٩ - **عبادة الاستغاثة بالله عز وجل: وتشتمل على ما يلي:**	٤٠٠

الموضوع	الصفحة
الأول: فقه الاستغاثة بالله عز وجل	٤٠٠
الثاني: منزلة الاستغاثة بالله عز وجل	٤٠٤
الثالث: أنواع الاستغاثة	٤٠٧
الرابع: الفرق بين الاستغاثة والاستعانة	٤٠٨
الخامس: فضائل الاستغاثة بالله عز وجل	٤١١
السادس: الأسباب المعينة على الاستغاثة بالله عز وجل	٤١٣
٢٠ - عبادة الافتقار إلى الله ﷻ: وتشتمل على ما يلي:	٤١٦
الأول: فقه الافتقار إلى الله ﷻ	٤١٦
الثاني: منزلة الافتقار إلى الله ﷻ	٤٢١
الثالث: أنواع الافتقار	٤٢٣
الرابع: درجات الافتقار إلى الله ﷻ	٤٢٧
الخامس: علامات الافتقار إلى الله ﷻ	٤٢٩
السادس: ثمرات الافتقار إلى الله ﷻ	٤٣٢
٢١ - عبادة التسليم إلى الله ﷻ: وتشتمل على ما يلي:	٤٣٦
الأول: فقه التسليم لله ﷻ	٤٣٦
الثاني: منزلة التسليم لله ﷻ	٤٤٢
الثالث: فضائل التسليم لله ﷻ	٤٤٩

الموضوع **الصفحة**

الرابع: علامات التسليم لله ﷻ ٤٥٠
الخامس: تفاوت الناس في التسليم لله ﷻ ٤٥١
السادس: الأسباب المعينة على التسليم لله ﷻ ٤٥٣
٢٢ - عبادة القنوت لله ﷻ : وتشتمل على ما يلي: ٤٥٦
الأول :فقه القنوت لله ﷻ ٤٥٦
الثاني : منزلة القنوت لله ﷻ ٤٦٠
الثالث : أنواع القنوت ٤٦٢
الرابع : أعظم الخلق قنوتا لله ﷻ ٤٦٤
الخامس : الأسباب المعينة على القنوت لله ﷻ ٤٦٥
السادس : ثمرات القنوت لله ﷻ ٤٦٧
٢٣ - عبادة الخشوع لله ﷻ: وتشتمل على ما يلي: ٤٧٠
الأول: فقه الخشوع لله ٤٧٠
الثاني: منزلة الخشوع لله ﷻ ٤٧٤
الثالث: فضائل الخشوع لله ﷻ ٤٧٦
الرابع: أنواع الخشوع لله ﷻ ٤٧٨
الخامس: علامات صدق الخشوع لله ﷻ ٤٨٠
السادس: أركان الخشوع لله في الصلاة ٤٨١

الموضوع **الصفحة**

السابع: درجات الخشوع لله ﷻ ٤٨٤
الثامن: تفاوت الناس في الخشوع لله ﷻ ٤٨٥
التاسع: الأسباب المعينة على الخشوع لله في الصلاة ٤٨٧
٢٤ - **عبادة التواضع لله ﷻ: وتشتمل على ما يلي:** ٤٩٠
الأول: فقه التواضع لله ﷻ ٤٩٠
الثاني: فضائل التواضع لله ﷻ ٤٩٤
الثالث: درجات التواضع ٤٩٦
الرابع: علامات أهل التواضع ٤٩٨
الخامس: الأسباب المعينة على التواضع لله ﷻ ٥٠٠
السادس: جزاء أهل التواضع لله ﷻ ٥٠٢
السابع: عقوبات أهل الكبر والاستكبار ٥٠٣
٢٥ - **عبادة مراقبة الله ﷻ: وتشتمل على ما يلي:** ٥٠٦
الأول: فقه مراقبة الله ﷻ ٥٠٦
الثاني: منزلة مراقبة الله ﷻ ٥٠٩
الثالث: فضائل مراقبة الله ﷻ ٥١٢
الرابع: درجات المراقبة. ٥١٦
الخامس: تفاوت الناس في المراقبة. ٥١٩

الموضوع **الصفحة**

السادس: علامات صدق المراقبة.. ٥٢٠

السابع: الأسباب المعينة على صدق المراقبة.............................. ٥٢١

٢٦ - عبادة خشية الله جل جلاله: وتشتمل على ما يلي:.................. ٥٢٤

الأول: فقه خشية الله عز وجل. ٥٢٤

الثاني: منزلة خشية الله عز وجل. ٥٢٩

الثالث: فضائل خشية الله عز وجل. ٥٣٣

الرابع: الأسباب المعينة على خشية الله عز وجل. ٥٣٥

الخامس: ثمرات خشية الله عز وجل...................................... ٥٣٧

٢٧ - عبادة الزهد: وتشتمل على ما يلي:................................ ٥٤٠

الأول: فقه الزهد. ٥٤٠

الثاني: أقسام الزهد. ٥٤٧

الثالث: فضائل الزهد. ٥٥٠

الرابع: الأسباب المعينة على الزهد. ٥٥٤

الخامس: علامات أهل الزهد. ٥٥٨

السادس: مداخل الشيطان على أهل الزهد................................. ٥٦٠

٢٨ - عبادة الورع: وتشتمل على ما يلي:................................ ٥٦٢

الأول: فقه الورع.. ٥٦٢

الموضوع **الصفحة**

الثاني: منزلة الورع.. ٥٦٦

الثالث: درجات الورع.. ٥٦٧

الرابع: أقسام الورع.. ٥٦٨

الخامس: مراتب الورع. ٥٧٠

السادس: اختلاف الناس في الورع.. ٥٧٢

السابع: علامات صدق الورع. ٥٧٣

الثامن: الأسباب المعينة على الورع. ٥٧٥

التاسع: ثمرات الورع.. ٥٧٧

٢٩ - عبادة اليقين: وتشتمل على ما يلي:.. ٥٨٠

الأوَّل: فقه اليقين.. ٥٨٠

الثَّاني: فضائل اليقين.. ٥٨٤

الثَّالث: أنواع اليقين.. ٥٨٦

الرَّابع: مراتب اليقين.. ٥٨٧

الخامس: تفاوت النَّاس في اليقين.. ٥٨٩

السَّادس: علامات أهل اليقين.. ٥٩١

السَّابع: علامات صدق اليقين.. ٥٩٤

الثَّامن: ثمرات اليقين.. ٥٩٦

الموضوع	الصفحة
التاسع : الأسباب المُعِينة على تحصيل اليقين	٥٩٧
٣٠- عبادة الإنابة إلى الله ﷻ: وتشتمل على ما يلي:	٦٠٠
الأول : فقه الإنابة إلى الله ﷻ	٦٠٠
الثاني : منزلة الإنابة .	٦٠٥
الثالث : أنواع الإنابة .	٦٠٧
الرابع : درجات الإنابة .	٦٠٨
الخامس : علامات الإنابة .	٦١٠
السادس : الأسباب المعينة على الإنابة .	٦١٢
السابع : ثمرات الإنابة	٦١٤
٣١- عبادة الاستغناء بالله عز وجل: وتشتمل على ما يلي:	٦١٦
الأول : غنى الله عز وجل.	٦١٦
الثاني : فقه الاستغناء بالله عز وجل.	٦١٩
الثالث : حقيقة الاستغناء بالله عز وجل.	٦٢٢
الرابع : علامات الاستغناء بالله عز وجل.	٦٢٥
الخامس : الأسباب المعينة على تعلق القلب بالله وحده	٦٢٩
٣٢- عبادة التبتل إلى الله ﷻ: وتشتمل على ما يلي:	٦٣٤
الأول: فقه التبتل إلى الله ﷻ	٦٣٤

الموضوع **الصفحة**

الثاني: منزلة التبتل.................................... ٦٣٩

الثالث: أنواع التبتل. ٦٤١

الرابع: خطوات التبتل المشروع. ٦٤٤

الخامس: درجات التبتل. ٦٤٦

السادس: الأسباب المعينة على تحصيل التبتل.................................... ٦٤٧

السابع: ثمرات التبتل.................................... ٦٥١

٣٣- عبادة التفويض إلى الله ﷻ: وتشتمل على ما يلي:.................................... ٦٥٤

الأول: فقه التفويض إلى الله ﷻ.................................... ٦٥٤

الثاني: منزلة التفويض. ٦٦٠

الثالث: درجات التفويض. ٦٦٢

الرابع: الأسباب المعينة على التفويض.................................... ٦٦٤

٣٤- عبادة السكينة: وتشتمل على ما يلي:.................................... ٦٦٨

الأول: فقه السكينة.................................... ٦٦٨

الثاني: فضائل السكينة.................................... ٦٧٢

الثالث: أقسام السكينة.................................... ٦٧٤

الرابع: درجات السكينة.................................... ٦٧٨

الخامس: ثمرات السكينة.................................... ٦٧٩

الموضوع **الصفحة**

٣٥- **عبادة الرحمة: وتشتمل على ما يلي:**.......................................٦٨٢

الأول: فقه رحمة الرب ﷻ.......................................٦٨٢

الثاني: فقه رحمة الخلق. ٦٨٦

الثالث: أقسام الرحمة. ٦٩٠

الرابع: أنواع الرحمة. ٦٩٦

الخامس: الأسباب المعينة على رحمة الخلق.......................................٦٩٨

السادس: ثمرات الرحمة.......................................٧٠٠

٣٦- **عبادة الحِلم**: **وتشتمل على ما يلي:**.......................................٧٠٤

الأول :فقه حلم الله ﷻ.......................................٧٠٤

الثاني : فقه الحلم على الخلق. ٧٠٦

الثالث : منزلة الحلم. ٧١٠

الرابع : أقسام الأخلاق.......................................٧١٢

الخامس : صور من حلم النبي صلى الله عليه وسلم.......................................٧١٤

السادس : الأسباب الباعثة على الحلم.......................................٧١٦

السابع : ثمرات الحلم.......................................٧١٩

٣٧- **عبادة العفو**: **وتشتمل على ما يلي:**.......................................٧٢٢

الأول : فقه العفو.......................................٧٢٢

الموضوع	الصفحة
الثاني : منزلة العفو	٧٢٦
الثالث : أنواع العفو .	٧٢٨
الرابع : صور من عفو النبي ﷺ.	٧٣٠
الخامس : الأسباب المعينة على العفو .	٧٣٢
السادس : ثمرات العفو عن الناس	٧٣٤
٣٨ - عبادة الاستغفار: وتشتمل على ما يلي:	٧٣٨
الأوَّل: فقه الاستغفار	٧٣٨
الثَّاني: فضائل الاستغفار	٧٤٤
الثَّالث: استغفار الأنبياء والرُّسل	٧٤٨
الرَّابع: صيغ الاستغفار في القرآن والسُّنَّة	٧٥٠
الخامس: الأسباب المعينة على التَّوبة والاستغفار	٧٥٣
السَّادس: ثمرات الاستغفار	٧٥٧
٣٩ - عبادة الاستعاذة بالله عز وجل: وتشتمل على ما يلي:	٧٦٠
الأول: فقه الاستعاذة بالله عز وجل	٧٦٠
الثاني: أقسام الاستعاذة.	٧٦٦
الثالث: صيغ الاستعاذة.	٧٦٧
الرابع: الأمور التي يستعاذ بالله منها.	٧٦٨

الموضوع	الصفحة

الخامس: ما يُستعاذ به. ٧٧٢

السادس: الأسباب المعينة على الاستعاذة بالله........................ ٧٧٣

٤٠ - عبادة الطمأنينة: وتشتمل على ما يلي:........................ ٧٧٦

الأول: فقه الطمأنينة. ٧٧٦

الثاني: درجات الطمأنينة. ٧٨٣

الثالث: الأسباب المعينة على الطمأنينة. ٧٨٦

الرابع: ثمرات الطمأنينة........................ ٧٩٠

٤١ - عبادة الحكمة: وتشتمل على ما يلي:........................ ٧٩٤

الأول: فقه الحكمة. ٧٩٤

الثاني: فقه حكمة الله عز وجل........................ ٨٠١

الثالث: أنواع الحكمة........................ ٨٠٤

الرابع: درجات الحكمة. ٨٠٦

الخامس: الأسباب المعينة على الحكمة. ٨٠٨

السادس: ثمرات الحكمة........................ ٨١١

٤٢ - عبادة اللطف: وتشتمل على ما يلي:........................ ٨١٦

الأول: فقه اللطف بالخلق. ٨١٦

الثاني: فقه لطف الله ﷻ بالخلق. ٨٢٢

الموضوع	الصفحة

الثالث : الأسباب المعينة على اللطف ٨٢٧

الرابع : التعبد لله ﷻ بصفة اللطف... ٨٢٩

٤٣ - عبادة الرفق بالخلق: وتشتمل على ما يلي:... ٨٣٦

الأول : فقه الرفق بالخلق. ٨٣٦

الثاني : فقه رفق الله ﷻ. ٨٤٠

الثالث : ميادين الرفق. ٨٤٤

الرابع : الأسباب الباعثة على الرفق. ٨٥٠

الخامس : التعبد لله ﷻ بصفة الرفق... ٨٥٢

٤٤ - عبادة جبر الخواطر: وتشتمل على ما يلي:... ٨٥٦

الأول : فقه جبر الخواطر... ٨٥٦

الثاني : صورٌ من جبر الخواطر في القرآن والسنة... ٨٦١

الثالث : الأسباب المُعينة على جبر الخواطر... ٨٧٢

الرابع : التعبد لله بجبر خواطر الخلق... ٨٧٤

٤٥ - عبادة محاسبة النفس: وتشتمل على ما يلي:... ٨٨٠

الأول: فقه محاسبة النفس. ٨٨٠

الثاني: منزلة المحاسبة. ٨٨٤

الثالث: أقسام المحاسبة. ٨٨٥

الموضوع	الصفحة
الرابع: الأسباب المعينة على محاسبة النفس	٨٨٨
الخامس: كيفية محاسبة النفس في الدنيا.	٨٩١
السادس: أوقات محاسبة النفس.	٨٩٦
السابع: ثمرات محاسبة النفس..	٨٩٧
٤٦ - عبادة المجاهدة: وتشتمل على ما يلي:..	٩٠٠
الأول: فقه مجاهدة النفس..	٩٠٠
الثاني: أنواع المجاهدة.	٩٠٢
الثالث: تفاوت الناس في المجاهدة.	٩١٣
الرابع: الأسباب المعينة على مجاهدة النفس.	٩١٧
الخامس: ثمرات المجاهدة..	٩٢١
٤٧ - عبادة التفكر في مخلوقات الله ﷻ: وتشتمل على ما يلي:............	٩٢٤
الأول : فقه التفكر في مخلوقات الله ﷻ..	٩٢٤
الثاني : أنواع التفكر في مخلوقات الله ﷻ.	٩٣٤
الثالث : ثمرات التفكر	٩٤٢
الرابع : تفاوت الناس في التفكر..	٩٤٧
٤٨ - عبادة تدبر القرآن الكريم: وتشتمل على ما يلي:........................	٩٥٠
الأول: منزلة تدبر القرآن الكريم.	٩٥٠

الموضوع **الصفحة**

الثاني: فقه تدبر القرآن الكريم. ٩٥٢

الثالث: أنواع تدبر القرآن الكريم. ٩٥٦

الرابع: دلائل التوحيد والإيمان في القرآن. ٩٥٨

الخامس: الأسباب المعينة على تدبر القرآنالكريم. ٩٦١

السادس: ثمرات تدبر القرآن الكريم.......... ٩٦٥

٤٩ - عبادة ذكر الله ﷻ: وتشتمل على ما يلي:.......... ٩٧٢

الأول: فقه ذكر الله ﷻ.......... ٩٧٢

الثاني: أنواع الذكر. ٩٧٥

الثالث: الأسباب المعينة على ذكر الله ﷻ.......... ٩٨١

الرابع: ثمرات ذكر الله ﷻ.......... ٩٨٣

الخامس: أسباب الإعراض عن ذكر الله ﷻ.......... ٩٨٧

السادس: عقوبات الإعراض عن ذكر الله ﷻ.......... ٩٨٩

٥٠ - عبادة دعاء الله عز وجل: وتشتمل على ما يلي:.......... ٩٩٢

الأول : فقه الدعاء. ٩٩٢

الثاني : أنواع الدعاء. ٩٩٥

الثالث : شروط الدعاء. ٩٩٧

الرابع: آداب الدعاء. ٩٩٩

الموضوع	الصفحة
الخامس : الأسباب المعينة على إجابة الدعاء.	١٠٠١
السادس : دعاء الأنبياء في القرآن الكريم.	١٠٠٥
السابع : ثمرات الدعاء............................	١٠٠٧
الثامن : موانع إجابة الدعاء............................	١٠١١
٥١ - عبادة الأَوْبَةِ إلى الله ﷻ: وتشتمل على ما يلي:............	١٠١٤
الأول: فقه الأوبة إلى الله ﷻ.	١٠١٤
الثاني: صفات الأوابين..	١٠١٧
الثالث: الأسباب المعينة على الأوبة إلى الله ﷻ............................	١٠١٩
الرابع: جزاء الأوابين............................	١٠٢٢
٥٢ - عبادة حسن الخلق: وتشتمل على ما يلي:............	١٠٢٤
الأول: فقه حسن الخلق.	١٠٢٤
الثاني: فضائل الأخلاق الحسنة.	١٠٢٨
الثالث: أقسام الأخلاق.	١٠٣٠
الرابع: الأسباب المعينة على تحصيل الأخلاق الحسنة.	١٠٣٣
الخامس: كيفية التعبد لله بالأخلاق الحسنة.	١٠٣٥
السادس: أسباب سوء الخلق............................	١٠٣٧
٥٣ - عبادة سلامة الصدر: وتشتمل على ما يلي:............	١٠٤٠

الموضوع	الصفحة
الأول : فِقهُ سَلامةِ الصَّدرِ.	١٠٤٠
الثاني : مَنْزِلةُ سَلامةِ الصدرِ.	١٠٤٣
الثالث: فَضَائِلُ سلامةِ الصدر.	١٠٤٧
الرابع: الأسبابُ المعينةُ على سلامةِ الصدرِ	١٠٤٩
الخامس : جزاءُ أهل سَلامةِ الَّصدرِ	١٠٥٢
٥٤ - عبادة المروءة: وتشتمل على ما يلي:	١٠٥٤
الأول : فقه المروءة .	١٠٥٤
الثاني :أقسام المروءة .	١٠٥٧
الثالث : مراتب المروءة .	١٠٥٩
الرابع : شروط المروءة .	١٠٦١
الخامس :علامات أهل المروءة .	١٠٦٢
السادس : الأسباب المعينة على تحصيل خلق المروءة .	١٠٦٤
السابع : ثمرات المروءة .	١٠٦٦
الثامن :خوارم المروءة	١٠٦٨
٥٥ - عبادة الإيثـــار: وتشتمل على ما يلي:	١٠٧٢
الأول: فقه الإيثار.	١٠٧٢
الثاني: فضائل الإيثار.	١٠٧٥

الموضوع **الصفحة**

الثالث: أقسام الإيثار. ١٠٧٦

الرابع: درجات الإيثار. ١٠٧٨

الخامس: الأسباب المعينة على الإيثار. ١٠٧٩

السادس: ثمرات الإيثار.. ١٠٨١

٥٦ - **عِبَادة الإنفاق في سبيل الله: وتشتمل على ما يلي:**.................. ١٠٨٤

الأول: فقه الإنفاق في سبيل الله. ١٠٨٤

الثاني: أنواع الإنفاق في سبيل الله. ١٠٩٠

الثالث: آداب الإنفاق في سبيل الله. ١٠٩٤

الرابع: الأسباب المعينة على الإنفاق في سبيل الله. ١٠٩٧

الخامس: ثمرات الإنفاق في سبيل الله.. ١١٠٠

٥٧ - **عِبَادة الإصلاح بين الناس: وتشتمل على ما يلي:**...................... ١١٠٤

الأول: فقه الإصلاح بين الناس. ١١٠٤

الثاني: فضائل الإصلاح بين الناس. ١١١٠

الثالث: صور الإصلاح بين الناس. ١١١١

الرابع: شروط الإصلاح بين الناس. ١١١٤

الخامس: الأسباب المعينة على الإصلاح بين الناس. ١١١٧

السادس: ثمرات الإصلاح بين الناس.. ١١١٩

الموضوع	الصفحة

٥٨ - عِبَادة الأدب مع الله.. ١١٢٢
الأول : فقه الأدب مع الله ﷻ.. ١١٢٢
الثاني : كيفية الأدب مع الله ﷻ.. ١١٢٩
الثالث : صور الأدب مع الله ﷻ.. ١١٣٠
الرابع : الأسباب المعينة على حُسن الأدب مع الله ﷻ.. ١١٣٥
الخامس: ثمرات حُسن الأدب مع الله ﷻ.. ١١٣٧
٥٩ - عِبَادة الأدب مع رسول الله ﷺ: وتشتمل على ما يلي:.. ١١٤٠
الأول : حسن أدب الأنبياء والمرسلين.. ١١٤٠
الثاني : دعاء الأنبياء والمرسلين في القرآن الكريم.. ١١٤٢
الثالث : فقه الأدب مع رسول الله ﷺ.. ١١٤٥
الرابع : أنواع الأدب مع رسول الله ﷺ.. ١١٤٨
الخامس : أصول الأدب الكامل مع الرسول ﷺ.. ١١٥٤
٦٠ - عِبَادة الأدب مع الخلق: وتشتمل على ما يلي:.. ١١٥٨
الأول: أنواع الأدب. ١١٥٨
الثاني: فقه الأدب مع الخلق. ١١٦٣
الثالث: مظاهر الأدب مع الخلق. ١١٦٦
الرابع: الأسباب المعينة على حُسن الأدب مع الخلق. ١١٧١

الموضوع	الصفحة
الخامس: ثمرات الأدب مع الخلق	١١٧٤
٦١ - عِبَادة العــدل: وتشتمل على ما يلي:	١١٧٦
الأول: فقه العدل.	١١٧٦
الثاني: أقسام العدل.	١١٨٢
الثالث: صور العدل بين الناس.	١١٨٥
الرابع: الأسباب المعينة على العدل .	١١٨٩
الخامس: ثمرات العدل	١١٩١
٦٢ - عِبَادة صلة الأرحــام: وتشتمل على ما يلي:	١١٩٤
الأول: فقه صلة الأرحام .	١١٩٤
الثاني : درجات صلة الأرحام.	١١٩٨
الثالث: كيفية صلة الأرحام.	١٢٠٠
الرابع : الوسائل المعينة على صلة الأرحام.	١٢٠١
الخامس : ثمرات صلة الأرحام.	١٢٠٤
السادس : أسباب قطيعة الأرحام.	١٢٠٦
السابع : عقوبات قطع صلة الأرحام	١٢٠٨
٦٣ - عبادة العلم: وتشتمل على ما يلي:	١٢١٠
الأول: فقه العلم الإلهي.	١٢١٠

الموضوع	الصفحة
الثاني : أمهات العلم الإلهي.	١٢١٥
الثالث: فضائل العلم الإلهي.	١٢١٨
الرابع : أقسام العلوم الشرعية.	١٢٢٠
الخامس: أقسام العلماء.	١٢٢٥
السادس : الأسباب المعينة على تعلم العِلم وتعليمه.	١٢٣٠
السابع : ثمرات العلم الشرعي	١٢٣٢
٦٤ - عِبَادة الدعـوة إلى الله: وتشتمل على ما يلي:	١٢٣٦
الأول: فقه الدعوة إلى الله.	١٢٣٦
الثاني : القرآن الكريم كتاب الدعوة إلى الله.	١٢٤٣
الثالث: فضائل الدعوة إلى الله.	١٢٤٥
الرابع : حكم الدعوة إلى الله.	١٢٤٦
الخامس : وظيفة هذه الأمة الدعوة إلى الله.	١٢٥١
السادس : عقوبة ترك الدعوة إلى الله	١٢٥٤
٦٥ - عِبَادة الإحسـان: وتشتمل على ما يلي:	١٢٥٨
الأول: فقه الإحسان.	١٢٥٨
الثاني : منزلة الإحسان.	١٢٦٣
الثالث: فضائل الإحسان .	١٢٦٦

الموضوع	الصفحة

الرابع : أقسام الإحسان. ١٢٦٨

الخامس : كيفية الإحسان. ١٢٧٣

السادس : صور الإحسان. ١٢٧٥

السابع : الأسباب المعينة على الإحسان.. ١٢٧٨

القسم الثاني

عبادات التروك

أقسام العبادات.. ١٢٨٢

الأول : أقسام العبادات.. ١٢٨٢

الثاني : فقه عبادات التروك.. ١٢٨٣

الثالث :أقسام عبادات التروك.. ١٢٨٥

الرابع : أنواع عبادات التروك.. ١٢٨٧

الخامس : الأسباب المعينة على ترك المنهيات والمحرمات........... ١٢٩٦

١ - تروك الإعتقاد.. ١٣٠٢

٢ - تروك الأقوال.. ١٣٢٥

٣ - تروك الأفعال.. ١٣٤٨

٤ - تروك الأخلاق.. ١٣٧٠

فهرس الموضوعات.. ١٤٠١